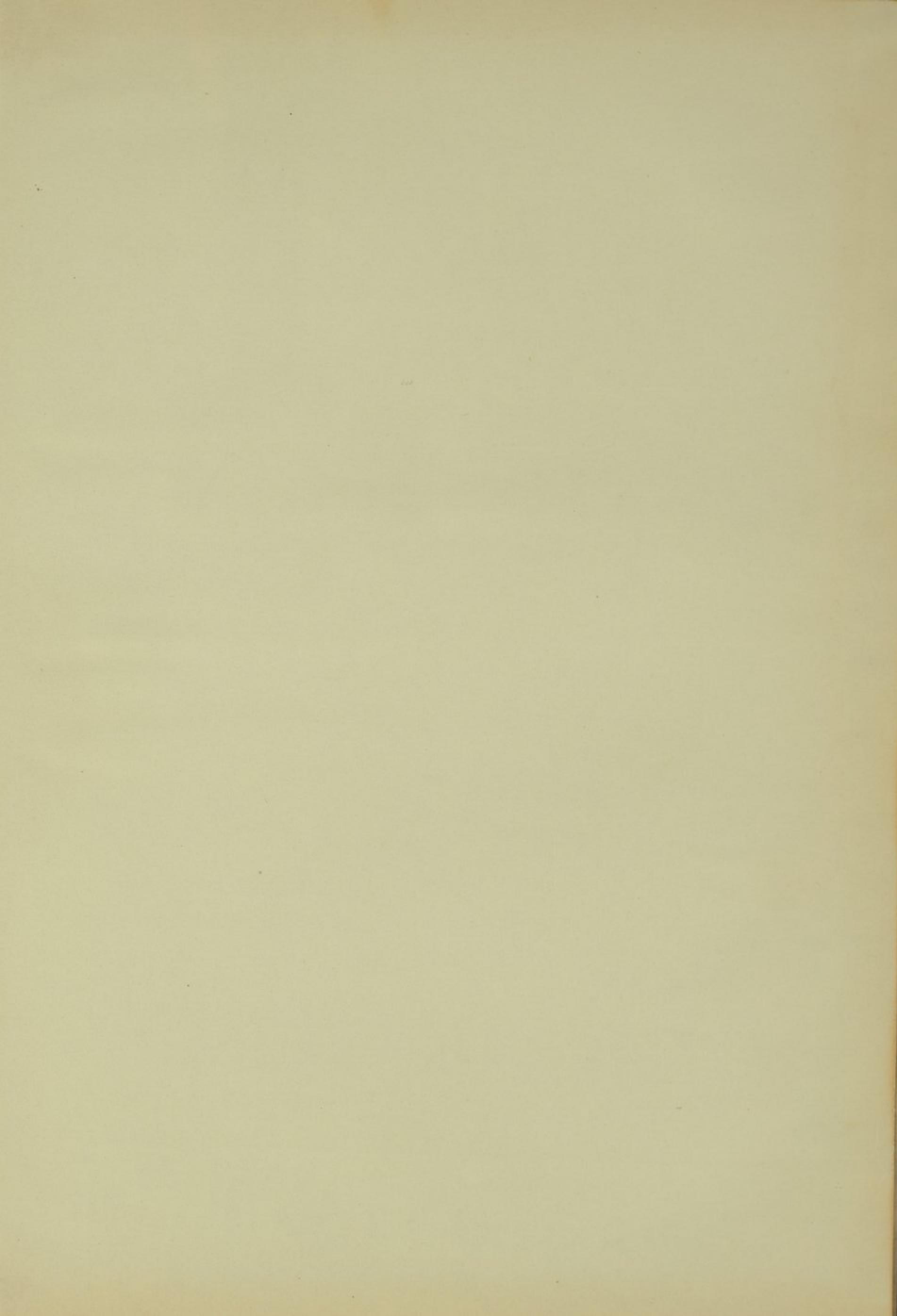
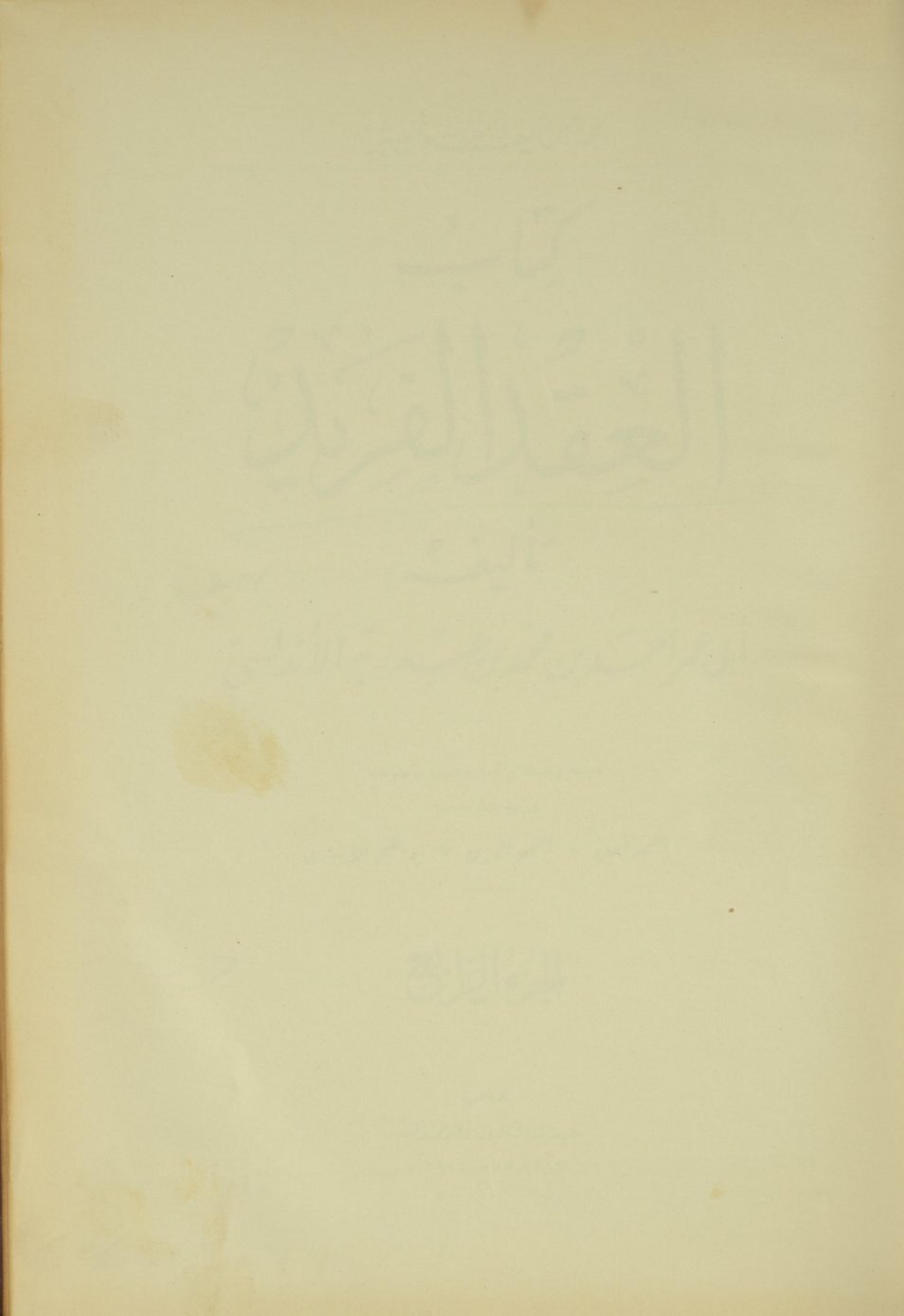
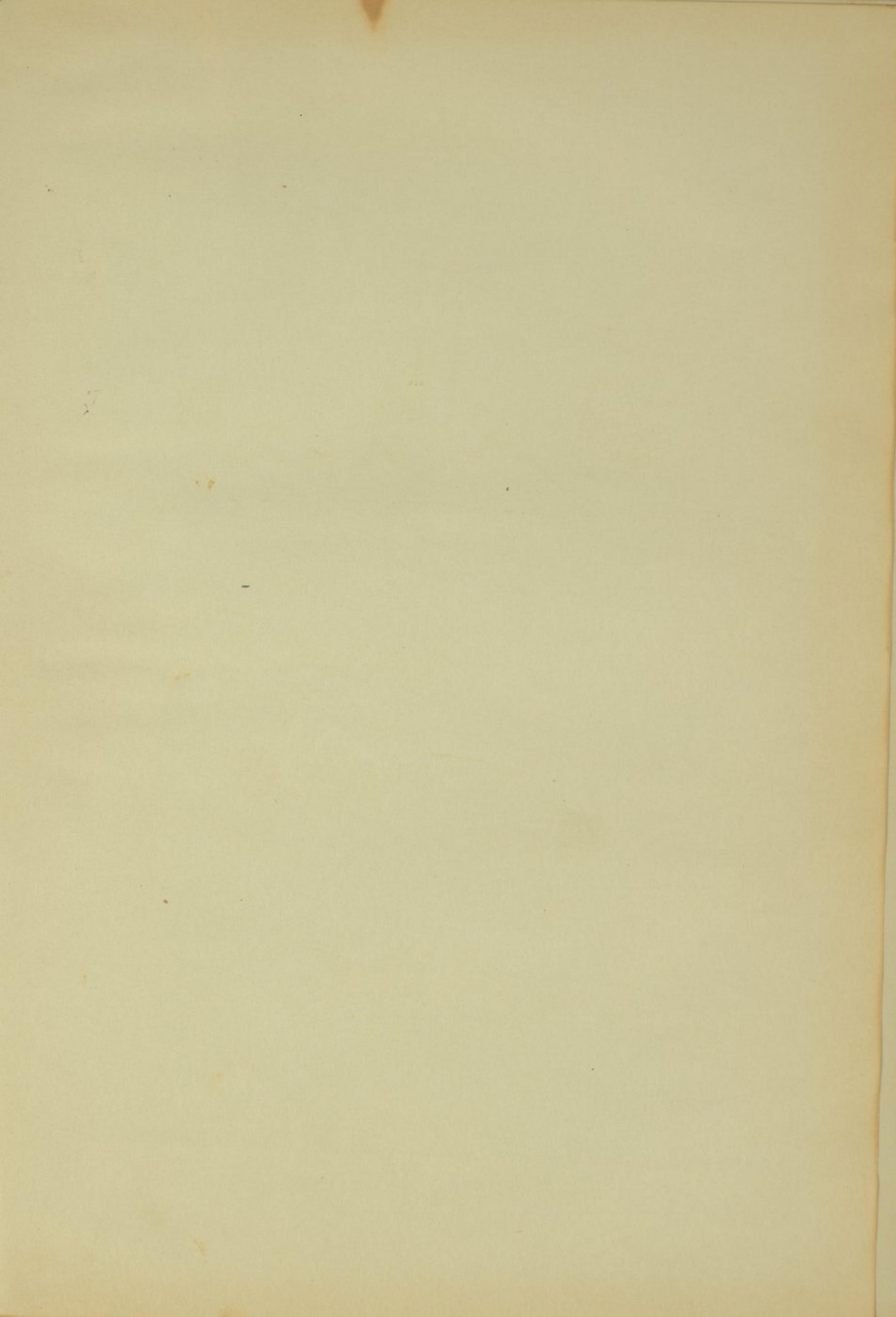




هدية
لهم الشافع فاتح العقول ناجي
الجشت
مكتبة مصريز الزواوي والدراسات
أبوظبي







بِحْرَةُ النَّالِيَفَ وَالْمُتَرْجِمَةُ وَالنَّشْرُ

كتاب

الْعِدْلُ الْفَرْدَى

تأليف

أبي عمرَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّبِّ الْأَنْذُلِسِيُّ

شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته

ورتب فهارسه

أحمد أصبع و أحمد الزين و إبراهيم الأبياري

٤٧

الجزءُ الْكَلِمُ

القاهرة

مطبعة بحرة الناليف والترجمة والنشر

١٣٦٣ - ١٩٤٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء الرابع من العقد الفريد

(١) فرش كتاب المجنبة في الأجوية

قال أَحْمَدُ بْنُ [مُحَمَّدٍ بْنِ] عَبْدِ رَبِّهِ : قَدْ مَضِيَ قَوْلُنَا فِي كَلَامِ الْأَعْرَابِ خَاصَّةً ،
وَنَحْنُ قَائِلُونَ بِعُونِ اللَّهِ وَتَوْفِيقِهِ فِي الْجَوَابَاتِ الَّتِي هِيَ أَصْعَبُ الْكَلَامِ كُلَّهُ مَرْكَباً ،
وَأَعْزَّهُ مَطْلُبًا ، وَأَغْمَضَهُ مَذْهَبًا ، وَأَضْيَقَهُ مَسْلِكًا ; لَأَنَّ صَاحِبَهُ يُعْجِلُ مُنَاجَاهَةَ
الْفِكْرَةِ ، وَأَسْتَعْمَلُ الْقَرِيمَةَ ؛ يَرُومُ فِي بَدِيهَةِ ، نَفْضَ مَا أَبْرَمَ فِي روْيَةٍ^(٢) ؛ فَهُوَ
كَمْ أَخْذَتْ عَلَيْهِ الْفِجَاجُ ، وَسُدَّدَتْ عَلَيْهِ الْمَخَارِجُ ؛ قَدْ تَعَرَّضَ لِلْأَسْنَةِ ،
وَأَسْتَهْدَفَ لِلْمَرَاثِيِّ ؛ لَا يَدْرِي مَا يُقْرَعُ بِهِ فَيَتَأَقَّبُ لَهُ ، وَلَا مَا يَفْجُوهُ مِنْ خَصْمِهِ
فَيَقْرِعُهُ بِمَثْلِهِ . وَلَا سِيَّما إِذَا كَانَ الْقَائِلُ قَدْ أَخْذَ بِمُجَامِعِ الْكَلَامِ فَقَادَهُ بِرَمَامِهِ ،
بَعْدَ أَنْ رَوَى فِيهِ وَاحْتَفَلَ ، وَجَمَعَ خَواطِرَهُ وَاجْتَهَدَ ، وَتَرَكَ الرَّأْيَ يَغْبُثُ حَتَّى
يَخْتَمِرُ ؛ فَقَدْ كَرِهُوا الرَّأْيَ الْفَطَيْرِ ، كَاَكَرُهُوا الْجَوابَ الدَّبَّرِيِّ^(٣) ؛ فَلَا يَزَالُ
فِي نَسْجِ الْكَلَامِ وَأَسْتَدْنَاسِهِ ، حَتَّى إِذَا اطْمَأَنَ شَارِدُهُ ، وَسَكَنَ نَافُورُهُ ، صَكَّ
بِهِ خَصْمَهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ؛ ثُمَّ إِذَا قِيلَ لَهُ : أَجِبْ وَلَا تُخْطِيْ ، وَأَسْرَعْ وَلَا تُبْطِئْ ،
تَرَاهُ يَجَاوِبُ مِنْ غَيْرِ أَنَّةٍ وَلَا أَسْتَعْدَادٍ ، يُطْبِقُ الْمَفَاصِلَ ، وَيَنْفُذُ [إِلَى] الْمَقَاتِلِ ؛
١٥

(١) زيد في قبيل هذا العنوان : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « فِي بَدِيهَتِهِ فِي روْيَتِهِ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) الرَّأْيُ الدَّبَّرِيُّ : هُوَ الَّذِي يُسْنَحُ أَخِيرًا بَعْدَ فَوَاتِ الْحَاجَةِ .

كما يُرْمَى الجندل بالجندل ، ويُقرع الحديد بالحديد ؛ فيَحُلْ به عِرَاه ، ويَنْقُضْ
به صراطه ، ويَكُون جوابه على كلامه^(١) ، كسحابة لمَدْت عَجَاجة . فلا شيء
أَعْضُلُ من الجواب الحاضر ، ولا أَعْزَزُ من الخصم الأَلَد ، الذي يَقْرَعْ صاحبه ،
ويَصْرُعْ مُنَازِعَه * بقول كَمِثْلِ النارِ فِي الْحَطَبِ الْجَلْزِلِ *

قال أبو الحسن : أسرع الناس جواباً عند البديهية قريش ثم بقيمة العرب ؟

وأحسنُ الجواب كُلُّه ما كان حاضراً مع إصابة معنى وابحاج لفظ . وكان يُقال :
أتقوا جوابَ عُثَمَانَ بْنَ عَفَانَ . وقال النبي عليه الصلاة والسلام لعمرو بن الأهم :
أخبرني عن الزَّبْرِقَان ؟ قال : مُطَاعٌ فِي أَدَارِينِه^(٢) ، شَدِيدُ الْعَارِضَةِ ، مَا نَعْلَمُ
وراءَ ظَهْرِه . قال الزَّبْرِقَانُ : والله يا رسول الله ، لقد عَلِمْتُ مِنْيَ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا ،
وَلَكِنْ حَسَدَنِي . قال عمرو بن الأهم : أَمَا والله يا رسول الله ، إِنَّه لَزَمِر^(٣)
الْمُرْوَةَ ، ضَيْقَ الْعَطَنَ^(٤) ، أَحْقَقَ الْوَالِدَ ، لَئِمَ الْخَالَ ؛ [وَالله يا رسول الله]
ما كَذَبْتُ فِي الْأُولَى ، وَلَقَدْ صَدَقْتُ فِي الْآخِرَى ؛ رَضِيتُ عَنْ أَبْنَى عَمِّي فَقِلتُ
فِيهِ أَحْسَنَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَكْذِبْ ، وَسَخَطْتُ عَلَيْهِ فَقِلتُ أَقْبَحَ مَا فِيهِ وَلَمْ أَكْذِبْ .
فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْرًا .

١٥

جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه

لَمَّا قَدِمَ عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، أَكْرَمَهُ وَقَرَبَهُ وَقَضَى حَوَافِجَهُ
وَقَضَى عَنْهُ دِينَه^(٥) ، ثُمَّ قَالَ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ : وَاللهِ إِنَّ عَلَيْهَا [غَيْرَ] حَافِظٌ

لعقيل مع معاوية
في تفضيل أخيه
على

(١) في بعض الأصول : « أَكْثَرُ كَلَامَه ». .

(٢) يريد عشرته الأقربين . وفيه : « إِجَابَتِه ». .

(٣) زَمَرَ المُرْوَةَ : قَلِيلُهَا . وفي بعض الأصول : « لِزَمِنٍ ». .

٢٠

(٤) الْعَطَنُ لِلْإِبْلِ ، كَالْوَطْنُ لِلنَّاسِ ، وَقَدْ غَلَبَ عَلَى مَرْكَبَهَا حَوْلَ الْأَرْضِ . وَيَكُنْ
بِضَيْقِهِ عَنْ ضَيْقِ الصِّدْرِ .

٢٥

(٥) كان عقيل قد خرج إلى معاوية مغاضباً لأخيه على ، وذلك حين سأله أخاه
عليها أن يقضي عنه دينه ، فأمهله على حتى يخرج إلى عطاوه ، فظن عقيل أنه يسوفه ،
فتركه وذهب إلى معاوية . (انظر أسد الغابة ج ٣ من ٤٢٣ وشرح نهج البلاغة
ج ٣ ص ٨٤) .

لَكُ ، قَطَعَ قَرَابَتِكَ وَمَا وَصَلَكَ وَلَا أَصْطَنَعَكَ . قَالَ لَهُ عَقِيلٌ : وَاللَّهِ لَقَدْ أَجْزَلَ
الْعَطِيَّةَ وَأَعْظَمَهَا ، وَوَصَلَ الْقَرَابَةَ وَحَفِظَهَا ، وَحَسُنَ ظَنُّهُ بِاللَّهِ إِذْ سَاءَ بِهِ ظَنُّكَ ،
وَحَفِظَ أَمَانَتَهُ وَأَصْلَحَ رَعِيَّتَهُ إِذْ خُفْتُمْ وَأَفْسَدْتُمْ وَجُرْتُمْ ، فَاكْفُفْ لَا أَبَا لَكَ ،
فَإِنَّهُ عَمَّا تَقُولُ بِمَعْزُلٍ . وَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةً يَوْمًا : أَبَا يَزِيدَ ، أَنَا لَكَ خَيْرٌ مِّنْ أَخِيكَ
عَلَيِّ . قَالَ : صَدَقْتَ ، إِنَّ أَخِي أَمْرَ دِينِهِ عَلَى دُنْيَاكَ ، وَأَنْتَ آثَرْتَ دُنْيَاكَ عَلَى
دِينِكَ ، فَأَنْتَ خَيْرٌ لِي مِنْ أَخِي ، وَأَخِي خَيْرٌ لِنَفْسِهِ مِنْكَ^(١) . وَقَالَ لَهُ لِيَلَةَ
الْهَرَيرَ^(٢) : أَبَا يَزِيدَ ، أَنْتَ الْلَّيْلَةَ مَعَنَا ؛ قَالَ : نَعَمْ ، وَيَوْمَ بَدْرَ كُنْتُ مَعَكُمْ^(٣) .

بيت عقيل
ورجل اتهمه
بنجاهة أخيه
ثم بينه وبين
معاوية

وَقَالَ رَجُلٌ لِعَقِيلٍ : إِنَّكَ لَخَائِنٌ حَيْثُ تَرَكْتَ أَخَاكَ وَتَرَغَبَ إِلَى مُعَاوِيَةَ .
قَالَ : أَخْوَنُ مَنِي وَاللَّهُ مَنْ سَفَكَ دَمَهُ بَيْنَ أَخِي وَابْنِ عَمِّي أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا
أَمِيرًا . وَدَخَلَ عَقِيلٌ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، وَقَدْ كَفَّ بَصَرُهُ ، فَاجْلَسَهُ مُعَاوِيَةَ عَلَى
سَرِيرِهِ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَنْتَ مَعْشَرَ بْنِ هَاشِمٍ تُصَابُونَ فِي أَبْصَارِكُمْ . قَالَ : وَأَنْتُمْ
مَعْشَرَ بْنِ أُمَيَّةَ تُصَابُونَ فِي بَصَارِكُمْ . وَدَخَلَ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي سُفَيْفَانَ ، فَوَسَّعَ لَهُ
مُعَاوِيَةَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَقِيلَ ، فَجلسَ بَيْنَهُمَا ، فَقَالَ عَقِيلٌ : مَنْ هَذَا الَّذِي أَجْلَسَ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ؟ قَالَ : أَخْوَكَ وَابْنُ عَمِّكَ عُتْبَةَ . قَالَ : أَمَّا إِنَّهُ إِنْ
كَانَ أَقْرَبَ إِلَيْكَ مَنِي إِنِّي لَأَقْرَبُ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْكَ وَمِنْهُ ،
وَأَنْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرْضُنَا وَنَحْنُ سَمَاءُ . قَالَ عُتْبَةَ : أَبَا يَزِيدَ ،
أَنْتَ كَمَا وَصَفْتَ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْقَ مَا ذَكَرْتَ ، وَأَمِيرُ
الْمُؤْمِنِينَ عَالَمٌ بِحَقْكَ ، وَلَكَ عِنْدَنَا مَا تُحِبُّ أَكْثَرُ مَا لَنَا عِنْدَكَ مَا نَسْكَرُهُ .

(١) في البيان والتبيين (ج ٢ ص ١٢٤) : «أَخِي خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَأَنْتَ خَيْرٌ
فِي دُنْيَايِ ». ٢٠

(٢) لِيَلَةَ الْهَرَيرَ ، مِنْ لِيَلَى صَفَينِ ، اسْتَحْرَرَ فِيهَا الْقَتَالُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَوُقْتُلَ فِيهَا عَلَى يَدِهِ
خَلْقًا كَثِيرًا . وَكَانَ ذَلِكَ لِيَلَةَ الْجُمُعَةِ ، وَبَعْدَهَا رَفَعَتِ الْمَصَاحِفُ ، ثُمَّ كَانَ التَّحْكِيمُ .
(انظر مروج الذهب للمسعودي) .

(٣) لَمْ يَسْلِمْ عَقِيلٌ إِلَّا عَامَ الْخَدِيبَيَّةِ . وَقَدْ أُسْرَ يَوْمَ بَدْرٍ مَعَ مَنْ أَسْرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ .
(انظر السيرة لابن هشام والاستيعاب) . يُعرَضُ بَعْضُهُمْ مُشَهِّداً مَوْقِعَهُمْ مَنْ عَلَى عِوْقَبَهُمْ
مِنَ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ يَوْمَ بَدْرٍ . ٢٥

ودخل عَقِيل على مُعاوِيَة ، فقال لاصحابه : هذا عَقِيل عمّه أبو هب . قال له عَقِيل : وهذا مُعاوِيَة عَمّه حَمَالَة الحَطَب ؛ ثم قال : يا مُعاوِيَة ، إذا دخلت النار فأَعْدِل ذاتَ اليسار ، فإنك سَتَجِدْ عَمَّى أبا هب مُفْتَرِشاً عَمَّةَك حَمَالَة الحَطَب ، فانظُرْ أَيْهُما خَيْر : الْفَاعِلُ أو الْمَفْعُولُ بِهِ ؟ وقال له [معاوِيَة] يوماً : ما أَبْيَنَ الشَّبَقَ فِي رِجَالِكم يَا بْنَ هَاشِم ! قال : لَكَفَهُ فِي نِسَائِكُم أَبْيَنْ يَا بْنَ أُمِّيَّة .
٥ وقال له مُعاوِيَة يوماً : وَاللَّهِ إِنَّ فِيكُمْ لَخَصْمَةً مَا تُعْجِبُنِي يَا بْنَ هَاشِم ؛ قال : وَمَا هِيَ ؟ قال : لِيَنْ فِيْكُم ؛ قال : لِيَنْ مَاذَا ؟ قال : هُوَ ذَاك^(١) ؛ قال : إِنَّا نَتَعَيَّرُ يَا مُعاوِيَة ! أَجْلَ وَاللَّهِ ، إِنَّ فِينَا لِلَّيْمَنَا مِنْ غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَعِزَّاً مِنْ غَيْرِ جَبَرُوتٍ ؛
وَأَمَا أَنْتُمْ يَا بْنَ أُمِّيَّة ، فَإِنَّ أَيْنَكُمْ غَدْرٌ ، وَعِزَّكُمْ كُفْرٌ ؛ قال مُعاوِيَة : مَا كُلَّهُ
هذا أَرْدَنَا يَا أَبَا يَزِيدَ . قال عَقِيل :

١٠ لَذِي الْلَّبْتِ قَبْلَ الْيَوْمِ مَا تُقْرَعُ الْعَصَمَةُ وَمَا عَلِمَ الْإِنْسَانُ إِلَّا لِيَعْلَمَ
قال مُعاوِيَة :

وَإِنَّ سِفَاهَ الشَّيْخِ لَا حَلْمَ بَعْدَه^(٢) وَإِنَّ الْفَتَى بَعْدَ السَّفَاهَةِ يَحْلِمُ
وقال مُعاوِيَة لـ عَقِيل بن أَبِي طَالِب : لَمْ جَفَوْتُمُونَا يَا أَبَا يَزِيد ؟ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :
إِنِّي أَمْرُؤٌ مِنِ التَّكْرِمِ شِيمَةٌ إِذَا صَاحِبِي يَوْمًا عَلَى الْهُونِ أَضْمَرَ
١٥ ثُمَّ قال : وَأَيْمَ اللهُ يَا مُعاوِيَة ، لَئِنْ كَانَ الدُّنْيَا مَهْدَتِكِ مِهَادَهَا ، وَأَظْلَلَتِكِ
بِحَذَافِيرِهَا^(٣) ، وَمَدَّتْ عَلَيْكِ أَطْنَابَ سُلْطَانِهَا ، مَا ذَاكَ بِالذِّي يَزِيدُكِ مِنِّي رَغْبَةً ،
وَلَا تَخْشِعَ لِوَهْبَةٍ . قال مُعاوِيَة : لَقَدْ نَعْتَهَا أَبَا يَزِيدَ نَعْتَهَا هَشَّ لِهِ قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَرْجُو
أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَبارُك وَتَعَالَى مَارَدَانِي بِرِدَاءِ مُلَكَّهَا ، وَحَبَّانِي بِفَضْيَلَةِ عِيشَهَا ،
إِلَّا كِرَامَةَ ادْخَرَهَا لِي ؛ وَقَدْ كَانَ دَاؤُ خَلِيفَةً ، وَسُلَيْمَانُ مَلِكًا ، وَإِنَّا هُوَ
٢٠ مِثْلٌ يُحْتَذَى عَلَيْهِ ، وَالْأُمُورُ أَشْبَاهُ ؛ وَأَيْمَ اللهُ يَا أَبَا يَزِيدَ ، لَقَدْ أَصْبَحَتْ عَلَيْنَا

(١) أَيْ لِيَنِ الْحَدِيثِ وَالْكَلَامِ . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «عِنْدَهُ» .

(٣) الْحَذَافِيرُ : الْأَعْالَى وَالنَّوَافِرُ ، أَيْ أَقْبَلَتْ عَلَيْكِ بِأَسْرِهَا . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «بِحَذَافِيرِ أَهْلِهَا» ، وَفِي بَعْضِ آخَرَ : «بِحَذَافِيرِ هَلْكَهَا» .

كريماً، وإلينا حبيباً، وما أصبحت أضر لك إساءة.

ويقال إن امرأة عقيل، وهي بنت^(١) عقبة بن ربيعة خالة معاوية، قالت بين عقيل وامرأه لعقيل: يا بني هاشم، لا يحبكم قلبي أبداً، أين أبي؟ أين أخي؟ أين عمتي^(٢)؟ كأن أعناقهم أباريق فضة. قال عقيل: إذا دخلت جهنم فخذلي على شمالك.

جواب ابن عباس رضي الله عنهم معاوية وأصحابه

اجتمعت قريش الشام والمحجاز عند معاوية وفيهم عبد الله بن عباس،
وكان جريئاً على معاوية، حقاراً له، فبلغه عنه بعض ما غمه، فقال معاوية:
رحم الله أبا سفيان والعباس، كانوا صفيين دون الناس، فحافظت الميت في الحى
والحى في الميت؛ استعملك على يا بن عباس على البصرة وأستعمل أخاك عبيد
الله على اليمين، وأستعمل أخاك [تماماً] على المدينة، فلما كان من الأمر ما كان
هذا لكم بما في أيديكم، ولم أكشفكم عمما وعاتكم غرائزكم، وقلت: آخذ اليوم
وأعطي غداً مثله؟ وعلمت أن بدء اللؤم يضر بعاقبة الكرم، ولو شئت
لأخذت بخلاف قيمكم، وقيأتكم ما أكلتم؛ [و] لا يزال يبلغنى عنكم ما تبروك^(٣) به
الإبل؛ وذنوبكم إلينا أكثر من ذنبنا إليكم: خذلت عثمان بالمدينة، وقتلت
أنصاره يوم الجمل، وحاربتكم بصفتين؛ ولعمري لبنيو قيم وعدى^(٤) أعظم
ذنو بما منا إليكم، إذ صرفا عنكم هذا الأمر، وسنوا فيكم هذه السنة؛ فتى
مت أغضى الجفون على القذى، وأسحب الذيل على الأذى، وأقول: لعل
الله وعسى! ما تقول يا بن عباس؟ قال: فتكلّم ابن عباس فقال: رحم الله
أبانا وأباك، كانوا صفيين متقارضين^(٥)، لم يكن لأبى من مال إلا ما فضل

(١) هي فاطمة (انظر البيان والتبيين ج ٢ ص ١٧٤).

(٢) تشير إلى مقتل أبيها عقبة بن ربيعة وأخيها الوليد وعمها شيبة يد عبيدة بن الحارث وعلى وجزة يوم بدر (انظر السيرة لابن هشام ج ٢ ص ٢٧٧ طبعة الحلبي).

(٣) في بعض الأصول: «مالا تبروك».

(٤) بنو قيم: قوم أبي بكر. وبنو عدى: قوم عمر بن الخطاب.

(٥) كذا في بعض الأصول. والتقارب: المحازاة، وفي سائر الأصول: «متقاوضين»، والمفاوضة: المشاركة.

أباك^(١) ، وكان أبوك كذلك لأبي ، ولكن من هنا أباك بإخاء أبي أكثر من هنا أبي بإخاء أبيك ؛ نصر أبي أباك في الجاهلية ، وحقن دمه في الإسلام ؛ وأما أستعمال على إيانا ، فلنفسه دون هواه ، وقد أستعملت أنت رجالاً هواك لانفسك ، منهم ابن الحضرمي^(٢) على البصرة ، فقتل ؛ وأبن بشر بن أرطاة على اليمن ، نخان ؛ وحبيب بن مُرَّة^(٣) على الحجاز ، فرد ؛ والضحاك بن قيس الفهوري على الكوفة ، فمحصب ؛ ولو طلبت ما عدنا وقيينا أعرضنا ؛ وليس الذي يبلغك عننا بأعظم من الذي يبلغنا عنك ، ولو وضع أصغر ذُنو بكم إلينا على مائة حسنة لمتحققها ، ولو وضع أدنى عذرنا إليكم على مائة سيئة لحسنتها ؛ وأما خذلنا عثمان ، فلو لزمنا نصره لننصرنا ؛ وأما قتلنا أنصاره يوم الجمل ، فعلى خروجهم مما دخلوا فيه ؛ وأما حربنا إياك بصفين ، فعلى تركك الحق وأدعائك الباطل ؛ وأما إغراؤك إيانا بتهم وعدى ، فلو أردناها ما غلبونا عليها ، وسكت . فقال في ذلك ابن أبي لهب :

كان ابن سرّب عظيم القدر في الناس حتى رماه بهما فيه ابن عباس
ما زال يهبطه طوراً ويصعده حتى استقاد وما بالحق من باس
لم يتذكر خطأ ممّا يذلل إلا كواه بهما في فروة الرأس

١٣٥

وقال ابن أبي ململة : ما رأيت مثل ابن عباس ! إذا رأيته رأيت أصح الناس ، وإذا تكلم فأعرب الناس^(٤) ، وإذا أفتى فأفقه الناس ، مارأيت أكثر صوابا ، ولا أحضر جوابا من ابن عباس . ابن السكري قال : أقبل معاوية يوما على ابن عباس ، فقال : لو ولّيت علينا ما أتيتم إلينا ما أتينا إليكم من الترحيب والتقريب ، واعطائكم الجزييل ، وإكرامكم على القليل ، وصبرى على

لابن أبي ململة
في ابن عباس
ثم عود إلى
ما كان بين ابن
عباس ومعاوية

(١) في بعض الأصول : « لأبيك » .

(٢) لعله عبد الله بن عمرو بن الحضرمي . (انظر الطبرى) .

(٣) لعله حبيب بن كرمة ، وكان من معاصرى معاوية ، ورسول الأمويين إلى يزيد .

(انظر الطبرى والأغافى ج ١ ص ٢٥ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٤) أعراب الناس ، أى أبنهم وأصحابهم .

ما صبرتُ عليه منكم ؛ وإنِّي لا أُريدُ أَسْرًا إِلَّا أَظْمَانَمْ صَدَرَهُ^(١) ، ولا آتَى
مَعْرُوفًا إِلَّا صَغَرْتُمْ خَطَرَهُ ، وأَعْطَيْتُكُمْ الْعَطِيَّةَ فِيهَا قَضَاهُ حُقُوقَكُمْ فَتَأْخُذُونَهَا
مُتَكَارِهِينَ عَلَيْهَا ، تَقُولُونَ: قَدْ نَفَصَ الْحَقَّ دُونَ الْأَمْلِ ؛ فَإِنِّي أَمْلٌ بَعْدَ أَلْفِ الْأَلْفِ
أَعْطَيْتُهَا الرَّجُلَ مِنْكُمْ ، ثُمَّ أَكُونُ أَسْرَرَ بِإِعْطَائِهَا مِنْهُ بِأَخْذِهَا . وَاللَّهُ لَئِنْ أَنْخَدْتُ
لَكُمْ فِي مَالِي ، وَذَلَّتُ لَكُمْ فِي عِزْضِي ، أَرَى أَنْخَدَاعِي كَرْمًا ، وَذُلُّ حِلْمًا .
وَلَوْلَيْتُمُونَا رَضِيدَنَا مِنْكُمْ بِالْأَنْتَصَافِ ، وَلَا نَسَالَكُمْ أَمْوَالَكُمْ ، إِعْلَمْنَا بِحَالِنَا
وَحَالَكُمْ ، وَيَكُونُ أَبْغَضُهَا إِلَيْنَا وَأَحْبَبُهَا إِلَيْكُمْ أَنْ نُعْفِيْكُمْ . فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ :
لَوْلَيْنَا أَحْسَنَنَا الْمُوَاسَةَ ، وَمَا ابْتَلَيْنَا^(٢) بِالْأَثْرَةِ ، ثُمَّ لَمْ نَغْشِمْ الْحَيَّ ، وَلَمْ نَشْتُمْ الْمَيْتَ ؛
وَلَسْتُمْ بِأَجْوَدِ مَا أَكْفَافُ ، وَلَا أَكْرَمَ أَنْفُسًا ، وَلَا أَصْنُونَ لِأَعْرَاضِ الْمَرْوِعَةِ ؛
وَنَحْنُ وَاللَّهُ أَعْطَى لِلآخرَةِ مِنْكُمْ لِلْدُنْيَا ، وَأَعْطَى فِي الْحَقِّ مِنْكُمْ فِي الْبَاطِلِ ،
وَأَعْطَى عَلَى التَّقْوِيَّةِ مِنْكُمْ عَلَى الْهَوَى ؛ وَالْقَسْمُ بِالسُّوَيْةِ وَالْعَدْلُ فِي الرَّعِيَّةِ يَأْتِيَانِ
عَلَى الْمُفْلِيِّ وَالْأَمْلِ . مَا رِضاَكُمْ مِنَ الْكَفَافِ ! فَلَوْ رَضِيتُمْ [بِهِ] مَنَّا لَمْ تَرَضُّ
أَنْفُسُنَا بِهِ لَكُمْ ، وَالْكَفَافُ رِضاً مَنْ لَا حَقٌّ لَهُ ، فَلَا تُبَخَّلُونَا حَتَّى تَسْأَلُونَا ،
وَلَا تَلْفِظُونَا حَتَّى تَذَوَّقُونَا .

أَبُو عَمَانَ الْحِزَامِيَّ قَالَ : اجْتَمَعَتْ بَنُو هَاشِمٍ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ فَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ ، ١٥
لَابْنِ عَبَّاسٍ يَرْدَنْ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَقَدْ
فَقَالَ : يَا بْنَى هَاشِمٍ ، وَاللَّهُ إِنَّ خَيْرَكُمْ لَكُمْ لِمَمْنُوحٍ ، وَإِنَّ بَابِكُمْ لَكُمْ لِمَفْتُوحٍ ،
فَلَا يَقْطَعُ خَيْرُكُمْ عَلَيْهِ ، وَلَا يُؤْصِدُ بَابِكُمْ دُونَكُمْ مَسَالَةً ؛ وَلَا نَظَرْتُ فِي
أَمْرِي وَأَمْرِكُمْ رَأَيْتُ أَمْرًا مُخْتَلِفًا ؛ إِنَّكُمْ لَتَرَوْنَ أَنْكُمْ أَحْقُّ بِمَا فِي يَدِي مِنِّي ،
وَإِذَا أَعْطَيْتُكُمْ عَطِيَّةً فِيهَا قَضَاهُ حَقُّكُمْ ، قُلْتُمْ : أَعْطَانَا دُونَ حَقَّنَا ، وَقَصَرَ بِنَا عَنْ
قَدْرِنَا ، فَصِرْتُ كَالْمَسْلُوبَ ، وَالْمَسْلُوبُ لَا حَمْدَ لَهُ ؛ وَهَذَا مَعَ إِنْصَافِ قَائِلِكُمْ ، ٢٠
وَإِسْعَافِ سَائِلِكُمْ . قَالَ : فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ : وَاللَّهُ مَا مَنَحْنَا شَيْئًا

(١) الصدر . الصدور من الماء . وأظمأت صدره . أى جعلتموه حقيرا لا يغنى الوارد
ولا يبل ريقا ولا يشفى ظمآن .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَامْتَنَنا » .

حتى سأله ، ولا فَتَحْتَ لَنَا بَابًا حَتَى قَرَعْنَاه ، وَلَئِنْ قَطَعْتَ عَنَّا خَيْرَكَ اللَّهُ أَوْسَعُ مِنْكَ ، وَلَئِنْ أَغْلَقْتَ دُونَنَا بَابَكَ لَنْكَفَنَّ أَنْفَسَنَا عَنْكَ . وَأَمَّا هَذَا الْمَالُ ، فَلِيُسْ لَكَ مِنْهُ إِلَّا مَالِرَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، وَلَنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقَّانَ : حَقٌّ فِي الْغَنِيمَةِ ، وَحَقٌّ فِي الْفَقَاءِ^(١) ، فَالْغَنِيمَةُ مَا غَلَبَنَا عَلَيْهَا ، وَالْفَقَاءُ مَا أَجْتَنَنَا هَذَا . وَلَوْلَا حَقَّنَا فِي هَذَا الْمَالِ لَمْ يَأْتِكَ مَنَا زَائِرٌ ، يَحْمِلُهُ خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ ، أَكَفَاكَ أَمْ أَزِيدُكَ ؟
٥
قَالَ : كَفَانِي ، فَإِنَّكَ لَا تُهَرِّبُ وَلَا تُنْبِحُ^(٢) .

لابن عباس يفخر
على معاوية بقومه

وقال يوماً معاوية ، وعنه ابن عباس : إذا جاءت هاشم بقدِّيمها وحدِيشها ، وجاءت بنو أمية بأحلامها وسياستها ، وبنو أسد بن عبد العزى برِفادتها^(٣) ودياتها ، وبنو عبد الدار بمحاجبها ولوائها ، وبنو مخزوم بأموالها وأفعالها ، وبنو تم بصدقها وجواوها^(٤) ، وبنو عدى بفاروقها^(٥) ومُتفكرها ، وبنو سهم بآرائهم ودهائمها ،
١٠ وبنو جمجم بشرفها وأنفتها ، وبنو عامر بن لؤي بفارسها وقرىعها^(٦) ، فمن ذا يُجلِّ في^(٧) مِضمارها ، ويجرِي إلى غايتها ؟ ما تقول يا بن عباس ؟ قال : أقول : ليس حَتَّى يَفْخِرُونَ بِأَمْرٍ إِلَّا وَإِلَى جَنَبِهِمْ مَنْ يَشْرِكُهُمْ ، إِلَّا قُرِيشًا فَإِنَّهُمْ يَفْخِرُونَ بِالنَّبِيَّ الَّتِي لَا يُشَارِكُونَ فِيهَا ، وَلَا يُسَاوِونَ بِهَا ، وَلَا يُدْفَعُونَ عَنْهَا ؟
١٣٦ ٢

(١) الغنيمة : ما أوجف عليه المسلمين بخيالهم وركابهم من المشركيين . والفاء : ماءفاء الله من أموال المشركيين على المسلمين بلا حرب .

(٢) في بعض الأصول : « لا تغزو لا تشج ». وهو تحريف .

(٣) في بعض الأصول : « بوافدها » وهو تحريف . ثم انظر الجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٣١٤) حيث عرض المؤلف لذكر ما كان لهذه القبائل في الجاهلية مع ملاحظة أن بين ما سيق هنا وما سيق هناك خلافا .

(٤) يريد بصدقها : أبي بكر . وبجواوها : عبيد الله بن عمر القرشي ، وله في الجود أخبار (انظر الجزء الأول من هذه الطبعة ص ٣٤٧ — ٣٤٨) .

(٥) يريد بفاروقها : عمر بن الخطاب . وبتفكيرها : زيد بن عمرو بن نفيل ، وكان زيد أحد من اعتزل عبادة الأواثان وامتنع منأكل ذاتهم . وله في ذلك أخبار . (انظر الأغاني ج ٣ ص ١٢٣ — ١٣٢ طبعة دار الكتب المصرية) .

(٦) القریع : السيد والرئيس . وكان عمرو بن عبدود فارس بني عامر وسيدها ، ثم كان من بعده ابنه سهيل بن عمرو . (انظر الأغاني ج ١٩ ص ٧٧ طبعة بلاق والسيرة لابن هشام) .

(٧) في بعض الأصول : « يحمل » مكان يُجلِّ في » .

وأشهد أن الله لم يجعل محمدًا من قريش إلا وقريش خير البرية ، ولم يجعله في بني عبد المطلب إلا وهم خير بنى هاشم ، ما نريد أن نفخر عليكم إلا بما تفخرون به ، إن بما فتح الأمور وبنوا يحتم ، ولكل ملك معجل ، ولنا ملك مؤجل ، فإن يكن ملوككم قبل ملوكنا فليس بعد ملوكنا ملوك ، لأننا أهل العاقبة ، والعقاب للمتقين .

بن ابن عباس
ومعروب العاص
في الحج ثم في
موسم من مواسم
العرب

أبو مخنف قال : حج عمرو بن العاص فمر بعد الله بن عباس فحسدَه مكانه وما رأى من هيبة الناس له وموقعه من قلوبهم ، فقال له : يا بن عباس ، مالك إذا رأيتني وليتني القصرة^(١) ، وكان بين عينيك دبرة ، وإذا كفت في ملا من الناس كنت الهوّة^(٢) الهمزة ! فقال ابن عباس : لأنك من اللثام الفجرة ، وقريش الكرام البررة ، لا ينطقون بباطل جهلوه ، ولا يكتُمون حقاً علِمه ، وهم أعظم الناس أحلاماً ، وأرفع الناس أعلاماً . دخلت في قريش ولست منها ، فأنت الساقط بين فراشين ، لا في بني هاشم رحلتك ، ولا في بني عبد شمس راحلتك ، فأنت الأئم الزنيم^(٣) ، الضال المضل ، حملك معاوية على رقاب الناس ، فأنت تسطو بحمله وتسمو بكرمه . فقال عمرو : أما والله إني لمسرور بك ، فهل ينفعني عندك ؟ قال ابن عباس : حيث مال الحق ملنا ، وحيث سلك قصداً . المدائني قال : [قام] عمرو بن العاص في موسم من مواسم العرب ، فأطْرَى معاوية بن أبي سفيان وبني أمية [وتناول بني هاشم] ، وذكر مشاهده بصفين ، وأجتمع قريش ، فأقبل عبد الله بن عباس على عمرو ، فقال : يا عمرو ، إنك بعْت دينك من معاوية ، وأعطيته ما بيده ، ومتناك ما بيده غيرك ، وكان الذي أخذ منك أكثر من الذي أعطاك ، والذى أخذ منه دون الذى أعطيته ، حتى لو كانت نفسك في يدك أقيمتها ، وكل راض بما أخذ وأعطى ، فلما صارت مصر في يدك

(١) القصرة : أصل العنق والرقبة .

(٢) الهوّة : الأحق .

(٣) الزنيم : الدعى .

كَدَرْهَا عَلَيْكَ بِالْعَذْلِ^(١) وَالتَّنْقُصُ^(٢)، وَذَكَرْتَ مَا شَاهَدَكَ بِصَفَّيْنِ، فَوَاللَّهِ مَا ثَقَلْتَ
عَلَيْنَا [يَوْمَئِذٍ] وَطَأْتَكَ، وَلَقَدْ كُشِّفَتْ فِيهَا عَوْرَتُكَ، وَإِنْ كُنْتَ فِيهَا لَطْوِيلَ
اللَّسَانِ، وَصَيْرَ السَّنَانِ، آخِرَ الْخَيْلِ إِذَا أَقْبَلْتَ، وَأُولَهَا إِذَا أَدْبَرْتَ، لَكَ يَدَانِ :
يَدُ لَا تَبْسُطُهَا إِلَى خَيْرٍ وَأُخْرَى لَا تَقْبضُهَا عَنْ شَرٍّ؛ وَلَسَانٌ غَادَرٌ^(٣) ذُو وَجْهَيْنِ؛
[وَوَجْهَانِ] : وَجْهٌ مُوحَشٌ، وَوَجْهٌ مُؤْنَسٌ؛ وَلِعَمْرِي إِنَّ مَنْ باعْ دِينَهُ بِدُنْيَا غَيْرَهُ،
لَحْرَى أَنْ يَطْوِلَ عَلَيْهَا نَدْمُهُ . لَكَ بِيَانٌ^(٤) وَفِيكَ خَطْلٌ، وَلَكَ رَأْيٌ وَفِيكَ نَكَدٌ،
وَلَكَ قَدْرٌ وَفِيكَ حَسْدٌ، وَأَصْغَرَ عَيْبٍ فِيكَ أَعْظَمُ عَيْبٍ فِي غَيْرِكَ . فَأَجَابَهُ عَوْرُوْنَ
الْعَاصِ : وَاللَّهِ مَا فِي قُرْيَشٍ أَثْقَلُ عَلَيَّ مَسْأَلَةً، وَلَا أَمْرٌ جَوَابًا مِنْكَ، وَلَوْ
اسْتَطَعْتُ أَلَا أُجِيبَكَ لِفَعْلَتِكَ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَبْعِدْ دِينِي مِنْ مُعَاوِيَةٍ، وَلَكِنْ
بَعْتُ اللَّهَ نَفْسِي، وَلَمْ أَنْسِ نَصِيْبِي مِنَ الدُّنْيَا؛ وَأَمَا مَا أَخْذَتُ مِنْ مُعَاوِيَةٍ
وَأَعْطَيْتُهُ، فَإِنَّهُ لَا تُعْلَمُ الْعَوَانُ الْخِمْرَة^(٥)؛ وَأَمَّا مَا أَتَى إِلَيَّ مِنْ مُعَاوِيَةٍ فِي مِصْرَ، فَإِنَّ
ذَلِكَ لَمْ يُغَيِّرْنِي لَهُ؛ وَأَمَّا خِفَةً وَطَأْتِي عَلَيْكُمْ بِصَفَّيْنِ، فَلِمَ أَسْتَهْقَلَتِي حَيَاَتِي
وَأَسْتَبْطَأَتِي وَفَاتِي؛ وَأَمَّا الْجُبْنُ، فَقَدْ عَلِمْتُ قُرْيَشَ أَنَّ أَوْلَى مِنْ يُبَارِزُ،
وَأَمْرَةً مِنْ يُنَازِلُ؛ وَأَمَا طُولُ لَسَانِي، فَإِنِّي كَمَا قَالَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ^(٦) اعْمَانُ بْنُ
عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

١٥

لَسَانِي طَوِيلٌ فَاحْتَرِسْ مِنْ شَذَّاتِه^(٧) عَلَيْكَ وَسَيْفِي مِنْ لَسَانِي أَطْوَلُ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَالْبَيَانِ وَنَثَرُ الدَّرْرِ لِلَّابِي فِي الْكَلَامِ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ : «بِالْعَذْلِ»
وَهُوَ تَحْرِيفٌ . إِذَا مُعْرُوفٌ أَنَّ عُمْرًا بَقَى وَالْيَا عَلَى مَصْرِ حَتَّى مَاتَ . (انْظُرْ
صَرْوَجَ الْذَّهَبَ) .

٢٠

(٢) كَذَا فِي الْبَيَانِ وَالْتَّبَيِّنِ (ج ٢ ص ١٦٠) وَالَّذِي فِي الْأَصْوَلِ وَالْتَّنْغِيَضِ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «غَرْوَر» .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «لَسَانٌ .»

(٥) الْعَوَانُ مِنَ النِّسَاءِ : الَّتِي كَانَ لَهَا زَوْجٌ . وَقِيلَ هِيَ الشَّيْبُ . أَيْ أَنَّ الْمَرْأَةَ الَّتِي تَزَوَّجُتْ
تَحْسِنُ الْقَنَاعَ بِالْحَمَارِ . وَالْمَثَلُ يُضَرِّبُ لِلْمَجْرِبِ الْعَارِفِ بِأَمْرِهِ .

٢٥

(٦) هُوَ هِشَامُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنُ الْمَغْرِبِ الْخَزَوِيِّ ، أَخُو خَالِدٍ . (انْظُرْ الْأَسْتِيعَابَ وَمَعْجمَ
الشَّعْرَاءِ لِلْمَرْزَبَانِ) .

(٧) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَالْأَسْتِيعَابِ وَمَعْجمِ الشَّعْرَاءِ . وَالشَّذَّةُ : الْحَدَّةُ . وَفِي
سَائِرِ الْأَصْوَلِ : «شَبَّاتَهُ» . وَشَبَّاتٌ كُلُّ شَيْءٍ : حَدَّهُ .

وأما وجههای ويسانی ، فإني ألقى كل ذی قدر بقدره ، وأزني كل ناج
بحجره ، فهن عرف قدره كفاني نفسه ، ومن جهل قدره كفيته نفسی .

^{١٣٧} ولعمری ما لأحدٍ من قریش مثل قدرك ما خلا معاویة ، فما ينفعني ذلك
عندك؟ وأنا عمرو يقول :

٥ بَنِي هاشم مالِ أَرَاكَ كَانَكُمْ
بِيَ الْيَوْمَ جُهَّالٌ وَلَيْسَ بِكُمْ جَهْلٌ
أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّى جَسَوْرًا عَلَى الْوَغَىِ
سَرِيعٌ إِلَى الدَّاعِيِ إِذَا كَثُرَ الْقَتْلُ
وَأَوْلُ مَنْ يَدْعُو نَزَالِ ، طَبِيعَةُ
جُبَلَاتُ عَلَيْهَا ، وَالظَّبَاعُ هُوَ الْجَبَلُ^(١)
وَأَنَّى فَصَلَتُ الْأَمْرَ بَعْدَ أَشْتَبَاهِهِ
بِدُومَةَ إِذَا أَعْيَا عَلَى الْحَكَمِ الْفَصْلُ^(٢)
وَأَنَّى لَا أَعْيَا إِذَا عَجَّتْ بِكَارُوكُمْ فَحْلُ

١٠ محمد بن سعيد عن إبراهيم بن حويطب قال : قال عمرو بن العاص لعبد الله
ابن عباس بعد قتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه : إن هذا الأمر ، الذي
نَحْنُ فِيهِ وَأَنْتُمْ ، لَيْسَ بِأَوَّلِ أَمْرٍ قَادِهِ الْبَلَاءُ ، وَقَدْ بَلَغَ الْأَمْرُ بَنَا وَبِكُمْ إِلَى مَاتَرِي ،
وَمَا بَقَتْ لَنَا هَذِهِ الْحَرْبُ حَيَاءً وَلَا صَبَرًا ، وَاسْنَا نَقْوُلُ : لَيْتَ الْحَرْبَ عَادَتْ ، وَلَكَنَّا
نَقْوُلُ : لَيْتَهَا لَمْ تَكُنْ كَانَتْ ، فَانظُرْ فِيهَا بَقِيَّ بِغَيْرِ مَا مَاضَى ، فَإِنَّكَ رَأْسُ هَذَا الْأَمْرِ
١٥ بَعْدَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّكَ أَمِيرُهُ مُطَاعٌ ، وَمَأْمُورٌ مُطِيعٌ ، وَمُشَاورٌ مَأْمُونٌ ، وَأَنْتَ هُوَ .

مجاوبة بنى هاشم [وبنى عبد شمس] لابن الزبير

الشعبي قال : قال ابن الزبير لعبد الله بن عباس : قاتلت أم المؤمنين
وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأفتتت زواج^(٣) المُتعة . فقال : أما
وَبْنَ ابْنِ الزَّبِيرِ بَنِ ابْنِ الزَّبِيرِ
وَبْنَ عَبَّاسِ وَبْنَ عَبَّاسِ
أم المؤمنين فأنت أخرجتها وأبوك وحالك^(٤) ، وَبَنَا سُمِّيَتْ أم المؤمنين ، وَكُنَّا لها

(١) الطبع . والجبل : الطبع .

(٢) دومة : يريد دومة الجندل ، وهي حصن وقرى بين الشام والمدينة ففتحها خالد بن الوليد ، وبها كان التحكيم بين على ومعاوية .

(٣) في بعض الأصول : « بتزويج » .

(٤) هو عبد الرحمن بن أبي بكر ، (انظر المعارف لابن قتيبة ص ٨٧ طبعة أوربة) .

خيرَ بنين ، فتجاوزَ اللهُ عنْهَا . وقاتلتَ أنتَ وأبوكَ علِيًّا ، فإنَّ كَانَ عَلَىٰ مُؤْمِنًا ، فقدَ ضَلَّتْ بِقَاتَالِكَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وإنْ كَانَ عَلَىٰ كافِرًا ، فقدَ بُوْتَمْ بِسُخْطِ مِنَ اللهِ بِفِرَارِكَ مِنَ الزَّحْفِ ؛ وأمَّا المُتَعَةُ ، فإنَّ عَلِيًّا رضيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا خَصَّ فِيهَا فَأَفْتَيْتُ بِهَا ، ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَنْهَا فَنَهَيْتُ عَنْهَا ؛ وأوَّلُ مِجْمَرٍ سَطَعَ فِي المُتَعَةِ مِجْمَرُ آلِ الزَّبِيرِ^(١) .

الحسن وأبو
سعيد وابن الزبير
ومعاوية وعائشة

٥ دخل الحسنُ بن علِيٍّ عَلَى مُعَاوِيَةَ ، وعندَهِ ابْنُ الزَّبِيرِ [أبو سعيد بن عَقِيلَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ] ، فلما جَلَسَ الحَسَنُ ، قَالَ مُعَاوِيَةُ : يَا أَبَا مُحَمَّدَ ، أَيْهُمَا كَانَ أَكْبَرَ : عَلَىٰ أُمِّ الزَّبِيرِ ؟ قَالَ^(٢) : مَا أَقْرَبَ مَا بَيْنَهُمَا ! عَلَىٰ كَانَ أَسْنَ مِنَ الزَّبِيرِ ، رَحْمَ اللهُ عَلِيًّا . [فَقَالَ ابْنُ]^(٣) الزَّبِيرِ : وَرَحْمَ اللهُ الزَّبِيرِ . فَتَبَشَّرَ الحَسَنُ . فَقَالَ ١٠ أَبُو سَعِيدَ بْنَ عَقِيلَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ : دَعْ عَنْكَ عَلِيًّا وَالزَّبِيرَ ، إِنَّ عَلِيًّا دَعَا إِلَى أَمْرٍ فَأَتَّبَعَ ، وَكَانَ فِيهِ رَأْسًا ، وَدَعَا الزَّبِيرَ إِلَى أَمْرٍ كَانَ فِيهِ الرَّأْسُ أُمْرَأً ، فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَقَانُ وَالتَّقِيَ الجَمَاعَ نَكَصَ الزَّبِيرَ عَلَى عَقِبِيهِ وَأَدْبَرَ مُنْهَزِمًا قَبْلَ أَنْ يَظْهُرَ الْحَقُّ ١٥ فِيَّا خَذَهُ أَوْ يَدْحُضَ الْبَاطِلُ فِيَّتَرَكَهُ ، فَادْرَكَهُ رَجُلٌ لَوْ قِيسُ^(٤) بِبعضِ أَعْصَانِهِ [لَكَانَ أَصْغَرُ] ، فَضَربَ عَنْقَهِ وَأَخْذَ سَلَبَهُ وَجَاءَ بِرَأْسِهِ^(٥) ، وَمَفَى عَلَىٰ قُدُّمَا كَعَادَتِهِ مَعَ ابْنِ عَمِّهِ وَنَدِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَرَحِمَ اللهُ عَلِيًّا وَلَا رَحِمَ الزَّبِيرَ . فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنَّ غَيْرَكَ تَكَلَّمَ بِهَذَا يَا أَبَا سَعِيدَ لَعَلَمْ^(٦) ؟ قَالَ : إِنَّ الَّذِي تُعَرِّضُ بِهِ يَرْغُبُ عَنْكَ . وَأَخْبَرَتْ عَائِشَةَ بِمَا قَاتَلَتِهِمَا ، فَمَرَأَ أَبُو سَعِيدَ بِفَنَادِتِهِ :

(١) يزيد متعة الحج لامتعة النساء ، فإن الزبير تزوج أسماء بكرًا في الإسلام ، زوجه إياها أبو بكر معلنا . ويروى عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت : لما قدمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع أمر من لم يكن معه هدي أن يحمل . قالت : فأحللت وتطيبت ولبس ثيابي ، وجئت حتى جلست إلى جنب الزبير ؟ فقال : قوي عني ؟ فقلت : ما تخاف ؟ فهذا الذي أراد ابن عباس . (انظر صروج الذهب).

٢٠ (٢) في بعض الأصول : « قال فقال » .

(٣) التكملة عن شرح نهج البلاغة (ج ٣ ص ٧) .

(٤) في الأصول مكان : « رجل لو قيس » : « مثل » ، وما أثبتناه عن شرح نهج البلاغة .

٢٥ (٥) هو عمرو بن جرموز ، الذي قتل الزبير يوم الجل .

يا أَحَولُ يَا خَبِيثُ ! أَنْتَ الْقَائِلُ لَابْنِ أَخْتِي كَذَا وَكَذَا ؟ فَالْتَّفَتْ أَبُو سَعِيدَ فَلَمْ يَرَ شَيْئًا ، فَقَالَ : إِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَرَاكَ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَاهُ . فَضَحِّكَتْ عَائِشَةُ وَقَالَتْ :

اللَّهُ أَبُوكَ ! مَا أَخْبَثَ^(١) لِسَانَكَ !

الشعبي قال : دخل الحسين بن علي يوماً على معاوية ومعه مولى له يقال له ذكوان ، وعند معاوية جماعة من قريش فيهم ابن الزبير ، فرحب معاوية بالحسين وأجلسه على سريره ، وقال : ترى هذا القاعد - يعني ابن الزبير - فإنه ليذركه الحسد لبني عبد مناف . فقال ابن الزبير لمعاوية : قد عرفنا فضل الحسين وقربته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لكن إن شئت أن أعلمك فضل الزبير على أبيك أبي سفيان فعلت . فتكلم ذكوان مولى الحسين ابن علي ، فقال : يا ابن الزبير ، إن مولاي ما يمنعه من الكلام أن لا^(٢) يكون طلق اللسان ، رابط الجنان ، فإن نطق نطق بعلم ، وإن صمت صمت بجهل ، غير أنه كف الكلام وسبق إلى السنن ، فأقررت بفضلة الكرام ، وأنا الذي أقول :

١٣٨

فِيمِ الْكَلَامِ لِسَابِقِ فِي غَايَةِ النَّاسِ بَيْنَ مُقْصَرٍ وَمُبَلَّغٍ
إِنَّ الَّذِي يَجْرِي لِيُدْرِكُ شَأْوَهُ يُنْمَى بِغَيْرِ مُسَوَّدٍ وَمُسَدَّدٍ
بَلْ كَيْفَ يُدْرِكُ نُورُ بَدْرِ سَاطِعٍ خَيْرُ الْأَنَامِ وَفَرْعَعُ آلِ مُحَمَّدٍ

فقال معاوية : صدق قوله يا ذكوان ، أكثر الله في موالى الكرام مثلك . فقال ابن الزبير : إن أبا عبد الله سكت ، وتكلم مولا ، ولو تكلم لأجبناه ، أول كفينا عن جوابه إجلالا له ، ولا جواب لهذا العبد . قال ذكوان :

هذا العبد خير منك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مولى القوم منهم » .

فأنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت ابن [الزبير بن] العوام بن خويلد ، فنحن أكرم ولاة وأحسن فعلا . قال ابن الزبير : إني لست أجيب

(١) في شرح نهج البلاغة : « ما أذلق » .

(٢) في بعض الأصول : « إلا أن » مكان « أن لا » .

هذا ، فهات ما عندك ياماواية . فقال معاوية : قاتلك الله يا بنَ الزَّبِير ! ما أعياك وأبغاك ! أتفخر بين يدي أمير المؤمنين وأبي عبد الله ! إنك أنت المُتعدى اطْوُرْك^(١) ، الذي لا تعرف قدرك ، فقِسْ شِبْرَك بفتقك ، ثم تعرّف كيف تقع بين عَرَانِين بني عبد مَناف . أما والله لئن دُفِعْتَ في بحور بني هاشم وبني عبد شمس لقطَّةَك بأَمْواجها ، ثم لترمِين بك في أُججها^(٢) . فما باقُوك في البحور إذا غمرتك ، ٥ وفي الأمواج إذا بهزَّتْك^(٣) ! هنا لك تعرف نفسك ، وتندم على ما كان من جُرأتَك ، وتَمْنَى ما أصبحتَ فيه من أمان ، وقد حَيَّلَ بين العَيْرِ والنَّزَانِ . فاطرق ابن الزَّبِير مليئاً ، ثم رفع رأسه فألتفت إلى مَنْ حوله ، ثم قال : أَسْأَلُكُم بالله ، ١٠ أتعلمون أنَّ أَبِي حواريَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وأنَّ أباه أبا سفيان حاربَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وأنَّ أُمَّى أَسْمَاءَ بنتَ أَبِي بَكْرَ الصَّدِيقِ ، وأُمَّهُ هِنْدَ آكلاةَ الْأَكْبادِ ؛ وجَدَّى الصَّدِيقِ ، وجَدَّه^(٤) المَشْدُوخُ بيدِ رَأْسِ الْكُفَّارِ ، ١٥ وعَمَّتِ خديجة ذاتُ الْخَطْرِ والْحَسْبِ ، وعَمَّتِه أُمَّ جَمِيلٍ حَمَالَةُ الْحَطَبِ ، وجَدَّتِي صَفَيَّةَ^(٥) ، وجَدَّتِه حَمَامَةَ^(٦) ، وزَوْجَ عَمَّتِي خَيْرُ ولَدِ آدَمَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وزوج عَمَّتِه شَرُّ ولَدِ آدَمَ أَبُوهَبَ سَيِّصَلِي نَارًا ذاتَ لَهْبٍ ، وخالتِي عائشَةُ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ . ٢٠ وَخَالَتِه أُشْقَى الْأَشْقِينَ^(٧) ، وأَنَا عبدُ الله وهو معاوية . قال له معاوية : ويحك يا بنَ الزَّبِير ! كيف تَصْفِ نفسك بما وصفتها ؟ والله مالك في القديم من رِياسَةِ ،

(١) الطور : الحد بين الشَّيْئَين . والمُتَعْدِي لطوره . الذي جاوز حدَّه وقدره .

(٢) في بعض الأصول : « أجاجها » .

(٣) البهز : الدفع الشديد . وفي بعض الأصول : « بَهْرَك » بالراء المهملة .

(٤) يزيد عتبة بن ربيعة ، جد معاوية لأمه ، وأم معاوية هي هند بنت عتبة هذا .

(٥) تزوجت صفية بنت عبد المطلب العوام بن خويلد بعد الحارث بن حرب ، فولدت له الزبير والسائب . (انظر المعارف لابن قتيبة ص ١٧٥ طبعة أوربة) .

(٦) المعروف أنَّ أُمَّى أَبِي سفيان اسمها صفية بنت حزن ، من قيس عيلان .

(٧) هي فاطمة بنت عتبة بن ربيعة ، أخت هند ، وكانت زوج عقيل بن أبي طالب .

(انظر الحاشية رقم ١ ص ٧ من هذا الجزء) .

يوم الفِجَار^(١) على رِيَاسَة حَرْب بْن أُمِّيَّة ، وَأَنْ أَبَاكَ وَأَسْرَتَكَ تَحْتَ رَأْيِتَه رَاضُونَ بِإِمَارَتِه ، غَيْر مُنْكَرٍ لِفَضْلِه وَلَا طَامِعٌ فِي عَزْلِه ، إِنْ أَمْرَ أَطَاعُوا ، وَإِنْ قَالُوا أَنْصَقُوا ؛ فَلَمْ تَرِزَل^(٢) فِيْنَا القيادَةُ وَعِزَّ الولايَةُ حَتَّى يَعْثُثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَنْتَخْبِه مِنْ خَيْرِ خَلْقِه ، مِنْ أَسْرَتِكَ لَا مِنْ أَسْرَتِكَ ، وَبَنِي أَبِي لَابْنِي أَبِيكَ ، بِخَجْدَتِه قَرِيشٌ أَشَدُ الْجُحُودِ ، وَأَنْكَرَتِه أَشَدُ الْإِنْكَارِ ، وَجَاهَدَتِه أَشَدُ الْجَهَادِ ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ مِنْ قَرِيشٍ ؟ فَهَا سَادَ قَرِيشًا وَقَادُهُمْ إِلَّا أَبُو سَفِيَّانَ بْنَ حَرْبَ ، فَكَانَتِ الْفِتَنَاتِ تَلْتَقِي ، وَرَئِيسُ الْهُدَى مِنَّا وَرَئِيسُ الضَّلَالَةِ مِنَّا^(٣) ،

١٣٩

فَمَهَدَّيْكُمْ تَحْتَ رَأْيَةِ مَهَدِيَّنَا ، وَضَالِّكُمْ تَحْتَ رَأْيَةِ ضَالَّنَا ، فَنَحْنُ الْأَرْبَابُ وَأَنْتُمُ الْأَذَنَابُ ، حَتَّى خَلَصَ اللَّهُ أَبَا سَفِيَّانَ بْنَ حَرْبَ بِفَضْلِه مِنْ عَظِيمِ شَرِّه ، وَعَصَمَه بِالْإِسْلَامِ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ ، فَكَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَظِيمًا شَانُهُ ، وَفِي الْإِسْلَامِ مَعْرُوفًا مَكَانُهُ ، وَلَقَدْ أُعْطِيَ يَوْمَ الْفَتْحِ مَا لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ مِنْ آبَائِكُمْ ، وَإِنْ مُنَادِيَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَادَى : مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سَفِيَّانَ فَهُوَ آمِنٌ ؛ وَكَانَتْ دَارُهُ حَرَمًا ، لَا دَارُكَ وَلَا دَارُ أَبِيكَ ؛ وَأَمَا هِنْدُ ، فَكَانَتْ أُمَّةً مِنْ قَرِيشٍ ، فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَظِيمَةُ الْخَطَرِ ، وَفِي الْإِسْلَامِ كَرِيمَةُ الْخَبَرِ ؛

وَأَمَا جَدُّكَ الصَّدِيقَ ، فَبَيْتَ صَدِيقٍ عَبْدٌ مِنَافٌ سُمِّيَ صَدِيقًا لَا يَتَصَدِّيقَ عَبْدُ الْعَزَّى ؛

وَأَمَا مَا ذَكَرْتَ مِنْ جَدِّي الْمَشْدُوخِ بِمَدْرَ ، فَلَعْنَمْرِي لَقَدْ دَعَا إِلَى الْبِرَازِ هُوَ وَأَخْوَهُ وَابْنِه^(٤) ، فَلَوْ بَرَزَتِ إِلَيْهِ أَنْتَ وَأَبُوكَ مَا بَارِزُوكُمْ وَلَا رَأَوْكُمْ لَهُمْ أَكْفَاءُ ، كَمَا قَدْ طَلَبَ ذَلِكَ غَيْرُكُمْ فَلَمْ يَقْبِلُوهُمْ ، حَتَّى بَرَزَ إِلَيْهِمْ أَكْفَاؤُهُمْ مِنْ بَنِي أَبِيهِمْ ، فَفَقَطَى اللَّهُ مَنْتَأْيَاهُمْ بِأَيْدِيهِمْ ، فَنَحْنُ قَتَلْنَا وَنَحْنُ قُتْلَنَا ، وَمَا أَنْتَ وَذَاكَ ؛ وَأَمَا عَمْتَكَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَبِنَا شَرُفْتُ وَسُمِّيَتْ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، وَخَالَتُكَ عَائِشَةَ مِثْلُ ذَلِكَ ؛

وَأَمَا صَفِيفَةَ ، فَهِيَ أَدْنَتَكَ مِنَ الظَّلَّ وَلَوْلَا هَا لَكُنْتَ ضَاحِيًّا ؛ وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ

(١) فِي الأَصْوَلِ : « الفِجَار » . وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

(٢) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « فَانْزَلَ » مَكَانٌ « فَلَمْ تَرِزَلْ » .

(٣) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « مِنْكُمْ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) انْظُرْ الْحَاشِيَةَ (رَقْمُ ٢ ص ٧) مِنْ هَذَا الْجَزْءِ .

من عَمَّكَ^(١) وَخَالَ أَبِيكَ^(٢) سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ ، فَكَذَلِكَ كَانُوا رَجُلِيْمُ اللَّهِ ، وَنَفْرُهُمْ
وَإِرْثُهُمْ لِيْ دُونَكَ ، وَلَا فَخَرَ لَكَ فِيهِمْ ، وَلَا إِرْثَ يَبْنِكَ وَبَنِيهِمْ ؛ وَأَمَا قَوْلُكَ أَنَا
عَبْدُ اللَّهِ وَهُوَ مُعَاوِيَةٌ ، فَقَدْ عَلِمْتُ قُرْيَاشَ أَيْنَا أَجُودُ فِي الْإِزَمِ^(٣) ، وَأَمْضَى^(٤) فِي
الْقَدْمِ^(٥) وَأَمْنَعَ لِلْحَرْمَنِ ؛ لَا وَاللَّهِ مَا أَرَاكَ مُنْتَهِيًّا حَتَّى تَرُومَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافِ
٥ مَارَامَ أَبُوكَ ، فَقَدْ طَالَهُمْ بِالذَّحْولِ^(٦) ، وَقَدْمُ إِلَيْهِمُ الْخَيْولُ ، وَخَدَعْتُمُ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ،
وَلَمْ تَرَاقِبُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذْ مَدَدْتُمْ عَلَى نِسَاءِكُمُ الشَّجَوفَ ،
وَأَبْرَزْتُمْ زَوْجَتَهُ لِلْحَتْوَفِ ، وَمُقَارِعَةَ السَّيُوفِ ، فَلَمَّا أَلْتَقَيَ الْجَمَاعَنِ نَكَصَّ أَبُوكَ
هَارِبًا ، فَلَمْ يُنْجِهِ ذَلِكَ أَنْ طَحَنَهُ أَبُو الْحُسَيْنِ بِكَلَّكَلَهُ طَحْنَ الْحَصِيدِ بِأَيْدِيِّ
الْعَبِيدِ ؛ وَأَمَا أَنْتَ ، فَأَفْلَتَ بَعْدَ أَنْ خَسْتَكَ بَرَائِنَهُ وَنَالْتَكَ مَخَالِبَهُ . وَأَيْمَ اللَّهُ ،
١٠ لِيَقُوَّمْنَكَ بِنَوْعِ عَبْدِ مَنَافِ بِشَقاوْفَهَا أَوْ لِتَصِيَحَّ مِنْهَا صِيَاحَ أَبِيكَ بِوَادِيِّ السَّبَاعِ^(٧) ،
وَمَا كَانَ أَبُوكَ الْمَرْهُوبَ جَانِبُهُ^(٨) ، وَلَكَنَهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

أَكِيلَةُ سِرِّ حَانِ فَرِيسَةُ ضَيْفِمْ فَقَضَقَضَهُ بِالْكَفِّ مِنْهُ وَحَطَمَهُ^(٩)
لَابنِ الزَّبِيرِ
يُخاطبُ معاويَةَ
لِيَلْهُ مَعَ مَروانَ
نازِعُ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمِ يَوْمًا ابْنَ الزَّبِيرِ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ ، فَكَانَ هَوَى
مُعَاوِيَةَ مَعَ مَرْوَانَ ، فَقَالَ ابْنُ الزَّبِيرِ : يَا مُعَاوِيَةَ : إِنَّ لَكَ حَقًا وَطَاعَةَ ، وَإِنَّ
١٥ لَكَ صِلَةَ^(١٠) وَحُرْمَةَ ، فَأَطِعْمَ اللَّهَ نُطِئْكَ ، فَإِنَّهُ لَا طَاعَةَ لَكَ عَلَيْنَا إِنْ لَمْ تُطِعْ

(١) يَرِيدُ : السَّائبُ بْنُ الْعَوَامَ ، وَقَدْ شَهَدَ أَحَدًا وَالْخَنْدَقَ وَقُتِلَ يَوْمَ الْيَمَامَةَ ، وَالْمَعْرُوفُ
أَنَّ إِخْوَةَ الزَّبِيرِ ، وَهُمُ السَّائبُ وَعَبْدُ الرَّاجِنِ وَأَسْوَدَ وَأَصْرَمَ وَبَعْلَى ، لَمْ يَعْلَمْ
أَحَدٌ مِنْهُمْ . (انْظُرِ الْمَعَارِفَ ص ١١٣) . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « مِنْ ابْنِ عَمِّكَ » .

(٢) هُوَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ . وَيَلْاحِظُ أَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِي كَلَامِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ذِكْرُ لَابْنِ
عَمِّهِ وَلَا خَالِ أَيْهِ .

٢٠ (٣) الْإِزَمُ : الشَّدَادُ . (٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « أَحْزَمْ » .

(٥) الْقَدْمُ (بِضَيْتَيْنِ) : الْمُضِيُّ أَمَامًا فِي الْحَرْبِ .

(٦) الذَّحْولُ : جَمْ ذَحْلٍ ، وَهُوَ الثَّأْرُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « طَالَهُمُ الدُّخُولُ » .

(٧) وَادِيُ السَّبَاعِ : بَيْنَ الْبَصَرَةِ وَمَكَةَ ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَصَرَةِ خَمْسَةُ أَمْيَالٍ . وَفِيهِ قُتِلَ الزَّبِيرُ

٢٥ يَدْ عَمْرُو بْنَ جَرْمُوزَ الْمَجَاشِعِيَّ .

(٨) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « الْمَدْهُنُ خَدَهُ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٩) الْأَكِيلَةُ : كَالْفَرِيسَةِ . وَقَضَقَضَهُ : كَسْرَهُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « تَنَاؤلُ »

مَكَانٌ « أَكِيلَةٌ » . (١٠) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بَسْطَةٌ » .

الله ، ولا تُطِّرق إطْرَاق إلْأَفْوَان فِي أَصْوَلِ السَّخْبَر^(١) .

وقال معاوية يوماً وعنه ابن الزبير ، وذُكر له مروان^(٢) فقال : إن يطلب
هذا الأمر فقد يطمع فيه من هو دونه ، وإن يتركه يتركه لمن هو فوقه ،
وما أراك بمنتهين حتى يبعثك الله عليكم من لا تغطيه قرابة ، ولا ترده مودة ،
يسوكم خسفاً ، ويوردمك تلفاً . قال ابن الزبير : إذا والله نطلق عقال العرب
بكتاب تمور كِجْل^(٣) الجراد ، حفاتها^(٤) الأسل ، هادوي^(٥) كدو الرّيح ، تتبع
غطريفاً من قريش ، لم تسكن أمه براعية^(٦) ثلة^(٧) . قال معاوية : أنا ابن هند ،
أطلقت عقال الحرب [، وأكلت ذرْوة السَّنَام] ، وشربت عنفوان المَكْرَع^(٨) ،
وليس للآخر كل [بعدى] إلا الفِلْذَة ، ولا للشارب إلا الرَّنْق .

١٠ مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه

١٤٠ وفد الحسن بن علي على معاوية ، فقال عمرو لمعاوية : يا أمير المؤمنين : إن
الحسن لـ^(٩) ، فلو حملته على المنبر فتكلّم وسمِع الناس كلامه عاًبوه وستط
من عيونهم ، ففعَّل . فصعد المنبر وتكلّم وأحسن ، ثم قال : أيها الناس ،
لو طلبتم أبناءَ لنبيكم^(٩) ما بين لا بَتِئْنَا لم تجدوه غيري وغير أخي ، وإن أذرى

١٥ (١) السخبر : شجر تألفه الحيات فتسكن أصوله ؛ الواحدة : سخبرة . يقول : لاتفاق
عما نحن فيه . وفي بعض الأصول : « الشجر » .

(٢) في الأصول : « الحسين » . وما أثبتناه عن شرح هيج البلاغة ، وفيه : إن ابن الزبير
لما دخل على معاوية قال له من كلام له : « لا تدع عن مروان يرمي جاهير قريش
بشاخصه . فقال » ثم ذكر بقية الخبر . (والمهاخص : السهام العريضة النصل) .

(٣) الرجل (بالكسر) : القطعة العظيمة من الجراد .

(٤) في بعض الأصول : « حلقاتها » .

(٥) في بعض الأصول : « صراعية » . وهو تحريف . (انظر اللسان مادة ثل) .

(٦) الثلة : جماعة القنم .

(٧) المَكْرَع : مفعول من المَكْرَع ، والـمَكْرَع (بالتحريك) : ماء السماء . وعنفوان
المَكْرَع ، أي أول الماء . أراد أنه شرب صاف الماء حين شرب غيره السكرد .

(٨) الفه : الكليل اللسان العي عن حاجته .

(٩) في بعض الأصول : « أبناء أبِيك » مكان : « أبناء لنبيكم » . ولا يستقيم بها الكلام .

لعله فتنة لكم ومداعع إلى حين . فسأله ذلك عَمْرَاً وأراد أن يقطع كلامه ، فقال له : أبا محمد ، أتصفُ بالرُّطْب ؟ فقال : أجل ، تُلْقِحُه الشَّمَال ، وتُخْرِجُه الْجَنُوب ، وتنْضِجُه الشَّمْس ، ويَضْبِغُه الْقَمَر . قال : أبا محمد ، هل تَنْفَعْتُ الْخِرَاء ؟ قال : نعم ، تُبعَدُ الْمَشَى في الْأَرْض الصَّحْصَح^(١) حتى تَتَوَارِي مِنَ الْقَوْم ، ولا تَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَة ولا تَسْتَدِيرُهَا ، ولا تَسْتَنْجِ بالْقِيَامَة والرُّمَّة — يُرِيدُ الرَّوْثُ والعَظَمُ — ولا تَبْلُ في الماء الرَّاَكِد .

بين مروان بن الحكم والحسن
في مجلس معاوية

بينما معاوية بن أبي سفيان جالس في أصحابه إذ قيل له : الحسن بالباب ؛ فقال معاوية : إن دخل أفسد علينا ما نحن فيه ؛ فقال له مروان بن الحكم : أذن لي ، فإني أسأله ما ليس عنده فيه جواب ؛ قال معاوية : لا تفعل ، فإنهم قَوْم قد أُلْهَمُوا الْكَلَام ، وأذن له . فلما دَخَلَ وجلس ، قال له مَرْوَان : أَسْرِعْ الشَّيْبَ إلى شَارِبَكَ يَاحْسَن ، وُيُقَالُ إِنَّ ذَلِكَ مِنَ الْخُرُوق ، فقال الحسن : ليس كَبَلْغَكَ ، وَلَكُنَّا — مُعْشَرَ بَنِي هَاشِم — أَفْوَاهُنَا عَذْبَةٌ شَفَاهُهُمَا ، فَنَسَاوْنَا يُقْبِلُنَا عَلَيْنَا بِأَنفَاسِهِنَّ وَقَبَلِهِنَّ ، وَأَتَمْ مُعْشَرَ بَنِي أُمِّيَّةَ فِيكُمْ بَخَرَ شَدِيد ، فَنَسَاوْكُمْ يَصْرِفُنَّ أَفْوَاهِهِنَّ وَأَنفَاسِهِنَّ عَنْكُمْ إِلَى أَصْدَاغِكُمْ ، فَإِنَّا يَسِيبُ مِنْكُمْ مَوْضِعُ الْعِذَارِ مِنْ أَجْلِ ذَلِك . قال مَرْوَان : إِنَّ فِيكُمْ يَا بَنِي هَاشِم خَصْلَةَ سَوَءٍ ؟ قال : وما هي ؟ ١٥
قال : الْفُلْمَة ؟ قال : أَجْل ، نُزِعَتُ الْفُلْمَة مِنْ نِسَائِنَا وَوُضِعَتْ فِي رِجَالِنَا ، وَنُزِعَتُ الْفُلْمَة مِنْ رِجَالِكُمْ وَوُضِعَتْ فِي نِسَائِكُمْ ، فَمَا قَامَ لِأَمْوَالِهِ إِلَّا هَاشَمِيَّ . فَفَضَّبَ مُعاوية ، وقال : قد كنتُ أَخْبِرُكُمْ فَإِبْيَتْمَ حَتَّى سَعَيْتُمْ مَا أَظْلَمُ عَلَيْكُمْ بَيْتَكُمْ ، وَأَفْسَدُ عَلَيْكُمْ مَجْلِسَكُمْ . فَخَرَجَ الحَسَنُ وَهُوَ يَقُولُ :

٢٠
ومارستُ هَذَا الدَّهْرَ خَمْسِين حِجَّةً وَخَمْسًا أَزْجَى ، قَائِلاً بَعْدَ قَائِلٍ^(٢)
فَلَا أَنَا فِي الدُّنْيَا بَلَغْتُ جَسِيمَهَا وَلَافِي الذِّي أَهْوَى كَدْحَتُ بَطَائِلَ
وَقَدْ شَرَعْتُ دُونِ الْمَنَابِيَا أَكْفَهَا وَأَيْقَنْتُ أَنِّي رَهْنٌ مَوْتٍ مُعَاجِلٍ

(١) الصَّحْصَحُ : مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْض . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « الصَّحِيحُ » .

(٢) أَزْجَى : أَدْفَعَ .

قال الحسن بن عليٍّ لحبيب بن مسامة^(١) الفهري : رُبَّ مسیر لك في غير
طاعة الله ؛ قال : أَمّا مسیرى إلى أبيك فلا ؛ قال : بلى ، ولكنك أطمت
معاوية عن دُنيا قليلة ، فلئنْ كان قام بك في دُنياك لقد قَعَدْتَ بك في آخرتك ،
ولو كنتَ إذ فعلتَ شرًّا قُلتَ خيراً كنتَ كما قال الله عزّ وجلّ : (خلطوا
 عملاً صالحًا وآخر سَيِّئًا) ، ولكنك كما قال الله : (بَلْ رانَ على قُلُوبِهِمْ
 ما كانوا يَكْسِبُونَ) .

قَدِيم عبد الله بن جعفر على عبد الملك بن مروان ، فقال له يحيى بن الحكم :
ما فعلت خَبِيذة^(٢) ؟ فقال : سُبْحانَ الله ! يُسَمِّيهَا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ طَيِّبَةٌ
وتُسَمِّيهَا خَبِيذة ! لقد اختلفتا في الدُّنيا وستَخْتَلِفانَ في الآخرة ؛ قال يحيى : لأن
١٠ أموت بالشام أحبُّ إلى مِنْ أموت بها ؛ قال : أخترتْ جوارَ النَّصَارَى على
جوارِ رَسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ قال يحيى : ما تقول في على وعثمان ؟ قال :
أقول ما قالهَ مَنْ هو خَيْرٌ مِنْ فَيْمَنْ هو شَرٌّ مِنْهُمَا : (إِنْ تُعْذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ
وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) .

مجاوبة بين معاوية وأصحابه

قال معاوية يوماً وعندَه الضحاك بن قيس وسعيد بن العاص وعمرو بن
ال العاص : ما أَعْجَبُ الأشياء ؟ قال الضحاك بن قيس : إِكْدَاءُ العاقِلِ وَإِجْدَاءُ
الجاهل . وقال سعيدُ بن العاص : أَعْجَبُ الأشياءِ مَا لَمْ يُرَ مِثْلُهُ . وقال عمرو بن
ال العاص : أَعْجَبُ الأشياءِ غَلَبةٌ مَنْ لَا حَقٌّ لَهُ ذَا الْحَقَّ عَلَى حَقِّهِ . فقال معاوية :
أَعْجَبُ مِنْ هَذَا أَنْ تُعْطَى مَنْ لَا حَقٌّ لَهُ مَا لَيْسَ لَهُ بِحَقٍّ مِنْ غَلَبةٍ .

حضر قومٌ من قُریش مجلسَ معاوية ، فيهم عمرو بن العاص وعبد الله بن صفوان
ابن أمية وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام . فقال عمرو : أَحَمَّ اللَّهُ يَا مَعْشَرَ

٢٠
بيْنَ قومِ مِنْ قُریشِ فِيهِمْ بَنْ العَاصِ وَبْنَ صَفْوَانَ
ابنِ الْعَاصِ وَبْنَ صَفْوَانَ
وَبْنَ الْحَارِثِ وَبْنَ مَعَاوِيَةَ .

(١) فِي الْأَصْوَلِ : «سَامَة» . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) يَرِيدُ الْمَدِينَةَ .

قُرِيشٌ إِذْ جَعَلَ أَمْرَكَ إِلَى مَنْ يُغْضِي عَلَى الْقَدَى ، وَيَتَصَارُّ عَنِ الْعَوْرَاءِ ، وَيَجْزُرُ
ذِيلَهُ عَلَى الْخَدَائِعِ . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ : لَوْمَ يَكْنَ كَذَلِكَ لَمْشِينَا إِلَيْهِ الْضَّرَاءَ ، وَدَبَّيْنَا إِلَيْهِ
الْخَمَرَ ^(١) ، وَرَجَوْنَا أَنْ يَقُومَ بِأَمْرِنَا مِنْ لَا يُطْعَمُكَ مَالَ مَصْرُ . قَالَ مُعاوِيَةُ :
يَامَّ شَرِقٍ قُرِيشٍ ، حَتَّى مَتَّ لَا تُنْصَفُونَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ ؟ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الْحَارِثِ :
إِنْ عَمَراً أَفْسَدَكَ عَلَيْنَا وَأَفْسَدَنَا عَلَيْكَ ، وَلَوْ أَغْضَبْتَكَ هَذِهِ ^(٢) . قَالَ : إِنْ عَمَراً لِي
نَاصِحٌ ؟ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ : فَأَطْعَمْنَا مِثْلَ مَا أَطْعَمْتَهُ ، وَخُذْنَا بِمَثْلِ نَصِيحَتِهِ ؟
إِنَّا رَأَيْنَاكَ يَا مُعاوِيَةَ تَضْرِبُ عَوَامَّ قُرِيشٍ بِأَيْدِيكَ فِي خَوَاصِّهَا ، كَأَنَّكَ تَرَى أَنَّ
بَكْرَاهُمْ قُوَّتَكَ ^(٣) دُونَ لِثَامَهَا ، وَإِنَّكَ وَاللَّهِ لَتُفْرِغُ فِي إِنَاءَ فَعْمٍ مِنْ إِنَاءَ ضَعْمٍ ، وَكَأَنَّكَ
بِالْحَرْبِ قَدْ حَلَّ عِقَالَهَا عَلَيْكَ مَنْ لَا يَنْظُرُكَ . قَالَ مُعاوِيَةُ : يَا بْنَ أَخِي ، مَا أَحْوَجُ
أَهْلَكَ إِلَيْكَ ، فَلَا تَفْجِعْهُمْ بِنَفْسِكَ ، ثُمَّ أَنْشَدَ :

أَغْرِيَ رِجَالًا مِنْ قُرِيشٍ تَتَابِعُوا عَلَى سَفَهٍ مِنِّ الْحَيَا وَالْتَّكَرُّمِ ^(٤)

وَقَالَ مُعاوِيَةُ لَابْنِ الزَّبِيرِ : تُنَازِعُنِي هَذَا الْأَمْرُ كَأَنَّكَ أَحْقُّهُ مِنِّي ! قَالَ :
إِنَّمَا لَا أَكُونُ أَحْقُّ بِهِ مِنْكَ يَا مُعاوِيَةَ ، وَقَدْ أَتَبَعَ أَبِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ عَلَى الْإِيمَانِ ، وَأَتَبَعَ النَّاسُ أَبَاكَ عَلَى الْكُفْرِ ؟ قَالَ لَهُ مُعاوِيَةُ : غَلَطْتُ يَا بْنَ
الْزَّبِيرِ ، بَعَثَ اللَّهُ أَبْنَاءَ عَمَّيِّ نَبِيَّا ، فَدَعَا أَبَاكَ فَأَجَابَهُ ، فَمَا أَنْتَ إِلَّا تَابَعَ لِي ، ضَالِّاً
كَنْتُ أَوْ مَهْدِيًّا . الْعَتَبِيُّ قَالَ : دَعَا مُعاوِيَةَ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمَ ، فَقَالَ لَهُ : أَشِرْ
عَلَيْهِ فِي الْحُسَينِ ؟ قَالَ : تَخْرُجَهُ مَعَكَ إِلَى الشَّامِ فَتَقْطَعُهُ عَنِ أَهْلِ الْعَرَاقِ وَتَقْطَعُهُمْ
عَنِهِ ؟ قَالَ : أَرَدْتَ وَاللَّهِ أَنْ تَسْتَرِيحَ مِنْهُ وَتَبْقِيلَنِي بِهِ ، فَإِنْ صَبَرْتُ عَلَيْهِ صَبَرْتُ
عَلَى مَا أَكْرَهَ ، وَإِنْ أَسْأَتُ إِلَيْهِ كُنْتُ قَدْ قَطَعْتُ رُحْمَهُ . فَأَقْامَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى سَعِيدِ
ابْنِ الْعَاصِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَمَّانَ ، أَشِرْ عَلَيْهِ فِي الْحُسَينِ ؟ قَالَ : إِنَّكَ وَاللَّهِ

بَيْنَ مُعاوِيَةَ وَابْنِ
الْزَّبِيرِ ثُمَّ مَشَافِرَةَ
مُعاوِيَةَ مَرْوَانَ
وَابْنِ الْعَاصِ فِي
أَمْرِ الْحُسَينِ

(١) الضراء : الشجر الملتَفِ . والخمر : كل ما واراك من شجر أو بناء أو غيره . ويقال
للرجل إذا ختل صاحبه : هو يعشى له الضراء ويدب إليه الخمر .

(٢) في بعض الأصول : « لو أغضيت عن هذه » مكان « ولو أغضبتك هذه » .

(٣) في بعض الأصول : « جاروك » .

(٤) التتابع : الإسراع إلى الفخر .

ما تختلف الحسين إلا على من بعده ، وإنك لتشتت له قرنا إن صار عه ليضر عنك ، وإن ساقه ليسبقنه ، فذر الحسين منبت النخلة ، يشرب من الماء ، ويضعد في الهواء ، ولا يصلح إلى السماء ؛ قال : فما غيتك عن يوم صيفين ؟ قال : تحملت العزم ^(١) ، وكفيت العزم ، وكنت قريبا ، لو دعوتنا لأجبناك ، ولو أمرت لأطعنك ^(٢) ؛ قال معاوية : يا أهل الشام ، هؤلاء قومى وهذا كلامهم .

مجاوبة بين بنى أمية

قال : لما أخرج أهل المدينة عمرو بن سعيد الأشدق ، وكان واليهم بعد الوليد بن عقبة بن أبي سفيان ، قال عمرو بن سعيد لمعاوية : إن الوليد بن عقبة هو [الذى] أمر أهل المدينة بإخراجى ، فأرسل إليه وتوثقه . فأرسل إليه معاوية ، فلما دخل عليه ، قال له عمرو : أوليد ، أنت أمرت بإخراجى ؟ قال : لا ، ورحى أبا أمية ، ولا أمرت أهل الكوفة بإخراج أبيك ، بل كيف أطاعنى أهل المدينة فيك إلا أن تكون عصيت الله فيهم ، إنك لتحمل عرى ملك شديدة عقدتها ، وتمري أخلف فيقة ^(٣) سريعة درتها ، وما جعل الله صالحا مصلحة كفاسد مفسدة .

جلس يوما عبد الملك بن مروان وعند رأسه خالد بن عبد الله بن [خالد بن] أسيد ، وعندر جليه أمية بن عبد الله بن [خالد بن] أسيد ، وأدخلت عليه الأموال التي جاءت من قبل الحجاج حتى وضعت بين يديه ، فقال : هذا والله التوفير وهذه الأمانة ! لا ما فعل هذا ، وأشار إلى خالد ، أستعملته على العراق فاستعمل كل ملط ^(٤) فاسق ، فأدوا إليه العشرة واحدا ، وأدى إلى من العشرة واحدا ؛ واستعملت

(١) فيما مر في الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ٣٤٦) : « حلت الثقل » .

(٢) كذا في بعض الأصول هنا وفيها مر في الجزء الأول ، والذى في سائر الأصول هنا : « لو ثلمت لرفعناك » .

(٣) تمرى : تمسح . والفيقة : اللبن يجتمع في الضرع ما بين الحلبتين .

(٤) الملط : الذى يمنع الحق .

هذا على خراسان ، وأشار إلى أمية ، فأهلها إلى بِرْذونين حَطَمَيْن^(١) ، فإن
استعملتكم ضئيلتم ، وإن عزلتكم قلتم أستخف بنا وقطع أرحامنا . فقال خالد بن
عبد الله : أستعملتني على العراق وأهله رجلان : سامع مطيع مناصح ، وعدو
مبغض مكاشح ، فاما السامع المطيع المناصح ، فإنما جزءناه ليزداد ودًا إلى ودّه ،
واما المبغض المكاشح ، فإنما دارناه ضغفنه ، وسلمتنا حقده ، وكثّرنا لات المودة
في صدور رعيتك ؛ وإن هذا جنى الأموال ، وزرع لك البغضاء في قلوب الرجال ،
فيوشك أن تنبت البغضاء ، فلا أموال ولا رجال . فلما خرج ابن الأشعث^(٢)
قال عبد الملك : هذا والله ما قال خالد .

قدم محمد بن عمرو بن سعيد بن العاص الشام فأتى عمته آمنة بنت سعيد بن
ال العاص ، وكانت عند خالد بن يزيد بن معاوية ، فدخل عليه [خالد] فرأه ، فقال
له : ما يقدّم علينا أحدٌ من أهل الحجاز إلا اختار المقام عندنا على المدينة .
فظنّ محمد أنه يُورّض به ، فقال : وما يعنكم وقد قدم من المدينة قومٌ على
النواضح^(٣) فـسـكـحـواـ أـمـكـ ، وـسـلـبـوكـ مـلـكـ ، وـفـرـغـوكـ لـطـلـبـ الحديثـ ،
وقـرـاءـةـ الـكـتـبـ ، وـمـعـالـجـةـ مـاـ لـاـ تـقـدـرـ عـلـيـهـ ، يـعـنـيـ الـكـيـمـيـاـ ، وـكـانـ يـعـمـلـهـاـ^(٤) .

لما عزل عثمان عمرو بن العاص عن مصر ولأهلا عبد الله بن أبي سرحة ، دخل عليه عمرو وعليه جبة ، فقال له : ما حشوا جبتك يا عمرو ؟ قال : أنا ؟ قال : قد علمت أنك فيها ، ثم قال : أشرت يا عمرو أن اللقاح درت بعدك ألبانها بمصر ؟ قال : لأنكم أبغضتم أولادها .

وقع بين ابن اعمير بن عبد العزيز وابن سليمان بن عبد الملك كلام ، فجعل ابن عمر يذكر فضل أبيه ؛ قال له ابن سليمان : إن شئت فأقلل وإن شئت

بين خالد بن يزيد
ومحمد بن عمرو ثم
بين عثمان وعمرو
ابن العاص بعد
عزله عن مصر

بين ابن اعمير بن عبد العزيز وابن سليمان بن عبد الملك ثم بين العباس بن الوليد والوليد بن يزيد ثم بين هشام والوليد أيضا

(١) حطمين : هزيلين قد أنسنا فضاعفنا .

(٢) كان خروج ابن الأشعث في شعبان سنة ٨٢ من الهجرة .

(٣) النواضح : الإبل يستقي عليها الماء ، واحدتها ناضح .

(٤) في بعض الأصول : « يعلمها » .

فَأَكْثِرُ ، مَا كَانَ أَبُوكَ إِلَّا حَسَنَةً مِنْ حَسَنَاتِ أَبِي . لَأَنَّ سُلَيْمَانَ هُوَ وَلَىٰ عُمَرَ
ابْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ^(١) . ذَكَرُوا أَنَّ العَبَّاسَ بْنَ الْوَلِيدِ وَجَمَاعَةً مِنْ بَنِي مَرْوَانَ كَانُوا
عِنْدَهُ شَامًا ، فَذَكَرُوا الْوَلِيدَ بْنَ يَزِيدَ فَحَمَقَهُ وَعَابُوهُ ، وَكَانَ هِشَامٌ يُبغضُهُ ، وَدَخَلَ
الْوَلِيدُ ، فَقَالَ لِهِ الْعَبَّاسُ بْنُ الْوَلِيدِ : كَيْفَ حُبِّلَ لِلرَّؤْمَيَاتِ ؟ فَإِنَّ أَبَاكَ كَانَ
مَشْغُوفًا بِهِنْ ؟ قَالَ : إِنِّي لَأَحْبَهُنَّ ، وَكَيْفَ لَا يُحِبُّنَّ وَهُنَّ يَلِدُنَّ مِثْلَكَ ؟
قَالَ : اسْكُتْ فَلَسْتَ بِالْفَحْلِ يَأْتِي عَسْبَهُ^(٢) بِمِثْلِي ؟ قَالَ لِهِ هِشَامٌ : يَا وَلِيدَ ،
مَا شَرَابُكَ ؟ قَالَ : شَرَابُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَامَ فَخَرَجَ . فَقَالَ هِشَامٌ :
هَذَا الَّذِي تَرْعَمُونَ أَنَّهُ أَحَقُّ . وَقَرُّبَ إِلَيْهِ الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ فَرَسْهُ ، فَبَجَمَعَ
جَرَامِيزَهُ^(٣) وَوَطَّبَ عَلَى سَرْجِهِ ، ثُمَّ أَتَفَتَ إِلَيْهِ لِهِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ :
يَحْسِنُ أَبُوكَ أَنْ يَصْنَعَ مِثْلَ هَذَا ؟ قَالَ : لَأَبِي مائِةً عَبْدٌ يَصْنَعُونَ مِثْلَ هَذَا ؟ فَقَالَ
النَّاسُ : لَمْ يُنْصِفْهُ فِي الجَوابِ .

خَطَبَ عَبْدُ الْمَلِكَ بْنَ مَرْوَانَ بُنْتَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنَ هِشَامٍ ، فَقَالَتْ :
وَاللَّهِ لَا تَرْزُقَنِي أَبَا الذَّبَابَ . فَتَرَزَّقَهَا يَحْيَى بْنُ الْحَكْمَ . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ لِيَحْيَىَ :
أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ تَرْزَقْتَ أَسْوَدَ أَفْوَهَ^(٤) ؟ قَالَ يَحْيَىَ : أَمَا إِنَّهَا أَحَبَّتْ مِنِّي مَا كَرِهَتْ
مِنِّي . كَانَ عَبْدُ الْمَلِكَ رَدِيَّ الْفَمَ يَدْمِي فَيَقْعُدُ عَلَيْهِ الذَّبَابُ ، فَسُمِّيَ أَبَا الذَّبَابَ .

الجواب القاطع

نَظَرَ ثَابُتُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَالَ : إِنِّي لَا بُغِضُّ هَذِهِ
الْوُجُوهَ ؛ قَالَ لَهُ سَعِيدُ بْنُ عَمَانَ^(٥) : تُبْغِضُهُمْ لِأَنَّهُمْ قَتَلُوا أَبَاكَ ؟ قَالَ : صَدَقْتَ ،

(١) يُشَيرُ إِلَى عَهْدِ سُلَيْمَانَ بِتْوِيلَةِ عُمَرٍ ثُمَّ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مِنْ بَعْدِهِ .

(٢) العَسْبُ : ماءُ الْفَحْلِ . وَقَدْ كَانَ الْعَبَّاسُ يَدْعُ فَارِسَ بْنَ مَرْوَانَ لِشَهَادَتِهِ .

(٣) الْجَرَامِيزُ مِنِ الإِنْسَانِ : جَسَدُهُ وَأَعْضَاؤُهُ . وَجَمَعُ جَرَامِيزَهُ ، أَيْ تَقْبِضُ لِيَثَبَ .

(٤) الْأَفْوَهُ : الْوَاسِعُ الْفَمُ ، وَقِيلَ الَّذِي تَخْرُجُ أَسْنَانَهُ مِنَ الشَّفَتَيْنِ مُمْطَوْلًا .

(٥) فِي الْأَصْوَلِ : « سَعِيدُ بْنُ عَمَرٍ وَبْنُ عَمَانَ » . وَهُوَ تَحْرِيفُ فَسِعِيدٍ وَعَمِرٍ وَأَخْوَانٍ ،

ثُمَّ إِنَّ عَمِرًا وَبْنَ عَمَانَ لَيْسَ مِنْ بَنِي أَوْلَادِهِ مِنْ أَسْمَهُ سَعِيدٍ . وَقَدْ عَاشَ سَعِيدٌ هَذَا

إِلَى أَيَّامِ معاويةِ وَكَانَ عَامِلًا لَهُ عَلَى خَرَاسَانَ ثُمَّ عَزَلَهُ . (انْظَرِ الْمَعَارِفَ لَابْنِ قَتِيبةِ) .

ولَكُنَّ الْأَنْصَارُ وَالْمُهَاجِرُونَ قَتَلُوا أَبَاكُوكَ . وَقَالَ الْحَجَاجُ لِرَجُلٍ مِّنَ الْخَوَارِجِ : وَاللَّهِ
إِنَّكَ مِنْ قَوْمٍ أُبْغِضُهُمْ ؛ قَالَ لَهُ : أَدْخُلْ اللَّهُ أَشَدَّنَا بُغْضًا لِاصْحَابِهِ الْجَنَّةَ . وَقَالَ
ابْنُ الْبَاهْلِيُّ لِعُمَرَ بْنِ مَعْدِيْكَرْبَ : إِنَّ مُهْرَكَ لَمْ يَقْرِفْ^(١) ؛ قَالَ : هَجِينَ عَرَفَ
^{١٤٣}
هَجِينًا^(٢) مَثْلَهُ .

وَقَالَ الْحَجَاجُ لِأَمْرَأَةَ مِنَ الْخَوَارِجِ : وَاللَّهِ لَا عُدُنَّكُمْ عَدًّا وَلَا حُدُنَّكُمْ
حُدًّا ؛ قَالَتْ لَهُ : اللَّهُ يَزْرُعُ وَأَنْتَ تَحْصُدُ ، فَأَيْنَ قُدْرَةُ الْمَخْلُوقِ مِنَ الْخَالِقِ ؟
وَأَتَى الْحَجَاجُ بِأَمْرَأَةَ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَقَالَ لِاصْحَابِهِ : مَا تَقُولُونَ فِيهَا ؟
قَالُوا : عَاجِلُهَا الْقَتْلُ أَيْهَا الْأَمْيَرُ ؛ قَالَ الْخَارِجِيَّةُ : لَقَدْ كَانَ وُزْرَاءُ صَاحِبِكَ
خَيْرًا مِنْ وُزْرَائِكَ يَا حَجَاجَ ؛ قَالَ لَهَا : وَمَنْ صَاحِبُكِ ؟ قَالَتْ : فِرْعَوْنُ ، أَسْتَشَارُهُمْ فِي
مُوسَىٰ ، فَقَالُوا : أَرْجِهِ وَأَخْاهُ . وَأَتَى زِيَادَ بْنَ رَجُلٍ مِّنَ الْخَوَارِجِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ
فِي أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ : أَمَّا الَّذِي تُسَمِّيهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَهُوَ أَمِيرُ الْمُشْرِكِينَ ؛
وَأَمَّا أَنْتَ ، فَمَا تَقُولُ فِي رَجُلٍ أُوْلَئِكُمْ لِزَانِيَةٍ وَآخِرَهُ لِدَعْوَةٍ ؟ فَأَمْرَبَهُ فُقْتَلَ وَصُلِّبَ .
قَالَ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسَ لِشُرِيكِ الْقَاضِيِّ : لَشَدَّدَ مَا ارْتَفَعَتْ ! قَالَ : فَهَلْ
رَأَيْتَ ذَلِكَ ضَرَّكَ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَأَرَاكَ تَعْرِفُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ وَتَجْهِيلَهَا عَلَى
غَيْرِكَ^(٣) . نازعَ مُحَمَّدَ بْنَ الْفَضْلِ بَعْضَ قَرَابَتِهِ فِي مِيرَاثٍ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بْنَ الزَّنْدِيقَ ؛
قَالَ لَهُ : إِنَّ كَانَ أَبِي كَمَا تَقُولُ وَأَنَا مُثْلُهُ ، فَلَا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُنَازِعَنِي فِي هَذَا الْمِيرَاثِ ،
إِذْ كَانَ لَا يَرِثُ دِينًا .

وَأَتَى الْحَجَاجُ بِأَمْرَأَةَ مِنَ الْخَوَارِجِ ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُهَا وَهِيَ لَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ ، فَقَيْلَ
لَهَا : الْأَمِيرُ يُكَلِّمُكِ وَأَنْتَ لَا تَنْظُرُ إِلَيْهِ ! قَالَتْ : إِنِّي لَا سَتَحْتَاجُ إِنْ أَنْظَرَ
إِلَيْهِ مَنْ لَا يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِ . فَأَمْرَبَهَا فُقْتَلَتْ . لَقِي عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ عَلَيَّ بْنَ أَبِي طَالِبَ ،
فَعَاتَبَهُ فِي شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فَسَكَتَ عَنْهُ عَلَيَّ ؛ فَقَالَ لَهُ عُثْمَانَ : مَا لَكَ لَا تَقُولُ ؟

بَيْنَ الْحَجَاجِ
وَالْخَارِجِيَّةِ ثُمَّ بَيْنَ
زِيَادَ وَفَاجِرَ

بَيْنَ الْأَشْعَثِ
وَشُرِيكِهِ بَيْنَ ابْنِ
الْفَضْلِ وَبَعْضِ
قَرَابَتِهِ

بَيْنَ الْحَجَاجِ
وَالْخَارِجِيَّةِ ثُمَّ
بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلَى

(١) المُقرَفُ مِنَ الْخَيْلِ : الَّذِي أَمْهَى عَرَبِيَّةَ وَأَبْوَهُ غَيْرَ عَرَبِيٍّ .

(٢) الْهَجِينُ : مَا كَانَ أَبُوهُ عَرَبِيًّا وَأَمْهَى غَيْرَ عَرَبِيٍّ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « نَفْسَكَ » .

قال له علي : ليس لك عندي إلا ما تحب وليس جوابك إلا ما تكره .

وتتكلم الناسُ عند معاوِيَة في يزيد ابْنِه، إذ أَخْذَ لِهِ الْبَيْعَةَ، وَسَكَتَ الْأَحْنَفُ،

وقال له : مالك لاتقول أبا بَحْرٌ ؟ قال : أخافُك إِنْ صَدَقْتُ ، وأخافُ اللَّهَ إِنْ كَذَبْتُ .

قال معاوية يوماً : أيها الناس إنَّ اللَّهَ فَضَلَّ قُرْيَاشًا بِثَلَاثٍ ، فقال لغمه علمه

الصلوة والسلام : (وأنذر عشيرتك الأقربين) ففتح عشرته ، و قال : (والله

لذ كرْتَ لَكَ وَلِقَوْمِكَ) فَنَحْنُ قَوْمُهُ، وَقَالَ: (لَا إِلَافَ قَبْشٍ إِلَّا لَفْهُ) الْقَبْشَ

الأنصار ، فقال : على دسترك يا معاوية ، فإن الله يرا : (كذا ، و كذلك)

أَنَّهُ قَوْمٌ ، وَقَالَ : (مَلَائِكُتُنَا أَنْتُمْ شَاهِدُوا إِذَا قَاتَلُوكُمْ)

أَنْتَ قَوْمُهُ ، وَقَالَ الْأَوْلَى لِلْآخِرَةِ : (أَسْأَلْنَاكُمْ بِمَا
عُرِضَ عَلَيْكُمْ) . (دَوْلَتْ سُرِّبِيَّ بْنِ فَرِيمِ مَهَارَ إِذَا فَوَّتْ مِمَّهِ يَصِدُّونَ)

هذا القرآن ^{بِسْمِ} رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝ أَنْتَ قَرُّ عِلْمٍ لَا يَعْلَمُكُمْ بِعْدَكُمْ ۝ هَذِهِ هُدًىٰ لِلنَّاسِ ۝ وَرَحْمَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۝ وَمَن يَتَّخِذُ إِلَهًا مِّن دُونِهِ فَإِنَّ رَبَّهُ لَا يَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝

تَلَاقُتُ الْأَنْهَارِ بِالْمَوْلَى وَلِلْمَوْلَى تَلَاقُتُ الْأَنْهَارِ

وقال معاویه لرجل من اليمين : ما كان اجهه - لـ قومك حين مـا كوا عـايهـم

مرأة ! فقال : أجهل من قومك الذين قالوا حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه

سَلَمٌ : (اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ

لسماء، او ائتما بعذاب اليم) ، ولم يقولوا : اللهم إن كان هـذا هو الحق من

ذلك فاهدنا إليه^(١).

١٢) محاوبة الأمراء والرد عليهم

قال معاوية لحارية بن قدامة : ما كان أهونك على أهلك إذ سموك

جريدة ! قال : ما كان أهونك على أهلك إذ سُمِوك معاوية ! وهي الآثني من قدامه ثم يبنه

الكلاب ؛ قال : لا أُمَّ لَكَ ! قال : أُمٌّ وَلَدْتِنِي لِلشَّيْوَفَ الَّتِي لَقِينَاكَ هَرَبَ ابْنَ حَاتَمَ

فِي أَيْدِينَا ؛ قَالَ : إِذْكُلْتُهُدَّدَنِي ؛ قَالَ : إِنَّكَ لَمْ تَفْتَحْنَا قَسْمَهَا ، وَلَمْ تَعْلَمْ كَنَا

— — — — —

(١) في بعده قوله «إليه»: «تم الجزء بحمد الله وعونه».

(٤) في قبيل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم » .

عَنْهُ ، وَلَكِنَّكَ أَعْطَيْتَنَا عَهْدًا وَمِيثاقيًّا ، وَأَعْطَيْنَاكَ سَمْعًا وَطاعةً ، فَإِنْ وَفَيْتَ
لَنَا وَفَيْنَا لَكَ ، وَإِنْ فَزَعْتَ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، فَإِنَّا تَرَكَنَا وَرَاءَنَا رِجَالًا شِدَادًا ،
وَالسِّنَةُ حِدَادًا ؛ قَالَ لَهُ مُعاوِيَةُ : لَا كَثُرَ اللَّهُ فِي النَّاسِ أَمْثَالَكَ ؛ قَالَ جَارِيَةُ :
قُلْ مَعْرُوفًا وَرَاعِنَا ، فَإِنَّ شَرَّ الدُّعَاءِ الْمُحْتَاطِبُ . عَدَدُ مُعاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفِيَانَ
عَلَى الْأَحْنَفِ ذُنُوبًا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَا تَرُدُّ الْأَمْوَارَ عَلَى أَعْقَابِهَا ،
أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّ الْقُلُوبَ الَّتِي أَبْغَضْنَاكَ بِهَا لَبَيْنَ جَوَاهِنَا ، وَالشَّيْوَفَ الَّتِي قَاتَلَنَاكَ بِهَا
أَعْلَى عَوَاتِقَنَا ، وَلَئِنْ مَدَدْتَ رِفْتَرًا مِنْ غَدْرِ لَنَمْدَنَّ بَاعًا مِنْ خَتَرَ ، وَلَئِنْ شَدَّتَ
لَتَسْبِيَصِفَيْنَ كَدَرَ قَلَوْ بَنَا بِصَفْوِ حِلْمَكَ ؛ قَالَ : فَإِنِّي أَفْعَلُ . قَالَ مُعاوِيَةُ
لَعْدَى بْنَ حَاتِمَ : مَا فَعَلْتُ الْطَّرَفَاتِ يَا أَبَا طَرِيفِ ؟ — يَعْنِي أَوْلَادَهُ — قَالَ :
قُتُلُوا ؛ قَالَ : مَا أَنْصَافَكَ أَبْنَ أَبِي طَالِبٍ إِذْ قُتُلَ بَنُوكَ مَعَهُ وَبَقِيَ لَهُ بَنُوهُ ؛ قَالَ :
لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ لَقَدْ قُتُلَ هُوَ وَبَقِيَتُ أَنَا بَعْدَهُ ؛ قَالَ لَهُ مُعاوِيَةُ : أَلَمْ تَرَأَمْ أَنَّهُ
لَا يُخْنَقُ فِي قَتْلِ عُثْمَانَ عَنْزَ^(١) ؟ قَدْ وَاللَّهِ خُنِقَ فِيهِ التَّيْسُ الْأَكْبَرُ . ثُمَّ
قَالَ مُعاوِيَةُ : أَمَّا إِنَّهُ قَدْ بَقِيَتْ مِنْ دَمَهُ قَطْرَةٌ وَلَا بَدَ أَنْ أَتَبَعَهَا ؛ قَالَ عَدَى :
لَا أَبَاكَ ! شَمَ^(٢) السَّيْفَ ، فَإِنَّ سَلَّ السَّيْفَ يَسْلُلُ السَّيْفَ . فَالْتَّفَتَ مُعاوِيَةُ
إِلَى حَبِيبِ بْنِ مُسْلِمَةَ ، فَقَالَ : أَجْعَلْهَا فِي كِتَابِكَ فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ .
١٥

الشَّيْبَانِيُّ عَنْ أَبِي الْحُبَابِ الْكِنْدِيِّ عَنْ أَبِيهِ : أَنَّ مُعاوِيَةَ بْنَ أَبِي سُفِيَانَ
بِنِمَا هُوَ جَالِسٌ وَعِنْهُ وُجُوهُ النَّاسِ إِذَا دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، فَقَامَ خَطَمِيًّا ،
فَكَانَ آخَرَ كَلَامَهُ أَنْ لَعَنْ عَلِيًّا ، فَأَطْرَقَ النَّاسُ وَتَكَلَّمَ الْأَحْنَفُ ، فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ هَذَا الْقَائِلُ مَا قَالَ آتَقًا^(٣) لَوْ يَعْلَمُ أَنَّ رِضَاكَ فِي لَعْنِ
الْمُرْسَلِينَ لِلَّعْنِهِمْ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَدَعْ عَنْكَ عَلِيًّا ، فَقَدْ أَقَى رَبَّهُ ، وَأَفْرَدَ فِي قَبْرِهِ ،
وَخَلَا بِعْدَهُ ، وَكَانَ وَاللَّهُ — [مَا عَلِمْنَا] — الْمُبَرَّزُ بِسَبِيقِهِ^(٤) ، الطَّاهِرُ
٢٠

الْأَحْنَفُ فِي الرَّدِ
عَلَى شَامِي لِعْنِ عَلِيَا
فِي حُضُورِ مُعاوِيَةِ
وَحْدَيْتُ ذَلِكَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «عَنْزَانٌ». قَالَ : قَدْ .. أَخَ ». .

(٢) شَامُ السَّيْفِ : سَلَّهُ وَأَغْمَدَهُ ، فَهُوَ مِنَ الْأَضَدَادِ ، وَالْمَرَادُ بِهِ هُنَا الثَّانِيُّ .

(٣) مَا : مَفْعُولٌ بِهِ لِقَائِلٍ . أَيْ الْقَائِلُ الْقَوْلُ الَّذِي قَالَهُ آتَقًا .

(٤) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَنَهَايَةِ الْأَرْبَ (ج ٧ ص ٢٣٧). وَفِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : «سَبِيقٌ» .

خُلقه^(١) ، المَمِيمُونَ نَقِيبُهُ^(٢) ، الْظَّمِيمُ مُصَيْبَتُهُ ؛ فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةً : يَا أَحْنَفَ ،
لَقَدْ أَغْضَيْتَ الْعَيْنَ عَلَى الْقَدَّارِ ، وَقَلْتَ بِغَيْرِ مَا تَرَى ، وَأَيْمَ اللَّهُ لَتَصْدَعَنَّ الْمِنْبَرَ
فَلَتَلْعَنَّهُ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا ؛ فَقَالَ لَهُ الْأَحْنَفُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ تُعْفِنِي فَهُوَ
خَيْرٌ لَكَ ، وَإِنْ تَجْهِرْنِي عَلَى ذَلِكَ فَوَاللَّهِ لَا تَجْرِي بِهِ شَفَقَتِي أَبْدًا ؛ قَالَ : قُمْ
فَاصْعَدْ الْمِنْبَرَ ؛ قَالَ الْأَحْنَفُ : أَمَّا وَاللَّهِ مَعَ ذَلِكَ لَا نَصِفَنَّكَ فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ؛
قَالَ : وَمَا أَنْتَ قَائِلٌ يَا أَحْنَفَ إِنْ أَنْصَفْتَنِي ؟ قَالَ : أَصْعَدْ الْمِنْبَرَ فَاحْمَدْ اللَّهَ بِمَا
هُوَ أَهْلُهُ ، وَأَصْلَى عَلَى نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَقُولُ : أَيْهَا النَّاسُ ، إِنَّ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةً أَمْرَنِي أَنْ أَعْنَنَ عَلَيْهِ ، وَإِنَّ عَلَيْهِ مُعَاوِيَةً اخْتَلَافًا فَاقْتَتَلَا ،
وَادْعُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا أَنْهُ بُغْيَ عَلَيْهِ وَعَلَى رِفْقَتِهِ ، فَإِذَا دَعَوْتُ فَأَمْنَوْا
رَحْمَكَ اللَّهُ ، ثُمَّ أَقُولُ : اللَّهُمَّ أَعْنَنَ أَنْتَ وَمَلَائِكَتُكَ وَأَنْبِيَاكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ
الْبَاغِيَّ مِنْهُمَا عَلَى صَاحِبِهِ ، وَأَعْنَنَ الْفَئَةَ الْمَبَاغِيَّةَ ، اللَّهُمَّ أَعْنَنْهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا ،
أَمْنَوْا رَحْمَكَ اللَّهُ ؛ يَا مُعَاوِيَةً ، لَا أَزِيدُ عَلَى هَذَا وَلَا أَنْقُصُ مِنْهُ حَرْفًا وَلَوْ كَانَ
فِيهِ ذَهَابٌ نَفْسِي . فَقَالَ مُعَاوِيَةً : إِذْنُ تُعْفِيَكَ يَا أَبَا بَحْرٍ .

وَقَالَ مُعَاوِيَةً لِعَقِيلَ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : إِنَّ عَلَيْهِ مَا تَدْقُطُكَ وَوَصَائِلُكَ ، وَلَا
يُرْضِيَنِي مِنْكَ إِلَّا أَنْ تَلْعَنَهُ عَلَى الْمِنْبَرِ ؟ قَالَ : أَفْعُلْ . فَأَصْعَدْ فَصَعَدْ ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ
أَنْ حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ : أَيْهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مُعَاوِيَةً أَمْرَنِي أَنْ
أَعْنَنَ عَلَى بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فَالْعَنُونُ ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ، ثُمَّ
نَزَلَ . فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةً : إِنَّكَ لَمْ تُبَيِّنْ أَبَا يَزِيدَ مَنْ لَعَنْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ؟ قَالَ :
وَاللَّهِ لَازَدْتُ حَرْفًا وَلَا نَقَصْتُ آخَرَ ، وَالْكَلَامُ إِلَى نِيَةِ الْمُتَكَلِّمِ .

الْهَيْمَنْ بْنُ عَدَى قَالَ : قَالَ^(٣) مُعَاوِيَةً لِأَبِي الطَّفَيْلِ : كَيْفَ وَجَدْتُكَ عَلَى عَلِيٍّ ؟
قَالَ : وَجَدْتُهُ مَانِنْ مُشْكِلاً ؛ قَالَ : فَكَيْفَ حُبِّيَ لَهُ ؟ قَالَ : حُبَّ أُمِّ مُوسَى ،
بَيْنَ مُعَاوِيَةِ وَأَبِي الطَّفَيْلِ فِي عَلِيٍّ وَعَمَانَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « ثُوبَهُ » مَكَانٌ « خَلْفَهُ » .

(٢) مَيْمُونُ النَّقِيَّةِ : مَبَارِكُ النَّفْسِ مَظْفَرُ فِيمَا يَحَاوِلُ .

(٣) رُوِيَ الْمَسْعُودِيُّ هَذَا الْحَبْرُ مَعَ اخْتِلَافٍ فِي عِبَارَتِهِ بَيْنَ مُعَاوِيَةَ وَضَرَارَ بْنَ الْحَطَابِ .

وإلى الله أشكو التقصير . و قال له مرة أخرى : أبا الطفيلي ؟ قال : نعم ؛ قال : أنت من قتلة عثمان ؟ قال : لا ، ولكنني من حضره ولم ينصره ؛ قال : وما منعك من نصره ؟ قال : لم ينصره المهاجرون والأنصار فلم ينصره ؛ قال : لقد كان حقه واجباً ، وكان عليهم أن ينصروه ؛ قال : فما منعك من نصرته يا أمير المؤمنين وأنت ابن عممه ؟ قال : أو ما طلب بيده نصرة له ؟ فضحك أبو الطفيلي ٥
وقال : مثلك وممثل عثمان كما قال الشاعر^(١) :

لأعرقناك^(٢) بعد الموت تندبني وفي حي——اتي ما زوادني زادا
 العتبى^(٣) قال : صعد معاوية المنبر فوجد من نفسه رقة ، فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس : إن عمر ولاي أمراء من أمره ، فوالله ما غشسته ولا خفته ، ثم ولائي الأمر من بعده ولم يجعل بيني وبينه أحداً ، فأحسنت والله وأسأت ، وأصبت وأخطأت ، فمن كان يجهلني فإني أعرفه بنفسي . فقام إليه سالمه بن الخطل^(٤) العرجى^(٥) ، فقال : أنصفت يا معاوية ، وما كنت منصفاً .
 قال : فغضب معاوية ، وقال : ما أنت وذاك يا أحذب ؟ والله لكني أنظر إلى يتيك بمهيبة^(٦) ، وبطنب تيس^(٧) ، وبطنب بهمة . بفناهه أعز عشر ، يختلبن في مثل قواره حافر العير^(٨) ، تهفو الريح منه [بجانب^(٩) ، كأنه جناح نسر .
 ١٥ قال : رأيت والله ذاك^(٩) [في شر زماننا إلينا ، [ووالله إن حشوه يومئذ لحسب

بين معاوية
وسالمه بن الخطل

(١) الشاعر هو النابغة الجعدي . (انظر صرrog الذهب ج ٢ ص ٦٣) .

(٢) في الروج : « لأعرقناك » .

(٣) في الأصول : « الخطل » . والتصويب عن الاستيعاب والإصابة وابن عساكر .

(٤) كذا في الإصابة . والذى في الاستيعاب وتاريخ دمشق لابن عساكر أنه من بني عربىع ، فإذا صاح هذا فالنسبة إليهم : عربىعى .

(٥) مهيبة : الجهة بين الحرمين ، وهى ميقات الشاميين .

(٦) في بعض الأصول : « تيس » .

(٧) كذا في تاريخ دمشق . يزيد ما يقوى من باطن حافره . يصفه باللؤم لضيق محلبه .

والذى في الأصول : « العنز » .

(٨) بجانب ، أراد جانب البيت . وأنه فى الصغر على قدر جناح النسر ، يزيد تصغير أمره وتحقيقه .

(٩) التكملة عن تاريخ دمشق . وبين الخبر هنا وهناك خلاف فى بعض الألفاظ .

غير دنس] ، فهل رأيتنى يا معاوية أكلت مالا حراما أو قلت أمرأ مسلما؟ قال: وأين كنت أراك وأنت لاندib إلا في خمر^(١) ، وأى مسلم يعجز عنك فتقته؟ أم أى مال تقوى عليه فتقته كله؟ أجلس لا جلست؟ قال: بل أذهب حتى لا تراني؟ قال: إلى أبعد الأرض لا إلى أقربها ، فمضى . ثم قال معاوية: رُدُوه على^{هـ} ، فقال الناس: يُعاقبه؟ فقال له: أستغفر الله منك يا أحذب ، والله لقد بررت في قرباتك ، وأسلمت فَحَسْنَ إسلامك ، وإن أباك لسيد قومه ، ولا أبرح أقول بما تحب ، فاقعد^{هـ} .

الأوزاعي قال: دخل خرم الناعم على معاوية فنظر إلى ساقيه ، فقال: أى ساقين لو أنهم على جارية؟ قال: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين؟ قال معاوية: واحدة باخري والباقي أظلم . دخل عطاء المضحك على عبد الملك بن مروان ، فقال له: أما وجدت لك أئمك اسماء إلا عطاء؟ قال: لقد أستكثرت من ذلك ما أستكثرته يا أمير المؤمنين ، ألا سمعتني باسم المباركة ، صلوات الله عليها ، مرمي^{هـ} .

قال معاوية لصهار بن العباس العبدى: يا أزرق؟ قال: الباقي أزرق؟ قال: يا أحمر؟ قال: الذهب أحمر؟ قال: ما هذه البلاغة فيكم عبد القيس؟ قال: شيء يختلج في صدورنا فتقذفه السنتنا كما يقذف البحر الزبد؟ قال: فما البلاغة عندكم؟ قال: أن نقول فلا خطىء، ونجيب فلا بطيء .

وقال عبد الله بن عاص بن كريز لعبد الله بن حازم: يا بن عجل^(٢)? قال: ذاك اسمها؟ قال: يا بن السوداء؟ قال: ذاك لونها؟ قال: يا بن الأمة؟ قال: كل أئم أمة ، فاقتصر بذرائعك لا يرجع سهامك عليك ، إن الإمام قد ولدتك .

دخل عبيد الله بن [زياد بن] ظبيان على عبد الله بن مروان ، فقال له عبد الله: دخل عبيد الله بن [زياد بن] ظبيان على عبد الله بن مروان ، فقال له عبد الله:

(١) انظر الحاشية رقم (١ ص ٢١) من هذا الجزء .

(٢) في بعض الأصول: « بخلاف » .

ما هذا الذي يقول الناس ؟ قال : وما يقولون ؟ قال : يقولون إنك لا تشبه أباك ؛
قال : والله لأننا أشبه به من الماء بالماء ، والغراب بالغراب ، ولكن أذلك على
من لم يُشبه أباه ؛ قال : من هو ؟ قال : من لم تُنضِّجه الأرحام ، ولم يولد ل تمام ، ولم
يُشْبِه الأخوال والأعمام ؛ قال : ومن هو ؟ قال : ابن عمى سُويد بن منجوف ،
وإنما أراد عبد الملك بن مروان ، وذلك أنه ولد لستة أشهر .

بین زید بن علی
وہشام بن
عبدالملک

(١) دخل زيد بن علي على هشام بن عبد الملك فلم يجد موضعًا يقعد فيه ، فعلم أن ذلك فعل به على عمد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، [اتق الله ! قال : أومثلك يا زيد يأمر مثل بيتقوى الله ؟ قال زيد] : إنه لا يكابر أحد فوق أنت يوصي بيتقوى الله ، ولا يصغر دون أن يوصي بيتقوى الله . قال له هشام : بلغنى أنك تحدث نفسك بالخلافة ولا تصلح لها لأنك ابن أمة ؛ قال زيد : أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة ، فلا يعلم الغيب إلا الله ؛ وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل بن إبراهيم خليل الرحمن ، ابن أمة ، من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ، ابن حرة ، أخرج من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت . [قال له : قم ؛ قال : إذن لا تراني إلا حيث تسکره] . فلما خرج من عنده قال : ما أحب أحد قط الحياة إلا ذل . قال له حاجبه : لا يسمع هذا الكلام منك أحد . وقال زيد بن علي :

شَرَّدَهُ الْخَوْفُ وَأَزْرَى بِهِ كَذَلِكَ مَنْ يَكْرِهُ حَرَّ الْحِلَادِ
مُخْتَفِي الرِّجْلَيْنِ (٢) يَشْكُو الْوَجْهِ تَقْرِعُهُ أَطْرَافُ مَرْءَوِ (٣) حِدَادِ
قَدْ كَانَ فِي الْمَوْتِ لِهِ رَاحَةٌ وَالْمَوْتُ حَتَّمَ فِي رِقَابِ الْعِبَادِ
ثُمَّ خَرَجَ بِخَرَا سَانَ فَقُتُلَ وَصُلِّبَ فِي كُفَاسَةٍ . وَفِيهِ يَقُولُ سُدَيْفُ بْنُ مَيَّمَوْنَ ٢٠

في دولة بنى العباس :

(١) بين الخبر هنا وفى البيان (ج ١ ص ١٦٩) بعض الخلاف .

(٢) في البيان: «من خلق الحففين».

(٣) المرو : حجارة بيضاء رفقة .

وَأَذْكُرُوا مَقْتُلَ الْحُسَينِ وَزَيْدًا وَقَتَيْ— لَا بِجَانِبِ الْمِهْرَاسِ^(١)
يُرِيدُ حِزَّةً بْنَ عَبْدِ الْمُطَلَّبِ الْمَقْتُولَ بِأَحَدٍ.

٥ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَقَالَ : زُبَيْرٌ ! وَاللهِ
لَا يُحِبُّكَ قَلْبِي أَبْدًا ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا يَجْزِعُ مِنْ فَقْدِ الْحُبِّ
النِّسَاءُ ، وَلَكِنْ عَدْلًا وَإِنْصَافًا . وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي مَرِيمِ الْحَنْفِيِّ ،
قَاتِلِ زَيْدِ بْنِ الْخَطَّابِ : وَاللهِ لَا يُحِبُّكَ قَلْبِي أَبْدًا حَتَّى تُحِبِّ الْأَرْضَ الدَّمَ ؛
قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَهَلْ تَمْنَعُنِي لِذَلِكَ حَقًا ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : فَحَسِبِيَّ .

١٠ دَخَلَ يَزِيدُ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ عَلَى سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : عَلَى أَمْرِي أُوْفِطَكَ
رَسَنَكَ وَسَلَطَكَ عَلَى الْأَمَّةِ اعْنَةً اللَّهُ ؛ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّكَ رَأَيْتَنِي
وَالْأَمْرُ مُدْبِرٌ عَنِّي ، وَلَوْ رَأَيْتَنِي وَالْأَمْرُ مُقْبَلٌ عَلَى لَعَظَمٍ فِي عَيْنِكَ مَا أَسْتَصْغِرُ
مَنِي ؛ قَالَ : أَتَنْظِنُ الْحِجَاجَ اسْتَقْرَرَ فِي قَعْدَةِ جَهَنَّمِ أَمْ هُوَ يَهْوِي فِيهَا ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الْحِجَاجَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَبِيكَ وَأَخِيكَ ، فَضَعَفَهُ مِنَ النَّارِ
حِيثُ شَئْتَ . وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمَ لِزُفْرَ بْنِ الْحَارِثَ : بَلَغْنِي أَنَّ كِنْدَةَ
تَدَعِيكَ : قَالَ : لَا خَيْرَ فِي مِنْ لَا يُتَّقِي رَهْبَةً وَلَا يُدَعِّي رَغْبَةً .

١٥ قَالَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمَ لِلْحَسَنِ بْنِ دُلْجَةَ : إِنِّي أَظُنُّكَ أَحْقَقَ ؛ قَالَ : مَا يَكُونُ
الشَّيْخُ إِذَا أَعْمَلَ ظَنَّهُ ؟ وَقَالَ مَرْوَانٌ لِحُوَيْطَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِّيِّ : وَكَانَ كَبِيرًا مُسْنَدًا.
أَيْهَا الشَّيْخُ ، تَأْخِرُ إِسْلَامُكَ حَتَّى سَبَقَكَ الْأَحْدَادُ ؛ فَقَالَ : اللَّهُ الْمُسْتَعْانُ ، وَاللهُ
أَقْدَمْتُ بِالْإِسْلَامِ غَيْرَ مَرَّةٍ كُلَّ ذَلِكَ يَعُوقِنِي عَنْهُ أَبُوكَ وَيَنْهَايِي وَيَقُولُ : يَضْعُ
مِنْ قَدْرِكَ ، وَتَتَرَكُ دِينَ آبَائِكَ لِدِينِ مُحَمَّدٍ ، وَتَصِيرُ تَابِعًا . فَسَكَتَ مَرْوَانٌ . قَالَ
عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ لِثَابَتَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الرَّبِيعِ : أَبُوكَ كَانَ أَعْلَمَ بِكَ حِيثُ كَانَ
يَشْتَمِلُكَ ؛ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّمَا كَانَ يَشْتَمِلُنِي لِأَنِّي كُنْتُ أَنْهَاهُ أَنْ يُقَاتِلَ
بِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَأَهْلِ مَكَةَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْصُرُ بَهُمَا ؛ أَمَا أَهْلُ مَكَةَ فَأَخْرَجُوهَا النَّبِيَّ

(١) المهراس : ماء بأحد .

صلى الله عليه وسلم وأخافوه ، ثم جاءوا إلى المدينة فآذوه ، حتى سيرّهم ، يعرض بالحكم بن أبي العاص طرید النبي صلی الله عليه وسلم ، وأما أهل المدينة فخذلوا عثمان حتى قُتل بين أظهرهم ولم يدفعوا عنه ؟ قال له : عليك لعنة الله .

جلس معاوية يُبَايِع الناسَ عَلَى البراءةِ مِنْ عَلَى ، فقال له رجل من بني تميم :

يا أمير المؤمنين ، نُطِيعُ أهْيَاءَكَ وَلَا نَبِرُّ مِنْ مَوْتَكَ ؟ فَأَتَفَتَ معاوية إِلَى زِياد ٥
فقال : هذا رجل فاسْتَوْصِ به . قال معاوية يوماً : يا معاشر الأنصار ، لَمْ تَعْطُلُّونَ
ما عِنْدِي ، فَوَاللهِ لَقَدْ كُفْتُمْ قَلِيلًا مَعِي كَثِيرًا مَعَ عَلَى ، وَلَقَدْ فَلَّتُمْ حَدَّيْ يَوْمَ
صِفَّيْنِ ، حتَّى رأَيْتُ الْمَنَابِيَا تَتَلَظَّى مِنْ أَسْنَتِكُمْ ، وَلَقَدْ هَجَّوْتُمْنِي بِأَشَدَّ مِنْ وَحْزَنِ
الْأَسْلِ ، حتَّى إِذَا أَقَامَ اللَّهُ مَنَّا مَا حَاوَلْتُمْ مَيْلَهُ ، قُلْتُمْ أَرْعَ فِينَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى
الله عليه وسلم ، هيهات ! أَبَيِ الْحَقِيقِينَ الْعِذْرَةَ ^(١) . فأجابه قيس بن سعد ، قال :
١٠
أَمَا قَوْلُكَ حِثْنَاكَ نَطَّلْبُ مَا عَنْدَكَ ، فِي الْإِسْلَامِ السَّكَافِيَّ بِهِ اللَّهُ ^(٢) لَا بِمَا تَمَتَّ بِهِ
إِلَيْكَ الْأَحْزَابُ ؛ [وَأَمَا أَسْتَقَامَةُ الْأَمْرِ ، فَعَلَى كُرْهِ مَنَا كَانَ] ؛ وَأَمَا فَلَّنَا حَدَّكَ يَوْمَ
صِفَّيْنِ ، فَأَمْرُ لَا نَعْتَذِرُ مِنْهُ ؛ وَأَمَا عَدَاؤُنَا لَكَ ، فَلَوْ شَتَّ كَفَفْتَهَا عَنْكَ ؛
وَأَمَّا هِجَاؤُنَا إِيَّاكَ ، فَقُولَّ يَقْبَلُتْ حَقَّهُ ، وَيَرْزُولُ بَاطِلَهُ ؛ وَأَمَا وَصِيَّةَ رَسُولِ اللَّهِ
١٥
صلى الله عليه وسلم ، فَمَنْ يُؤْمِنُ بِهِ يَحْفَظُهَا مِنْ بَعْدِهِ ؛ [وَأَمَا قَوْلُكَ : يَا أَبَيِ الْحَقِيقِينَ
الْعِذْرَةَ ، فَلَيْسَ دُونَ اللَّهِ يَدْ تَحْجِزُكَ مَنَا] ^(٣) ، فَدُونَكَ أَمْرَكَ يَا مُعاوِيَةَ ، فَإِنَّمَا
مُثُلُكَ كَمَا قَالَ الشاعر :

يَا لَكَ مِنْ قُبَّرَةِ بَمَعْرَةٍ خَلَ لَكَ الْجَوَّ فِي بِيَضِي وَأَصْفَرِي

(١) الحقيقين : المحبوبين . والعذر : العذر . يضرب مثلاً للرجل يعتذر ولا عذر له .

٢٠ وأصله أن رجلاً ضاف قوماً فاستقام لهم ليناً وعندهم لبناً فوضعوه في وطب ، واعتلوه عليه واعتذروا ، فقال هذا المثل ، يريد أن هذا الحقيقين يكذبكم .

(٢) في بعض الأصول : « فعد ما سواه » مكان « به الله » . وما أثبتاه عن سائر الأصول والمروج (ج ٢ ص ٦٣) .

٢٠ (٣) في مروج الذهب بعد هذا : « فقال معاوية يعوه : ارفعوا حواتِّمكم » ، ولم يذكر البيت هنا ، وإنما ذكره منسوباً للحسين يخاطب به ابن الزبير حين هم الحسين بالاتصال إلى الكوفة تاركاً ابن الزبير عكة .

بين معاوية
وتعيى ثم يدنه
 وبين قيس بن
سعد

وقال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فِيمَنِ الْعِزُّ بِالْبَصْرَةِ ؟ قال :
فِينَا وَفِي حُلْفَائِنَا مِنْ رَّبِيعَةٍ . قال سليمان^(١) : الَّذِي تَحَالَّفْتَمَا عَلَيْهِ أَعْزَّ مِنْكُمَا .

٥ مَرْعُومَ بْنَ الْخَطَابِ بِالصَّبَيَانِ يَلْعَبُونَ وَفِيهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرَ ، فَفَرَّوْا ، وَثَبَتَ
ابْنُ الزَّبِيرِ ؟ قال له عمر : كَيْفَ لَمْ تَفَرِّ مَعَ اَصْحَابِكَ ؟ قال : لَمْ أَجْتَرْمَ فَأَخَافِكَ ،
وَلَمْ يَكُنْ بِالطَّرِيقِ مِنْ ضِيقٍ فَأُوسِعَ لَكَ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرَ لِعَدَى بْنِ
حَاتِمَ : مَتَى فَقِيَتْ عَيْنُكَ ؟ قال : يَوْمَ قُتِلَ أَبُوكَ ، وَهِرَبَتْ عَنْ خَالِتِكَ^(٢) ، وَأَنَا
لِلْحَقِّ نَاصِرٌ ، وَأَنْتَ لِهِ خَادِلٌ . وَكَانَ فَقِيَتْ عَيْنَهُ يَوْمَ الْجَلْمِ .

١٠ وقال هارون الرشيد ليزيد بن عَزِيدَ : مَا أَكْثَرَ الْخَطَبَاءِ فِي رَبِيعَةٍ ؟ قال : نَعَمْ ،
وَلَكِنْ مَنَابِرَهُمُ الْجُذُوعُ . كَانَ الْمِسْوَرَ بْنَ تَخْرِمَةَ جَلِيلًا نَبِيلًا ، وَكَانَ يَقُولُ فِي
يزيدَ بْنِ مُعاوِيَةَ : إِنَّهُ يَشْرُبُ الْخَمْرَ . فَبَلَغَهُ ذَلِكُ ، فَكَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالْمَدِينَةِ
أَنْ يَجْلِدَهُ الْحَدَّ ، فَفَعَلَ . فَقَالَ الْمِسْوَرُ فِي ذَلِكَ :

أَيَّشَرَبُهَا صِرْفًا يَفْضُّلُ خِتَامَهَا أَبُو خَالِدٍ وَيُجْلَدُ الْحَدَّ مِسْوَرُ
قال المأمون ليحيى بن أَكْثَمَ القاضى : أَخْبِرْنِي مَنِ الَّذِي يَقُولُ ؟
قاضٍ يَرَى الْحَدَّ فِي الزَّنَاءِ وَلَا يَرَى عَلَى مَنْ يَلُوطُ مِنْ باسِ
قال : يَقُولُهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي يَقُولُ :

لَا أَخْسَبُ الْجَوْرَ يَنْقَضُ وَعْدَ الْأُمَّةِ وَالْأَنْوَارِ مِنْ آلِ عَبَّاسٍ
قال : وَمَنْ يَقُولُهُ ؟ قال : أَحْمَدَ بْنَ نُعِيمَ^(٣) ، قال : يُنْفَى إِلَى السَّنَدِ ، وَإِنَّمَا
عَزَّ حَمَّا مَعَكَ .

٢٠ قال سليمان بن عبد الملك لِعَدَى بْنِ الرَّقَاعِ^(٤) : أَنْشِدَنِي قَوْلَكَ فِي الْخَمْرِ :

كُمِيتَ إِذَا شُبِّحْتَ^(٥) وَفِي الْكَأْسِ وَرَدَّةٌ لَهَا فِي عِظَامِ الشَّارِبِيَنِ دَبِيبٌ

بَيْنَ سليمان بن
عبد الملك وعدى
ابن الرقاع ثم بين
بلال وخالد بن
صفوان

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « عَمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزَ » مَكَانٌ « سليمان » .

(٢) يَرِيدُ : عَائِشَةَ ، فَهِيَ أُخْتُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ .

(٣) فِي مَرْوِجِ الْذَّهَبِ (ج ٢ ص ٣٢٩) : « ابْنُ أَبِي نَعِيمَ » .

(٤) فِي الْأَغَانِيِّ : « فَضَّتْ » .

(٥) الشِّعْرُ لِلْأَقِيشِرِ ، وَالْحَدِيثُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ . (انْظُرِ الْأَغَانِيِّ ج ١ ص ٩٣ طَبْعَةُ بَلَاقِ)

ترىك القذى من دونها وهى دونه لوجه أخيها فى الإناء قطوب
فأنشدك . فقال له سليمان : شربتها ورب الكعبة ؟ قال عدى : والله
يا أمير المؤمنين ، لئن رابك وصفي لها قدر ابنتى معرفتك بها . فتضاحكا وأخذوا
في الحديث . الأصمى قال : لما ولى بلال بن أبي بردة البصرةَ بلغ ذلك
٥ خالد بن صفوان ، فقال : * سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَسَّمُ *
فبلغ ذلك بلاً فدعاه ، فقال له : أنت القائل :

* سَحَابَةُ صَيْفٍ عَنْ قَلِيلٍ تَقَسَّمُ *

أما والله لا تقشع حتى يصيبك منها شُؤُبوب بَرَد ، فضر به مائة سوط . وكان
١٠ خالد يأتي بلاً في لايته ، ويغشاه في سلطانه ، ويغتابه إذا غاب عنه ،
ويقول : ما في قلب بلال من الإيمان إلا ما في بيت أبي الزَّرد الحنفي من
الجواهر . وأبو الزَّرد رجل مفلس .

دخل عقبة بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام على خالد بن عبد الله
القسرى بعد حجج شديد ، وكان عقبة رجلا سخينا ، فقال له خالد ، يعرض
١٥ به : إن هنا رجالا يداينون في أموالهم ، فإذا فنيت يداينون في أغراضهم .
فعلم القرشى أنه يعرض به ، فقال : أصلح الله الأمير ، إن رجالات تكون مرواتهم أكثر
أكثرا من مرواتهم ، فأولئك تبقى أموالهم ، ورجالات تكون مرواتهم أقل
١٤٨ من أموالهم ، فإذا نفدت أدانوا على سعة ما عند الله . فخرج خالد وقال :
٢ أما إنك منهم ما علمت . كان شريك القاضى يشاحن الربع صاحب شرطة
المهدى ، [فحمل الربع المهدى عليه] ، فدخل شريك يوما على المهدى ، فقال له
٤٠ المهدى : بلغنى أنك ولدت في قوصرة^(١) ؟ فقال : ولدت يا أمير المؤمنين
بحراسان والقواصر هناك عزيزة ؟ قال : إن لرأيك فاطميا خبيثا ؟ قال : والله إنى
لأحب فاطمة وأبا فاطمة صلى الله عليه وسلم ؟ قال : وأنا والله أحبهما ، ولكنى

بين عبة وخالد
القسرى ثم بين
شريك والمهدى

(١) يريد بالقوصرة : وعاء من قصب . وأهل البصرة يسمون النبيذ . ابن قوصرة ،
ووجد في قوصرة أو في غيرها .

رأيُك في مَنَامِي مَصْرُوفاً وَجِهْكَ عَنِّي ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِبُغْضِكَ لَنَا ، وَمَا أَرَانِي
إِلَّا قاتلَكَ لَأَنَّكَ زِنْدِيقٌ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ الدَّمَاءَ لَا تُسْفِكُ بِالْأَحْلَامِ ،
وَلَيْسَ رُؤْيَاكَ رُؤْيَا يُوسُفَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَمَا قَوْلُكَ بِأَنِّي زِنْدِيقٌ ،
فَإِنَّ لِلزَّنَادِقَةِ عَلَامَةً يَعْرِفُونَ بِهَا ؟ قَالَ : وَمَا هِيَ ؟ قَالَ : بِشُرْبِ الْخَمْرِ وَالْفَسْرَبِ
بِالظَّفَّبُورِ ؛ قَالَ : صَدِقْتَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، وَأَنْتَ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي حَمَلْنِي عَلَيْكِ ٥

قال عمرُ بن الخطاب لعمرٍ وبن العاص لما قَدِمَ عليه من مصر : لقد سِرْتَ
سِيرَةً عاشِقٍ ؛ قال : والله ما تَأْبَطْتَنِي الإِمَاءُ^(١) ، ولا حَمَلْتَنِي الْبَغَايَا فِي غُبَّرَاتِ
الْمَالِي^(٢) ؛ قال عمر : والله ما هَذَا جَوَابٌ كَلَامِي الَّذِي سَأَلْتُكَ عَنْهُ ، وَإِنَّ
الدُّجَاجَةَ لَتَفْحِصُ فِي الرَّمَادِ فَتَضَعُ لِغَيْرِ الْفَاعِلِ ، وَالْبَيْضَةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى طَرْقَهَا^(٣) ،
وَقَامَ عمرٌ فَدَخَلَ . فَقَالَ عمرٌ : لقد فَيَحْشَ عَلَيْنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

وتَرْبَعَ الرِّوَاةُ أَنْ قُتَيْبَةَ بْنَ مُسْلِمَ لَمْ يُفْتَحْ سَمَرْقَنْدَ أَفْضَى إِلَى أَثَاثٍ لَمْ يُرَأَ
مِثْلُهُ، وَإِلَى آلاتٍ لَمْ يُسْمَعْ بِمُثْلِهِ، فَأَرَادَ أَنْ يُرَى النَّاسَ عَظِيمًا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ،
وَيُعْرِفُهُمْ أَقْدَارَ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَهَرُوا عَلَيْهِمْ، فَأَصْبَرَ بَدَارٍ فَفَرَشَتْ، وَفِي صَحْنِهَا قُدُورٌ
أَشْقَاتْ، رُتَّبَقَ بِالسَّلَامِ . فَإِذَا الْحُضَرَى بْنُ الْمُنْذَرِ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ وَعْلَةِ الْوَقَاشِيِّ
قَدْ أَقْبَلَ، وَالنَّاسُ جُلُوسٌ عَلَى مَرَابِطِهِمْ، وَالْحُضَرَى شَيْخٌ كَبِيرٌ، فَلَمَّا آتَهُ اللَّهُ
ابْنَ مُسْلِمٍ قَالَ لِقُتَيْبَةَ : إِذْنٌ لِي فِي كَلَامِهِ^(٥)؛ فَقَالَ : لَا تُرِدْهُ، فَإِنَّهُ خَبِيثُ الْجَوابِ .
فَأَبَى عَبْدُ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَأْذِنَ لَهُ — وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُضْعَفُ^(٦)، وَكَانَ قَدْ تَسُورَ
حَائِطًا إِلَى أَسْرَأَةَ قَبْلَ ذَلِكَ — فَأَقْبَلَ عَلَى الْحُضَرَى ، فَقَالَ : أَمْنِ الْبَابِ دَخَلَتْ

(١) أى أنه لم تتول الإماماء تربيتها.

(٢) المآل : خرق الحيض ، وغبرات المآل ، أى بقایاها .

(٣) يعرض بعمرو ، إذ كانت أمه التابعة من مغنيات مكة ، وكان يأتيها غير واحد .

فَلَمَّا وُلِدَتْ عُمَرُوا أَلْحَقْتَهُ بِالْعَاصِ لِشَبَهِهِ بِهِ . (انظر ج ٢ ص ١٢٠ من هذه الطبعة) .

وانظر نثر الدرر للآبي في الكلام على عمر بن الخطاب .

(٤) في الأصول: «والحسن». وهو تحرير.

(٥) في الكامل : « ومعاتبته » .

(٦) يضعف : يوصف بالضعف في عقله ورأيه .

يا أبا ساسان ؟ قال : أجل ؛ ضعف^(١) عَمِّك عن تسوّر الحيطان ؛ قال : أرأيت هذه القدور ؟ قال : هي أعظم من أن لا ترى ؛ قال : ما أحسب بكر بن وائل رأى مثلها ؛ قال : أجل ، ولا عيلان^(٢) ، ولو كان رآها سُمّي شَبَعَان ولم يُسمّ عَيْلَان ؛ قال له عبد الله : أتعرف الذي يقول :

٥ عَزَّلَنَا وَأَمْرَنَا وَبَكْرُ بْنُ وَائِلٍ تَجْرُّ خُصَاحَهَا تَبَتَّغَنِي مَنْ تُحَالِفُ^(٣) ؟
قال : أَعْرَفُهُ وَأَعْرَفُ الَّذِي يَقُولُ :

[وَخَيْبَةٌ مِنْ يَخِيبٍ عَلَى غَنَّى وَبَاهْلَةٌ بْنٌ يَعْصَرٌ وَالرَّبَابٌ]
يريدُ : يا خَيْبَةَ مَنْ يَخِيب . قال له : أتعرف الذي يقول :
كَانَ فِقَاحَ الْأَزْدَ حَوْلَ أَبْنَى مِشْمَعَ إِذَا عَرِقْتَ أَفْوَاهُ بَكْرٍ بْنُ وَائِلٍ^(٤) ؟

١٠ قال : نعم . وأتعرف الذي يقول :

قَوْمٌ قُتِيَّبَةُ أُمَّهُمْ وَأَبُوهُمْ لَوْلَا قُتِيَّبَةُ أَصْبَحُوا فِي مَجْهَلٍ
قال : أما الشّعر ، فأراك تَرْوِيه ، فهل تَقْرَأُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا ؟ قال : أَقْرَأُ
مِنْهُ الْأَكْثَرَ : (هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
مَذْكُورًا) . قال : فأغضبه ، فقال : والله لقد بلغني أن امرأة الحُضَيْن حُملت

١٥ إِلَيْهِ وَهِيَ حُبْلِي مِنْ غَيْرِهِ . قال : فَاتَّحَرَكَ الشَّيْخُ عَنْ هَيْثَتِهِ الْأُولَى ، ثُمَّ قَالَ عَلَى
رِسْلِهِ : وَمَا يَكُونُ ! تَلَدَّ غُلَامًا عَلَى فَرَاشِي ، فَيَقُولُ : فَلَانَ بْنُ الْحُضَيْن ، كَمَا يَقُولُ :
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمٍ . فَأَقْبَلَ قُتِيَّبَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ ، فَقَالَ : لَا يُبَعِّدُ اللَّهُ غَيْرَكَ .
وَالْحُضَيْنُ هَذَا هُوَ الْحُضَيْنُ بْنُ الْمُنْذَرِ الرَّقَاشِيُّ ، وَرَقَاشُ أُمِّهِ ، وَهُوَ مِنْ بَنِي شَيْمَانَ
ابْنَ بَكْرٍ بْنَ وَائِلٍ ، وَهُوَ صَاحِبُ لَوَاءِ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَصِيفَيْنَ
عَلَى رَبِيعَتَهُ كُلَّهَا ، وَلَهُ يَقُولُ عَلَيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ :

(١) في السِّكَامِلِ : « أَسْنَ » .

(٢) عَيْلَانٌ : جَدُّهُ الْأَكْبَرُ ، وَذَلِكَ أَنَّ بَاهْلَةَ أُخْتَ غَنَّى بْنَ يَعْصَرٍ بْنَ سَعْدَ بْنَ قَيْسَ
ابْنَ عَيْلَانَ بْنَ مَضْرِ .

(٣) هَذَا الشَّعْرُ لَحَارَثَةَ بْنَ بَدْرَ الْفَدَانِ .

(٤) الْفِقَاحُ : جَمْعُ فِقْحَةٍ ، وَهِيَ الدَّرْبُ . وَهَذَا الْبَيْتُ لِلْفَرَزْدَقِ .

١٤٩

لمن راية سوداء يتحقق ظلها إذا قيل قدمها حضين تقدمها يقدها في الصف حتى يزيرها^(١) حياض المنايا تقطر الشم والدما جزى الله عن الجزاء بفضله ربعة خيراً ما أَعْفَ وَأَكْرَمَا

وقال المنذر بن الجارود العبدى لعمرو بن العاص : أى رجل أنت لوم
تَكُنْ أَمْكَ ، مَمْنَ هِي ؟ قال : أَحَدُ اللَّهِ إِلَيْكَ ، لَقَدْ فَكَرْتُ فِيهَا الْبَارِحةَ ،
جَعَلْتُ أَنْقَلَهَا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ ، فَهَا خَطَرْتَ لِي عَبْدُ الْقَيْسِ بِبَيْالِ . قال خالد بن
صَفَوَانَ لِرَجُلٍ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ ، وَسَمِعَهُ يَفْخُرُ بِمَوْضِعِهِ مِنْ قُرُيشٍ ، فَقَالَ لَهُ
خالد : لَقَدْ هَشَمْتَكَ هَاشِمَ ، وَأَمْتَكَ^(٢) أُمِيَّةَ ، وَخَزَمْتَكَ مَخْزُومَ ، وَجَحَّتَكَ
جُمَحَ ، وَسَهَمْتَكَ^(٣) سَهْمَهُمْ ، فَأَنْتَ أَبْنُ عَبْدِ دَارِهَا ، تَفْتَحُ الْأَبْوَابِ إِذَا أَغْلَقْتَ ،
وَتُفْلِقُهَا إِذَا فُتُّحَتْ .

جواب في هزل

كان المغيرة بن عبد الله الثقفي - وهو والي الكوفة - جدّي يوضع على
مائته ، فحضره أعرابي فدَيَده إلى الجدي ؛ وجعل يسرع فيه ، فقال له
المغيرة : إنك لتقا كله بحر^(٤) كان أمّه نطحنة ؛ قال قال : وإنك لمُشفِق
عليه كان أمّه أرضعتك . كان إبراهيم بن عبد الله بن مطیع جالساً عند هشام ،
إذ أقبل عبد الرحمن بن عنبسة بن سعيد بن العاص أحمر الجبة والمطرف
والعاممة ، فقال إبراهيم : هذا ابن عنبسة قد أقبل في زينة قارون . قال :
فضحك هشام . قال له عبد الرحمن : ما أضحك يا أمير المؤمنين ؟ فأخبره
بقول إبراهيم . فقال له عبد الرحمن : لو لا ما أخاف من غضبه عليك وعلى
المسلمين لأجبيته ؟ قال : وما تخاف من غضبه ؟ قال : بلغني أن الدجال يخرج

(١) في صروج الذهب : « يعلمها » .

(٢) أمّه : أصاب أم رأسه .

(٣) سهمتك : قرعتك وغلبتك .

(٤) حرد الرجل : إذا افتدا فتعرض بالذى غاظه وهم به .

من غَضْبَةِ يَغْضَبُهَا ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمَ أَعْوَرَ . قَالَ إِبْرَاهِيمُ : لَوْلَا أَنْ لَهُ عِنْدَهُ يَدًا
عَظِيمَةً لِأَجْبَتُهُ ؟ قَالَ : وَمَا يَدُهُ عِنْدَكَ ؟ قَالَ : ضَرَبَهُ غَلَامٌ لَهُ بَعْدِيَّةً فَأَصَابَهُ ، فَلَمَّا
رَأَى الدَّمَ فَزِعَ ، فَجَاءَهُ لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِ مَمْلُوكٌ إِلَّا قَالَ لَهُ : أَنْتَ حُرٌّ ، فَدَخَلَتُ
عَلَيْهِ عَائِدَّاً لَهُ ، فَقَلَتْ لَهُ : كَيْفَ نَجْدُكَ ؟ قَالَ لَيْ : أَنْتَ حُرٌّ ؟ قَلَتْ لَهُ : أَنَا إِبْرَاهِيمُ ؛
قَالَ لَيْ : أَنْتَ حُرٌّ . فَضَحِّكَ هَشَامٌ حَتَّى أَسْتَلَقَى .

بَيْنَ ابْنِ حَسَانِ
وَعَطَاءِ ثُمَّ بَيْنِ
حَارِثَةِ وَبَعْضِهِمْ

قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ بْنُ حَسَانَ لِعَطَاءَ بْنِ أَبِي صَيْفَيْ [بْنِ ثَابَتٍ] : لَوْأَصْبَتَ رَكْنَةً
مَلُوَّهَ حَمْرَأً بِالْبَقِيعِ مَا كَنْتَ صَانِعًا ؟ قَالَ : كَنْتُ أُعْرِفُهَا بَيْنَ التَّجَارِ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ
لَهُمْ فِيهِ لَكَ ؛ لَكِنْ أَخْبَرْنِي عَنِ الْفُرِيقَةِ أَكْبَرُ أُمَّ ثَابَتِ ؟ وَقَدْ تَرَوْجَهَا قَبْلَهُ أَرْبَعَةَ
كُلُّهُمْ يَلْقَاهَا بِمُثْلِ ذِرَاعِ الْبَكْرِ ، ثُمَّ يُطْلَقُهَا عَنِ الْقَلْيِ ، فَقَيْلَهَا : يَا فُرِيقَةَ ، لَمْ تُطْلَقْنِي
وَأَنْتَ جَمِيلَةٌ حُلُوةٌ ؟ قَالَتْ : يُرِيدُونَ الضَّيْقَ ضَيْقَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ . وَلَقِيَ رَجُلٌ مِّنْ ١٠
قُرُيشٍ ، كَانَ بِهِ وَضْحَ ، حَارِثَةَ^(١) بْنَ بَدْرٍ ، وَكَانَ مُغْرِمًا بِالشَّرَابِ ، فَقَالَ لَهَا :
أَشَعْرَتْ أَنَّهُ بَعْثَتْ نَبِيًّا لِهَذِهِ الْأُمَّةِ يُحِلِّ الْحُمْرَ لِلنَّاسِ ؟ قَالَ^(٢) : إِذَا لَأْنُصُّدُ بِهِ حَتَّى
يُبَرِّىءَ إِلَّا كَمَهُ وَالْأَبْرَصَ .

بَيْنَ الزَّبْرَقَانِ
وَزَيْدَ ثُمَّ بَيْنِ
الْفَرِزْدَقِ وَبَلَالِ

دَخَلَ الزَّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ عَلَى زَيْدٍ ، فَسَلَمَ تَسْلِيمًا جَافِيَا ، فَأَدَنَاهُ زَيْدٌ فَأَجْلَسَهُ
مَعْهُ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : يَا أَبَا عَيَّاشَ ، النَّاسُ يَضْحِكُونَ مِنْ جَفَائِكَ ؟ قَالَ : وَلَمْ ١٥
ضَحِّكُوا ؟ فَوَاللَّهِ إِنْ مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَدَّ أَنِّي أَبْوَهُ دُونَ أَبِيهِ لِغَيْرِهِ كَانَ أَوْ لِرِشْدَةِ .
دَخَلَ الْفَرِزْدَقُ عَلَى بَلَالَ بْنَ أَبِي بُرْدَةَ وَعِنْدَهُ نَاسٌ مِّنَ الْيَمَامَةِ يَضْحِكُونَ ،
فَقَالَ : يَا أَبَا فَرَاسَ ، أَتَدْرِي مَمْ يَضْحِكُونَ ؟ قَالَ : لَا أَدْرِي ؟ قَالَ : مَنْ
جَفَائِكَ ؟ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ ، حَجَجَتْ فَإِذَا رَجُلٌ عَلَى عَاقِهِ الْأَيْمَنِ صَبِّيَّ ،
وَأَمْرَأَةٌ آخِذَةٌ بِمِزْرَهِ ، وَهُوَ يَقُولُ :

أَنْتَ وَهَبْتَ زَانِدًا وَمَزِيدًا وَكَهْلَةً أُولَجَ فِيهَا الْأَجْرَدًا
وَهِيَ تَقُولُ : إِذَا شَئْتَ . فَسَأْلُتُ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قَيْلَ : مِنَ الْأَشْعَرِيَّينَ ،

(١) فِي الْأَصْوَلِ : « جَارِيَةٌ مِّنْ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصْوَلِ : « قَالَتْ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

١٥٠ فَأَنَا أَجْفَى مِنْ ذَلِكَ الرَّجُلِ؟ قَالَ: لَا حَيَاكَ اللَّهُ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّا لَا نُفْلِتُ مِنْكَ.

اجتمع رَجُلٌ كَوَسِجٌ^(١) مَعَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ^(٢)، فَقَالَ الْمُسْبِلُ: (وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبِثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا)، قَالَ الْكَوَسِجُ: قَلْ لَا يَسْتَقِي الْخَبِيثُ وَالْطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ . مَرَّ مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَكَانَ مِنْ أَجْنَبِ النَّاسِ، بِمُوسَوْسٍ عَلَى مَزْبَلَةٍ، فَقَالَ لَهُ الْمُوسَوْسُ: لَوْ رَأَكَ أَبُوكَ آدَمَ لَقَرَّتْ عَيْنُهُ بِكَ؛ قَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: لَوْ رَأَكَ أَبُوكَ آدَمَ لَأَذْهَبْتُ سَخْنَةً عَيْنِهِ بِكَ قَرَّةً عَيْنِهِ بِي ! وَكَانَ مَسْلَمَةُ مِنْ أَحْضَرِ النَّاسِ جَوَابًا .

١٠ خَرَجَ إِبْرَاهِيمَ النَّخْعَنِي وَقَامَ سُلَيْمَانُ الْأَعْمَشُ يَمْشِي مَعَهُ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْنَا قَالُوا: أَغْورُ وَأَعْمَشُ ! قَالَ: وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يَأْتُوا وَنُؤْجِرُ ؛ قَالَ: وَمَا عَلَيْكَ أَنْ يَسْلُمُوا وَنَسْلُمُ . وَقَالَ شَدَادُ الْحَارَثِيُّ: لَقِيتُ أَسْوَدَ الْبَادِيَةَ، فَقَلَتْ: لَمْ أَنْتَ يَا أَسْوَدَ ؟ قَالَ: لَسِيدُ الْحَيَّ يَا أَصْلَعَ ؛ قَلَتْ: مَا أَغْضَبَكَ مِنَ الْحَقِّ ؟ قَالَ لِي: الْحَقُّ أَغْضَبَكَ ؟ قَلَتْ: أَوْلَسْتَ بِأَسْوَدَ ؟ قَالَ: أَوْلَسْتَ بِأَصْلَعَ ؟ أَدْخَلَ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ السِّجْنَ — سِجْنُ الْكُوفَةِ — فِلَسِ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُرْأَةٍ فَأَتَكَأَ عَلَيْهِ الْمُرْتَى يُحَدِّثُهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرِي كَمْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ؟ قَالَ: أَمَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَلَا، وَلَكِنَّ أَعْرَفُ مِنْ قَتَلْنَا مِنْنَا فِي الإِسْلَامِ؛ قَالَ: وَمَنْ قَتَلْنَا مِنْكُمْ فِي الإِسْلَامِ ؟ قَالَ: أَنَا، قَدْ قَتَلْتَنِي بْنَتِنِي إِبْطِيلِكَ .

٢٠ مَرَّتْ أَمْرَأَةٌ مِنْ بَنِي نُمِيرٍ عَلَى تَجْلِسِهِمْ فِي يَوْمِ رِيحٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: إِنَّهَا لَرَسْحَاءٌ^(٣). قَالَتْ: وَاللَّهِ يَا بَنِي نُمِيرٍ مَا أَطْعَمْتُ اللَّهَ وَلَا أَطْعَمْتُ الشَّاعِرَ، قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُوُا مِنْ أَبْصَارِهِمْ). وَقَالَ الشَّاعِرُ:

* فَفُضَّلَ الْطَّرَفُ إِنْكَ مِنْ نُمِيرَ *

قَيْلُ لِشُرْبَحِ: أَيْهُمَا أَطِيبُ : الْجَوْزَنِيَّقُ أَمُ الْلَّوْزَنِيَّقُ^(٤)؟ قَالَ: لَسْتُ

(١) الْكَوَسِجُ: الَّذِي لَا شِعْرَ عَلَى عَارِضِيهِ . (٢) مُسْبِلُ، أَيْ قَدْ أُرْسَلَ لِحَيْتِهِ .

(٣) الرَّسْحَاءُ . الْقَلِيلَةُ لَهُ الْعِجْزُ وَالْفَخْذَيْنُ . (٤) الْجَوْزَنِيَّقُ وَالْلَّوْزَنِيَّقُ: مِنَ الْحَلَوَاءِ، يَعْمَلُ أَوْلَاهُمَا مِنَ الْجَوْزِ . وَثَانِيَهُمَا يَشْبَهُ الْقَطَائِفَ وَيَعْمَلُ بِدَهْنِ الْلَّوْزِ، وَأَصْلَهُمَا فِي الْفَارِسِيَّةِ كَوْزِيَّةً وَلَوْزِيَّةً . (انْظُرِ الْأَلْفَاظَ الْفَارِسِيَّةَ الْمَعْرِبِيَّةَ) .

لِشُرْبَحٍ
فِي الْجَوْزَنِيَّقِ
وَالْلَّوْزَنِيَّقِ
هَشَامُ وَالْفَرْزَدقُ

أُحْكِمَ عَلَى غَايَةِ . هَشَامُ بْنُ الْقَاسِمَ قَالَ : جَعْنِي وَالْفَرَزْدَقَ مَجْلِسٌ فَتَجَاهَلْتُ عَلَيْهِ فَقَلَّتْ : مَنْ الْكَهْلُ ؟ قَالَ : وَمَا تَعْرَفُنِي ؟ قَلَّتْ : لَا ؛ قَالَ : أَبُو فِرَاسُ ؟ قَلَّتْ : وَمَنْ أَبُو فِرَاسُ ؟ قَالَ : الْفَرَزْدَقُ ؟ قَلَّتْ : وَمَنْ الْفَرَزْدَقُ ؟ قَالَ : وَمَا تَعْرَفُ الْفَرَزْدَقَ ؟ قَلَّتْ : لَا أَعْرَفُ الْفَرَزْدَقَ إِلَّا شَيْئًا يَفْعَلُهُ النِّسَاءُ إِذْنَنَا يَتَشَهَّدُنَّ بِهِ كَهْيَةَ السَّوَيْقِ ؟ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي فِي بُطُونِ نِسَائِكُمْ يَتَشَهَّدُنَّ بِي .

بَيْنَ هَشَامَ
وَالْأَبْرَشَ

قَالَ هَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكَ لِلْأَبْرَشِ الْكَابِيَ : زَوْجِنِي أُمْرَأَةٌ مِنْ كَلْبٍ ، فَزَوَّجَهُ ، فَقَالَ لَهُ ذَاتَ يَوْمٍ : لَقِدْ وَجَدْنَا فِي نِسَاءِ كَلْبٍ سَعَةً ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، نِسَاءُ كَلْبٍ خَلَقْنَاهُنَّ لِرِجَالِ كَلْبٍ . وَقَالَ لَهُ يَوْمًا : وَهُوَ يَتَغَدَّى مَعَهُ : يَا أَبْرَشَ ، إِنَّ أَكْلَكَ أَكْلًا مَعَدَّى ؟ قَالَ : هَيَّاهَا ! تَأْبِي ذَلِكَ قُضَايَا .

بَيْنَ عَمَّارَةَ
وَشَيْطَانَ الطَّاقِ
فِي حُضُورِ الْمَهْدِيِّ
ثُمَّ بَيْنَ كَنْدِيِّ
وَآخَرَ ثُمَّ بَيْنَ خَالِدَ
ابْنَ صَفْوَانَ
وَالْفَرَزْدَقَ

عُمَارَةُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ الْبَصْرِيِّ قَالَ : لَمَّا مَاتَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَ ١٠ أَبُو حَنِيفَةَ^(١) لِشَيْطَانِ الطَّاقِ^(٢) : مَاتَ إِمامُكَ ، وَذَلِكَ عِنْدَ الْمَهْدِيِّ ؟ فَقَالَ شَيْطَانُ الطَّاقِ : لَكِنَّ إِمامَكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ . فَضَحَّكَ الْمَهْدِيُّ مِنْ قَوْلِهِ ، وَأَمْرَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . الْعُقْبَى قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ : لَا افْتَحْ النَّجِيرَ ، وَهِيَ مَدِينَةٌ بَالْيَمِينِ ، سَمِعَ رَجُلٌ مِنْ كِنْدَةِ رَجَلًا وَهُوَ يَقُولُ : وَجَدْنَا فِي نِسَاءِ كِنْدَةٍ سَعَةً ؟ فَقَالَ لَهُ : إِنَّ نِسَاءَ كِنْدَةَ مَكَاحِلُ فَقَدَّتْ مَرَادِهَا . ١٥ اتَّقِ خَالِدَ بْنَ صَفْوَانَ الْفَرَزْدَقَ ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُدَاعِبُهُ ، وَكَانَ الْفَرَزْدَقَ دَمِيَّا ، فَقَالَ لَهُ : يَا أَبَا فِرَاسَ ، مَا أَنْتَ بِالَّذِي لَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَاهُ وَقَطَّعْنَاهُ أَيْدِيهِنَّ ؟ قَالَ لَهُ : وَلَا أَنْتَ أَبَا صَفْوَانَ بِالَّذِي قَالَتْ فِيهِ الْفَتَاهُ لِأَبِيهَا : (يَا أَبَتَ أَسْقَأْ جِرْهَ إِنَّ خَيْرَ مَنْ أَسْتَأْجَرَتَ الْقَوَىُّ الْأَمِينُ).

بَيْنَ مَتَّبِعِيْنَ ثُمَّ
بَيْنَ ابْنِ حَنْتَمَةَ
وَمُحَدِّثَ

بَاعَ رَجُلٌ ضَيْعَةً مِنْ رَجُلٍ ، فَلَمَّا انتَقَدَ الْمَالَ قَالَ الْمُشْتَرِيُّ : أَمَّا وَاللَّهِ لَقِدْ أَخْذَتَهَا كَثِيرَةَ الْمَوْنَةِ ، قَلِيلَةَ الْمَعْوَنَةِ ؟ قَالَ لَهُ الْمُشْتَرِيُّ : وَأَنْتَ وَاللَّهِ أَخْذَتَهَا بِطِيَّةَ الْاجْتِمَاعِ ، سَرِيعَةَ الْاِفْتِرَاقِ . وَاشْتَرَى رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ دَارًا ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ :

(١) لَعْلَهُ أَبُو حَنِيفَةَ حَرْبَ بْنَ قَيْسَ .

(٢) فِي الْأَصْوَلِ : « الطَّارِقُ » فِي الْمَوْضِعِيْنَ . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

لو صبرت لاشتريت منك الذراع بعشرة دنانير ؟ قال له البائع : وأنت لو صبرت لاشتريت مني الذراع بدرهم . وكان [بالرقة] رجل يُحَدِّث بأخبار بني إسرائيل ، فقال له الحجاج بن حنتمة^(١) : كيف كان أسم بقرة بني إسرائيل ؟ قال : حنتمة ؛ فقال له رجل من ولد أبي موسى الأشعري : أين وجدت هذا ؟ قال : في كتاب عمرو بن العاص .

وقال رجل للشعبي : ما كان أسم امرأة إبليس ؟ قال : إن ذلك نكاح ما شهدناه . ودخل رجل على الشعبي فوجده قاعداً مع امرأة ، فقال : أيها الشعبي ؟ قال الشعبي : هذه ، وأشار إلى المرأة . كان معن بن زائدة ظنيناً في دينه ، فبعث إلى ابن عياش^(٢) المفتوف بألف دينار ، وكتب إليه : قد بعثت إليك بألف دينار ، اشتريت بها منك دينك ، فاقبض المال واكتُب إلى التسليم . فكتب إليه : قد قبضت المال وبعتك به ديني خلا التوحيد ، لِمَا علِمْتُ من زهادك فيه .
 ١٠
 بعث بلال بن أبي بردة في ابن أبي علقة الممرور ، فلما أتى به قال : أتدرى لما بعثت إليك ؟ قال : لا أدرى ؛ قال : بعثت إليك لأصححك بك ؟ قال : لئن فعلت لقد ضحك أحد الحكماء من صاحبه ، يُعرض له بجده أبي موسى ،
 ١٥
 فغضِّب منه بلال وأمر به إلى الحبس . فكلَّمه الناس وقالوا : إن الجنون لا يُعاقب ولا يُحاسب ، فأمر بإطلاقه وأن يؤتى به إليه . فأتى به في يوم سبت وفي كمه طرائف أتحف بها في الحبس ، فقال له بلال : ما هذا الذي في كمه ؟
 قال : من طرائف الحبس ؟ قال : ناولني منها ؛ قال : هو يوم سبت ليس يُعطى فيه ولا يؤخذ ؛ يُعرض بعممة كانت له من اليهود . دخل حسان بن ثابت على عائشة رضي الله عنها فأنشد لها :

حَصَانٌ رَزَانٌ مَا تُرَنْ بِرِيشَةٍ وَتُصْبِحُ غَرْثَى مِنْ لُحُومِ الْفَوَافِلِ

قالت له : لـكـنـكـ لـسـتـ كـذـلـكـ ، وـكـانـ حـسـانـ مـنـ الـذـيـ جـاءـواـ بـالـإـلـفـكـ .

(١) كذلك في البيان والتبيين (ج ٣ ص ١٩٤) والكامل . والذى فى الأصول : « خيضة » .

(٢) فى الأصول : « عباس » . وهو تحريف . انظر عيون الأخبار والمعارف .

نظر رجلٌ من الأزد إلى هلال بن الأحوز^(١) حين قدم من قنديبل^(٢) ، وقد أطافت به بنو تميم فقال: انظروا إليهم وقد أطافوا به إطافة الحوار بين عيسى . فقال له محمد بن عبد الملك المازني : هذا ضد عيسى ، عيسى كان يحيي الموتى وذا يُميت الأحياء . لاحقته لحية ربيعة [بن أبي عبد الرحمن] ، كانت امرأة من المسجد تقف عليه كل يوم في حلقته ، وتقول : الله لك يا بن^(٣) أبي عبد الرحمن ! ٥

بین ابن الأحوز
ورجل من الأزد
ومحمد المازني ثم
بین ربيعة وبعض
النساء ثم بین
سید وبعض
الرجال

النار ؟ قال : وما تفعلك ؟

لما قدم الحجاج العراق واليأ عليها خرج عبيد الله بن ظبيان متوكلاً على
مولى له وقد ضربه الفاراج، فقال : قدم العراق رجل على ديني ؟ فقال له حضرين
ابن المنذر الرقاشي : فهو إذاً منافق ؟ قال عبيد الله : إنه يقتل المنافقين ؛ قال له
حضورين : إذاً يقتلك . لما قدم عبد الملك بن مروان المدينة نزل دار مروان ،
فمر الحجاج بخالد بن يزيد بن معاوية وهو جالس في المسجد ، وعلى الحجاج سيف
محلي ، وهو يخطير متبخرتاً في المسجد ، فقال له رجل من قريش : من هذا
التخطارة ؟ فقال خالد : بخ بخ ! هذا عمرو بن العاص . فسمعه الحجاج فمال
إليه ، فقال : قلت : هذا عمرو بن العاص ! والله ما سرني أن العاص ولدني ولا ولدته ،
ولكن إن شئت أخبرتك من أنا ، أنا ابن الأشياخ من ثقيف ، والعوائل من
قريش ، والذي ضرب مائة ألف بسيفة هذا ، كلهم يشهد على أبيك بالكفر
وشرب الخمر ، حتى أقرؤا أنه خليفة ، ثم ولي وهو يقول : هذا عمرو بن العاص !

بین ابن طبيان
وحفصین ثم بین
خالد بن يزید
والحجاج

(١) في الأصول : « الأحور » بالراء المهملة ، وهو تصحيف .

(٢) كذا في معجم ما استعجم للبكرى . والذى فى الأصول: «فداديل» . وهو تحرير .

(٣) في الأصول : « يا أبا » مكان « يابن أبي » وهو تحرير . (انظر تهذيب التهذيب

قال رجلٌ من بني لَهُبِّ لَوَهْبِ بْنِ مُنْبَهٍ : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قال : رَجُلٌ مِّنْ الْيَمِنِ ؛ قَالَ : فَمَا فَعَلْتُ أَمْكُمْ بِلِقَيْسِ ؟ قَالَ : هَاجَرْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ اللَّهُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَأَمْكُمْ حَمَالَةُ الْحَطَبِ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّنْ مَسَدٍ . وَقَالَ رَجُلٌ لِابْنِ شُبْرَمَةَ : مِنْ عَنْدِنَا خَرَجَ الْعِلْمُ إِلَيْكُمْ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، ثُمَّ لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْكُمْ . نَظَرَ يَزِيدُ بْنُ مُنْصُورٍ ، خَالُ الْمَهْدِيِّ ، إِلَى يَزِيدَ بْنَ مَزِيدَ ، وَعَلَيْهِ رِدَاءُ يَمَانٍ وَهُوَ يَسْجُبُهُ ، فَقَالَ : لَيْسَ عَلَيْكَ غَزْلُهُ ، فَأَسْجَبْ وَجْرُهُ ؟ قَالَ لَهُ : عَلَى آبَائِكَ غَزْلُهُ ، وَعَلَى سَجْبِهِ . فَشَكَاهُ إِلَى الْمَهْدِيِّ ؛ فَقَالَ : لَمْ تَجِدْ أَحَدًا تَتَعَرَّضُ لَهُ إِلَى يَزِيدَ بْنَ مَزِيدَ !

١٠ دَخَلَ أَبُو يَقْظَانَ الْقَيْسِيَّ عَلَى يَزِيدَ بْنَ حَاتِمَ ، وَهُوَ وَالِيُّ مِصْرٍ وَعِنْدَهُ هَاشِمُ بْنُ حُدَيْجٍ ، فَقَالَ لَهُ يَزِيدٌ : حَرَّكَهُ ، وَعَلَى أَبِي الْيَقْظَانِ حُلَّةٌ وَشَنِيْ وَكِسَاءُ خَزَّ ؛ فَقَالَ هَاشِمٌ : الْحَمْدُ لِلَّهِ أَبَا الْيَقْظَانِ ، لَدِيْسْتُمُ الْوَشَنِيَّ بَعْدَ الْعَبَاءِ ؛ قَالَ : أَجَلْ ، تَحْوِكُونَ وَنَلْبِسُ ، فَلَا عَدِمْتُمْ هَذَا مِنْنَا ، وَلَا عَدِمْنَا هَذَا مِنْكُمْ . كَتَبَ الْفَرْزَدقُ إِلَى عَبْدِ الْجَبَارِ بْنِ سَلْمَى الْمُجَاشِعِيِّ يَسْتَهْدِيهِ جَارِيَةً ، وَهُوَ بُعْمَانٌ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ :

كَتَبَتْ إِلَى تَسْتَهْدِي الْجَوَارِيِّ لَقَدْ أَنْعَطْتَ مِنْ بَلْدَ بَعِيدٍ

١٥ وَقَالَ رَجُلٌ مِّنَ الْعَرَبِ : رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ الْجَنَّةَ فِي مَنَامِي ، فَرَأَيْتُ جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنَ الْقُصُورِ ، فَقَلَتْ : مَنْ هَذِهِ ؟ فَقَيْلَ لِي : لِلْعَرَبِ ؛ قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِّنَ الْمَوَالِيِّ : أَصَعِدْتُ الْغُرْفَ ؟ قَالَ : لَا ؛ قَالَ : تَلَكَ لَنَا . قَالَ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ صَفْوَانَ ، وَكَانَ أَمِيَّا ، لَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرَ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَبَا جَعْفَرَ ، لَقَدْ صَرَّتْ حُجَّةً لِفِتْيَانَنَا عَلَيْنَا ، إِذَا نَهَيْنَاهُمْ عَنِ الْمَلَاهِيِّ قَالُوا : هَذَا ابْنُ جَعْفَرَ سَيِّدُ بْنِ هَاشِمٍ يَحْضُرُهَا وَيَتَخَذُهَا ؛ قَالَ لَهُ : وَأَنْتَ أَبَا صَفْوَانَ صَرَّتْ حُجَّةً لِصَبِيَّانَنَا عَلَيْنَا ، إِذَا لَمْنَاهُمْ فِي تَرْكِ الْمَكْتَبِ قَالُوا : هَذَا أَبُو صَفْوَانَ سَيِّدُ بْنِ جُحْجَةَ لَا يَقْرَأُ آيَةً وَلَا يَخْطُطُهَا . قَالَ مُعَاوِيَةَ لَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرَ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً ؛ قَالَ : بِحَاجَةٍ تَقْضِيهَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَسَأَلَ حَاجَتَكَ ؛ قَالَ : أَرِيدُ أَنْ تَهَبَ لِي دُورَكَ وَضِيَاعَكَ بِالظَّائِفَ ؟ قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ؛ قَالَ : وَصَلَّتَكَ

رَحِيم ، فَسَأَلْ حاجتك ؛ قال : حاجتى إِلَيْكَ أَنْ ترْدَهَا عَلَى يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛
قال : قد فعلتُ . وقال رجل لثَمَّامَةَ بْنَ أَشْرَسَ : إِنَّ لِي إِلَيْكَ حاجَةً ؛ قال :
وَأَنَا لِي إِلَيْكَ حاجَةٌ ؛ قال : وما حاجتك ؟ قال : فَتَقْضِيهَا ؟ قال : نَعَمْ ، فَلَمَّا
تَوَثَّقَ مِنْهُ قَالَ : فَإِنْ حاجَتِي إِلَيْكَ أَلَا تَسْأَلَنِي حاجَةً .

جواب في خبر

٥ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرْوَةَ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : تَفَاخِرْ عَمْرُو بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ
وَخَالِدٌ بْنُ يَزِيدِ بْنِ مُعاوِيَةَ عِنْدَ عَبْدِ الْمَالِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَالِكَ لِشِيفَخَ مِنْ
مَوَالِي قُرْيَاشَ : أَقْضِ بَيْنَهُمَا ؟ فَقَالَ الشِيفَخُ : كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ لَا يَعْتَمِدُ أَحَدًا
فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ بِالْوَنِعَامَقَةِ ، وَكَانَ حَرْبُ بْنُ أَمِيَّةَ لَا يُبَشِّكُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ بَنِي
أَمِيَّةِ مَا كَانَ فِي الْبَلَدِ شَاهِدًا ، فَلَمَّا مَاتَ سَعِيدٌ وَحَرْبٌ شَاهِدُ لَمْ يُبَشِّكْ عَلَيْهِ .

١٠ ١٥ قال الأَبْرَشُ الْكَلَبِيُّ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ : هَلْمُ أَفَاخْرُكَ ، وَهَا عِنْدَ هَشَامَ بْنَ
عَبْدِ الْمَالِكِ ، قَالَ لَهُ خَالِدٌ : قُلْ ، فَقَالَ لَهُ الأَبْرَشُ : لَنَا رُبْعُ الْبَيْتِ — يُرِيدُ الرَّوْثَ كَنْ
الْيَمَانِيَّ — وَمَنَا حَاتِمُ طَيَّيَّ ، وَمَنَا الْمَهْلَبُ بْنُ أَبِي صُفْرَةَ . فَقَالَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ :
مَنَا النَّبِيُّ الْمَرْسُلُ ، وَفِينَا الْكِتَابُ الْمُنْزَلُ ، وَلَنَا الْخَلِيفَةُ الْمُؤْمَلُ . قَالَ الأَبْرَشُ :
لَا فَاخْرَتُ مُضْرِيَّا بَعْدَكَ . وَنَزَلَ بْنُ الْعَبَاسَ قَوْمٌ مِنَ الْيَمَانِ مِنْ أَخْوَالِهِ مِنْ
كَعْبَ (١) ، فَفَخَرُوا عِنْدَهُ بِقَدِيمِهِمْ وَحَدَّيْهِمْ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَاسِ (٢) خَالِدُ بْنُ
صَفْوَانَ : أَجَبُ الْقَوْمَ ؟ فَقَالَ : [أَخْوَالُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ] ؛ قَالَ : لَا بَدَ أَنْ
تَقُولَ ؛ قَالَ : وَمَا أَقُولُ] يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لِقَوْمٍ هُمْ بَيْنَ حَائِكَ بُرُودَ ، وَدَابِغَ جِلْدَ ،
وَسَائِسَ قِرْدَ ، مَلَكَتْهُمْ أُمْرَأَةٌ ، وَدَلَّ عَلَيْهِمْ هُدَدَهُ ، وَغَرَّقَتْهُمْ فَارَةٌ . فَلَمْ يَقُمْ
بَعْدَهَا لِيَمَانِيَّ قَائِمَةً .

٢٠ قال عَبْدُ الْمَالِكِ بْنِ الْحَجَاجَ : لَوْ كَانَ رَجُلٌ مِنْ ذَهَبِ لِكُنْفُتِهِ . قَالَ لَهُ رَجُلٌ

تفاخر عمرو بن
سعید و خالد بن
يزید في حضرة
عبد الملك

بین الأبرش
و خالد بن صفووان
عند هشام ثم بین
خالد وقوم من
اليمن

بین عبد الملك
ابن الحجاج
وبعضهم ثم بین
عمر بن عبيد الله
وأميمة

(١) فِي الْأَصْوَلِ : «كَلَبٌ» . وَهُوَ تَحْرِيفٌ . فَأَمَّا السَّفَاحُ مِنْ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ .

(٢) فِي الْأَصْوَلِ : «هَشَامٌ» . وَهُوَ تَحْرِيفٌ . (انظُرْ الْحَاشِيَةَ رَقْمٌ ٣٣٠ مِنَ الْجَزْءِ

الثَّالِثِ مِنْ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ) .

من قريش: وكيف ذلك؟ قال: لم تلدني أمة يبني وبين آدم ماخلا هاجر؟ فقال له: لو لا هاجر لـكنت كلبا من الكلاب. دخل عمر بن عبد الله [بن معمر على عبد الملك بن مروان وعليه حبرة صدأ^(١)] عليها أثر الحائل، فقال له أمية بن عبد الله^(٢) بن خالد بن أسيد: يا أبا حفص، أى رجل أنت لو كفت من غير من أنت منه من قريش؟ قال: ما أحب أنني من غير من أنا منه، إن مثلك سيد الناس في الجاهلية عبد الله بن جدعان، وسيد الناس في الإسلام أبا بكر الصديق، وما كانت هذه يدي عندك، إني استنقذت أمها وأولادكم عدوكم أبي فديك^(٣) بالبحرين، وهن حبالي، فولدن في حجابةك.

قال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد [بن المغيرة] لمعاوية: أما والله لو كننا [عكلة على السواء] لعلمت! قال معاوية: إذا كنت أكون معاوية بن أبي سفيان، متزلي الأبطح^(٤)، ينشق عن سيله^(٥)، وكنت عبد الرحمن بن خالد، متزلك أجياد^(٦)، أعلى مدراة، وأسفله عذرة. تنازع الزبير بن العوام وعثمان بن عفان في بعض الأمر، فقال الزبير: أنا ابن صفية؟ قال عثمان: هي أذنك من الظل، ولو لا ذاك لـكنت ضاحيأ.

قال أحمد بن يوسف الكاتب محمد بن الفضل^(٧): يا هذا، إنك تتطاول بهاشم لأنك جمعتها، وهي تعتقد في أكثر من خمسة آلاف؟ قال له محمد بن الفضل:

(١) في بعض الأصول: «صدأ».

(٢) كذا في الجزء الأول من هذه الطبعة وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٧١). والذى في الأصول هنا: «عبد الملك».

(٣) هو عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة، وكان رأسا من رؤوس الحوارج. وكان غلب على البحرين وهزم أمية بن عبد الله، فبعث إليه عبد الملك عمر بن عبد الله فقتل أبا فديك واستباح عسكره. (انظر الكامل لابن الأثير) والذى في الأصول «ابن» وهو تحرير.

(٤) الأبطح: كل مسيل فيه دقاق الحصا، والأبطح يضاف إلى مكة وإلى منى، لأن المسافة بينه وبينهما واحدة، وربما كان إلى منى أقرب.

(٥) في بعض الأصول: «سبيله». وما أثبتناه عن سائر الأصول وعيون الأخبار (ج ١ ص ٢٢١).

(٦) أجياد: موضع عكلة يلي الصفا.

(٧) في: «المفضل».

إِنَّ كُثْرَةَ عَدُدِهَا لَيْسَ يُخْرِجُ مِنْ عَنْقِكَ فَضْلًا وَاحِدَهَا . فَيَخْرُجُ مَوْلَى لِزِيَادَ بْنِ يَاهْدَى
عِنْدَ مُعَاوِيَةَ . قَالَ لَهُ مُعَاوِيَةَ : أَسْكُتْ ، فَوَاللهِ مَا أَدْرِكَ صَاحِبُكَ شَيْئًا بِسَيْفِهِ إِلَّا
أَدْرَكْتُ أَكْثَرَ مِنْهُ بِلَسَانِي .

وقال رجل من مخزوم للأحوص [محمد] بن عبد الله الأنصاري : أتعرف
من يجلس على العرش ؟ قال : أنا أعرفه ، أنا الذي يقول :
أنت يا رب العالمين .

قال : لا ، ولكنني أعرف الذي يقول : ذهبت قريش بالمكان كلها والذل تحت عمائم الأنصار ؟

الناسُ كَنَّهُ أبا حَكْمٍ وَاللهُ كَنَّاهُ أبا جَهْلٍ
أبْقَتْ رِيَاسَتَهُ لَا شَرِّهُ لَوْمَ الْفُرُوعِ وَرِقَةً^(١) الْأَصْل

سأل رجلٌ من قُرُيشٍ رجلاً من بني قَيسٍ بن ثعلبة : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : ۖ
الأشعثُ وشريحٌ
وبيهوديٌّ ثم بين
 وبين قريشى
من ربعة ؛ قال له القرشى : لَا أَثْرِكُ بِبَطْحَاءِ مَكَّةَ ؛ قال القيسي : آثارُنا
فِي أَكْنَافِ الْجَزِيرَةِ مَشْهُورَةٌ ، وَمَا وَقَفْنَا فِي يَوْمِ ذِي قَارَ مَعْرُوفَةٌ ، فَأَمَّا مَكَّةُ فَسَوْابِعُ
الْعَاكِفُ فِيهَا وَالْبَادِي ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى ، فَأَخْفِمْهُ . قال الأشعث بن
قيس لشريح القاضى : شَدَّ مَا ارْتَفَعَ ! قال : فَهَلْ ضَرَّكَ ؟ قال : لَا ؛ قال :
فَأَرَاكَ تَعْرِفُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى غَيْرِكَ ، وَتَجْهِلُهَا عَلَى نَفْسِكَ .

قال سليمان بن عبد الملك ليزيد بن المهلب : فَيَمْنَ الْعِزَّ بِالْبَصَرَةِ ؟ قَالَ : فِينَا ،
وَفِي أَحْلَافِنَا مِنْ رَبِيعَةٍ ؟ قَالَ لَهُ سليمان بن عبد الملك ^(٢) : الَّذِي تَحَالَّفَتْ مَعَهُ
أَعْزَزْ مَنْكَا . قَدِمْ أَعْرَابِيَّ البَصَرَةَ فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ الْجَامِعَ ، وَعَلَيْهِ خُلْقَانٌ ^(٣) وَعَمَامَةٌ
قَدْ كَوَرَهَا عَلَى رَأْسِهِ ، فَرَمَى بِطَرْفِهِ يَمْنَةً رِيسَرَةً ، فَلَمْ يَرَ فَتِيَّةً أَحْسَنَ وُجُوهاً
وَلَا أَظْهَرْ زَيْنًا مِنْ فَتِيَّةِ حَضَرَوا حَلْقَةَ عُتْبَةَ الْمَخْزُومِيِّ ، فَدَنَا مِنْهُمْ وَفِي الْحَلْقَةِ
فُرْجَةٌ فَطَبَّقَهَا ^(٤) ، فَقَالَ لَهُ عُتْبَةُ : مَنْ أَنْتَ يَا أَعْرَابِيَّ ؟ قَالَ : مَذْحِجٌ ؛ قَالَ :
بَيْنَ سَلِيمَانَ وَيَزِيدَ ابْنَ الْمَهْلَبِ ثُمَّ بَيْنَ أَعْرَابِيَّ وَعُتْبَةَ

(١) في بعض الأصول : « دقة » .

(٢) في بعض الأصول: «عمر بن عبد العزى».

(٣) في بعض الأصول : « دلائلنات » .

(٤) طبقها، أى سدتها وغطاها.

من زَيْدِهَا الْأَكْرَمِينَ ، أَوْ مِنْ مُرَادِهَا الْأَطْيَبِينَ ؟ قَالَ : لَسْتُ مِنْ زَيْدِهَا
وَلَا مِنْ مُرَادِهَا ؛ قَالَ : [فَمَنْ أَنْتُ ؟ قَالَ] : فَإِنِّي مِنْ حُمَّةِ أَعْرَاضِهَا ، وَزَهْرَةِ رِياضِهَا
بْنِ زُبِيدٍ . قَالَ : فَأَنْتُ عُقْبَةً حَتَّى وَضَعَ قَلْنَاسُوتَهُ عَنْ رَأْسِهِ ، وَكَانَ أَصْلَعُ ، فَقَالَ لَهُ
الْأَعْرَابِيُّ : فَأَنْتَ يَا أَصْلَعُ ، مَنْ أَنْتُ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلُ مِنْ قُرْيَشٍ ؛ قَالَ : فَمَنْ يَدْعُ
نُبُوَّتَهَا ، أَوْ مَنْ يَدْعُ مَمْلَكَتَهَا ؟ قَالَ : إِنِّي مِنْ رَجَّاحَاتِهَا بْنِ مَخْزُومٍ ؛ قَالَ : وَاللهِ
لَوْ تَدْرِي لَمْ سَمِّيَتْ بْنُو مَخْزُومٍ رِيحَانَةَ قُرْيَشٍ ، مَا نَفَرْتُ بِهَا أَبْدًا ، إِنَّمَا سَمِّيَتْ
رِيحَانَةَ قُرْيَشٍ لِخَوْرِ رِجَالِهَا ، وَلِيَنِ نِسَاءِهَا ؛ قَالَ عَقْبَةُ : وَاللهِ لَا نَازَعْتُ أَعْرَابِيَا
بَعْدَكَ أَبْدًا .

وَضَعَ فَيْرُوزَ [بْنَ] حُصَيْنَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ نُمِيلَةَ بْنِ مَالِكَ بْنِ أَبِي عُكَابَةِ
عِنْدَ زِيَادٍ ، فَقَالَ : مَنْ هَذَا الْعَبْدُ ؟ قَالَ : أَنْتَ الْعَبْدُ ، ضَرَبَ بِنَاكَ فَمَا أَنْتَ صَرَتْ ،
وَمَنَفَّنَا عَلَيْكَ فَمَا شَكَرْتَ . أَجْتَمَعَتْ بَسْكَرَ بْنَ وَائِلَ إِلَى مَالِكَ بْنِ مِسْمَعَ لِأَصْرِ
أَرَادَهُ مَالِكٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَكْرَ بْنَ وَائِلَ وَأَرْسَلَ إِلَى عُبَيْدَ اللَّهِ بْنَ [زِيَادَ بْنَ]
ظَبِيَانَ ، فَأَتَى عُبَيْدَ اللَّهِ ، فَقَالَ : يَا أَبَا مِسْمَعٍ ، مَا مَنَعَكَ أَنْ تُرْسِلَ إِلَيَّ ؟ قَالَ :
يَا أَبَا مَطْرَ ، مَا فِي كِنَانَتِي^(١) سَهْمٌ أَنَا أَوْثَقُ بِهِ مِنْ بِكَ . قَالَ : وَإِنِّي لَقِيَ كِنَانَتَكَ !
أَمَّا وَاللهِ لَئِنْ كُنْتُ فِيهَا قَائِمًا لَا طُولَنَّهَا ، وَلَئِنْ كُنْتُ فِيهَا قَاعِدًا لَا خِرْقَنَهَا .

نَازَعَ مَالِكُ بْنِ مِسْمَعَ شَقِيقَ بْنَ ثَوْرٍ ، فَقَالَ لَهُ مَالِكُ : إِنَّمَا شَرَفَكَ قَبْرُ
بِتُسْتَرٍ ؛ قَالَ شَقِيقٌ : لَكِنَ وَضَعُكَ قَبْرٌ بِالْمُشَقَّرِ . وَذَلِكَ أَنَّ مِسْمَعًا أَبَا مَالِكَ جَاءَ
إِلَى قَوْمٍ بِالْمُشَقَّرِ ، فَنَبَحَهُ كَلْبُهُمْ ، فَقَتَلُوهُ بِهِ ، فَكَانَ يَقَالُ لَهُ : قَتْلَيْلُ
الْكَلَابِ . وَأَرَادَ مَالِكٌ قَبْرَ مَجَاهَةَ^(٢) بْنَ ثَوْرٍ ، أَخِي شَقِيقٍ ، وَكَانَ اسْتُشَهِدَ بِتُسْتَرٍ
مَعَ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ . قَالَ قَتْبِيَةَ بْنَ مُسْلِمٍ لِهُبَيْرَةَ بْنَ مَسْرُوحَ : أَى رَجُلٍ
أَنْتَ لَوْ كَانَتْ أَخْوَالُكَ مِنْ غَيْرِ سَلَولٍ ! فَبَادَلَهُمْ ؛ قَالَ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمْرُ ،
بَادَلَهُمْ مَنْ شَاءَتْ وَجَنَّبَنِي بِاَهْلَهُ . وَكَانَ قَتْبِيَةَ مِنْ بِاَهْلَهُ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بْنِي كِنَانَةً » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٢) فِي الْأَصْوَلِ : « مَجَادَةً » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

جواب ابن أبي دواد

قال أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ لَهُمْ بْنُ [عَبْدِ الْمَلِكِ] الْزِيَّاتُ^(١) عَنْ الْوَاثِقِ: أَضْوَى أَيْ اسْكَتَ - بِالْتَّبَطِيهِ - ؟ فَقَالَ لَهُ: مَاذَا وَاللَّهُ ؟ مَا أَنَا بِنَبَطِيٍّ وَلَا بِدَعِيٍّ ؟ قَالَ لَهُ: لَيْسَ فَوْقَكَ أَحَدٌ يَفْضُلُكَ^(٢)، وَلَا دُونَكَ أَحَدٌ تَنْزَلُ إِلَيْهِ، فَأَنْتَ مُطْرَحٌ فِي الْحَالَتَيْنِ جَمِيعًا. وَدَخَلَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ عَلَى أَشْنَاسَ، فَقَالَ لَهُ: بِلَغْنِي أَنْكَ أَفْسَدْتَ هَذَا الرَّجُلَ، [يَعْنِي] مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ، وَهُوَ لَنَا صَدِيقٌ، فَأَحَبْتَ أَنْ لَا تَأْتِينَا ؟ قَالَ لَهُ أَبْنَ أَبِي دُوَادَ: أَنْتَ رَجُلٌ صَنَعْتَكَ هَذِهِ الدُّولَةَ، فَإِنْ أَتَيْنَاكَ فَلَهَا، وَإِنْ تَرَكْنَاكَ فَلَنْفَسْكَ. قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادَ: دَخَلْتُ عَلَى الْوَاثِقِ، فَقَالَ: مَا زَالَ قَوْمٌ الْيَوْمَ فِي ثَلْبِكَ وَنَقْصِكَ ؟ فَقَلَّتْ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، لَكُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنِ الْإِثْمِ، وَالَّذِي تُولِي كَبِيرُهُمْ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ، فَاللَّهُ وَلِيَ جَزَاهُ، وَعِقَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ وِرَاهِهِ، وَمَا ضَاعَ أَمْرٌ وَأَنْتَ حَاطِهُ، وَلَا ذَلَّ مَنْ كَنْتَ نَاصِرَهُ، فَمَاذَا قَلْتَ لَهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ:

وَسَعَى إِلَيْهِ بَعِيْبَ عَزَّةَ نِسْوَةً جَعَلَ الْمَلِيكُ خُدُودَهُنَّ نِعَالَهَا

هو محمد بن عبد الملك ثم
اشناس ثم الواثق

وَقَالَ أَبُو الْعَيْنَاءُ الْهَاشِمِيُّ: قَلَّتْ لَأَبْنَ أَبِي دُوَادَ: إِنَّ قَوْمًا تَضَافَرُوا عَلَيْهِ ؟ قَالَ: (يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ). قَلَّتْ: إِنَّهُمْ جَمَاعَهُ ؟ قَالَ: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ). قَلَّتْ: إِنَّهُمْ مَكْرُورُ أَمْرٍ ؟ قَالَ: (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُورُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ). قَالَ أَبُو الْعَيْنَاءُ: خَدَّثْتُ بِهِ أَحْمَدَ بْنَ يُوسُفَ الْكَاتِبَ، فَقَالَ: مَا يُرِيَ أَبْنُ أَبِي دُوَادَ إِلَّا أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا أُنْزَلَ عَلَيْهِ.

هو أبو العيناء
الهاشمي

جواب في تفحش

خَطَبَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ، فَقَالَ: يَا أَهْلَ الْبَادِيَةِ، مَا أَخْشَنَّ بِلَدَكُمْ ! وَأَغْلَظَ مَعَاشَكُمْ ! وَأَجْفَنَ أَخْلَاقَكُمْ ! لَا تَشْهُدُونَ جُمْعَةً، وَلَا تُجَالِسُونَ عَالَمًا.

بين خالد القسري
وبدوى ثم بين
موسى بن مصعب
وأميرة

(١) فِي الأَصْوَلِ: « مُحَمَّدُ بْنُ الرَّبَّابِ ». وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) فِي الأَصْوَلِ: « يَقْتَلُكَ ». وَظَاهِرٌ أَنَّهُ مُحْرَفٌ عَمَّا أَتَيْنَا.

فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : أَمَا ماذكرت من خُشونة بلدنا ، وغِلاظ طعامنا ، [وجفاء أخلاقنا] فهو كذلك ؛ ولَكُنكم معاشر أهل الحضر فيكم ثلاث خصال هي شرّ من كل ما ذكرت ؟ قال له خالد : وما هي ؟ قال : تَنْقُبُون ١٥٥
الدُّور ، وَتَنْدِيشُون القبور ، وَتَنْكحُون اللَّذَّ كور ؛ قال : قَبَحَك الله وَقَبَح ما جئت به . أبو الحسن قال : أَتَى موسى بن مُصطفى منزل امرأة مَدْنِيَّة لها قَيْنَة تَعْرِضُها ، فَإِذَا امرأة جَمِيلَة لها هَيَّة ، فَنَظَرَ إِلَى رجل دَمِيم يجُي ، ويَذَهَبُ وَيَأْسُ وَيَنْهَا فِي الدَّار ، فقال : مَنْ هَذَا الرَّجُل ؟ قَالَتْ : هُوَ زَوْجِي ؛ قال : إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون ! أَمَا وَجَدْتِ مِنِ الرِّجَالِ غَيْرَ هَذَا وَبَكِ مِنِ الْجَمَالِ مَا أَرَى ؟ قَالَتْ : وَاللَّهِ يَا أَبا عبد الله لو أَسْتَدْبَرْتَ بِمَثَلِ مَا يَسْتَقْبَلُنِي بِهِ لَعَظَمُ فِي عِيْفَك .

١٠ أبو الحسن قال : قالت عاتكة بنت الملاعة لِرائض دواب زوجها في طريق مكة : ما وجدت عملاً شرراً من عملك ، إنما كسبك باستك ! فقال لها : جعلت فداك ، ما بين ما أكتسب به ، وما تكتسبين به أنت إلا إصبعان ؟ قالت : ويلى عليك ! خذوا الخبر . فطلبه حشمها ، ففاتها ركضاً . أبو الحسن قال : قال رجل من الأزد في مجلس يُونس النحوئ : وَدِدْتُ وَاللَّهُ أَنْ بَنِي نَعِيمَ جَيِيعَانِي في جَوْفِ ، على أَنْ يُضْرِبَ وَسَطِي بالسيف . قال له شيخ في ناحية المجلس حِزْمَارِي من بنى نعيم : يا هذا ، يَكْفِيكَ مِنْ ذاكَ كَمَرَة حِمارِيَّة يُمَلِأُ بِهَا أَسْتِكَ إِلَى هَاتِكَ .

٢٠ وسائل أعرابي شيخاً من بنى مروان وحوله قوم جلوس ، فقال : أصابةتنا سنة ولِي بضم عشرة بذاتاً ؛ فقال الشيخ : أَمَا السَّنَة ، فَوَدَدْتُ وَاللَّهُ أَنْ يَنْكِمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ صَفِيفَةً مِنْ حَدِيدٍ ؟ وَأَمَا الْبَنَاتِ ، فَلَيْتَ اللَّهُ أَضْعَفَهُنَّ لَكَ أَصْعَافًا كَثِيرَةً ، وَجَعَلَكَ مَقْطُوعَ الْيَدِينَ وَالرِّجَائِينَ لَيْسَ لَهُنْ كَاسِبٌ غَيْرُكَ . قال : فَنَظَرَ الأعرابي مليقاً ، ثم قال : ما أدرى ما أقول لك ! ولكن أراك قبيح المنظر ، لئيم المخبر ، فأغضنك الله بِعُنُوزِ أمهات هؤلاء الجلوس حولك . وسائل أعرابي شيخاً من الطائف وشَكَا إِلَيْهِ سَنَةً أَصَابَتْهُهُ ؛ فقال : وَدَدْتُ وَاللَّهُ أَنَّ الْأَرْضَ

بين بذت الملاعة

ورائض خيل ثم
بين أزدى وغيمى

بين أعرابيين
يسألان وبعض
القوم

بين ابن ظبيان
وزرعة ثم بين
ابن الزبير وعدى
ثم على الفرزدق
بحواب ثلاثة

حصاء^(١) ولا تذبّت شيئاً؛ قال: ذلك أيدس لجعراً أمك في أستها.

قال عبيد الله بن [زيادبن] ظبيان لزرعة بن ضمرة الضمرى: إني لو أدركتك يوم الأهواز، لقطعت منك طابقاً^(٢) شحيم^(٣)؛ قال: لا أدركك على طابق [شحيم] هو أولى بالقطع؟ قال: بلى؛ قال: البظار الذي بين أستي أمك.

قال عبد الله بن الزبير لعدى بن حاتم: متى فقيئت عينك؟ قال: يوم طعنتك في أستك وأنت مولى^٤. وقال الفرزدق: ما عييت بحواب أحد قط ما عييت

بحواب امرأة، وصبي، ونبطى؛ فأمما المرأة، فإني ذهبت ببعضها أستقيها في النهر، فإذا معاشر نسوة، فلما هممت البغلة حبّقت، فاستضحك النسوة، ففُقِيئتْ هن:

ما أضحكك؟ فوالله ما حملتني أثثي إلا فعلت مثلها؛ فقالت امرأة منهن: فكيف كان ضراط أمك قفيرة^(٤)؟ فقد حملتك في بطنه اتسعة أشهر، فما وجدت

لها جواباً؛ وأما الصبي فإني كنت أنسد بجامع البصرة، وفي حلقتى الكعيب^٥
ابن زيد، وهو صبي، فأعجبنى حسن أسماعه، فقلت له: كيف سمعت يا بُنْي؟

قال لي: حسن؛ قلت: أفيسرك أني أبوك؛ قال: أما أبي فلا أريد به بدلاً، ولكن وددت أن تكون أمي؛ قلت: أسترها على يا بن أخي، فما لقيت

مثلها؛ وأمما النبطى، فإني لقيت نبطياً بيئرب فقال لي: أنت الفرزدق؟ قلت: نعم؛ قال: أنت الذي يخاف الناس لسانك؟ قلت: نعم؛ قال: فأنت الذي إذا

هجوتني يموت فرسى هذا؟ قلت: لا؛ قال: فيموت ولدى؟ قلت: لا؛ قال: فأموت أنا؟ قلت: لا؛ قال: فادرخنى الله في حر أم الفرزدق من رجل إلى

عنقى؛ قلت: ويلك! ولم تركتَ رأسك؟ قال: حتى أرى ما تصنع الزانية.

ولقي جرير الفرزدق بالكوفة، فقال: أبا فراس، تتحتمل عنى مسألة؟ قال: أحتملها بمسألة؟ قال: نعم؛ قال: فسأل عمّا بدا لك؛ قال: أى شيء أحب

بين جرير
والفرزدق ثم
بين الفرزدق
والمزرد الحنفى

(١) في بعض الأصول: «حصبة». (٢) الطابق (بفتح الباء وكسرها): المضوا.

(٣) في بعض الأصول: «سخينا». وهو تحريف.

(٤) في الأصول: «مقبرة»، والتوصويب عن الطبرى والقاموس «مادة قفر».

١٥٦

إليك : يتقدّمك الخيرُ أو تَتَقدّمُه ؟ قال : لا يَتَقدّمُني ولا أَتَقدّمُه ، ولكنْ أَكونُ مَعَهُ فِي قَرْنٍ ؟ قال : هات مَسْأَلَتَك ؟ قال له الفرزدق : أَئِ شَيْءٌ أَحْبَبَ إِلَيْكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَى امْرَأَتِكَ : أَنْ تَجِدَ يَدَهَا عَلَى أَيْرَ رَجُلٍ أَوْ تَجِدَ يَدَ رَجُلٍ عَلَى حَرِّهَا ؟ قال : قاتَلَكَ اللَّهُ ! مَا أَقْبَحَ كَلَامَكَ ! وَأَرْذَلَ لِسَانَكَ ! أبو الحسن قال :

فَرَ الفرزدق يوماً بمسجد الأحمر وفِيه جماعةٌ فِيهِمْ أبو المزّرد^(١) الحنفي ، فقال له الفرزدق : يا أخَا بْنِ حَنْيفَةَ ، مَا شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَسْنَانٌ وَلَا تَكُونَ ، وَلَوْ كَانَ لَمْ يَسْتَقِمْ ؟ قال : لَا أَدْرِي ، قال : يَا أبا المزّرد ، إِنَّهُ سَفِيهٌ ، فَإِنْ لَمْ تَغْضُبْ أَخْبَرُتُكَ ؟ قال : قُلْ فَإِنِّي لَا أَغْضُبْ ؛ فقال : حِرْ أَمْتَكَ ، لَمْ تَكُنْ لَهُ أَسْنَانٌ وَلَا تَكُونَ ، وَلَوْ كَانَ لَمْ يَسْتَقِمْ .

١٠

أبو الحسن قال : لَقِيَ الفَرَزَدَقُ عُمَرَ بْنَ عَفَرَاءَ فَعَاتَبَهُ فِي شَيْءٍ بَلَغَهُ عَنْهُ ، فقال له ابنُ عَفَرَاءَ وَهُوَ بِالْمِرْبِدِ : مَا شَيْءٌ أَحْبَبَ إِلَيْيَّ مِنْ أَنْ آتَى كُلَّ شَيْءٍ تَكْرُهَهُ ؟ قال له الفرزدق^(٢) : بِاللَّهِ إِنَّكَ تَأْتَى كُلَّ شَيْءٍ أَكْرَهَهُ ؟ قال : نَعَمْ ؛ قال : فَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ تَأْتَى أَمْتَكَ ، فَأَتَهَا . ضَاف^(٣) رَجُلٌ قَبِيحُ الْوِجْهِ دَنِيَ الْحَسْبَ أَبَا^(٤) عَبْدَ اللَّهِ الْجَمَازَ ، فَجَعَلَ يَفْخَرُ بِبَيْتِهِ ؟ فقال له الجماز : اسْكُتْ ، فَقَبَّاهَةَ وَجْهَكَ ، وَدُونَوَ حَسْبَكَ^(٥) يَمْنَعُنَا مِنْ سَبَّكَ^(٦) ؛ فَأَبَيَ إِلَّا التَّمَادِي فِي الْلَّبَاجَاجِ ، فقال له الجماز :

١٥

لَوْ كُنْتَ ذَا عِرْضَ هَجَوْنَا كَا
أَوْ حَسَنَ الْوِجْهِ لَنِكْنَا كَا
جَمِعَتْ مَعَ قُبْحَكَ لَوْمًا فَلِـ قُبْحَ أَوْ اللَّؤْمَ تَرَكْنَا كَا^(٧)

(١) فيما صر من هذا الجزء : « أبو المزّرد » .

(٢) ضافه : نزل به ضيفاً ، أو طلب منه الضيافة .

(٣) في الأصول : « إلى أبي » مَكَانٌ « أباً » .

(٤) في بعض الأصول : « وَدَنَاءَةَ لَفْظَكَ » .

(٥) في بعض الأصول : « نسبك » . وهو تحرير .

(٦) في بَعْد هذين الْبَيْتَيْنِ : « تَمَ الْجَزَءُ وَالْمَدُّ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ . يَتَلوُهُ الْجَزَءُ الْأَوَّلُ مِنْ كِتَابِ الْوَاسِطَةِ فِي الْحَطَبِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى » .

(١) فرش كتاب الخطب

قال [أبو عمر] [أحمد بن محمد بن عبد ربه] : قد مضى قولنا في الأجوية
وتبادر الناس فيها على قدر (٢) عقولهم ، ومبلغ فطنتهم ، وحضور أذهانهم ؛ ونحن
قائلون بعون الله و توفيقه في الخطب التي يُتحيز لها الكلام ، وتفاخرت بها العرب
في مشاهدهم ، ونطقت بها الأئمة (٣) على منابرهم ، وشهرت بها في مواسمهم ،
وقادت بها على رؤوس خلفائهم ، وتباهت بها في أعيادهم ومساجدهم ، ووصلاتها
بسراويلهم ، وخوطب بها العوام ، واستجذلت لها الألفاظ ، وتحيزت لها المعاني :
أعلم أن جميع الخطب على ضرٍ بين : منها الطوال ، ومنها القصار ؛ ولكل ذلك
موقع يليق به ، ومكان يحسن فيه . فأول ما نبدأ به من ذلك خطب النبي صلى
الله عليه وسلم ، ثم السلف المُتقدّمين ، ثم الجلة من التابعين ، والجلة من الخلفاء
الماضين ، والفصحاء المتكلّمين ، على ما سقط إلينا ، ووقع عليه اختياراتنا ؛ ثم
نذكر بعض خطب الخوارج ، لجزالة ألفاظهم ، وبلاعة مُنطقوهم ، كخطبة
قطرى بن الفجاعة في ذم الدنيا ، فإنها معدومة النظير ، مُنقطعة القرنين ،
وخطبة أبي حمزة التي سمعها مالك بن أنس ، فقال : خطبنا أبو حمزة بالمدينة
خطبة شَكْ فيها المستبصر ، وردّها (٤) المرتاب ؛ ثم نسمح بصدر من
خطب البدية وقول الأعراب خاصة ، لمعرفتهم بداء الكلام ودائه ،
وموارده ومصادرها .

قال عبد الملك بن مروان خالد بن سلمة القرشي المخزومي : من أخطب
الناس ؟ قال : أنا ؟ قال : ثم من ؟ قال : أنا ؟ قال : ثم من [؟] ؟ قال : شيخ جذام

بين عبد الملك
وابن سلمة
في أخطب الناس

(١) في ١ ، ي قبل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا
محمد وآلـه ». ٢٠

(٢) كذلك في ١ . والذى في سائر الأصول : « بقدر » مكان « على قدر » .

(٣) في ١ : « الأماء ». .

(٤) في بعض الأصول « فيها ». .

— يَعْنِي رَوْحُ بْنُ زِنْبَاعَ — ؟ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَخْيَفُش^(١) ثَقِيفٌ — يَعْنِي
الْمُجَاجَ — ؟ قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ .

يرْمُون بالخطب الطَّوَال وَتَارَةً وَحْيَ الْمَلَاحِظ خِيفَةَ الرَّقْبَاءِ
وَأَنْشَدَنِي فِي عِيَّ الْخَاطِيبِ وَأَسْتَعْانَتِه بِمَسْحِ الْعُثْنَوْنِ وَفَتْلِ الْأَصَابِعِ :
مَلِيْلَةَ بِهُرْ وَالْأَقْفَاتِ وَسُـمـلـةَ وَمَسْحَةَ عُثْنَوْنِ وَفَتَـا الـأـمـاءِ

١٥) مَرْ بِشَرُّ بْنُ الْمَعْتَمِرِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ حَمْرَةِ السَّكُونِيِّ (٦) الْخَطَّابِ ،
وَهُوَ يُعَلَّمُ فِتْيَانَهُمُ الْخَطَابَةَ ، فَوَقَفَ بِشَرٌّ يُسْتَمِعُ ، فَظَنَّ إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ إِنَّمَا وَقَفَ
لِيَسْتَفِيدَ ، أَوْ يَكُونَ رِجْلًا مِنَ النَّظَارَةِ . فَقَالَ بِشَرٌّ : اضْرِبْ بِواعِمَا قَالَ صَفَحَا ،
وَاطَّوْوَا عَنْهُ كَشْحَا ، ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ صَحِيفَةً مِنْ تَذْمِيقَهُ وَتَحْبِيرِهِ ، فِيهَا : خُذْ مِنْ
نَفْسِكَ سَاعَةً نَشَاطَكَ وَفَرَاغَ بَالَّكَ وَإِجَابَتْهَا إِلَيْكَ ، فَإِنْ قَلِيلٌ (٧) تَلِكَ السَّاعَةُ

(١) أخيفش : تصغير أخفش ، وهو من يصره ضعف وفي عينه ضيق ، وكان الحجاج
يوصف بذلك . وفي كتاب عبد الملك إلينه : قاتلك الله يا أخيفش . العن

(٢) لعله محمد بن سعيد بن عقبة . (انظر الوزارة والكتاب للجهشياري) .

(٣) في بعض الأصول: «وذكر».

(٤) كذا في بعض الأصول والبيان (ج ١ ص ٢٦). والذى في سائر الأصول «وتحير».

^(٥) انظر البيان والتبيين (ج ١ ص ٧٥) فقد ورد فيه هذا الخبر مع اختلاف يسير في بعض الأنفاظ.

^٦ فـ الـ وزـراء وـالـ كـتاب لـلـجـهـشـيـارـي : «ـ الـكـنـديـ» .

أَكْرَمُ جوهرًا ، وأَشَرَفُ حَسِيبًا ، وأَحْسَنَ فِي الْأَسْمَاعِ ، وَأَحْلَى فِي الصُّدُورِ ،
وَأَسْلَمَ مِنْ فَاحِشِ الْخَطَا ، وَأَجْلَبَ لِكُلِّ عَيْنٍ [وَغُرْة] مِنْ لَفْظِ شَرِيفٍ ، وَمَعْنَى
بَدِيعٍ ، وَأَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدِي عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمُكَ الْأَطْوَلُ بِالْكَدْ وَالْمُطَاوِلَةِ ،
وَالْمُجَاهِدَةِ بِالْتَّكَلِيفِ وَالْمُعاوِدَةِ ، وَمِمَّا أَخْطَأكَ لَمْ يُخْطِئكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولاً
قَصْدًا ، وَخَفِيقًا عَلَى الْإِلَاسَانِ سَهْلاً ، كَمَا خَرَجَ مِنْ يَنْبُوعِهِ ، وَنَجَمَ مِنْ مَعْدَنِهِ ؛
وَإِيَّاكَ وَالتَّوْعَرَ ، إِنَّ التَّوْعَرَ يُسْلِمُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ ، وَالْتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهِلُكَ
مَعَانِيكَ ، وَيَشِينَ أَفْوَاتِكَ . وَمَنْ أَرَادَ^(١) مَعْنَى كَرِيمًا فَلَمْ يَلْتَمِسْ لَهُ لَفْظًا كَرِيمًا ،
إِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ الْلَّفْظُ الشَّرِيفُ ؛ وَمَنْ حَقَّهُمَا أَنْ تَصُونَهُمَا عَمَّا يُفْسِدُهَا
وَيُهْجِّنُهُمَا ، وَعَمَّا تَعُودُ مِنْ أَجْلِهِ إِلَى أَنْ تَكُونَ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ قَبْلَ أَنْ تَلْتَمِسَ
إِظْهَارَهَا ، وَتَرْتَهَنَ نَفْسَكَ بِمُلَابِسِهِمَا وَقَضَاءِ حَقَّهُمَا . وَكَنْ فِي ثَلَاثَ مَنَازِلٍ : وَإِنَّ
١٠ أَوْلَى الثَّلَاثِ^(٢) أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ رَشِيقًا عَذْبًا ، وَنَحْمًا سَهْلًا ، وَيَكُونُ مَعْنَاكَ ظَاهِرًا
مَكْشُوفًا ، وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا ، إِمَّا عِنْدَ الْخَاصَّةِ ، إِنْ كُنْتَ لِلْخَاصَّةِ قَصْدَتْ ، وَإِمَّا
عِنْدَ الْعَامَّةِ ، إِنْ كُنْتَ لِلْعَامَّةِ أَرْدَتْ ، وَالْمَعْنَى [لَيْسَ يُشَرِّفُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي]
الْخَاصَّةِ ، وَكَذَلِكَ^(٣) لَيْسَ يَتَضَعُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْعَامَّةِ ، وَإِنَّ مَدَارَ
١٥ الشُّرُفِ عَلَى^(٤) الصَّوَابِ ، وَإِحْرَازَ الْمَنْفَعَةِ مَعَ مُوافَقَةِ الْحَالِ ، وَمَا يَجِبُ لِكُلِّ
مَقَامٍ مِنَ الْمَقَالِ ، وَكَذَلِكَ الْلَّفْظُ الْعَامِيُّ وَالْخَاصِيُّ ، إِنْ أَمْكَنْتَ أَنْ تَبَلُّغَ مِنْ بَيْانِ
لِسَانِكَ ، وَبِلَاغَةِ قَلْمَكَ^(٥) ، وَأَطْفَ مَدَالِيلَكَ ، وَاقْتَدَارَكَ^(٦) عَلَى نَفْسِكَ ، عَلَى أَنْ
٢٠ تَفْهُمَ الْعَامَّةَ مَعَانِي الْخَاصَّةِ ، وَتَكْسُوَهَا الْأَلْفَاظُ الْمُتَوَسِّطَةُ الَّتِي لَا تَلْطِفُ عَنِ
الْدَّهَاءِ^(٧) ، وَلَا تَجْفُو عَنِ الْأَكْفَاءِ ، فَأَنْتَ الْبَلِيجُ الْتَّامُ . فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمَ بْنُ جَبَلَةَ :
جُعِلْتَ فِدَاكَ ، أَنَا أَحْوَجُ إِلَى تَعْلَمِ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ هُؤُلَاءِ الْفِلَمَةِ .

(١) كَذَافِ بَعْضِ الأَصْوَلِ وَالْبَيَانِ . وَالَّذِي أَسَائِرُ الأَصْوَلَ : «أَذَاعَ» .

(٢) كَذَافِ بَعْضِ الأَصْوَلِ وَالْبَيَانِ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الأَصْوَلِ : «ذَلِكَ» .

(٣) التَّكْمِلَةُ عَنِ الْبَيَانِ . (٤) فِي الأَصْوَلِ : «عَلَى أَشْرَفِ مَعِ» . وَالْتَّصْوِيبُ عَنِ الْبَيَانِ .

(٥) فِي الأَصْوَلِ : «لَفْظُكَ» . وَمَا أَنْبَتَنَاهُ عَنِ الْبَيَانِ .

(٦) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «قَدْرُكَ فِي» .

(٧) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «الْدَّهَاءُ» . وَمَا أَنْبَتَنَاهُ عَنِ سَائِرِ الأَصْوَلِ وَالْبَيَانِ .

خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجنة الوداع

إن الحمد لله نحْمَدُه ونستغفِرُه ونَتَوَبُ إِلَيْهِ؛ ونَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنفُسِنَا،
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْذِدُ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلُ فَلَا هَادِيَ لَهُ،
وَأَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. أُوصِيكُمْ
١٨٥ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَحْثِكُمْ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَسْتَفْتَحُ بِالذِّي هُوَ خَيْرٌ.
أَمَّا بَعْدُ، أَيُّهَا النَّاسُ، أَسْمَعُوكُمْ مِنْ أَبْيَانٍ لَكُمْ، فَإِنِّي لَا أَدْرِي لِعَلَى لَا أَلْقَاكُمْ بَعْدَ
عَمَى هَذَا فِي مَوْقِي هَذَا. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنْ دَمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ إِلَى
أَنْ تَلْقَوْا رَبَّكُمْ، كَحُرْمَةٍ يَوْمَكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا. أَلَا هُلْ بَلَّغَتْ،
اللَّهُمَّ اشْهُدْ. فَنَّ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانَةً فَلَمَّا وَدَّهَا إِلَى الذِّي أَئْتَمْنَهُ عَلَيْهَا، وَإِنْ رَبَّا
الْجَاهِلِيَّةَ مَوْضِعَ، وَإِنْ أَوْلَ رَبَّا أَبْدَأَ بِهِ رَبَّا عَمَّى العَبَّاسِ بْنَ عَبْدِ الْمَطَّلِبِ،
وَإِنْ دَمَاءَ الْجَاهِلِيَّةَ مَوْضِعَةٌ، وَإِنْ أَوْلَ دَمَ أَبْدَأَ بِهِ دَمَ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ
عَبْدِ الْمَطَّلِبِ، وَإِنْ مَا تَرَاجَلَ الْجَاهِلِيَّةَ مَوْضِعَةٌ غَيْرِ السَّدَانَةِ وَالسَّقَايَةِ. وَالْعَمَدُ قَوَدٌ^(١)،
وَشِبْهُهُ الْعَمَدُ مَا قُتِلَ بِالْعَصَاصِيَّةِ وَالْحَجَرِ، فَفِيهِ مائَةٌ بَعِيرٌ، فَنَّ زَادَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ
الْجَاهِلِيَّةِ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَئِسَ أَنْ يُعْبُدَ فِي أَرْضِكُمْ هَذِهِ وَالْكَفَنَ
١٥ رَضِيَ أَنْ يُطَاعَ فِيهَا سُوَى ذَلِكَ مَا تُحَقِّرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا النَّسَيِّءَ
زِيادةً فِي الْكُفَرِ، يُضْلِلُ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، يُحْلِّوْنَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا، لَيُوَاطِّئُوا
عَدَّةً مَا حَرَمَ اللَّهُ، وَإِنَّ الزَّمَانَ قَدْ اسْتَدارَ كَهِيَّتَهُ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ، وَإِنْ عَدَّةَ الشَّهُورَ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ [يَوْمُ خَلَقَ]
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلَاثَةٌ مَتْوَالِيَّاتٌ، وَوَاحِدٌ فَرِيدٌ، ذُو الْقَعْدَةِ
٢٠ وَذُو الْحِجَّةِ وَالْحُرُمَ، وَرَجِبُ الذِّي بَيْنَ جَمَادِي وَشَعْبَانَ، أَلَا هُلْ بَلَّغَتْ، اللَّهُمَّ
أَشْهُدْ. أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ لَنْسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا، وَإِنْ لَكُمْ عَلَيْهِنَّ حَقًّا، لَكُمْ
عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُؤْطِئنَ فَرَشَّكُمْ غَيْرُكُمْ، وَلَا يُدْخِلَنَ أَحَدًا تَكْرِهُونَهُ بِيَوْتِكُمْ

(١) القود : القصاص ، أي من قتل عمداً يقتل .

إِلَّا يَأْذِنُكُمْ ، وَلَا يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ ، فَإِنْ فَعَلْنَا فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تَعْضُلُوهُنَّ
وَتَهْجِرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَتَضْرِبُوهُنَّ ضَرَّاً غَيْرَ مُبَرِّحٍ ، فَإِنْ اتَّهَيْنَ وَأَطْعَنُكُمْ
فَعَلِيهِنَّ كُمْ رِزْقُهُنَّ وَكُسُوتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ، وَإِنَّمَا النِّسَاءُ عِنْدَكُمْ عَوَارٌ لَا يَمْلِكُنَّ لِأَنفُسِهِنَّ
شَيْئاً ، أَخْذَتُمُوهُنَّ بِأَمَانَةِ اللَّهِ ، وَاسْتَحْلَلْتُمُ فُرُوجَهُنَّ بِكَلَامَةِ اللَّهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ
وَاسْتَوْصُوا بِهِنَّ خَيْرًا . أَيُّهَا النِّسَاءُ ، إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَلَا يَحِلُّ لَأَمْرِيٍّ مَا لَأُخْرِيٍّ ٥
إِلَّا عَنْ طَيِّبِ نَفْسِهِ ، أَلَا هُلْ بَلَغْتُ ، اللَّهُمَّ اشْهِدْ . فَلَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا
يُضْرِبُ بِعَضُّكُمْ أَعْنَاقَ بَعْضٍ ، فَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيْكُمْ مَا إِنْ أَخْذَتُمْ بِهِ لَمْ تَضْلُلُوا :
كِتَابَ اللَّهِ^(١) ، أَلَا هُلْ بَلَغْتُ ، اللَّهُمَّ اشْهِدْ . أَيُّهَا النِّسَاءُ : إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ ،
وَإِنْ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ ، كُلُّكُمْ لَآدَمُ ، وَآدَمُ مِنْ تَرَابٍ ، أَكْرَمُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ
أَنْتَهُمْ ، لَيْسَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجْمَىٰ فَضْلٌ إِلَّا بِالتَّقْوَىٰ ، أَلَا هُلْ بَلَغْتُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ١٠
قَالَ : فَلَمْ يُبَلِّغُ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبِ . أَيُّهَا النِّسَاءُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَسَمَ لِكُلِّ وَارِثٍ
نَصِيلَيْهِ مِنَ الْمَيْرَاثِ ، وَلَا يَحِلُّ لَوَارِثٍ وَصِيَّةً [وَلَا تَحِلُّ وَصِيَّةً] فِي أَكْثَرِ مِنْ
الثَّلَاثَ ، وَالْوَلُدُ لِلْفَرَاشِ وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرِ ، مِنْ ادْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، أَوْ تَوَلَّ غَيْرَ
مَوَالِيهِ ، فَعَلِيهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنِّاسِ أَجْمَعِينَ ، لَا يَقْبِلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا
وَلَا عَدْلًا . وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ^(٢) . ١٥

ونهض بـ أبو بكر يوم السقيفة .

أَرَادَ عُمَرُ الْكَلَامَ ، فَقَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ : عَلَى رِسْلَكَ ، ثُمَّ حَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى
عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النِّسَاءُ ، نَحْنُ الْمُهَاجِرُونَ أُولُو النِّسَاءِ إِسْلَامًا ، وَأَكْرَمُهُمْ
أَحْسَابًا ، وَأَوْسَطُهُمْ دَارًا ، وَأَحْسَنُهُمْ وِجْهًا ، وَأَكْثَرُ النِّسَاءِ لِوَادَةً فِي الْعَرَبِ ،
وَأَمْسَحُهُمْ رَحْمًا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَسْلَمْنَا قَبْلَكُمْ ، وَقَدْ مَنَّا فِي الْقُرْآنِ ٢٠

(١) زَيْدُ فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بَعْدَ قَوْلِهِ « اللَّهُ » : وَأَهْلُ بَيْتِ ». .

(٢) انظر السيرة لابن هشام (ج ٤ ص ٢٥٠) طبعة الحلبي . والبيان والتبيين

(ج ٢ ص ١٥) ونشر الدرر للآبى في بين الخطبة هنا وهناك بعض الخلاف .

عليكم ، فقال تبارك وتعالى : (والسَّابِقُونَ الْأُولُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ
وَالَّذِينَ أَتَبْعَوْهُمْ بِإِحْسَانٍ) . فنحن المهاجرون وأتم الأنصار ، إخواننا في الدين ،
وشركاؤنا في الفيء ، وأنصارنا على العدو ، آويتم وآسيتم ، جزاك الله خيراً ،
فنحن الأمراء وأتم الوزراء ، لا تدين العرب إلا لهذا الحي من قريش ، فلا
تنفسوا^(١) على إخوانكم المهاجرين ما منحهم الله من فضله .

وخطب أيضاً :

١٥٩
٢
حمد الله وأثني عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن قد وليت عليكم ، ولست
بنحيركم ، فإن رأيتموني على حق فأعينوني ، وإن رأيتموني على باطل فسدوني .
أطيعوني ما أطعت الله فيكم ، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم . ألا إن أقوام
عندى الضعيف حتى آخذ الحق له ، وأضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق
منه . أقول قولى هذا وأستغفر الله لي ولكلكم^(٢) .

وخطب أخرى :

فَلَمَّا حَمَدَ اللَّهَ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، وَصَلَى عَلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، قَالَ :
إِنَّ أَشَقَ النَّاسَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ الْمُلُوكُ . فَرَفَعَ النَّاسُ رُءُوسَهُمْ، فَقَالَ : مَا لَكُمْ
أَيْهَا النَّاسُ ، إِنَّكُم لَطَعَّانُونَ عَجِلُونَ . إِنَّ مِنَ الْمُلُوكِ مَنْ إِذَا مَلَكَ زَهَدَ اللَّهُ فِيمَا
بِيدهِ ، وَرَغَبَهُ فِيمَا بِيدهِ غَيْرِهِ ، وَأَنْتَقَصَهُ شَطَرَ أَجْلِهِ ، وَأَشَرَبَ قَلْبَهُ الإِشْفَاقَ ،
فَهُوَ يَحْسَدُ عَلَى الْقَلِيلِ ، وَيَتَسْخَطُ^(٣) الْكَثِيرَ ، وَيَسْأَمُ الرِّخَاءَ ، وَتَنْقَطِعُ عَنْهُ
لَذَّةُ الْبَقَاءِ^(٤) ، لَا يَسْتَعْمِلُ الْعِبْرَةَ ، وَلَا يَسْكُنُ إِلَى الثَّقَةِ ، فَهُوَ كَالدِرْهَمِ الْقَسِيِّ^(٥) ،

(١) في بعض الأصول : « فلا تنفسوا ». وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار
(ج ٢ ص ٢٣٤) والبيان (ج ٣ ص ١٤٧).

(٢) انظر عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٤) ونشر الدرر ، وبين الخطبة هنا وهناك خلاف
في العبارات .

(٣) في بعض الأصول : « يَسْخَطُ عَلَى » .

(٤) في عيون الأخبار : ونشر الدرر « تنتقم عنه لذة البهاء ». وفي البيان والتبيين
(ج ٢ ص ٢١) : « الْبَاهَةُ » مَكَانٌ « الْبَقَاءُ » .

(٥) القسي : الرديء الزائف . وفي بعض الأصول : « القيسي » . وهو تحرير .

والسراب الخادع ، جَذْل الظاهر ، حَزِين الباطن ؟ فإذا وَجَبَتْ نفْسُهُ ، وَنَضَبَ عمره ، وَضَحَا ظَلَهُ^(١) ، حَاسِبَهُ اللَّهُ فَأَشَدَّ حِسابَهُ ، وَأَقْلَّ عَفْوَهُ . أَلَا إِنَّ الْفَقَرَاءَ هُمُ الْمَرْحُومُونَ ، وَخَيْرَ الْمُلُوكِ^(٢) مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَحْكَمَ بِكِتَابِهِ وَسُنْنَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِنَّكُمْ يَوْمَ عَلَى خِلَافَةِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ مُّحَاجِجُونَ ، وَسَتَرُونَ بَعْدِي مُلْكًا عَضُوضًا^(٣) ، وَمَلِكًا عَنْوَدًا ، وَأُمَّةً شَعَاعًا ، وَدَمًا مُفَاحِا^(٤) ، فَإِنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ زَوْةٌ ، وَلِأَهْلِ الْحَقِّ جَوْلَةٌ ، يَعْفُوُ بِهَا الْأَثْرُ ، وَيَمْوِتُ لَهَا الْخَبْرُ^(٥) ، فَالْأَرْزَاقُ مَسَاجِدٌ ، وَأَسْتَشِيرُوا الْقُرْآنَ ، وَأَعْتَصِمُوا بِالطَّاعَةِ . وَلَيَكُنَّ الْإِبْرَامُ بَعْدَ التَّشَاؤرِ ، وَالصَّفَقةُ بَعْدَ طَولِ التَّنَاظُرِ . أَيْ بَلَادُ^(٦) خَرْشَنَةُ^(٧) ؟ إِنَّ اللَّهَ سَيَفْتَحُ لَكُمْ أَقْصَاهَا ، كَمَا فَتَحَ عَلَيْكُمْ أَدْنَاهَا .

وفطب أيضًا فقال :

الحمد لله أَحَدُهُ وَأَسْتَعِينُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُهُ وَأَوْمَنُ بِهِ وَأَتُوَكِّلُ عَلَيْهِ ، وَأَسْتَهْدِي اللَّهَ بِالْهُدَى ، وَأَعُوذُ بِهِ مِنَ الضَّلَالِ وَالرَّدِّي ، وَمِنَ الشَّكِّ وَالْعَمَى . مَنْ يَهْدِي اللَّهُ فَهُوَ الْمُهَتَّدُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا . وَأَشْهُدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ ، وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمْوِتُ ، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . وَأَشْهُدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، إِلَى النَّاسِ كَافَةً رَحْمَةً لَهُمْ وَحْجَةً عَلَيْهِمْ ، وَالنَّاسُ حِينَئِذٍ عَلَى

(١) وَجَبَتْ نَفْسُهُ : كُنْيَةُ عَنِ الْمَوْتِ . وَمِثْلُهَا : نَضَبَ عَمْرَهُ ، وَضَحَا ظَلَهُ .

(٢) كَذَا فِي الْبَيَانِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْوَلِ : « أَلَا إِنْ » مَكَانٌ « وَخَيْرُ الْمُلُوكِ » .

(٣) عَضُوضٌ : فِيهِ اسْتِبْدَادٌ وَعَسْفٌ .

(٤) مُفَاحٌ : صَرَاقٌ . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « مِبَاحٌ » . وَمَا أَثَبَنَا عَنِ سَائِرِ الْأَصْوَلِ وَالْبَيَانِ وَنُثُرُ الدَّرَرِ .

(٥) فِي الْبَيَانِ : « الْبَشَرُ » . وَفِي الْعَيْوَنِ وَنُثُرِ الدَّرَرِ : « السَّنَنُ » .

(٦) فِي نُثُرِ الدَّرَرِ : « أَيْ بَلَادُكُمْ » .

(٧) كَذَا فِي نُثُرِ الدَّرَرِ . وَخَرْشَنَةٌ : بَلَدٌ قَرْبٌ مَلْطَبِيَّةٌ مِنْ بَلَادِ الرُّومِ . يَرْبُدُ بَلَادُ الرُّومِ .

وَالَّذِي فِي الْأَصْوَلِ : « فَرَسَةً » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ لِـ « فَرَسَةً » .

شَرَّ حَالٍ ، فِي ظُلْمَاتِ الْجَاهِلِيَّةِ ، دِينُهُمْ بِدْعَةٌ ، وَدَعْوَتُهُمْ فَرِيْةٌ . فَأَعْزَّ اللَّهُ الدِّينَ
بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَنَّفَّ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ فَأَصْبَحْتُمْ بِنَعْمَتِهِ
إِخْرَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَافٍ حُفْرَةً مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
آيَاتِهِ لَعْلَكُمْ تَهَتَّدُونَ . فَأَطْبَعُوا اللَّهُ وَرَسُولَهُ ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (مِنْ يُطِيعَ
الرَّسُولَ فَقَدْ أطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا) . أَمَّا بَعْدُ ، أَيْهَا
النَّاسُ ، إِنِّي أَوْصِيْكُمْ بِتَقْوِيِّ اللَّهِ الْعَظِيمِ فِي كُلِّ أَمْرٍ وَعَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَلِزُومِ الْحَقِّ
فِيهَا أَحَبِّتُمْ وَكَرِّهْتُمْ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ فِيمَا دُونَ الصَّدْقِ مِنَ الْجَدِيدِ خَيْرٌ . مَنْ يَكْذِبُ
يَفْجُرُ ، وَمَنْ يَفْجُرُ يَهْلِكُ . وَإِيَّاكُمْ وَالْفَخْرُ ، وَمَا فَخَرُّ مَنْ خُلِقَ مِنْ تَرَابٍ
وَإِلَى التَّرَابِ يَعُودُ ، هُوَ الْيَوْمُ حَيٌّ وَغَدَّا مَيْتٌ . فَاعْمَلُوا وَعُدُّوا أَنْفُسَكُمْ
١٠ فِي الْمَوْتِيِّ ، وَمَا أَشْكَلَ عَلَيْكُمْ فَرِدُّوا عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ ، وَقَدَّمُوا أَنْفُسَكُمْ خَيْرًا تَجْدُوهُ
مُخْضَرًا ، فَإِنَّهُ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : (يَوْمَ تَجَدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخْضَرًا
وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمْدَأَ بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ
رَءُوفُ بِالْعِبَادِ) . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَرَاقِبُوهُ وَأَعْتَدُوهُ بِرُوْبَرَةٍ مَضِيَ قَبْلَكُمْ ،
وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يُدْرِكُ مِنْ لِقَاءِ رَبِّكُمْ وَالْجَزَاءُ بِأَعْمَالِكُمْ صَغِيرٌ هَا وَكَبِيرٌ هَا ، إِلَّا مَا غَفَرَ
اللَّهُ إِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ . فَأَنْفُسَكُمْ أَنْفُسَكُمْ وَالْمُسْتَعْنُونَ عَلَيْهِ ، وَلَا حُولَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا
بِاللَّهِ . إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصْلُوُنَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَأْيَهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلَوَا عَلَيْهِ وَسَلَّمُوا
١٥ تَسْلِيْمًا . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ أَفْضَلَ مَا صَلَّيْتَ عَلَى أَحَدٍ مِنْ
خَلْقِكَ ، وَزَكِّنَا بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، وَلَحْقَنَا بِهِ ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ ، وَأَوْرِدْنَا
حَوْضَهُ . اللَّهُمَّ أَعِنَا عَلَى طَاعَتِكَ ، وَانْصُرْنَا عَلَى عَدُوكَ .

٢٠ فَطَبَّتْ لِهِ أَهْرَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ^(١) :

حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَوْصِيْكُمْ بِتَقْوِيِّ اللَّهِ ، وَأَنْ تُثْنِوَا عَلَيْهِ بِمَا
هُوَ أَهْلُهُ ، وَأَنْ تَخْلِطُوا الرَّغْبَةَ بِالرَّهْبَةِ ، وَتَجْمِعُوا الإِلْحَافَ بِالْمَسَأَةِ ، فَإِنَّ اللَّهَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَخَطَبَ أَيْضًا » .

أَثْنَى عَلَى زِكْرِيَا وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، فَقَالَ: (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَا رَغَبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَاسِهِينَ). ثُمَّ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَرْتَهُنَّ بِحَقِّهِ أَنفُسَكُمْ، وَأَخْذَ عَلَى ذَلِكَ مَوَاتِيَّتَكُمْ، وَعَوَّضُكُمْ بِالقليلِ الْفَانِي الْكَثِيرِ الْبَاقِي، وَهَذَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِمْ لَا تَفْنِي عِجَابُهُ، وَلَا يُطْفَأُ نُورُهُ. فَتَقَوَّا بِقَوْلِهِ،
٥ وَانْتَصَرُوا كِتَابَهُ، وَاسْتَبَرُوا بِهِ^(١) لِيَوْمِ الظَّلَمَةِ، فَإِنَّهُ خَلْقُكُمْ لِعِبَادَتِهِ،
وَوَكْلَ بِكُمْ الْكَرَامَ الْكَاتِبِينَ، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ. ثُمَّ اعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنْكُمْ تَغْدُونَ وَتَرُوحُونَ فِي أَجْلٍ قَدْ غَيَّبَ عَنْكُمْ عِلْمُهُ، فَإِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفَضُوا
الْآجَالُ وَأَنْتُمْ فِي عَمَلِ اللَّهِ، وَإِنْ تَسْتَطِعُوا ذَلِكَ إِلَّا بِاللَّهِ، فَسَابَقُوا فِي مَهَلٍ
بِأَعْمَالِكُمْ قَبْلَ أَنْ تَنْفَضُوا آجَالَكُمْ فَتَرَدَّ كُمْ إِلَى سُوءِ أَعْمَالِكُمْ، فَإِنَّ أَفْوَاماً
١٠ جَعَلُوا آجَاهُمْ لِغَيْرِهِمْ، فَأَنْهَاكُمْ أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ. فَالْوَحْيُ الْوَحْيُ، وَالنِّجَاءُ،
النِّجَاءُ، فَإِنَّ وَرَاءَكُمْ طَالِبًا حَثَيْثًا مَرِئُهُ^(٢)، سَرِيعًا سَيْرُهُ.

خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أَيُّهَا النَّاسُ ، تَعْلَمُوا الْقُرْآنَ وَاعْمَلُوهُ بِهِ
تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ ، [إِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ حَقَّ مَخْلوقٍ أَنْ يُطْعَعَ فِي مُعْصِيَةِ الْخَالِقِ . أَلَا
وَإِنِّي أَنْزَلْتُ نَفْسِي مِنْ مَالِ اللَّهِ بِنَزْلَةٍ وَإِلَيْيَ الْيَتَيمِ : إِنْ أَسْتَغْنَيْتُ عَفَّتْ ،
١٥ وَإِنْ افْتَقَرْتُ أَكْلَتُ بِالْمَعْرُوفِ ، تَقْرُمَ الْبَهْمَةَ الْأَعْرَابِيَّةَ : الْقَضْمُ لَا الْخَضْمُ]^(٣).

وفطب أيضاً :

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أَيُّهَا النَّاسُ ، مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْقُرْآنِ
فَلِيَأْتِ أَبِيَّ بْنَ كَعْبٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفَرَائِضِ فَلِيَأْتِ زَيْدَ بْنَ ثَابَتَ ،

٢٠ (١) كذا في بعض الأصول . وفي سائر الأصول : « فيه ». والذى في عيون الأخبار
(ج ٢ ص ٢٣٢) ونشر الدرر : « واستقضىوا منه » .

(٢) كذا في عيون الأخبار . والذى في الأصول : « أمره ». والخطبة في العيون
تختلف عنها هنا في بعض العبارات .

(٣) التقرم : الأكل أكلا ضعيفاً . والقضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم :
الأكل بأقصى الأضراس .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْفِقْهِ فَلَيُمْأَتْ مُعَاذُ بْنُ جَبَلَ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ عَنِ الْمَالِ فَلَيُمْأَتْنِي ، فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَنِي لَهُ خَارِنًا وَقَاسِمًا . إِنِّي بَادِئٌ بِأَزْوَاجِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَمُعْطِيهِنَّ ، ثُمَّ الْمَاهِرِينَ الْأَوَّلِينَ الَّذِينَ أُخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ، أَنَا وَاصْحَابِي ، ثُمَّ بِالْأَنْصَارِ الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، ثُمَّ مَنْ أَسْرَعَ إِلَى الْهِجْرَةِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ الْعِطَاءِ ، وَمَنْ أَبْطَأَ عَنِ الْهِجْرَةِ أَبْطَأَ عَنِ الْعِطَاءِ . فَلَا يَلُومُنَّ رَجُلٌ إِلَّا مُنْاخَ رَاحِلَتِهِ . إِنِّي قَدْ بَقَيْتُ فِيكُمْ بَعْدَ صَاحِبِي ، فَابْتَلِيَتُكُمْ وَابْتَلَيْتُمْ بِي ، وَإِنِّي لَنْ يَحْضُرْنِي مِنْ أُمُورِكُمْ شَيْءٌ فَأَرِكُهُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِ الْجُزْءِ وَالْأُمَانَةِ ، فَلَئِنْ أَحْسَنَنَا لِأَحْسَنَنَّ إِلَيْهِمْ ، وَلَئِنْ أَسَأَنَا لِأَنْكَلَمَنَّ بِهِمْ .

١٠ وخطب أيضاً :

فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْزَنَا بِالْإِسْلَامِ ، وَأَكْرَمَنَا بِالْإِيمَانِ ، وَرَحَمَنَا بِنَبْيِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَدَانَا^(١) بِهِ مِنَ الظُّلَمَاتِ ، وَجَعَلَنَا بِهِ مِنَ الشَّتَّاتِ ، وَأَلَّفَ بَيْنَ قَلُوبِنَا ، وَنَصَرَنَا عَلَى عَدُوِّنَا ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْبَلَادِ ، وَجَعَلَنَا بِهِ إِخْوَانًا مُتَحَابِيْنَ . فَاحْمَدُوا اللَّهَ عَلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ ، وَاسْأَلُوهُ الْمَزِيدَ فِيهَا وَالشَّكْرَ عَلَيْهَا ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَقَكُمُ الْوَعْدَ بِالنَّصْرِ عَلَى مَنْ خَالَفُوكُمْ . وَإِيَّاكُمُ الْعَمَلُ بِالْمَعَاصِي ، وَكُفُرُ النِّعْمَةِ ، فَقَلَمَا كَفَرَ قَوْمٌ بِنِعْمَةِ اللَّهِ وَلَمْ يَنْزِعُوا إِلَى التَّوْبَةِ إِلَّا سُلِّبُوا عِزَّهُمْ ، وَسُلْطَطَ عَلَيْهِمْ عَدُوُّهُمْ . أَيْهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْزَّ دَعْوَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَجَمَعَ كُلَّهُمَا وَأَظْهَرَ فَلَجَّهَا وَنَصَرَهَا وَشَرَّفَهَا ، فَاحْمَدُوهُ عِبَادَ اللَّهِ عَلَى نِعْمَهُ ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى آلَاهِهِ . جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنَ الشَاكِرِينَ .

٢٠ وخطبة رقم أيضاً :

أَيْهَا النَّاسُ ، إِنَّهُ قَدْ أَتَى عَلَى زَمَانٍ وَأَنَا أَرَى أَنَّ [قَوْمًا] يَقْرَءُونَ^(٢) الْقُرْآنَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «فَهَدَانَا» . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «قِرَاءَةً» .

يُرِيدُونَ بِهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا عِنْدَهُ ، فَخَيْلٌ إِلَى أَنْ قَوْمًا قَرَأُوهُ يُرِيدُونَ بِهِ النَّاسَ
 ١٦١ ٢ والدُنْيَا . أَلَا فَأَرَيْدُوا اللَّهُ بِأَعْمَالِكُمْ . أَلَا إِنَّا كَنَا نَعْرِفُكُمْ إِذَا يَنْزَلُ الْوَحْيُ وَإِذَا
 رَسُولُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِنَا يُنَبِّئُنَا مِنْ أَخْبَارِكُمْ ، فَقَدْ انْقَطَعَ الْوَحْيُ ، وَذَهَبَ النَّبِيُّ ،
 فَإِنَّا نَعْرِفُكُمْ بِالْقَوْلِ . أَلَا مَنْ رَأَيْنَا مِنْهُ خَيْرًا ظَنَّنَا بِهِ خَيْرًا وَأَحَبَبْنَاهُ عَلَيْهِ ،
 وَمَنْ رَأَيْنَا مِنْهُ شَرًّا ظَنَّنَا بِهِ شَرًّا وَأَبْغَضْنَاهُ عَلَيْهِ . سَرَّاً تُرْكُمْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ .
 ٥ أَلَا وَإِنِّي إِنَّمَا أَبْعَثُ عَمَالَى لِيُعْلَمُوكُمْ دِينَكُمْ وَسُنْنَكُمْ ، وَلَا أَبْعَثُهُمْ لِيَضْرِبُوا
 ظُهُورَكُمْ وَيَأْخُذُوا أُمُوْرَكُمْ . أَلَا مَنْ رَابَهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلَيُرْفَعْهُ إِلَى ، فَوَالَّذِي
 نَفْسِي بِيَدِهِ لَا قُصْنَنَكُمْ مِنْهُ .

١٠ فَقَامَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَرَأَيْتَ إِنْ بَعْثَتَ عَالِمًا مِنْ
 عُمَالَكَ فَأَدْبَبَ رَجُلًا مِنْ رَعَيَّتِكَ فَضَرَبَهُ ، أَتَقْصَهُ مِنْهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، وَالَّذِي نَفْسِي
 ١٥ عُمْرُ بِيَدِهِ ، لَا قُصْنَهُ مِنْهُ ، فَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْصُ
 مِنْ نَفْسِهِ .

وَمُطْبِبُ أَيْضًا فَقَالَ :

أَيْهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ فِي سَرِيرِكُمْ وَعَلَانِيَتِكُمْ ، وَأَمْرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهُوا
 ١٥ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَلَا تَكُونُوا مِثْلَ قَوْمٍ كَانُوا فِي سَفِينَةٍ فَأَقْبَلُ أَحَدُهُمْ عَلَى مَوْضِعِهِ
 يَخْرُقُهُ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ فَمَنَعُوهُ ، فَقَالَ : هُوَ مَوْضِعٌ وَلِي أَنْ أَحْكُمَ فِيهِ . فَإِنْ
 أَخْذُوا عَلَى يَدِهِ سَلَمَ وَسَلَّمُوا ، وَإِنْ تَرَكُوهُ هَلَكَ وَهَلَكُوا مَعَهُ . وَهَذَا مَثَلٌ ضَرْبُتُهُ
 لَكُمْ ، رَحْمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ .

وَمُطْبِبُ عَاصِمِ الرِّمَادَةِ بِالْعَبَاسِ - حَمْدُ اللَّهِ :

٢٠ حَمْدُ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْهَا النَّاسُ ، اسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ
 إِنَّهُ كَانَ غَفَارًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ . اللَّهُمَّ إِنَّا نَتَقْرَبُ إِلَيْكَ بِعِمْدَةٍ
 نَبِيِّكَ وَبِقِيَّةِ آبَائِهِ وَكِبَارِ رِجَالِهِ ، فَإِنَّكَ تَقُولُ وَقُولُكَ الْحَقُّ : (وَأَقْمَأِ الْجَدَارُ

فكانَ أَغْلَامِينَ يَتَيَمِّمُونَ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا .
خَفَظَتْهُمَا الصَّالِحُ أَبِيهِمَا ، فَاحْفَظْ اللَّهُمَّ نَبِيَّكَ فِي عَمَّهِ . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَنَا إِنْكَ كَفْتَ
غَفَارًا . اللَّهُمَّ أَنْتَ الرَّاعِي ، لَا تُهْمِلِ الضَّالَّةَ ، وَلَا تَدْعِ الْكَسِيرَةَ بِمَضِيَّهَا . اللَّهُمَّ
قَدْ ضَرَعَ الصَّغِيرُ ، وَرَقَّ الْكَبِيرُ ؛ وَارْتَفَعَ الشَّكُورُ ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ السَّرَّ وَأَخْفِي .
اللَّهُمَّ أَغْنِهِمْ بِغِيَاثَكَ قَبْلَ أَنْ يَقْنَطُوا فِيهِمْ كَوَا ، فَإِنَّهُ لَا يَيْأسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ
إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ . فَمَا بَرَحُوا حَتَّى عَلَقُوا الْحِذَاءَ ، وَقَلَصُوا الْمَازِرَ^(١) ، وَطَفِيقَ
النَّاسُ بِالْعَبَاسِ يَقُولُونَ : هَنِيئًا لَكَ يَا سَاقِ الْحَمْرَيْنِ .

وفطب ذو لى الخروف :

صَعدَ الْمِنْبَرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا إِنْسَانَ ، إِنِّي دَاعٍ
فَأَمِّنُوا . اللَّهُمَّ إِنِّي غَلِيمٌ فَلَمَّا فِي أَهْلِ طَاعَتْكَ بِمَوْافِقَةِ الْحَقِّ ، ابْتَغَيْ وَجْهَكَ
وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ ، وَأَرْزَقْنِي الْغِلْظَةَ وَالشَّدَّةَ عَلَى أَعْدَائِكَ وَأَهْلِ الدَّعَارَةِ وَالنَّفَاقِ ، مِنْ
غَيْرِ ظُلْمٍ مِنْهُمْ وَلَا أَعْتَدَاهُمْ عَلَيْهِمْ . اللَّهُمَّ إِنِّي شَحِيقٌ فَسَعَّنِي فِي نَوَابِ الْمَعْرُوفِ ،
قَصْدًا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ وَلَا تَبَذِيرٍ وَلَا رِيَاءَ وَلَا سُمعَةَ ، وَاجْعَلْنِي أَبْتَغِي بِذَلِكَ
وَجْهَكَ وَالْدَّارِ الْآخِرَةِ . اللَّهُمَّ أَرْزَقْنِي خَفْضَ الْجَنَاحِ وَلِيَنِي الْجَانِبُ لِلْمُؤْمِنِينَ .
اللَّهُمَّ إِنِّي كَثِيرٌ الْفَغْلَةَ وَالنَّسِيَانَ فَأَلْهَمْنِي ذِكْرَكَ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَذِكْرُ الْمَوْتِ
فِي كُلِّ حِينٍ . اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ عِنْدَ الْعَمَلِ بِطَاعَتِكَ فَارْزُقْنِي النَّشَاطَ فِيهَا
وَالْقُوَّةَ عَلَيْهَا بِالْفَيْيَةِ الْحَسَنَةِ الَّتِي لَا تَسْكُونُ إِلَّا بِعِزَّتِكَ وَتَوْفِيقِكَ . اللَّهُمَّ ثَبَّتْنِي
بِالْيَقِينِ وَالْبَرِّ وَالْتَّقْوَى ، وَذِكْرُ الْمَقَامِ بَيْنَ يَدِيكَ ، وَالْحَيَاءُ مِنْكَ ، وَأَرْزَقْنِي الْخُشُوعَ
فِي حَيَّرَضِيَّكَ عَنِي ، وَالْمُحَاسِبَةُ لِنَفْسِي ، وَصَلَاحُ النِّيَّاتِ^(٢) ، وَالْحَذْرُ مِنِ الشَّهَّابَاتِ .
اللَّهُمَّ أَرْزَقْنِي الْتَّفَكُّرَ وَالْتَّدْبِيرَ لِمَا يَتَلوُ لِسَانِي مِنْ كِتَابِكَ ، وَالْفَهْمَ لِهِ ، وَالْمَعْرِفَةَ
بِعَانِيَهِ ، وَالنَّظَرُ فِي عَجَابِهِ ، وَالْعَمَلُ بِذَلِكَ مَا بَقِيَّتُ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

(١) يُرِيدُ أَنَّهُ لَا يَعْلَمُ النَّاسَ الْمَطْرُ وَسَالَتْ بِهِ الْأَرْضُ خَلَمَ النَّاسَ نَعَلَمُ فَعَلَقُوهَا وَشَرَوْا مَازِرَهُمْ .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « إِصلاحُ السَّاعَاتِ » .

وكان آخرَ كلامَ أبي بكرَ الْذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ عُرِفَ أَنَّهُ قَدْ فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ :
اللَّهُمَّ أَجْعَلْ خَيْرَ زَمَانِي آخِرَهُ ، وَخَيْرَ عَمَلِي خَوَاشَهُ ، وَخَيْرَ أَيَامِي يَوْمَ الْقَاْكَ .

^{١٦٢} وكان آخرَ كلامَ عُمرَ الْذِي إِذَا تَكَلَّمَ بِهِ عُرِفَ أَنَّهُ قَدْ فَرَغَ مِنْ خُطْبَتِهِ : اللَّهُمَّ
لَا تَدْعُنِي فِي نَعْمَةٍ ، وَلَا تَأْخُذْنِي عَلَى غِرَةٍ ، وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ .

٥ [خطبة لعثمان بن عفان رضي الله عنه] :

ولما وَلِي عَثَمَانُ بْنُ عَفَّانَ قَامَ خَطِيبًا ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَشَّى عَلَيْهِ ، وَتَشَهَّدُ ،
ثُمَّ أَرْتَجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ مَرْكَبٍ صَعْبٌ ، وَإِنَّ أَعِشَّ
فَسْتَأْتِيكُمُ الْخُطُبَ عَلَى وَجْهِهَا ، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا .

خطبة أصبهن المؤمنين على بن أبي طالب رضوانه الله عليه :

١٠ أَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا بِالْمَدِينَةِ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَشَّى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى نَبِيِّهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ ، ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، كِتَابُ اللَّهِ وَسُنْنَةُ نَبِيِّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَمَا
بَعْدُ ، فَلَا يَدْعُنَّ مُدْعَى إِلَّا عَلَى نَفْسِهِ ، شُفِّلَ مَنْ ^(١) اجْتَنَّهُ وَالنَّارُ أَمَّاهُ . سَاعَ
نَجَا ^(٢) ، وَطَالِبٌ يَرْجُو ، وَمَقْصُرٌ فِي النَّارِ ، [ثَلَاثَةٌ ؛ وَاثْنَانِ] : مَلَكُ طَارِ بِجَنَاحِيهِ ،
وَنَبِيٌّ أَخْذَ اللَّهَ بِيَدِيهِ ، لَا سَادِسٌ . هَلَكَ مَنْ اقْتَحَمَ ^(٣) ، وَرَدِيَ مَنْ هُوَ ^(٤) .

١٥ الْمَيْنُ وَالشَّهَالُ مَضَلَّةٌ ، وَالوُسْطَى الْجَادَةُ . مَنْهَجَ عَلَيْهِ أَمْ ^(٥) الْكِتَابُ وَالسُّنْنَةُ
وَآثَارُ النَّبُوَّةِ . إِنَّ اللَّهَ دَاوِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِدَوَاءِينَ ^(٦) : السَّوْطُ وَالسِّيفُ ،
لَا هَوَادَةٌ عِنْدَ الْإِمَامِ فِيهِمَا . أَسْتَرِوا بِيَمِوْتِكُمْ ، وَأَصْلِحُوا فِيهَا بِيَنِيكُمْ ، فَالْمُوتُ
مِنْ وَرَائِكُمْ . مَنْ أَبْدَى صَفْحَتِهِ لِلْحَقِّ هَلَكَ . قَدْ كَانَتْ أُمُورُهُمْ تَكُونُوا فِيهَا
مَحْمُودِينَ . أَمَا إِنِّي لَوْ أَشَاءَ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتَ . عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ . سَبَقَ الرِّجَالَانِ

٢٠ (١) في الأصول : « عن ». وما أتبناه عن عيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٣٦)
ونهج البلاغة (ج ١ ص ٣٢ طبع بيروت).

(٢) في بعض الأصول : « مجتهد ». (٣) في بعض الأصول : « ادعى ».

(٤) في بعض الأصول : « اقتحمن ». (٥) في عيون الأخبار : « باقي ».

(٦) في عيون الأخبار : « أدب ... بأدبين ».

ونام الثالث كالغراب همته بطنه ، ويله ! لو قص جناحه وقطع رأسه لكان خيرا له . انظروا فإن أذكرت ملائكة ، وإن عرفتم فاعرفوا . حق وباطل ، ولكل أهل ، ولئن كثر ^(١) الباطل لقديما فعل ^(٢) ، ولئن قل الحق لربما ولعل ، ولقلما أدرى شئ فأقبل ، ولئن رجعت إليكم أموركم إنكم لسعداء ، وإنني لأخشى أن تكونوا في فترة ، وما علينا إلا الاجتهد .

وروى فيها جعفر بن محمد رضوان الله عليه : إلا إن الأبرار عترتي ، وأطاييف أرمومي ؛ أحلم ^(٣) الناس صغارا ، وأعلم الناس كبارا . إلا وإننا أهل البيت من علم الله علمنا ، وبحكم الله حكمتنا ، ومن قول صادق سمعنا ؛ فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا بآثارنا . معنا رأية الحق ، من ياتبعها لحق ، ومن تأخر عنها غريق .
٢٠ إلا وبنا ترددت رة كل مؤمن ، وبنا تخليع ربقة الذلة من أعناقكم ، وبنا فتح الأمر وبنا يختتم .

وفطبنة له أيضا :

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أوصيكم عباد الله ونفسى بتقوى الله ولزوم طاعته ، وتقدير العمل ، وترك الأمان ، فإنه من فرط في عمله ، لم ينتفع بشيء من أمله . أين التعب بالليل والنهار ، والمقتعم لحجج البحار ، ومفاوز القفار ؟ يسير نوراء الجبال ، وعالج ^(٤) الرمال ؛ يصل الفدو بالرواح ، والمساء بالصبح ، في طلب محقرات الأرباح ؛ هجّمت عليه منيته ، فعظمت بنفسه رزقه ؛ فصار ما جمع بورا ، وما أكتسب غورا ، ووافى القيامة محصورا . أيها اللاهى الغار نفسي ، كأنى بك وقد أتاك رسول ربك ، لا يقرع لك بابا ،
٢٠ ولا يهاب لك حجابا ؛ ولا يقبل منك بديلا ، ولا يأخذ منك كفيلا ؛ ولا يرحم

(١) في بعض الأصول : « أمر ». وكلاعا يعني .

(٢) في بعض الأصول : « قد ياما فهو « مكان » لقديما فعل » .

(٣) في ١ : « أحكم » .

(٤) عالج الرمال : ما تراكم منها ودخل بعضه في بعض .

لَكَ صَغِيرًا ، وَلَا يُوْقَرْ فِيكَ كَبِيرًا ؛ حَتَّى يُؤْدِيكَ إِلَى فَعْرَ مُظْلَمَة ، أَرْجَاؤُهَا
مُوحشَة ؟ كَفِعْلَهُ بِالْأَمْ الْخَالِيَّة ، وَالْقَرُونُ الْمَاضِيَّة . أَينَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَد ، وَجَمَعَ
وَعَدَد ، وَبَنَى وَشَيَّد ، وَزَخَرْفَ وَنَجَّد ، وَبِالْقَلِيلِ لَمْ يَقْنَعْ ، وَبِالْكَثِيرِ لَمْ يُمْتَّعْ ؟
أَينَ مَنْ قَادَ الْجَنُودَ ، وَنَشَرَ الْبُنُودَ ؟ أَضْحَوْا رُفَاتَهَا ، تَحْتَ التَّرَى أَمْوَاتَهَا ، وَأَتَمَ
بِكَائِمِهِمْ شَارِبُونَ ، وَلِسَبِيلِهِمْ سَالِكُونَ . عَبَادَ اللَّهَ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَرَاقِبُوهُ ،
وَأَعْمَلُوا لِلْيَوْمِ الَّذِي تُسَيِّرُ فِيهِ الْجَبَالَ ، وَتَشَقَّقُ السَّمَاءَ بِالْفَهَامَ ، وَتَطَايِرُ الْكُتُبُ عن
الْأَيْمَانِ وَالشَّمَائِلَ . فَأَيْ رَجُلٌ يَوْمَئِذٍ تُرَاكَ ؟ أَقَائِلُ : هَاؤُمْ أَفْرَءُوا كَتَابِيَّهُ ؟ أَمْ :
يَا لِيَتِنِي لَمْ أُوتْ كَتَابِيَّهُ ؟ نَسَأَلُ مَنْ وَعَدَنَا بِإِقَامَةِ الشَّرَاعِنَعِ جَنَّتَهُ أَنْ يَقِينِنَا سُخْطَهُ .
إِنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةَ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ
يَدِيهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ .

وَهُنْ طَبِيعَةٌ لِهِ أَيْضًا :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْتَخْلَصَ^(١) الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ ، وَأَسْتَوْجِبُهُ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ ، الَّذِي
نَاصِيَّهُ كُلُّ شَيْءٍ بِيَدِهِ ، وَمَصِيرُ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهِ ، الْقَوِيُّ فِي سُلْطَانِهِ ، الْأَطِيفُ فِي
جَبَرِوْتَهِ ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى ، وَلَا مُعْطَى لِمَا مَنَعَ ، خَالِقُ الْخَلَاقِ بِقُدْرَتِهِ ،
وَمُسْخِرُهُمْ بِمَشِيقَتِهِ ، وَفِي الْعِهْدِ ، صَادِقُ الْوَعْدِ ، شَدِيدُ الْعِقَابِ ، جَزِيلُ الثَّوَابِ .
أَحْمَدَهُ وَأَسْتَعِينَهُ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ ، مَا لَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ غَيْرُهُ ، وَأَتُوكَلُ عَلَيْهِ تَوْكِلٌ
الْمُسْتَسِلُ لِقُدْرَتِهِ ، الْمُتَبَرِّي مِنَ الْحَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ شَهَادَةً لَا يَشُوبُهَا
شَكٌّ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، إِلَهًا وَاحِدًا صَمَدًا ، لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً
وَلَا وَلَدًا ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبْرِيَّةٍ تَكْبِيرًا ،
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . قَطَعَ أَدْعَاءَ الْمُدْعَى بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّةَ
وَالْإِنْسَانَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ) . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَفَوْتُهُ مِنْ خَلْقِهِ ،
وَأَمِينُهُ عَلَى وَحْيِهِ ، أَرْسَلَهُ بِالْمَعْرُوفِ آمِرًا ، وَعَنِ الْمُنْكَرِ نَاهِيَا ، وَإِلَى الْحَقِّ

(١) فِي اَيْمَانِي : « اَخْتَصَ ». .

داعيا ، على حين فترة من الرُّسُل ، وضلاله من الناس ، وأختلاف من الأمور ، وتنازع من الألسن ، حتى تَمَّ به الوَحْي ، وأنذر به أهل الأرض . أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإنها العِصمة من كُل ضلال ، والسبيل إلى كل نجاة ؛ فكأنكم بالجُثُث قد زايدتم أزواخها ، وتضمنتمها أجداثها ، فلن يستقبل معمر منكم يوماً من عمره إلا باتفاق آخر من أجله ، وإنما دُنياكم كفء الظل ، أو زاد الرَّاكِب . وأحذركم دُعاء العَزِيز الجبار غبده ، يوم تُعْفَى آثاره ، وتُوحش منه دِياره ، ويُوَتَّم صِغاره ، ثم يصير إلى حَقِير من الأرض ، مُتَعَفِّرَا خَدَه^(١) ، غير مُؤْسَد ولا مُهَد . أسأل الذي وَعَدَنا على طاعته جَنَّته أنْ يَقِينا سُخْطَه ، وَيُجْنِبَنا نِقْمَتَه ، ويَهَبَ لَنَا رَحْمَتَه ، إنَّ أَبْلَغَ الْحَدِيثِ كِتَابُ الله .

١٠ وخطبة لم رضي الله عنه :

أما بعد ، فإنَّ الدُّنيا قد أذْبرت وآذنت بوَداع ، وإنَّ الآخِرَة قد أقيمت وأشرفَت بِطَلَاع ، وإنَّ المضمار اليوم والسباق غدا . ألا وإنَّك في أيام أمل ، ومن ورائه أَجَل ، فمن أَخْلَصَ في أيام أَمْلَه ، قبل حُضُور أَجَلِه ، نَفْعَه عَمَلُه ، ولم يضرَه أَمْلُه ؟ ومن قَصَرَ في أيام أَمْلَه ، قبل حُضُور أَجَلِه ، فقد خَسِيرَ عَمَلُه ، وَضَرَه أَمْلُه . ألا فَأَعْمَلُوا الله في الرَّغْبَة ، كَمَا تَعْمَلُون له في الرَّهْبَة . ألا وإنَّ لِمَ أَرَ كَلْجَنَّة نَام طالبُها ، ولم أَرْ كَالْنَار نَام هاربُها . ألا وإنَّك قد أَمْرَتُم بالظُّنُون ، وَدُلْلَتُم عَلَى الزَّاد ، وإنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافَ عَلَيْكُم أَتَبَاعُ الْمُوْى ، وَطُولُ الْأَمْل .

وخطبة لم [أيضا] :

قالوا : ولما أغار سُفيان بن عَوف الأَسْدِي على الأنبار في خلافة عَلَيْهِ رضي الله عنه ، وعليها حَسَان البَكْرِي ، فَقَتَلَه وأَزَالَ تلَكَ الْخَيْل عن مَسَارِه^(٢) ، فَخَرَج عَلَيْهِ رضي الله عنه حتى جَلَسَ على بَابِ السَّدَّة ، فَحَمَدَ الله وأَثْنَى عليه شَمَّ قال :

(١) في بعض الأصول : « على خدَه » .

(٢) في البيان والتبيين : « مسالحها » . والمسالح ، : الثغور .

أما بعد ، فإنَّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنَّة ، فلن ترَكَه أَلبسه الله ثوبَ الذلِّ ،
وأشمله البلاء ، وألزمَه الصغار ، وسامَه الخسْف ، ومَنْعَه النَّصْف^(١) . إلا وإنِّي
دعوتُكَمْ إلى قتال هؤلاء القومِ ايلًا ونهارًا ، ومسيرًا واعلانا ، وقدْلتُ لَكُمْ :
أغزوهم قبلَ أن يغزوكم ، فوالله ما أغزى قومًّا قطُّ في عقر دارهم إلَّا ذلوا . فتواكلتم
١٦٤ ٢ وتخاذلتم وثقل عليكم قولٍ ، فاتخذتموه وراءكم ظهريًا ، حتى شدَّت عليكم
الغارات . هذا أخو غامِد^(٢) ، قد بلغت خيله الأنبار ، وقتل حسان البكري^(٣) ،
وأزال خيلَكم عن مسارِها ، وقتَل منكم رجالاً صالحين . وقدَّلْغَنَّ أنَّ الرجل
منهم كان يدخل على المرأة المُسلمة والأخرى المعايدة فينزَع حِجلها وقلبها ورعاها^(٤) ،
ثمَّ انصرَفوا وافرِين ، ما كُلِّمَ رجلٌ منهم . فلو أنَّ رجلاً مُسلماً ماتَ من بعدِ هذا
١٠ أسفًا ما كان عندي ملُوماً ، بل كان عندي جديراً . فواعجباً من جد هؤلاء في
باطلهم ، وفشلَكم عن حقِّكم ! فقبح حالكم وترحَا ! حين صرتم غرضًا يُرمى ، يُغار
عليكم ولا تُغيرون ، ونُغزوُن ولا تُغزوُن ، ويُعصى اللهُ وترضون ! فإذا أمرتُكم
بالمسيير إليهم في أيام الحر قلتم : حمارة القبيظ ، أمهلنا حتى ينسليخ عنَّا الحر ، وإذا
أمرتُكم بالمسيير إليهم ضحي في الشقاء ، قلتم : أمهلنا حتى ينسليخ عنَّا هذا القرُّ .
١٥ كلُّ هذا فرارًا من الحر والقر ، فأنتم والله من السيف أفر . يا أشباه الرجال ولا
رجال ! يا أحلام أطفال ، وعقول ربات الحِيجَال ! وددتُ أنَّ اللهَ أخرجنِي من بين
أظُهركم وقبضني إلى رحمةِ مِنْ يدِكم ، وأنِّي لم أركم ولم أعرفكم ، معرفةُ الله جرأت
وهذا ، وورَّيتُم والله صدرِي غَيْظاً ، وجَرَّعتموني الموتَ أنفاساً ، وأفسدتُم على
رأني بالعِصْمَيَان والخِذْلَان ، حتى قالت قُريش : إنَّ أَبِي طالب شُجاع ، ولكنْ

(١) النصف : الانتصاف .

(٢) في الأصول : « عامر ». وهو تحرير . (انظر الكامل والمبيان) .

(٣) كذا في الأصول . والذى في البيان (ج ٢ ص ٢٥) : « ابن حسان ، أو حسان البكري ». والذى في الطبرى (١: ٣٤٤٦) : « أشرس بن حسان البكري ». والذى في الكامل (ص ١٣) : « حسان بن حسان ». والذى في الأغاني (ج ١٥ ص ٤٥ طبعة بلاق) : « ابن حسان البكري » .

(٤) القلب : السوار . والرعا : القرط .

لَا عِلْمٌ لَهُ بِالْحَرْبِ ، اللَّهُ أَبُوهُمْ ! وَهَلْ مِنْهُمْ أَحَدٌ أَشَدُّهَا مِسَارًا وَأَطْوَلُ تَجْرِيَةً
مَنْيًا ! لَقَدْ مَارَسْتُهَا وَأَنَا أَبْنَى عِشْرِينَ ، فِيهَا أَنْذَى الْآنَ قَدْ نَيَّفَتْ عَلَى السَّتِينِ ،
وَلَكِنْ لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ .

وَهُطْبَةُ الْمَرْضَى اللَّهُ عَنْهُ :

٥ قَامَ فِيهِمْ فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، الْمُجَمَّعَةُ أَبْدَانُهُمْ ، الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ ، كَلَامُكُمْ
يُوَهِي^(١) الصَّلَابَ ، وَفَعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيهِمْ عَدُوَّكُمْ ؛ تَقُولُونَ فِي الْمَجَالِسِ
كَيْتَ وَكَيْتَ ، فَإِذَا جَاءَتِ الْقِتَالَ قُاتِمَ : [حِيدَى]^(٢) حَيَادٍ . مَا عَزَّتْ دُعَوَةُ مَنْ
دَعَاكُمْ ، وَلَا أَسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ ، أَعْالَيْلَ بِأَبْاطِيلِ . وَسَأْلُتُمُونِي التَّأْخِيرَ ،
دِفَاعَ ذِي الدِّينِ الْمَطْوُلَ . هِيَهَاتٌ^(٣) ! لَا يَدْفَعُ الضَّمَّ الْذَلِيلُ ، وَلَا يُدْرِكُ الْحَقُّ
إِلَّا بِالْجَدَّ . أَيَّ دَارَ بَعْدَ دَارَكُمْ تَمْنَعُونَ ؟ أَمْ مَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ؟
الْمَغْرُورُ وَاللهُ مِنْ غَرْرِتُوهُ ، وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَازَ بِالسَّهْمِ الْأَخْيَبِ . أَصْبَحَتْ وَاللهُ
لَا أَصْدِقُ قَوْلَكُمْ ، وَلَا أَطْمِعُ فِي نُصْرَتِكُمْ ، فَرَقَّ اللَّهُ بَيْنِ وَبَيْنِكُمْ ، وَأَعْقَبَنِي
بِكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْكُمْ . وَدَدَدْتُ وَاللهُ أَنَّ لِي بِكُلِّ عَشْرَةِ مِنْكُمْ رَجُلًا مِنْ بَنِي
فِرَاسَ بْنَ غَمْ، صَرَفَ الدِّينَارَ بِالدَّرْهَمِ^(٤) .

١٥ وَهُطْبَةُ إِذَا سَقَفَرَ أَهْلَ الْكَوْفَةَ لِحَرْبِ الْجَمَلِ :

فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ مَعَ أَبْنَيْهِ الْحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، فَقَامَ فِيهِمْ خَطِيبًا ، فَقَالَ :
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّنَ وَآخِرِ الْمُرْسَلِينَ .
أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى الثَّقَلَيْنِ كَافَةً ، وَالنَّاسُ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « يُوهَنْ » .

(٢) حِيدَى : مَيْلَى . وَحِيَادٍ (كِفَطَام) ، مِنْ ذَلِكَ ، أَيْ ابْعَدَى وَتَنَجَّى عَنِ اِيَّهَا الْحَرْبَ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « أَلَا » مَكَانٌ « هِيَهَاتٌ » .

(٤) اَنْظُرْ إِلَيْهِمَا وَالسِّيَاسَةَ (ج ٢ ص ١١١) وَالْبَيَانَ وَالتَّبَيِّنَ (ج ١ ص ٣٩)
فَبَيْنَ النَّصْوصِ خَلَافٌ .

فِي أَخْتِلَافٍ ، وَالْعَرَبُ بَشَرُ الْمَنَازِلُ ، مُسْتَقْضِيُّوْنَ لِمَا بِهِمْ ^(١) ، بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ، فَرَأَبَ اللَّهُ بِهِ الثَّائِي ^(٢) ، وَلَامَ بِهِ الصَّدْعُ ، وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقُ ، وَأَمَّنَ بِهِ السُّبُلُ ، وَحَقَّنَ بِهِ الدَّمَاءُ ، وَقَطَعَ بِهِ الْعِدَاوَةَ الْوَاغِرَةَ لِلْقُلُوبِ ، وَالضَّغَائِنُ الْمُخَشِّنَةَ لِلصُّدُورِ ؛ ثُمَّ قَبْضَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَشْكُورًا سَعِيهِ ، مَرْضِيًّا عَمَّا هُوَ ، مَغْفُورًا ذَنْبَهُ ، كَرِيمًا عِنْدَ رَبِّهِ . فِي اَهْمَ مَصِيَّبَةِ عَمَّتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَصَّتِ الْأَقْرَبَيْنَ ! وَوَلِيَّ أَبُو بَكْرَ ، فَسَارَ ^٥ بِسِيرَةِ رَضِيَّهَا الْمُسْلِمُونَ ؛ ثُمَّ وَلِيَّ عُمْرَ ، فَسَارَ بِسِيرَةِ أَبِي بَكْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ؛ ثُمَّ وَلِيَّ عُثْمَانَ ، فَنَالَ مِنْكُمْ وَرِنَالَمِنْهُ ، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، أَتَيْتُمُوهُ فَفَقَتَلْتُمُوهُ ، ثُمَّ أَتَيْتُمُونِي فَقُلْتُ لِي : بَايِعْنَا ، فَقُلْتُ لَكُمْ : لَا أَفْعُلُ ، وَقَبَضْتُ يَدِي فَبَدَسْطَتُمُوهَا ، وَنَازَعْتُمْ كَفِي فَجَذَبْتُمُوهَا ، وَقُلْتُ : لَا تَرْضِي إِلَّا بَكَ ، وَلَا ^{٦٥} _٤ يَجْتَمِعُ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَتَدَأْكَكْتُمْ عَلَيْهِ تَدَأْكَكْ الإِبْلُ الْهَمِ ^(٣) عَلَى حِيَاضِهَا ^{١٠} يَوْمَ وَرْدَهَا ، حَتَّى ظَنَنْتُ أَنْكُمْ قَاتِلُونِي ، وَأَنَّ بَعْضَكُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ ، فَبَايِعْتُمُونِي ، وَبَايِعْنِي طَلِحَةُ وَالْبَزَّابِيرُ ، ثُمَّ مَا لَبِثَتْ أَنْ أَسْتَأْذِنَنِي لِلْعُمْرَةِ ، فَسَارَ إِلَى الْبَصَرَةِ ، فَفَقَتَلَاهَا الْمُسْلِمُونَ ، وَفَعَلَ الْأَفَاعِيلُ ، وَهَا يَعْلَمُنَا وَاللَّهُ أَنِّي لَسْتُ بِدُونِ وَاحِدٍ مِنْ مَضِيِّي ، وَلَوْ أَشَاءَ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّمَا قَطَعْنَا قَرَابَتِي ، وَنَكَثَتِي بَيْعَتِي ، وَأَلَّا عَلَيَّ عَدُوٌّ . اللَّهُمَّ فَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرِهَا الْمَسَاءَ ^{١٥} فِيهَا ^(٤) عَمِلاً وَأَمْلَا .

وَمَا هَفَظْتُ عَنْهُ بِالْكُوفَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ :

قال نافع بن كلبي : دخلت الكوفة للتسليم على أمير المؤمنين على رضي الله عنه ، فإني جالسته تحت منبره وعليه عمامة سوداء وهو يقول : أنظروا هذه الحكومة ، فمن دعا إليها فاقتلوه وإن كان تحت عمامتى هذه . ^{٢٠}

(١) كذا فيما سيأتي من هذا الجزء عند الكلام على يوم الجمل . والذى في بعض الأصول هنا : « مستضيقون للثات » . وفي سائر الأصول : « مستضيقوا لثاثهم » . وكلها تحريف . (٢) الثائى (بالفتح والتحريك) : الإفساد .

(٣) تداكتم : تزاحتم . والهم : العطاش ؛ الواحدة : هباء .

(٤) في بعض الأصول : « فيهما » .

فقال له عدي بن حاتم : قلت لـأبي أمـسـ : من أـبـيـ عنـهـاـ فـاقـتـلـوـهـ ، وـتـقـولـ لـنـاـ
الـيـوـمـ : مـنـ دـعـاـ إـلـيـهـ فـاقـتـلـوـهـ ، وـالـلـهـ مـاـ نـدـرـىـ مـاـ نـصـنـعـ بـكـ ! وـقـامـ إـلـيـهـ رـجـلـ
أـحـدـ بـمـنـ أـهـلـ الـعـرـاقـ فـقـالـ : أـمـرـتـ بـهـاـ أـمـسـ وـتـنـهـىـ عـنـهـ الـيـوـمـ ! فـأـنـتـ كـاـ
قـالـ الـأـوـلـ : آـكـلـكـ وـأـنـاـ أـعـلـمـ مـاـ أـنـتـ (١) . فـقـالـ عـلـيـ : أـلـيـ يـقـالـ هـذـاـ ؟
أـصـبـحـتـ أـذـ كـرـ أـرـحـامـ وـأـصـرـةـ بـدـلـتـ مـنـهـاـ هـوـيـ الرـيـحـ بـالـقـصـبـ
أـمـاـ وـالـلـهـ لـوـأـنـيـ حـيـنـ أـمـرـتـكـ بـمـاـ أـمـرـتـكـ بـهـ ، وـنـهـيـتـكـ عـمـاـ نـهـيـتـكـ عـنـهـ ، حـمـلـتـكـ
عـلـىـ الـمـكـرـوـهـ الـذـىـ جـعـلـ اللـهـ عـاقـبـتـهـ خـيـرـاـ إـذـاـ كـانـ فـيـهـ ، اـسـكـانـ الـوـثـقـ الـقـىـ
لـاـ تـفـصـمـ (٢) ، وـلـكـنـ مـتـىـ وـإـلـىـ مـتـىـ أـدـاوـيـكـ ؟ إـنـيـ وـالـلـهـ بـكـ كـنـاقـشـ (٣)
الـشـوـكـةـ بـالـشـوـكـةـ ! يـاـ لـيـتـ لـىـ بـعـضـ قـوـمـيـ ، وـلـيـتـ لـىـ مـنـ بـعـدـ خـيـرـ قـوـمـيـ . الـلـهـمـ
إـنـ دـيـجـلـةـ وـالـفـرـاتـ نـهـرـانـ أـعـجـمـانـ أـصـمـانـ أـبـكـانـ ، الـلـهـمـ سـلـطـ عـلـيـهـمـاـ بـحـرـكـ ، وـانـزـعـ
مـنـهـمـ بـصـرـكـ ، وـرـئـىـ لـلـنـزـعـةـ بـأـشـطـانـ الرـكـيـ (٤) ، دـعـواـ إـلـىـ الـإـسـلـامـ فـقـبـلـوـهـ ،
وـقـرـءـواـ الـقـرـآنـ فـأـحـسـنـوـهـ ، وـنـطـقـوـاـ بـالـشـعـرـ فـأـخـمـوـهـ ، وـهـيـجـوـاـ إـلـىـ الـجـهـادـ فـوـلـوـاـ
الـلـقـاحـ أـلـوـادـهـ ، وـسـلـبـوـاـ السـيـوـفـ أـغـمـادـهـ ، ضـرـبـمـاـ ضـرـبـمـاـ ، وـزـحـفـاـ زـحـفـاـ ،
لـاـ يـتـبـاشـرـونـ بـالـحـيـاةـ ، وـلـاـ يـعـزـزـونـ عـلـىـ القـتـلـ (٥) :

أـوـلـئـكـ إـخـوـانـيـ الـذـاهـبـوـنـ فـحـقـ الـبـكـاءـ لـهـ أـنـ يـطـيـبـيـاـ
رـُزـيـتـ حـبـيـبـاـ عـلـىـ فـاقـيـةـ وـفـارـقـتـ بـعـدـ حـبـيـبـ حـبـيـبـاـ
ثـمـ نـزـلـ تـدـمـعـ عـيـنـاهـ . فـقـلـتـ : إـنـاـ اللـهـ وـإـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـوـنـ عـلـىـ مـاـ صـرـتـ إـلـيـهـ !
فـقـالـ : نـعـمـ ، إـنـاـ اللـهـ وـإـنـاـ إـلـيـهـ رـاجـعـوـنـ ! أـقـوـمـهـ وـالـلـهـ غـدـوـةـ ، وـيـرـجـعـوـنـ إـلـىـ
عـشـيـةـ ، مـثـلـ ظـهـرـ الـحـيـةـ ، حـقـ مـتـىـ وـإـلـىـ مـتـىـ ؟ حـسـبـيـ اللـهـ وـنـعـمـ الـوـكـيلـ !

(١) المثل : « إـنـ لـآـكـلـ الرـأـسـ وـأـنـاـ أـعـلـمـ مـاـ فـيـهـ » . يـضـرـبـ لـلـأـمـرـ تـأـيـهـ وـأـنـتـ تـعـلمـ
مـاـفـيـهـ مـاـ تـكـرـهـ . (٢) فـيـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ : « لـاـ تـقـلـعـ » .

(٣) نقـشـ الشـوـكـةـ : أـخـرـجـهـاـ .

(٤) التـزـعـةـ : الـذـينـ يـنـزـعـونـ الدـلـاءـ . وـالـأـشـطـانـ : جـبـالـ الدـلـاءـ . وـالـرـكـيـ : الـبـسـرـ .
يرـيدـ العـامـلـيـنـ .

(٥) زـيـدـ فـيـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ بـعـدـ قـوـلـهـ « الـقـتـلـ » : « وـلـاـ يـغـيـرـوـنـ عـلـىـ الـعـلـىـ » . وـظـاهـرـ
أـنـهـ تـكـرـارـ مـعـ تـحـرـيفـ كـلـامـهـ .

وهذه خطبته الفرائية رضي الله عنها .

الحمد لله الأحد الصمد ، الواحد المُنفرد ، الذي لا من شئ كان ولا من شئ خلق إلا وهو خاضع له ، قدرة بان بها من الأشياء ، وبأنت الأشياء منه ، فليست له صفة تعال ، ولا أحد يُضرب له فيه الأمثال ، كل دون صفتة تَحْبِير اللّغات ، وضلت هنالك تصارييف الصفات ، وحارت دون ملكته ٥ مذاهب التفسير ، وأنقطعت دون علمه جوامع التفسير ، وحالت دون غَيْبِه حُجَّب تاهت في أدنى دُوَّهَا طامحات العقول . فتَبَارِكَ اللّهُ الذِّي لَا يَبْلُغُه بُعدُ الْهِمَم ، ولا يَفْلُه غَوْصُ الْفِطْنَة ؛ وَتَعَالَى الذِّي لِيُسَلِّمَ لَه نَعْتَ مَوْجُود ، وَلَا وَقْتٌ تَحْدُودُ . وَسُبْحَانَ الذِّي لِيُسَلِّمَ لَه أَوْلُ مُبْتَدَأ ، وَلَا غَايَةً مُنْتَهَى ، وَلَا آخِرَ يَنْفَنِي ؛ ١٠ ١٦٦ ٢ وهو سُبْحَانَه كَمَا وَصَفَ نَفْسَه ، وَالْوَاصِفُونَ لَا يَبْلُغُونَ نَعْتَه ، أَحاطَ بِالْأَشْيَاءِ كُلَّهَا عِلْمُه ، وَأَتَقْنَهَا صُنْعَه ، وَذَلِّلَهَا أَمْرُه ، وَأَحْصَاهَا حِفْظُه ، فَلَا يَعْزُبُ عَنْه غُيوبُ الْهَوَى ، وَلَا كَنْوُنَ ظُلْمَ الدُّجَى ، وَلَا مَافِ السَّمَوَاتِ الْعُلَى ، إِلَى الْأَرْضِ السابعةِ السَّفْلَى ؛ فَهُوَ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا حَافِظٌ وَرَقِيبٌ ، أَحاطَ بِهَا . الْأَحَدُ الصَّمَدُ ، الذِّي لَمْ تُغِيرْه صُرُوفُ الْأَزْمَانَ ، وَلَمْ يَتَكَبَّدْه^(١) صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا كَانَ . قَالَ لِمَا شَاءَ أَنْ يَكُونَ : كُنْ فَكَانَ ؛ أَبْتَدَعَ مَا خَلَقَ ، بِلَا مَثَالَ سَبَقَ ، وَلَا تَعْبَ ، ١٥ وَلَا نَصَبَ ؛ وَكُلَّ عَالَمٍ مِنْ بَعْدِ جَهَنَّمَ تَعْلَمَ ، وَاللَّهُ لَمْ يَجْهَلْ وَلَمْ يَتَعْلَمْ ؛ أَحاطَ بِالْأَشْيَاءِ كُلَّهَا عِلْمًا ، وَلَمْ يَزَدَّ بِتَجَزُّرِهَا خُبْرًا ؛ عِلْمُهُ بِهَا قَبْلَ كُوْنَهَا كَعْلَمَهُ بِهَا بَعْدَ تَكُونِيهَا ؛ لَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَسْدِيدِ سُلْطَانَه ، وَلَا خَوْفٌ مِنْ زَوَالٍ وَلَا نُقْصَانٌ ؛ ٢٠ وَلَا إِسْتَعْانَةٌ عَلَى ضَدِّ مُنَاوِيٍّ ، وَلَا نِدَّ مُكَاثِرٌ ؛ وَلَكِنْ خَلَائِقَ مَرْبُوبَتْ ، وَعِبَادَ دَاخِرَوْن^(٢) . فَسُبْحَانَ الذِّي لَمْ يَؤْدِه خَلَقُ مَا أَبْتَدَأَ ، وَلَا تَدْبِيرُ مَا بَرَأَ ؛ خَلَقَ مَا عَلِمَ ، وَعَلِمَ مَا أَرَادَ ، وَلَا يَتَفَكَّرُ عَلَى حادِثٍ أَصَابَ ، وَلَا شُبُّهَةٌ دَخَلتْ عَلَيْهِ فِيهَا شَاء^(٣) ؛ لَكِنْ قَضَاءٌ مُتَقْنٌ ، وَعِلْمٌ مُخْكَمٌ ، وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ . تَوَحَّدَ فِيهِ

(١) تَكَبَّدَ الأَمْرُ : شَقَ عَلَيْهِ . (٢) دَاخِرَوْنَ : خَاضُونَ اللَّهَ يَفْعَلُونَ مَا يَؤْمِنُونَ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « أَرَادَ » .

بالرَّبُوبِيَّةِ ، وَخَصَّ نَفْسَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ ؛ فَلَمْ يَسْأَلْ العَزَّ وَالْكِبْرِيَاءَ ، وَأَسْتَخَارَ
الْمَجْدَ وَالسَّمَاءَ ، وَأَسْتَكْمَلَ الْحَمْدَ وَالثَّنَاءَ ؛ فَإِنْفَرَدَ بِالْتَّوْحِيدِ ، وَتَوَحَّدَ بِالْتَّمْجِيدِ ؛
جَلَّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْأَبْنَاءِ ، وَنَطَّهَرَ وَتَقَدَّسَ عَنِ مُلَامِسَةِ النَّاسِ ؛ فَلَمْ يَسْأَلْ
لَهُ فِيمَا خَلَقَ نِدَّ ، وَلَا فِيمَا مَلَكَ ضِدَّ ؛ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الصَّمَدُ ، الْوَارِثُ لِلَّا يَرِدُ ،
الَّذِي لَا يَبْدِي وَلَا يَنْفَدِ ؛ مَلَكُ السَّمَاوَاتِ الْعُلَى ، وَالْأَرَضِينَ السُّفْلَى ؛ شَمَ دَنَانِيَّةَ
فَهَلَّا ، وَعَلَا فَدَنَانِيَّا ؛ لَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى ، وَالْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ . شَمَ إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ، خَلَقَ الْخَلْقَ بِعِلْمِهِ ، شَمَ أَخْتَارَ
مِنْهُمْ صَفَوَّنَهُ [لِنَفْسِهِ] ، وَأَخْتَارَ مِنْ خَيَّارٍ^(١) صَفَوَّتَهُ أَمْنَاءَ عَلَى وَحْيِهِ ، وَخَزَنَةَ
لَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، إِلَيْهِمْ تَنْتَهَى رِسَالَتُهُ^(٢) ، وَعَلَيْهِمْ يَنْزَلُ وَحْيُهُ ؛ جَعَلَهُمْ أَصْفَيَاءَ ،
مُصْطَفَيَّينَ أَنْبِيَاءَ ، وَهَدَّيْنَ نُجُومَاءَ . أَسْتَوْدُعُهُمْ وَأَقْرَبُهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقْرَرٍ ، تَنَاسَخُهُمْ
أَكَارِمُ الْأَصْلَابِ ، إِلَى مَطَهَّرَاتِ الْأَمْمَاتِ ؛ كَلَّا مَضِيَّهُمْ سَلَفُ ، أَنْبَعَثَ
لِأَمْرِهِ مِنْهُمْ خَلْفَ ؛ حَتَّى أَتَهُتْ نُبُوَّةُ اللَّهِ وَأَفْضَلَ كَرَامَتُهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْمَعَادِنِ مَحْتَدِاً ، وَأَكْرَمَ الْمَغَارَسَ مَنْدِتاً ،
وَأَمْنَعَهَا ذِرْوَةً ، وَأَعْزَّهَا أَرْوَمَةً ، وَأَوْصَلَهَا مَكْرَمَةً ؛ مِنْ الشَّجَرَةِ الَّتِي صَاغَ
مِنْهَا أَمْنَاءَ ، وَأَنْتَخَبَ مِنْهَا أَنْبِيَاءً ؛ شَجَرَةُ طَيِّبَةِ الْعُودِ ، مُعَقَّدَةُ الْعَمُودِ ، بَاسَقَةُ
الْفُرُوعِ ، مُخْضَرَةُ الْأَصْوَلِ وَالْغَصُونِ ، يَانِعَةُ الشَّمَارِ ، كَرِيمَةُ الْمُجْتَنِيِّ ؛ فَكَرِيمُ
ذَبَّاتِ ، وَفِيهِ بَسْقَتٌ وَأَثْرَتٌ ، وَعَزَّتْ فَأَمْتَنَعَتْ ؛ حَتَّى أَكْرَمَهُ اللَّهُ بِالرُّؤْحِ الْأَمِينِ ،
وَالْفُورِ الْمُبِينِ ، نَخْتَمُ بِهِ النَّبِيَّينِ ، وَأَتَمْ بِهِ عِدَّةَ الْمُرْسَلِينِ ؛ خَلِيفَتُهُ عَلَى عِبَادِهِ ،
وَأَمِينُهُ فِي بِلَادِهِ ؛ زَيَّنَهُ بِالْتَّقْوَى ، وَآثَارَ الذَّكْرَى ؛ وَهُوَ إِمامٌ مِنْ أَتْقَى ، وَنَصِيرٌ
مِنْ أَهْتَدِي ؛ سَرَاجٌ لَمَعَ ضَوْءُهُ ، وَزَندَ بَرَقَ لَمَعُهُ ، وَشَهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ .
فَأَسْتَضَاءَتْ بِهِ الْعِبَادُ ، وَأَسْتَنَارتْ بِهِ الْبَلَادُ ، وَطَوَى بِهِ الْأَحْسَابُ ، وَأَزْجَى
بِهِ السَّحَابُ ، وَسَخَّرَ لَهُ الْبُرَاقُ ، حَتَّى صَافَتْهُ الْمَلَائِكَةُ ، وَأَذْعَنَتْ لَهُ الْأَبَالَسَةُ^(٣) ،

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « كُلُّ خَيَّارٍ ». (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « رَسْلَهُ » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « الْأَلْسَنَةُ » .

وَهَدَمْ بِهِ أَصْنَامَ الْآلهَةِ . سِيرَتُهُ الْقَاصِدُ ، وَسُدْنَتُهُ الرُّشْدُ ؛ وَكَلَامُهُ فَصَلُ ، وَحُكْمُهُ
عَدْلٌ . فَصَدَعَ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا أَمْرَهُ بِهِ ، حَتَّى أَفْصَحَ بِالْتَّوْحِيدِ دُعَوَتِهِ ،
وَأَظْهَرَ فِي خَلْقِهِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، حَتَّى أَذْعَنَ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ ، وَأَفْرَغَ لَهُ بِالْعُبُودِيَّةِ
وَالْوَحْدَانِيَّةِ . اللَّهُمَّ فَخُصُّ مُحَمَّداً صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالذِّكْرِ الْمُحْمُودِ ، وَالْحُوْضُ
الْمَوْرُودِ . اللَّهُمَّ آتِيْ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ ، وَالرِّفْعَةَ وَالْفَضْيَلَةَ ؛ وَاجْعَلْ فِي الْمُصْطَفَيْنِ حَمِلَتَهُ ،
وَفِي الْأَعْلَى دَرْجَتَهُ ؛ وَشَرِيفَ بُنْيَانَهُ ، وَعَظِيمَ بُرْهَانَهُ ؛ وَاسْقُنَا بِكَأسِهِ ، وَأَوْرِدْنَا
حَوْضَهِ ، وَاحْشُرْنَا فِي زُورَتِهِ ؛ غَيْرَ خَزَائِيْا وَلَا نَكِثَيْنَا ، وَلَا شَاكِيْنَا وَلَا مُرْتَابِيْنَا ،
وَلَا ضَالِّيْنَا وَلَا مَفْتُونِيْنَا ، وَلَا مُبْدِلِيْنَا وَلَا حَانِدِيْنَا وَلَا مَضِلِّيْنَا . اللَّهُمَّ أَعْطِيْ مُحَمَّداً
مِنْ كُلِّ كَرَامَةِ أَفْضَلِهِ ، وَمِنْ كُلِّ نَعِيمِ أَكْلَهِ ، وَمِنْ كُلِّ عَطَاءٍ أَجْزَلَهِ ، وَمِنْ كُلِّ
قَسْمٍ أَتَمَّهُ ؛ حَتَّى لا يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ أَقْرَبَ مِنْكَ مَسْكَانًا ، وَلَا أَحْظَى عَنْكَ
مَنْزِلَةَ ، وَلَا أَدْنَى^(١) إِلَيْكَ وَسِيلَةَ ، وَلَا أَعْظَمَ عَلَيْكَ حَقًا وَلَا شَفَاعَةَ مِنْ مُحَمَّدَ ؛
وَاجْعَنِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي ظِلِّ الْعِيشِ ، وَبَرَدِ الرَّوْحِ ، وَقُرْبِ الْأَعْيَنِ ، وَنَضْرَةِ السُّرُورِ ،
وَبَهْجَةِ النَّعِيمِ ؛ فَإِنَا نَشَهِدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَغَ الرِّسَالَةَ ، وَأَدَى الْأَمَانَةَ وَالنَّصِيحَةَ ،
وَأَجْتَهَدَ الْإِلَمَةَ ، وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِكَ ، وَأَوْذَى فِي جَنَبِكَ ، وَلَمْ يَخْفِ لَوْمَةَ لَائِمَ
فِي دِينِكَ ، وَعَبَدَكَ حَتَّى أَتَاهَا الْيَقِينَ . إِمامَ الْمُتَقِّينَ ، وَسَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ ، وَتَمَامَ النَّبِيِّينَ ،
وَخَاتَمَ الْمُرْسَلِينَ ، وَرَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . اللَّهُمَّ رَبَّ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، وَرَبَّ الْبَلَدِ الْحَرَامِ ،
وَرَبَّ الرَّكْنِ وَالْمَقَامِ ، وَرَبَّ الْمَشْعُرِ الْحَرَامِ ، بَلَغَ مُحَمَّدًا مَنَا السَّلَامَ . اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى
مَلَائِكَتِكَ الْمُقْرَبِيْنَ ، وَعَلَى أَنْبِيَائِكَ الْمُرْسَلِيْنَ ، وَعَلَى الْحَفْظَةِ الْكَرَامِ الْكَاتِبِيْنَ ،
وَصَلِّ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَأَهْلِ الْأَرْضِيْنَ ، مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ .

وَهُطْبَيْةُ الزَّهْرَاءِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هُوَ أَوَّلُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِدِيهِ ، وَمُفْتَهُ كُلِّ شَيْءٍ وَوَلِيهِ ، وَكُلِّ
شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ ، وَكُلِّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ ، وَكُلِّ شَيْءٍ ضَارِعٌ إِلَيْهِ ، وَكُلِّ شَيْءٍ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « أَقْرَبَ » .

مُسْتَكِين لَه . خَشِعَت لَه الْأَصْوَات ، وَكَلَّتْ دُونَه الصَّفَات ؛ وَضَلَّتْ دُونَه
 الْأَوْهَام ، وَحَارَتْ دُونَه الْأَحْلَام ، وَانْحَسَرَتْ دُونَه الْأَبْصَار . لَا يَقْفَى فِي الْأَمْوَار
 غَيْرُهُ ، وَلَا يَتَمَّ شَيْءٌ مِنْهَا دُونَه ، سُبْحَانَه مَا أَجْلَّ شَاءَنَه ، وَأَعْظَمَ سُلْطَانَه !
 تُسَبِّحُ لَه السَّمَوَاتُ الْعُلَى ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ الشَّفَلِي ؛ لَه التَّسْبِيحُ وَالْعَظَمَةُ ،
 وَالْمَلِكُ وَالْقُدْرَةُ ، وَالْحَوْلُ وَالْقُوَّةُ ؛ يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ ؛ قُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ
 وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ ، وَعِزٌّ كُلِّ ذَلِيلٍ ، وَوَلَى كُلِّ نِعْمَةٍ ، وَصَاحِبُ كُلِّ
 حَسَنَةٍ ، وَكَاشِفُ كُلِّ كُرْبَةٍ ؛ الْمُطْلَعُ عَلَى كُلِّ خَفِيَّةٍ ، الْمُحْصَنُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ ، يَعْلَمُ
 مَا تُكْنِي الصُّدُورُ ، وَمَا تُرْخَى عَلَيْهِ السُّتُورُ ؛ الرَّحِيمُ بِخَلْقِهِ ، الرَّءُوفُ بِعِبَادِهِ ،
 مَنْ تَكَلَّمُ مِنْهُمْ سَمِعَ كَلَامَه ، وَمَنْ سَكَتَ مِنْهُمْ عَلِمَ مَا فِي نَفْسِهِ ، وَمَنْ عَاشَ
 مِنْهُمْ فِعْلَيْهِ رِزْقُهُ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْهُمْ فِإِلَيْهِ مَصِيرُهُ ، أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ ،
 وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ حِفْظَهُ . اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَدَدُ مَا تُحِبُّ وَتُمِيتُ ، وَعَدَدُ أَنفَاسِ
 خَلْقَكَ وَلَفْظَهُمْ وَلَحْظَ أَبْصَارِهِمْ ، وَعَدَدُ مَا تَجْرِي بِهِ الرِّيحُ ، وَتَحْمِلُهُ السَّيَاحُ ،
 وَيَخْتَلِفُ بِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَيَسِيرُ بِهِ الشَّمْسُ وَالقَمَرُ وَالنَّجُومُ ، حَمْدًا لَا يَنْقُضُ
 عَدْدَهُ ، وَلَا يَفْنِي أَمْدَهُ . اللَّهُمَّ أَنْتَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ شَيْءٍ ،
 وَتَكُونُ بَعْدَ هَلاَكَ كُلِّ شَيْءٍ ، وَتَبِقُّ وَيَفْنِي كُلُّ شَيْءٍ ، وَأَنْتَ وَارِثُ كُلِّ شَيْءٍ ،
 أَحَاطَ عِلْمُكَ بِكُلِّ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ يُعْجِزُكَ شَيْءٌ ، وَلَا يَتَوَارِي عَنْكَ شَيْءٌ ؛ وَلَا
 يَقْدِرُ أَحَدٌ قُدْرَتَكَ ، وَلَا يَشْكُرُكَ أَحَدٌ حَقَّ شُكْرَكَ ، وَلَا تَهْتَدِي العَقُولُ
 لِصِفَاتِكَ ، وَلَا تَبْلُغُ الْأَوْهَامَ حَدَّكَ . حَارَتِ الْأَبْصَارُ دُونَ النَّظَرِ إِلَيْكَ ، فَلَمْ تَرَكْ
 عَيْنٌ فَتُخَبِّرَ عَنْكَ كَيْفَ أَنْتَ وَكَيْفَ كُنْتَ ، لَا نَعْلَمُ اللَّهُمَّ كَيْفَ عَظَمْتُكَ ، غَيْرُ
 أَنَا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قِيَوْمٌ ، لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ، لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ
 بَصَرٌ ، وَلَا يَقْدِرُ قُدْرَتَكَ مَلَكٌ وَلَا بَشَرٌ ؛ أَدْرَكَتِ الْأَبْصَارُ ، وَكَتَبْتِ الْآجَالَ ،
 وَأَحْصَيْتِ الْأَعْمَالَ ، وَأَخْذَتِ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامَ ؛ لَمْ تَخْلُقِ الْخَاقَنَ لِحَاجَةٍ
 وَلَا لَوْحَشَةٍ ؛ مَلَأْتِ كُلَّ شَيْءٍ عَظَمَةً ، فَلَا يُرُدُّ مَا أَرْدَتِ ، وَلَا يُعْطَى مَا مَنَعْتِ ،

ولا ينقص سلطانك من عصاك ، ولا يزيد في ملائكتك من أطاعتك . كل سر
 عندك علمه ، وكل غريب عندك شاهده ، فلم يستقر عنك شيء ، ولم يشغلك شيء
 عن شيء ، وقدرتك على ما تقضى كقدرتك على ما قضيت ، وقدرتك على القوى
 كقدرتك على الضعيف ، وقدرتك على الأحياء كقدرتك على الأموات .
 ١٦٨
 ٥ فاليك المُنتهى ، وأنت الموعود ، لا منجي إلا إليك ، بيدك ناصية كل دابة ،
 وباذنك تسقط كل ورقة ، لا يعزب عنك مثقال ذرة ، أنت الحى القيوم .
 سبحانك ! ما أعظم ما يرى من خلقك ! وما أعظم ما يرى من ملائكتك ! وما
 أقلهم فيما غاب عنا منه ! وما أسبغ نعمتك في الدنيا وأحقرها في نعيم الآخرة !
 وما أشد عقوبتك في الدنيا وما أيسرها في عقوبة الآخرة ! وما الذي رأى من خلقك ،
 ١٠ ونعتبر من قدرتك ، ونصف من سلطانك ، فيما يغيب ^(١) عنا منه ، مما قصرت أبصارنا
 عنه ، وكلت عقولنا دونه ، وحال الغيوب بيننا وبينه ! فمن قرع سنّه ، وأعمل
 فسحة : كيف أقتت عرشك ؟ وكيف ذرأت خلقك ؟ وكيف علقت في الهواء
 سمواتك ؟ وكيف مددت أرضاك ؟ يرجع طرفه حامرا ، وعقله مبهورا ، وسمعه والها ،
 وفكرة متغيرا . فكيف يطلب علم ما قبل ذلك من شأنك ، إذ أنت وحدك
 ١٥ في الغيوب التي لم يكن فيها غيرك ، ولم يكن لها سواك ، لا أحد شهدك حين
 فطرت الخلق ، ولا أحد حضرك حين ذرأت النفوس ، فكيف لا يعظام شأنك
 عند من عرفك ، وهو يرى من خلقك ما ترتع به عقولهم ، ويملا قلوبهم ، من
 رعد تفزع له القلوب ، وبرق يخطف الأبصار ، وملائكة خلقهم وأسكنتهم
 سمواتك ، وليس فيهم فترة ، ولا عندهم غفلة ، ولا بهم معصية . هم أعلم خلقك
 ٢٠ بل ، وأخوهن لك ، وأقومهم بطاعتك ، ليس يغشهم نوم العيون ، ولا يهونو
 العقول ؛ لم يسكنوا الأصلاب ، ولم تضمهم الأرحام ؛ أنشأتهم إنشاء ، وأسكنتهم
 سمواتك ، وأكرمتهم بجوارك ، وأئتمتهم على وحيك ؛ وجنبتهم الآفات ،
 ووقتهم السيات ، وطهرتهم من الذنوب ؛ فلولا تقويتها لم يقووا ، ولو لا

(١) أي ليس بشيء فيما يغيب عنا .

تَشْبِيهَكَ لَمْ يَتَبَتَّوا ، وَلَوْلَا رَهْبَيْتَكَ لَمْ يَطِيعُوا ، وَلَوْلَاكَ لَمْ يَكُونُوا . أَمَا إِنْتَ عَلَى
 مَكَاتِبِهِمْ مِنْكَ ، وَمِنْزَاتِهِمْ عِنْدَكَ ، وَطُولُ طَاعَتِهِمْ إِيَّاكَ ، لَوْيُعَاينُونَ مَا يَخْفِي
 عَلَيْهِمْ لَا هَتَقْرُوا أَعْمَالَهُمْ ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقًّا عِبَادَتَكَ . فَسُبْحَانَكَ
 خَالقًا وَمَعْبُودًا وَمَحْمُودًا بِحُسْنِ بِلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ ! أَنْتَ خَلَقْتَ مَا دَبَرْتَهُ
 مَطْعُومًا وَمَشْرُبًا ، ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِيًّا إِلَيْنَا ، فَلَا الدَّاعِيَ أَجْبَنَا ، وَلَا فِيهَا رَغْبَتْنَا فِيهِ
 رَغِبَنَا ، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقَنَا إِلَيْهِ أَشْتَقَنَا . أَقْبَلْنَا كُلُّنَا عَلَى جِيفَةِ نَارٍ كُلُّهَا
 وَلَا نَشْبَعُ ، وَقَدْ زَادَ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ حِرْصًا ، لَمَّا يَرَى بَعْضُنَا مِنْ بَعْضٍ ؛ فَأَفْتَضَحْنَا
 بِأَكْلِهَا ، وَأَصْطَلَحْنَا عَلَى حُبْهَا ، فَأَعْمَتْ أَبْصَارَ صُلَاحَنَا وَفُقَهَائِنَا ، فَهُمْ يَنْظَرُونَ
 بِأَعْيُنِ غَيْرِ صَحِيقَةٍ ، وَيَسْمَعُونَ بِآذَانِ غَيْرِ سَمِيعَةٍ ، فَيَهْمِلُوا زَالَتْ زَالَتْ رَاهِنَاهَا ، وَحِيشَانَاهَا
 مَالَتْ أَقْبَلَوَا إِلَيْهَا ؛ وَقَدْ عَانَوْا الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَةِ كَيْفَ بَجَاهُمُ الْأُمُورُ ، وَنَزَلَ
 بِهِمُ الْمَذْوَرُ ، وَجَاءُهُمْ مِنْ فَرَاقِ الْأَحَبِيَّةِ مَا كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ ، وَقَدَمُوا مِنَ الْآخِرَةِ
 [إِلَى] مَا كَانُوا يُوعَدُونَ . فَارْفَأُوا الدُّنْيَا وَصَارُوا إِلَى الْقُبُورِ ، وَعَرَفُوا مَا كَانُوا
 فِيهِ مِنَ الْغُرُورِ ؟ فَأَجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ حَسْرَتَانِ : حَسْرَةُ الْفَوْتِ ، وَحَسْرَةُ الْمَوْتِ ،
 فَأَغْبَرَتْ لَهَا وُجُوهُهُمْ ، وَتَغَيَّرَتْ بِهَا أَوْانِهِمْ ، وَعَرِقَتْ بِهَا جِبَاهُهُمْ ، وَشَخَّصَتْ
 أَبْصَارُهُمْ ، وَبَرَدَتْ أَطْرَافُهُمْ ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَنْطَقِ ؛ وَإِنَّ أَحَدَهُمْ لَبَيْنَ
 أَهْلِهِ يَنْظَرُ بِيَصْرِهِ ، وَيَسْمَعُ بِأَذْنِهِ . ثُمَّ زَادَ الْمَوْتُ فِي جَسْدِهِ حَتَّى خَالَطَ بَصَرَهُ ،
 فَذَهَبَتْ مِنَ الدُّنْيَا مَعْرِفَتُهُ ، وَهَلَّكَتْ عِنْدَ ذَلِكَ حُجَّتُهُ ، وَعَانَ هُولَ أَمْرٍ كَانَ
 مُغْطَى عَلَيْهِ ، فَأَحَدَّ لِذَلِكَ بَصَرَهُ . ثُمَّ زَادَ الْمَوْتُ فِي جَسْدِهِ ، حَتَّى بَلَغَتْ نَفْسَهُ
 الْحَلْقُومَ ، ثُمَّ خَرَجَ رُوحُهُ مِنْ جَسْدِهِ فَصَارَ جَسْدًا أَمْلَقَ لَا يُجِيبُ دَاعِيًّا ، وَلَا يَسْمَعُ
 بِأَكْيَا ، فَنَزَعُوا اثِيَابَهُ وَخَاتَمَهُ ، ثُمَّ وَضَئَوهُ وَضَوءَ الصَّلَاةِ ، ثُمَّ غَسَلُوهُ وَكَفَنُوهُ أَدْرَاجًا
 فِي أَكْفَانَهُ ، وَحَنَّطُوهُ ثُمَّ حَلَوْهُ إِلَى قَبْرِهِ ، فَدَأَوْهُ فِي حُفْرَتِهِ ، وَتَرَكُوهُ مُخْلَى بِمُقْطَعَاتِ
 مِنَ الْأُمُورِ ، وَتَحْتَ مَسَأَلَةِ مُنْكَرٍ وَنُكَيرٍ ، مَعَ ظَالِمٍ وَضَيِيقٍ ، وَوَحْشَةِ قَبْرٍ ؛ فَذَلِكَ مَثْوَاهُ
 حَتَّى يَبْلُى جَسْدُهُ وَيَصِيرَ تُرَابًا . حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْأَمْرَ إِلَى مِقْدَارِهِ ، وَأَلْحَقَ آخِرُ
 الْخَلْقَ بِأَوْلَهُ ، وَجَاءَهُ أَمْرٌ مِنْ خَالِقِهِ ، أَرَادَ بِهِ تَجْدِيدَ خَلْقِهِ ، فَأَمْرٌ بِصَوْتٍ مِنْ

سَمَاوَاتِهِ ، فَهَارَتِ السَّمَاوَاتُ مَوْرًا ، وَفَزَعَ مَنْ فِيهَا ، وَبَقَ مَلَائِكَتُهَا عَلَى أَرْجَانِهَا ،
 ثُمَّ وَصَلَ الْأَمْرُ إِلَى الْأَرْضِ – وَالْخَلْقُ رُفَاتٌ لَا يَشْعُرُونَ – فَأَرْجَ أَرْضَهُمْ وَأَرْجُفُهُمْ
 وَزَلَّهُمْ ، وَقَلَعَ جَبَالَهُمْ وَنَسْفُهُمْ وَسِيرَهُمْ ، وَرَكِبَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ هَيَّبَتِهِ وَجَلَّهُ ،
 وَأَخْرَجَ مِنْ فِيهَا ، فَجَدُّهُمْ بَعْدَ بَلَاثِهِمْ ، وَجَمِيعُهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ، يُرِيدُ أَنْ يُحَصِّبُهُمْ
 وَيُعِيزُّهُمْ : فَرِيقًا فِي نُواهِيهِ ، وَفَرِيقًا فِي عِقَابِهِ ، فَخَلَدَ الْأَمْرُ لِأَبْدِهِ دَائِمًا ، خَيْرُهُ
 وَشَرُّهُ . ثُمَّ لَمْ يَنْسِ الطَّاعَةَ مِنَ الْمُطَيِّعِينَ ، وَلَا الْمَعْصِيَةَ مِنَ الْعَاصِينَ ، فَأَرَادَ عَزَّ
 وَجَلَّ أَنْ يُجَازِي هُؤُلَاءِ ، وَيَنْتَقِمَ مِنْ هُؤُلَاءِ ، فَأَنَّابَ أَهْلَ الطَّاعَةِ بِجَوارِهِ ،
 وَحُلُولَ دَارِهِ ، وَعَيْشَ رَغْدَ ، وَخُلُودَ أَبْدَ ، وَمُجاوِرَةَ الرَّبِّ ، وَمُوافِقَةَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، حَيْثُ لَا ظَعْنَ وَلَا تَغْيِيرٌ ، وَحَيْثُ لَا تُصِيبُهُمُ الْأَحْزَانُ ، وَلَا تَعْتَرِضُهُم
 الْأَخْطَارُ ، وَلَا تُشَخِّصُهُمُ الْأَسْفَارُ^(١) . وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ ، فَخَلَدُهُمْ فِي النَّارِ ،
 وَأَوْتُقُّهُمُ الْأَقْدَامُ ، وَغُلَّتْ مِنْهُمُ الْأَيْدِي إِلَى الْأَعْنَاقِ ، فِي لَهَبِ قَدْ أَشْتَدَ
 حَرَّةَ ، وَنَارٌ مُطْبَقَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ، لَا يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ بَهَارَوْحٌ ، هُمْ شَدِيدُونَ ، وَعَذَابُهُمْ
 يَزِيدُ ، وَلَا مُدَّةً لِلدارِ تَنْقَضُ ، وَلَا أَجَلَ لِلقومِ يَنْتَهِي . اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ
 الْفَضْلَ ، وَالرَّحْمَةَ بِيْدِكَ ، فَأَنْتَ وَلِيَّهُمَا ، لَا يَلِيهِمَا أَحَدٌ غَيْرُكَ ، وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ
 الْمَخْزُونِ الْمَكْنُونِ ، الَّذِي قَامَ بِهِ عَرْشُكَ وَكَرْسِيُّكَ وَسَمَاوَاتُكَ وَأَرْضُكَ ، وَبِهِ
 أَبْتَدَعْتَ خَلْقَكَ ، الصَّلَاةَ عَلَى مُحَمَّدٍ ، وَالنَّجَاهَةَ مِنَ النَّارِ بِرَحْمَتِكَ ، آمِينَ ،
 إِنَّكَ وَلِيَّ كَرِيمٌ .

وَهُنْ طَبَابُ أَيْضًا فَقَالَ :

أَيُّهَا النَّاسُ ، أَحْفَظُوا عَنِّي خَمْسًا ، فَلَوْ شَدَّدْتُمْ إِلَيْهَا الْمَطَايَا حَتَّى تُنْضُوْهَا
 لَمْ تَظْفِرُوا بِمُثْلِهَا : أَلَا لَا يَرْجُونَ أَحَدًا كَمَا إِلَّا رَبُّهُ ، وَلَا يَخَافُنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ ،
 وَلَا يَسْتَحْيِي أَحَدًا كَمَا إِذَا لَمْ يَعْلَمْ أَنْ يَتَعَلَّمْ ، وَإِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمْ أَنْ يَقُولَ :
 لَا أَعْلَمْ : أَلَا وَإِنَّ الْخَامِسَةَ الصَّابِرَةَ ؟ فَإِنَّ الصَّابِرَةَ مِنَ الْإِيمَانِ بِمَنْزِلَةِ الرَّأْسِ مِنَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « الْأَبْصَارُ » .

الجَسَد . مَنْ لَا صَبْرَ لَهُ لَا إِيمَانَ لَهُ ، وَمَنْ لَا رَأْسَ لَهُ لَا جَسَدَ لَهُ . وَلَا خَيْرٌ فِي قِرَاءَةٍ إِلَّا بِتَدْبِيرٍ ، وَلَا فِي عِبَادَةٍ إِلَّا بِتَفْكِيرٍ ، وَلَا فِي حِلْمٍ إِلَّا بِعِلْمٍ . أَلَا أَنْبَشْكُمْ بِالْعَالَمِ كُلَّ الْعَالَمِ ، مَنْ لَمْ يُرِيَنَّ لِعَبْدَ اللَّهِ مَعَاصِيَ اللَّهِ ، وَلَمْ يُؤْمِنُهُمْ مَكْرَهًا ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِهِ . وَلَا تُنْزَلُوا الْمُطَيِّعِينَ الْجَنَّةَ ، وَلَا الْمُذْنَبِينَ الْمُوَحَّدِينَ النَّارَ ، حَتَّى يَقْضِيَ اللَّهُ فِيهِمْ بِأَمْرِهِ . لَا تَأْمُنُوا عَلَى خَيْرٍ هَذِهِ الْأُمَّةِ عِذَابَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : (فَلَا يَأْمُنَ مَكْرَهُ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ) . وَلَا تُقْنِطُوا شَرَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ، (فَإِنَّهُ لَا يَيْأسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ) .

وَمِنْ كَلِمَاتِ رَضْوَانِهِ اللَّهُ عَلَيْهِ :

قال ابن عباس : لما فرغ على بن أبي طالب من وقعة الجمل ، دعا بأجرتين ١٠ فعلاها ، ثم حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : يا أنصار المرأة ، وأصحاب البهيمة ، رغماً فجئتم ، وعُقر فأنهزتم . دخلت شر بلاد ، أبعدها من النساء ، بها يغمض كل ماء ، ولها شر أسماء ، هي البصرة والبصرة والمؤتفكة وتدمى^(١) . أين ابن عباس ؟ ١٧٠ فدعى ، فقال لها : مرحباً هذه المرأة فلترجع إلى بيتها الذي أمرت أن تقر فيه^(٢) . وتمثل على بن أبي طالب رضي الله عنه بعد الحكمين :

زللتُ فِيكُمْ زَلَّةً فَاعْتَذِرْ سُوفَ أَكِيسُ بَعْدَهَا وَأَنْشِمْر^(٣)
وَأَجْمَعُ الْأَمْرَ الشَّتَّىتِ الْمُنْتَشِرِ

خطب معاوية

قال القحدمي : لما قدم معاوية المدينة عام الجماعة تلقاً رجلاً قريشاً ، فقالوا : الحمد لله الذي أعن نصرك ، وأعلى كعبك . قال : فوالله ما رأى عليهم شيئاً حتى صعد المنبر فيحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أما بعد ، فإني والله ما وليتها ٢٠

(١) انظر معجم البلدان عند الكلام على البصرة والمؤتفكة .

(٢) نص الخطبة في شرح نهج البلاغة مختلف عنه هنا كثيراً .

(٣) في بعض الأصول : « وأشتهر » .

بحبّة عالمتُها منكم ، ولا مَسْرَة بولايتي ، ولـكني جالدتُكم بسبفي هذا مجالدَة ،
ولقد رُضِتُ لـكُم نفسى على عمل ابن أبي قحافة ، وأردتها على عمل عمر ، فنفرت
من ذلك نفراً شديداً ، وأردتها على [مثل] ^(١) ثنيات ^(٢) عثمان ، فأبَتْ علىَ ،
فسلكتُ بها طريقاً لـكُم فيه منفعة ، مُواكِلة حسنة ، وموشاربة جميلة ،
فإن لم تجذوني خيركم فإني خيركم ولاية . والله لا أحمل السيف على من
لا سيف له ، وإن لم يكن منكم إلا ما يستشفي به القائل بلاسنه ، فقد جعلتُ
له ذلك دَبَرَ أذني وتحت قدسي ، وإن لم تجذوني أقوم بحقكم كُلَّه فاقبلوا مني
بعضه ، فإن أناكم متى خير فاقبلوه ، فإن السبيل إذا زاد عن ^(٣) ، وإذا قل
أغنى ^(٤) : وإياكم والفتنة ، فإنها تفسد المعيشة ، وتکدر النعمة ، ثم نزل .

[وخطبة أيضاً لمعاوية] :

حمد الله وأثني عليه ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :
أما بعد ، أيها الناس ، إنا قدْمنا عليكم ، وإنما قدْمنا على صديق مُسقبشر ،
أو على عدو مُستتر ، وناسٌ بين ذلك يَنْظرون وينتظرون ، (فإنْ أَعْطُوا منها
رَضْوا ، وإنْ لم يُعْطُوا منها إذا هم يَسْخَطون) . ولستُ واسعاً كُلَّ الناس ، فإن
كانت مَحْمَدة فلا بد من مَذْمَة ، فلوماً هوناً إذا ذَكَرَ غُفر ، وإياكم والتي إن
أَخْفِيتْ أَوْبَقتْ . وإن ذُكِرتْ أَوْتَقَتْ ، ثم نزل .

[وخطبة أيضاً لمعاوية] :

صَدِيد مِنْبَرَ المَدِينَة . ثَمَدَ الله وأثني عليه ، ثم قال : يَأْهَلَ المَدِينَة ، إِنِّي لَسْتُ
أَحِبُّ أَنْ تَكُونُوا خَلْقَ كَخْلُقِ الْعِرَاقِ ، يَعِيبُونَ الشَّيْءَ وَهُمْ فِيهِ ، كُلُّ أَمْرٍ مِنْهُمْ

(١) التكملة عن تاريخ ابن عساكر وتاريخ الإسلام للذهبي .

(٢) كذا في الأصول ، وثنيات : جمع ثنية ، وهي الطريق العالى في الجبل ، أى على
مثل الصعب مما ركب عثمان . والذى في ابن عساكر والذهبى : « سنين » .

(٣) في بعض الأصول : « جاء يترى » .

(٤) أغنى ، أى كفى .

شِيعَةُ نَفْسِهِ ، فَاقْبَلُونَا بِمَا فِينَا ، فَإِنْ مَا وَرَاءَنَا شَرٌّ لَكُمْ ، وَإِنَّ مَعْرُوفَ زَمَانَنَا
هَذَا مُنْكَرٌ زَمَانٌ قَدْ مَضَى ، وَمُنْكَرٌ زَمَانَنَا مَعْرُوفٌ زَمَانٌ لَمْ يَأْتِ ، وَلَوْقَدْ أَتَى ،
قَالَ رَجُلٌ خَيْرٌ مِنَ الْفَتَقْ ، وَفِي كُلِّ بَلَاغٍ ، وَلَا مُقَامٌ عَلَى الرِّزْيَةِ .

[وَعَطْبَةُ مَعَاوِيَةَ أَيْضًا] :

٥ قال العتبى : خطب معاوية الجمعة في يوم صائف شديد الحر ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إن الله عنده وجل
خلقكم فلم ينسكم ، ووعظكم فلم يهملكم ، فقال : (يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله
حق تقاته ولا تموتون إلا وأنتم مسلمون) . قوموا إلى صلاتكم .

وما ذكر لعمير الله بن زياد عند معاوية

١٠ قال ابن دأب : لما قدِمَ عَبْيَدُ الله بن زياد على معاوية بعد هلاك زياد فوجده
لاهياً ^(١) [عنه] أنكره ، فجعل يتتصدى له ^(٢) بخلوة ليس ببر من رأيه ما كرمه أن
يشترك به في عمله ^(٣) ، فاستأذن عليه بعد أنداد الطلاب ، وإشعال ^(٤) الخاصية ،
وافتراق العامة ، وهو يوم معاوية الذي كان يخلو فيه بنفسه . ففطن معاوية لما
أراد ، فأبعث إلى أبنه يزيد ، وإلى مروان بن الحكم ، وإلى سعيد بن العاص ،
١٥ وعبد الرحمن بن الحكم ، وعمرو بن العاص . فلما أخذوا مجالسهم أذن لهم ، فسلم
وقف واجهآ يتصحّح وجوه القوم ، ثم قال : صريح العقوق مكالمة الأذين ،
ولا خير في اختصاص إن وفر ^(٥) ، أَهْمَدَ الله إِلَيْكُمْ عَلَى الْآلَاءِ ، وأَسْتَعِينُهُ عَلَى
اللَّاؤَاءِ ^(٦) ، وأَسْتَهْدِيهُ مِنْ عَمَّيْ مُجْهِدٍ ، وأَسْتَعِينُهُ عَلَى عَدُوِّ مُرْصِدٍ ، وأَشْهَدَ

(١) في بعض الأصول : « الأعياء » .

(٢) في بعض الأصول : « منه » .

٢٠

(٣) أى ليعرف سبب إبعاد معاوية له وعدم استعماله له . وفي بعض الأصول : « عامله » .

(٤) الإشعال : التفرق . وفي بعض الأصول : « واشتغال » .

(٥) وفر ، أى عم وشاع . يقول : خير الاختصاص ماقلل معه الاختفاء .

(٦) الآلاء : النعم . واللاؤاء : الشدة .

أن لا إله إلا الله، المُنْقَذُ بِالْأَمِينِ الصادقِ، مِنْ شَفَاءِ هَاوٍ^(١)، وَمِنْ غَوَّاهَةِ غَاوٍ^(٢)؛
 وَصَلَواتُ اللَّهِ عَلَى الزَّكِيِّ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، وَنَذِيرِ الْأَمَّةِ، وَقَائِدِ الْهُدَىِ . أَمَّا بَعْدُ ،
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ عَسَفَ بِنَا ظَانُ فَرَّاعَ^(٣)، وَفَزَعَ صَدَاعٌ؛ حَتَّى طَمِيعُ السَّجِيقِ ،
 وَيَئِسُ الرَّفِيقِ؛ وَدَبَ الْوُشَاةَ بِمَوْتِ زِيَادَ ، فَكَلَّا لَهُمْ مُتَحَفِّزٌ^(٤) لِلْعِدَاوَةِ ، وَقَدْ
 قَلَّصَ الْإِزْرَةَ^(٥) ، وَشَمَّرَ عَنْ عِطَاوَهِ^(٦) ، لِيَقُولَ : مَضِي زِيَادَ بِمَا أَسْتُلْحِقُ بِهِ ،
 وَوَلَى عَلَى الدَّنَيَا^(٧) مِنْ مُسْتُلْحِقِهِ . فَلِمَّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ سَلَمَ فِي دَعَتِهِ ، وَأَسْلَمَ زِيَادًا
 فِي ضَعَتِهِ^(٨) ، فَكَانَ تِرْبَ عَامَّةَ ، وَوَاحِدَ رَعِيَّةَ ، فَلَا تَشَخَّصُ إِلَيْهِ عَيْنُ نَاظِرٍ ،
 وَلَا إِصْبَعُ مُشَيْرٍ ، وَلَا تَذَلَّقَ^(٩) عَلَيْهِ أَلْسُنُ . كَلَمَتَهُ حَيَا ، وَنَبَشِّتَهُ مَيِّتًا ، فَإِنَّ
 تَكَنْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ حَابِبَتَ زِيَادًا بِوَلَاءِ^(١٠) رُفَاتَ ، وَدَعْوَةَ أَمَوَاتَ ، فَقَدْ حَابَكَ
 زِيَادَ بِجَدَّ هَصُورَ ، وَعَزْمَ جَسُورَ ، حَتَّى لَانْتَ شَكَائِمُ الشَّرِّis ، وَذَلَّتْ صَعْبَةَ
 الْأَشْوَسَ ، وَبَذَلَ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَمِينَهُ وَيَسَارَهُ ، تَأْخُذُ بِهِمَا الْمَنِيمَ ، وَتَقْهَرُ
 بِهِمَا الْبَزِيعَ^(١١) ، حَتَّى مَضِيَ ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ . فَإِنْ يَكُنْ زِيَادًا أَخْذَ بِحَقِّ فَإِنْ لَنَا^(١٢)
 مَنَازِلَ الْأَقْرَبَيْنَ ، فَإِنَّ لَنَا بَعْدَهُ مَا كَانَ لَهُ ، بِدَالَةِ الرَّحْمِ ، وَقَرَابَةِ الْحَمِيمِ ، وَمَا لَنَا

(١) كذا في ١، ٢ . يزيد شفاء بهوي بصاحبه إلى الحضيض . والذى فى سائر الأصول:
 ١٥ «شفا جرف هار» .

(٢) كذا في ١، ٢ . يزيد الشيطان . والذى فى سائر الأصول: «عار» .

(٣) فرع: فرق .

(٤) في بعض الأصول: «مستحفز» وهي بمعناها .

(٥) الإزرة: الاتزار . (٦) العطاف: الرداء .

٢٠ (٧) في بعض الأصول: «ودل على الأنية» .

(٨) في بعض الأصول: «في ضياعته» .

(٩) ذلق المسان: ذرب وحد .

(١٠) في بعض الأصول: «بأول» .

(١١) البزيع: السيد .

(١٢) في بعض الأصول: «له» .

يا أمير المؤمنين نمشي الضراء ، ونديب الخفاء^(١) ، ولنا من خيرك أكمله^(٢) ،
وعليك من حوبنا أثقله^(٣) ، وقد شهد القوم ، وما ساءني قربهم ، ليُقرّوا حقاً ،
ويرثوا باطلًا ، فإن للحق مَناراً واضحًا ، وسبيلًا قصداً ، فقل يا أمير المؤمنين بأى
أُمْرٍ يُكِّل شئت ، فما نأرِز^(٤) إلى غير جُحرنا ، ولا نستكثُر بغير حقنا ،
وأستغفر الله لى ولكم .

قال : فنظر معاوية في وجوه القوم كالمتعجب ، فتصفحهم بلحظه رجالاً ،
رجالاً ، وهو مُبتسِّم . ثم اتجه تلقاه ، وعقد حبّونه ، وحسّر عن يده ، وجعل
يُومي بها نحوه ، ثم قال معاوية : الحمد لله على ما نحن فيه ، فكُل خير منه ،
وأشهد أن لا إله إلا الله ، فكُل شيء خاضع له ، وأن محمداً عبدُه ورسولُه ، دل
على نفسه بما بان عن عجز الخلق أن يأتوا بمنه ، فهو خاتم النبيين ، ومصدق
المُرسلين ، وحُجَّة رب العالمين ، وصلواتُ الله عليه وسلامُه وبركاته . أما بعد ،
فرب خير مستور ، وشر مذكور ، وما هو إلا السهم الأخيَّب لمن طار به ،
والحَظُّ المُرْغَب لمن فاز به ، فيما التفاصُل وفيهما التغاير ، وقد صفت يدائي من
أبيك صفة ذي الجلبـة من ضوارع الفضـلان^(٥) ، عامل أصنـاعي له بالكفر لما
أولـيته ، فـما رـميـت به إلاـ انتـصل^(٦) ، ولاـ أـنـتـضـيـتـهـ إلاـ غـلـقـ جـفـنهـ ، وـزـلتـ
شـفـرـتهـ^(٧) ؛ ولاـ قـلـتـ إلاـ عـانـدـ ، ولاـ قـمـتـ إلاـ قـعـدـ ، حتىـ أـخـتـرـهـ الموـتـ ؛ وقدـ أـوـقـعـ
بـخـتـرـهـ^(٨) ، وـدـلـ علىـ حـقـدهـ . وقدـ كـفـتـ رـأـيـتـ فـأـبـيكـ رـأـيـاـ حـضـرـهـ الخـطـلـ ،

(١) الضراء : الشجر الم��ـفـ . ويريد بمعنى الضـرـاءـ ودبـبـ الخـفـاءـ : المـسـكـرـ والـخـدـيـعـةـ .
وفي بعض الأصول : « ونشـيفـ النـضـارـ » مـكانـ : « ونـدـبـ الخـفـاءـ » .

(٢) في بعض الأصول : « ولـكـ منـ خـيـرـناـ أـكـمـلـهـ » . (٣) الحـوبـ : الإنـمـ .

(٤) يـقالـ : أـرـزـتـ الحـيـةـ إـلـىـ حـجـرـهاـ ، إـذـاـ لـاذـتـ بـهـ وـرـجـعـتـ إـلـيـهـ .

(٥) صـفـقـتـ ، أـيـ صـادـفـ . وـالـجـلـبـةـ (ـبـالـضـمـ)ـ : الـجـهـدـ وـالـشـدـةـ وـالـجـوـعـ . وـالـضـوـارـعـ
مـنـ الفـضـلـانـ : الصـغـارـ الـضـعـيـفـةـ الـضـاوـيـةـ . وـفـيـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ : « الـخـلـةـ »
وـ« روـاضـعـ » مـكانـ « الـجـلـبـةـ » وـ« ضـوـارـعـ » .

(٦) اـنـتـصـلـ : خـرـجـ نـصـلـهـ . (٧) في بعض الأصول : « ولـزـتـ لـسـعـتـهـ » .

(٨) الـخـتـرـ : الـغـدـرـ وـالـخـدـيـعـةـ .

والقبس به الزَّلَل ، فأخذ مني بحظ الغَفْلة ، وما أُبَرِّئ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لِأَمْارَةٍ
بِالشَّوْء ، فَهَا بَرِّحَتْ هَنَاءَ أَبِيكَ تَحْطِبُ فِي حَبْلِ الْقَطْيَعَة ، حَتَّى أَنْتَكَثَ الْمُبَرِّم ،
وَأَنْجَلَ عِقدَ الْوَدَاد . فِيهَا تَوْبَةٌ تُؤْتَنِفُ ، مِنْ حَوْبَةٍ^(١) أَوْزَأَتْ نَدَمًا ؛ أَسْمَعَ بِهَا
الْهَاتِف ، وَشَاعَتْ لِلشَّامَت ، فَإِلَيْهَا الْوَاصِم^(٢) مَا بِهِ أَحْتَقَر . وَأَرَاكَ تَحْمَدُ مِنْ
أَبِيكَ جِدًا وَجُسُورًا ، هَا أَوْفِيَا بِهِ عَلَى سَرْفِ التَّقْحِم^(٣) ، وَغَمْط^(٤) الْفَعْمَة ،
فَدَعَاهُمَا ، فَقَدْ أَذْكَرْتُنَا مِنْهُ مَا زَهَدَنَا فِيهِ ، وَبِهِمَا مَشَيَّتَ الضَّرَاءَ ،
وَدَبَّيْتَ الْخَفَاء^(٥) ، فَأَذْهَبَ إِلَيْكَ ، فَأَنْتَ نَجْلُ الدَّغْل ، وَعِتْرَة^(٦) النَّغْل^(٧) ،
وَالآخِر^(٨) شَرًّا .

فَقَالَ يَزِيدُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ لِلشَّاهِدِ غَيْرَ حُكْمِ الْغَائِبِ ، وَقَدْ حَضَرَكَ
زِيَادَ وَلِهِ مَوَاطِنٌ مَعْدُودَةٌ بِخِيرٍ ، لَا يُفْسِدُهَا التَّظَنِّي ، وَلَا تُغَيِّرُهَا التَّهَمُ ، وَأَهْلُوهُ
أَهْلُوكَ ، أَلَّتْ يَحْقُوا بِكَ ، وَتَوَسَّطُوا شَانِكَ ، فَسَافَرْتَ بِهِ الرُّكْبَانَ ، وَسَعَيْتَ بِهِ
أَهْلُ الْبُلْدَانَ ، حَتَّى أَعْتَقَدَهُ الْجَاهِلُ ، وَشَكَّ فِيهِ الْعَالَمُ ، فَلَا تَتَحْجِرْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
مَا قَدْ أَتَسْعَ ، وَكَثُرَتْ فِيهِ الشَّهَادَاتُ ، وَأَعْانَكَ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ .

^{١٧٢}
فَأَنْخَرَفَ مُعاوِيَةً إِلَى مَنْ مَعَهُ ، فَقَالَ : هَذَا ، وَقَدْ نَفِسَ عَلَيْهِ^(٩) بِيَمِيعَتِهِ ، وَطَعَنَ
فِي إِمْرَتِهِ ، يَعْلَمُ ذَلِكَ كَمَا أَعْلَمُهُ ، يَا لَهُرَّ جَالَ مِنْ آلِ أَبِي سُفِيَّانَ ! لَقَدْ حَكَمُوا وَبِذَمِّهِ^{١٥}

(١) الحَوْبَةُ : الإِثْمُ وَالذَّنْبُ .

(٢) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ . وَالْوَاصِمُ : الْعِيَابُ الْمُحَقَّرُ . يَرِيدُ الَّذِينَ نَالُوا مِنْ زِيَادٍ
وَحَقَرُوهُ . وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِ عَبِيدِ قَبْلٍ : « وَلَا تَذَلَّقْ عَلَيْهِ أَلْسُنَ كُلُّتِهِ حِيَا ،
وَنَبَشَتِهِ مِيَّاً » . وَفِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « الْوَاشِمُ » .

(٣) السُّرْفُ : بِجَاؤَةِ الْقَصْدِ . وَالتَّقْحِمُ : « التَّعْرُضُ لِلأَمْوَالِ مِنْ غَيْرِ رُوْيَا . وَالَّذِي
فِي الْأَصْوَلِ : « شَرْفُ » بِالشَّيْنِ .

(٤) كَذَا فِي أَوَّلِذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « وَغَبْطَ » .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَاسْتَفَفَتِ النَّضَارَ » . (انْظُرْ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ١ صَ ٨٥ مِنْ
هَذَا الْجَزْءِ) . (٦) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَنَثْرَ » .

(٧) الدَّغْلُ وَالنَّغْلُ : الْفَسَادُ . (٨) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَالْأَجْرُ » .

(٩) نَفْسُ عَلَيْهِ : حَسْدُهُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « نَفْسُهُ » . يَشِيرُ إِلَى امْتِنَاعِ زِيَادٍ عَنْ
بِيَعَةِ يَزِيدَ وَمُحاوَلَتِهِ صِرْفُ مُعاوِيَةِ عَنْ ذَلِكَ (انْظُرْ الطَّبْرَى فِي حَوَادِثِ سَنَةِ ٦٥٦ حِينَ
دُعَا مُعاوِيَةُ النَّاسَ بِبِيَعَةِ يَزِيدِ) .

بزيـد وحـدـه . ثـمـ نـظـرـ إـلـىـ عـبـيـدـ اللـهـ فـقـالـ : يـابـنـ أـخـيـ ، إـنـىـ لـأـعـرـفـ بـكـ مـنـ أـبـيـكـ ، وـكـانـ بـكـ فـغـمـرـةـ لـاـ يـخـطـوـهـاـ السـابـحـ ، فـالـزـمـ أـبـنـ عـمـكـ ، فـإـنـ مـاـ قـالـ حـقـ . نـخـرـجـواـ ، وـلـزـمـ عـبـيـدـ اللـهـ يـزـيـدـ ، يـرـدـ مـجـلـسـهـ ، وـيـطـأـ عـقـبـهـ أـيـامـاـ ، حـتـىـ رـحـيـهـ مـعـاوـيـهـ إـلـىـ الـبـصـرـةـ وـالـيـاـ عـلـيـهـاـ . ثـمـ لـمـ تـرـزـلـ تـوـكـسـهـ أـفـعـالـهـ حـتـىـ قـتـلـهـ اللـهـ بـالـخـازـرـ (١)ـ .

[وـهـطـبـةـ طـعـاوـيـهـ أـيـضاـ] :

قال الهيثم بن عدی : لما حضرت معاویة الوفاة ويزيد غائب ، دعا بمسلم ابن عقبة المرسی والضحاک بن قيس الفهري ، وقال لها : أبلغوني يزيد وقولا له : انظر أهل الحجاز ، فهم عصابتك وعترتك ، فمن أتاك منهم فأكرمه ، ومن قدَّمَ عنك فتعاهده ؛ وانظر أهل العراق ، فإن سألك عزل عامل في كل يوم ، فاعزله عنهم ، فإن عزل عامل واحد أهون عليك من سُلْ مائة ألف سيف ، ثم لا تدرى علام أنت عليه منهم ؛ ثم انظر أهل الشام فاجعلهم الشعار دون الدثار ، فإن رابك من عدو رَبِّ فارمه بهم ، فإن أظفرك الله فأردد أهل الشام إلى بلادهم ، لا يتهيموا في غير بلادهم فيتأذبوا بغير آدابهم . لست أحاف عليك غير عبد الله بن عمر ، وعبد الله بن الزبير ، والحسين بن علي . فاما عبد الله بن عمر ، فرجل قد وقذه (٢) الورع ؛ وأما الحسين ، فأرجو أن يكفيكه الله بن عبد الله ، وخذل أخيه ؛ وأما ابن الزبير ، فإنه خَبَ ضَبَ . فإن ظفرت به فقطعه إرباً إرباً . ومات معاویة . فقام الضحاک بن قيس خطيباً فقال : إن أمير المؤمنين كان أنس العرب ، وهذه أكفانه ، ونحن مُدرجوه فيها ومحلوون بيته وبين ربه ، فمن أراد حضوره بعد الظهر فليحضر . فصلى عليه

(١) كذا فيها سياق في العقد عند الكلام على المختار بن عبيد ومعجم البلدان .

والخازر نهر بين إربيل والموصل ثم بين الزاب الأعلى والموصل وعندك كانت وقعة

بين ابن زياد وابراهيم بن مالك الأشتر النخعي أيام المختار . والذى فى سائر

الأصول : « الجارود » ..

(٢) وقذه : غلبه .

الضحاك . ثم قَدِمَ يَزِيدُ فَلَمْ يَقْدِمْ أَحَدٌ عَلَى تَعْزِيَتِه ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ هَمَّامَ فَأَنْشَأَ يَقُولُ :

أَصْبَرَ يَزِيدَ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا مِيقَةَ
وَاسْكُرْ حِبَّاءَ الَّذِي بِالْمُلْكِ حَابَا كَا
لَا رُزْءَ أَعْظَمُ فِي الْأَقْوَامِ قَدْ عَلِمُوا
مَا رُزِّئَتْ وَلَا عُقْبَى كُعْقِبَا كَا
أَصْبَحَتْ رَاعِيَّا أَهْلَ الدِّينِ كَلَّهُمْ
فَأَنْتَ تَرْعَاهُمْ وَاللَّهُ يَرْعَاكَا
وَفِي مُعاوِيَةِ الْبَاقِي لَنَا خَافَ
إِذَا بَقِيتَ فَلَا نَسْمَعُ بِعَنْفَنَا كَا
قَالَ : فَأَنْفَتَخَ الخَطَبَاءَ بِالْكَلَامِ .

[وفظبه أيضاً معاويه] :

وَلَمَّا مَرَضَ مُعاوِيَةُ مَرَضَ وَفَاتَهُ قَالَ لِمَوْلَى لَهُ : مَنْ بِالْبَابِ ؟ قَالَ : نَفَرَ مِنْ
١٠ قُرُيشَ يَتَبَاشَرُونَ بِمَوْتِكَ . قَالَ : وَيَحْكَ ! لَمْ ؟ فَوَاللَّهِ مَا هُمْ بَعْدِي إِلَّا الَّذِي
يَسُوءُهُمْ . وَأَذِنْ لِلنَّاسِ فَدَخَلُوا ، فَخَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَأَوْجَزَ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْهَا النَّاسُ ،
إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنْوَدَ ، وَزَمْنٍ شَدِيدَ ، يُعْدَ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيَّثًا ، وَيُزَدَّادُ
الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوًّا ، لَا نَنْتَفَعُ بِمَا عَلِمْنَا ، وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهَلْنَا ، وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةَ
١٥ حَتَّى تَحُلَّ بِنَا ؛ فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ : مِنْهُمْ مَنْ لَا يَعْنِيهِ مِنَ الْفَسَادِ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا مَهَانَةَ نَفْسِهِ ، وَكَلَالَ حَدَّهُ ، وَنَضِيَّضَ وَفَرِّهُ ؛ وَمِنْهُمْ الْمُصْلِمُونَ
لَسَيِّفُهُ ، الْمُجْلِبُ بِرَجْلِهِ ، الْمُعْلَمُ بِشَرِّهِ ، وَقَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ ، وَأَوْبَقَ دِينَهُ^(١) ،
لَحْطَامَ يَنْتَهِرَهُ ، أَوْ مِقْنَبَ^(٢) يَقُودُهُ ، أَوْ مِنْبَرَ يَفْرَعُهُ^(٣) ، وَلَيْسَ الْمَتَجْرَانِ تَرَاهَا
لِنَفْسِكَ ثُمَّنَا ، وَبِمَالِكَ عِنْدَ اللَّهِ عِوَضًا ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ،

(١) أَشْرَطَ : أَعْلَمَ . وَأَوْبَقَ : أَهْلَكَ .

٢٠ كَذَا فِي الْبَيَانِ (ج ٢ ص ٢٨) وَشَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ (ج ١ ص ٤٠) وَإِعْجَازُ الْقُرْآنِ
(ص ١٢٣) . وَالْمِقْنَبُ : الْجَمَاعَةُ مِنَ الْحَيْلِ مَا بَيْنَ الْثَّلَاثَيْنِ إِلَى الْأَرْبَعَيْنِ . وَالَّذِي
فِي الْأَصْوَلِ : « مَقْتَ » .

(٢) كَذَا فِي وَالْبَيَانِ وَابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ وَالْإِعْجَازِ . وَيَفْرَعُهُ : يَعْلُوهُ . وَالَّذِي فِي
سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « مَنْبَهٌ » .

ولا يطلب الآخرة بعمل الدنيا ، قد طامن من شخصه ، وقارب من خطوه . وشمر عن ثوبه ، وزخرف نفسه بالأمانة ، وأتخذ ستر الله ذريعة إلى المعصية ؛ ومنهم من أقعده عن طلب الملك ضالة نفسه ، وأنقطاع سبيله ، فقصّرَت به الحال عن حاله ، فتحلى باسم القناعة ، وتزيّاً بلباس الزهداد ، وليس [من] ذلك في مراح ولا مغاري . وبقي رجال أبغضوا أبصارهم ذكر المراجع ، وأراق دموعهم خوف المضجع ، فهم بين شريذ بادي ، وبين خائف مُنقمع ، وساكت مكعوم^(١) ، وداع مخاص ، وموجع تكلان ، قد أخْلَأْتُهم التقيّة ، وشَلَّلتُهم الذلة ، فهم في بحر حاجج ، أفواهُهم ضاربة ، وقولو بهم قرحة ، قد وعظوا حتى ملوا ، وقهروا حتى ذلوا ، وقتلوا حتى قلوا . فلتكن الدنيا في أعينكم أصغر من حشالة القرظ^(٢) ، ١٠ وقرادة الحلم ؛ وأتعظوا بمن كان قبلكم ، قبل أن يتغىظ بكم من بعدكم ، وارفضوها ذميمة ، فقد رفضت من كان أشدق بها منكم .

ولبريز بن معاوية بعد موته أبيه :

الحمد لله الذي ما شاء صنع ، ومن شاء أعطى ومن شاء منع ، ومن شاء خفض ومن شاء رفع . إن أمير المؤمنين كان حبلاً من حبال الله ، مده ما شاء أن يمده ، ثم قطعه حين أراد أن يقطعه ، وكان دون من قبله ، وخيراً من يأتي بعده ، ولا أزكيه عند ربّه ، وقد صار إليه ، فإن يعف عنه فبرحمةه ، وإن يعاقبه فبذنبه ، وقد وليت بعده الأمر ، واستعتذر من جهل ، ولا آسى على طلب علم ، وعلى رسلكم^(٣) ، إذا كرّه الله شيئاً غيره ، وإذا أحب شيئاً يسره .

وخطبة أيضاً لبريز :

الحمد لله أحمده وأستعينه ، وأؤمن به وأتوكّل عليه ، ونَعوذ بالله من شرور

(١) المكعوم من الإبل : الذي يشد لثلا يعض أو يأكل . شبه به الساكت .

(٢) القرظ (حركة) . ورق السلم ، وثغر السنط . وحثاثته : بقتيه .

(٣) على رسلكم ، أى ائدوا ولا تعجلوا .

الأنفستا ، ومن سُيَّات أفعالنا ، مَن يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلٌّ لَهُ ، وَمَن يُضْلِلُ فَلَا هَادِي
 لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَن مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ،
 أَصْطَفَاهُ لَوْحِيهِ . وَأَخْتَارَهُ لِرَسَالَتِهِ ، بِكِتَابٍ فَصَّلَهُ وَفَضَّلَهُ ، وَأَعْزَّهُ وَأَكْرَمَهُ ،
 وَنَصَرَهُ وَحَفَظَهُ ، ضَرَبَ فِيهِ الْأَمْثَالَ ، وَحَلَّ فِيهِ الْحَلَالُ ، وَحَرَمَ فِيهِ الْحَرَامُ ،
 وَشَرَعَ فِيهِ الدِّينُ إِعْذَارًا وَإِنذَارًا ، لَئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ ،
 وَيَكُونَ بِلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ . أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الْعَظِيمِ ، الَّذِي أَبْتَدَأَ
 الْأَمْوَارَ بِعِلْمِهِ ، وَإِلَيْهِ يَصِيرُ مَعَادُهَا ، وَأَنْقَطَاعَ مُدَّهَا ، وَتَصْرُّمَ دَارُهَا . ثُمَّ إِنِّي
 أَحَذِّرُكُمْ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا حُلُوةٌ خَسِرَةٌ ، حُفْتَ بِالشَّهْوَاتِ ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ ، وَأَيْنَعَتْ
 بِالْفَانِي ، وَتَحْبَبَتْ بِالْعَاجِلِ ، لَا يَدُومُ نَعِيْمُهَا ، وَلَا يُؤْمِنُ بِجُيْعُهَا ، أَكَالَةُ غَوَّالَةٍ ،
 غَرَّارَةٍ ، لَا تُبْقِي عَلَى حَالٍ ، وَلَا يَبْقِي لَهَا حَالٍ ، وَلَنْ تَعْدُ الدُّنْيَا إِذَا تَنَاهَتْ إِلَيْهِ
 أَمْنِيَّةُ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا ، وَالرَّضَا بِهَا ، أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَأَضْرِبْ
 لَهُمْ مَثَلَّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَا أَنْزَلَنَا مِنَ السَّمَاءِ) ، إِلَى قَوْلِهِ (مُفْتَدِرًا) . نَسْأَلُ اللَّهَ
 رَبَّنَا وَإِلَهَنَا وَخَالِقَنَا وَمَوْلَانَا أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْحِسْنَى . إِنْ أَحْسَنَ
 الْحَدِيثَ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةَ كِتَابُ اللَّهِ ، يَقُولُ اللَّهُ : (وَإِذَا قَرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا
 لَهُ وَأَنْصِتُوا أَعْلَمَكُمْ تُرْجُونَ) . أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
 الرَّحِيمِ (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أُنْفُسِكُمْ) إِلَى آخرِ السُّورَةِ .

[خطبة عبد الملك بن مروان]

وَكَانَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ مَرْوَانَ يَقُولُ فِي آخِرِ خطبَتِهِ : اللَّهُمَّ إِنِّي ذُنُوبِي قد
 عَظَمْتَ وَجَلَّتَ عَنِّي تُحْصِي ، وَهِيَ صَغِيرَةٌ فِي جَنْبَ عَفْوِكَ ، فَاعْفُ عَنِّي .
 وَخَطَبَ بِمَكَةَ شَرِقَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَقَالَ فِي خطبَتِهِ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا بِالْخَلِيفَةِ
 الْمُسْتَضْعِفِ ، يَعْنِي عَمَانَ ، وَلَا بِالْخَلِيفَةِ الْمُدَاهِنِ ، يَعْنِي مَعَاوِيَةَ ، وَلَا بِالْخَلِيفَةِ

المأفون ، يعني يزيد . قال أبو إسحاق النظام : أما والله لو لا نسبك من هذا المستضعف ، وسببك من هذا المداهن ، لكنك منها أبعد من العيوق^(١) . والله ما أخذتها بوراثة ، ولا سابقة ، ولا قرابة ، ولا بدوعى شورى ، ولا بوصية .

خطبة الوليد بن عبد الملوك :

٦ لما مات عبد الملوك بن مروان وارجع الوليد من دفنه ، لم يدخل منزله حتى دخل المسجد ، ونودى في الناس : الصلاة جامعة . فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إنه لا مؤخر لما قدم الله ، ولا مقدم لما أخر الله ، وقد كان من قضاء الله وسابق علمه ، وما كتب على أنبيائه ، وحملة عرشه من الموت ، موت ولى هذه الأمة ، ونحن نرجو أن يصير إلى منازل الأبرار ، للذى كان عليه من الشدة على المؤيب ، والذين على أهل الفضل والدين ، مع ما أقام من مغار الإسلام وأعلامه ، وحج هذا البيت ، وغزو هذه التغور ، وشن الغارات على أعداء الله ، فلم يكن فيها عاجزا ، ولا وانيا ، ولا مفرطا . فعليكم أيها الناس بالطاعة ، ولزوم الجماعة ، فإن الشيطان مع الفد ، وهو من الجماعة أبعد . وأعلموا أنه من أبدى لنا ذات نفسه ضربنا الذي فيه عيناه ، ومن سكت مات بدانه . ثم نزل .

٧ ١٠

خطب سليمان بن عبد الملوك :

٨ فقال : الحمد لله ، ألا إن الدنيا دار غرور ، ومنزل باطل ، تُضحك باكيًا ، وتُبكي ضاحكا ، وتحيف آمنا ، وتومن خائفًا ، وتفقر^(٢) مثريًا ، وتُثير مفترًا ، ميالة غرارة ، لعابة بأهلها . عباد الله ، فاتخذوا كتاب الله إمامًا ، وارتضوا به حكما ، وأجعلوه لكم قائدًا ، فإنه ناسخ لما كان قبله ، ولم ينسخه كتاب

(١) العيوق : نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن ، يتلو التريا لا يتقدمها .

(٢) في بعض الأصول : « وتقتر ». وما أثبتنا عن سائر الأصول والعيون . (ج ٢ ص ٢٤٧) والبيان (ج ١ ص ١٦٦) .

بعده . وأعلموا عبادَ الله أنَّ هـذا القرآن يَجْلُو كيـدَ الشـيطان ، كـما يـجلـو ضـوهـه
الشـبـح إـذـا تـفـقـس ، ظـلـامـ الـلـيل إـذـا عـسـعـس .

وـهـطـبـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ رـحـمـهـ اللـهـ وـرـضـيـ عـنـهـ :

قال العتبـيـ : أـولـ خـطـبـةـ خـطـبـهاـ عـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ رـحـمـهـ اللـهـ قـوـلـهـ : أـيـهـاـ
الـنـاسـ ، أـصـلـحـوـ سـرـائـرـكـ تـصـلـحـ لـكـ عـلـانـيـتـكـ ، وـأـصـلـحـوـ آخـرـتـكـ تـصـلـحـ ٥
دـنـيـاـكـ ؛ وـإـنـ آـمـرـأـ لـيـسـ بـيـدـهـ وـبـيـنـ آـدـمـ أـبـ حـيـ لـمـعـرـقـ فـيـ الـمـوـتـ .

وـهـطـبـةـ لـرـحـمـهـ اللـهـ :

إـنـ لـكـلـ سـفـرـ زـادـاـ لـاـ مـحـالـةـ ، فـتـزـوـدـوـ مـنـ دـنـيـاـكـ لـآخـرـتـكـ التـقـوـىـ ،
وـكـوـنـوـاـ كـمـ عـاـيـنـ مـاـ أـعـدـ اللـهـ لـهـ مـنـ ثـوـابـهـ وـعـقـابـهـ ، فـتـرـهـبـوـاـ وـتـرـغـبـوـاـ ، وـلـاـ يـطـوـانـ
عـلـيـكـمـ الـأـمـدـ فـتـقـسـوـ قـلـوـبـكـ ، وـتـنـقـادـوـ لـعـدـوـكـ ، فـإـنـهـ [ـوـالـلـهـ]ـ مـاـ بـسـطـ أـمـلـ مـنـ ١٠
لـاـ يـدـرـىـ لـعـلـهـ لـاـ يـصـبـحـ بـعـدـ إـمـسـائـهـ ، أـوـ يـمـسـىـ بـعـدـ إـصـبـاحـهـ ، وـرـبـاـ كـانـتـ بـيـنـ ذـلـكـ
خـطـرـاتـ (١)ـ الـمـنـايـاـ ، وـإـنـمـاـ يـطـمـئـنـ إـلـىـ الدـنـيـاـ مـنـ أـمـنـ عـوـاقـبـهـ ، فـإـنـ مـنـ يـداـوىـ
مـنـ الدـنـيـاـ كـلـمـاـ أـصـابـتـ جـراـحةـ مـنـ نـاحـيـةـ أـخـرـىـ ، فـكـيـفـ يـطـمـئـنـ إـلـيـهـاـ ، أـعـوذـ
بـالـلـهـ أـنـ آـمـرـكـ بـمـاـ أـنـهـ عـنـهـ نـفـسـيـ فـتـخـسـرـ صـفـقـتـيـ ، وـتـظـهـرـ عـيـاتـيـ ، وـتـبـدوـ
مـسـكـنـتـيـ ، فـيـ يـوـمـ لـاـ يـنـفـعـ فـيـهـ إـلـاـ الـحـقـ وـالـصـدـقـ . شـمـ بـكـيـ وـبـكـيـ النـاسـ مـعـهـ . ١٥

[خـطـبـةـ لـعـمـرـ بـنـ عـبـدـ الـعـزـيزـ أـيـضاـ] :

شـبـيـبـ بـنـ شـيـبـةـ عـنـ أـبـيـ عـبـدـ الـمـلـكـ قـالـ : كـنـتـ مـنـ حـرـسـ الـخـلـفـاءـ قـبـلـ
عـمـرـ ، فـكـنـاـ نـقـومـ لـهـ وـنـبـدـؤـهـ بـالـسـلـامـ . نـفـرـجـ عـلـيـنـاـ عـمـرـ رـضـيـ اللـهـ عـنـهـ فـيـ يـوـمـ
عـيـدـ وـعـلـيـهـ قـمـيـصـ كـتـانـ وـعـمـامـةـ عـلـىـ قـلـنـسـوـةـ لـاـطـيـةـ ، فـمـثـلـنـاـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـسـلـمـنـاـ

(١) فـيـ سـيـرـةـ عـمـرـ لـابـنـ الجـوزـيـ (ـمـ ١٩٦ـ)ـ : «ـ خـطـفـاتـ»ـ . وـانـظـرـ أـيـضاـ اـبـيـ أـبـيـ
الـحـدـيدـ (ـجـ ١ـ صـ ٤٧٠ـ)ـ فـيـنـ النـصـوصـ خـلـافـ . ٢٠

عليه ، فقال : مه ، أتُم جماعة وأنا واحد ، السلام على والرد عليكم ؛ وسلم ، فرَدَّنَا ، وقرَّبت له دابتة فأعرض عنها ومشى ، ومشينا ، حتى صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى عليه وصلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم قال : وددت أن أغنياء الناس أجمعوا فردوها على فقراءهم ، حتى نستوى نحن بهم ، وأكون أنا أو لهم . ثم قال : مالى وللدنيا ؟ أم مالها ومالي ؟ وتكلم فأرق حتى بكى الناس جميعاً ، يميناً وشمالاً . ثم قطع كلامه ونزل . فدعانمه رجاء بن حمزة ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، كلمت الناس بما أرق قلوبهم وأبكاهم ، ثم قطعته أحوج ما كانوا إليه . فقال : يا رجاء ، إني أكره المباهاة .

[خطبة ابن الأثمي بين يدي عمر بن عبد العزيز]

١٠ ودخل عبد الله بن الأتهم على عمر بن عبد العزيز مع العامة ، فلم يفجأ إلا وهو قائم بين يديه يتكلم ؛ فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أما بعد ، فإن الله خلق الخلق غنياً عن طاعتهم ، آمنا من معصيتهم ، والناس يومئذ في المنازل والرأى مختلفون ، والعرب بشر تلك المنازل ، أهل الورَّ وأهل المدر ، تحتراز^(١) دونهم طيبات الدنيا ورفاهة عيشها ، ميتهم في النار ، ١٧٥ ١٥ وحيهم أعمى ، مع ما لا يحصى من المرغوب عنه ، المزهد فيه . فلما أراد الله أن ينشر فيهم رحمة ، بعث إليهم رسولاً منهم ، عزيزاً عليه ما عنتوا حرضاً عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم ، فلم يمنعهم ذلك أن جرحوه في جسمه ، ولقيوه في أسمه ، ومعه كتاب من الله ناطق ، لا يرحل إلا بأمره ، ولا ينزل إلا بإذنه ، وأضطرره إلى بطن غار . فلما أمر بالعزيمة ، أسر لامر الله لونه ، ٢٠ فأبلغ الله حجته ، وأعلى كلامته ، وأظهر دعوته ؛ وفارق الدنيا تقريباً صلَّى الله عليه وسلم . ثم قام من بعده أبو بكر رضي الله عنه ، فسلك سنته ، وأخذ مسبيله ؛

(١) في الأصول « تختار ». والتوصيب عن البيان (٢ : ٥٩) وسيرة عمر لابن عبد الحكم (ص ١٠٩) وسيرته أيضاً ابن الجوزي (ص ١٣٦) .

فارتدت العربُ ، فلم يقبل منهم إلا الذي كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يقبله ؛ فانتقضَ السيفُ مِنْ أغمادِها ، وأوقدَ النيرانَ في شعلتها ، ثم رَكبَ بأهل الحقِ أهلَ الباطل ، فلم يبرح يَفصِّلَ أوصالَهم ، ويَسقِي الأرضَ دماءَهم ، حتى أدخلهم في البابِ الذي خرجوا منه ، وقرَرُهم بالأمرِ الذي نَفروه عنه . وقد كان أصابَ من مالِ اللهِ بَكْراً يرتوى عَلَيْهِ ، وحبشية تُرضعُ ولدَاهُ ، فرأى ذلكَ غصَّةً في حلقِه عند موته ، وثقلًا على كاهله ، فأدَاه إلى الخليفة مِنْ بعده ، وبَرِي إِلَيْهم منه ، وفارقَ الدُّنيا تقىًّا نقيًّا على مِنهاجِ صاحبه . ثم قامَ من بعده عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه . فَصَرَ الأمصارَ ، وخلطَ الشدةَ باللينَ ، وحسَرَ عن ذراعيه ، وشَمرَ عن ساقيه ، وأعدَ للأمورِ أقرانَها ، وللجنْدِ آلاتَها . فلما أصابَه قِنٌ^(١) المغيرةُ بنُ شعبةَ أمَّرَ ابنَ عباسَ أن يسألَ الناسَ : هل يُشتبهُونَ قاتلَه . فلما قيلَ له : قِنَ المغيرة . أَسْتَهَلَ^(٢) بحمدِ الله أن لا يكونَ أصابَه مِنْ له حقٌ في الفَيْهِ فَيُسْتَحْلِمَ دمَه بما أَسْتَحْلَمَ منْ حقِه . وقد كان أصابَه مِنْ مالِ اللهِ بِضْعَةٍ وثمانينَ ألفًا . فكسَرَ بها رِباعَه^(٣) ، وكرهَ فيها كفالةَ أهله وولده ، فأدى ذلكَ إلى الخليفة مِنْ بعده ، وفارقَ الدُّنيا تقىًّا نقيًّا على مِنهاجِ صاحبه . ثم إنَّا والله ما أَجْتَمَعْنا بعدها إلا على ضِلَّمِ أَعْوَجَ . ثم إنَّك يا عمرَ ابنَ الدُّنيا ، ولدُك مُلوَّكًا ، والقمتَك مَذَيَّها ، فلما وَلَيْتها أَغْيَتها وأَجَبَيْتها لقاءَ اللهِ وما عندَه ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَلَّ بِكَ حَوْبَتْنَا ، وَكَشَفَ بِكَ كُرْبَتْنَا ، أَمْضَ وَلَا تَلْقَفْتَ ، فَإِنَّه لَا يُغْنِي عَنِ الْحَقِّ شَيْءٌ . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلِلْمُؤْمِنَاتِ .

ولما قال : ثم إنَّا والله ما أَجْتَمَعْنا بعدها إلا على ضِلَّمِ أَعْوَجَ . سَكَتَ الناسُ كُلُّهُمْ غَيْرَ هِشَامَ ، فَإِنَّه قال : كَذَبْتَ .

(١) كذا في البيان وسيرة عمر . والقَنُ : العبد . والذِّي فِي الأَصْوَلِ : « فَقٌ » .

(٢) استَهَلَ : صاح .

(٣) الرباع : الدور ؟ الواحد : رباع . وكسرها ، أى باعها رباعا رباعا .

[وفظبة أيضاً عمر بن عبد العزيز] :

قال أبوالحسن : خطب عمر بن عبد العزيز بخناصرة^(١) خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمة الله ، حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيمان الناس ، إنكم لم تخلقوا عبئنا ، ولم تتركوا سدى ، وإن لكم معاذاً يحكم الله بينكم فيه ، نفاح و خسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شئ ، وحرم جنة عرضها السموات والأرض . وأعلموا أن الأمان غداً المن يخاف اليوم ، وباع قليلاً بكثير ، وفانياً بباقي ؟ ألا ترون أنكم في أصلاب الهاكين ، وسيختلفوا من بعدكم الباقون ، حتى ترددوا إلى خير الوارثين ، ثم إنكم في كل يوم تشيرون غاديًا وراثيًا إلى الله ، قد قضى نحبه ، وبلغ أجله ، ثم تغيبونه في صدع من الأرض ، ثم تدعونه غير مُؤسد ولا ممهد ، قد خلع الأسباب ، وفارق الأحباب ، وواجه الحساب ، غنيماً عمما ترك ، فغيراً إلى ما قدم ، وأيم الله ، إني لأقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم [من الذنب] أكثر مما عندي ، فأستغفر الله لي ولهم ، وما تبلغا حاجة يتسع لها ما عندنا إلا سدناها ، ولا أحد منكم إلا ودلت أن يده مع يدي وتحتى الذين يلومنى ، حتى يستوى عيشنا وعيشكم ، وأيم الله إني لو أردت غير هذا من عيش أو غضارة لكان اللسان به ناطقاً ذولاً ، عالماً بأسبابه ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق وسنة عادلة ، دل فيهما على طاعته ، ونرى عن معصيته ؟ ثم بكى ، فتلقي دموع عينيه بردائه وزحل . فلم يعد بعدها على تلك الأعواد حتى قبضه الله تعالى .

خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد بن يزيد :

٢٠ بقي بن خلدر قال : حدثني خليفة بن خياط قال : حدثنا إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثني إبراهيم بن إسحاق ، أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك لما قتل الوليد بن

(١) خناصرة : بلد بالشام من أعمال حلب .

يزيد قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد أيتها الناس، إني ما خرجت
أشرا ولا بطر، ولا حرصا على الدنيا، ولا رغبة في الملك، وما بي إطراه نفسى،
ولا تزكية عملى، وإنى لظلوم لنفسى إن لم يرحمى ربى، ولكنى خرجت غضباً
لله ودينه، وداعيا إلى كتابه وسنته نبيه، حين درست معالم الهدى، وأطفىء نور
أهل التقوى، وظهر الجبار^(١) العنيد، المستحل الحرمـة، والراكب البدعة، والمغيـر
السنة. فلما رأيت ذلك أشفقت إذ غشـيـتكم ظـلـمة لا تـقـلـعـ، على كـثـيرـ من دـنـوبـكمـ،
وقـسـوةـ من قـلـوبـكمـ، وأـشـفـقـتـ أنـ يـدـعـوـ كـثـيرـاـ منـ النـاسـ إـلـىـ مـاـ هـوـ عـلـيـهـ،
فيـجـيـبـهـ منـ أـجـابـهـ مـنـكـمـ، فـأـسـتـخـرـتـ اللـهـ فـيـ أـمـرـىـ، وـسـأـلـتـهـ أـنـ لـاـ يـكـلـنـىـ إـلـىـ
نـفـسـىـ، وـهـوـ أـبـنـ عـمـىـ فـيـ نـسـبـىـ، وـكـفـيـ فـيـ حـسـبـىـ، فـأـرـاحـ اللـهـ مـنـهـ الـعـبـادـ،
وطـهـرـ مـنـهـ الـبـلـادـ، وـلـاـيـةـ مـنـ اللـهـ وـعـزـهـ، بـلـاـ حـوـلـ مـنـاـ وـلـاـ قـوـةـ، وـلـكـنـ بـحـولـ
الـلـهـ وـقـوـتـهـ، وـوـلـاـيـتـهـ وـعـزـتـهـ. أـيـهاـ النـاسـ، إـنـ لـكـمـ عـلـىـ إـنـ وـلـيـتـ أـمـورـكـمـ أـلـآـ
أـضـعـ لـبـنـةـ عـلـىـ لـبـنـةـ، وـلـاـ حـجـرـاـ عـلـىـ حـجـرـ، وـلـاـ نـقـلـ مـاـلـاـ مـنـ بـلـدـ إـلـىـ بـلـدـ،
حـتـىـ أـسـدـ ثـغـرـهـ، وـأـقـيمـ مـصـالـحـهـ، مـاـ تـحـتـاجـونـ إـلـيـهـ، وـتـقـوـونـ بـهـ، فـإـنـ فـضـلـ
شـيـ رـدـدـتـهـ إـلـىـ الـبـلـدـ الـذـيـ يـلـيـهـ، وـهـوـ مـنـ أـحـوـجـ الـبـلـدـانـ إـلـيـهـ، حـتـىـ تـسـتـقـيمـ
الـمـعـدـشـةـ بـيـنـ الـمـسـلـمـينـ وـتـكـوـنـواـ فـيـهـ سـوـاءـ، وـلـاـ أـجـرـكـمـ فـيـ بـعـوـثـكـمـ^(٢) فـتـفـقـتـنـواـ وـتـفـقـنـ
أـهـالـيـكـ. فـإـنـ أـرـدـتـمـ بـيـعـتـىـ عـلـىـ الذـيـ بـذـلتـ لـكـمـ فـأـنـاـ لـكـمـ بـهـ، وـإـنـ مـلـتـ فـلـاـ
بـيـعـةـ لـىـ عـلـيـكـ، وـإـنـ رـأـيـتـ أـحـدـ أـقـوىـ عـلـيـهـ مـنـيـ فـأـرـدـتـمـ بـيـعـتـهـ فـأـنـاـ أـوـلـ مـنـ
يـبـاـيعـهـ، وـيـدـخـلـ فـ طـاعـتـهـ، أـقـولـ قـوـلـ هـذـاـ وـأـسـتـغـفـرـ اللـهـ لـىـ وـلـكـمـ.

(١) يزيد الوليد بن يزيد . ويشير إلى رمي المصحف بالنشاب ، قوله :

أتوعد كل جبار عنيد فهأنذاك جبار عنيد

(انظر الأغانى ، والفارغى ص ١٢٠) .

(٢) جر الجيش : حبسه في أرص العدو ولم يفله . وفي بعض الأصول : « ولا أحد يعودكم » مكان : « ولا جركم في يوتكم » .

خطب بنى العباس^(١)

العتبى قال : قيل لمسامة بن هلال العبدى ، خطبنا جعفر بن سليمان الماشمى خطبة لم يسمع أحسن منها ، وما دارينا أوجهه كان أحسن أم كلامه . قال : أولئك قوم بذور الخلافة يُشرقون ، وبلسان النبوة يُنطقون .

خطبة [أبى العباس] السفاح بالشام :

خطب أبو العباس عبد الله بن محمد على ، لما قُتِلَ مروان بن محمد ، فقال : ألم تر إلى الذين بَدَّلوا نعم الله كُفْرًا وأَحْلَلُوا قومهم دار البوار ، جَهَنَّمَ يَصْلُوْنَهَا وَبِدْسَ الْقَرَار ، نَكَصَ بِكُمْ يَاهْلَ الشَّامَ آلَ حَرْب ، وآلَ مَرْوَان ، يَتَسَكَّعُونَ بِكُمْ الظُّلْم ، وَيَهُوَرُونَ بِكُمْ مَدَاهِضَ الزَّلَاق ، يَطُوَّونَ بِكُمْ حُرْمَ اللَّهِ وَحْرَمَ رَسُولِه ، مَاذَا يَقُولُ زُعْمَاؤُكُمْ غَدًا ؟ يَقُولُونَ : رَبَّنَا هُؤُلَاءِ أَضْلَوْنَا فَآتَهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ . إِذَا يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ (لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكُنْ لَا تَعْلَمُونَ) .

أَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَدْ أَثْنَفَ بِكُمِ التَّوْبَةَ ، وَأَغْتَفَرَ لِكُمِ الْزَّلَةَ ، وَبَسْطَ لِكُمِ الْإِقْالَةَ ، وَعَادَ بِفَضْلِهِ عَلَى نَفْصُوكُمْ ، وَبِحِلْمِهِ عَلَى جَهَنَّمَكُمْ ، فَلَيُفْرِخَ رُوعُوكُمْ ، وَلَتَطْمَئِنَّ بِهِ دَارُوكُمْ ، وَلْتَعْظِمْ كُمْ^(٢) مَصَارِعُ أَوَانِكُمْ ، فَتَلَكَ بِيَوْمِهِمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَّمُوا .

خطب المنصور :

خطب أبو جعفر المنصور ، وأسمه عبد الله بن محمد بن على ، لما قُتِلَ الأمويين فقال : أحرز لسان رأسه ، انتبه امرؤ لحظه ، نظر أمرؤ في يومه لغده ، فشي القصد ، وقال الفضل ، وجائب المجر . ثم أخذ بقامس سيفه فقال : أيها الناس ،

(١) في بعض الأصول : « بني هاشم » .

(٢) في بعض الأصول : « وانتقطع » .

^{١٧٧} إنَّ بِكُمْ داء هذَا داؤه ، وَأَنَا زعيم لِكُمْ بِشَفَاعَتِهِ ، فَلَيَعْتَبِرْ عَبْدُهُ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرْ بِهِ ، فَإِنَّمَا بَعْدَ الْوَعِيدِ الْإِيقَاعُ^(١) ، وَإِنَّمَا يَفْتَرِي السَّكِينُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ .

خطبة المنصور حين خروجه إلى الشام :

شِذْشِنة أُعْرِفُهَا مِنْ أَخْزَمْ مَنْ يَلْقَى بِطَالِ الرِّجَالِ يُكَلِّمُ
مَهْلَا مَهْلَا ، رَوَا يَا الإِرْجَافُ ، وَكُوفَّ النَّفَاقُ ، عَنِ الْخَوْضِ فِيمَا كَفَيْتُمْ ،
وَالْتَّخَطَّى إِلَى مَا حُذْرَتُمْ . قَبْلَ أَنْ تَتَنَافَّ نُفُوسُ ، وَيَقُلَّ عَدْدُ ، وَيَدُولُ^(٢) عَزْ ،
وَمَا أَنْتُمْ وَذَلِكُ ، أَلَمْ تَجِدُوا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ مِنْ إِرَاثَ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ مَشَارِقِ
الْأَرْضِ وَمَغَارَبِهَا حَقًا وَالْجَحْدُ الْجَحْدُ^(٣) . وَلَكُنْ خَبْرَ كَامِنْ ، وَحَسَدْ
مُكَبِّد^(٤) ، فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

وفطب أيضًا :

قال يعقوب بن السكري : خطب أبو جعفر المنصور يوم الجمعة ، فحمد الله
وأشنى عليه وقال : أيها الناس ، اتقوا الله . فقام إليه رجل فقال : أذكري من
ذكريتنا به يا أمير المؤمنين . قال أبو جعفر : سمعاً سمعاً لمن فهم عن الله وذكري به ،
وأعوذ بالله أن أذكر به وأنساه ، فتأخذني العزة بالإثم ، لقد ضللت إذا ، وما
أنا من المهددين . وأئمأ أنت ، والتفت إلى الرجل ، فقال : والله ما الله أردتَ
بها ، ولكن ليقال قام فقال فهو قبضَر ، وأهون بها لو كانت العقوبة ، وأنا
أذركم أيها الناس أختها ، فإن الموعظة علينا نزلت ، وفيينا أذنت ، ثم رجع
إلى موضعه من الخطبة .

(١) في بعض الأصول : « الانقطاع » وما أثبنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار

٢٠ (ج ٢ ص ٢٥٣) ومواسم الأدب (ج ٢ ص ١١٤) .

(٢) في بعض الأصول : « ويذل » .

(٣) والجحد الجحد ، يحذرم الجحد ، وهو كفران النعم . وفي بعض الأصول : « والحجر الحجر » . (٤) في بعض الأصول : « مكمن » .

[خطبة أبضا للمنصور بمكة] :

وخطب بمكة فقال : أيها الناس ، إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أَسُوكم
بِتَوْفِيقِهِ ، وَتَسْدِيدهِ وَتَأْييدهِ ، وَحَارِسُهُ^(١) عَلَى مَا لَهُ ، أَعْمَلُ فِيهِ بِعْشِيشَتِهِ وَإِرَادَتِهِ ،
وَأَعْطِيهِ بِإِذْنِهِ ، فَقَدْ جَعَلَنِي اللَّهُ عَلَيْهِ قُفْلًا ، إِذْ شاءَ أَنْ يَفْتَحَنِي فَتَحَنَّى لِإِعْطَائِكُمْ ،
وَقَسْمٌ أَرْزَاقُكُمْ ، وَإِذَا شاءَ أَنْ يُقْفِنِي عَلَيْهَا أَقْفَلَنِي ، فَارْغِبُوا إِلَى اللَّهِ وَسْلُوهُ فِي
هَذَا الْيَوْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي وَهَبَ لَكُمْ مِنْ فَضْلِهِ مَا أَعْلَمُ كُمْ بِهِ فِي كِتَابِهِ إِذْ يَقُولُ :
(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ
دِينًا) أَنْ يُوَفِّقَنِي لِلرَّشَادِ وَالصَّوَابِ ، وَأَنْ يُلْهِمَنِي الرَّأْفَةَ بِكُمْ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْكُمْ ،
أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

١٠ وخطبة لسلمان بن علي :

(ولَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادُى
الصَّالِحُونَ إِنَّ فِي هَذَا ابْلَاغًا لِقَوْمٍ عَابِدِينَ) . قَضَاهُ مُبْرِمٌ ، وَقُولُ فَصْلُ مَا هُوَ
بِالْهَزْلِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَ عَبْدَهُ ، وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ ، وَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ الَّذِينَ
أَخْذُوا الْكَعْبَةَ غَرَضًا ، وَالْفِتْرَةَ ، وَالدِّينَ هُزُوا ، وَجَعَلُوا الْقُرْآنَ عِصِّينَ ، لَقَدْ
١٥ حَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِزُونَ ، فَكَائِنٌ تَرَى مِنْ بَثْرٍ مُعْطَلَةً وَقَصْرٍ مَشِيدَ ،
ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لِيَسْ بِظَلَامٍ لِلْعَبْدِ . أَمْهُلُوا حَتَّى نَبْذُوا الْكِتَابَ ،
وَأَخْطُهُمْ بِالْمِتْرَةِ ، وَنَبْذُوا السُّنَّةَ ، وَأَعْتَدُوا وَاسْتَكْبَرُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَارٍ عَنِيدٍ ،
ثُمَّ أَخْذَهُمْ ، فَهَلْ تُحِسِّنُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رَكْزاً .

خطبة عبد الملك بن صالح [بن علي] :

٢٠ أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ
عَلَى قُلُوبِ أَقْفَالِهِمَا ، يَأْهُلُ الشَّامَ ، إِنَّ اللَّهَ وَصَفَ إِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَشْبَاهُكُمْ

(١) فِي : « وَخَازَنَهُ » .

فِي الْأَجْسَامِ، فَذَرْهُمْ نَبِيَّهُ مُحَمَّداً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: (وَإِذَا رَأَيْتُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَانُوهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ . يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَأَحْذَرُهُمْ قاتَلَهُمُ اللَّهُ أَكْبَرُ يُؤْفِكُونَ) فَقَاتَلَكُمُ اللَّهُ أَكْبَرُ تُصْرِفُونَ، جُهْثَثُ مَائِلَةً، وَقُلُوبُ طَائِرَةٍ، تَشَبَّهُونَ الْفِتَنَ، وَتُوَلُّونَ الدُّبُرَ، إِلَّا عَنْ حُرَمِ اللَّهِ، فَإِنَّهَا دَرِيئَتُكُمْ^(١)، وَحُرَمَ رَسُولُهُ، فَإِنَّهَا مَغْزَاكُمْ، أَمَّا وَحْرَمَةُ النَّبِيَّةِ^٥ وَالْخِلَافَةِ لِتَنَفِرُونَ خِفَافًا وَثِقَالًا أَوْ لَا وَسْعَنَكُمْ إِرْغَامًا وَنَكَالًا.

١٧٨

وَهُطْبُ صَالِحٍ بْنِ عَلَى :

يَا أَعْضَادَ النَّفَاقِ، وَعَمَدَ الضَّلَالِ، أَغْرِكُمْ لِينَ إِبْسَاسِيِّ^(٢)، وَطُولَ إِيْنَامِيِّ،
حَتَّى ظَنَ جَاهِلُكُمْ أَنَّ ذَلِكَ لَفْلُولَ حَدَّ، وَفُتُورِ جِدَّ، وَخَوَارِقَنَةَ، كَذَبَتِ
الظَّنُونَ . إِنَّهَا الْعِتَرَةُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ، فَإِذْ قَدْ أَسْتَمِرَ أَنْتُمُ الْعَافِيَةَ، فَعِنْدِيِّ فَصَالِ^(٣)
وَفِطَامُ، وَسَيِّفُ يَقْدُدُ الْهَامُ، وَإِنِّي أَقُولُ:

أَغْرِكُمْ أَنِّي بِأَكْرَمِ شِيمَةٍ رَفِيقٌ وَأَنِّي بِالْفَوَاحِشِ أَخْرَقُ
وَمِثْلِي إِذَا لَمْ يُجْزِ أَحْسَنَ سَعْيَهِ تَكَلَّمُ نُعَاهَ بِفِيهَا فَتَنْطِقِ
لَعْمَرِي لَقَدْ فَاحْشَتَنِي فَغَلَبَتِنِي هَنِيَّا مَرِيَّا أَنْتَ بِالْفُحْشِ أَرْفَقَ

١٥

وَهُطْبُ دَاوِدَ بْنِهِ عَلَى بَاطِرِيَّةَ :

فَقَالَ: أَيْهَا النَّاسُ، حَتَّى تَمَ يَهْتَفُ بِكُمْ صَرِيخُكُمْ، أَمَّا آنَ لِرَاقِدِكُمْ أَنْ يَهُبُّ
مِنْ نُومِهِ، كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ، أَغْرِكُمْ الْإِمْهَالَ حَتَّى
حَسِبَتُمُوهُ الْإِهْمَالَ، هِيَهَاتُ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ وَالسُّوْطُ [فِي] كَفِي وَالسَّيِّفُ مُشَهَّرٌ:
حَتَّى يُبَيِّدَ قَبِيَّلَةَ فَقَبِيلَةَ وَيَعْضُ كُلُّ مُثْقَفٍ^(٤) بِالْهَامِ-

(١) الْدَّرِيَّةُ: الْحَلْقَةُ يَتَعَلَّمُ الطَّعْنَ وَالرَّمَى عَلَيْهَا.

(٢) الإِبْسَاسُ: صوت الراعي عند الحلب يسكن به الناقة.

(٣) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: «اسْتَوْلِيْم» وَ«فَسَكَاك» مَكَانٌ «اسْتَوْلِيْم» وَ«فَصَال».

٢٠

(٤) يَرِيدُ بِالْمُثْقَفِ: الرَّمَحُ.

وَيُقْمِنْ رَبَّاتِ الْخُدُورَ حَوَّاسِرًا يَمْسَحُنْ عُرْضَ ذَوَائِبِ الْأَيْتَام

[خطبة داود بن علي بمحنة]

وخطب داود بن علي بمحنة : شُكْرًا شُكْرًا ، والله ما خَرَجْنَا لَنَحْفِرْ فِيكُمْ
نَهْرًا ، وَلَا لَنَدْبِنِي فِيكُمْ قَصْرًا ، أَظْنَ عَدُوَ اللَّهِ أَنْ لَنْ نَظْفَرْ بِهِ إِذْ مُدَّ لَهُ فِي عِنَانِهِ ،
هَتَّى عَثَرَ فِي فَضْلِ زِمامِهِ ، فَالآنَ عَادَ الْأَمْرُ فِي نِصَابِهِ ، وَأَطْلَعَتِ الشَّمْسُ مِنْ
مَشْرُقِهَا ، وَالآنَ [حيث] تَوَلَّ الْقَوْسَ بَارِيهَا ، وَعادَتِ النَّبْلُ إِلَى النَّزْعَةِ ،
وَرَجَعَ الْأَمْرُ إِلَى مُسْتَقْرِئِهِ ، فِي أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ ، أَهْلِ الرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، فَاتَّقُوا
اللهُ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا ، وَلَا تَجْعَلُوا النَّعْمَ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ سَبِيلًا إِلَى أَنْ تُبْعِي
هَلَكَتْكُمْ ، وَتُزِيلَ النَّعْمَ عَنْكُمْ .

١٠ خطبة للحريري :

الحمد لله الذي أرضى الحمد لنفسه ، ورضي به من خلقه ، أحمده على آلامه ،
وأمجده بآلامه ، وأستعينه وأؤمن به وأنوكل عليه ، توكلَ راضٍ بقضائه ، وصابر
لآلامه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنَّ مُحَمَّداً عبدُ المصطفى ،
ونبيُّه المُجتبى ، ورسولُه إلى خلقه ، وأمينه على وحيمه ، أرسله بعد انقطاع الرِّجائِءِ ،
وطمُوسِ الْعِلْمِ ، وأقتربَ من الساعَةِ ، إلى أمة جاهليَّةٍ ، مُختلفةٌ أميَّةٍ ، أهل عَدَاوَةٍ
وَتَضَاغُنٍ ، وفُرْقةٍ وَتَبَانٍ ، قد أستهونَتْهُمْ شِيَاطِينُهُمْ ، وغَابَ عَلَيْهِمْ قُرْنَاؤُهُمْ ،
فَأَسْتَشُرُوا الرَّدِّي ، وسَأَلُوكُوا الْعَمَى ، يُبَشِّرُ مَنْ أطَاعَهُ بِالجَنَّةِ وَكَرِيمٌ ثَوَابُهَا ،
وَيَنْذِرُ مَنْ عَصَاهُ بِالنَّارِ وَأَلْيَمُ عِقَابَهَا ، ليهلكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ ، ويحْيِي مَنْ حَيَّ
عَنْ بَيِّنَةٍ ، وإنَّ اللَّهَ لَسْمِعِ عَالِمٍ ، أوصِيَكُمْ عِبَادُ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، فإنَّ الاقتصار
عَلَيْهَا سَلَامَةٌ ، والترَكُ لها نَدَامَةٌ ، وَأَحْشِكُمْ عَلَى إِجْلَالِ عَظَمَتِهِ ، وَتَوْقِيرِ كَبِيرِ يَاهِ
وَقُدرَتِهِ ، وَالْأَنْتِهاءُ إِلَى مَا يُقْرَبُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَيُنْجِي مَنْ سُخْطَهُ ، وَيُنَالُ بِهِ
مَا لَدِيهِ مِنْ كَرِيمِ التَّوَابِ ، وَجْزِيلِ الْمَآبِ . فَاجْتَنِبُوا مَا خَوَفَكُمُ اللَّهُ مِنْ شَدِيدِ

العِقاب ، وألَيْم العذاب ، ووعيد الحساب ، يوم تُوقَّفون بين يدي الجبار ،
وتُعرضون فيه على النار ، يوم لا تَكَلَّم نفس إلا بإذنه ، فنهم شَقِّ وسَعيد ،
يوم يَفِرُّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لـكُل أمرٍ منهم يومئذ
شأنٌ يغْنِيه ، يوم لا تَجْزِي نفس شَيْئاً ولا يُقبل منها عَدْل ولا تنفعها
شفاعة ولا هم يُنْصرون ، يوم لا يَجْزِي والد عن ولده ولا مولود هو جازٍ عن
والده شيئاً ، إنْ وَعْدَ الله حق ، فلا تَغْرِيكم الحياة الدنيا ولا يُغْرِيكم بالله الغرور ،
فإنَّ الدُّنيا دارٌ غُرُور ، وبلاءٌ وشُرُور ، وأضْحَى حلال وزَوَال ، وتقلب وأنْتقال ، قد
أَفْتَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وهى عائدةٌ عَلَيْكُمْ وعلى مَنْ بَعْدَكُمْ ، مَنْ رَكِنَ إِلَيْهَا
صَرَعَتْهُ ، وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خانَتْهُ ، وَمَنْ أَمْلَاهَا كَذَبَتْهُ ، وَمَنْ رجَاهَا خَذَلَتْهُ ، عَزِّهَا
ذُلُّ ، وَغِنَاهَا فَقْرٌ ، والسعيد مَنْ تَرَكَهَا ، والشَّقِّيُّ فِيهَا مِنْ آثْرِهَا ، والمَغْبُونُ فِيهَا
مَنْ باعَ حَظَّهُ مِنْ دارِ آخرَتِه بِهَا ، فَاللهُ اللهُ عبادَ الله ، والتوبَةُ مَقْبُولة ، والرحمة
مَبْسُوطة ، وبادِرُوا بالأعمالِ الذاكِية في هذه الأيامِ الْخَالِيَة ، قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذُ
بِالْكَظْمِ^(١) ، وَتَنَذَّمُوا فَلَا تَقاولُون^(٢) بالنَّدَم ، في يوم حَسْرَةٍ وتأسُّفٍ ، وكآبةٍ
وتَهْفُ ، يوم ليس كال أيام ، و موقف ضَنْكِ المقام . إنَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ وأَبْلَغَ
المواعظَ كِتَابُ الله ، يقول الله تبارَكَ وتعالى : (وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنَ فَأَسْتَمِعُوا لَهُ
وَأَنْصِتُوا لَعْلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ) . أَعُوذُ بالله العظيم من الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ الله الرحمن الرحيم
الرحيم : (أَللَّهُمَّ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ) إلى آخرِ السُّورَةِ ، أوصيكم عبادَ الله
بِمَا أوصاكُم الله به ، وَأَنْهَاكُم عَمَّا نَهَاكُم الله عنه ، وَأَرْضِي لَكُم طَاعَةَ الله ،
وَأَسْتَغْفِرُ الله لِي ولَكُمْ .

خطبة هارون الرسيم :

الحمدُ لله نَحْمَدُه على نِعمَه ، وَنَسْتَعِينُه على طَاعَتِه ، وَنَسْتَنْصِرُه على أَعْدَائِه

(١) الكظم : الحلق أو الفم أو مخرج النفس .

(٢) في بعض الأصول « تناول » .

وَنُؤْمِنُ بِهِ حَقّاً ، وَنَتَوْكِّلُ عَلَيْهِ مُفْوِضِينَ إِلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، بَعْثَةٌ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرَّسُولِ ،
وَدُرُوسٌ مِّنَ الْعِلْمِ ، وَإِذْبَارٌ مِّنَ الدُّنْيَا ، وَإِقْبَالٌ مِّنَ الْآخِرَةِ ، بَشِيرًا بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ ،
وَنَذِيرًا بَيْنَ يَدِي عَذَابِ الْأَلِيمِ ، فَبَلَغَ الرِّسَالَةَ ، وَنَصَحَّ الْأُمَّةَ ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ ، فَأَدَى
٥ عنَ اللَّهِ وَعْدَهُ وَوَعِيهِ ، حَتَّى أَتَاهَا الْيَقِينَ ، فَعَلَى النَّبِيِّ مِنَ اللَّهِ صَلَاتُهُ وَرَحْمَةُ وَسَلَامٍ .
أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوِيَّةِ اللَّهِ ، فَإِنَّ فِي التَّقْوَى تَكْفِيرَ السَّيِّئَاتِ ، وَتَضْعِيفَ الْحَسَنَاتِ ،
وَفُوزًا بِالْجَنَّةِ ، وَنَجَاهَةً مِّنَ النَّارِ . وَاحْذَرُوكُمْ يَوْمًا تَشْخُصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ، وَتُبْلَى فِيهِ
الْأَسْرَارُ ، يَوْمَ الْبَعْثِ وَيَوْمَ التَّغَابُنِ وَيَوْمَ التَّلَاقِ وَيَوْمَ الْقِنَادِ ، يَوْمًا لَا يُسْتَعْتَبُ
١٠ مِنْ سَيِّئَاتِهِ ، وَلَا يُزَدَّادُ فِي حَسْنَةٍ ، يَوْمَ الْآزْفَةِ ، إِذَا الْقُلُوبُ لَدَى الْخَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ،
مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطْعَمُ ، يُعْلَمُ فِيهِ خَائِنَةُ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ،
وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوْفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يَظْلَمُونَ .
عِبَادَ اللَّهِ ، إِنَّكُمْ لَمْ تُخْلِقُوا أَعْبَثًا ، وَلَنْ تُتَرْكُوا سُدَّى ، حَصَّنُوا إِيمَانَكُمْ بِالْأَمَانَةِ ،
وَدِينَكُمْ بِالْوَرْعِ ، وَصَلَاتَكُمْ بِالزَّكَاءِ ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْخُبُرِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ قَالَ : لَا إِيمَانَ لِمَنْ لَا أَمَانَةَ لَهُ ، وَلَا دِينَ لِمَنْ لَا عَهْدَ لَهُ ، وَلَا صَلَاةَ لِمَنْ
١٥ لَا زَكَاءَ لَهُ . إِنَّكُمْ سَافَرْتُمْ مُجْتَازُونَ ، وَأَنْتُمْ عَنْ قَرِيبٍ تَنْتَقِلُونَ مِنْ دَارِ فَنَاءٍ إِلَى
دارِ بقاءٍ ، فَسَارَعُوا إِلَى الْمَغْفِرَةِ بِالتَّوْبَةِ ، وَإِلَى الرَّحْمَةِ بِالْتَّقْوَى ، وَإِلَى الْهُدَى
بِالإِنْبَابَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذِكْرُهُ أَوْجَبَ رَحْمَتَهُ لِلْمُتَّقِينَ ، وَمَغْفِرَتَهُ لِلتَّائِبِينَ ، وَهُدَاهُ
لِلْمُنْبَيِّبِينَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَ وَقُولُهُ الْحَقُّ : (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلُّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا
لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيَؤْتُونَ الزَّكَاءَ) ، وَقَالَ : (وَإِنِّي لَغَفَارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ
٢٠ صَالِحًا ثُمَّ أَهْتَدَى) . وَإِيَاكُمُ الْأَمَانَىَ ، فَقَدْ غَرَّتْ وَأَزْدَدَتْ وَأَوْبَقَتْ كَثِيرًا ، حَتَّى
أَكَذَّبْتُهُمْ مَنِيَّا هُمْ ، فَتَنَاوَشُوا^(١) التَّوْبَةَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ، وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ
مَا يَشْتَهُونَ ، فَأَخْبَرْتُكُمْ رَبِّكُمْ عَنِ الْمُثْلَاتِ فِيهِمْ ، وَصَرَّفْتُ الْآيَاتِ ، وَضَرَبْتُ

(١) تَنَاوَشُوا : تَنَاوِلُوا .

الأمثال ، فرغَب بالوَعْد ، وقدَم إِلَيْكُم الوعيد ، وقد رأيْتُم وقائمه بالقُرُون الخواли
جِيلًا فييلاً ، وعَهَدتُم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر بِأَخْتِطاف الموت إِيَّاهُم مِن
١٨٠ بُيوتكم ومن بَيْن أَظْهَرِكم ، لَا تَدْفَعُونَ عَنْهُمْ لَا تَحْمِلُونَ دُونَهُمْ ، فَزَالَتْ عَنْهُمْ
الدُّنْيَا ، وَانْقَطَعَتْ بَهْمُ الأَسْبَاب ، فَأَسْلَمْتُهُمْ إِلَى أَعْمَالِهِمْ عَنْدَ الْمَوَاقِفِ وَالْحَسَابِ
وَالْعِقَاب ، لِيُبَحْرِزَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيُبَحْرِزَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . إِنْ
أَحْسَنَ الْحَدِيثَ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةَ كِتَابُ اللَّهِ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (وَإِذَا قُرِئَ
الْقُرْآنَ فَأَسْتَمِعُوهُ وَأَنْصَتُوهُ لِعَلَّكُمْ تُرَحَّمُونَ) . أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ
الرَّجِيمِ ، إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ
الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُوْلَدْ . وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) . أَمْرُكُمْ بِمَا أَمْرَكُمُ اللَّهُ بِهِ ،
وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمُ اللَّهُ عَنْهُ . وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهُ لِي وَلَكُمْ .

خطبة المأمور في يوم الجمعة :

الحمد لله مُسْتَخْلِصِ الْحَمْدِ لِنَفْسِهِ ، وَمُسْتَوْجِبِهِ عَلَى خَلْقِهِ ، أَحْمَدَهُ وَأَسْتَعِينُهُ ،
وَأُوْمِنُ بِهِ ، وَأَتُوَكِّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ
أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ
وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ، أُوصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَتَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَحْدَهُ ، وَالْعَمَلُ لِمَا
١٥ عَنْهُ ، وَالتَّنْجِيزُ لِوَعْدِهِ ، وَالْخَوْفُ لِوَعِيَدِهِ ، فَإِنَّهُ لَا يَسْلِمُ إِلَّا مَنْ أَتَقَاهُ وَرَجَاهُ ،
وَعَمِلَ لَهُ وَأَرْضَاهُ . فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَابتَاعُوا
مَا يَبْقَى بِمَا يَرُولُ عَنْكُمْ وَيَنْفِي ، وَتَرَحَّلُوا عَنِ الدُّنْيَا ، فَقَدْ جَدَّ بِكُمْ ، وَأَسْتَعِدُوا
لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظْلَّكُمْ ، وَكُونُوا كَقَوْمٍ صَيْحَ فِيهِمْ فَأَنْتَهُوا ، وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لِيَسْتَ
لَهُمْ بَدَارٌ فَأَسْتَبَدُلُوا^(١) ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبْدَنَا ، وَلَمْ يَتَرَكْكُمْ سُدَّى ،
٢٠ وَمَا بَيْنَ أَحْدَكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزَلَ بِهِ ؛ وَإِنَّ غَايَةَ تَنَقُّصِهَا
الْأَلْحَاظَةَ ، وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ الْوَاحِدَةُ ، لِجَدِيرَةٍ بِقِصْرِ الْمُدَّةِ ؛ وَإِنَّ غَائِبًا يَحْمُدُوهُ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « فَاسْتَدْلُوا » .

الجديدان الليل والنهر، لجدير بسرعة الأوبة، وإن قادمًا يحُل بالفوز أو بالشقاوة
لمستحب لأفضل العدة. فاتق عبد ربه، ونصح نفسه، وقدم توبته، وغلب
شهوته؛ فإن أجله مستور عنه، وأمله خادع له، والشيطان موكّل به، يُزَيِّن له
المعصية ليركبها، ويُمْنِيَه التوبة ليسوفها، حتى تهجم عليه منيته، أغفل ما يكون
عنها. فيماها حسرة على كل ذي غفلة، أن يكون عمره عليه حجّة، أو تؤديه
منيته^(١) إلى شقاوة. نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من لا تُبطره نعمة، ولا تُقصَر
به عن طاعة ربّه غفلة، ولا تَحُل به بعد الموت فزعـة، إنَّه سميع الدعاء، يمده
الخير وهو على كل شيء قادر، فَعَال لما يريد.

وفطنة المأمور يوم الْضَّحْيَ :

قال بعد التكبير والتحميد: إن يومكم هذا يوم أبان الله فضلـه، وأوجبـ
تشريـفـه، وعظمـ حرمـته، ووفقـ له من خلقـه صفوـته، وأبـتلى^(٢) فيه خليلـه. وفـدىـ
فيـه بالذبحـ العظـيمـ نـبيـهـ، وجعلـهـ خـاتـمـ الأـيـامـ المـعـلـومـاتـ منـ العـشـرـ، وـمـقـدـمـ الأـيـامـ
المـعـدـودـاتـ منـ النـفـرـ^(٣)، يومـ حـرامـ، منـ أـيـامـ عـيـطـامـ، فيـ شـهـرـ حـرامـ، يومـ الحـجــ
الأـكـبرـ، يومـ دـعـاـ اللهـ فـيهـ إـلـىـ مـشـهـدـهـ، وـنـزـلـ الـقـرـآنـ الـعـظـيمـ بـتـعـظـيمـهـ، فـالـ
الـلـهـ عـزـ وـجـلـ: (وـأـذـنـ فـيـ النـاسـ بـالـحـجـ يـأـتـوـكـ رـجـالـاـ وـعـلـىـ كـلـ ضـامـرـ يـأـتـيـنـ
مـنـ كـلـ فـجـ عـمـيقـ)، فـتـقـرـبـواـ إـلـىـ اللهـ فـيـ هـذـاـ يـوـمـ بـذـبـاحـكـمـ، وـعـظـمـواـ شـعـائـرـ
الـلـهـ، وـأـجـعـلـوـهـاـ مـنـ طـيـبـ أـمـوـالـكـمـ، وـبـصـحـةـ^(٤) التـقـوىـ مـنـ قـلـوبـكـمـ، فـإـنـهـ يـقـولـ:
(أـنـ يـنـالـ اللـهـ لـحـوـمـهـاـ وـلـاـ دـمـاـهـاـ وـلـكـنـ يـنـالـهـ التـقـوىـ مـنـكـمـ). ثـمـ التـكـبـيرـ
وـالـتـحـمـيدـ. وـالـصـلـاـةـ عـلـىـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ، وـالـوـصـيـةـ بـالـتـقـوىـ. ثـمـ ذـكـرـ
الـمـوـتـ، ثـمـ قـالـ: وـمـاـ مـنـ بـعـدـهـ إـلـاـ جـنـةـ أـوـ نـارـ، عـظـمـ قـدـرـ الدـارـينـ، وـارـتفـعـ

(١) في عيون الأخبار: (ج ٢ ص ٢٥٣) : « أيامه » .

(٢) في بعض الأصول: « وابتلى ». وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون الأخبار

(ج ٢ ص ٢٥٤) . (٣) يوم النفر: يوم ينفر الناس من منى .

(٤) في بعض الأصول: « ولتصبح ». وما أثبتنا عن سائر الأصول وعيون ،

(ج ٢ ص ٢٥٤) .

جزاء العَمَلين ، وطالت مُدَّةِ الْفَرِيقَيْنِ . اللهُ اللهُ إِنَّهُ الْجَدُّ لَا الْلَّاعِبُ ،
 والْحَقُّ لَا الْكَذَبُ ، وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ وَالْبَعْثُ وَالْمِيزَانُ وَالْحِسَابُ وَالصَّرَاطُ
 وَالْقِصَاصُ وَالثَّوَابُ وَالْعِقَابُ . فَمَنْ نَجَا يَوْمَئِذٍ فَقَدْ فَازَ ، وَمَنْ هَوَى يَوْمَئِذٍ فَقَدْ
 خَابَ ، الْخَيْرُ كُلُّهُ فِي الْجَنَّةِ ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ فِي النَّارِ .

وَهُنْطِيَّةُ الْحَامِدِ فِي الْفَطْرِ :

قال بعد التكبير والتحميد: أَلَا وَإِنَّ يَوْمَكُمْ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ وَسُنْنَةٌ ، وَأَبْتَهَ الْوَرَغَبَةَ ، يَوْمٌ خَتَمَ اللَّهُ بِهِ صِيَامَ شَهْرِ رَمَضَانَ ، وَأَفْتَحَ بِهِ حَجَّ يَلْيَقُهُ الْحَرَامُ ، فَجَعَلَهُ
 أَوْلَى أَيَّامِ شُهُورِ الْحَجَّ ، وَجَعَلَهُ مُعَقِّبًا لِمَفْرُوضِ صِيَامِكُمْ ، وَمُتَنَفِّلًا^(١) قِيَامِكُمْ ،
 أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ فِيهِ الطَّعَامَ ، وَحَرَمَ عَلَيْكُمْ فِيهِ الصِّيَامَ ، فَاطْلُبُوا إِلَى اللَّهِ حِوَاجِبِكُمْ ،
 وَأَسْتَغْفِرُوهُ لِتَفْرِيظِكُمْ ، فَإِنَّهُ يُقَالُ : لَا كَثِيرٌ مَعَ نَدَمٍ وَأَسْتَغْفارٍ ، وَلَا قَلِيلٌ مَعَ
 تَمَادٍ وَإِصْرَارٍ . ثُمَّ كَبَرَ وَحَمَدَ ، وَذَكَرَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَوْصَى بِالْبَرِّ
 وَالْتَّقْوَى ، ثُمَّ قَالَ : أَنْقُوا اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَبَادِرُوا الْأَمْرَ الَّذِي أَعْتَدْلُ فِيهِ يَقِينَكُمْ^(٢) ،
 وَلَمْ يَحْضُرِ الشَّكُّ فِيهِ أَحَدًا مِنْكُمْ ، وَهُوَ الْمَوْتُ الْمَكْتُوبُ عَلَيْكُمْ ، فَإِنَّهُ لَا تُسْتَقْدَالُ
 بَعْدَهُ عَثْرَةً ، وَلَا تُحْظَرُ قَبْلَهُ تُوبَةً ، وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا شَيْءٌ [قَبْلَهُ إِلَادُونَهُ ، وَلَا شَيْءٌ]
 بَعْدَهُ إِلَّا فَوْقَهُ ، وَلَا يُعِينُ عَلَى جَزَّعِهِ وَعَلَزِهِ^(٣) وَكُرْبَهُ ، وَهُلِّ التَّبَرِ وَظَلَمَتَهُ ،
 وَضِيقَهُ وَوَحْشَتَهُ ، وَهُوَ لِمَطْلَعِهِ ، وَمَسَأْلَةِ مَلَكِيَّهِ ، إِلَّا الْعَمَلُ الصَّالِحُ الَّذِي أَمْرَ اللَّهُ
 بِهِ ؛ فَنَزَّلَتْ عَنْدَ الْمَوْتِ قَدَمُهُ ، فَقَدْ ظَهَرَتْ نَدَامَتُهُ ، وَفَاتَتْهُ اسْتِقْدَالُهُ^(٤) ، وَدَعَا
 مِنَ الرَّجُمَةِ إِلَى مَا لَا يُحْجَبِ إِلَيْهِ ، وَبَذَلَ مِنَ الْفِدْيَةِ مَا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ . فَاللَّهُ اللَّهُ
 عِبَادُ اللَّهِ ، كُوْنُوا قَوْمًا سَأَلُوا الرَّجُمَةَ وَأَعْطُوهَا إِذْ مُنْعِهَا الَّذِينَ طَلَبُوهَا ، فَإِنَّهُ لَمْ يَسْ

(١) كذا في بعض الأصول: والعيون. والذى في سائر الأصول: « متقبل » .

(٢) فَيَعْلَمُ بَعْضُ الأَصْوَلِ : « عَدْلٌ فِيهِ نَبِيُّكُمْ » .

(٣) كذا في بعض الأصول والعيون. والعlez: ما يصيب المريض عند حشرجة الموت من رعدة واضطراب. والذى في سائر الأصول: « وعكره » .

(٤) فَيَعْلَمُ بَعْضُ الأَصْوَلِ : « اسْتِقْدَامَتَهُ » .

يَتَمَّنُ الْمُتَقْدِمُونَ قَبْلَكُمْ إِلَّا هَذَا الْأَجْلُ الْمَبْسُوتُ لَكُمْ؛ فَاحْذَرُوا مَا حَذَرَكُمُ اللَّهُ،
وَاتَّقُوا الْيَوْمَ الَّذِي يَجْمِعُكُمُ اللَّهُ فِيهِ؛ لَوَضْعُ مَوَازِينِكُمْ، وَنَشْرُ صُحْفِكُمْ، الْحَافِظَةُ
لِأَعْمَالِكُمْ. فَلَيْمَنْظَرْ عَبْدُ مَا يَضُعُ فِي مِيزَانِهِ مَا يَثْقُلُ بِهِ، وَمَا يُمْلِى فِي صَحِيفَتِهِ الْحَافِظَةُ
لِمَا عَلِيهِ وَلَهُ؛ أَلَا فَقَدْ حَكَى اللَّهُ لَكُمْ مَا قَالَ الْمُفْرَطُونَ عَنْهَا، إِذْ طَالَ إِعْرَاضُهُمْ
عَنْهَا، قَالَ جَلَّ ذِكْرُهُ : (وَوَضَعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفَقِينَ مَا فِيهِ
وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَنَا مَا لِهَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا
وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) . وَقَالَ : (وَنَضَعَ الْمَوَازِينَ
الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا . وَإِنْ كَانَ مِنْ قَالَ حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ
أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) . وَلَسْتُ أَنْهَاكُمْ عَنِ الدُّنْيَا بِأَكْثَرِ مَا نَهَيْتُكُمْ بِهِ
الِّدُّنْيَا عَنِ النَّفْسِهَا، فَإِنَّ كُلَّ مَا بِهَا يُحَذِّرُ مِنْهَا، وَيَنْهَا عَنْهَا، وَكُلَّ مَا فِيهَا
يُدْعُو إِلَى غَيْرِهَا، وَأَعْظَمُ مَا رَأَتِهِ أَعْيُنُكُمْ مِنْ جُنَاحِهَا وَزُوْلِهَا ذَمَّ كِتَابِ اللَّهِ هُنَّا
وَالْمُهَمَّ عَنْهَا، فَإِنَّهُ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (فَلَا تَغُرُّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرُّنَّكُمْ
بِاللَّهِ الْغَرُورُ) . وَقَالَ : (أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ
بِنِيمِكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ) ، فَانْتَفَعُوا بِمَعْرِفَتِكُمْ بِهَا . وَبِإِخْبَارِ اللَّهِ
عَنْهَا . وَأَعْلَمُوا أَنَّ قَوْمًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ أَدْرَكَتْهُمْ عِصْمَةُ اللَّهِ فَحَذَرُوا مَصَارِعُهَا،
وَجَانِبُوا خَدَائِعُهَا، وَآتُوا طَاعَةَ اللَّهِ فِيهَا، وَأَدْرَكُوا الْجَنَّةَ بِمَا يَتَرَكُونَ مِنْهَا^(١).

(٢) خطبة عبد الله بن الزبير حين قدم بفتح إفريقية :

قَدِمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ عَلَى عَمَانَ بْنَ عَفَانَ بِفَتْحِ إِفْرِيقِيَّةِ، فَأَخْبَرَهُ مُشَافِفَةُ،

(١) في بعده قوله « منها » : « تم الجزء الأول من كتاب الواسطة في الخطب بمحمد الله وعونه وحسن توفيقه . وحسبنا الله ونعم الوكيل . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم . يتلوه إن شاء الله في الجزء الثاني منه خطبة ابن الزبير حين قدم بفتح إفريقية وبتمامه يتم كتاب الواسطة إن شاء الله » .

(٢) قبل هذا العنوان في : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَسَلَّمَ » .

وَقَصَّ عَلَيْهِ كَيْفَ كَانَتِ الْوَقْعَةِ . فَأَعْجَبَ عُثَمَانَ مَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بُنْيَ ، أَتَقُومُ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ فِي النَّاسِ ؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا أَهْيَكُ لَكَ مَنْتَ لَهُمْ . فَقَامَ عُثَمَانُ فِي النَّاسِ خَطِيبًا فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَهْمَّ النَّاسِ ، إِنَّ اللَّهَ قَدْ فَتَحَ عَلَيْكُمْ إِفْرِيقِيَّةً ، وَهَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرٍ يُخْبِرُكُمْ خَبَرَهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

٥

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرٍ إِلَى جَانِبِ الْمِنْبَرِ ، فَقَامَ خَطِيبًا ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَطَبَ إِلَى جَانِبِ الْمِنْبَرِ ، فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِنَا ، وَجَعَلَنَا مُتَحَابِيْنَ بَعْدَ الْبَغْضَةِ ، الَّذِي لَا تُجِدُ نَعَاؤُهُ ، وَلَا يَزُولُ مُلْكُهُ ، لَهُ الْحَمْدُ كَمَا حَمَدَ نَفْسَهُ ، وَكَانَ هُوَ أَهْلُهُ ، أَنْتَخَبْتَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْتَارَهُ بِعِلْمِهِ ، وَأَتَقْرَبَنَاهُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَأَخْتَارَنَاهُ مِنَ النَّاسِ أَعْوَانِا ، قَدَّفَ فِي قُلُوبِهِمْ تَصْدِيقَهُ وَمَحْبَبَهُ ، فَآمَنُوا بِهِ وَعَزَّزُوهُ وَوَقَرُوهُ ، وَجَاهُوْنَ فِي اللَّهِ حَقِّ الْجِهَادِ ، فَأُسْتَشْهِدُ اللَّهُ مِنْهُمْ مَنْ أُسْتَشْهِدُ ، ١٠ عَلَى الْمِنْهَاجِ الْوَاضِعِ ، وَالْبَيْعِ الْوَاصِحِ ، وَبَقِيَّ مِنْهُمْ مَنْ بَقَى ، لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَا يُمْلِئُهُمْ بَأْمُمٌ . أَيْهَا النَّاسُ : رَحْمَكُمُ اللَّهُ ؛ إِنَا خَرَجْنَا لِلْوَجْهِ الَّذِي عَلِمْتُمْ ، فَكُنُّا مَعَ وَالِّ حَافِظٍ ، حَفِظْتُ وَصِيَّةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، كَانَ يَسِيرُ بِنَا الْأَبْرَدِينَ^(١) ، وَيَخْفَضُ^(٢) بَنَانِيْ الظَّهَائِرِ ، وَيَتَخَذُ الْلَّيْلَ جَمَلاً ، يُعَجِّلُ الرَّحْلَةَ مِنَ الْمَنْزِلِ الْجَذْبَ ، وَيُطْمِيلُ الْلَّبْثَ ١٥ فِي الْمَنْزِلِ الْخِصْبَ ، فَلَمْ نَزِلْ عَلَى أَحْسَنِ حَالَةٍ نَعْرَفُهَا مِنْ رَبِّنَا^(٣) ، حَتَّى أَتَهِمَنَا إِلَى إِفْرِيقِيَّةِ ، فَنَزَلْنَا مِنْهَا بِحِيَّثُ يَسْمَعُونَ صَهْيَلَ الْخَيْلِ ، وَرُغَاءَ الْإِبْلِ ، وَقَعْدَةَ السَّلَاحِ .

فَأَقْمَنَا أَيَّامًا نُجِمِّمُ كُرَاعَنَا^(٤) ، وَنُصْلِحُ سِلَاحَنَا ، ثُمَّ دَعَوْنَا إِلَى الْإِسْلَامِ وَالدُّخُولِ ٢٠ فِيهِ ، فَأَبْعَدُوْنَا مِنْهُ ؛ فَسَأَلَنَا الْجَزِيَّةَ عَنْ صَغَارِ ، أَوْ الصَّلَحِ ، فَكَانَتْ هَذِهِ أَبْعَدَ ، فَأَقْمَنَا عَلَيْهِمْ ثَلَاثَ عَشَرَةَ لَيْلَةَ نَةَ أَنَّا هُمْ ، وَتَخَلَّفَ رُسُلُنَا إِلَيْهِمْ . فَلَمَّا يَئِسُّ مِنْهُمْ قَامَ خَطِيبًا فَحَمَدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَذَكَرَ فَضْلَ الْجِهَادِ ، وَمَا الصَّاحِبِيْهِ إِذَا صَبَرَ ٢٥ وَاحْتَسَبَ . ثُمَّ نَهَضْنَا إِلَى عَدُوْنَا وَقَاتَلْنَاهُمْ أَشَدَّ الْقَتَالِ ، يَوْمَنَا ذَلِكَ ، وَصَبَرَ فِيهِ

(١) الْأَبْرَدَانُ : الْغَدَاءُ وَالْعَشَى . (٢) خَفَضَ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ .

(٣) مِنْ رَبِّنَا ، أَى مَا قَدْ عَوْدَنَا اللَّهُ .

(٤) الْكَرَاعُ : جَمَاعَةُ الْخَيْلِ . وَأَجْمَعَ الْفَرْسُ : تَرَكَ رَكْوَبَهُ فَعَفَّا مِنْ تَعْبُهُ وَذَهَبَ إِعْيَاوَهُ .

الفريقيان ، فـكـاتـ بـيـنـا وـبـيـنـهـم قـتـلـ كـثـيرـةـ ، وـأـسـتـشـهـدـ لـلـهـ فـيـهـ رـجـالـ منـ
الـمـسـلـمـينـ ؛ فـبـيـنـا وـبـاـتـواـ ، وـلـمـسـلـمـينـ دـوـيـ بالـقـرـآنـ كـدوـيـ النـحلـ ، وـبـاتـ المـشـرـكـونـ
فـخـوـرـهـ وـمـلـاعـبـهـ ، فـلـمـ أـصـبـحـنـاـ أـخـذـنـاـ مـصـافـنـاـ الـذـىـ كـنـاـ عـلـيـهـ بـالـأـمـسـ ،
فـزـحـفـ بـعـضـنـاـ عـلـىـ بـعـضـ ، فـأـفـرـغـ اللـهـ عـلـيـنـاـ صـبـرـهـ ، وـأـنـزـلـ عـلـيـنـاـ نـصـرـهـ ؛ فـفـتـحـنـاـهـاـ
مـنـ آـخـرـ الـهـارـ ، فـأـصـبـنـاـ غـنـائـمـ كـثـيرـةـ ، وـفـيـثـاـ وـاسـعـاـ ، بـلـغـ فـيـهـ الـخـمـسـ خـمـسـائـةـ أـلـفـ ،
فـصـفـقـ^(١) عـلـيـهـاـ مـرـوـانـ بـنـ الـحـكـمـ ، فـتـرـكـتـ الـمـسـلـمـينـ قـدـ قـرـتـ أـعـيـنـهـمـ وـأـغـنـاهـمـ الـنـفـلـ ،
وـأـنـاـ رـسـوـلـهـ إـلـىـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ أـبـشـرـهـ وـإـيـاـكـ بـمـاـ فـتـحـ اللـهـ مـنـ الـبـلـادـ ، وـأـذـلـ مـنـ
الـشـرـكـ . فـأـحـمـدـوـ اللـهـ عـبـادـ اللـهـ عـلـىـ آـلـاـئـهـ ، وـمـاـ أـحـلـ بـأـعـدـائـهـ ، مـنـ بـأـسـهـ الـذـىـ
لـاـ يـرـدـهـ عـنـ الـقـوـمـ الـمـجـرـمـينـ ، شـمـ سـكـتـ . فـنـهـضـ إـلـيـهـ أـبـوـهـ الزـبـيرـ فـقـبـلـ بـيـنـ عـيـنـيـهـ
وـقـالـ : ذـرـيـةـ بـعـضـهـاـ مـنـ بـعـضـ وـالـلـهـ سـمـيـعـ عـلـيـمـ ، يـاـ بـنـيـ : مـازـلـتـ تـنـطـقـ بـلـسانـ
أـبـيـ بـكـرـ حـتـىـ صـمـتـ .

هـطـبـةـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ الرـبـيرـ طـاـ بـلـغـهـ فـتـلـ مـصـعـبـ^(٢) :

صـدـعـدـ الـنـبـرـ فـحـمـدـ اللـهـ وـأـثـنـيـ عـلـيـهـ شـمـ سـكـتـ ، بـجـمـلـ لـوـنـهـ يـحـمـرـ صـرـةـ وـيـصـفـرـ
صـرـةـ ، فـقـالـ : رـجـلـ مـنـ قـرـيـشـ لـرـجـلـ إـلـىـ جـانـبـهـ : مـاـلـهـ لـاـيـتـكـلـمـ ، فـوـالـلـهـ إـنـهـ لـمـ يـلـمـ
الـخـطـبـاءـ . قـالـ : لـعـلـهـ يـرـيدـ أـنـ يـذـكـرـ مـقـتـلـ سـيـدـ الـعـربـ فـيـشـتـدـ ذـلـكـ عـلـيـهـ ، وـغـيـرـ
مـلـومـ . شـمـ تـكـلـمـ ، فـقـالـ : الـحـمـدـ اللـهـ لـهـ الـخـلـقـ وـالـأـمـرـ ، وـالـدـنـيـاـ وـالـآـخـرـةـ ، يـؤـتـىـ
الـمـلـكـ مـنـ يـشـاءـ ، وـيـنـزـعـ الـمـلـكـ مـنـ يـشـاءـ ، وـيـعـزـ مـنـ يـشـاءـ ، وـيـذـلـ مـنـ يـشـاءـ .
أـمـاـ بـعـدـ : فـإـنـهـ لـمـ يـعـزـ اللـهـ مـنـ كـانـ الـبـاطـلـ مـعـهـ ، وـإـنـ كـانـ مـعـهـ الـأـنـامـ طـرـاـ ، وـلـمـ
يـذـلـ مـنـ كـانـ الـحـقـ مـعـهـ ، وـإـنـ كـانـ فـرـداـ . أـلـاـ وـإـنـ خـبـرـاـ مـنـ الـعـرـاقـ أـتـانـاـ فـأـحـزـنـنـاـ
وـأـفـرـحـنـاـ ؛ فـأـمـاـ الـذـىـ أـحـزـنـنـاـ ، فـإـنـ لـفـرـاقـ الـجـمـيـعـ لـوـعـةـ يـجـدـهـاـ حـمـيمـهـ ، شـمـ يـرـعـوـيـ ذـوـ
الـأـلـبـابـ إـلـىـ الصـبـرـ وـكـرـيمـ الـعـزـاءـ ؛ وـأـمـاـ الـذـىـ أـفـرـحـنـاـ ، فـإـنـ قـتـلـ مـصـعـبـ ، لـهـ

(١) صـفـقـ الـبـابـ : أـغـلـقـهـ . يـرـيدـ أـنـ مـرـوـانـ بـنـ الـحـكـمـ حـفـظـهـاـ فـخـزـائـهـ وـأـغـلـقـ عـلـيـهـاـ .

(٢) قـتـلـهـ عـبـدـ الـمـلـكـ بـنـ مـرـوـانـ سـنـةـ ١٧ـ هـ .

شهادة ، ولنا ذخيرة ، أسلمه النعما المصلم^(١) الآذان . ألا وإن أهل العراق باعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ، فإن يقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وابن عمه^(٢) ، وكانوا الخيار الصالحين . إنما والله لا موت حتفا ولكن قعضا^(٣) بالرّماح ، وموتات تحت ظلال الشيف ، ليس كاميوت بنو مروان ، ألا إنما الدنيا عارية من الملوك الأعلى الذي لا يبيده ذكره ، ولا يذل سلطانه ، فإن تقبل الدنيا على ، لم آخذها أخذ الأشر البطر ؛ وإن تدبر عنى ، لم أبك عليها بكاء الخرق المهيئ ، ثم نزل .

خطبة زياد البتراء :

قال أبو الحسن المدائني عن مسامة بن محارب عن أبي بكر الهمذاني قال :
 ١٠ قدم زيد البصرة والياما لمعاوية بن أبي سفيان ، و[ضم] إلينه خراسان وسجستان ، والفسق بالبصرة ظاهر فاش ، فخطب خطبة بيراء لم يحمد الله فيها . وقال غيره بل قال : الحمد لله على إفضاله وإحسانه ، ونسأله المزيد من نعمه وإكرامه ، اللهم كازدتنا نعماً فأهلمنا شكرنا ، أمّا بعد : فإن الجمالة الجهماء ،
 ١٥ والضلالة العميماء ، والعمرى^(٤) المؤفي بأهله على النار ، ما فيه سفهاؤكم ، ويشتمل عليه حلماؤكم ، من الأمور العظام ؛ يذنبت فيها الصغير ، ولا يتاحاش عنها الكبير . كأنكم لم تقرعوا كتاب الله ، ولم تسمعوا ما أعد الله من التواب الــكريم لأهل طاعته ، والعذاب العظيم لأهل معصيته ، في الزَّمن السَّرمدي الذي لا يزول ؟ أتكونون من طرفت عينيه^(٥) الدنيا ، وسدت مسامعه الشهوات ، وأختار الفانية على الباقيه ، ولا تذكرون أنكم أحدثتم في الإسلام

(١) المصلم : المقطوع .

(٢) يشير إلى مقتل أخيه المنذر بعكة سنة ١٤ عند غزو يزيد لها ، وإلى مقتل أبيه الزيير بوادي السبع بيد عمرو بن جرموز ، وإلى مقتل ابن عميه عبد الله بن عبد الرحمن بن العوام يوم الدار . (٣) مات قعضا ، إذا أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

(٤) في والبيان والتبيين (ج ٢ ص ٢٩) : « والغى » .

(٥) طرفت عينه الدنيا ، أي طمحت بصره إليها وإلى زخرفها وشغلته عن الأخرى .

الْحَدَثُ الَّذِي لَمْ تُسْبِقُوا إِلَيْهِ ، مِنْ تَرَكَكُمْ هَذِهِ الْمَاخِرِ الْمَنْصُوبَةَ ، وَالْأَضْعَفَةَ^(١)
 الْمَسْلُوبَةَ ، فِي النَّهَارِ الْمُبَصِّرِ ، وَالْعَدَدُ غَيْرُ قَلِيلٍ . أَلَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ نَهَاةً تَمْنَعُ الْغُواةَ
 عَنْ دَلْجٍ^(٢) الْلَّيْلِ وَغَارَةِ النَّهَارِ ! قَرَّبْتُمُ الْقِرَابَةَ ، وَبَاعْدَتُمُ الدِّينَ ، تَعْتَذِرُونَ بِغَيْرِ
 الْعُذْرِ ، وَتَخْضُونَ عَلَى الْمُخْتَلِسِ^(٣) . كُلُّ أَمْرٍ مِنْكُمْ يَدْبُرُ عَنْ سَفِيهِهِ ، صَنْعِ
 مَنْ لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ وَلَا يَرْجُو مَعَادًا . مَا أَنْتُمْ بِالْحَلَمَاءِ ، وَلَقَدْ أَتَبْعَتُمُ الشَّفَهَاءَ ، فَلَمْ
 يَزُلْ بِكُمْ مَا تَرَوْنَ مِنْ قِيَامِكُمْ دُونَهُمْ ، حَتَّى أَتَهُوكُوا حُرُمَ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ أَطْرَقُوا
 وَرَاءَكُمْ^(٤) ، كُنُوسًا فِي مَكَانِسِ الرَّيْبِ^(٥) . حَرَامٌ عَلَى الْطَّعَامِ وَالشَّرَابِ حَتَّى
 أَسْوِيَهَا بِالْأَرْضِ هَدْمًا وَإِحْرَاقًا . إِنِّي رَأَيْتُ أَخَرَّ هَذَا الْأَمْرِ لَا يَصْلَحُ إِلَّا مَا
 صَلَحَ بِهِ أَوْلَهُ : لِيْنٌ فِي غَيْرِ ضَعْفٍ ، وَشِدَّةٌ فِي غَيْرِ عُنْفٍ ؛ وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللَّهِ لَا خُذْنَ
 الْوَلَى بِالْمَوْلَى ، وَالْمُقْبِمُ بِالظَّاعِنِ ، وَالْمُقْبِلُ بِالْمُدْبِرِ ، وَالصَّحِيحُ بِالسَّقِيمِ ، حَتَّى يَلْقَى
 الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ فَيَقُولُ : انجُ سَعْدٌ فَقَدْ هَلَكَ سَعِيدٌ ، أَوْ تَسْقِيمٌ لِقَنَاتِكُمْ .
 إِنْ كِذْبَةَ الْأَمْيَرِ^(٦) بِلِقَاءَ^(٧) مَشْهُورَةٍ ، فَإِذَا تَعْلَقْتُمُ عَلَى بِكِذْبَةٍ فَقَدْ حَلَّتْ لَكُمْ
 مَعْصِيَتِي . مَنْ نُقِبَ مِنْكُمْ عَلَيْهِ فَأَنَا ضَارِبٌ لِمَا ذَهَبَ مِنْهُ ، فَإِيَّاَيَ وَدَلَجَ الْلَّيْلَ ،
 فَإِنِّي لَا أُوتَى بِمُدَلِّجٍ إِلَّا سَفَكْتُ دَمَهُ ، وَقَدْ أُجْلَتُمْ فِي ذَلِكَ بِقَدْرِ مَا يَأْتِيَ الْخَبَرُ
 الْكُوفَةَ وَيَرْجِعُ إِلَيْكُمْ ، وَإِيَّاَيَ وَدَعْوَى الْجَاهِلِيَّةَ ، فَإِنِّي لَا أَجِدُ أَحَدًا دَعَا
 بِهَا إِلَّا قَطَعَتْ لِسَانَهُ ، وَقَدْ أَحْدَثْتُمْ أَحْدَانًا لَمْ تَكُنْ ، وَقَدْ أَحْدَثْنَا لِكُلِّ ذَنبٍ
 عَقُوبَةً ، فَمَنْ غَرَقَ قَوْمًا غَرَقَنَاهُ ، وَمَنْ أَحْرَقَ قَوْمًا أَحْرَقَنَاهُ ، وَمَنْ نُقِبَ بِيَتَا
 نَقَبَنَا عَنْ قَلْبِهِ ، وَمَنْ نَدَشَ قَبْرًا دَفَنَاهُ فِيهِ حَيَا ، فَكَفُوا عَنِ الْسَّنَتِكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ

(١) كذا في والبيان. وفي بعض الأصول: «الصفقة». وفي سائرها: «الغرف المسكنة».

(٢) الدلنج (محرك): السير من أول الليل.

(٣) في بعض الأصول: «ويقضون على المجلس». والتعمويب عن سائر الأصول والبيان.

(٤) أطروا وراءكم: اقتدوا بهم.

(٥) المكانس: جمع مكانس، مفعول من المكانس. وهو الموضع يؤوى إليه ويختبأ فيه.

(٦) في البيان: «المنبر».

(٧) في الأصول: «تلقي». وما أثبتناه عن البيان.

أَكْفَ عَنْكُمْ يَدِي وَلِسَانِي ، وَلَا يَظْهُرُنَّ مِنْ أَحَدٍ مِنْكُمْ رِبْيَةً بِخَلَافِ مَا عَلِيَّهُ
عَامَّةَكُمْ إِلَّا ضَرَبَتُ عُنْقَهُ ، وَقَدْ كَانَتْ بِيَدِي وَبَيْنَ قَوْمٍ إِحْنُ ، فَجَعَلْتُ ذَلِكَ دَبْرًا ذَنْبِي
وَتَحْتَ قَدْمِي ، فَمَنْ كَانَ حُسِنَّا فَلَيَزَدَدْ فِي إِحْسَانِهِ ، وَمَنْ كَانَ مُسِيَّشًا فَلَيَنْزَعْ
عَنْ إِسَاعَتِهِ ، إِنِّي لَوْعَلْتُ أَنَّ أَحَدَكُمْ قَدْ قَتَلَهُ الشَّلْلَ مِنْ بُغْضِي لَمْ أَكُشِّفْ
لَهُ قَنَاعًا ، وَلَمْ أَهْتَكْ لَهُ سِتْرًا ، حَتَّى يُبَدِّي لِي صَفْحَتِهِ ، فَإِنْ فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ أَنْظُرْهُ^(١) .

٥

فَأَسْتَأْذِنُكُمْ أَمْوَارِكُمْ ، وَأَسْتَعِينُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، فَرَبُّ مُبْتَشِّسٍ بِقَدْوَمِنَا سَيِّسِرَ ،
وَمَسْرُورٍ بِقَدْوَمِنَا سَيِّبَقَّتِسْ . أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّا أَصْبَحْنَا لَكُمْ سَاسَةً ، وَعَنْكُمْ ذَادَةُ ،
نَسُوكُمْ بِسُلْطَانِ اللَّهِ الَّذِي أَعْطَانَا ، وَنَذُودُ عَنْكُمْ بِفَيْهِ اللَّهُ الَّذِي خَوَلَنَا ؛ فَلَنَا
١٨٤ ٤
عَلَيْكُمُ الْسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَبْنَا ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ فِيمَا وَلَيْنَا ، فَأَسْتَوْجِبُوا
١٠ ١٠
عَدْلَنَا وَفَيْدَنَا بِمُنَاصَحَّتِكُمْ لَنَا . وَأَعْلَمُوا أَنِّي مِهْمَا أَقْصَرْ فَانْ أَقْصَرْ عَنْ ثَلَاثَ :
لَسْتُ مُخْتَجِبًا عَنْ طَالِبِ حَاجَةٍ وَلَوْ أَتَانِي طَارِقًا بِلَيْلٍ ، وَلَا حَابِبًا عَطَاءً وَلَا رَزْقًا
عَنْ إِبَانَهُ ، وَلَا مُجَمِّرًا^(٣) لَكُمْ بَعْثًا . فَادْعُوا اللَّهَ بِالصَّالِحِ لِأَمْتَكُمْ ؛ فَإِنَّهُمْ سَاسَتُكُمْ
المُؤْدِبُونَ ، وَكَهْفُكُمُ الَّذِي إِلَيْهِ تَأْوِونَ ، وَمَتِ يَصْلِحُونَا تَصْلِحُونَا . وَلَا تُشَرِّبُوا
١٥ ١٥
قَلْوَبَكُمْ بُغْضَهُمْ فَيَدْشُتَدْ لَذَلِكَ أَسْقَفُكُمْ ، وَيَطُولُ لَهُ حَزْنُكُمْ^(٤) ، وَلَا تُدْرِكُوا اللَّهُ حَاجَتِكُمْ ،
مَعَ أَنَّهُ لَوْ أَسْتَجِيبْ لَكُمْ فِيهِمْ لَكَانَ شَرُّكُمْ ؛ أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَ كُلَّا عَلَى كُلَّ.
وَإِذَا رَأَيْتُمُونِي أَنْفَذَ فِيَكُمْ أَمْرًا فَأَنْفِذُوهُ عَلَى أَذْلَالِهِ^(٥) . وَأَيْمَ اللَّهُ إِنْ لَيْ فِيكُمْ
لَصَرْعَى كَثِيرَةٍ ، فَلَيَمْحَذِّرَ كُلَّ أَمْرٍ مِنْكُمْ أَنْ يَكُونَ مِنْ صَرْعَى ، ثُمَّ نَزَلَ .
فَقَامَ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْأَهْمَمَ^(٦) ، فَقَالَ : أَشْهَدُ أَيُّهَا الْأَمْيَرَ لَقَدْ أُوتِيتَ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَالْبَيَانِ : « أَنْاظِرْهُ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَالْبَيَانِ : « وَأَعِينُوا » .

(٣) كَذَا فِي . وَتَجْمِيرُ الْبَعْثِ : جَمْعُهُمْ فِي الشَّغُورِ وَحَبْسُهُمْ عَنِ الْعُودَ إِلَى أَهْلِيَّهُمْ ، وَمِنْهُ
حَدِيثُ الْهَرْمَانِ : إِنْ كَسْرَى جَرَ بِعُوْثَ فَارِسٌ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ :
« وَلَا مُحَمَّدًا » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) كَذَا فِي وَالْبَيَانِ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « حَرْبَكُمْ » .

(٥) عَلَى أَذْلَالِهِ ، أَيْ عَلَى وَجْوَهِهِ وَطَرَقِهِ . وَأَذْلَالُ جَمْعُ ذَلِ (بِالْكَسْرِ) ، وَذَلِ الْطَّرِيقِ :
٢٥ ٥
مَا مَهَدَ مِنْهُ وَذَلِلَ . (٦) فِي الْأَمَالِ (ج ٣ ص ١٨٥) : « صَفْوَانَ بْنَ الْأَهْمَمَ » .

الحِكْمَةُ وَفَضْلُ الْخِطَابِ . فَقَالَ لَهُ كَذَّبَتْ ، ذَاكَ دَاوُدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَامَ الأَحْنَفُ بْنُ قَيْسٍ ، فَقَالَ : إِنَّا تَنَاهَيْنَا بَعْدَ الْبَلَاءِ ، وَالْحَمْدُ بَعْدَ الْعَطَاءِ ، وَإِنَّا لَنْ نُنْهَى حَتَّى نَبْتَلَى . قَالَ لَهُ زَيْادٌ : صَدَقْتَ . فَقَامَ أَبُو بَلَالٍ ، وَهُوَ يَهْمِسُ ، وَيَقُولُ : أَنْبَأْنَا اللَّهُ تَعَالَى بِخَلَافِ مَا قَلَّتْ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (وَإِبْرَاهِيمَ النَّذِي وَفَّى . أَلَا تَرَرُ وَازْرَةً وَزِرَّاً أُخْرَى . وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) . [وَأَنْتَ تَرْعَمُ أَنْكَ تَأْخُذُ الصَّحِيحَ بِالسَّقِيمِ ، وَالْمُطِيعَ بِالْعَاصِي ، وَالْمُقْبَلَ بِالْمَدْبَرِ] . فَسَمِعَهَا زَيْادٌ ، فَقَالَ : إِنَّا لَا نُبَلِّغُ مَا تُرِيدُ فِيهِكَ وَفِي أَصْحَابِكَ حَتَّى نَخُوضَ إِلَيْكُمُ الْبَاطِلَ خَوْضًا .

وَهُطْبَةُ لِزَيْادٍ :

أَسْتَوْصُوا بِشَلَاثِ مَفْكِمٍ خَيْرًا : الشَّرِيفُ وَالْعَالَمُ وَالشَّيْخُ ، فَوَاللَّهِ لَا يَأْتِينِي شَيْخٌ
١٠ بِحَدَثٍ أَسْتَخَفَّ بِهِ إِلَّا أَوْجَعَتْهُ ، وَلَا يَأْتِينِي عَالَمٌ بِجَاهِلٍ أَسْتَخَفَّ بِهِ إِلَّا نَكَلْتُ
بِهِ ، وَلَا يَأْتِينِي شَرِيفٌ بِوَاضِعِي أَسْتَخَفَّ بِهِ إِلَّا أَضَرَّتُهُ .

وَهُطْبَةُ لِزَيْادٍ :

خَطَبَ زَيْادٌ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ : أَيْهَا النَّاسُ ، لَا يَمْنَعُكُمْ سُوءُ مَا تَعْلَمُونَ عَنَّا
أَنْ تَنْتَفِعُوا بِأَحْسَنِ مَا تَسْتَمِعُونَ مِنَّا ، فَإِنَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ :

١٥ أَعْمَلُ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصَرْتُ فِي عَمْلِي يَنْفَعُكَ قَوْلِي وَلَا يَضْرُوكَ تَقْصِيرِي

وَهُطْبَةُ لِزَيْادٍ :

الْعَتَبِيَّ قَالَ : لَمَا شَهَدْتُ الشَّهُودَ لِزَيْادٍ ، قَامَ فِي أَعْقَابِهِمْ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى
عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا أَمْرٌ لَمْ أَشْهَدْ أَوْلَاهُ ، وَلَا عِلْمَ لِي بِآخِرِهِ ، وَقَدْ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ
مَا يَلْفَكُمْ ، وَشَهَدْتُ الشَّهُودَ بِمَا سَمِعْتُمْ . فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي رَفَعَ مِنَّا مَا وَضَعَ النَّاسُ ،
وَحَفِظَ مِنَّا مَا ضَيَّعُوا . فَأَمَّا عَبِيدُ ، فَإِنَّمَا هُوَ وَالَّدُ^(١) مُبْرُورٌ ، أَوْ كَافِلٌ^(٢) مُشْكُورٌ .

(١) فِي الْأَصْوَلِ : « عَبِيدُ اللَّهِ فَإِنَّمَا هُوَ وَلَدٌ » . وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَنَا . فَقَدْ وَلَدَ زَيْادٌ عَلَى فَرَاشِ عَبِيدٍ ، مَوْلَى تَقِيفٍ ، فَكَانَ يَقَالُ لَهُ زَيْادُ بْنُ عَبِيدٍ ، ثُمَّ اسْتَلْحَقَهُ مَعَاوِيَةُ .

(٢) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَالْأَمْالِ (ج ٣ ص ١٨٥) . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « رَبِيبٌ » .

خطبة جامع المخارق

— وكان شيخاً صالح خطيباً لسنّاً^(١) ، وهو الذي قال للحجاج حين بُنيَتْ
مدينة واسط : بَنَيْتُهَا فِي غَيْرِ بَلْدَكَ ، وَأَوْرَثْتُهَا غَيْرَ وَلَدِكَ —

شَكَ الْحِجَاجُ سُوء طاعة أهل الْعِرَاقَ ، وَنَقَمَ^(٢) مَذَهَبَهُمْ ، وَتَسَخَّطَ
طَرِيقَتِهِمْ ، فَقَالَ جَامِعٌ : أَمَا إِنَّهُمْ لَوْ أَحَبُّوكُمْ لَا تطَاوِلُوكُمْ ، عَلَى أَنَّهُمْ مَا شَنَوْكُمْ
لِنَسْبِكُمْ ، وَلَا لِبَلْدِكُمْ ، وَلَا لِذَاتِ نَفْسِكُمْ ؟ فَدَعَ عَنْكُمْ مَا يُبَعِّدُهُمْ مِنْكُمْ إِلَى
مَا يُقْرَبُهُمْ إِلَيْكُمْ ، وَأَلْتَسِعُ الْعَافِيَةَ مِنْ دُونِكُمْ تُعْطِهَا مِنْ فَوْقِكُمْ ، وَلِيَكُنْ إِيقَاعُكُمْ
بَعْدَ وَعِيدِكُمْ ، وَوَعِيدُكُمْ بَعْدَ وَعِدِكُمْ . قَالَ الْحِجَاجُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَى أَنْ أَرْدَدَ بَنِي
اللَّكِيَّةِ إِلَى طَاعَتِي إِلَّا بِالسِيفِ . قَالَ لَهُ : أَيْهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ السِيفَ إِذْ لَاقَ السِيفَ
ذَهَبَ الْخِيَارُ . قَالَ الْحِجَاجُ : الْخِيَارُ يَوْمَئِذِ اللَّهِ . قَالَ : أَجَلُ ، وَلَكِنْ لَا تَدْرِي لِمَنْ
يَجْعَلُهُ اللَّهُ . وَغَضِبَ الْحِجَاجُ فَقَالَ : يَا هَنَاءً^(٣) ! إِنَّكَ مِنْ مُحَارِبٍ . فَقَالَ جَامِعٌ :
وَلِمَحَرَّبٍ سَمِّينَا وَكُنَّا مُحَارِبًا إِذَا مَا الْقَنَأْمَسَى مِنَ الطَّعْنِ أَهْمَرَا

الله ، فَغَضَبَ الْأَمِيرُ أَهْوَنُ عَلَيْنَا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ . قَالَ : أَجَلْ . وَشُغْلُ الْحِجَاجِ
 بِعِصْمِ الْأَسْرِ ، فَانْسَلَّ جَامِعٌ ، فَرَّ بَيْنَ صُفُوفِ خَيْلِ الشَّامِ حَتَّى جَازَهُمْ إِلَى خَيْلِ
 أَهْلِ الْعَرَاقِ - وَكَانَ الْحِجَاجُ لَا يَخْلُطُهُمْ - فَأَبْصَرَ كَبْكَبَةً فِيهَا جَمَاعَةً مِنْ بَكْرِ
 الْعَرَاقِ وَقَدِيسِ الْعَرَاقِ وَتَمِيمِ الْعَرَاقِ وَأَزْدَ الْعَرَاقِ ، فَلَمَّا رَأَوْهُ أَشْرَأَوْهُ إِلَيْهِ وَبَلَغُهُمْ

(١) كذا في البيان (ج ٢ ص ٦٨) . والذى فى الأصول هنا وفيما من الجزء الثاني من هذه الطبيعة (ص ١٧٩) : «ليبيا» .

(٢) كذا في بعض الأصول . ونقم : كره . والذى فى سائر الأصول : « سقم » .
والذى فى البيان : « تنقم » .

(٣) هن : كلمة يكفي بها عن اسم الإنسان ، وقد تزداد الألف والهاء في آخرها عند النداء خاصة ، وتصير هذه الهاء تاء في الوصل .

(٤) في الأصول : «الحدري» : والتصوّب عنّيّ السان .

خُرُوجُهُ ، فَقَالُوا لَهُ : مَا عِنْدَكِ ؟ دَافِعُ اللَّهِ لَنَا عَنْ نَفْسِكِ . فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! عُمُوْه
بِالْخَلْمَعَ كَمَا يُعَمِّكُ بِالْعَدَاوَةِ ، وَدَعُوا التَّعَادِي^(١) مَا عَادَاكُمْ ، فَإِذَا ظَفَرْتُمْ تَرَاجِعُتُمْ
وَتَعَادِيْتُمْ . أَيْهَا التَّمِيمَى ، هُوَ أَعْدَى لَكُمْ مِنَ الْأَزْدِى ، وَأَيْهَا الْقَيْسَى ، هُوَ أَعْدَى
لَكُمْ مِنَ التَّغْلِبِى ، وَلَيْسَ يُظْفَرُ بِمَنْ نَاوَاهُ مِنْكُمْ إِلَّا يَمْنَ بَقِيَ مَعَهُ . وَهُرُبُ جَامِعٌ
مِنْ فَوْرِهِ ذَلِكُ إِلَى الشَّامَ ، فَاسْتَجَارَ بِزُورٍ بْنَ الْحَارِثَ .

خطبة الحجاج بن يوسف:

خطب الحجاج فقال : اللهم أرني الغى غيّا فاجتنبه ، وأرني الهدى هدى
فأتبعه ، ولا تكلنـى إلى نفسي فأضلـه ضـلالا بعيدـاً . والله ما أحبـ أنـ ما مضـى
من الدـنيـا لي بـعـامـتـ هذه ، ولـما بـقـىـ منهاـ أـشـبـهـ بـماـ مـضـىـ منـ المـاءـ بالـماءـ .

وَمُطْبَقُ الْجَاجِ :

فقط: **الحجاج** بعد دبر الجحاصم^(٣):

خطب أهل العراق فقال : يأهـلـ العـراـقـ ، إـنـ الشـيـطـانـ قدـ أـسـتـبـطـنـكـ خـاطـ

(١) في بعض الأصول: «التعالى».

(٢) الفقم : السكماء البيضاء الرخوة . والقرقر : الأرض المنخفضة . يريد أنهم أذل من هذه السكماء في الأرض المنخفضة لا تختن على من اجتنابها .

(٣) وقعة دير الحجاج : كانت بين الحجاج وبين عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث قرب السكوفة سنة ٨٣ هـ وفيها هزم ابن الأشعث .

اللحم والدم والعصب والمسامع والأطراف والأعضاد والشُّغاف ، ثم أُفْضَى إلى
 المخانِ والصَّمَائِنَ^(١) ، ثم أرتفع فَعَشَّش ، ثم باض وفَرَخ ، فُخْشَا كَشِقَا وَنِفَاقا ،
 وأشعركم خلافا؛ اتَّخِذُتُمُوهُ دَلِيلًا تَتَبَعُونَهُ ، وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ ، وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ .
 وكيف تذفعكم تجربة ، أو تَعِظُّكم وَقْعَة ، أو يَحْجُزُكم إِسْلَام ، أو يَرْدُكُم إِيمَان !
 ٥ أَسْتَمِ أَحْبَابِي بِالْأَهْوَازَ^(٢) ، حِيثُ رُمِّتِ الْمَكْرُ ، وَسَعَيْتُمْ بِالْغَدْرِ ، وَاسْتَجْمَعْتُمْ لِلْكُفَّارِ ،
 وَظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخَلَافَتِهِ ، وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ تَتَسْلَلُونَ لَوَادِيَا ،
 وَتَهَزِّمُونَ سَرَايَا؛ ثُمَّ يَوْمَ الزَّاوِيَةَ^(٣) ، وَمَا يَوْمَ الزَّاوِيَةَ ! بِهَا كَانَ فَشَلَكِمْ وَتَنَازُعُكُمْ
 وَتَخَادُلُكُمْ ، وَبِرَاءَةُ اللَّهِ مِنْكُمْ ، وَنُكُوصُ وَلَيْهِ عَنْكُمْ ؛ إِذَا وَلَيْتُمْ كَالْإِبلِ
 الشَّوَّارِدَ إِلَى أَوْطَانِهَا ، النَّوَازِعَ إِلَى أَعْطَانِهَا ، لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ مِنْكُمْ عَنْ أَخِيهِ ،
 ١٠ وَلَا يُلُوِّي الشَّيْخُ عَلَى بَنِيهِ ، حَتَّى عَضْكُمُ السَّلَاحُ ، وَقَصَمْتُكُمُ الرَّماحُ؛ ثُمَّ يَوْمَ دَيْرِ
 الْجَاجِمُ ، وَمَا دَيْرُ الْجَاجِمُ ! بِهَا كَانَتِ الْمَعَارِكُ وَالْمَلَاحِمُ ، بِضَرْبِ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ
 مَقِيلِهِ^(٤) ، وَيَذْهَلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ . يَأْهُلُ الْعَرَاقُ ، وَالْكُفَّارَاتُ بَعْدَ الْفَجَرَاتِ ،
 وَالْغَدَرَاتُ بَعْدَ الْخَتَرَاتِ ، وَالنِّزَوَاتُ بَعْدَ النِّزَوَاتِ ، إِنْ بَعْثَتُكُمْ إِلَى ثُغُورِكُمْ غَلَّاتِمْ
 وَخُنْتُمْ ، وَإِنْ أَمْنَتُمْ أَرْجُفَتُمْ ، وَإِنْ خَفْتُمْ نَاقَقْتُمْ ، لَا تَذَكَّرُونَ حَسَنَةَ^(٥) ، وَلَا
 ١٥ تَشَكَّرُونَ نِعْمَةً . يَأْهُلُ الْعَرَاقُ ، هَلْ أَسْتَخْفَكُمْ نَاكِثُ ، أَوْ اسْتَغْوِيْكُمْ غَاوِ ،
 أَوْ اسْتَفْزِكُمْ عَاصِ ، أَوْ اسْتَنْصِرُكُمْ ظَالِمٍ ، أَوْ اسْتَعْضُدُكُمْ خَالِعٍ ، إِلَّا وَنَقْتَمُوهُ وَآوْيَتُمُوهُ
 وَعَزَّرْتُمُوهُ وَنَصَرْتُمُوهُ ؟ يَأْهُلُ الْعَرَاقُ ، هَلْ شَغَبَ شَاغِبٍ ، أَوْ نَعْ
 ١٨٦ نَاعِبٍ ، أَوْ نَعْقَ نَاعِقٍ ، أَوْ زَفْرَ زَافِرٍ ، إِلَّا كَنْتُمْ أَتَبَاعَهُ وَأَنْصَارَهُ ؟ يَأْهُلُ الْعَرَاقُ ،
 ٢ أَلْمَ تَهَمُّكُمُ الْمَوَاعِظُ ، أَلْمَ تَزَجِّرُكُمُ الْوَقَائِعُ ؟ ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى أَهْلِ الشَّامِ فَقَالَ : يَأْهُلُ الشَّامَ ،

٢٠ (١) المخان : جمع مخ . والصَّمَائِنَ . جمع صمَاخ ، وهو من الأذن ، الخرق الباطن الذي
 يفضي إلى الرأس . وفي بعض الأصول : « المخان والأصمان » . وما جuman
 غير واردين . (٢) يشير إلى وقعة تستر .

(٣) الزاوية : موضع بالبصرة كانت به الواقعة بين الحجاج وعبد الرحمن بن الأشعث .

(٤) مقيله ، أي موضعه . يريد الأعناق .

(٥) في بعض الأصول : « خشية » .

إِنَّا أَنَا لَكُمْ كَالظَّلَمُونَ^(١) الْذَّابُ عَنْ فِرَاخِهِ ، يَنْفَى عَنْهَا الْمَدَرَ ، وَيُبَاعِدُ عَنْهَا الْحَجَرَ ، وَيُبَكِّنُهَا عَنِ الْمَطَرِ ، وَيَحْمِيَهَا مِنَ الضَّبَابِ ، وَيَحْرُسُهَا مِنَ الدَّئَابِ . يَأْهُلُ الشَّامَ ، أَنْتُمُ الْجَنَّةَ^(٢) وَالرَّوَادَ ، وَأَنْتُمُ الْعُدَّةَ وَالْحِذَاءَ^(٣) .

وهطبة الحجاج :

قال مالك بن دينار : غدوت للجمعة بخلست قريباً من المنبر ، فقصد
الحجاج ، ثم قال : أمرؤ حاسب نفسه ، أمرؤ راقب ربه ، أمرؤ زور^(٤) عمله ،
أمرؤ فكر فيما يقرؤه غدا في صحيفته ، ويراه في ميزانه ، أمرؤ كان عند همه
ذاكراً^(٥) ، وعنده هواه زاجراً ، أمرؤ أخذ بعنان قلبه كا يأخذ الرجل بخطام
جمله ، فإن قاده إلى حق تبعه ، وإن قاده إلى معصية الله كفه . [إننا والله ما خلقنا
للفناء ، وإنما خلقنا للبقاء ، وإنما ننتقل من دار إلى دار]^(٦) .

هطبة الحجاج بالبصرة :

اتقوا الله ما أستطيعتم ، فهذا الله وفيها مثوبته . ثم قال : وأسمعوا وأطِيعوا ،
فهذه لعبد الله وخليفة الله وحبيب الله عبد الملك بن مروان . والله لو أمرتُ
الناس أن يأخذوا في باب واحد وأخذوا في باب غيره^(٧) لكان ذلك دما لهم لى

١٥ (١) الظليم : ذكر النعام .

(٢) في بعض الأصول : « الجبة » .

(٣) انظر البيان (ج ٢ ص ١١٧) ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٤٥) ومروج الذهب (ج ٢ ص ١٣٥) . وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ١ ص ١١٤) فيبين النصوص خلاف .

(٤) زور عمله : حسنة .

(٥) كذلك في البيان (ج ٢ ص ٨٨) . والذى في الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٥١) : « أمراء » .

(٦) التكلة عن بعض الأصول وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٥١) والبيان (ج ٢ ص ٨٨) وابن أبي الحديد (ج ١ ص ١٥٠) .

(٧) في مروج الذهب (ج ٢ ص ١٤٣) . « لو أمر الناس أن يدخلوا في هذا الشعب فدخلوا غيره » .

حلالاً من الله ، ولو قُتل ربيعة ومضر لكان لي حلالاً . عَذِيرى^(١) من هذه
الْحَمَراء^(٢) ، يَرْمِي أَحْدُمْ بِالْحَجَرِ إِلَى السَّمَاءِ وَيَقُولُ : يَكُونُ إِلَى أَنْ يَقَعُ هَذَا
خَيْرٌ^(٣) . وَاللَّهُ لَا جَعَلَهُمْ كَامِسِ الدَّابِرِ . عَذِيرى مِنْ [عَبْدٍ] هُذِيل^(٤) ، إِنَّهُ زَعَمَ
أَنَّهُ آمِنٌ عِنْدَ اللَّهِ ، يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَأَنَّهُ رَجَزَ الْأَعْرَابَ^(٥) ، وَاللَّهُ لَوْ أَدْرَكَتْهُ لَقْتَلَهُ .

خطبة الحجاج بالبصرة :

حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ شَمْ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ كَفَانَا مَهْوَنَةَ الدُّنْيَا ، وَأَمْرَنَا بِطَلَبِ
الآخِرَةِ ، [فَلَيْتَ اللَّهَ كَفَانَا مَهْوَنَةَ الْآخِرَةِ ، وَأَمْرَنَا بِطَلَبِ الدُّنْيَا] . مَا لِي أَرَى
عُلَمَاءَكُمْ يُدْهَنُونَ ، وَجُهُوكُمْ لَا يَتَعْلَمُونَ ، وَشِرَارَكُمْ لَا يَتَوَبُونَ ! مَا لِي أَرَى
تَحْرِصَوْنَ عَلَى مَا كُفِيْتُمْ ، وَتُضَيِّعُونَ مَا بَهِ أَمْرَتُمْ ! إِنَّ الْعِلْمَ يُؤْشِكُ أَنْ يُرْفَعُ ،
وَرَفْعُهُ ذَهَابُ الْعُلَمَاءِ . أَلَا وَإِنِّي أَعْلَمُ بِشِرَارِكُمْ مِنَ الْبَيْطَارِ بِالْفَرَسِ : الَّذِينَ
لَا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ إِلَّا هُجْرًا^(٦) ، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا دُبْرًا^(٧) . أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا
عَرَضٌ حاضِرٌ ، يَا كُلَّ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ . أَلَا وَإِنَّ الْآخِرَةَ أَجْلٌ مُسْتَأْخِرٌ ،
يَحْكُمُ فِيهِ مَلِكٌ قَادِرٌ . أَلَا فَأَعْمَلُوا وَأَنْتُمْ مِنَ اللَّهِ عَلَى حَذَرٍ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ ،
أَيْجَزِي الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجَزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . أَلَا وَإِنَّ الْخَيْرَ
كُلَّهُ بِحَذَافِيرِهِ فِي الْجَنَّةِ ، أَلَا وَإِنَّ الشَّرَ كُلَّهُ بِحَذَافِيرِهِ فِي النَّارِ ، أَلَا وَإِنَّ مَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًا يَرَهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ
لِي وَلَكُمْ .

(١) العذير : النصیر ، وما يروم الرجل وما يحاول مما يعذر عليه إذا فعله .

(٢) الحمراء : العجم ، لبياضهم . وقد نزل قوم منهم البصرة .

(٣) في صروج الذهب : « ياق أحدهم الحجر إلى الأرض ويقول إلى أن يبلغها يكون فرج الله ». (٤) يريد بعبد هذيل عبد الله بن مسعود . (انظر المروج) .

(٥) كذا في بعض الأصول والمرجو . والذى في سائر الأصول : « ما هو إلا رحم الأعراب » مكان « يقرأ القرآن كأنه رجز الأعراب » . وفيها تحريف ظاهر .

(٦) الهجر : الترك والإغفال . يريد أنهم يتركون القرآن ويعرضون عنه .

(٧) دبراً ، أى في آخر وقتها .

خطبة **الحجاج** :

خطب الحجاج أهل العراق فقال : يا أهل العراق ، إنّي لم أجدهم دواءً
أدوى^(١) لدائكم من هذه المغاري والبعوث ، لو لا طيب ليلة الإياب ، وفرحة
القفـل ، فإنـها تعـقـبـ راحـة ؟ وإنـي لا أـرـيدـ أنـ أـرـىـ الفـرـحـ عندـكـ ولاـ الرـاحـةـ
بـكـ . وما أـرـاـكـ إـلاـ كـارـهـينـ لـمـقـاتـلـيـ ، وإنـيـ وـالـلـهـ لـرـؤـيـتـكـ أـكـرـهـ . ولوـلاـ ماـأـرـيدـ
منـ تـنـفـيـذـ طـاعـةـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ فـيـكـ ماـ حـمـلتـ نـفـسـيـ مـقـاسـاتـكـ ، وـالـصـبرـ عـلـىـ
الـنـاظـرـ إـلـيـكـ ، وـالـلـهـ أـسـأـلـ حـسـنـ الـعـوـنـ عـلـيـكـمـ ، ثـمـ نـزـلـ .

خطبة **الحجاج** حين أراد الحج :

ياـهـلـ الـعـرـاقـ ، إنـيـ أـرـدـتـ الـحـجـ ، وـقـدـ أـسـتـخـلـفـتـ عـلـيـكـمـ أـبـنـيـ مـحـمـداـ ،
وـمـاـ كـفـتـمـ لـهـ بـأـهـلـ ، وـأـوـصـيـتـهـ فـيـكـ بـخـلـافـ مـاـ أـوـصـىـ بـهـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ
وـسـلـمـ فـيـ الـأـنـصـارـ ؟ـ فـإـنـهـ أـوـصـىـ أـنـ يـقـبـلـ مـنـ مـحـسـنـهـمـ وـيـتـجـاـوزـ عـنـ مـسـيـنـهـمـ ؟ـ وـأـنـاـ
أـوـصـيـتـهـ أـنـ لـاـ يـقـبـلـ مـنـ مـحـسـنـكـمـ وـلـاـ يـتـجـاـوزـ عـنـ مـسـيـشـكـمـ .ـ أـلـاـ وـإـنـكـ قـائـلـونـ
بـعـدـيـ مـقـالـةـ لـاـ يـمـنـعـكـمـ مـنـ إـظـهـارـهـاـ إـلـاـ خـوـفـيـ ،ـ تـقـولـونـ :ـ لـاـ أـحـسـنـ اللـهـ لـهـ الصـحـابـةـ .ـ

١٨٧

وـإـنـيـ أـعـجـلـ لـكـ الجـوابـ :ـ فـلـاـ أـحـسـنـ اللـهـ عـلـيـكـمـ الـخـلـافـةـ ،ـ ثـمـ نـزـلـ .

خطبة **الحجاج** :

قال : خـرجـ الحـجـاجـ يـرـيدـ الـعـرـاقـ وـالـيـاـ عـلـيـهـاـ فـأـثـنـيـ عـشـرـ رـاكـبـاـ عـلـىـ
الـنـجـاـبـ ،ـ حـتـىـ دـخـلـ الـكـوـفـةـ حـيـنـ أـنـتـشـرـ النـهـارـ ،ـ وـقـدـ كـانـ بـشـرـبـنـ مـرـوانـ
بـعـثـ الـمـهـلـبـ إـلـىـ الـخـلـورـيـةـ ،ـ فـبـدـأـ الـحـجـاجـ بـالـمـسـجـدـ فـدـخـلـهـ ،ـ ثـمـ صـعـدـ الـمـنـبـرـ وـهـوـ
مـلـمـ بـعـامـةـ حـمـراءـ ،ـ فـقـالـ :ـ عـلـىـ بـالـنـاسـ ،ـ فـحـسـبـوـهـ وـأـصـحـابـهـ خـوارـجـ ،ـ فـهـمـوـاـ بـهـ ،ـ

٢٠

حـتـىـ إـذـاـ أـجـتـمـعـ النـاسـ فـيـ الـمـسـجـدـ قـامـ ،ـ ثـمـ كـشـفـ عـنـ وـجـهـهـ ،ـ ثـمـ قـالـ :

(١) أـدـوـىـ ،ـ أـيـ أـهـلـكـ وـأـقـطـعـ .

أنا ابن جلا وطلاع العيامة تعرِفوني^(١)
 صليب العود من سلفي رياح^(٢)
 كنصل السيف وضاح الجبين
 وماذا يكتفى^(٣) الشعراه مني
 وقد جاوزت حدة الأربعين
 أخو خمسين مجتمع أشدّى ونجذني^(٤) مداورة الشئون
 وإنّ لا يعود إلى قرني غدّة العقب إلا في قرين^(٥)
 أما والله إنّ لأحمل الشر بحمله ، وأخذوه بنعله ، وأجزيه بمثله ، وإنّ
 لاري روساً قد أينعت وحان قطافها ، وإنّ لاصحها ، وإنّ لأنظر [إلى]
 الدماء بين العيام واللحى تتفرق : * قد شمرت عن ساقها فشمرى *
 ثم قال :

١٠ هذا أوان الشد^(٦) فأشتدّى زيم^(٧) قد لفها الليل بسوقاً حطم^(٨)
 ليس براعي إبل ولا غنم ولا بجزار على ظهر وضم^(٩)

(١) هذه الأبيات لسليم بن وثيل الرياحى . (انظر الأغانى ج ١٢ ص ١٤ طبعة بلاق) . وابن جلا : الصبح ، أو هو الأمر الظاهر المنكشف .

(٢) في بعض الأصول : « نزار ». ورواية هذا الشطر في الأغانى :

* إلى ابن العز من سلفي رياح *

(٣) في لسان العرب (مادة نجد) : « يدرى ». ويدرى : يختلس .

(٤) كذا في المسان (مادة نجد) . والنجذ من الرجال : الذى جرب الأمور وعرفها وأحكمها . ومداورة الشئون : مداولة الأمور ومعالجتها . والذى في الأصول : « وتنجذنى ». والذى في الأغانى : « وتحدونى » .

٢٠ (٥) في الأصول : « غدّة ألعاب إلا أى حين ». وما أنتبه عن الأغانى . والعباء : من عباء الجيش ، إذا رتبه في مواضعه وهيأه للحرب . وفي قرين ، أى مع قرين .

(٦) كذا في الأغانى . والشد : العدو . والذى في الأصول : « الحرب » .

(٧) زيم : اسم فرس أو ناقة .

(٨) الحطم : الراعي الظالم للماشية . وهذا الشّعر لرويشهد بن رميس العنبرى يقوله

٢٥ في الحطم ، وهو شريح بن ضبيعة ، وكان شريح غزا اليمن في جموع جمعها من ربيعة فعم وسبى ، بعد حرب كانت بينه وبين كندة أسر فيها فرعان بن مهدى بن معد يكرب ، عم الأشعث بن قيس ، وأخذ على طريق مقازة ، فضل بهم دليهم ثم هرب منهم ، ومات فرعان في أيديهم عطشا ، وهلك منهم ناس كثير بالعطش ، وجعل الحطم يسوق بأصحابه سوقاً عنيفاً حتى نجا ابن بق معه ، فقال رویشهد هذا الشّعر . فلقب شريح الحطم بقول رویشهد فيه : « بسوق حطم ». (انظر الأغانى ج ١٤ ص ٤٥ ، ٤٦ طبعة بلاق) . (٩) الوضم : كل ما قطع عليه اللحم .

[ثم قال :

قد لَفَهَا اللَّيلُ بِعَصْلَبِي أَرْوَعَ خَرَاجَ مِنَ الدَّوْيِ^(١)

مُهَاجِرٌ لِيَسْ بِأَعْرَابِيَّ^(٢)

قد شَمَرْتُ عَنْ سَاقِهَا فَشَدُّوا مَا عِلَّتِي وَأَنَا شَيْخٌ إِذْ^(٣)

وَالْقَوْسُ فِيهَا وَتَرْ عَرْدُ مُثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشْدُ^(٤)

إِنِّي وَاللَّهِ يَأْهُلُ الْعِرَاقَ ، وَمَعْدِنَ الشَّقَاقِ وَالنَّفَاقِ ، وَمَسَاوِيُّ الْأَخْلَاقِ ،

لَا يُغَمَّزُ جَانِبِي كَتْفَهَا تَتِينُ ، وَلَا يُقَعَّقَعُ لِي بِالشَّنَانِ^(٥) ، وَلَقَدْ فُرِزْتُ عَنْ

ذَكَاءِ^(٦) ، وَفُتُّشتُ عَنْ تَجْرِيَةِ ، وَأَجْرِيَتُ إِلَى الْغَايَةِ [القصوى] ، وَإِنِّي

أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ نَثَرَ كَنَانَتِهِ [بَيْنَ يَدِيهِ] ثُمَّ عَجَمَ عِيَادَاهَا ، فَوَجَدْنِي أَمْرَهَا عُودَا ،

وَأَشَدَّهَا مَكْسِرًا ، فَوَجَهْنِي إِلَيْكُمْ ، وَرَمَاكِمْ بِي ، فَإِنَّهُ قَدْ طَالَمَا أَوْضَعْتُمْ^(٧) فِي

الْفَتْنَ ، وَسَدَّنَتُمْ سُنَنَ الْفَقِيَّ ، وَإِيمَانَ اللَّهِ لِأَلْحُونِكُمْ لَهُوَ الْعَصَا ، وَلَا قَرْعَنَتُكُمْ قَرَعَ

الْمَرْوَةِ^(٨) ، وَلَا عَصِبَنَكُمْ عَصْبَ السَّلَمَةِ^(٩) ، وَلَا ضُرَّبَنَكُمْ ضَرَبَ غَرَائِبِ الْإِبَلِ .

أَمَّا وَاللَّهِ لَا أَعْدُ إِلَّا وَفَيْتُ ، وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ^(١٠) . وَإِيَّاى وَهَذِهِ [الشفعاء]

وَالْزَّرَافَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَقَالَا وَقِيلَا ، وَمَا يَقُولُونَ ، وَفِيمَا أَنْتُمْ [وَذَاكِ] ؟ وَاللَّهُ

لَتَسْتَقِيمُنَّ عَلَى طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لَادْعُنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ ، مَنْ

(١) العصلي : الشديد القوى . والأروع : الذكي ، أو من يعجبك بشجاعته . والدوى : جمع دوية ، وهي الفلاة الواسعة ، ويريد بها الشدائد .

(٢) يريد أنه ترك البدو إلى المدن ، فأفاد خبرة وحنكة لم يقدرها الأعراب في بداوته .

(٣) إذ : داهية . (٤) عرد : شديد .

(٥) القعقة : تحريك الشيء اليابس الصلب مع صوت ، مثل السلاح وغيره ، والشنان . جمع شن (بالفتح) ، وهو القربة البالية . وهم يحركونها إذا أرادوا حث الإبل

على السير لتفرز فتسرع . وهذا مثل يضرب لمن لا يردعه ما لا حقيقة له .

(٦) فر الدابة : الكشف عن أسنانها ليعرف عمرها . يقول : إنه اختيار عن ذكاء .

(٧) الإيضاع : الإسراع .

(٨) المروة : واحدة المرو ، وهي حجارة يضر برافة تورى النار .

(٩) السلمة : شجر كثير الشوك . والأشجار تعصب أغصانها ثم تخبط بالعصى لسقوط

الورق وهشيم العيدان . (١٠) أخلق : أقدر . وأفري : أقطع .

وَجَدْتُهُ بَعْدَ ثَالِثَةَ مِنْ بَعْثِ الْمُهَلَّبِ سَفِكَتْ دَمَهُ ، وَأَتَهْبَتْ مَالَهُ ، وَهَدَمَتْ مَنْزَلَهُ ، فَشَرَّ النَّاسَ بِالْخُرُوجِ إِلَى الْمُهَلَّبِ . فَلَمَّا رَأَى الْمُهَلَّبَ ذَلِكَ قَالَ : لَقَدْ وَلَى الْعَرَاقَ خَيْرٌ ذَكَرُ^(١) .

خطبة الحجاج لما مات عبد الملك :

قام خطيباً فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ اللَّهَ تَبارَكَ وَتَعَالَى نَعِي نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى نَفْسِهِ فَقَالَ : (إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) . وَقَالَ : (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِ الرَّسُولُ أَفَإِنْ مَاتَ أُوْ قُتُلَ أَنْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) . فَمَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَمَاتَ الْخُلُفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمُهَدِّدُونَ الْمَهْدِيُّونَ ، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرٍ ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثَمَانَ الشَّهِيدَ الْمَظْلُومَ ، ثُمَّ تَبَعَّهُمْ مُعَاوِيَةُ ، ثُمَّ وَلِيَّكُمُ الْبَازِلُ^(٢) الْذَّكَرُ ، الَّذِي جَرَّبَتْهُ الْأُمُورُ ، وَأَحْكَمَتْهُ التَّجَارِبُ ، ١٠ مَعَ الْفِقْهِ ، وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ ، وَالْمُرْوَةِ الظَّاهِرَةِ ، وَالَّذِينَ لِأَهْلِ الْحَقِّ ، وَالْوَطَءِ لِأَهْلِ الزَّيْغِ ، فَكَانَ رَابِعًا مِنَ الْوُلَاةِ الْمُهَدِّيَّينِ الرَّاشِدِينَ ، فَأَخْتَارَ اللَّهُ لَهُ مَا عَنْدَهُ ، ١٤ وَأَلْحَقَهُ بِهِمْ ، وَعَهَدَ إِلَى شِبَهِهِ فِي الْعُقْلِ وَالْمُرْوَةِ وَالْحَزْمِ وَالْجَلْدِ وَالْقِيَامِ بِأَمْرِ اللَّهِ وَخِلَافَتِهِ ، فَأَسْمَعُوا لَهُ وَأَطْبَعُوهُ أَيُّهَا النَّاسُ . وَإِنَّكُمْ وَالزَّيْغَ ، فَإِنَّ الزَّيْغَ لَا يَحْيِقُ إِلَّا بِأَهْلِهِ . وَرَأَيْتُمْ سِيرَتِي فِيهِمْ ، وَعَرَفْتُ خِلَافَكُمْ ، وَقَبِيلَتُكُمْ^(٣) عَلَى مَعْرِفَتِي بِكُمْ ، ١٥ وَلَوْعِلْتُ أَنَّ أَحَدًا أَقْوَى عَلَيْكُمْ مَنِّي أَوْ أَعْرَفَ بِكُمْ مَا وَلَمْ يَتَمَكَّمْ ، فَإِيَّاَكُمْ ، مِنْ تِكَالَمِ قَتَلَنَا ، وَمِنْ سَكَتَ مَاتَ بِدَائِهِ غَمَّا ، ثُمَّ نَزَلَ .

خطبة الحجاج لما أصبه بولده محمد وأخيه محمد :

أَيُّهَا النَّاسُ ، مُحَمَّدانِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أُحِبُّ أَنْهُمَا مَعِي فِي

٢٠ (١) انظر الكامل (١ : ١٨١) والبيان والتبيين (٢ : ١٦٤) وصبح الأعشى .

(٢) وعيون الأخبار (٢ : ٢٤٤) وصروج الذهب (٢ : ١٣٢) في بين النصوص خلاف .

(٣) البازل : البعير انشق نابه ، وذلك في السنة التاسعة . وبه يشبه الرجل السكامل عقلًا وتجربة . يزيد به عبد الملك (٣) في بعض الأصول : « وطيبك » .

الدنيا ، مع ما أرجو لها من ثواب الله في الآخرة ، وایم الله ، ليوشـكـنـ الباقي منـاـ
ومنـكـمـ أنـ يـفـنـىـ ، والجـدـيدـ مـنـاـ وـمـنـكـمـ أنـ يـبـلـىـ ، والـحـيـ مـنـاـ وـمـنـكـمـ أنـ يـمـوتـ ،
وـأـنـ تـدـالـ الـأـرـضـ مـنـاـ كـاـدـ لـنـاـ مـنـهـاـ ، فـتـأـكـلـ كـلـ مـنـ لـحـومـنـاـ ، وـتـشـرـبـ مـنـ دـمـائـنـاـ ،
كـاـ مـشـيـنـاـ عـلـىـ ظـهـرـهـاـ ، وـأـكـلـنـاـ مـنـ ثـمـارـهـاـ ، وـشـرـبـنـاـ مـنـ مـائـهـاـ ، ثـمـ يـكـونـ كـاـ قـالـ
الـلـهـ : (وـنـفـيـخـ فـيـ الصـورـ إـذـاـ هـمـ مـنـ الـأـجـادـاتـ إـلـىـ رـبـهـمـ يـنـسـلـونـ) . ثـمـ تـمـثـلـ
بـهـذـينـ الـبـيـتـيـنـ :

عَزَّاَنِي نَبِيُّ اللَّهِ مِنْ كُلِّ مَيِّتٍ وَحَسْبِيُّ ثَوَابُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ هَالِكٍ
إِذَا مَا لَقِيْتُ اللَّهَ عَنِ رَاضِيَّاً فَإِنَّ سُرُورَ النَّفْسِ فِيمَا هُنَالِكُ
١٠ خَطَبَ الْحَجَاجُ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ فَأَطَالَ الْخُطْبَةَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّ
الْوَقْتَ لَا يَنْتَظِرُكَ ، وَالرَّبُّ لَا يَعْذِرُكَ . فَأَمْرَرَ بَهُ إِلَى الْحَبْسِ . فَأَتَاهُ آلُ الرَّجُلِ
وَقَالُوا : إِنَّهُ مَجْنُونٌ ، فَقَالَ : إِنَّ أَقْرَأَ عَلَى نَفْسِهِ بِمَا ذَكَرْتُمْ خَلِيلَتِي سَبِيلَهُ . فَقَالَ
الرَّجُلُ : لَا وَاللَّهُ ، لَا أَزْعُمُ أَنَّهُ ابْتَلَانِي وَقَدْ عَافَنِي .

خطبة للحجاج :

ذكروا أن الحجاج مرض ففرح أهل العراق ، وقالوا : مات الحجاج . فلما
بلغه ، تحامل حتى صعد المنبر فقال : يأهـلـ الشـقـاقـ وـالـنـفـاقـ ، نـفـيـخـ إـبـلـيـسـ فـيـ مـنـاخـرـ كـمـ
فـقـلـتـ : مـاتـ الـحـجـاجـ ، مـاتـ الـحـجـاجـ . فـمـهـ ، وـالـلـهـ مـاـ أـحـبـ أـلـآـمـوـتـ ، وـمـاـ أـرـجـوـ
الـخـيـرـ كـلـهـ إـلـاـ بـعـدـ الـمـوـتـ ، وـمـاـ رـأـيـتـ اللـهـ عـنـ وـجـلـ كـتـبـ الـخـلـوـدـ لـأـحـدـ مـنـ خـلـقـهـ إـلـاـ
لـأـهـوـنـهـ عـلـيـهـ ، إـبـلـيـسـ . وـلـقـدـ رـأـيـتـ الـعـبـدـ الصـالـحـ سـأـلـ رـبـهـ وـقـالـ : (رـبـ أـغـفـرـ لـيـ
وـهـبـ لـيـ مـلـكـاـ لـاـ يـذـبـغـيـ لـأـحـدـ مـنـ بـعـدـيـ إـنـكـ أـنـتـ الـوـهـاـبـ) . فـفـعـلـ ، ثـمـ
٢٠ أـضـمـحـ كـأـنـ لـمـ يـكـنـ^(١) .

(١) انظر سرح العيون (ص ١٢٢) وشرح ابن أبي الحديد (ج ١ ص ١٥٤)
وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٤٤) . فبين النصوص خلاف .

وفظية **الحجاج** :

خطب ف قال في خطبته : سوطى سيفي ، ونجاده في عنقى ، وقائمه في يدي ،
وذبابة قلادة لمن أغتر بي . ف قال الحسن : بؤسا لهذا ، ما أغرسه بالله !
وحلف رجل بالطلاق : إن الحجاج في النار ، ثم أتى زوجته ، فمنعه نفسها ،
فأتى ابن شبرمة يستفتيه ، فقال : يابن أخي ، أمض فكُن مع أهلك ، فإن
الحجاج إن لم يكن من أهل النار ، فلا يضرك أن تزني .

هذا ما ذكرنا في كتابنا من الخطب للحجاج ، وما بقي منها فهو مستقصاة
في كتاب اليتيمة الثانية ، حيث ذكرت أخبار زياد والحجاج ، وإنما مذهبنا في
كتابنا هذا أن نأخذ من كل شيء أحسنه ، ونحذف الكثير الذي يجتزأ
منه بالقليل .

خطبة طاهر بن الحسين :

لما أفتتح مدينة السلام صعد المنبر ، وأحضر جماعة من بنى هاشم والقواد
وغيرهم فقال : الحمد لله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء ، وينزع الملك من
يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذل من يشاء ، ولا يصلح عمل المفسدين ، ولا يهدى
كيد الخائنين . إن ظهور غلبتنا لم يكن عن أيدينا^(١) ولا كيدنا ، بل اختار
الله خلافته ، إذ جعلها عموداً لدينه وقواماً لعباده ، من يستقل بأعيانها ،
ويضطلع بحملها .

خطبة لعمير الله بن طاهر :

خطب الناس وقد تيسّر لقتال الخوارج^(٢) ، فقال : إنكم فئة الله
المُجاهدون عن حقه ، الذابون عن دينه ، الذين دون عن محارمه ، الداعون إلى
الله

(١) في بعض الأصول : « أيدينا » .

(٢) المعروف أن الذي تولى حرب الخوارج هو طاهر بن الحسين أيام المؤمنون ،

ثم تولاها بعده عبد الرحمن النيسابوري . وانتهت الحرب بموت حزة الخارجي .

(انظر الفرق بين الفرق) .

ما أَمْرَ بِهِ ، مِنِ الْأَعْتَصَامِ بِحَبْلِهِ ، وَالطَّاعَةِ لِوُلَاةِ أُمْرَهُ ، الَّذِينَ جَعَلُوهُمْ رُعَاةَ الدِّينِ ، وَنِظَامَ الْمُسْلِمِينَ ، فَإِنْ تَنْهِيَ حِزْبًا مَوْعِدَ اللَّهِ وَنَصْرَهُ بِمُجَاهَدَةِ عَدُوِّهِ وَأَهْلِ مَعْصِيهِ ، الَّذِينَ أَشْرَوْا وَتَمَرَّدُوا ، وَشَقَّوْا الْعَصَا ، وَفَارَقُوا الْجَمَاعَةَ ، وَمَرَّقُوا مِنَ الدِّينِ ، وَسَعَوْا فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ، فَإِنَّهُ يَقُولُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ) ، فَلَمَّا كَنَ الصَّابَرُ مَعْقِلًا كَمُ الَّذِي إِلَيْهِ تَلْجَئُونَ ، وَعَدْتُكُمُ الَّتِي بِهَا تَسْتَظْهَرُونَ ؛ فَإِنَّهُ الْوَزَّارَ الْمَنِيعُ ، الَّذِي دَلَّكُمُ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وَالْجُنَاحُ الْخَصِينَةُ الَّتِي أَمْرَكَ اللَّهُ بِلِبَاسِهَا . غُضْبُوا أَبْصَارَكُمْ ، وَاخْفَقُوا أَصْوَاتَكُمْ فِي مَصَافِكُمْ ، وَامْضُوا قُدُّمًا عَلَى بَصَائِرِكُمْ ، فَارْغَيْنَ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ، وَالْأَسْتَعْانَةِ بِهِ ، كَمَا أَمْرَكَ اللَّهُ ، فَإِنَّهُ يَقُولُ : (إِذَا لَقَيْتُمْ فَتَهَّةً فَاثْبِتوْا وَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا عَلَيْكُمْ تُفْلِحُونَ) . أَيْدِكُمُ اللَّهُ بَعْزٌ الصَّابَرُ ، وَوَلِيْكُمُ الْحِيَاةُ وَالنَّصْرُ .

خطبة لفتيبة بن سالم :

قام بِحِرَاسَانِ حِينَ خَلَعَ سَلِيمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ^(١) ، فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَتَدْرُونَ مَنْ تُبَايِعُونَ ؟ إِنَّمَا تُبَايِعُونَ يَزِيدَ بْنَ ثَرْوَانَ — يَعْنِي هَبِنَقَةَ الْقَيْسِيَّ^(٢) — كَأُنْيَ بِكُمْ ، وَحَكَمَ جَائزَ قَدْ أَتَاكُمْ يَحْكُمُ فِي أَمْوَالِكُمْ وَدِمَائِكُمْ وَفُرُوجَكُمْ وَأَبْشَارَكُمْ . ثُمَّ قَالَ : الْأَعْرَابُ ! [وَمَا الْأَعْرَابُ] ! لَعْنَ اللَّهِ الْأَعْرَابُ ! جَمِيعُهُمْ كَمَا يُجْمِعُ فَرَّخُ الْخَرْبَقَ^(٣) مِنْ مَنَابَتِ الشَّيْعَ وَالْقَيْصُومَ^(٤)

(١) وَذَلِكَ أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ ابْنَهُ عَبْدَ الْعَزِيزَ وَلىَ عَهْدِهِ وَيَخْلُمَ سَلِيمَانَ ، وَدَسَ إِلَى الْقَوَادِ وَالشَّعْرَاءِ بِذَلِكَ ، فَبَايِعَهُ عَلَى خَلْعِ سَلِيمَانِ الْحِجَاجِ وَقَتْبَيَةَ . (انظر الطبرى).

(٢) هُوَ يَزِيدُ بْنُ ثَرْوَانَ ، هَبِنَقَةُ ذُو الْوَدَعَاتِ ، وَيَكْنَى أَبَا نَافِعَ ، أَحَدُ بْنِ قَيْسِ بْنِ ثَعْلَبَةِ . وَكَانَ يَضْرِبُ بِهِ الْمِثْلَ فِي الْحَقِّ . فَيَقَالُ أَحَقُّ مِنْ هَبِنَقَةَ . وَكَانَ سَلِيمَانَ يَعْطِي الْأَغْنِيَاءِ وَيَحْرِمُ الْفَقَرَاءِ . وَإِذَا سُئِلَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ : أَصْلَحَ مَا أَصْلَحَ اللَّهُ وَأَفْسَدَ مَا أَفْسَدَ اللَّهُ . وَمَا أَشْبَهُهُ فِي هَذَا بِهَبِنَقَةِ حِينَ كَانَ يَحْسَنُ إِلَى السَّمَانِ مِنْ إِبْلِهِ ، وَيَهْمِلُ الْمَهَازِيلَ ، وَيَقُولُ : إِنَّمَا أَكْرَمَ اللَّهُ وَأَهْبَنَ مَا أَهَانَهُ . وَهَذَا مَا أَرَادَ قَتْبَيَةَ أَنْ يَقُولَهُ : « إِنَّمَا تُبَايِعُونَ... الْخَ » . (انظر بَحْثُ الْأَمْثَالِ ١ : ١٤٦ وَالْبَيَانِ ١ : ٢٢٦)

(٣) الْخَرْبَقُ (بِكَعْفَرَ) : نَبْتَ كَالِمَمْ يَغْشَى عَلَى آكِلِهِ .

(٤) الشَّيْعُ وَالْقَيْصُومُ : مِنْ نَبَاتِ السَّهْلِ .

والفلفل^(١) ، يَرْكِبون البَقَرَ وَيَأْكُلُون الْهَبِيد^(٢) . فَحَمَلُوهُمْ عَلَى الْخَيْلِ ، وَأَلْبَسُوهُم السَّلَاحَ ، حَتَّى مَنْعَمَ اللَّهُ بِهِم الْبَلَادَ ، وَجُبِيَّهُمُ الْفَءَاءُ . قَالُوا : مُرْنَا بِأَمْرِكَ . قَالَ : غُرْثُوا غَيْرِي^(٣) .

وَهُطْبَةُ الْقَنْيَةِ بْنِ سَلَمَ :

يَأْهُلُ الْعِرَاقَ ، أَنْتُ أَعْلَمُ النَّاسَ بِكُمْ . أَمَّا هَذَا الْحَيُّ مِنْ أَهْلِ الْعَالَمِيَّةِ فَنَعَمُ^٥
الْحَدَّةُ ؛ وَأَمَّا هَذَا الْحَيُّ مِنْ بَكْرِ بْنِ وَائِلَ ، فِي عِلْجَة^(٤) بَظَرَاءَ لَا تَمْنَعُ
رِجْلَيْهَا ؛ وَأَمَّا هَذَا الْحَيُّ مِنْ عَبْدِ الْقَدِيسِ ، فَهَا ضَرَبَ الْعَيْرَ بِذَنْبِهِ^(٦) ؛ وَأَمَّا هَذَا الْحَيُّ
مِنَ الْأَزْدِ ، فَعُلُوجُ خَلْقِ اللَّهِ وَأَنْبَاطِهِ . وَأَيْمَ اللَّهُ ، لَوْمَلَكَتْ أَمْرَ النَّاسِ لَنَقَشَتْ
أَيْدِيهِمْ ؛ وَأَمَّا هَذَا الْحَيُّ مِنْ تَمِيمَ ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يُسَمُّونَ الْفَدَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ كَيْسَانَ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

إِذَا كُنْتَ مِنْ سَعْدٍ وَخَالُكَ مِنْهُمْ بَعِيدًا فَلَا يَغْرِرُكَ خَالُكَ مِنْ سَعْدٍ
إِذَا مَادَعَوْكَيْسَانَ كَانَتْ كُهُولُهُمْ إِلَى الْفَدَرِ أَدْنِي مِنْ شَبَابِهِمُ الْمُرْدِ

وَهُطْبَةُ الْقَنْيَةِ بْنِ سَلَمَ :

يَأْهُلُ خُرَاسَانَ ، قَدْ جَرَّبَكُمُ الْوُلَاةَ قَبْلِيَ ، أَنَا كُمْ أُمِيَّةَ^(٧) فَكَانَ كَاسِمُهُ ، أُمِيَّةَ
[الرأي] ، [وَأُمِيَّةُ الدِّينِ] ، فَكَتَبَ إِلَى خَلِيفَتِهِ : إِنَّ خَرَاجَ خُرَاسَانَ لَوْكَانَ^{١٥}

(١) الفلفل : نبت ينبع في الجلد وغله السهل . يشير إلى قلة الخبرق وتفرقه بين متأتت هذه الثلاثة . (٢) الهبيد : حب الحنظل .

(٣) انظر البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٧) والطبرى في بين النصوص خلاف .

(٤) العلجة : أبني العلچ ، وهو الرجل من كفار العجم : وبظراء : بینة البظر طوباته .
والبظر : ما بين الاسكتين من المرأة .

(٥) في البيان : « لا تجتمع » .

(٦) العير : الحمار . وكفى بما يضر به العير بذنبه عن جائزته ، وما موضع الرقتين من است الحمار . يصفهم بالضعف والمهانة .

(٧) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص ، وكان عاملاً لمعبود الملك على خراسان ثم عزله سنة ٧٨ .

فِي مَطْبِخِهِ لَمْ يَكُنْهُ . ثُمَّ أَتَاكُمْ [بَعْدِهِ] أَبُو سَعِيدٍ^(١) ثَلَاثًا^(٢) ، لَا تَدْرُونَ أَفِي طَاعَةِ اللَّهِ أَنْتُمْ أَمْ فِي مَعْصِيَتِهِ ! ثُمَّ لَمْ يَجْبِ فِيهَا ، وَلَمْ يَبْلُ^(٣) عَدُوًّا ، ثُمَّ أَتَاكُمْ بِنُوهٍ بَعْدِهِ مُثْلًا أَطْبَاءَ^(٤) الْكَلْبَةَ ، مِنْهُمْ ابْنُ دَحْمَةَ^(٥) ، حِصَانٌ يَضُربُ فِي عَانَةَ^(٦) ؟ لَقَدْ كَانَ أَبُوهُ يَخافُهُ عَلَى أُمَّهَاتِ أَوْلَادِهِ . ثُمَّ أَصْبَحْتُمْ وَقَدْ فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ الْبَلَادَ ، حَتَّى إِنَّ الظَّعَمَيْنَةَ لِتَخْرُجٍ مِنْ مَرْوٍ إِلَى سَمَرْقَنْدٍ فِي غَيْرِ جَوَارِ .

قَوْلُهُ : أَبُو سَعِيدٍ ، يَرِيدُ الْمُهَلَّبَ بْنَ أَبِي صَفْرَةَ ، وَقَوْلُهُ : ابْنُ دَحْمَةَ ، يَرِيدُ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبَ .

خطبة لـ يَزِيدَ بْنَ الْمُهَلَّبِ :

١٠ حَمْدُ اللَّهِ وَأَنْتَ عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي أَسْمَعُ قَوْلَ الرَّاعِي : قَدْ جَاءَ الْعَبَّاسُ ، قَدْ جَاءَ مَسَّاً ، قَدْ جَاءَ أَهْلُ الشَّامِ .

وَمَا أَهْلُ الشَّامِ إِلَّا تِسْعَةُ أَسْيَافٍ ، مِنْهَا سَبْعَةُ مَعِيٍّ ، وَأَثْنَانٌ عَلَيْهِ ؛ وَمَا مَسَّاً إِلَّا ١٩٠ جَرَادَةَ صَفَرَاءَ ؛ وَأَمَا الْعَبَّاسُ ، فَبَسْطَوْسُ بْنُ بَسْطَوْسَ^(٧) ، أَتَاكُمْ فِي بَرَابِرَةَ ، وَصَقَالَبَةَ وَجَرَامِقَةَ وَأَقْبَاطَ وَأَنْبَاطَ وَأَخْلَاطَ ، أَقْبَلَ إِلَيْكُمُ الْفَلَاحُونَ وَالْأَوْبَاشُ كَأَشْلَاءِ الْلَّحْمِ ، وَاللَّهُ مَا لَقُوا قَطُّ حَدَّا كَحْدَكُمْ ، وَلَا حَدِيدًا كَحَدِيدَكُمْ . أَعِيرُ وَنِي ١٥ سَوَاعِدَكُمْ سَاعَةً [مِنْ نَهَارٍ] تَصْفَقُونَ بِهَا خَرَاطِيمَهُمْ^(٨) ، فَإِنَّمَا هِيَ غَدْوَةُ أُورَوْحَةٍ ، حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بِيَنْتَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ .

(١) هو المهلب بن أبي صفرة، وقد ولى خراسان من قبل الحجاج بعد أمية.

(٢) يزيد ثالث سنين. والذى في الطبرى : « فَدُومُ بَكْمَ ثَلَاثَ سَنِينَ ». والذى في البيان :

« فَدُومُ بَكْمَ الْبَلَادِ لَا تَدْرُونَ ... الْخَ ». (٣) في البيان : « لَمْ يَنْكَ ». ٢٠

(٤) الأطباء : جمع طبى (كقف). وهو لذات الحلف والظلف ، كالثدي للمرأة.

(٥) نسبة إلى أمها دحمة ، انظر القاموس مادة (دحـمـةـ) والطبرى . والذى في الأصول والبيان : « ابن الرـحـمـةـ ». وظاهر أنه محرف عما أثبتناه .

(٦) العانة : الأتان .

(٧) كذا في الأصول ومروج الذهب . والذى في البيان : « فَنَسْطَوْسُ بْنُ نَسْطَوْسَ »

ولعلها : « نَسْطَوْرُسُ بْنُ نَسْطَوْرُسَ » نسبة إلى النساطرة ، إحدى فرق المسيحية.

يشير إلى أصل العباس بن الوليد إذ كانت أمها رومية .

(٨) صفقه بالسيف : ضربه . والخراطيم : جمع خرطوم ، وهو الأنف . ٢٥

^(١) خطبة لفسي بن ساعدة الريادي :

أَبْنَ عَبَّاسٍ قَالَ : قَدِيمٌ وَفَدٌ إِيَادٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : أَيْكُمْ يَعْرِفُ قُسْنَ بْنَ سَاعِدَةَ الْإِيَادِيَّ ؟ قَالُوا : كُلُّنَا يَعْرِفُهُ . قَالَ : فَمَا فَعَلَ ؟ قَالُوا : هَلَّا كَ . قَالَ : مَا أَنْسَاهُ بِسُوقِ عُكَاظِ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ عَلَى جَمْلٍ لَهُ أَحْمَرٌ وَهُوَ يَخْطُبُ النَّاسَ ، وَيَقُولُ : أَسْمَعُوكُمْ وَعُوْنَ ، مَنْ عَاشَ ماتَ ، وَمَنْ ماتَ فَاتَ ، وَكُلُّ مَا هُوَ آتٌ آتٌ ، إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ خَبْرًا ، وَإِنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبَرا ، سَحَابَتُ تَمُورُ ، وَنُجُومٌ تَغُورُ ، فِي فَلَّاكٍ يَدُورُ ، وَيُقْسَمُ قُسْنٌ قَسَمَهَا ، إِنَّ اللَّهَ لَدِينِنَا هُوَ أَرْضِي مِنْ دِينِكُمْ هَذَا . ثُمَّ قَالَ : مَا لِي أُرِيَ النَّاسَ يَذْهَبُونَ وَلَا يَرْجِعُونَ ، أَرَضُوا بِالْإِقَامَةِ فَأَقَامُوا ، أَمْ تُرْكُوا فَنَامُوا ؟ أَيْكُمْ يَرْوِي مِنْ شِعْرِهِ ؟ فَأَنْشَدَ بِعِصْمَهُ :

فِي الْذَّاهِبَيْنِ الْأُولَيْنِ نَمِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَارٌ

لما رأيت موارداً الموت ليس لها مصادر
ورأيت قومي نحّوها يمضي الأكابر والأصغر
لا يرجع الماضي ولا يبقى من الباقي غاي
أيقنت أني لا محالة حيث صار القوم صائم

خطبة العاشرة: أم المؤمنين رضي الله عنها يوم الجمل:

قالت : أَيُّهَا النَّاسُ ، صَهْ صَهْ ، إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حُرْمَةَ الْأُمُومَةَ ، وَحَقٌّ^(٢)
الْمَوْعِظَةَ ، لَا يَتَهَمَّنِي إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ^(٣) ، ماتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
سَهْرِي^(٤) وَنَحْرِي ، فَإِنَّا إِحْدَى نِسَائِهِ فِي الْجَنَّةِ ، لَهُ أَدَّخَرْنَاهُ رَبِّي ،
بَيْنَ سَهْرِي^(٤) وَنَحْرِي

(١) جرى المؤلف فيما مضى من كتاب الخطب على متابعة العصور عصراً بعد عصر، في الخطب التي أوردها، وإيراده هنا خطبة قس وما بعدها مخالفة لما جرى عليه أولاً.

(٢) كذا في بعض الأصول وبلافات النساء (من ٧) . وفي سائر الأصول : « حق الأمة وحرمة الموعظة » .

(٣) أرادت قوله تعالى : « يعظكم الله أن تعودوا لملته أبداً ». .

(٤) السحر : الرءة .

وخلصـنى (١) من كل بُضم (٢)، وبى مَيْزِ مُؤْمِنْكُمْ مِنْ مُنَافِقْكُمْ (٣)، وبى أَرْجَحْ الله لَكُمْ فِي صَعِيدِ الْأَبْوَاءِ (٤)، ثُمَّ أَبِي ثَانِي أَثْنَيْنِ اللَّهِ ثَالِثَهُمَا، وَأَوْلَى مِنْ سُمَّى صِدِّيقًا . مَضِى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاضِيًّا عَنْهُ، وَطَوَّقَهُ أَعْبَاءُ الْإِمَامَةِ، ثُمَّ أَضْطَربَ حَبْلُ الدِّينِ بَعْدِهِ فَمَسَكَ أَبِي بَطْرَفَيْهِ، وَرَتَّقَ لَكُمْ فَتْقَ النَّفَاقِ، وَأَغْضَى (٥) نَبْعَدَ الرِّدْدَةَ، وَأَطْفَأَ مَا حَشَّتَ (٦) يَهُودَ، وَأَتَمْ يَوْمَئِذٍ جُحْظَ الْعَيْوَنِ (٧)، تَنْظَرُونَ الْعَدْوَةَ (٨)، وَتَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ، فَرَأَبَ الثَّائِي (٩)، وَأَوْدَ (١٠) مِنَ الْغِلْظَةِ، وَامْتَاحَ (١١) مِنَ الْهُوَةِ (١٢)، حَتَّى أَجْتَحِي (١٣) دُفِينَ الدَّاءِ، وَحَتَّى أَعْطَنَ الْوَارِدَ (١٤)، وَأَوْرَدَ الصَّادِرَ، وَعَلَّ النَّاهِلَ، فَقَبْضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَاطَّمَّا عَلَى هَامَاتِ النَّفَاقِ، مُذْكَرًا نَارَ الْحَرْبِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، فَانْتَظَمْتَ طَاعَتُكُمْ بِحَبْلِهِ، فَوَلَى أَمْرَكُمْ رَجَلًا مُرْعِيًّا (١٥) إِذَا رُكِنَ إِلَيْهِ، بَعِيدًا مَا بَيْنَ الْلَّابِتَيْنِ (١٦) إِذَا ضُلَّ، عَرَكَةً لِلَّأَذَّةِ ١٠

(١) فِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ (مَادَةُ بُضمٍ) : « وَحْصِنَى » .

(٢) كَذَافِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ، أَى مِنْ كُلِّ سَكَاحٍ، لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَزَوَّجَهَا بَكْرًا مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْوَلِ : « بَضَاعَةً » .

(٣) تَشِيرُ إِلَى حَدِيثِ الْإِلْفَكِ وَنَزُولِ الْوَحْيِ بِرَاءَتِهَا فِيهِ تَعْيِزُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ وَثَقَوْا مِنْ بَرَاءَتِهَا مِنَ الْمَنَافِقِينَ الَّذِينَ ذَهَبُوا إِلَى اتِّهَامِهَا . ١٥

(٤) الصَّعِيدُ : التَّرَابُ . وَالْأَبْوَاءُ : الْمَفَازَةُ، وَيُرَوَى : « الْأَقْوَاءُ » . وَالْأَقْوَاءُ : جَمْعُ قَوَاءِ (كَسْحَابٍ)، وَهُوَ الْقَفْرُ، تَرِيدُ أَنْهَا كَانَتْ سَبَباً فِي رَحْصَةِ التَّيْمِ، لِمَا ضَاعَ عَقْدُهَا فِي السَّفَرِ وَطَلَبُوهُ، فَأَصْبَحُوا وَالِيسُ مَعَهُمْ مَاءُ، فَنَزَّلَتْ آيَةُ التَّيْمِ . انْظُرْ صَحِيحَ الْبَخَارِيِّ فِي بَابِ التَّيْمِ (ج ١ ص ٧٠) . وَلِسَانِ الْعَرَبِ (مَادَةُ قَوَى) .

(٥) أَغْضَى : نَفْعٌ . (٦) حَشَ النَّارُ : أَوْقَدَهَا . ٢٠

(٧) جُحْظَ الْعَيْوَنِ ، أَى قَدْ بَرَزَتْ عَيْوَنُهُمْ ، وَشَخَصَتْ أَبْصَارُهُمْ ارْتِبَاكًا وَحِيرَةً ، قَدْ أَسْقَطَ فِي يَدِهِمْ .

(٨) كَذَافِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ . وَالْعَدْوَةُ : الْوَثَبَةُ . وَالَّذِي فِي الْأَصْوَلِ : « الْفَدْرَةُ » .

(٩) الثَّائِي : الْإِفْسَادُ . (١٠) أَوْدُ : عَطْفٌ وَالَّاَنَ .

(١١) كَذَافِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَبِلَاغَاتِ النِّسَاءِ . وَامْتَاحَ : اِنْتَزَعَ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « اِنْتَاشُ » . وَانْتَاشُ : أَخْرَجَ . ٢٥

(١٢) فِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ : « الْمَهْوَةُ » . (١٣) اِجْتَحَى : اِسْتَأْصَلَ .

(١٤) أَعْطَنَ الْوَارِدَ : حَبْسٌ إِبْلِهِ عِنْدَ الْمَاءِ . وَهَذَا كَنَاءٌ عَنْ تَأْمِينِ السَّبِيلِ .

(١٥) صَرْعِيَّا ، مِنَ الْمَرَاعَاةِ ، وَهِيَ الْحَفْظُ وَالرَّفْقُ وَتَخْفِيفُ الْأَنْقَالِ .

(١٦) الْلَّابِتَانُ : مَثْنَى الْلَّابَةِ ، وَهِيَ الْحَرَةُ ، تَرِيدُ أَنَّهُ وَاسِعُ الْحَيْلَةِ حِينَ يَضْلُّ النَّاسُ مَصَادِرَهُمْ . ٣٠

بِجَنْبَهُ^(١) ، صَفُوحًا عَنْ أَذى الْجَاهِلِينَ ، يَقْطَانُ اللَّيلَ فِي نُصْرَةِ الإِسْلَامِ ، فَسَلَكَ مَسْلَكَ السَّابِقِيهِ ، فَفَرَقَ شَمْلَ الْفِتْنَةِ ، وَجَمَعَ أَعْضَادَ مَا جَمَعَ الْقُرْآنُ ، وَأَنَا نُصْبِ المَسْأَلَةَ عَنْ مَسِيرِي هَذَا^(٢) ، لَمْ أَتَمْسِ إِنْمَاءً ، وَلَمْ أُوْرَثْ^(٣) فِتْنَةً أُوْطَئُهُ كُوْهَا . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صِدْقًا وَعَدْلًا ، وَإِعْذَارًا وَإِنْذَارًا ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَصْلِي عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْ يُخْلِفَهُ فِيمَكَ بِأَفْضَلِ خِلَافَةِ الْمُرْسَلِينَ .

خطبة^(٤) لِعَبْرِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُورٍ :

١٩١

أَصْدَقُ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ ، وَأَوْثَقُ الْعُرْبِيَّةِ كَلْمَةَ التَّقْوِيَّةِ^(٥) . أَكْرَمَ
الْمَلَلَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . خَيْرُ الشَّهْنَ سَفَهُ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
شَرُّ الْأَمْوَارِ مُحَمَّدٌ ثَاتُهَا ، وَخَيْرُ الْأَمْوَارِ أُوْسَاطُهَا^(٦) . مَا قَلَّ وَكَفَى ، خَيْرُ مَا
كَثُرَ وَأَلْهَى . لِنَفْسٍ تُحْمِيَهَا^(٧) خَيْرٌ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا . خَيْرُ الْغِنَى غَنِيَ النَّفْسُ .
خَيْرٌ مَا أُلْقِيَ فِي الْقَلْبِ الْيَقِينِ . الْحَمْرُ جَمَاعُ الْأَثَامِ . النِّسَاءُ حِبَايَلُ الشَّيْطَانِ .
الشَّبَابُ شُعْبَةُ مِنَ الْجَنُونِ . حُبُّ الْكِفَايَةِ مِفْتَاحُ الْمَعْجَزَةِ . شَرُّ النَّاسِ مَنْ
لَا يَأْتِي الْجَمَاعَةَ إِلَّا دُبْرًا ، وَلَا يَذَكُرُ اللَّهَ إِلَّا هُجْرًا^(٨) . سِبَابُ الْمُؤْمِنِ فُسُوقُ ،
وَقِتَالُهُ كُفُرُ ، وَأَكْلُ لَحْمِهِ مُعْصِيَةٌ . مَنْ يَتَأَلَّ^(٩) عَلَى اللَّهِ يُكَذِّبُهُ ، وَمَنْ يَغْفِرُ

(١) الْعَرْكُ : الدَّلْكُ . وَيُقَالُ : عَرْكٌ بِجَنْبَهُ مَا كَانَ مِنْ صَاحِبِهِ ، كَأَنَّهُ حَكَمَ حَقَّ عَفَاهُ .

تَصْفِهُ بِالْأَحْتَالِ . (٢) أَى إِنَّهَا عَرْضَةٌ لَأَنْ تُسْأَلُ عَنْ خَرْوْجِهَا لَمَّا خَرَجَتْ لَهُ .

(٣) أُورَثُ : أَشْعَلَ وَأَوْقَدَ . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « أَدَلَسُ » .

(٤) أَكْثَرُ مَا فِي هَذِهِ الْخُطْبَةِ مَا يُؤَثِّرُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(٥) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَالْبَيَانِ (ج ٢ ص ٢٧) وَإِعْجازُ الْقُرْآنِ (ص ١٢٢) .

وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « التَّقْوَى خَيْرٌ زَادَ » .

(٦) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَالْبَيَانِ وَالْتَّبَيِّنِ (ج ٢ ص ٢٧) . وَالَّذِي فِي سَائِرِ

الْأَصْوَلِ : « عَزَّانُهَا » . (٧) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « تُحْمِيَهَا » .

(٨) دِبْرًا ، يَرَوِي بِالضمِّ وَالْفَتْحِ ، وَهُوَ آخِرُ أَوْقَاتِ الشَّيْءِ فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا .

وَاهْجَرُ : التَّرْكُ وَالْإِغْفَالُ . يَرِيدُ تَرْكَهُ لِلذِّكْرِ وَإِعْرَاضَهُ عَنْهُ .

(٩) يَتَأَلَّ : يَقْسِمُ . وَمَنْ تَأَلَّ عَلَى اللَّهِ ، أَى مَنْ حَكَمَ عَلَيْهِ تَعَالَى وَحَلَفَ ، كَمَا قُولُوا مِنْ

يَقُولُ : وَاللَّهُ لِيَنْجِنَ اللَّهُ سَعَى فَلَانَ . وَفِي الْحَدِيثِ : وَيَلِ الْمَتَأَلِينَ مِنْ أُمَّتِي .

يُعْنِي الَّذِينَ يُحْكَمُونَ عَلَى اللَّهِ وَيَقُولُونَ فَلَانَ فِي الْجَنَّةِ وَفَلَانَ فِي النَّارِ .

يُغفر له . مَكتوب في ديوان المُحسنين : مَن عفَ عَنْهُ عَنْهُ . الشَّقِيقَ شَقِيقَ^(١) في بَطْنِ أَمَّهُ . السَّعِيدَ مَن وُعِظَ بِغَيرِهِ . الْأَمْرُ بِعِوَاقِبِهَا . مَلَكُ الْأَمْرُ خَوَاتِهِ . أَحْسَنُ الْهَدَى هَدَى الْأَنْبِيَاءَ . أَقْبَعَ الضَّلَالَةَ الضَّلَالَةَ بَعْدَ الْهُدَى . أَشَرَّفَ الْمَوْتُ الشَّهَادَةَ . مَن يَعْرُفُ الْبَلَاءَ يَصْبِرُ عَلَيْهِ ، وَمَن لَا يَعْرُفُ الْبَلَاءَ يُنَكِّرُهُ .

هَطْبَةُ لَعْبَةُ بْنُ غَزَوانٍ بَعْدَ فَتْحِ الْأَيَّلَةِ :

حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ صَلَى عَلَى النَّبِيِّ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَقَالَ : إِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَوَلَّتْ وَقَدْ آذَنَتْ أَهْلَهَا مِنْهَا بَصَرَّمْ ، وَإِنَّمَا يَقِنُ مِنْهَا صُبَابَةُ الْإِنَاءِ يَصْنُطَبُهَا صَاحْبَهَا . أَلَا وَإِنَّكُمْ مُفَارِقُوهَا لَا مَحَالَةَ ، فَفَارَقُوهَا بِأَحْسَنِ مَا يَحْضُرُكُمْ . أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْعَجْبِ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : إِنَّ الْحَجَرَ ١٠ الضَّخْمَ يُرْمَى بِهِ فِي شَفَيرِ جَهَنَّمَ فَيَهُوَ فِي النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ، وَلِجَهَنَّمِ سَبْعةُ أَبْوَابَ ، بَيْنَ كُلِّ بَابٍ مِنْهَا مَسِيرَةُ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ ، وَلِيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا سَاعَةً وَهَا كَظِيمَ^(٢) بِالْزَّحَامِ . وَلَقَدْ كَنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَابِعَ سَبْعةَ ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الْبَشَامِ^(٣) ، حَتَّى قَرِحْتُ أَشْدَاقِنَا ، فَوُجِدْتُ أَنَا وَسَعْدٌ^(٤) [بْنُ مَالِكٍ] تَمَرَّةً فَشَقَقَتْهُ بَيْنِ وَبَيْنِهِ نِصْفَيْنِ ، وَمَا مِنْ أَحَدٍ يَوْمَ إِلَّا وَهُوَ أَمِيرٌ عَلَى مِحْضٍ . وَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ ١٥ تَبْوَةً قَطُّ إِلَّا تَنَاسَخَتْ^(٥) ، وَأَنَا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا ، وَفِي أَعْيُنِ النَّاسِ صَغِيرًا .

(١) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « مَن شَقِيقٌ » .

(٢) كَظِيمَ ، أَيْ امْتَلَاءٌ . وَانْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ (مَادَةً كَظِيمَ) فَقَدْ سَيَقَتْ الْعِبَارَةُ هُنَاكَ فِي ذَكْرِ بَابِ الْجَنَّةِ مَعَ اخْتِلَافِ يَسِيرٍ .

(٣) الْبَشَامُ : شَجَرٌ عَطَرٌ الرَّائِحةُ يَسْتَاكُ بِهِ .

(٤) كَذَا فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ وَالْبَيَانِ (ج ٢ ص ٢٧) وَالْكَامِلُ لَابْنِ الْأَثِيرِ (ج ٢ ص ١٨٨) . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الأَصْوَلِ : « سَعِيدٌ » .

(٥) كَذَا فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ وَلِسَانِ الْعَرَبِ (مَادَهُ نَسْخَهُ) . وَتَنَاسَخَتْ : تَدَاوَلَتْ . يَشِيرُ إِلَى تَحْوُلِ الْأَمْرِ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ . وَفِي الْبَيَانِ : « تَنَاسَخَتْهَا جَبْرِيَّةً » . وَالْجَبْرِيَّةُ : الْجَبْرُوتُ . يَرِيدُ مَا مِنْ ضَعْفٍ إِلَّا اسْتِحْمَالٌ قُوَّةٌ وَسَاطِعًا . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الأَصْوَلِ : « تَنَاسَخَتْهَا » .

خطبة لعمر وبن سعيد الأُسرى :

لما عقد معاوية ليزيد البيعة قام الناس يخطبون ، فقال عمر وبن سعيد :
 قم يا أبا أمية . فقام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد ، فإن يزيد بن
 معاوية أمل تأملونه ^(١) ، وأجل تأمونه ^(١) ، إن أستضفتم إلى حلمه وسعكم ، وإن
 أتحجتم إلى رأيه أرشدكم ، وإن أفتقرتم إلى ذات يده أغناكم ؛ جذع قارح ^(٢) ،
 سُوبق فسبق ، ومُوجد فمجد ، وقُورع فقرع ، فهو خاف أمير المؤمنين ولا
 خلف منه . فقال له معاوية : أوصت أبا أمية ، فأجاس .

وخطبة لعمر وبن سعيد بالمدينة :

قال أبو [الفضل] العباس بن الفرج الرياشي : حدثنا ابن عائشة قال :
 قدم عمر وبن سعيد بن العاص الأشدق المدينة أميرا ، نخرج إلى منبر رسول الله
 صلَّى الله عليه وسلم ، فقعد عليه وغضَّ عينيه ، وعليه جبَّة خز قرمِز ، ومطرَّف خز
 قرمِز ، وعمامة خز قرمِز . فحمل أهل المدينة ينظرون إلى ثيابه إعجاباً بها . ففتح
 عينيه فإذا الناس ينظرون إليه ، فقال : ما بالكم يأهل المدينة ترقوون إلى
 أبصاركم ، كأنكم تريدون أن تضر بنا بسيوفكم ! أغركم أنكم فعلمتم
 ما فعلتم فعفونا عنكم ! أما إنَّه لو أثبتم بالأولى ما كانت الثانية . أغركم أنكم
 قاتلتم عثمان فوافقتم ثائرنا ^(٣) مثـارفيقا ، قد فـني غضـبه ، وبـقي حـلمـه ! أغتنموـا
 أنفسـكم فقد والله مـلـكـنـاـكـمـ بالـشـبابـ المـقـتـلـ ، الـبعـيدـ الـأـمـلـ ، الـطـوـيلـ الـأـجـلـ ،
 حين فـرغـ من الصـغـرـ ، وـدـخـلـ فـالـكـبـرـ ؟ حـلـيمـ حـدـيدـ ، لـيـنـ شـدـيدـ ؟ رـقـيقـ كـثـيفـ ،
 رـفـيقـ عـنـيفـ ؟ حـيـنـ أـشـقـدـ عـظـمـهـ ، وـأـعـقـدـ جـسـمـهـ ؟ وـرـمـيـ الـدـهـرـ بـبـصـرـهـ ، وـأـسـقـبـلـهـ

٢٠ (١) يشير إلى ما ستكون عليه مدة خلافته من الطول لأنَّه تولاها شاباً .

(٢) أي حدث ولكنه كامل مجرى . والجذع ، في الأصل : الفرس في سنته الثانية .

والقارح : الذي كملت أسنانه ، وذلك إذا استتم الخامسة ودخل في السادسة .

(٣) وافقتم : وجدتم . والتأثير : الآخذ بالثار .

بأشـره ؛ فهو إن عـض نـهـس ^(١) ، وإن سـطا فـرس ^(٢) ؛ لا يـقـلـلـ لـهـ اـعـصـى ^(٣) ،
ولا تـقـرـعـ لـهـ العـصـا ^(٤) ، ولا يـمـشـيـ السـمـهـى ^(٥) . قال : فـما بـقـىـ بـعـدـ ذـلـكـ إـلـاـ ثـلـاثـ
سـنـينـ وـثـانـيـةـ أـشـهـرـ حـتـىـ قـصـمـهـ اللهـ .

١٩٢

وفطنة لعمرو بمكة :

العتبي قال : أستعمل سعيد بن العاص وهو وال على المدينة أبنه عمرو بن سعيد وأليما على مكة ، فلما قدم لم يلقه قرشى ولا أموى إلا أن يكون الحارث ابن نوبل ، فلما لقيه قال له : يا حار ، ما الذي منع قومك أن يلقواني كما لقيتني ؟ قال : ما منعهم من ذلك إلا ما أستقبلتهني به ، والله ما كفنتني ولا أتممت أسمى ، وإنما أنهاك عن التكبير ^(٦) على أكفائك ، فإن ذلك لا يرتكب عليهم ولا يضرهم لك . قال : والله ما أأسأت الموعظة ولا أتهمك على النصيحة ، وإن الذي رأيت مني لخلاق . فلما دخل مكة قام على المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أمّا بعد ، معاشر أهل مكة ، فإننا سكناها حقبة ^(٧) ، وخرجنا عنها رغبة ، وكذلك كننا إذا رفعت لنا لهوة ^(٨) بعد لهوة أخذنا أسنناها وزرنا أعلاها ؛ ثم شدّخ ^(٩) أمر بين أمرین ، فقتلنا وقتلنا ؛ فوالله ما نزعنا ولا نزع عننا ، حتى

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٠

(١) يقال : نهـسـ اللـحـمـ ، إـذـاـ أـخـذـهـ بـعـقـدـ أـسـنـانـهـ وـنـفـهـ .

(٢) فـرسـ الـفـرـيـسـةـ : دقـ عـنـقـهاـ .

(٣) القـلـقلـةـ : شـدـةـ اـضـطـرـابـ الشـيـءـ وـتـحـركـهـ . وـقـدـ تـقـلـلـ صـغـارـ الحـصـىـ فـالـخـلـلـ وـنـحـوـهاـ تـوـمـ فـرـسـكـ بـأـنـهـ قـوـمـ أـوـ غـيـرـهـ . يـرـيدـ أـنـهـ حـذـرـ لـاـ يـمـدـعـ .

(٤) أـىـ أـنـهـ لـاـ يـخـطـىـ حـقـ يـنـبـهـ إـلـىـ خـطـئـهـ بـقـرـعـ العـصـاـ . يـشـيرـ إـلـىـ المـثـلـ : إـنـ العـصـاـ قـرـعـتـ لـذـىـ الـحـلـمـ .

(٥) السـمـهـىـ : الـبـاطـلـ وـالـكـذـبـ . وـيـقـالـ : جـرـىـ فـلـانـ السـمـهـىـ ، أـىـ جـرـىـ إـلـىـ غـيرـ أـصـرـ يـعـرـفـهـ .

(٦) فـ بـعـضـ الأـصـولـ : «ـ التـشـذرـ »ـ . وـالتـشـذـرـ : التـوـعـدـ وـالتـهـددـ . وـإـنـ صـحتـ فـلـعلـهـ يـرـيدـ بـهـ لـازـمـ معـناـهـ ، فـلاـ يـتوـعـدـ وـلـاـ يـتـهـددـ إـلـاـ مـنـ عـلـاـ ، وـمـعـ الـعـلوـ يـكـونـ الـكـبـرـ .

(٧) فـ بـعـضـ الأـصـولـ : غـبـطـةـ .

(٨) الـهـوـةـ (ـبـالـضـمـ وـالـفـتـحـ)ـ : الـعـطـيةـ . وـيـرـيدـ بـهـ الـوـلـاـيـةـ .

(٩) شـدـخـ ، أـىـ فـرـقـ وـبـاعـدـ . وـالـشـدـخـ (ـفـيـ الـأـصـلـ)ـ : الـكـسـرـ . وـفـيـ بـعـضـ الـأـصـولـ : «ـ شـرـجـ »ـ .

شَرِبَ الدَّمَ دَمًا ، وَأَكَلَ الْأَجْنِمَ لَحْمًا ، وَقَرَعَ الْعَظْمَ عَظْمًا ؛ فَوَلِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرِسَالَةِ اللَّهِ إِيَّاهُ ، وَأَخْتَيَارَهُ لَهُ ؛ ثُمَّ وَلِي أَبُو بَكْرَ لِسَابِقِتِهِ وَفَضْلِهِ ؛ ثُمَّ وَلِي عُمَرَ ، ثُمَّ أَجِيلَتْ قِدَاحُ بَرْزَعَةَ مِنْ شُعَبِ^(١) حَوْلَ نَبْعَةَ ، فَفَازَ بِحَظْهَا^(٢) أَصْلَبَهَا وَأَعْتَقَهَا ، فَكُنَّا بَعْضَ قِدَاحِهَا ، ثُمَّ شَدَّخَ^(٣) أَمْرَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ ، فَقَتَلَنَا وَقَتُلْنَا ، فَوَاللَّهِ مَا نَرَزَعْنَا وَلَا نُرَزِّعُ عَنَا حَتَّى شَرِبَ الدَّمَ دَمًا ، وَأَكَلَ الْأَجْنِمَ لَحْمًا ، ٥ وَقَرَعَ الْعَظْمَ عَظْمًا ، وَعَادَ الْحَرَامُ حَلَالًا ، وَأَسْكَتَ كُلُّ ذِي حِسْنٍ عَنْ ضَرْبِ مُهْنَدَ ، عَرْكَانَ عَرْكَانًا ، وَعَسْفَانَ عَسْفَانًا ، وَوَخْزَانَ وَنَهْزَانًا ، حَتَّى طَابُوا عَنْ حَقَّنَا نَفْسًا . وَاللَّهُ مَا أَعْطَوْهُ عَنْ هَوَادَةَ ، وَلَا رَضُوا فِيهِ بِالْقَضَاءِ ، أَصْبَحُوا يَقُولُونَ : حَقَّنَا غَلَبَنَا عَلَيْهِ ، فَيَجِزِّيَنَا هَذَا وَهَذَا فِي هَذَا . يَأْهُلُ مَكَةَ ، أَنفُسَكُمْ أَنفُسَكُمْ ، وَسُفُهَاءُكُمْ سُفُهَاءُكُمْ ، فَإِنْ مَعِي سُوْطًا نَكَالًا ، وَسَيْفًا وَبَالًا ، وَكُلُّ مَصْبُوبٍ^(٤) عَلَى أَهْلِهِ ، ثُمَّ نَزَلَ . ١٠

خطبة أمِّهُنْفَ بنِ فَيْسٍ :

قال بعد حمد الله والثناء عليه : يا معاشر الأزد وربيعه ، أنتم إخواننا في الدين ، وشرکاؤنا في الصہر ، وأشقاوونا في النسب ، وجويرأننا في الدار ، ويديننا على العدو . والله لازد البصرة أحب إليها من تميم الكوفة ، ولازد الكوفة أحب إليها من تميم الشام ، فإن استشرى^(٥) شناً نكم ، [وابن] حسَد صدوركم ، ١٥ في أحلامنا وأمنوا الناسعة لنا ولكم .

خطبة إِبْرَاهِيمِ بْنِ عَمْرٍ :

قام خطيباً فقال : أتقوا الله عباد الله ، فكم مؤمل أملأ لا يبلغه ، وجامع مالا لا يأكله ، [ومانع] عما^(٦) سوف يتركه ؛ ولعله من باطل جمعه ، ومن

٢٠ (١) كذا في بعض الأصول . والشعب : الأغصان ؟ الواحد : شعبية . يشير إلى أصحاب الشورى الستة ، شبههم بأغصان النبعة . والذى في سائر الأصول : «شعب جولة سعة» . وفيها تحرير ظاهر . (٢) في بعض الأصول : «بخطها» .

(٣) انظر الحاشية رقم ٩ (ص ١٣٣) . (٤) في بعض الأصول : «منصوب» . (٥) في بعض الأصول : «استشرف» .

٢٥ (٦) في بعض الأصول . «ما» . وما أثبتناه عن سائر الأصول والبيان (ج ٢ ص ٧١) ونهاية الأربع (ج ٧ ص ٢٥٥) .

حق مَنْعِه . أَصَابَهُ حِرَاما ، وَأَوْرَثَهُ عَدْوًا حَلَالًا ؛ فَأَحْتَمَلَ إِاصْرَه^(١) ، وَبَاءَ بُوزْرَه ، وَوَرَدَ عَلَى رَبِّهِ أَسْفًا لَهِفَا ، خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَة ، ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِين .

خطبة أَسْرَادَ بْنِ أَوْسِ الطَّائِي :

٥ حَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ ، يَا كُلُّ مِنْهَا الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ . أَلَا إِنَّ الْآخِرَةَ وَعْدٌ صَادِقٌ ، يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ قَادِرٌ . أَلَا إِنَّ الْخَيْرَ كُلُّهُ بِحَذَافِيرِهِ فِي الْجَنَّةِ ، أَلَا إِنَّ الشَّرَ كُلُّهُ بِحَذَافِيرِهِ فِي النَّارِ . فَاعْمَلُوا مَا عَلِمْتُمْ وَأَتْمِمْ فِي يَقِينٍ مِنَ اللَّهِ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَعْرُوضَةُ أَعْمَالِكُمْ عَلَى اللَّهِ ، (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ) ، وَغَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَكُمْ .

خطبة خالد بن عبد الله الفسيري :

١٠

صَعَدَ الْمِنْبَرُ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَهُوَ وَالِي مَكَّةَ فَذَكَرَ الْحِجَاجَ فَأَحْمَدَ^(٢) طَاعَتَهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ خَيْرًا . فَلَمَّا كَانَ فِي الْجَمْعَةِ الثَّانِيَةِ وَرَدَ عَلَيْهِ كِتَابُ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ يَأْمُرُهُ فِيهِ بِشَتْمِ الْحِجَاجِ وَذِكْرِ عَيْوبِهِ وَإِظْهَارِ الْبَرَاءَةِ مِنْهُ . فَصَعَدَ الْمِنْبَرُ فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : إِنَّ إِبْلِيسَ كَانَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَكَانَ يُظْهِرُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ مَا كَانَتِ الْمَلَائِكَةُ تَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ عِلِمَ مِنْ غِشِهِ وَخُبُثِهِ مَا خَفِيَ عَلَى مَلَائِكَتِهِ^(٣) ، فَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ فَضْيِحَتَهُ أَبْتَلَاهُ بِالشُّجُودِ لِأَدْمَمِهِ ، فَظَاهَرَ لَهُمْ مَا كَانُ يُخْفِيَ عَنْهُمْ ، فَلَعِنُوهُ ؛ وَإِنَّ الْحِجَاجَ كَانَ يُظْهِرُ مِنْ طَاعَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنَّا نَرَى لَهُ بِهِ فَضْلًا ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ أَطْلَعَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ غِشِهِ وَخُبُثِهِ عَلَى مَا خَفِيَ عَنَّا ، فَلَمَّا أَرَادَ فَضْيِحَتَهُ أَجْرَى ذَلِكَ عَلَى يَدِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، فَلَعِنُوهُ ، لَعْنَهُ اللَّهُ .

١٩٣
٢

خطبة طَسْبِبَ بْنِ الرَّزِّيْرِ :

٢٠

قَدِيمُ الْعِرَاقِ فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ ثُمَّ قَالَ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : (طَسِّيمُ ، تِلْكَ

(١) الإِاصْرُ : الذَّنْبُ . (٢) أَحْمَدَهَا : أَيُّ عَدْهَا مُحْمُودَةٌ مُرْضِيَّةٌ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « عَلَيْهَا » مَكَانٌ « عَلَى مَلَائِكَتِهِ » .

آياتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ، نَتَلُو عَلَيْكَ مِنْ نَبَأٍ مُّوْسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيمَعًا يَسْقَطُ ضِعِيفٌ طَائِفَةً مِّنْهُمْ ، يُذَبَّحَ أَبْنَاءُهُمْ وَيَسْتَحْيَيْنَ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) — وأشار بيده نحو الشام (ونَرِيدَ أَنْ نَمُونَ عَلَى الَّذِينَ أَسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُثْمَةً وَنَجْعَلَهُمْ الْوَارِثِينَ) — وأشار بيده نحو الحجاز — (وَنُمَكِّنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ) — وأشار بيده نحو العراق .

خطبة المنعمان بين بشير بالسکوفة :

قال : إِنِّي وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ مَثَلَكُمْ إِلَّا الضَّبْعَ وَالثَّعَابَ ، أَتَيْتُ الضَّبْعَ فِي جُحْرِهِ ، فَقَالَ : أَبَا حِسْنِ ؟ قَالَ : أَجَبْتُكَ ؟ قَالَ : جِئْنَاكَ نَخْتَصِمُ ؛ قَالَ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكْمَ ؛ قَاتَ الضَّبْعُ ؛ فَتَحَتَّ عَيْنِي ؛ قَالَ : فَعَلَ النِّسَاءَ فَعَلْتُ ؛ ١٠ قَاتَ : فَلَقْطَتُ تَمَرَّةً ؛ قَالَ : حُلُوًا أَجْتَنَيْتُ ؛ قَاتَ : فَأَخْتَطَفَهَا ثَعَالَةً ؛ قَالَ : لِنَفْسِهِ بَغَى الْخَيْرَ ؛ قَاتَ : فَلَطَمَتْهُ أَطْمَةً ؛ قَالَ : حَقًا قَضَيْتُ ؛ قَاتَ : فَلَطَمَنِي أُخْرَى ، قَالَ : كَانَ حُرًّا فَأَنْتَصَرَ ؛ قَاتَ : فَاقْضَى الْآنَ بِيَنَنَا ؛ قَالَ : حَدَّثَ أَمْرَأَ حَدِيثِيْنَ ، إِنَّ أَبَتْ فَأَرْبَعَ ، أَى أَسْكَتَ^(١) .

خطبة سَبِيبٍ بين سَمِيمَةَ :

قِيلَ لِبعضِ الْخُلُفَاءِ إِنَّ شَبَابَيْنَ بْنَ شَيْبَةَ يَسْتَعْمِلُ الْكَلَامَ وَيَسْتَعْدِلُهُ^(٢) ، فَإِنْ أَمْرَتَهُ أَنْ يَصْعَدَ الْمِنْبَرَ لِرَجُوتَ أَنْ يَفْتَضِحَ . قَالَ : فَأَمْرَ رَسُولًا فَأَخْذَ بِيَدِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَمْ يُفَارِقهُ حَتَّى صَعَدَ الْمِنْبَرَ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقَّ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَلَا إِنَّ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَشْبَاهًا أَرْبَعَةَ : الأَسَدَ الْخَادِرَ ، وَالْبَحْرَ الْزَّاخِرَ ، وَالْقَمَرَ الْبَاهِرَ ، وَالرَّبِيعَ الْفَاضِرَ . فَأَمَّا

(١) ويروى : فأربع ، بقطع المهمزة : أى إن لم تفهم فـ كرر القول أربع مرات .

(انظر اللسان مادة ربع وجمع الأمثال للميداني (ج ٢ ص ١٣) .

(٢) كذا في بعض الأصول . والذى في سائر الأصول : «ويستعده» . انظر الحاشية رقم (٤ و ٥ ص ١٣٨) من الجزء الثاني من هذه الطبعة .

الأسد الخادر ، فأشبّه منه صوّاته ومضاهاته ؛ وأما البحر الراخر ، فأشبّه منه جوده وعطاءه ؛ وأما القمر الباهر ، فأشبّه منه نوره وضياءه ؛ وأما الربيع الفاضل ، فأشبّه منه حُسنه وبهاءه ، ثم نَزَل [عن المنبر] وأنشأ يقول :

وَمَوْقِفٌ مِثْلٌ حَدَّ السَّيْفِ قَمْتُ بِهِ
أَحْمَى الدَّمَارِ وَرَمِيمَنِي بِهِ الْحَدَقُ
مَا زَلْقَتُ وَمَا أَلْقِيَتُ كَاذِبَةً
إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلَقُوا

خطبة لعبيدة بن أبي سفيان :

بلغه عن أهل مصر شيئاً فاغضبه ، فقام فيهم فقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه : يا أهل مصر ، إياكم أن تكونوا للسيف حصيداً ، فإن الله فيكم ذيحاً^(١) بعثمان ، أرجو أن يوليني الله نسكيه^(٢) . إن الله جمعكم بأمير المؤمنين بعد الفرقه ، فأعطي كل ذي حق حقه ، وكان والله أذكراً كبرى بخطة ، وأصف حكم بعد المقدرة عن حقه ؛ نعمة من الله فيكم ، ومنة^(٣) منه عليكم . وقد بلغنا عنكم نجوم قول^(٤) أظهره تقدم عفو مينا ، فلا تتصيروا إلى وحشة الباطل بعد أنس الحق ، بإحياء الفتن ، وإماتة الشين ، فأطأكم والله وطأة لا رمق معها ، حتى تُنكروا مني ما كُنتم تعرفون ، وتستخفوا ما كُنتم تستلینون ، وأنا ١٥ أشهد عليكم الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

وخطبة لعبيدة بن أبي سفيان :

يا حاملي الأمانوف رُكبت بين أعين ، إنما قَلَمَتْ أظفارى عنكم ليلينا
٢٩٤ مسني إياتكم ، ومسألكم صلاحكم إذ كان فسادكم راجعاً عليكم ، فأما إذ أتيتم
إلا الطعن على الولاة ، والتنقص للسلف ، فهو الله لا قطعن على ظهوركم بظواهركم
السياط ، فإن حسمت داءكم ، وإلا فالسيف من ورائكم . ولست أدخل عليكم ٢٠

(١) في بعض الأصول : « ذيحا » .

(٢) النسك : الدم .

(٣) أي بادرة من كلام .

(٤) في بعض الأصول : « نعمة » .

بِالْعَقُوبَةِ إِذَا جُدْتُمْ لَنَا بِالْمَعْصِيَةِ، وَلَا أَوْيِسْكُمْ مِنْ مُرَاجِعَةِ الْحُسْنِيِّ إِنْ صِرْتُمْ إِلَى
الَّتِي هِيَ أَبْرَأُ وَأَتَقِيٌّ^(١).

وَهُطْبَيْهُ لِعَقْبَيْهِ بْنِ أَبِي سَفِيَّا:

لَمَّا أَشْتَكَ شَكَانَةَ الَّتِي ماتَ فِيهَا تَحَامِلَ إِلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ: يَأْهُلُ مِصْرَ،
لَا غَنَى عَنِ الرَّبِّ، وَلَا مَهْرَبٌ مِنْ ذَنْبٍ: إِنَّهُ قَدْ تَقْدَمَتْ مِنْ إِلَيْكُمْ عُقُوبَاتُ
كُنْتَ أَرْجُو يَوْمَئِذِ الْأَجْرَ فِيهَا، وَأَنَا أَخَافُ الْيَوْمَ الْوَزْرُ مِنْهَا، فَلِيَتَنِي لَا أَكُونُ
أَخْتَرُ دُنْيَايِّ عَلَى مَعَادِي، فَأَصْلَاحَتُكُمْ بِفَسَادِي. وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ، وَأَتُوبُ
إِلَيْهِ فِيمَكُمْ؛ فَقَدْ خَفِتُ مَا كُنْتُ أَرْجُو نَفْعًا عَلَيْهِ، وَرَجُوتُ مَا كُنْتُ أَخَافُ
أَغْتِيَالًا^(٢) بِهِ، وَقَدْ شَقِّيَ مَنْ هَلَكَ بَيْنَ رَحْمَةِ اللَّهِ وَعُقُوبَتِهِ^(٣)، وَالسَّلَامُ عَلَيْكُمْ
سَلَامٌ مِنْ لَا تَرَوْنَهُ عَانِدًا إِلَيْكُمْ. قَالَ: فَلِمَ يَعْدُ.

وَهُطْبَيْهُ لِعَقْبَيْهِ:

الْعُقَبَى: قَالَ سَعْدُ الْقَصْرِ^(٤): أَحْتَبَسْتُ عَنَّا كُتُبُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ
حَتَّى أَرْجَفْ أَهْلَ مِصْرَ بِمُوْتِهِ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْنَا كِتَابُهُ بِسَلَامَتِهِ، فَصَعَدَ عُقَبَةُ الْمِنْبَرِ
وَالْكِتَابُ فِي يَدِهِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: يَأْهُلُ مِصْرَ، قَدْ طَالَتْ
مُعَايِبُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ الرِّمَاحِ، وَظُبَّاتِ الشَّيْوِفِ، حَتَّى صِرَنَا شَجَّى
فِي لَهَوَاتِكُمْ^(٥) مَا تُسِيغُهُ حُلُوقُكُمْ، وَأَقْذَاءُ فِي أَعْيُنِكُمْ مَا تَطْرُفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ.
أَخِينَ أَشَدَّتَ عُرَى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا، وَأَسْتَرْخَتْ عُقَدَ الْبَاطِلِ عَنْكُمْ حَلَّاً،
أَرْجَفْتُمُ الْخَلِيفَةَ، وَأَرَدْتُمُ تَهْوِينَ الْخِلَافَةَ، وَخُضْتُمُ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَأَقْدَمْ

(١) انظر *الكامل للبرد* (ص ٧٨٣ طبعة أوربة) والأمالى (ج ١ ص ٢٤٥)
وصبح الأعشى (ج ١ ص ٢١٦). في بين النصوص خلاف.

(٢) فَى: «اعقباطاً». يقال: اعتبيط الذبيحة، إذا تحررها من غير علة.

(٣) في بعض الأصول: «وعفوه».

(٤) كذا في *الكامل والمعرف*. والذى في سائر الأصول: «القصير».

(٥) في بعض الأصول: «لهاماً». وما أثبتناه عن سائر الأصول وعيون الأخبار
(ج ٢ ص ٢٣٩).

عَهْدِكُمْ بِهِ حَدِيثٌ : فَأَرْجُو أَنفُسَكُمْ إِذْ خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ ، فَهَذَا كِتَابٌ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
بِالْخَبَرِ السَّارِ عنْهُ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ ، وَأَعْلَمُوا أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَبْدَانِكُمْ دُونَ
قُلُوبِكُمْ ، فَأَصْلِحُوا لِغَايَا مَظَاهِرَ وَنَكَالَكُمْ إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَطَنُ ، وَأَظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنَّ
أَضْمَرْتُمْ شَرًّا ؛ فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنْتُمْ زَارُعُونَ ، وَعَلَى اللَّهِ أَتُوكِلُ وَبِهِ أَسْتَعِينَ .

٥ ثم نزل .

وَهُطْبَةُ اعْتِبَةٍ فِي الْمَوْسِمِ :

سعد القصر^(١) مولى عتبة بن أبي سفيان قال : دفع عتبة بن أبي سفيان
بِالْمَوْسِمِ سَنَةً إِحْدَى وَأَرْبَعينَ ، وَالنَّاسُ حَدِيثُ عَهْدِهِمْ بِالْفِتْنَةِ ، فَقَالَ بَعْدَ أَنْ حَدَّ
اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ : إِنَّا قَدْ وَلَيْنَا هَذَا الْمَقَامَ الَّذِي يَضَعِفُ اللَّهَ فِيهِ الْمُحْسِنِينَ الْأَجْرَ ،
وَالْمُسْيَئِينَ الْوِزْرَ ، وَنَحْنُ أَعْلَى طَرِيقِ مَا قَصَدْنَا لَهُ ؛ فَلَا تَمْدُوا الْأَعْنَاقَ إِلَى غَيْرِنَا ،
فَإِنَّهَا تَنْقُطُعُ مِنْ دُونِنَا ، وَرُبَّ مُؤْمِنٍ ، حَتَّى هُوَ فِي أَمْنِيَّتِهِ . أَقْبَلُونَا^(٢) مَا قَبَلْنَا الْعَافِيَّةَ
فِيهِمْ وَقَبَلْنَا هَا مِنْكُمْ ، وَإِيَّاكمْ وَلَوْ ، فَإِنَّ لَوْ قَدْ أَتَعْبَتْ مَنْ قَبَلَكُمْ وَلَمْ تُرْحَ مَنْ
بَعْدَكُمْ ، فَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُعِينَ كُلَّاً عَلَى كُلِّ .

فَنَادَاهُ أَعْرَابِيٌّ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ : أَيْهَا الْخَلِيفَةُ ، قَالَ : لَسْتُ بِهِ وَلَمْ تُبَعِّدْ
[١٥] فَقَالَ : يَا أَخَاهُ ؟ فَقَالَ [] : سَمِعْتُ فَقْلَ ؟ فَقَالَ : وَاللَّهِ لَأَنْ تُحْسِنُوا وَقَدْ أَسْأَلْنَا خَيْرَ
لَكُمْ مِنْ أَنْ تُسْيِئُوا وَقَدْ أَحْسَنْنَا ، فَإِنْ كَانَ الْإِحْسَانُ لَكُمْ فَهَا أَحْقَاكُمْ بِالْسَّقْمَاءِ ،
وَإِنْ كَانَ لَنَا فَهَا أَحْقَاكُمْ بِمُكَافَأَتِنَا ؛ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ بْنِ صَفَصَةَ يَتَلَقَّاكُمْ
بِالْعُومَةِ ، وَيَخْتَصُ إِلَيْكُمْ بِالْخُوْلَةِ ، وَقَدْ كَثُرَ عِيلَهُ ، وَوَطَئَهُ زَمَانُهُ ، [وَبِهِ فَقْرٌ] ،
وَفِيهِ أَجْرٌ ، وَعِنْدَهُ شَكَرٌ . فَقَالَ عَتَبَةُ : أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكُمْ ، وَأَسْأَلُهُ الْعُونَ عَلَيْكُمْ ،
وَقَدْ أَمْرَتُ لَكَ بِغَفَارِكَ ، فَلَمِّا إِسْرَاعَنَا إِلَيْكَ يَقُومُ بِإِبْطَائِنَا عَنْكَ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ هُنَا : « الْقَصِيرُ ». وَانْظُرْ الْحَاشِيَةَ (رَقْمُ ٤ صِ ١٣٨) .

(٢) فِي الْأَمْالِيِّ (ج ١ ص ٢٣٨) : « فَاقْبَلُوا الْعَافِيَّةَ مَا قَبَلْنَا هَا فِيهِمْ » .

وَهُطْبَةُ لِعْقَبَةَ بْنَ أَبِي سَفِيَّا:

سَعْدُ الْقَصْرِ^(١) قَالَ: وَجَهَ عُقْبَةُ بْنُ أَبِي سُفِيَّانَ ابْنَ أَخِي^(٢) أَبِي الْأَعْوَرِ الشَّلْمَى إِلَى مِصْرَ، فَنَعْوَهُ الْخَرَاجَ، فَقَدِمَ عَلَيْهِ عُقْبَةُ فَقَامَ خَطِيبًا فَقَالَ: يَا أَهْلَ مِصْرَ، قَدْ كُنْتُمْ تَعْتَذِرُونَ لِبَعْضِ الْمَنْعِ مِنْكُمْ بِبَعْضِ الْجُوْرِ عَلَيْكُمْ، فَقَدْ وَلَيْكُمْ مَنْ يَقُولُ وَيَفْعُلُ، وَيَفْعُلُ وَيَقُولُ^(٣)، إِنَّ رَدَّكُمْ رَدَّكُمْ بِيَدِهِ، وَإِنَّ اسْتَهْبَتِكُمْ رَدَّكُمْ^(٤) بِسَيْفِهِ، ثُمَّ رَجَى فِي الْآخِرِ مَا أَمْلَى فِي الْأُولَى. إِنَّ الْبَيْعَةَ مُشَابِعَة^(٥)، فَلَمَّا عَلَيْكُمْ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ، وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَدْلُ، فَإِنَّا غَدَرْ فَلَا ذِمَّةَ لَهُ عِنْدَ صَاحِبِهِ، وَاللَّهُ مَا انْطَلَقَتْ بِهَا أَسْنَتُنَا حَتَّى عَقَدْتُ عَلَيْهَا قَلْوَبُنَا، وَلَا طَلَبَنَا هَا مِنْكُمْ حَتَّى بَذَلَنَا هَا لَكُمْ نَاجِزًا بِنَاجِزٍ، وَمَنْ حَدَّرَ كَمْ بَشَّرَ . قَالَ: فَنَادُوهُ^(٦): سَمِعْنا وَطَاعَةً، فَنَادَاهُمْ عَدْلًا عَدْلًا.

وَهُطْبَةُ لِعْقَبَةَ:

قَدِمَ كِتَابُ مَعاوِيَةَ إِلَى عُقْبَةَ بِمِصْرَ: إِنَّ قَبْلَكُمْ قَوْمًا يَطْعَنُونَ عَلَى الْوُلَاةِ، وَيَعِيَّبُونَ السَّلْفَ . فَخَطَّبُهُمْ فَقَالُوا: يَا أَهْلَ مِصْرَ، خَفْ عَلَى أَسْنَتِكُمْ مَدْحُ^(٧) الْحَقِّ وَلَا تَفْعَلُونَهُ، وَذَمَّ الْبَاطِلَ وَأَتَمْ تَأْتِونَهُ، كَالْجَمَارِ يَحْمُلُ أَسْفَارًا، أَثْقَلَهَا حَمْلَهَا، وَلَمْ يَنْفَعْهُ عِلْمُهَا^(٨)، وَإِنَّ اللَّهَ لَا أَدْأُوكُمْ بِالسَّيْفِ مَا صَلَحْتُمْ عَلَى السَّوْطِ، وَلَا أَبْلُغُ بِالسَّوْطِ مَا كَفَتَنِي الدُّرَّةُ، وَلَا أَبْطِئُ عَنِ الْأُولَى مَا لَمْ تُسْرِعُوا إِلَى الْآخِرِيِّ، فَالْأَزْمُو مَا أَمْرَكَ اللَّهُ بِهِ تَسْتَوْجِبُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْنَا، وَإِنَّا كُمْ

(١) قِيلَ بِعُضِ الأَصْوَلِ: «القصير». وَانْظُرُ الْحَاشِيَةَ (رَقْمُ ٤ صِ ١٣٨).

(٢) فِي الْكَنْدِيِّ: ابْنُ أَخِتِهِ. (٣) أَيْ أَنَّ شَجَاعَ لَا يَخْشَى عَاقِبَةَ مَا يَفْعُلُ.

(٤) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: «تَرَادِكُمْ».

(٥) كَذَا فِي . وَالْمُشَابِعَةُ: الْمَتَابِعَةُ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الأَصْوَلِ: «مَتَابِعَةُ صَوَابِهَا».

(٦) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: «قَنَادِةُ» مَكَانٌ «فَنَادُوهُ».

(٧) فِي الأَصْوَلِ: «صَدْعٌ» . وَمَا أَثْبَتَنَا عَنِ عَيْنِ الْأَخْبَارِ (جِ ٢ صِ ٢٣٩).

وَأَسْدَ الْغَافِيَةِ (جِ ١٣ صِ ٣٦١).

(٨) فِي الأَصْوَلِ: «نَقْلَهَا» . وَمَا أَثْبَتَنَا عَنِ عَيْنِ الْأَخْبَارِ وَأَسْدَ الْغَافِيَةِ .

وقال ويقول ، قبل أن يُقال فعل ويفعل ، وكونوا خير قوسٍ سهمًا ، فهذا اليوم الذي ليس قبله عِقاب ، ولا بعده عِقاب .

خطب الخوارج

^(١) خطبة لقطرى بن الفجاءة في ذم الدنيا :

صَعِدَ قَطْرَى بْنُ الْفُجَاءَةَ مِنْ بَرِّ الْأَزْرَقَةِ ، وَهُوَ أَحَدُ بْنَيْ مَاذَنَ بْنَ عُمَرَ بْنِ تَعْمِىمٍ ، فَخَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : أَمَا بَعْدُ ، إِنِّي أَحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا ، فَإِنَّهَا حُلُوةٌ حَضِرَةٌ ، حُفْتَ بِالشَّهَوَاتِ ، وَرَاقَتْ بِالقليلِ ، وَتَحَبَّبَتْ بِالعَاجِلَةِ ، وَغُمِرَتْ بِالآمَالِ ، وَتَحَلَّتْ بِالْأَمَانِيِّ ، وَأَزْيَّنَتْ بِالْفُرُورِ ، لَا تَدُومُ حُضُورُهَا ، وَلَا تُؤْمِنُ فَجْعَتْهَا ، غَدَارَةٌ ضَرَّارَةٌ ، وَحَائِلَةٌ زَائِلَةٌ ، وَنَافِدَةٌ بَائِدَةٌ ، لَا تَعْدُو إِذَا هِيَ تَنَاهَتْ إِلَى أَمْنِيَّةٍ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرَّضَا عَنْهَا أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (كَمَّا أَنْزَلَنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلطَتْ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذَرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا) . معَ أَنَّ أَمْرًا لَمْ يَكُنْ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً ، وَلَمْ يَلْقَ مِنْ سَرَائِهَا بَطْنًا إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَائِهَا ظَهَرًا ، وَلَمْ تَطْلُلْهُ مِنْهَا دِيمَةً رَخَاءً ، إِلَّا هَطَّلَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةٌ بَلَاءً ; وَحَرَى إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُمْتَصَرَّةً أَنْ تُمْسِي لَهُ خَادِلَةً مُّتَّهَّـكَرَةً ، وَإِنْ جَانِبَ مِنْهَا أَعْذُوذُبُ وَأَحْلُولُ ، أَمْرٌ عَلَيْهِ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبِي ، وَإِنْ لَمِسْ أَمْرٌ مِنْ غَضَارَتِهَا وَرَفَاهِيَّتِهَا نِعْمًا ، أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَابِهَا غَمْمًا ،

(١) جاءت هذه الخطبة في شرح نهج البلاغة (ج ٢ ص ٢٤٢) بين خطب الإمام على كرم الله وجهه ، وقال ابن أبي الحديد في التعليق عليها : « وهذه الخطبة ذكرها شيخنا أبو عثمان الجاحظ في البيان والتبيين ، ورواهما لقطرى بن الفجاءة ، والناس يروونها لأمير المؤمنين عليه السلام . وقد رأيتها في كتاب المونق لأبي عبد الله المرزباني مروية لأمير المؤمنين عليه السلام ، وهي بكلام أمير المؤمنين أشبهه . وليس يبعد عندي أن يكون قطرى قد خطب بها بعد أن أخذها عن بعض أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، فإن الخوارج كانوا أصحابه وأنصاره ، وقد لق قطرى أكثراً . »

ولم يُمْسِي أمرُه منها في جناح أمن ، إلا أصبح منها على قوادم خوف . غرارة
غُرُور ما فيها ، فانية فإن ما عليها ، لا خير في شيء من زادها إلا التقوى ، مَن
أقلَّ منها أستكثَر مما يُؤمِنَه ، ومن استكثَر منها^(١) استكثَر مما يُوبِقُه . كم واثق
بها قد فَجَعَتْه ، وذى طَمَانِيَّةٍ إِلَيْهَا قد صَرَعَتْه ، وكم من [ذى] اختيال^(٢) فيها
قد خَدَعَه ، وكم [من] ذى أَبْهَةٍ فيها قد صَيَّرَه حَقِيرًا ، وذى نَخْوَةٍ فيها قد رَدَه
ذليلاً ، وذى تاجٍ قد كَبَّتْه للبيدين والفهم . سُلْطانها دُولٌ ، وعيشهما رُنْقٌ ،
وعذبُها أَجَاجٌ ، وحُلُوُّها مُرٌّ ، وغِذَاوَهَا سِمَامٌ ، وأسْبابُها رِمَامٌ^(٣) ، وقطافُها
سَلَعٌ^(٤) . حَيَّهَا بَعْرَضُ مَوْتٍ ، وَصَحِيَّهَا بَعْرَضُ سُقُمٍ ، وَمَنْيَهَا بَعْرَضُ اهْتِضَامٍ .
مَلِيكُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَنْ يَرْزَهَا مَفْلُوبٌ ، وَصَحِيَّهَا وَسَلِيمُهَا مَفْكُوبٌ ، وَحَازِهَا^(٥)
وَجَاهُهَا مَحْرُوبٌ ، مع أَنَّ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ وَزَفَرَاتِهِ ، وَهُوَلُ الْمُطْلَعِ ،
والْوُقُوفُ بَيْنَ يَدَيِ الْحَكْمِ الْعَدْلِ ، لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ
الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى . الْسُّتُّمُ فِي مَسَاكِنِكُمْ أَطْلُوْلَ أَعْمَارًا ، وَأَوْضَحَ
آثَارًا ، وَأَعْدَّ عَدِيدًا ، وَأَكْثَفَ جُنُودًا ، وَأَعْتَدَ عَتَادًا ، وَأَطْلُوْلَ عِمَادًا ! تُعَبِّدُوا
لِلَّدْنِيَا أَىَّ تَعْبِدُ ، وَآثُرُوهَا أَىَّ إِيَّا ، وَظَعَنُوا عَنْهَا بِالْكُرْهِ وَالصَّغَارِ ! فَهُلْ
بَلَّغْتُمْ أَنَّ الدُّنْيَا سَمَحَتْ لَهُمْ نَفْسًا بِفِدْيَيَةٍ ، وَأَغْنَتْهُمْ فِيهَا قَدْ أَمْلَأْتُهُمْ
بِهِ بِخَطْبٍ^(٦) ! بل أَثْقَلْتُهُمْ^(٧) بِالْفَوَادِحِ ، وَضَعَضَعَتْهُمْ بِالنَّوَابِ ، وَعَفَرَتْهُمْ
الْمَنَاخِرِ ، وَأَعْنَتْ عَلَيْهِمْ رَبِيبَ الْمَنَونِ ، وَأَرْهَقَتْهُمْ بِالْمَصَابِ . وَقَدْ رَأَيْتَمْ تَنَكُّرَهَا
لِمَنْ دَانَ لَهَا وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ إِلَيْهَا ، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبْدِ ، إِلَى آخرِ
الْأَمْدِ . هَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا الشَّقَاءَ ، وَأَحْلَلَتْهُمْ إِلَّا الضُّنكَ ، أَوْ نَوَرَتْهُمْ إِلَّا

(١) في بعض الأصول بعد قوله « منها » : « لم يدم له وزال عما قليل منه ما استكثَر

... الخ ». وانظر البيان والتبيين (ج ٢ ص ٦٣) وصبح الأعشى (ج ١ ص

٢٢٣) وعيون الأخبار (ج ٢ ص ٢٥٠ ونهاية الأربع ج ٧ ص ٢٥٠)، في حين

النصوص خلاف . (٢) في بعض الأصول : « وكم من اختلال بها » .

(٣) رِمَام : بالية . (٤) السَّلَعُ : شجر مرس ، وهو أيضا ضرب من الصبر .

(٥) في بعض الأصول : « وجارها ». (٦) في بعض الأصول : « وأرهقهم » .

(٧) في بعض الأصول : « بخطب بمحيلة » .

بالظلمة ، وأعْقَبُهُمْ إِلَى النَّدَامَةِ ! أَفَهُذِهِ تُؤْثِرُونَ ، أَوْ عَلَى هَذِهِ تَحْرِصُونَ ، أَوْ
إِلَيْهَا تَطَمِّنُونَ ! يَقُولُ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى : (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا
وَزَيَّنَتْهَا نُوفَّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسُ لَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِيطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) . فَبَيْسَتَ
الْدَّارَ لِمَنْ لَمْ يَتَهَمِّهَا^(١) ، وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجْلِ مِنْهَا . أَعْلَمُوا ، وَأَتَمْ تَعْلَمُونَ ، أَنْكُمْ
تَارِكُوهَا لَا بُدًّ ، فَإِنَّمَا هِيَ كَا نَعَتَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : (لَعْبٌ وَلَهُ زَرْ وَزِينَةٌ وَتَفَارِخٌ
بِدِنْكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُوْلَادِ) فَأَتَعْظِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ [قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ] :
(أَتَبْدَنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ . وَتَتَخَذِّدُونَ مَصَانِعَ لَعْلَكُمْ تَخْلُدُونَ) وَبِالَّذِينَ
قَالُوا : (مَنْ أَشَدُّ مِنَاقِوَةً) . وَأَتَعْظِظُوا بِنَرَأِيْتُمْ مِنْ إِخْوَانَكُمْ كَيْفَ حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ ،
فَلَا يُدْعُونَ رُكْبَانًا ، وَأَنْزَلُوا الْأَجْدَاثَ فَلَا يُدْعُونَ ضِيفًا ، وَجُعِلُوا لَهُمْ مِنَ الْضَّرِّ
أَكْفَانًا ، وَمِنَ التَّرَابِ أَكْفَانًا ، وَمِنَ الرُّثَافَاتِ جِيرَانًا ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُحِبِّبُونَ
دَاعِيَّا ، وَلَا يَخْنَعُونَ ضَيْمًا . إِنَّ أَخْصَاصَ بِوَالِمَ يَفْرَحُوا ، وَإِنْ قَحَطُوا لَمْ يَقْنَطُوا ،
جَمْعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، جِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ ، مُتَنَاهُونَ يُزَارُونَ وَلَا يُزورُونَ^(٢) ، حُلْماءٌ قَدْ
ذَهَبَتْ أَصْغَانُهُمْ ، وَجَهَلَاءٌ^(٣) قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ ، لَا يُخْشَى فِي جَهَنَّمْ ، وَلَا يُرْجَى
دَفَعَهُمْ ، وَهُمْ كَمْ لَمْ يَكُنْ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (فَقِتَلَكُمْ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ
بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنْتُمْ نَحْنُ الْوَارِثُينَ) . أَسْتَبِدُوا بِظُهُرِ الْأَرْضِ بَطْنًا ، وَبِالسَّعَةِ
ضِيقًا ، وَبِالْأَلْ غُرْبَةً ، وَبِالثُّورِ ظُلْمَةً ، بُخَاءُهَا حُفَّةً عُرَا فُرَادَى ، غَيْرَ أَنْ
ظَعَنُوا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ ، إِلَى خُلُودِ الْأَبْدِ . يَقُولُ اللَّهُ تَبارَكَ وَتَعَالَى :
(كَمْ بَدَأْنَا أَوْلَ خَلْقَ نُعِيَّدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) . فَأَحْذَرُوا مَا حَذَرَ كَمْ
الَّهُ ، وَأَنْتَفُوا بِمَا عَظَهُ ، وَأَعْتَصَمُوا بِحَجَنِهِ ، عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتُهُ ، وَرَزَقَنَا
وَإِيَّاكُمْ أَدَاءَ حَقَّهُ ، ثُمَّ نَزَلَ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « لَمْ يَتَهَمِّهَا » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « لَا يُزَارُونَ وَلَا يُزورُونَ » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « جِبَنَاءَ » .

خطبة لأبي حمزة بمكة :

خطبهم أبو حمزة الشارى بمكة . فصعد المنبر متوكلاً على قومه عربية ، فخطب خطبة طويلة ، ثم قال : يأهل مكة ، تعيرونني بأصحابي ، تزعمون أنهم شباب ، وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً ! نعم الشباب مُكلّه لين ، عميمـة عن الشر أعيـنـهم ، بطيـة عن الباطـل أزـجـلـهـم . قد نظر الله إليـهمـ في آنـاءـ الـلـيـلـ مـفـتـنـيـةـ أـصـلـاهـمـ بـمـشـانـيـ القرآنـ ، إـذـاـ مـرـ أحـدـهـمـ بـآيـةـ فـيـهاـ ذـكـرـ الجـنـةـ بـكـيـ شـوـقـاـ إـلـيـهاـ ، وـإـذـاـ مـرـ بـآيـةـ فـيـهاـ ذـكـرـ النـارـ شـهـقـ شـهـقـةـ كـأـنـ زـفـيرـ جـهـنـمـ فـيـ أـذـنـيهـ . قد وـضـلـواـ كـلـالـ لـيـلـهـمـ بـكـلـالـ نـهـارـهـمـ ، أـنـضـاءـ عـبـادـةـ ، قد أـكـلـتـ الأرضـ جـبـاهـمـ وـأـيـدـاهـمـ وـرـكـبـهـمـ . مـضـفـرـةـ أـلـوـانـهـمـ ، نـاحـلـةـ أـجـسـامـهـمـ ، منـ كـثـرـةـ السـيـامـ ، وـطـوـلـ الـقـيـامـ ، مـسـتـقـلـونـ لـذـلـكـ فـيـ جـنـبـ اللهـ ، مـوـفـونـ بـعـهـدـ اللهـ ، مـسـتـجـزـونـ لـوـعـدـ اللهـ . إـذـاـ رـأـواـ سـهـامـ الـعـدـوـ قدـ فـوـقـتـ ، وـرـمـاـهـ قدـ أـشـرـعـتـ ، وـسـيـوـفـهـ قدـ أـنـتـصـرـتـ ، وـبـرـقـتـ السـكـتـيـةـ وـرـعـدـتـ بـصـوـاعـقـ الـمـوـتـ ، أـسـتـهـانـواـ بـوـعـيدـ الـسـكـتـيـةـ لـوـعـدـ اللهـ ، فـضـىـ الشـابـ مـنـهـمـ قـدـمـاـ حـتـىـ تـخـتـلـفـ رـجـلـاهـ عـلـىـ عـنـقـ فـرـسـهـ ، قـدـ رـمـلـاتـ (١) مـحـاسـنـ وـجـهـهـ بـالـدـمـاءـ ، وـعـفـرـ جـبـيـنـهـ بـالـثـرـىـ ، وـأـسـرـعـ إـلـيـهـ سـيـمـاعـ الـأـرـضـ ، وـأـنـحـطـتـ عـلـيـهـ طـيـرـ السـيـامـ . فـكـمـ مـنـ مـقـلـةـ فـيـ مـنـقـارـ طـائـرـ ، طـالـماـ بـكـيـ صـاحـبـهـاـ مـنـ خـشـيـةـ اللهـ ؛ وـكـمـ مـنـ كـفـيـ باـنـتـ عـنـ مـغـصـمـهـاـ ، طـالـماـ أـعـتمـدـ عـلـيـهاـ صـاحـبـهـاـ فـيـ سـجـودـهـ ؛ وـكـمـ مـنـ خـدـ عـتـيقـ ، وـجـبـيـنـ رـقـيقـ ، قـدـ فـلـقـ بـعـمـدـ الـحـدـيدـ . رـحـمـةـ اللهـ عـلـىـ تـلـكـ الـأـبـدـانـ ، وـأـدـخـلـ أـرـواـحـهـاـ فـيـ الـجـنـانـ . ثـمـ قـالـ : النـاسـ مـنـاـ وـنـحنـ مـنـهـمـ إـلـاـ عـابـدـ وـشـنـ ، أـوـ كـفـرـةـ أـهـلـ السـكـنـابـ ، أـوـ إـمامـاـ جـائزـاـ ، أـوـ شـادـاـ عـلـىـ عـضـدـهـ (٢) .

خطبة لأبي حمزة بالمدينتـهـ :

قال مالك بن أنس رحمـهـ اللهـ : خـطـبـنـاـ أـبـوـ حـمـزـهـ خـطـبـةـ شـكـكـ فـيـهـاـ الـمـسـبـصـرـ

(١) رملـاتـ : اـطـختـ ، بـالـبـنـاءـ لـمـجـهـولـ فـيـهـاـ .

(٢) أـىـ مـعـيـنـاـ هـذـاـ الـحـاـكـمـ الـجـائـرـ . يـقـالـ : شـدـ فـلـانـ عـلـىـ يـدـ فـلـانـ ، أـىـ قـوـاهـ وـأـعـانـهـ .

وردت المُرتاب ، قال : أوصيكم بتقوى الله وطاعته ، والعمل بكتابه وسنته نبيه
 صلى الله عليه وسلم ، وصلة الرحم ، وتعظيم ما صَفَرَتْ الجمارة من حق الله ،
 وتصحِير ما عَظَمَتْ من الباطل ، وإماتة ما أحْيَا من الجَوْرِ ، وإحياء ما أَمَاتُوا
 من الحقوق ، وأن يُطاع الله ويُعصى العباد في طاعته ، فالطاعة لله^(١) ولأهل
 طاعة الله ، ولا طاعة لخلق في معصية الخالق . ندعوك إلى كتاب الله وسنته
 نبيه ، والقسم بالسوية ، والعدل في الرعية ، ووضع الأخلاص في مواضعها التي
 أمر الله بها . وإنما والله ما خرجنا أشرأ ولا بطرًا ولا لهوًّا ولا لعبا ، ولا للدولة
 مُلْكٌ نريد أن نخوض فيه ، ولا لشأن قد نَيَلَ منا ؛ ولكن لما رأينا الأرض قد
 أظلمت ، ومعالم الجَوْر قد ظهرت ، وكثير الأدلة في الدين ، وعمل بالهوى ،
 ١٠ وعطلت الأحكام ، وقتل القائم بالقسط ، وعذف القائل بالحق ، وسمعنا مناديا
 ينادي إلى الحق وإلى طريق مُستقيم ، فأجبنا داعي الله^(٢) ، فأقبلنا من قبائل
 شَتَّى ، قليلين مُسْتَضْعَفين في الأرض ، فآوانا الله وأيدَنَا بنصره ، فأصبحنا بنعمته
 إخوانا ، وعلى الدين أعوانا . يأهل المدينة ، أولكم خير أول ، وأخركم شر آخر ،
 إنكم أطعتم قراءكم وفقهاءكم فأخْتَانُوك عن كتاب غير ذي عوج ، بتاويل
 ١٥ الجاهلين ، وأنتحال المُبَطَّلين ، فأصبحتم عن الحق ناكبين ، أمواتاً غير أحياء
 وما تَشَعرون . يأهل المدينة ، يا بناء المهاجرين والأنصار والذين أتبعوهم بإحسان ،
 ما أصح أصلَكم ، وأسقم فرعَكم ! كان آباءكم أهل اليقين وأهل المعرفة بالدين ،
 والبصائر النافذة ، والقلوب الوعية ، وأتمم أهل الضلال والجهالة ، استعبدتم
 الدنيا فإذا تُركم ، والأمانى فأضللتكم ، ففتح الله لكم باب الدين فأفسدتموه ،
 ٢٠ وأغلق عنكم باب الدنيا ففتحت حتموه ، سرّاع إلى الفتنة ، بطأء عن الشَّرْة ،

(١) في بعض الأصول : «للعباد» . وهو تحريف . وانظر الطبرى والأغاثى (ج ٢٠ ص ١٠٤) وشرح نهج البلاغة (ج ١ ص ٤٥٨) فبين النصوص خلاف .

(٢) زيد في بعض الأصول : بعد قوله «الله» كلية «الآية» . يريد قوله تعالى : (ومن لا يحب داعي الله فليس بمعجز في الأرض) .

عُنْمَىٰ عَنِ الْبُرْهَانِ ، صُمُّ عَنِ الْعِزْفَانِ ، عَبَيْدُ الطَّمْعِ ، حُلْفَاءُ الْجَزَاعِ . نَعْمَ
مَا وَرَثْتُكُمْ آبَاؤُكُمْ لَوْحَفَظْتُمُوهُ ، وَبَدَسْ مَا تُورَثُونَ أَبْنَاءُكُمْ إِنْ تَمَسَّكُوا بِهِ . نَصْرَ
اللَّهِ آبَاءُكُمْ عَلَى الْحَقِّ ، وَخَذَلَكُمْ عَلَى الْبَاطِلِ . كَانَ عَدْدُ آبَائِكُمْ قَلِيلًا طَيِّبًا ، وَعَدْدُكُمْ
كَثِيرٌ خَيِّثٌ . أَتَبْعَثُمُ الْهَوَى فَأَرْدَأُكُمْ ، وَاللَّهُو فَأَسْهَبَكُمْ ، وَمَوَاعِظُ الْقُرْآنِ
تُزَجِّرُكُمْ فَلَا تَرْدِجُونَ ، وَتُعَبِّرُكُمْ فَلَا تَعْتَبُرُونَ . سَأْلَنَاكُمْ عَنْ وُلَاتِكُمْ هُؤُلَاءِ
وَقُلْتُمْ : وَاللَّهِ مَا فِيهِمُ الذِّي يَعْدُلُ^(١) ، أَخْذُوا الْمَالَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ فَوُضُعُوهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ ،
وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، وَأَسْتَأْثَرُوا بِفَيْدَنَا فَجَعَلُوهُ دُولَةً
بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ ، وَجَعَلُوا مَقَاسِمَنَا وَحْقَوْقَنَا فِي مُهُورِ النِّسَاءِ ، وَفُرُوجِ الْإِمَاءِ .
وَقُلْنَا لَكُمْ تَعَالَوْا إِلَى هُؤُلَاءِ الَّذِينَ ظَلَمُونَا وَظَلَمُوكُمْ وَجَارُوا فِي الْحُكْمِ فَحَكَمُوا
بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ؛ فَقُلْتُمْ لَا نَقْوَى عَلَى ذَلِكَ ، وَوَدِّدْنَا أَنَا أَصْبَدَنَا مَنْ يَكْفِيْنَا ؛ فَقُلْنَا :
١٠ نَحْنُ نَكْفِيْكُمْ ، ثُمَّ اللَّهُ رَاعٍ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ ، إِنْ ظَفَرْنَا لِنُعْطِيْنَ كُلَّ دِيْرَ حَقَّهُ .
٢ فَجَبَّشَنَا فَأَتَقْيَنَا الرَّمَاحَ بِصُدُورِنَا ، وَالشَّيْوَفَ بِوُجُوهِنَا ، فَعَرَضْتُمْ لَنَا دُونَهُمْ ،
وَقَاتَلْتُمُونَا ، فَأَبْعَدْتُمُ اللَّهَ ! فَوَاللَّهِ لَوْ قُلْتُمْ لَا نَعْرِفُ الدَّى تَقُولُ وَلَا نَعْلَمُهُ لَكَانَ
أَعْذَرَ ، مَعَ أَنَّهُ لَا عُذْرٌ لِلْجَاهِلِ ؛ وَلَكِنْ أَبْيَ اللَّهِ إِلَّا أَنْ يَنْطَقَ بِالْحَقِّ عَلَى
١٥ أَسْنَتُكُمْ وَيَأْخُذُكُمْ بِهِ فِي الْآخِرَةِ . ثُمَّ قَالَ : النَّاسُ مَنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ إِلَّا ثَلَاثَةٌ :
حَاكَّا جَاءَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ، أَوْ مُتَبَعًا لَهُ ، أَوْ رَاضِيًّا بِعَمَلِهِ .

أَسْقَطْنَا مِنْ هَذِهِ الْخُطْبَةِ مَا كَانَ مِنْ طَعْنَهُ عَلَى الْخُلُفَاءِ ؛ فَإِنَّهُ طَعنٌ فِيهَا عَلَى
عُثْمَانَ وَعَلَىَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، رَضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمَا ، وَعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ . وَلَمْ يَتَرَكْ
مِنْ جَمِيعِ الْخُلُفَاءِ إِلَّا أَبْيَاكَرَ وَعُمَرَ ، وَكَفَرَ مَنْ بَعْدَهُمَا ، فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ . إِلَّا أَنَّهُ
ذَكَرَ مِنَ الْخُلُفَاءِ رَجُلًا أَصْغَى إِلَى الْمَلَاهِي وَالْمَعَافِ ، وَأَضَاعَ أَمْرَ الرَّعْيَةِ ، فَقَالَ :
٢٠ كَانَ فَلانَ بْنَ فَلانَ^(٢) مِنْ عَدْدِ الْخُلُفَاءِ عِنْدَكُمْ ، وَهُوَ مُضَيِّعٌ لِلَّدِينِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « يَعْلَمُ » .

(٢) هُوَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ . وَكَانَ خَلِيلَ بْنِ أَمْيَةَ . (انْظُرْ إِلَى الْفَخْرِيِّ صِ ١١٧ وَالْأَغَانِيِّ جِ ١٣ صِ ١٤٨) .

والدنيا . أشتري له بُرُدَين بِالْأَلْفِ دِينار ، أتزرَّ بِأَحْدَاهَا وَالتَّحْفَ بِالآخِر ، وأَقْعَدَ حَبَابَةً عَنْ يَمِينِهِ وَسَلَامَةً عَنْ يَسِيرِهِ ، فَقَالَ : يَا حَبَابَةَ غَنِيَّنِي وَيَا سَلَامَةَ اسْقِيَّنِي ، إِذَا أَمْتَلَأْتُكُراً أَوْ أَزْدَهِي طَرَبَاشَقَ ثُوبِيهِ وَقَالَ : أَلَا أَطِيرُ ؟ فَطَيَّرَ إِلَى النَّارِ وَبَدَسَ الْمَصِيرَ . فِيهِذَهُ صَفَةُ خَلْفَاءِ اللَّهِ تَعَالَى !

خطبة لأبي حمزة :

أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّكَ فِي نَاشِئٍ فِتْنَةً ، وَقَائِمٌ^(١) ضَلَالَةً ، قَدْ طَالَ جُنُونُهُمَا ، وَاشْتَدَتْ عَلَيْكَ هُمُومُهُمَا ، وَتَلوَّتْ^(٢) مَصَايدُ عَدُوِّ اللَّهِ مِنْهُمَا وَمَا نَصَبَ مِنَ الشَّرِّ لِأَهْلِ الْفَلَةِ عَمَّا فِي عَوَاقِبِهِمَا . فَلَنْ يَهُدُّ عُمُودُهُمَا ، وَلَنْ يَنْزِعُ أُوتَادُهُمَا ، إِلَّا الَّذِي يَيْدِهِ مُلْكُ الْأَشْيَاءِ ، وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . أَلَا وَإِنَّ اللَّهَ بِقَيَايَا مِنْ عَبَادِهِ لَمْ يَتَحِيرُوا فِي ١٠ ظُلْمِهِمَا ، وَلَمْ يُشَاعِرُوا أَهْلَهُمَا عَلَى شُبُّهُمَا ، مَصَابِيحُ النُّورِ فِي أَفْوَاهِهِمْ تَرْزُهُ ، وَالْمُسْتَهْمِ بُحْجَجِ الْكِتَابِ تَنْطِقُ ، رَكِبُوا مَهْجَ السَّبِيلِ ، وَقَامُوا عَلَى الْعِلْمِ الْأَعْظَمِ . هُمْ خُصُّمَاءُ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِهِمْ يُصْلِحُ اللَّهُ الْبَلَادَ ، وَيَدْفِعُ عَنِ الْعِبَادِ . طُوبَى لَهُمْ وَالْمُسْتَهْمِ بُصْبُحَيْنِ بِنُورِهِمْ ، وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْهُمْ .

من أرجح عليه في خطبته

أَوَّلَ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا عَمَانُ بْنُ عَفَانَ أَرْجَحُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ ٢٠ أَوَّلَ كُلِّ مَرْكَبٍ صَعْبٌ ، وَإِنْ أَعِشْ تَأْتِكُمُ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهِمَا ، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ . وَلَمَّا قَدِمَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفِيَانَ الشَّامَ وَالْيَمَانَ عَلَيْهَا لَأَبِي بَكْرٍ ، خَطَبَ النَّاسَ فَأَرْجَحَ عَلَيْهِ ، فَعَادَ إِلَى حَمْدِ اللَّهِ ، ثُمَّ أَرْجَحَ عَلَيْهِ ، فَعَادَ إِلَى الْحَمْدِ ، ثُمَّ أَرْجَحَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ، وَبَعْدَ عَيْ بِيَانًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ فَاعْلُمُ أَحْوَاجَ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَانِلَ ، ثُمَّ نَزَلَ . فَبَلَغَ ذَلِكَ عَمَرَ وَبْنَ الْعَاصِ فَأَسْمَهَ حَسَنَةً . صَدَدَ ثَابِتَ قُطْنَةَ مِنْ بَرِ سَجْنَانَ ، فَقَالَ :

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَقَادٌ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « تَلُونَتْ » .

الحمد لله، ثم أرجح عليه ، فنزل وهو يقول :
 فإن لا أَكُنْ فِيهِمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بَسِيفٌ إِذَا جَدَ الْوَغْيَ أَخْطَبُ
 فَقَلِيلٌ لَهُ : لَوْ قُلْتَهَا فَوْقَ الْمِنْبَرِ لَكُنْتَ أَخْطَبَ النَّاسَ .

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولَى فَحَصِرَ ، فقال : أَيْهَا النَّاسُ ، إِنِّي
 كُنْتُ أَعْدَدْتُ مَقَالًا أَقُومُ بِهِ فِيمَكُمْ فَيَحْجِبُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَحْوِلُ بَيْنَ الْمَرْءَ
 وَقَلْبِهِ ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَدْلٍ أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ ،
 وَإِنِّي آمُرُكُمْ بِمَا أَمْرَ اللَّهَ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْهَا كُمْ عَمَّا نَهَا كُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ
 اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . وَصَعَدَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ الْمِنْبَرَ : فَأَرْجَحُ عَلَيْهِ ، فَكَثُرَ
 مَلِيئًا لَا يَتَكَلَّمُ ، ثُمَّ تَهْيَأَ لَهُ [الْكَلَامُ] فَتَكَلَّمُ فَقَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامُ
 يَجْبِيُ أَحْيَا نَا ، وَيَعْزِبُ أَحْيَا نَا ، فَيَسِيعُ عِنْدَ مُجِيئِهِ سَيِّدُهُ ، وَيَعْزِزُ عِنْدَ عَزْوَبِهِ
 طَلْبِهِ ، وَلِرُبُّمَا كُوْبُرْ فَأَبِي ، وَعُوجَ فَنَائِي ، فَالْأَنَّى لِجِيئِهِ خَيْرٌ مِنَ التَّعَاطُّ
 لِأَبِيِّهِ ، وَتَرَكَهُ عِنْدَ تَنْكِرِهِ أَفْضَلُ مِنْ طَلْبِهِ عِنْدَ تَعْذِرِهِ ، وَقَدْ يُرْتَجِعُ عَلَى الْمُلِيقِ
 لِسَانُهُ ، وَيَخْتَلِجُ مِنَ الْجَرَى جَنَانُهُ ، وَسَاعُودُ فَأَقُولُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

معاوية وخالد
القسري

أبو العنبرس
ورجل من بنى
هاشم

صَعَدَ أَبُو الْعَنْبَسَ مِنْبَرًا مِنْ مَنَابِرِ الطَّائِفِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
 أَمَا بَعْدُ ، فَأَرْجَحُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ؟ قَالُوا : لَا ؟ قَالَ :
 فَمَا يَنْفَعُكُمْ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ، ثُمَّ نَزَلَ . فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ صَعَدَ
 لِلْمِنْبَرِ وَقَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَأَرْجَحُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ؟
 قَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَمَا حَاجَتُكُمْ إِلَى أَنْ أَقُولَ لَكُمْ مَا عَلِمْتُمْ ، ثُمَّ نَزَلَ . فَلَمَّا كَانَتِ
 الْجُمُعَةُ الْثَالِثَةُ قَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَأَرْجَحُ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ
 لَكُمْ؟ قَالُوا : بَعْضُنَا يَدْرِي وَبَعْضُنَا لَا يَدْرِي ؛ قَالَ : فَلَمَّا يُخْبَرُ الَّذِي يَدْرِي مِنْكُمْ
 الَّذِي لَا يَدْرِي ، ثُمَّ نَزَلَ . وَأَتَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي هَاشِمَ الْيَامَةَ ، فَلَمَّا صَعَدَ الْمِنْبَرَ
 أَرْجَحَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : حَيَّا اللَّهُ هَذِهِ الْوُجُوهَ وَجَعَلَنِي فِدَاهَا ، قَدْ أَمْرَتُ طَائِفَ بِاللَّيْلِ
 أَنْ لَا يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَنَا بِهِ ، وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ ، ثُمَّ نَزَلَ .

وكان خالدُ بن عبد الله إذا تكلم يظُن الناس أنه يصْنَع الكلام أهْذِبَة خالد بن عبد الله
لأفظه وبلغة مَنْطقه ، فبینا هو يخطُب يوماً إذا وقعت جرادة على ثوبه ، فقال:
وعبد الله بن
عاصِر وعبد الملك سُبْحانَ مَنْ الجرادُ مِنْ خلقه ، أدمج قوائمه وطَرْفَها وجناحَيه^(١) ، وسلطَها على مَنْ
هو أَعْظَمَ منها . خطَبَ عبد الله بن عاصِر بالبصرة في يوم أَخْضَى ، فَأَرْجَعَ عليه ،
فَكثُرَتْ ساعة ثم قال : والله لا أَجِمَعُ عَلَيْكُمْ عِيَّا وَلُؤْما ، من أَخْذَ شَاءَ مِنَ الشَّوْقِ
فَهُوَ لَهُ وَثَنَّاهَا عَلَى^(٢) . قيل لعبد الملك بن مروان : عَجَّلْ عَلَيْكَ الْمَشِيبَ يَا أَمِيرَ
المُؤْمِنِينَ . فقال : كَيْفَ لَا يَعْجَلْ وَأَنَا أَغْرِضُ عَقْلَى عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمْعَةٍ
مَرَّةً أَوْ مَرَّتينَ .

خطب النكاح

١٠ خطبة نجاح :

خطب عثمانُ بن عَنْبَسَةَ بن أبي سُفيَّانَ إِلَى عُتْبَةَ بن أبي سُفيَّانَ أَبْنَتِهِ .
لعتبة بن أبي سفيان
فأَقْعَدَهُ عَلَى فَخْذِهِ ، وَكَانَ حَدَّثَ ، فَقَالَ : أَقْرَبْ قَرِيبَ خطَبَ أَحَبَّ حَبِيبَ ،
لَا أَسْتَطِيعُ لَهُ رَدًا ، وَلَا أَجِدُ مِنْ إِسْعافِهِ بُدًا ، قَدْ زَوَّجْتَكُمَا وَأَنْتَ أَعْزَّ عَلَى
مِنْهَا ، وَهِيَ الْأَصْقَقُ بِقَابِي مِنْكَ ، فَأَكْرِمْهَا يَعْذِبُ عَلَى لِسَانِي ذِكْرُكَ ، وَلَا تُهْنِهَا
فَيَصُفْرَ عَنْدِي قَدْرُكَ ، وَقَدْ قَرَبْتُكَ مَعَ قُرْبِكَ ، فَلَا تُبْعِدْ قَابِي مِنْ قَلْبِكَ .

١٥ وخطبة نجاح :

الْعُتْبَى قال : زَوْجُ شَبَّيْبَ بْنِ شَبَّيْبَةَ أَبْنَهِ بَدْتَ سَوَارَ القَاضِيِّ ، فَقَلَّنَا :
الْيَوْمَ يَعْبُرُ عُبَابَهُ . فَلَمَّا أَجْتَمَعُوا ، تَكَلَّمَ فَقَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى
رَسُولِ اللَّهِ . أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ مَنَا وَمِنْكُمْ وَبَنَا وَبِكُمْ تَمْنَعْنَا مِنِ الْإِكْثَارِ ،
وَإِنَّ فَلَانَا ذَكَرْ فَلَانَةَ .

(١) هذا الخبر غريب عن عنوان هذا الباب .

(٢) في بعض الأصول : « جناحها » .

وخطبة نطاح :

العتبى قال : كان الحسن البصري يقول في خطبة النكاح بعد الحمد لله والثناء عليه : أما بعد ، فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المقطعة ، والأنساب المترفة ، وجعل ذلك في سنة من دينه ، ومنهاج من أمره . وقد خطب إليكم فلان ، وعليه من الله نعمة ، وهو يبدل من الصداق كذا ، فاستخروا الله . ورددوا خيراً يرحمكم الله .

وخطبة نطاح :

العتبى قال : حضرت ابن الفقير^(١) خطب على نفسه أمرأة من باهله فقال : لما حسن أن يمدح المرأة نفسه ولكن أخلاقاً تدم وتدمح وإن فلانة ذكرت لي .

وخطبة نطاح :

العتبى قال : يُستحب للخاطب إطالة الكلام ، والمخطوط إليه تقصيره .
فخطب محمد بن الوليد إلى عمر بن العزيز أخيه ، فتكلم محمد بكلام طويل .
فأجابه عمر : الحمد لله ذي الكبرية ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء . أما بعد ، فإن الرغبة منك دعْتك إلينا ، والرغبة فيك أجاْبتك مَنَا ، وقد أحسن بك ظنا من أودعك كريمه ، وأختارك ولم يختار عليك ، وقد زوجتكها على كتاب الله ، إمساكاً بمعروف أو تسريحها بإحسان .

وخطبة نطاح :

خطب بلال إلى قوم من خصم نفسه ولاخيه ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أنا بلال وهذا أخي : كنا ضالين فهدانا الله ، عبدين فأعتقدنا الله ، فقيرين فأغنانا الله ؛ فإن تزوّجونا فالحمد لله ، وإن ترددوا فالمستعان الله .

(١) لعله من ولد عبدالله بن مسلم أخي قتيبة . (انظر المقاييس ج ٣ ص ١٥٥ طبعة أوربة).

وقال عبدُ الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز : قد زَوْجَكُ أميرُ المؤمنين أُبنتهِ فاطمة . قال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيرا ، فقد أجزلت العطية ، وكَفَيت المسألة .

نطاح العبر:

الأَصْمَعِيُّ قَالَ : زَوْجُ خَالِدٍ بْنِ صَفْوَانَ عَبْدَهُ مِنْ أَمْتَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْعَبْدُ : خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ فِي زَوْجِ عَبْدِهِ لَهُ وَدَعَوْتَ النَّاسَ وَخَطَبْتَ ! قَالَ : أَدْعُهُمْ أَنْتَ . فَدَعَاهُمُ الْعَبْدُ ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا ، تَكَلَّمَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ ، فَقَالَ : إِنَّ اللَّهَ أَعْظَمُ وَأَجْلُّ مِنْ أَنْ يُذْكَرَ فِي نِكَاحٍ هَذِينِ الْكَلَبَيْنِ ، وَأَنَا أَشْهُدُكُمْ أَنِّي زَوَّجْتُ هَذِهِ الزَّانِيَةَ مِنْ هَذَا ابْنَ الزَّانِيَةِ .

خطب الأعراب

الأَصْمَعِي قال : خطَبَ أَعْرَابِيًّا فَقَالَ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ مَمَرَّ ،
لبعض الأعراب ١٠
وَالآخِرَةُ دَارٌ مَقَرَّ ، فَيَخْذُلُونَ مَمَرَّكُمْ لِمَقَرَّكُمْ ، وَلَا تَهْتَهْ كُوَا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ
مَنْ لَا تَخْفِي عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ ، وَأَخْرِجُونَ مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا
أَبْدَانُكُمْ ، فِيهَا حَيَّاتِمْ ، وَلِغَيْرِهَا خُلُقَتِمْ ؛ الْيَوْمَ عَمِلَ بِلَا حِسَابٍ ، وَغَدَّا حِسَابٌ
بِلَا عَمَلٍ . إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ : مَا رَكَ ؟ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ : مَا قَدَّمَ ؟
١٥ فَقَدَّمُوا بَعْضًا ، يَكُونُ لَكُمْ قَرْضًا ، وَلَا تَتَرَوْ كُوَا كُلَّا ، فَيَكُونُ عَلَيْكُمْ سَلَّا .
أَقُولُى قَوْلِى هَذَا وَالْمَحْمُودُ اللَّهُ ، وَالْمُصْلَى عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ ، وَالْمَدْعُو لِهِ الْخَلِيفَةُ ، ثُمَّ إِمامُكُمْ
جَعْفَرٌ ، قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ .

وَهُنْ طَبِيعَةٌ لِّلْعَرَابِيِّ :

الحمد لله الحميد المستحمد ، وصَلَى اللهُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ، أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ التَّعْمِقَ
لِأَعْرَابِيِّ ٢٠ فِي أَرْتِيجَالِ الْخَطْبِ أَمُمُكْنِنُ ، وَالْكَلَامُ لَا يَنْتَهِي حَتَّى يُنْتَهِي عَنْهُ ، وَالله تبارَكَ
وَتَعَالَى لَا يُدْرِكُ وَاصِفٌ كُنْهُ صِفَتِهِ ، وَلَا يَبْلُغُ خَطِيبٌ مُنْتَهِي مِدْحَتِهِ ، لَهُ
الْحَمْدُ كَمَدْحُ نَفْسِهِ ، فَأَنْهَضُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى .

خطبة أهرابي لفورة :

الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء . ما أُقبحَ بِمُثْلِي
أَنْ يَنْهَى عن أَمْرٍ وَيَرْتَكِبُهُ ، وَيَأْمُرُ بِشَيْءٍ وَيَحْتَنِبُهُ ، وقد قال الأول :
وَدَعَ مَا لَمْتَ صَاحِبَهُ عَلَيْهِ فَذَمَّ أَنْ يَلُومَكَ مَنْ تَلُومُ
أَهْمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ تَقَوَاهُ ، وَالْعَمَلَ بِرَضَاهُ^(١) .

وَفِي الْأَمْ زِيَادَةٌ مِنْ غَيْرِ أَصْلِهَا ، فَأَوْرَدَهَا كَمِيَّتُهَا ، وَهِيَ خُطْبَةُ لِعَلَى
كَرْمِ اللَّهِ وَجْهِهِ أُورِدَتْ فِي هَذِهِ الْمُجْنَبَةِ تَلُو خُطْبَةُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ عِيدِ الْفَطْرِ^(٢) :

جاء رَجُلٌ إِلَى عَلَى كَرْمِ اللَّهِ وَجْهِهِ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، صِفْ لَنَا رَبَّنَا
لِنَزْدَادَهُ مَحْبَبَةً ، وَبِهِ مَعْرِفَةً . فَغَضِبَ عَلَى كَرْمِ اللَّهِ وَجْهِهِ ، ثُمَّ نَادَى : الصَّلَاةُ

جَامِعَةً . فَأَجْتَمَعَ النَّاسُ إِلَيْهِ حَتَّى غَصَّ الْمَسْجِدُ بِأَهْلِهِ ، ثُمَّ صَعَدَ الْمِنْبَرُ وَهُوَ

مُغْضَبٌ مُتَغَيِّرٌ الْلَوْنُ ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، ثُمَّ صَلَى عَلَى النَّبِيِّ
صَلَى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَعْزَزُهُ الْمَنْعُ ، وَلَا يُكَدِّيهِ
الْإِعْطَاءُ ، بَلْ كُلُّ مُعْطٍ يَنْقُصُ سِرْوَاهُ ، هُوَ الْمَنَانُ بِفِرَانْدٍ^(٣) النَّمُ ، وَعَوَانِدُ
الْمَزِيدُ ، وَبِحُجُودِهِ ضَمِّنَتْ عِيَالَةً^(٤) الْخَلْقُ ، وَنَهَجَ سَبِيلُ الطَّلَبِ لِلرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ .

وَلِيَسْ بِمَا يُسْأَلُ أَجْوَدُ مِنْهُ بِمَا لَا يُسْأَلُ ، وَمَا أَخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَتَخْتَلَفُ فِيهِ
حَالٌ ، وَلَوْهَبَ مَا أَنْشَقَّتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجَبَالِ ، وَضَحَّكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبَحَارِ ،

لأعرابي يعظ
قومه

خطبة لعلى بن
أبي طالب يصف
الرب

(١) في أُبَعْدِ هَذَا : « تَمَّ الْجَزَءُ السَّادِسُ وَالْعَشْرُونُ مِنْ كِتَابِ الْعَقْدِ ، وَهُوَ الْوَاسِطَةُ
فِي الْخُطُبِ مِنْ تَبْرِيَةِ خَمْسِينَ جَزْءاً بِحَمْدِ اللَّهِ وَعُوْنَهُ وَتَوْفِيقِهِ . يَتَلَوُهُ فِي الْجَزَءِ
السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ الْمُجْنَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي التَّوْقِيُّاتِ وَالْفَصُولِ وَالصُّدُورِ وَأَخْبَارِ الْكِتَبِ .
وَحَسِبَنَا اللَّهُ وَتَعَمَ الوَكِيلُ » . وَفِي ذِي : « صَلَى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ
الْعَالَمِينَ . يَتَلَوُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى الْجَزَءُ الْأَوَّلُ مِنْ كِتَابِ الْمُجْنَبَةِ الثَّانِيَةِ وَحَسِبَنَا اللَّهُ
وَنَعَمْ الوَكِيلُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ربِّ الْعَالَمِينَ » .

(٢) في ذِي : « وَجَدْتُ فِي بَعْضِ النَّسْخِ خُطْبَةً لِعَلَى عَلِيِّ السَّلَامِ أُورِدَتْ فِي الْجَزَءِ الْأَوَّلِ
مِنْ هَذِهِ الْمُجْنَبَةِ تَلُو خُطْبَةُ الْمُؤْمِنُونَ يَوْمَ الْفَطْرِ فَأَلْحَقْتُهَا هَاهُنَا وَهِيَ » . وَفَدَ أَغْفَلْتُهَا
أَوْلَمْ تَذَكَّرَهَا كَمَا لَمْ تَذَكَّرْ أَيْ إِشَارَةً إِلَيْهَا .

(٣) في بعض الأصول : « بِفِوَانِدَ » .

(٤) عَالُ الْخَلْقِ عِيَالَةً . كَفَافُهُمْ وَمَا نَهُمْ وَقَاتِهِمْ . وَفِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « ضَمِّنْ ... الْخُ » .

من فلان الْجَنِين ، وسبائك العِقْيَان ، وشَذْر^(١) الدُّر ، وحَصِيد المَرْجَان ، لبعض عباده ، ما أثَر ذلك في مُلكه ولا في جُوده ، ولا أندد ذلك سَعَةً ما عنده .

فَعِنْدَه^(٢) من الأفضال ما لا يُنفِدُه مَطْلَبٌ وسُؤَالٌ^(٣) ، ولا يَخْطُرُ لَكُمْ على بالٍ ؛ لأنَّه الجَوَادُ الذِّي لا تَنْقَصُهُ الْمَوَاهِبُ ، ولا يُبْرِمُهُ إِلَاحَاجُ الْمُلَاحِينَ بِالْحَوَاجِنِ ، إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ . فَإِذَا كُنْتُمْ مِنْ هُوَ هَكُذا وَلَا هَكُذا غَيْرُهُ ؟ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ ! أَيْهَا السَّائِلُ ، أَعْقِلْ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ ، وَلَا تَسْأَلْ أَحَدًا بَعْدِي ، فَإِنِّي أَكْفِيكَ مَوْنَةَ الْطَّلَبِ ، وَشِدَّةَ التَّعْمِقِ فِي الْمَذْهَبِ .

وَكَيْفَ يُوصَفُ الذِّي سَأَلْتَنِي عَنْهُ ، وَهُوَ الذِّي عَجَزَتْ عَنْهُ الْمَلَائِكَةُ ، عَلَى قُرْبَهِمْ مِنْ كُرْسِيِّ كَرَامَتِهِ ، وَطُولِ وَلَهُمْ إِلَيْهِ ، وَتَعْظِيمِهِمْ جَلَالَ عِزَّتِهِ ، وَقُرْبَهِمْ مِنْ غَيْبِ مَلَكُوتِهِ ، أَنْ يَعْلَمُوا مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا مَا عَلِمُوهُمْ ، وَهُمْ مِنْ مَلَكُوتِ الْعَرْشِ بِحِيثُهُمْ ، وَمِنْ مَعْرِفَتِهِ عَلَى مَا فَطَرُهُمْ عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : سُبْحَانَكَ لَا عِلْمٌ لَنَا إِلَّا مَا عَلَمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ . فَدَحَّ اللَّهُ أَعْتَرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَمَّا لَمْ يُحْيِطُوا بِهِ عِلْمًا ، وَسَمِّيَ تَرْكَهُمُ التَّعْمِقُ فِيهَا لَمْ يُكَلِّفُهُمُ الْبَحْثُ عَنْهُ رُسُوخًا . فَأَقْتَصَرَ عَلَى هَذَا ، وَلَا تَقْدِرُ عَظَمَةُ اللَّهِ عَلَى قَدْرِ عِقْلَكَ ، فَتَكُونَ مِنَ الْمَاهِلَكِينَ . وَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي لَمْ يَحْدُثْ فَيُمْكِنَ فِيهِ التَّغْيِيرُ وَالْأَنْتِقالُ ، وَلَمْ يَتَغَيِّرْ فِي ذَاتِهِ بِمُرُورِ الْأَهْوَالِ ، وَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ تَعَاقِبُ الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِ ، هُوَ الَّذِي خَلَقَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالِ أَمْتَشِلَهُ ، وَلَا مِقْدَارَ أَحْتَذِي عَلَيْهِ مِنْ خَالقِ كَانَ قَبْلَهُ ؛ بَلْ أَرَانَا سِنَّ مَلَكُوتِ قُدرَتِهِ ، وَعِجَابِ رُبُوبِيَّتِهِ ، مِمَّا نَطَقَتْ بِهِ آثارُ حِكْمَتِهِ ، وَأَضْطَرَارِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُفَهَّمُوهُمْ مَبْلُغُ قُوَّتِهِ^(٤) ، مَا دَلَّنَا بِقِيَامِ الْحَجَةِ لَهُ بِذَلِكَ عَلَيْنَا عَلَى مَعْرِفَتِهِ . وَلَمْ تُحِيطْ بِهِ الصَّفَاتُ بِإِدْرَاكِهَا إِيَّاهُ بِالْحَدُودِ مُتَنَاهِيًّا ، وَمَا

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « شَارِهٌ »

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَاسْكَانٌ عَنْهُ » مَكَانٌ « فَعِنْدَهُ » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « السُّؤَالُ » .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ « تَقوِيَّتِهِ » .

زال ، إذ هو الله الذي ليس كمثله شيء ، عن صفة المخلوقين متعاليا ، انحسرت العيون عن أن تطاله ، فيكون بالعيان موصوفا ، وبالذات التي لا يعلمهها إلا هو عند خلقه معروفا . وفاته أعلاه عن الأشياء موافقة وهم المتجوّهين ، وليس له مثل فيكون بالخلق مشهدا ، وما زال عند أهل المعرفة به عن الأشباء والأنداد منزها . وكيف يكون من لا يقدر قدره مقدرا في روايات الأوهام ، وقد ٥ ضلت في إدراك كيفيته حواس الأنام ؛ لأنه أجل من أن تحدده أبواب البشر بنظير . فسبحانه وتعالي عن جهل المخلوقين ، وسبحانه وتعالي عن إفك الجاهلين .

ألا وإن الله ملائكة صلى الله عليهم وسلم ، لو أن ما كان يهبط منهم إلى الأرض لما وسعته ، لعظم خلقه وكثرة أحنته ؛ ومن ملائكته من سدد الآفاق بمناج ١٠ من أحنته دون سائر بدنه ؛ ومن ملائكته من السموات إلى حجزته^(١)

وسائر بدنه في جرم^(٢) الهواء الأسفل ، والأرضون إلى ركبته ؛ ومن ملائكته من لو اجتمع الإنس والجن على أن يصفوه ما وصفوه ، لم يجد ما بين مفاصله ، وحسن تركيب صورته ؛ وكيف يوصف من سبعمائة عام مقدار ما بين منه كبيه إلى شحمة أذنيه ؛ ومن ملائكته من لو أقيمت الشفن في دموع عينيه تجرأ^{١٥} دهر الدهارين . فأين أين بأحدكم ! وأين أين [أن] يدرك ما لا يدرك^(٣) !

(١) الحجزة : مشد الإزار .

(٢) في بعض الأصول : « في جزء ». (٢)

(٣) جاء في بعض الأصول بعد الفراغ من هذه الخطبة : « تم الإلحاد . وهو خطبة على كرم الله وجهه ». (٣)

(١) فرش كتاب التوقيعات والفصول والصدور

وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب

قال [أبو عمر] أحمد بن محمد بن عبد ربه : قد مضى قولنا في الخطب
 وفضائلها ، وذكر طواها وقصارها ، ومقدامات أهلها ؛ ونحن قائلون بعون الله
 وتوفيقه في التوقيعات والفصول والصدور وأدوات الكتابة وأخبار الكتاب
 وفضل الإيجاز ؛ إذ كان أشرف الكلام كله حسنة ، وأرفعه قدرًا ، وأعظمه
 من القلوب موقعا ، وأقله على الإنسان عملا ، مادئ بعضه على كله ، وكفى قليله
 عن كثierre ، وشهاد ظاهره على باطنها ؛ وذلك أن تقل حروفه ، وتكثر
 معانيه . ومنه قوله : رب إشارة أبلغ من لفظ . ليس أن الإشارة تبيّن
 ما لا يبيّنه الكلام ، وتبلغ ما يقصّر عنه الإنسان ، ولكنها إذا قامت مقام
 اللّفظ ، وسدّت مسدّ الكلام ، كانت أبلغ ، أقلّة مؤيتها وخفّة مجملها (٢) .

لأبرويز ثم
 اصحابي ثم للنبي
 صلى الله عليه
 وسلم في عيب
 الإكثار

قال أبرويز لكتابه : أجمع الكتابيون مما تُريد من المعنى (٣) ، في القليل
 مما تقول . يحضره على الإيجاز ويتهيأ عن الإكثار في كتبه . ألا تراهم كيف
 طعنوا على الإسهاب والإكثار حتى كان بعض الصحابة يقول : أعود بالله من
 الإسهاب ! قيل له : وما الإسهاب ؟ قال : المُسْهِبُ (٤) الذي يتخلّل باسمه تخلّل
 الباقي (٥) ، ويُشَوَّلُ به شَوَّلَانَ الرَّوْقَ (٦) . وقال النبي صلى الله عليه وسلم :

(١) في قبيل هذا العنوان : « بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وأصحابه ». وقيل لهذا : « تم الجزء السابع والعشرون من كتاب العقد وهو كتاب المحبنة الثانية في التوقيعات والفصول والصدور وأخبار الكتاب » .

(٢) في بعض الأصول : « لغّة مؤتها وقلة عملها » .

(٣) في بعض الأصول : « اللّفظ » .

(٤) المسهب ، بفتحاه وكسرها ، وأنكر بعضهم السهر . وقيل : المسهب (بالفتح) : الذي يكثر الكلام في الخطأ . فإن كان في صواب فهو بالكسر .

(٥) الباقي : جماعة البقر . (٦) الروق : القرن والرمم .

أبغضُكم إلى الثنارون المتشدقون . يُريد أهل الإكثار والتّقْعير في الكلام .
العرب والإيجاز ولم أجد أحداً من السلف يَذمُ الإيجاز ويُقدح فيه ويُعييه ويُطعن عليه .
وتحبّ العرب التّخفيف واللّحذف ، ولهُر بها من التّشقيق والتّطويل كان قصراً
الممدود أحبّ إليها من مذ المقصور ، وتسكين المتحرّك أخفّ عليها من
تحرّيك الساكن ، لأنّ الحركة عمل والسكن راحة . وفي كلام العرب
الاختصار والإطناب ، والاختصار عندهم أحمد في الجملة ، وإن كان للإطناب
موضع لا يصلح إلا له . وقد تُوّمِي إلى الشيء فَتَسْتَغْنِي عن التفسير بالإيماء ،
كما قالوا : لَمَحَّة دالة .

كتب عمرو بن مساعدة إلى صهرة الحروري كتاباً ، فنظر فيه جمفر بن
يجي فوق في ظهره : إذا كان الإكثار أبلغ كان الإيجاز مقصراً ، وإذا كان
الإيجاز كافياً كان الإكثار عيناً . وبعث إلى مروان بن محمد قائداً من قواده
بغلام أسود ، فأمر عبد الحميد الكاتب أن يكتب إليه يلحاوه ويعنه ، فكتب
وأكثراً ، فاستقبل ذلك مروان ، وأخذ الكتاب فوق في أسفله : أما إنك لو
علمت عدداً أقلّ من واحد ولو نائماً شرّاً من أسود لمبعثت به . وتتكلم ربيعة الرائي
فأكثراً وأعجبه إكثاره ، فاقتلت إلى أعرابي إلى جنبه ، فقال له : ما تَعْدُون
البلاغة عندكم يا أعرابي ؟ قال له : حذف الكلام ، وإيجاز الصواب . قال :
ما تَعْدُون العي ؟ قال : ما كُنْتَ فيه مذ اليوم . فكان ألقمه حجراً .

لم يُعْرَفْ عَلَى كِتَابِ
لَابْنِ مَسْعَدَةِ ثُمَّ
لَرْوَانَ عَلَى كِتَابِ
قَائِدِهِ ثُمَّ بَيْنَ
رَبِيعَةِ الرَّأْيِ
وَأَعْرَابِيِّ

أول من وضع الكتابة

أول من وضع الخط العربي والسرياني وسائل الكتابة آدم صلى الله عليه
وسلم قبل موته بثلاثة سنتين ، كتبه في الطين ثم طبخه ، فلما انقضى ما كان^(١)
أصاب الأرض من الغرق وجد كل قوم كتابتهم ، فكتبوا به^(٢) . فكان

آدم عليه السلام

(١) في الأصول : « فلما كان ما أصاب ». وما أثبتنا عن الوزراء والكتاب للجهشياري (ص ١ طبعة الحلبي) . (٢) ذكر ابن النديم في الفهرست هذا الكلام عن كعب ، وقال : « وأنا أبرا إلى الله من قوله » .

إسماعيل عليه الصلاة والسلام وجد كتاب العرب .

إدريس
عليه السلام

قوم من الجبلة
الآخرة

بني إسماعيل

الكتاب
أول الإسلام

وروى عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنَّ إدريس أول من خط بالقلم بعد آدم صلى الله عليه وسلم . وعن ابن عباس أنَّ أول من وضع الكتابة العربية إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، و[كان] أولَ مَنْ نطق بها ، فوضع على لفظه ومنطقه . وعن عمر بن شيبة بأسانيده : أنَّ أولَ مَنْ وضع الخط العربي : أبجد وهو ز وحُطى وكلمن وسعنص وقرشت ، هم قوم من الجبلة الآخرة ، وكانوا نزولاً عند عذنان بن أدد ، وهم من طسم وجديس . وحُكى أنَّهم وضعوا الكتاب على أسمائهم ، فلما وجدوا حروفًا في الألفاظ ليست في أسمائهم أحقوها بها وسموها الروادف ، وهي : الشاء والخاء والذال والضاد والظاء والعين ، على حسب ما يلحق في حروف البجمل . وعنه أنَّ أول من وضع الخط نفيس^(١) ونصر^(٢) واتيا^(٣) ، بني إسماعيل بن إبراهيم ، ووضعوه متصل الحروف بعضها ببعض ، حتى فرقه نبت وهميسع وقيذر . وحكوا أيضًا أن ثلاثة نفر من طيء^(٤) اجتمعوا ببقعة^(٥) ، وهم : مُرايم بن مُرمة وأسلم بن سِدْرَة وعامر بن جَدَرَة ، فوضعوا الخط وقادوا هجاء العربية على هجاء السريانية ، فتعلمه قوم من الأنبار . وجاء الإسلام وليس أحد يكتب بالعربية غير سبعة^(٦) عشر إنساناً ، وهم : على بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وعمر بن الخطاب ، وطلحة بن عميد الله ، وعثمان ، [أبو عميدة بن الجراح ، و] أبان بن معید بن

(١) كذا في بعض الأصول وصبح الأعشى (ج ١ ص ٩) طبعة دار الكتب ، وفهرست ابن النديم (ص ٥) ، والذى في سائر الأصول : « بصر » .

(٢) كذا في الأصول وصبح الأعشى . والذى في الفهرست : « نصر » .

(٣) في بعض الأصول : « واتيا » وما أثبتنا عن سائر الأصول والإصابة وصبح الأعشى . والفهرست ، ويروى : « طيما » كما في السيرة ، و « طما » كما في الطبرى . وقد زاد ابن النديم على هؤلاء : « دومة » .

(٤) كذا في الأصول والمزهر ، والذى في صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤٢١) : « بولان » ، وهو بولان بن عمرو بن الغوث بن طيء .

(٥) في فتوح البلدان للبلاذرى (ص ٤٧١) : « بيققة » .

(٦) كذا في بعض الأصول وفتوح البلدان . والذى في سائر الأصول : « بضمها » .

٢٠٣
٢

١٥

٢٠

٢٥

[العاص ، و] خالد بن [سعيد أخوه ، وأبو] حذيفة بن عقبة ، ويزيد بن أبي سفيان ، وحاطب بن عمرو بن عبد شمس ، والعلاء بن الحضرمي ^(١) ، وأبو سلمة ابن عبد الأسد ^(٢) ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح ، وحويطب بن عبد العزى ، وأبو سفيان بن حرب ، ومعاوية ولده ، وجheim بن الصلت بن مخرمة .

لإبراهيم الشيباني
فمعنى هذا
العنوان

استفتاح الكتب

٥ إبراهيم بن محمد الشيباني قال : لم تزل الكتب تستفتح باسمك اللهم حتى نزلت سورة هود وفيها : (بسم الله مجرها ومرسها) ، فكتب : بسم الله ؛ ثم نزلت سورة بنى إسرائيل : (قل أدعوا الله أو أدعوا الرحمن) ، فكتب : بسم الله الرحمن ؛ ثم نزلت سورة التمل : (إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) ، فاستفتح بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وصارت سنة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب إلى أصحابه وأمراء جنوده : من محمد رسول الله إلى فلان .
١٠ وكذلك كانوا يكتبون إليه ، يبدون بأنفسهم ، فمن كتب إليه وبدأ بنفسه : أبو بكر والعلاء بن الحضرمي وغيرهما ، وكذلك كتب الصحابة والتابعين ، ثم لم تزل حتى ولـي الوليد بن عبد الملك ، فعظم الكتاب وأمر أن لا يكتبه الناس ^{١٥} بمثل ما يكتـب به بعضـهم بعضا ، فجـرت به سـنة الـولـيد إـلى يـومـذا هـذا ، إـلا ما كان من عمر بن عبد العزيز ويزيد الكامل ، فإـنـما عمـلاـ بـسـنةـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، ثم رـجـعـ الـأـمـرـ إـلـىـ الـوـلـيدـ ، وـالـقـوـمـ عـلـيـهـ إـلـىـ الـيـوـمـ .

سبب ختم الكتاب
وعنوـتها

ختـمـ الـكـتـابـ وـعـنـوـانـهـ

وأما خـتـمـ الـكـتـابـ وـعـنـوـانـهـ : فإنـ الـكـتـبـ لمـ تـزـلـ مـشـهـورـةـ ^(٣) ، غـيرـ مـعـنـوـنةـ

٢٠ (١) هؤلاء النفر ستة عشر من قريش ، أما العلاء هذا فكان من حلفاء قريش .
(٢) كما فيما سيأتي من هذا الجزء عند الكلام على الخلفاء . وهو أبو سلمة عبد الله ابن عبد الأسد الخزروي ، وكان أخا النبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة . (وانظر الإصابة) ، والذى فى الأصول هنا : « أبو سلمة بن عبد الأشهل » وهو تحريف . وانظر البلاذرى .

٢٥ (٤) أي منشورة يقرأ ما فيها من غير أن يغضن ختمها .

ولا مختومة ، حتى كتبت صحيفه المتمم ، فلما قرأها ختمت [الكتاب] وعُنوانـت .

وكان يؤتى بالكتاب فيقال : من عني به ، فسمى عنوانـا .

وقال حسان بن ثابت في قتل عثمان :

ضَحَّوَا بِأَشْمَطِ عَنْوَانِ الشُّجُودِ بِهِ يُقْطَعُ اللَّيلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا

وقال آخر :

وَحَاجَةٌ دُونَ أُخْرَى قَدْ سَمَحْتُ بِهَا جَعَلْتُهَا لِلَّذِي أَحَبَبْتُ عَنْ وَانَّا

وقال أهل التفسير في قول الله تعالى : (إِنَّ أَلْقِ إِلَيَّ كِتَابَكُمْ كَرِيمٌ) أي

مختوم ، إذ كانت كرامة الكتاب ختمـه .

تأريخ الكتاب

١٠ لا بد من تأريخ الكتاب ، لأنـه لا يدلـ على تحقيق الأخبار وقرب عهد

الكتاب وبعده إلا بالتـاريـخ . فإذا أردتـ أن تؤرخ كتابـك فانظـر إلى ما مـضـى

من الشـهر وما بـقـى مـنه ، فإنـ كان ما بـقـى أـكـثـرـ من نـصـفـ الشـهر ، كـتـبـتـ :

لـكـذا وـكـذا لـيـلـةـ مضـتـ منـ شـهـرـ كـذاـ ؛ وـإـنـ كانـ الـبـاقـيـ أـقـلـ مـنـ النـصـفـ ،

جـعـلـتـ مـكـانـ : مـضـتـ ، بـقـيـتـ . وـقـدـ قـالـ بـعـضـ الـكتـابـ : لـاـ تـكـتـبـ إـذـا

أـرـخـتـ إـلـاـ بـعـاـمـ مـضـىـ مـنـ الشـهـرـ ، لـأـنـهـ مـعـرـوفـ ، وـمـاـ بـقـىـ مـنـهـ مـجـهـولـ ؛ لـأـنـكـ

لـاـ تـدـرـىـ أـيـمـ الشـهـرـ أـمـ لـاـ .

ولا تـجـعـلـ سـحـاءـةـ (١)ـ كـتـابـكـ غـلـيـظـةـ ، إـلـاـ فـكـتبـ الـعـهـودـ وـالـسـجـلـاتـ الـتـيـ

يـحـتـاجـ إـلـىـ بـقـاءـ خـواـنـيـمـهاـ وـطـوـابـعـهاـ ؛ فـإـنـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ طـاهـرـ كـتـبـ إـلـيـهـ بـعـضـ

عـمـالـهـ عـلـىـ عـرـاقـ كـتـابـاـ ، وـجـعـلـ سـحـاءـتـهـ (١)ـ غـلـيـظـةـ ، فـأـمـرـ بـإـشـخـاصـ الـكتـابـ

إـلـيـهـ ، فـلـمـاـ وـرـدـ عـلـيـهـ ، قـالـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ طـاهـرـ : إـنـ كـانـ مـعـكـ فـأـقـطـعـ

خـتـمـ كـتـابـكـ ثـمـ أـرـجـعـ إـلـىـ عـمـلـكـ ، وـإـنـ عـدـتـ إـلـىـ مـثـلـهـ عـدـنـاـ إـلـىـ إـشـخـاصـكـ

(١) سـحـاءـ الـقـرـطـاسـ وـسـحـائـتـهـ وـسـحـاءـتـهـ : مـاـ سـعـيـ مـنـهـ ، أـيـ قـفـرـ وـأـخـذـ .
وـكـذـلـكـ الـقـطـعـةـ الصـغـيرـةـ مـنـهـ . فـإـذـاـ شـدـدـتـهـ بـسـحـاءـتـهـ ، قـلـتـ : سـحـيـتـهـ ، بـالـتـشـدـيدـ .

لقطمها . ولا تُعْظِمُ الطَّيْنَةَ جَدًا ، وَطِنْ كَتْبَكَ بَعْدَ كَتْبَكَ عَنَاوِينَهَا ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنْ أَدْبِ الْكَاتِبِ ، فَإِنْ طَيَّنَتْ قَبْلَ الْعَنْوَانِ فَأَدْبٌ مُفْتَحٌ^(١) .

تفسير الأمى

فَأَمَا الْأَمِى فِي جَازُهُ عَلَى ثَلَاثَةِ وِجْوهٍ : قَوْلُهُمْ أَمِى ، مَنْسُوبٌ إِلَى أُمَّةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ وَيَقُولُ : رَجُلٌ أَمِى ، إِذَا كَانَ مِنْ أُمَّةِ الْقُرْبَى . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : (لِتَنْذِرِ أُمَّةَ الْقُرْبَى وَمَنْ حَوْلَهَا) . وَأَمَا قَوْلُهُ تَعَالَى : (النَّبِيُّ الْأَمِى) فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ . وَالْأَمِىَّةُ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَضْيَلَةٌ ، لَأَنَّهَا أَدَلُّ عَلَى صِدْقٍ مَا جَاءَ بِهِ أَنَّهُ مِنْ عَنْدِ اللَّهِ لَا مِنْ عَنْدِهِ ، وَكَيْفَ يَكُونُ مِنْ عَنْدِهِ وَهُوَ لَا يَكْتُبُ وَلَا يَقْرَأُ وَلَا يَقُولُ الشِّعْرَ وَلَا يُنْشِدُهُ .

قال المأمون لأبي العلاء المُنْقَرِيَّ : بَلَغَنِي أَنَّكَ أَمِى ، وَأَنَّكَ لَا تُقْيمُ الشِّعْرَ ،
وَأَنَّكَ تُلْحِنُ فِي كَلَامِكَ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَمَّا الْلَّهُنَّ ، فَرَبِّا سَبَقَنِي لِسَانِي
بِالشَّيْءِ مِنْهُ ؛ وَأَمَا الْأَمِىَّةُ وَكَسْرُ الشِّعْرِ ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمِيًّا ،
وَكَانَ لَا يُنْشِدُ الشِّعْرَ . فَقَالَ المأمون : سَأَلُوكَ عَنْ ثَلَاثَةِ عُيُوبٍ فِيكَ فَزِدْتَنِي
رَابِعًا ، وَهُوَ الْجَهْلُ ؛ أَمَّا عَلِمْتَ يَا جَاهِلَ أَنَّ ذَلِكَ فِي النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ فَضْيَلَةً ، وَفِيهِكَ وَفِي أَمْثَالِكَ نَقِيَّصَةٌ !

بين المأمون وأبي
العلاء المغربي

شرف الكتاب وفضله

فَمَنْ فَضَلَهُمْ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (عَلِمَ بِالْقَلْمَانَ
عَلِمَ الْإِنْسَانُ مَا لَمْ يَعْلَمْ) . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : (كَرَامًا كَانِبِينَ) . وَقَوْلُهُ : (بِأَيْدِي سَفَرَةِ
كِرَامٍ بَرَّةَ) . وَلَا كِتَابٌ أَحْكَامٌ بَيْنَهُ ، كَأَحْكَامِ الْقُضَايَا ، يُعْرَفُونَ بِهَا ، وَيُنْسَبُونَ
إِلَيْهَا ، وَيَتَقَلَّدُونَ التَّدْبِيرَ وَسِيَاسَةَ الْمُلْكِ [بِهَا] دُونَ غَيْرِهِمْ ، وَبِهِمْ^(٢) يُقَامُ أَوْدَ

بعض ما أثر
في فضلهم

(١) في بعض الأصول . « طبعت ... مستحيل » .

(٢) في بعض الأصول : « وبأهلها » .

الدين ، وأمور العالمين .

فمن أهل هذه الصناعة : على بن أبي طالب ، كرم الله وجهه ، وكان مع شرفه
ونبله وقرباته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكتب الوحي ، ثم أفضت إليه
الخلافة بعد الكتابة ؛ وعثمان بن عفان ، كانا يكتبان الوحي ، فإن غابا ،
كتب أبي بن كعب وزيد بن ثابت ، فإن لم يشهد واحداً منهمما ، كتب
غيرهما . وكان خالد بن سعيد بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان يكتبان بين
يديه في حوالجه ، وكان المغيرة بن شعبة والحسين بن نمير يكتبان ما بين
الناس ؛ وكانا ينوبان عن خالد ومعاوية إذا لم يحضرها ، وكان عبد الله بن الأرقم ^(١)
بن عبد يغوث والعلاء بن عقبة يكتبان بين القوم في قبائلهم ومياههم ، وفي دور
الأنصار بين الرجال والنساء ، وكان رهما كتب عبد الله بن الأرقم إلى الملوك
عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آلها ، وكان حذيفة بن اليمان يكتب خرس ^(٢)
ثمار الحجاز ، وكان زيد بن ثابت يكتب إلى الملوك مع ما كان يكتب من الوحي ،
وقيل : إنه تعلم بالفارسية من رسول كسرى ، وبالرومية من حاجب النبي صلى
الله عليه وسلم ، وبالحبشية من خادم النبي صلى الله عليه وسلم ، وبالقبطية من
خادمه عليه الصلاة والسلام . وروى عن زيد بن ثابت قال : كنت أكتب بين
يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما ، فقام حاجة ، فقال لي : ضع القلم على
أذنك فإنه أذ كلامي وأقضى الحاجة . وكان معيقية بن أبي فاطمة يكتب مغامم
النبي صلى الله عليه وسلم . وكان حنظلة بن الربع بن المرقق ^(٣) بن صيفي ، ابن أخي
أكثم بن صيفي الأسيدي ^(٤) ، خليفة كل كاتب من كتاب النبي صلى الله عليه
 وسلم إذا غاب عن عمله ، فغلب عليه اسم الكاتب ، وكان يضع عنده خاتمه ، وقال

(١) كذا في الوراء والكتاب والإصابة والطبرى . والذى في الأصول هنا : « زيد بن أرقم » . وهو تحرير .

(٢) الخرس : حزر ما على النخل من الرطب وما على السكرم من العنب زبيدا .

(٣) في الأصول : « الربع » وهو تحرير . انظر القاموس مادة (رقم) .

(٤) في الأصول : « الأسيدي » . وما أثبتنا عن الاشتراق والبلادى .

له : الزمني وأذكرنى بكل شئ أنا فيه ، وكان لا يأتي على مال ولا طعام ثلاثة أيام إلا أذكره ، فلا يبدئت صلى الله عليه وسلم وعنه منه شئ . وَصَرَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً مقتولة يوم فتح مكة ، فقال حنظلة : الحق خالداً وقل له : لا تقتلن ذريمة ولا عَسِيفاً^(١) . ومات حنظلة بمدينة الرثأ^(٢) ، ففقالت فيه أمراته ، وحُكى أنه من قول الحسن ، وهذا محال :

يا عَجَبَ الدَّهْرِ لِمَحْزُونَة^(٣) تَبَكُّى عَلَى ذِي شَيْبَةِ شَاحِبٍ
إِنْ تَسْأَلِي الْيَوْمَ مَا شَفَقْتَ أَخْبَرْكَ قِيلَا لَيْسَ بِالسَّاكِدْ
أَنَّ سَوَادَ الرَّأْسِ أَوْدَى بِهِ وَجْدَى عَلَى حَنْظَلَةَ الْكَاتِبِ

ولما وَجَهَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه سعداً إلى العراق وكتب إليه أن يُسَبِّع القبائل أسماءاً ، ويجعل على كل سبع رجلاً ، ففعل سعد ذلك ، وجعل الشیع الثالث تمیماً وأسدًا وغضافاً وهو ازن ، وأمیرهم حنظلة بن الربيع السکاتب ؛ وكان أحد من سیر إلى يزيد جر دیدعوه إلى الإسلام . وكان الحُصين بن نمير^(٤) ،

من بني عبد مناة ، شهد بيضة الرّضوان ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليكتب صلح الحدبية ، فأبى ذلك سهيل^(٥) بن عمرو ، وقال : لا يكتب إلا

رجل متنا ، فكتب على بن أبي طالب . ورُوى عنه عليه السلام أنه قال : لما جاء سهيل بن عمرو ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحدبية حين صالح قريشاً ، كان عبد الله بن سعد بن أبي سرحة يكتب له ، ثم أرتد وأحق بالمسركين ، وقال : إن محمدًا يكتب بما شئت . فسمع ذلك رجل من الأنصار ، فخالف بالله إن أمكنه الله منه ليضر بنه ضرّ بما بالسيف ، فلما كان يوم فتح

مكة ، جاء به عثمان ، وكان بينهما رضاع ، فقال : يا رسول الله ، هذا عبد الله قد

(١) العسیف : الأجير . (٢) كان موته في إمامرة معاوية .

(٣) في بعض الأصول : « الحبوبة » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والاشتقاق .

(٤) في بعض الأصول : « زهير » .

(٥) في بعض الأصول : « سهل » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والسبة .

أقبل تائباً ، فأعرض عنه ، والأنصارى مطيف به ومعه سيفه ، فد رسول الله
صلى الله عليه وسلم يده وبايه ، وقال للأنصارى : لقد تلؤمتك^(١) أن تُوفِّي
بنذرك . فقال : هلاً أومضت إلى . فقال صلى الله عليه وسلم : لا ينفعني لى
أن أُمضِّ .

أيام أبي بكر

رضي الله عنه

كان يكتب لأبي بكر عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت . وروى أن عبد الله
ابن الأرقم كتب له ، وأن حنظلة بن الريبع [كتب له أيضاً] . ولما
تقلدَ الخليفة دعا زيد بن ثابت ، وقال له : أنت شاب عاقل لا تهمك على
١٠ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكنت تكتب الوحى ، فتتبع القرآن فاجمه ،
وفيه يقول حسان بن ثابت :

فمن للقوافى بعد حسان وأبنائه ومن المثاني بعد زيد بن ثابت

أيام عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

كتب عمر بن الخطاب زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الأرقم ، وعبد الله
ابن خلف الحزاعى^(٢) ، أبو طلحة الطالحات ، على ديوان البصرة . وكتب له على
١٠ ديوان الكوفة أبو جبيرة^(٣) بن الصحاح ، فلم يزل عليه إلى أن ول عبيد^(٤) الله
ابن زياد فعزله وولى مكانه حبيب بن سعد القيسى .

(١) التلوم : الانتظار والتثبت .

(٢) كذا في الوراء والطبرى وتهذيب التهذيب . والذى فى الأصول : « أبو جبيرة » .

(٣) فى بعض الأصول : « عبد » .

أيام عثمان بن عفان

رضي الله عنه

كان يكتب لعثمان مروان بن الحكم . وكان عبد الملك بن مروان يكتب
له على ديوان المدينة ، وأبو جبيرة على ديوان الكوفة ، وعبد الله بن الأرقم على
بيت المال ، وأبو غطفان بن عوف بن سعد بن دينار ، من بني دهمان ، من قيس
عيلان^(١) ، يكتب له أيضاً ، وكان يكتب له أهيب ، مولاه ، ومحران ، مولاه .

كتابه

أيام علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

كان يكتب له سعيد بن نمران الهمداني^(٢) ، ثم ول قضاء الكوفة لأن
الزبير ، وكان عبد الله بن جعفر يكتب له . وروى أن عبد الله بن حسن^(٣)
كتب له ، وكان عبد الله^(٤) بن أبي رافع يكتب له ، وسماك بن حرب .

كتابه

وكان يكتب لمعاوية بن أبي سفيان سعيد^(٥) بن أنس الغساني^(٦) . وكاتب
يزيد بن معاوية سرجون^(٧) بن متصور . وكاتب مروان بن الحكم حميد بن
عبد الرحمن بن عوف^(٨) . وكاتب عبد الملك بن مروان سالم مولاه^(٩) ، ثم
كتب له عبد الحميد بن يحيى ، وهو عبد الحميد الأكبر . وكاتب الوليد بن

(١) في الأصول : « همدان ... غilan » . والتصويب عن الطبرى والوزراء .

(٢) في الأصول : « سعد بن عمران » . وما أثبنا عن الوزراء والأغافى (ج ٦ ص ٨) .

(٣) في الوزراء : « جبير » . (٤) في الطبرى : « عبيد الله » .

(٥) ظاهر أن هنا سقطاً من الناسخ يشبه أن يكون : « دولة بني مروان » على نحو ما جاء بعد ، أو « أيام بني مروان » على مثال ما سبق .

(٦) في الوزراء : « عبيد الله بن أوس الغساني » . وفي الطبرى : « عبيد بن أوس » .

(٧) في الأصول والأغافى (ج ٨ ص ٢٩٠) طبعة دار الكتب : « سرحون » .
وما أثبنا عن الوزراء والطبرى .

(٨) هذا غير ما في الوزراء . (٩) هذا غير ما في الوزراء .

عبد الملك جناح مولاه . وكاتب سليمان بن عبد الملك عبد الحميد الأصغر .
وكاتب عمر بن عبد العزيز الليث بن أبي رقية ، مولى أم الحكيم ، وكتب له
رجاء بن حبيبة وخصوص به ، وإسماعيل بن أبي حكيم مولى الزبير ، وسليمان بن
سعد الخشني على ديوان الخراج ، وكان عمر يكتب كثيراً بيده . وكاتب يزيد
بن عبد الملك عبد الحميد ^(١) أيضاً ، ثم لم يزل كاتباً لبني أمية إلى أيام مروان بن
محمد وأنقضاء دولته بني أمية . وكان عبد الحميد أول من فتق أкам البلاغة ،
وشهد طرقها ، وفأك رقاب الشعر .

ثم جاءت الدولة العباسية

فكان كاتب أبي العباس وأبي جعفر أباً أيوب المورياني^(٢) الأهوازي . كتاب بني العباس
١٠ وكاتب موسى الهادى بن محمد المهدى إبراهيم بن ذكوان الحرانى . وكاتب هارون الرشيد بن محمد المهدى يحيى بن خالد البرمكى ، ثم الفضل بن الربيع ، ثم إبراهيم بن صلبيح . وكاتب محمد بن زبيدة الأمين الفضل بن الربيع . وكاتب عبد الله المأمون بن هارون الرشيد الفضل بن سهل ، ثم الحسن بن سهل ، ثم عمرو بن مساعدة ، ثم أحمد بن يوسف . وكاتب أبي إسحاق محمد المعتصم بن هارون الرشيد ، وهو المعروف بابن ماردة ، الفضل بن مروان ، ومحمد بن عبد الملك الزيات . وكاتب الواائق هارون بن محمد المعتصم محمد بن عبد الملك الزيات أيضاً . وكاتب الم توكل جعفر بن محمد المعتصم إبراهيم بن العباس بن صول ، مؤلى لبني العباس . وكاتب المقتصر محمد ، ويكنى أبا جعفر ، بن الم توكل ، أحمد بن الخصيف ، ثم كتب المستعين أحمد بن محمد المعتصم ، فظاهر من عجزه وعيته ما سخطه عليه ، ثم جعل وزارته إلى أوتامش ، وقام بخدمته شجاع بن القاسم كاتبه ، ثم سخط عليهما فقتلهما ، واستوزر أبا صالح عبد الله بن محمد بن يزداد ، ثم صرفه وقد

(٢) في الأصول : « المرباني » ، والتوصيب عن الوزراء والطبرى والقىجرى .

وزارته محمد بن الفضل الجرجاني . ثم كانت الفتنة بين المستعين والمعتز ، فقلد المعتز وزارته جعفر بن محمود الجرجاني ، فلما أستقام الأمر رد وزارته إلى أحد ابن إسرائيل . وكاتب المهدى^(١) محمد بن الواثق جعفر بن محمود الجرجاني ، ثم استوزر بعده أباً أيوب سليمان بن وهب . واستوزر المعتمد أحمد بن الم توكل عبيدة الله بن يحيى بن خاقان ، فلما توفي استوزر بعده الحسن بن مخلد ، وكان سبب موته أنه صدمه غلام له في الميدان يقال له رشيق ، فحمل إلى منزله فمات بعد ثلات ساعات . وتقلد الوزارة لالمعتضد أحمد بن طلحة ، والموفق بن جعفر الم توكل عبيدة الله بن سليمان بن وهب . وتقلد الوزارة لـ مكتفي بالله أبي محمد على بن المعتضد بالله القاسم بن عبيدة الله بن سليمان . وتقلد الوزارة لـ جعفر المقتصد بالله بن المعتضد بالله علي بن محمد بن الفرات ، ثم محمد بن عبيدة الله بن يحيى بن خاقان ، ثم علي بن عيسى ، ثم^(٢) حامد بن العباس ، ثم محمد بن علي بن مقلة ، الذي يوصف خطه بالجودة ، ثم سليمان بن الحسن^(٣) بن مخلد ، ثم عبيدة الله بن محمد الـ كـ لـ وـ ذـ اـ نـ يـ (٤) ، ثم الحسين بن القاسم بن عبيدة الله بن سليمان بن وهب ، ولقب بعميد الدولة ، وكان يكتب على كتبه : من عميد الدولة أبي على بن ولـيـ الـ دـوـلـةـ ، وذـ كـ رـ لـ قـ بـهـ عـلـىـ الدـنـانـيـرـ والـ درـاـهـمـ ، ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن الفرات . وتقلد الوزارة لـ فـاـهـ بـاـهـ ١٥

أـبـيـ مـذـصـورـ مـحـمـدـ بـنـ الـ مـعـضـدـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـيـ بـنـ مـقـلـةـ ، ثم محمد بن القاسم بن عبيدة الله ، ثم القاسم بن عبيدة الله الحصيني^(٥) . وتقلد الوزارة للراضي بالله أبي العباس محمد ابن جعفر المقتصد محمد بن علي بن مقلة ، ثم عبد الرحمن بن عيسى ، أخو الوزير على بن عيسى ، ثم^(٦) محمد بن القاسم الـ كـ رـ خـ (٧) ، ثم الفضل بن جعفر بن محمد بن

(١) في الأصول : « المهدى » .

(٢) في الأصول : « بن » مكان « تم » والتصويب عن الوزراء والفخرى .

(٣) في الأصول : « الحسين » والتصويب عن الفخرى .

(٤) في بعض الأصول : « عبد الله بن أحمد الـ كـ لـ وـ ذـ اـ نـ يـ (٤) » .

(٥) فيما سيأتي في العقد الفريد : « أحمد بن عبد الله الحصيني » . والذى في مسروج الذهب : « أبو العباس أحمد بن عبيدة الله الحصيني » .

(٦) في الأصول : « بن » مكان « تم » . والتصويب عن الفخرى .

الفرات ، ثم محمد بن يحيى بن شيرزاد . وتقلد الوزارة للمُتقى بالله إبراهيم بن جعفر ابن المقصد كاتبًاً لأحمد بن محمد بن الأفطس ، ثم أبو إسحاق القراريطي ، ثم على بن محمد بن مقلة^(١) . وتقلد الوزارة المُستكفي بالله أبي القاسم عبد الله بن علي المكتفي بالله الحسين بن محمد بن أبي سليمان ، ثم محمد بن علي السامرائي ، المكتفي أبي الفرج . ثم ولـي المطیع بالله الفضل بن المقذر ، فوزر له الحسن بن هارون^(٢) .

أسماء من كتب لغير الخليفة

كان المغيرة بن شعبة كاتبًاً لأبي موئي الأشعري . وكان سعيد بن جبير كاتبًاً لعبد الله بن عتبة بن مسعود ، وكان قاضيًا بعد ذلك . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري ، مع نبله وفقهه وورعه وزهده ، كاتبًاً للربيع بن زياد الحارثي^{١٠} بخراسان ، ثم ولـي قضاء البصرة لعمـر بن عبد العزيز ، فقيل له : من ولـيت القضاء بالبصرة ؟ فقال : ولـيت سيد التابعين الحسن بن أبي الحسن البصري . وكان محمد بن سيرين ، مع علمـه وورعـه كاتبًاً لأنـس بن مالـك بفارس . وكان زيـاد ابن أبيـه ، مع رأـيه ودهـائه ، وما كان من معاـية في أدـعـاه ، يكتب للمـغـيرة ابن شـعبـة ، ثم لـعبد الله بن عـاصـرـ بن كـرـيز^(٣) ، ثم لـعبد الله بن عـتـاسـ ، ثم لـأـبيـ مـوسـىـ الأـشـعـريـ . فـوجـهـهـ أـبـوـ مـوسـىـ مـنـ الـبـصـرـةـ لـعـمـرـ بنـ الـخـطـابـ لـيـرـفـعـ إـلـيـهـ حـسـابـهـ ، فـأـمـرـ لـهـ عـمـرـ بـأـلـفـ دـرـهـمـ ، لـمـاـ رـأـيـ مـنـهـ مـنـ الـذـكـاءـ ، وـقـالـ : لـهـ لـاـ تـرـجـعـ لـأـبـيـ مـوسـىـ ؟ـ فـقـالـ : يـاـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ .ـ أـعـنـ خـيـانـةـ صـرـ فـتـنـيـ أـمـ عنـ تـقـصـيرـ ؟ـ قـالـ : لـاـ عنـ وـاحـدـةـ مـنـهـ ،ـ وـلـكـنـ أـكـرـهـ أـنـ أـحـمـلـ فـضـلـ عـقـلـكـ عـلـيـ الـرـعـيـةـ ؛ـ ثـمـ وـلـيـ بـعـدـ الـكـتـابـةـ الـعـرـاقـ .ـ وـكـانـ عـاصـرـ الشـعـبـيـ مـعـ فـقـهـهـ وـعـلـمـهـ وـنـبـلـهـ كـاتـبـاـ لـعـبدـ اللهـ بنـ يـزـيدـ ،ـ عـامـلـ عـبدـ اللهـ بنـ الزـبـيرـ عـلـىـ الـكـوـفـةـ ؛ـ

(١) في الأصول : « محمد بن علي بن مقلة ». والتوصيب عن صر وجو الذهب والفضة .

وـمحمدـ بنـ عـلـيـ بنـ مـقـلـةـ تـوـفـيـ سـنـةـ ٣٢٨ـ ،ـ أـىـ قـبـلـ وـلـاـيـةـ الـمـتـقـىـ الـقـيـ كـانـ سـنـةـ ٣٢٩ـ

لـعـلـهـ الـحـسـنـ بنـ مـحـمـدـ الـمـهـلـيـ .ـ (ـانـظـرـ الـعـقـدـ فـيـهـ سـيـأـتـيـ وـابـنـ خـلـكـانـ جـ ١ـ صـ ١٤٢ـ)ـ

(٢) في الأصول : « كـرـيزـ ».ـ وـهـوـ تـحـرـيفـ .ـ (ـانـظـرـ الـعـارـفـ وـالـطـبـرـيـ)ـ

ثم ولَى قضاء السُّكُوفة بعد السِّكتابة. وكان قبيصه بن ذؤيب كاتبًا لعبد الملك على ديوان الخاتم^(١). وكان عبد الرحمن كاتب نافع بن الحارث، وهو عامل أبي بكر وعمه على مكة. وكان عبد الله بن خلف الخزاعي، أبو طلحة الطلحات، كاتبًا على ديوان البصرة لعمر وعثمان، ثم قُتل يوم الجمل مع عائشة، رضي الله عنها. وكان خارجة بن زيد بن ثابت على ديوان المدينة، ثم طلب الخلافة فُقتل دونها. وكان يزيد^(٢) بن عبد الله^(٣) بن زمعة^(٤) بن الأسود بن المطلب بن أسد ابن عبد العزى كاتبًا على ديوان المدينة زمن^(٥) يزيد بن معاوية، وكان بعده حميد بن عبد الرحمن بن عوف الزهرى^(٦).

أشراف [الكتاب]

كتاب النبي صلى الله عليه وسلم
الله عليه وسلم

١٠ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم .
كتب له عشرة كتاب : على بن أبي طالب ، وعمر بن الخطاب ، وعثمان
ابن عفان ، وخلال بن سعيد بن العاصى ، وأبان بن سعيد بن العاصى ، وأبو
سعيد بن العاصى ، وعمرو بن العاصى ، وشُرحبيل بن حسنة ، وزيد بن ثابت ،
والعلاء بن الحضرمى ، ومعاوية بن أبي سفيان^(٧) ، فلم يزل يكتب له حتى مات
عليه الصلاة والسلام .

٢٠٨ من أشراف
الكتاب
وكان عثمان بن عفان كاتبًا لأبي بكر ، ثم صار خليفة . وكان مروان بن
الحكم كاتبًا لعثمان بن عفان ثم صار خليفة . وكان عمرو بن سعيد بن العاصى

- (١) زيد في بعض الأصول كلة : « بعد » بعد قوله : « الخاتم » .
 (٢) في الأصول : « زيد » . وما أثبتناه عن سائر الأصول والطبرى .
 (٣) في الأصول : « عبد الله » . وما أثبتناه عن الطبرى .
 (٤) في الأصول : « ربيعة » وما أثبتناه عن الطبرى والإصادبه والسيرة .
 (٥) في بعض الأصول : « من » وهو تحرير .
 (٦) ذكر المؤلف في هذا الباب قبيصه وعبد الله بن خلف وخارجة ويزيد بن عبد الله ،
مع أنهم من كتبوا للخلفاء . (٧) كذا في أكثر الأصول . وهو على هذا أحد
عشرين ذكر لهم (ى) ولم تذكر فيهم أبان . وانظر الوزراء والكتاب في أسماء من ثبت
عليه كتابته صلى الله عليه وسلم . ثم انظر ما سبق في هذا الجزء (ص ١٦٠ — ١٦٣)
عند الكلام على شرف الكتاب وفضلهم .

كاتبًا على ديوان المدينة ، ثم طلب الخلافة فقتل دونها . وكان المغيرة بن شعبة كاتبًا لأبي موسى الأشعري . وكان الحسن بن أبي الحسن البصري كاتبًا للربيع ابن زياد الحارثي بخراسان . وكان سعيد بن جبير كاتبًا لعبد الله بن عقبة بن مسعود ، وكان فاضلا . وكان زياد كاتبًا للمغيرة بن شعبة ، ثم لأبي موسى الأشعري ، ثم لعبد الله بن عامر بن كريز ، ثم لعبد الله بن عباس . وكان عامر الشعبي كاتبًا لعبد الله بن مطیع ، وهو والي الكوفة لعبد الله بن الزبير . وكان محمد بن سيرين كاتبًا لأنس بن مالك بفارس . وكان قبيصية بن ذؤيب كاتبًا لعبد الملك ، على ديوان الخاتم . وكان عبد الرحمن بن أبزر كاتب نافع بن الحارث الخزاعي ، وهو عامل أبي بكر وعمرا على مكة . وكان عبيد الله^(١) بن أوس الغستاني ، سيد أهل الشام ، كاتب معاوية . وكان سعيد بن نمران^(٢) الهمданى ، سعيد همدان ، كاتب على بن أبي طالب ، ثم ولى بعد ذلك قضاء الكوفة لابن الزبير . وكان عبد الله بن خلف الخزاعي ، أبو طلحة الطلحات ، كاتبًا على ديوان البصرة لعمرو وعثمان ، وقتل يوم الجمل مع عائشة . وكان خارجة بن زيد ابن ثابت على ديوان المدينة من قبل عبد الملك . وكان يزيد بن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد بن عبد العزى على ديوان المدينة زمان يزيد بن معاوية . وكان بعده حميد ، ابن عبد الرحمن بن عوف الزهرى ، صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

من نبل بالكتابة وكان قبل خاملا

سرجون بن منصور الرؤمى ، كاتب معاوية ويزيد ابنه ومروان بن الحكم تسمية بعضهم ٢٠ وعبد الملك بن مروان ، إلى أن أمره عبد الملك بأمر فتوانى فيه ، ورأى منه

(١) كذا في بعض الأصول ، والذى في الطبرى : « عبيد بن أوس » . وقد صرف هذا الجزء باسم : « سعيد بن أنس » . والذى في سائر الأصول : « عبد الله » .

(٢) كذا في الوراء والطبرى والأغانى (ج ١٦ ص ٨) طبعة بلاق . والذى في الأصول : « سعيد بن عمران » .

عبد الملك بعض التغريط ، فقال سليمان بن سعد كاتبه على الرسائل : إن مَرْجُون يُدِل علَيْنَا بصناعته ، وأَظُنْ أَنَّه رأى ضَرورَتَنَا إِلَيْهِ فِي حِسَابِه ، فَمَا عَنْكَ فِيهِ حِيلَة ؟ فقال : بلى ، لَوْشَدَتْ لَحْوَاتُ الْحِسَابِ مِنَ الرُّؤْمِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ .
 قال : أَفْعُل . قال : أَنْظُرْنِي أُعَانِ ذَلِكَ . قال : لَكَ نَظِرةً مَا شَدَّتْ . فَحَوَلَ
 الْدِيَوَانَ ، فَوَلَاهُ عَبْدُ الْمَلَكَ جَمِيعَ ذَلِكَ . وَحَسَانُ النَّبَطِيُّ^(١) كَاتِبُ الْحَجَاجِ ، وَسَالَمُ
 مَوْلَى هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلَكِ ، وَعَبْدُ الْحَمِيدِ الْأَكْبَرِ ، وَعَبْدُ الصَّمْدِ^(٢) ، وَجَبَلَةُ بْنُ
 عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَقَحْذَمُ ، جَدُّ الْوَلِيدِ^(٣) بْنُ هِشَامَ الْقَحْذَمِيِّ ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ الدَّوَافِينَ
 مِنَ الْفَارَسِيَّةِ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ^(٤) . وَمِنْهُمْ : الْفَرَاءُ^(٥) ، كَاتِبُ خَالِدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ
 الْقَسْرِيِّ . وَمِنْهُمْ : الرَّبِيعُ ، وَالْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ ، وَيَعْقُوبُ بْنُ دَاؤِدَ ، وَيَحْيَى
 بْنُ خَالِدَ ، وَجَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى ، وَأَبُو [مُحَمَّد] عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُقْفَعِ ، وَالْفَضْلُ بْنُ سَهْلَ ،
 وَالْحَسَنُ بْنُ سَهْلَ ، وَجَعْفَرُ بْنُ [مُحَمَّد] بْنِ [الْأَشْعَثِ]^(٦) ، وَأَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ ،
 وَأَبُو^(٧) عَبْدِ السَّلَامِ الْجُنْدِيِّ سَابُورِيُّ ، وَأَبُو جَعْفَرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلَكِ الزَّيَّاتِ ،
 وَالْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ ، وَإِبْرَاهِيمُ بْنُ الْعَبَاسِ الصَّوْلِيِّ ، وَنَجَاحُ بْنُ سَلَمَةَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ
 مُحَمَّدِ [بْنِ] الْمُدْبَرِ . فَهُؤُلَاءِ نَبَلُوا بِالْكِتَابَةِ وَأَسْتَحْقَوْا أَسْمَهَا .

من أدخل نفسه في الكتابة ولم يستحقها

صَالِحُ بْنُ شِيرَزَادَ ، وَجَعْفَرُ بْنُ سَابُورَ ، كَاتِبُ الْأَفْشِينِ ، وَالْفَضْلُ بْنُ
 مَرْوَانَ ، وَدَاؤِدُ بْنُ الْجَرَاحَ ، وَأَبُو صَالِحِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ يَزْدَادَ ، وَأَحْمَدُ بْنُ

(١) كان حسان نصراانيا ولم يسلم إلا أيام هشام على يد ابن المتنسر . (انظر الوزراء) .

(٢) لعله عبد الصمد بن أبان . (انظر الوزراء والكتاب) .

(٣) في صبح الأعشى (ج ١ ص ٤) : « جد الحجاج » .

(٤) الذي في الوزراء أن الذي نقل الدواوين إلى العربية هو صالح بن عبد الرحمن أيام الحجاج ، وكان أستاذًا لـكثيرين منهم قد حدم هذا .

(٥) في الوزراء أن كاتب خالد هو : « مروان بن لايس » .

(٦) الشكلة من الوزراء .

(٧) في صبح الأعشى (ج ١ ص ٤) : « ابن عبد السلام » .

بعض الشعرا
ف ابن شيرزاد

٢٠٩ ابن الخصيـب . فهؤلاء لطخوا أنفسهم بالكتـابة وما دانوها^(١)

وقال بعضُ الشعراء في صالح بن شيرزاد :

حـارـ في الـكتـابة يـدـعـها كـدـعـيـ آـلـ حـربـ في زـيـادـ
فـدـعـ عـنـكـ الـكتـابة لـسـتـ مـنـها وـلـوـ غـرـقـتـ ثـوبـكـ فـيـ المـدـادـ

وـمـنـهـمـ : أـبـوـ أـيـوبـ ، أـبـنـ أـختـ أـبـيـ الـوزـيرـ^(٢) ، وـهـوـ الـقـائـلـ يـرـثـيـ أـمـ سـلـيـانـ
أـبـنـ وـهـبـ رـفـاهـ أـمـ سـلـيـانـ لـأـبـيـ أـيـوبـ

لـأـمـ سـلـيـانـ عـلـيـنـاـ مـصـيـبـةـ مـغـلـفـةـ^(٣) مـثـلـ الـحـسـامـ الـبـوـاـزـ
وـكـنـتـ سـرـاجـ الـبـيـتـ يـاـ أـمـ سـالـمـ فـأـضـحـىـ سـرـاجـ الـبـيـتـ وـسـطـ الـمـقـابـرـ
فـقـالـ سـلـيـانـ بـنـ وـهـبـ : مـاـ نـزـلـ بـأـحـدـ مـنـ خـلـقـ اللـهـ مـاـ نـزـلـ بـيـ ، مـاتـتـ أـمـيـ
فـرـقـيـتـ بـمـثـلـ هـذـاـ الشـعـرـ ، وـنـقـلـ أـسـمـيـ مـنـ سـلـيـانـ إـلـىـ عـالـمـ .^(٤)

صفة الكتاب

^(٤) قال إبراهيم بن محمد الشيباني : من صفة الكاتب اعتدال القامة ، وصغر
الهامة ، وخفـة اللـهـازـمـ^(٥) ، وكـشـافـةـ الـلـاحـيـةـ ، وصـدـقـ الـحـيـنـ ، ولـطـفـ الـمـذـهـبـ ،
وحلـاؤـ الشـعـائـلـ ، وحـسـنـ^(٦) الإـشـارـةـ ، ومـلـاحـةـ الزـرـىـ ، حتى قال بعضُ الـمـهـاـبـةـ
لـوـلـدـهـ : تـزـيـّـاـ بـرـزـىـ الـكـتـابـ ، فـإـنـ فـيـهـمـ أـدـبـ الـمـلـوكـ وـتـوـاضـعـ السـوـقـةـ . وـقـالـ
إـبـراهـيمـ بـنـ مـحـمـدـ الـكـاتـبـ : مـنـ كـمـالـ آـلـ الـكـتـابـ أـنـ يـكـونـ الـكـاتـبـ : نـقـىـ
الـمـلـبـسـ ، نـظـيفـ الـمـجـلـسـ ، ظـاهـرـ الـمـرـوـةـ ، عـطـرـ الرـائـحةـ ، دـقـيقـ الـذـهـنـ ، صـادـقـ
الـحـيـنـ ، حـسـنـ الـبـيـانـ ، رـقـيقـ حـوـاـشـيـ الـلـاسـانـ ، حـلـوـ الإـشـارـةـ ، مـلـيـحـ الـأـسـتـعـارـةـ ،

(١) في : « و هجنوها » مكان : « وما دانوها » .

(٢) هو أبو الوزير عمر بن مطرف ، كتب للمهدى والرشيد . (انظر الوزراء)

(٣) في بعض الأصول : « مفلقة » .

(٤) في صبح الأعشى (ج ١ ص ٦٧) : « محمد بن إبراهيم الشيباني » .

(٥) اللـهـزـمـتـانـ : مـضـغـتـانـ فـيـ أـصـلـ الـحـنـكـ .

(٦) في صبح الأعشى ونهاية الأربع (ج ٧ ص ١٢) : « وخطف » .

لطيف المسالك ، مُسْتَقِرٌ التّركيب^(١) ؛ ولا يكون مع ذلك فضفاض الجثة^(٢) ،
مُتفاوت الأجزاء ، طويل اللحية ، عظيم الهامة ؛ فإنهم زعموا أن هذه الصورة
لا يليق بصاحبها الذكاء والفهم . وأنشد سعيد بن حميد في إبراهيم بن العباس :

رأيت لهازما الكتاب خفت ولهزمتك شأنهما الفدامة^(٣)

لابن حميد في
ابن العباس

وكتاب الملوك لهم بيان كمثل الدر قد رصفوا نظامه
وأنت إذا نطقت كان غيرك يلوك بما يفوه به لجامه

بعض الشعراء وقال آخر :

عليك بكاتب لم يرق رشيق زكي في شمائله حراره
تناجيه بطرفك من بعيد فيفهم رجم لحظك بالإشاره

ونظر أحد بن الحصيبي إلى رجل من الكتاب : فدم المنظر^(٤) ، مضطرب
الخلق ، طويل الععنون ، فقال : لأن يكون هذا فنطاس مركب أشبه من
أن يكون كاتباً .

لابن الحصيبي
في كاتب

فإذا اجتمعت للكتاب هذه الخلال ، وانتظمت فيه هذه الخصال ، فهو
الكاتب البليغ ، والأديب النحير ؛ وإن قصرت به آلة من هذه الآلات ،
وقدت به أداة من هذه الأدوات ، فهو منقوص المجال ، مُنْكِسْفُ الحِس ،
مبخوس النصيبي .

ما ينبغي للكتاب أن يأخذ به نفسه

لإبراهيم الشيباني قال إبراهيم الشيباني : أول ذلك حُسن الخط الذي هو إنسان اليد ، وبهجة
الضمير ، وسفر العقل ، ووحى الفكرة ، وسلاح المعرفة ، وأنس الإخوان عند
الفرقة ، ومحاذاتهم^(٥) على بعد المسافة ، ومستودع السر ، وديوان الأمور .
ولست أجد لحسن الخط حداً أوقف عليه أكثر من قول على [بن رَبَّن]

(١) في نهاية الأرب : « مستفره المركب ». (٢) في بعض الأصول : « الجبة » .

وما أثبتنا عن سائر الأصول وصبح الأعشى . (٣) الفدامة : المي عند الكلام .

(٤) أي غليظ سمين . (٥) في بعض الأصول : « ومحاذاتهم » .

النصراني الكاتب^(١) ، فإني سأله وأستو صفتُه أَلْخَطُ ، فقال : أَعْلَمُك الْخَطُّ فـ
كلمة واحدة ، فقلت له : تَفَضَّلْ بـذلـك ، فقال : لـا تـكـتبْ حـرـفـاً حتـى تـسـتـفـرـغـ
مجـهـودـكـ في كـتـابـةـ الـحـرـفـ ، وـتـجـعـلـ فـي نـفـسـكـ أـنـكـ لـا تـكـتبـ غـيرـهـ حتـى تـعـجـزـ
عـنـهـ ، إـنـمـا تـنـقـلـ إـلـىـ ماـ بـعـدـهـ . وـإـيـاكـ وـالـنـقـطـ وـالـشـكـلـ فـي كـتـابـكـ إـلـاـنـ تـمـ
بـالـحـرـفـ الـمـعـضـلـ الـذـي تـعـلـمـ أـنـ الـمـكـتـوبـ إـلـيـهـ يـعـجـزـ عـنـ أـسـتـخـارـاجـهـ ؛ فـإـنـ سـمـعـتـ
سعـيدـ بـنـ حـمـيدـ [بـنـ عـبـدـ الـحـمـيدـ] الـكـاتـبـ يـقـولـ : لـأـنـ يـشـكـلـ الـحـرـفـ عـلـىـ
الـقـارـىـ أـحـبـ إـلـىـ مـنـ أـنـ يـعـابـ الـكـتابـ بـالـشـكـلـ . وـكـانـ الـمـأـمـونـ يـقـولـ :
إـيـاكـ وـالـشـوـنـيـزـ^(٢) فـيـ كـتـبـكـ - يـعـنـيـ النـقـطـ وـالـإـعـجـامـ . وـمـنـ ذـلـكـ أـنـ يـضـلـعـ
الـكـاتـبـ آلـتـهـ الـتـي لـا بـدـ مـنـهـ ، وـأـدـاـتـهـ الـتـي لـا تـمـ^(٣) صـنـاعـتـهـ إـلـاـبـهـ ، مـثـلـ دـوـاتـهـ ،
فـلـيـنـعـمـ رـبـهـ^(٤) وـإـصـلـاحـهـ ، وـلـيـتـخـيـرـ مـنـ أـنـ يـدـبـ الـقـصـبـ أـقـلـهـ عـقـدـاـ ، وـأـكـثـرـهـ لـحـنـاـ ،
وـأـصـلـبـهـ قـشـرـاـ ، وـأـعـدـلـهـ أـسـتـواـءـ ، وـيـجـعـلـ لـقـرـطـاسـهـ سـكـيـنـاـ حـادـاـ لـتـكـونـ عـونـاـ لـهـ
عـلـىـ بـرـمـىـ أـقـلامـهـ ، وـيـبـرـيـهاـ مـنـ نـاحـيـةـ نـبـاتـ الـقـصـبةـ . وـأـعـلـمـ أـنـ مـحـلـ الـقـلـمـ مـنـ
الـكـاتـبـ كـمـحـلـ الرـمـحـ مـنـ الـفـارـسـ .

قال العتابي : سأله الأصممي [يوماً] في دار الرشيد : أى الأنابيب
للكتابة أصلح وعليها أصبر ؟ فقلت له : ما نشف بالهجر ماوه ، وستره عن
تلويحه غشاوه ، من التبيرة القصور ، الدزية الظهور ، الفضية الكسور . قال :
فأى نوع من البرى أصوب وأكتب ؟ فقلت : البرية المستوية القطعة ، التي
عن يمين سينها قرنة ^(٥) تأمن معها المراجحة عند المدة والمطأة ، للهواء في شقها فتيمق ،

(١) انظر الطبرى والمشتبه وابن أبي أصيبيعة (ج ١ س ٣٠٩) وفهرست ابن النديم (س ٣١٦). وقد ذكر له ابن النديم من مؤلفاته كتابا في الآداب والأمثال على مذاهب الفرس والروم والعرب. وفي الأصول: «الصرابياذى».

(٢) الشونيز : الجبة السوداء ، فارسي . (٣) في بعض الأصول : « لا تشر » .
 (٤) رحها : إصلاحها .

(٤) ریها: مصلاحها.

(٤) القرنة (بالضم) : الطرف الشاخص من كل شيء أو زاويته أو شعيبته أو ما نتاً منه . وفي بعض الأصول : « مرنة » . وهو تحريف .

والريح في جوفها خريق^(١) ، والمداد في خرطومها رقيق . قال العتابي : فبقي الأصمعي شاخضا إلى ضاحكا لا يُحير مسألة ولا جوابا .

ولا يكون الكاتب كاتبا حتى لا يستطيع أحد تأخير أول كتابه وتقديم آخره . وأفضل الكتاب ما كان في أول كتابته دليلا على حاجته ، كما أن أفضل الأبيات ما دلت أول البيت على قافية . فلا تُطيلن صدر كتابك إطالة تُخرجه عن حده ، ولا تُقصّر به دون حدّه ، فإنهم قد كرّهوا في الجملة أن تزيد صدور كتب الملوك على متطررين أو ثلاثة أو ما قارب ذلك .

من صفات
الكاتب

لشعي
وابن وهب

من صفات
الكاتب أيضا

فاما الكاتب المستحق أئم الكتابة ، والبلیغ المحکوم له بالبلاغة ، من إذا حاول صيغة كتاب سالت عن قلمه عيون الكلام من ينابيعها ، وظهرت من معادنها ، وبدرت من مواطنها ، من غير أستکراه ولا أغتصاب .

بین العتابی
وصدیق له ثم بین
یزید وکاتب له

بلغني أن صديقا لـ كلثوم العتابي أتاه يوما فقال له : أصنع لي رسالة ، فاسقط مدّة ثم علق القلم ، فقال له صاحبه : ما أرى بلا غتك إلا شاردة عنك .
قال له العتابي : إني لما تناولت القلم تداعت على المعانى من كل جهة ، فأحببت أن أترك كل معنى حتى يرجع إلى موضعه ثم أجتنى لك أحسنها . قال أحد بن محمد : كفت عند يزيد بن عبد الله أخي ذبيان ، وهو يُنْسَلِ على كاتب له ، فأعجل الكاتب ودارك في الإملاء عليه ، فتلجلج لسان قلم الكاتب عن تقديره إملائه ، فقال له : أكتب يا حمار . فقال له الكاتب : أصلح الله الأمير ، إنه لما هطلت شأبيب الكلام وتدافعت سُيُوله على حرف القلم ، كل القلم عن إدراك ما وجب عليه تقديره . فكان حضور جواب الكاتب أبلغ من بلاغة يزيد .
وقال له يوما وقد مط^(٢) خرقاً في غير موضعه : ما هذا ؟ قال : طُعْمان في القلم .

(١) ريح خريق : راجعة غير مستمرة السير ؛ أو هي الينية السهلة .

(٢) في بعض الأصول : « نط » .

فإنْ كانَ لَا بُدًّا [لَكَ] مِنْ طَلَبِ أدواتِ الْكِتَابَةِ فَتَصْفَحْ مِنْ رسائلِ
الْمُتَقَدِّمِينَ مَا يُعْتَمِدُ عَلَيْهِ ، وَمِنْ رسائلِ الْمُتَأْخِرِينَ مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ ، وَمِنْ نَوَادِرِ
الْكَلَامِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ ، وَمِنْ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالسِّيرِ وَالْأَسْمَارِ مَا يَتَسَعُ بِهِ
مَنْطِقُكَ ، وَيَطْوُلُ بِهِ قَلْمَكَ ، وَانْظُرْ فِي كِتَابِ الْمَقَامَاتِ وَالْخُطَبِ ، وَجُمَاهِرَةِ
الْعَرَبِ^(١) ، وَمَعْنَى الْعِجمِ ، وَحُدُودَ الْمَنْطَقِ ، وَأَمْثَالِ الْفُرْسِ وَرَسَايَاهُمْ وَعُهُودِهِمْ
وَسِيرِهِمْ وَوَقَائِهِمْ وَمَكَابِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ^(٢) ، وَالْوَثَائقِ وَالصُّورِ وَكِتَابِ السُّجَلَاتِ
وَالْأَمَانَاتِ ، وَقَرْضِ الشِّعْرِ الْجَيِّدِ ، وَعِلْمِ الْعَروْضِ ، بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مُتوسِطًا
[فِي] عِلْمِ النَّحْوِ وَالغَرِيبِ ، لِتَكُونَ مَاهِرًا تَنْتَزَعُ^(٣) آيَ الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعِهَا ،
وَالْأَمْثَالِ^(٤) فِي أَمَاكِنِهَا ، فَإِنْ تَضَمِّنَ الْمَثَلُ السَّافِرَ ، وَالْبَيْتَ الْغَابِرَ الْبَارِعَ ، مِمَّا
يُزِينُ كِتَابَكَ ، مَا لَمْ تُخَاطِبْ خَلِيفَةً أَوْ مَلِكَا جَلِيلَ الْقَدْرِ ؛ فَإِنْ أَجْتَلَابَ
الشِّعْرَ فِي كِتَابِ الْخَلْفَاءِ عَيْبٌ^(٥) ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْقَارِضُ لِلشِّعْرِ وَالصَّانِعُ
لَهُ ، فَإِنْ ذَلِكَ يَزِيدُ^(٦) فِي أَبْهَتِهِ .

خبر حائل الكلام

أبو جعفر البغدادي قال : حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ : لَمَارَجَ الْمُعَقَّمَ
١٥ مِنَ الشَّفَرِ وَصَارَ بِنَاحِيَةِ الرَّوْقَةِ ، قَالَ لِعُمَرَ وَبْنَ مَسْعُودَ^(١) : مَا زَلْتَ تَسْأَلُنِي فِي
الرَّشْحَجِيِّ^(٢) حَتَّى وَلَيْتَهُ الْأَهْوَازَ ، فَقَدَدَ فِي سُرَّةِ الدُّنْيَا يَأْكُلُهَا حَضْمَا وَقَضْمَا ، وَلَمْ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « الْعَرَبُ فِي حُرُوبِهِمْ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « فِي حُرُوبِهِمْ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مُتوسِطًا فِي عِلْمِ النَّحْوِ وَالغَرِيبِ
وَالْوَثَائقِ وَالصُّورِ وَكِتَابِ السُّجَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ لِتَكُونَ ... فِي أَمَاكِنِهَا وَقَرْضِ
الشِّعْرِ الْجَيِّدِ وَعِلْمِ الْعَروْضِ ، فَإِنْ تَضَمِّنَ ». وَفِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ لَا يُسْتَقِيمُ بِهِ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَالْخَلَافَ الْأَمْثَالِ ». (٤) فِي : « فَإِنْ ذَلِكَ مَا يَنْفَذُ » .

(٥) كَذَا فِي الْأَصْوَلِ وَصَبَحَ الْأَعْشَى (ج ١ مِنْ ١٤٢) . وَالْمُعْرُوفُ أَنَّ عُمَرَ وَبْنَ مَسْعُودَ
تَوَفَ فِي حِيَاةِ الْمُؤْمِنِينَ سَنَةَ ٢١٧ . وَأَنَّ الْمُعَقَّمَ وَلِيَ الْخَلَافَةِ فِي رَجَبِ سَنَةِ ٢١٨ .

(٦) هُوَ عُمَرُ بْنُ الْفَرْجِ ، كَافِي صَبَحِ الْأَعْشَى . وَالرَّشْحَجِيُّ : نَسْبَةٌ إِلَى رَخْجٍ ، كُورَةٍ وَمَدِينَةٍ
مِنْ نَوَاحِي كَابِلٍ . وَكَانَ عُمَرُ وَأَبُوهُ فَرْجٌ مِنْ أَعْيَانِ الْكِتَابِ فِي أَيَّامِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَيَّامِ
الْمُتَوَكِّلِ . (انْظُرْ مَعْجِمَ الْبَلَادِ) . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « الرَّجْحَجِيُّ » . وَهُوَ تَصْحِيفٌ .

يُوجّه إلينا بدرهم واحد . أخرج إليه من ساعتك . فقلت في نفسي : أبعد الوزارة أصيراً مُستَحْثِنا على عامل خراج ! ولكن لم أجده بدأ من طاعة أمير المؤمنين ، فقلت : أخرج إليه يا أمير المؤمنين . فقال : أحلف لى أنك لا تقيم ببغداد إلا يوماً واحداً . خلقت له ، ثم انحدرت إلى بغداد ، فأمرت فُرش لـ زورق^(١) بالطبرى ، وغشى^(٢) بالسلخ^(٣) ، وطرح عليه السكر^(٤) . ثم خرجت ، فلما صررت بين دير هزقل ودير العاقول^(٥) إذا رجل يصبح : يا ملاح ، رجل منقطع . فقلت للملاح : قرب إلى الشط . فقال : يا سيدي ، هذا شحاذ ، فإن قعد معلك آذاك . فلم ألتقت إلى قوله ، وأمرت الغلامان فأدخلوه ، فقعد في كوثل^(٦) الزورق . فلما حضر وقت الغداء عزمت أن أدعوه إلى طعامي ، فدعوته ، فحمل يا كل جائع بنهاية إلا أنه نظيف الأكل . فلما رفع الطعام أردت أن ١٠ يسْتعْمِلْ معي ما يسْتعْمِلُ العوام مع الخواص : أن يقوم فيغسل يده في ناحية ، فلم يفعل ، فقمزه الغلامان فلم يقم ، فتشاغلت عنه ثم قلت : يا هذا ، ما صناعتك قال : حائك^(٧) . فقلت في نفسي : هذه شر من الأولى . فقال لي : جعلت في ديك ، قد سألتني عن صناعتي فأخبرتني ، فما صناعتك أنت ؟ قال : فقلت في نفسي : هذه أعظم من الأولى ، وكرهت أن أذكره الوزارة ، فقاتت أقصره ١٥ على الكتابة ، فقلت : كاتب . قال : جعلت فدك ، الكتاب على خمسة أصناف : فكتاب رسائل يحتاج إلى أن يعرف الفصل من الوصل ، والصدر ،

(١) في بعض الأصول : « زلال » .

(٢) في بعض الأصول : « وحشى » .

(٣) السلخ (بالكسر) : الجلد . وفي بعض الأصول : « بالثلج » .

(٤) السكر (بالضم) : السباء .

(٥) دير هزقل : دير مشهور بين البصرة وعسكر مكرم . ودير العاقول : بين مدائن كسرى والنعانية ، وبينه وبين بغداد خمسة عشر فرسخاً . (انظر معجم البلدان) .

(٦) الكوثل : مؤخر السفينة أو سكانها .

(٧) في بعض الأصول : « حائك الكلام » .

والتهانى ، والتعازى ، والترغيب والترهيب ، والمقصور والممدد ، وجلاً من
العربية ؛ وكاتب خراج يحتاج إلى أن يعرف الزَّرع والمساحة ، والأحوال^(١)
والطُّسوق^(٢) ، والتقسيط ، والحساب ؛ وكاتب جندي يحتاج إلى أن يعرف مع الحساب
الأطعاع^(٣) ، وشيئات الدواب ، وحلى^(٤) الناس ؛ وكاتب قاضٍ يحتاج إلى أن يكون
عالماً بالشروط والأحكام والفروع والناسخ والمنسوخ والحلال والحرام والمواريث ؛
وكاتب شرطة يحتاج إلى أن يكون عالماً بالجروح والقصاص والعقول^(٥) والديات .
فأيهم أنت أعزك الله ؟ قال : قلت : كاتب رسائل . قال : فأخبرني إذا كان لك صديق
تكتب إليه في المحبوب والمكره وجميع الأسباب ، فتزوجت أثه ، فكيف
تكتب له ، أتهنئه أم تعزّيه ؟ قلت : والله ما أقف على ما تقول . قال : فلست
بكاتب رسائل ، فأيهم أنت ؟ قلت : كاتب خراج . قال : فما تقول أصلحك
الله وقد ولاك السلطان عملاً فبدئت عملاً لك فيه ، فإليك قوم يتظلمون من بعض
عملاً لك ، فأردت أن تنظر في أمورهم ، وتنصفهم إذ كنت تحب العدل والبر^(٦) ،
وتوثر حسن الأحداث وطيب الذكر ، وكان لأحدهم قراح^(٧) ، كيف كنت
تمسحه ؟ قال : كنت أضرب المطوف في العمود ، وأنظركم مقدار ذلك . قال :
إذن تظلم الرجل . قلت : فامسح العمود على حدة . قال : إذن تظلم السلطان .
قلت : والله ما أدرى . قال : فلست بكاتب خراج ، فأيهم أنت ؟ قات : كاتب

(١) الأشوال : جمع شول . وهى النوق أثقل عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر
خف لبنيها ؛ الواحدة : شائلة . (٢) كذا فى الأصول . والطسوق : جمع
طسوق ، وهو ما يوضع من الوظيفة على الجربان من الخراج المقرر على الأرض ،
فارسى معرب . وفي صبيع الأعشى : « السطوح » . وهو تحرير .

(٣) الأطعاع : الرواتب الجارية على الجندي في الأوقات التي يستحقونها فيها على ما يقتضيه كل زمان . (انظر الاقتباس ص ٧٤) . وفي بعض الأصول : « التقدير » .

(٤) حلى (كهدى وبضم الحاء وكسر اللام وتشديد الياء) جمع حلية (بالكسر) وهي الصفة.

(٥) العقل . الديه ، وثبتت الديه عقد ، لامهم كانوا يأتون بالإبل فيعقولونها بفناء ولـ
المقتول ، ثم كثر ذلك حتى قيل لـاسكار عقدا وإن كانت دنابره أو دماغه .

(٦) في بعض الأصول : « والسير » .

(٧) القراءة : المزرعة التي ليس عليها بناء ولا فيها شجر . وفي بعض الأصول : « قراح قاتل فتيا » . وفي صيغة الأعشى : « قرام قابل قسيما » .

جُند . قال : فما تقول في رجلين أسم كل واحد منها أَحْمَد ، أحدهما مقطوع الشَّفَةُ الْعُلِيَا والآخر مقطوع الشَّفَةُ السُّفْلِي ، كيف كنت تكتب حِياتِهِما ؟ قال : كنت أكتب : أَحْمَدُ الْأَعْلَمُ وَأَحْمَدُ الْأَعْلَم . قال : كيف يكون هـذا ورِزْقُ هـذا مائتا درهم ورِزْقُ هـذا أـلفُ درهم ، فيقبض هـذا على دَعْوَة هـذا ، فـتـظـلـ صـاحـبـ الـأـلـفـ ! قـلتـ : وـالـلـهـ مـاـ أـدـرـىـ . قالـ : فـلـسـتـ بـكـاتـبـ جـنـدـ ، فـأـيـهـمـ أـنـتـ ؟ قـلتـ : كـاتـبـ قـاضـ . فـقـالـ : فـمـاـ تـقـولـ أـصـلـحـكـ اللـهـ فـرـجـلـ ثـوـفـيـ وـخـلـفـ زـوـجـةـ وـمـرـثـيـةـ^(١) ، وـكـانـ لـلـزـوـجـةـ بـنـتـ وـلـأـسـرـيـةـ أـبـنـ ، فـلـمـاـ كـانـ فـيـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ أـخـذـتـ الـحـرـةـ أـبـنـ السـرـيـةـ فـادـعـتـهـ ، وـجـعـلـتـ أـبـنـهـاـ مـكـانـهـ ، فـتـنـازـعـاـ فـيـهـ ، فـقـالـتـ هـذـهـ : هـذـاـ أـبـنـيـ ، وـقـالـتـ هـذـهـ : هـذـاـ أـبـنـيـ ، كـيفـ تـحـكـمـ بـيـنـهـمـ وـأـنـتـ خـلـيـفـةـ الـقـاضـيـ ؟ قـلتـ : وـالـلـهـ لـسـتـ أـدـرـىـ . قالـ : فـلـسـتـ بـكـاتـبـ قـاضـ ، فـأـيـهـمـ أـنـتـ ؟ قـلتـ : كـاتـبـ شـرـطةـ . قالـ : فـمـاـ تـقـولـ أـصـلـحـكـ اللـهـ فـرـجـلـ وـشـبـ عـلـىـ رـجـلـ فـشـبـهـ شـبـجـهـ مـوـضـيـةـ^(٢) ، فـوـثـبـ عـلـيـهـ الـمـشـجـوجـ فـشـبـهـ شـبـجـهـ مـأـمـوـمـةـ^(٣) ؟ قـلتـ : مـاـ أـعـلـمـ . ثـمـ قـلتـ : أـصـلـحـكـ اللـهـ ، [قد سـأـلـتـ] فـقـسـرـلـيـ ماـ ذـكـرـتـ . قالـ : أـمـاـ الـذـىـ تـزـوـجـتـ أـمـهـ فـتـكـتـبـ إـلـيـهـ : أـمـاـ بـعـدـ ، فـإـنـ أـحـكـامـ اللـهـ تـجـرـىـ بـغـيـرـ حـمـابـ الـمـخـلـوقـينـ وـالـلـهـ يـخـتـارـ لـلـعـبـادـ ، نـخـارـ اللـهـ لـكـ فـيـ قـبـضـهـ إـلـيـهـ ، فـإـنـ الـقـبـرـ أـكـرـمـ لـهـ ، وـالـسـلامـ ؛ وـأـمـاـ الـقـرـاحـ ، فـتـضـرـبـ وـاحـدـاـ فـيـ مـسـاحـةـ الـعـطـوفـ ، فـمـنـ ثـمـ بـابـهـ ؛ وـأـمـاـ أـحـدـ وـأـحـمـدـ ، فـتـكـتـبـ حـلـيـةـ الـمـقـطـوـعـ الشـفـةـ الـعـلـيـاـ : أـحـمـدـ الـأـعـلـمـ ، وـالـمـقـطـوـعـ الشـفـةـ السـفـلـيـ : أـحـمـدـ الـأـشـرـمـ ؛ وـأـمـاـ الـمـرـأـتـانـ ، فـيـوـزـنـ لـبـنـ هـذـهـ وـلـبـنـ هـذـهـ ، فـأـيـهـمـاـ كـانـ أـخـفـ فـهـيـ صـاحـبـةـ الـبـنـتـ ؛ وـأـمـاـ الشـبـجـةـ ، فـإـنـ فـيـ الـمـوـضـيـةـ خـمـسـاـ مـنـ الـإـبـلـ ، وـفـيـ الـمـأـمـوـمـةـ ثـلـاثـاـ وـثـلـاثـيـنـ وـثـلـاثـاـ ، فـيـرـدـ صـاحـبـ الـمـأـمـوـمـةـ ثـمـانـيـةـ^(٤) وـعـشـرـيـنـ وـثـلـاثـاـ . قـلتـ : أـصـلـحـكـ اللـهـ ، فـاـنـزـعـ بـكـ إـلـىـ هـذـاـ ؟ قـالـ : أـبـنـ عـمـ لـيـ

(١) السـرـيـةـ (بالضمـ) : الـمـأـمـوـكـ يـتـسـرـاـهـاـ صـاحـبـهاـ .

(٢) الـمـوـضـيـةـ منـ الشـبـاجـ : الـتـيـ بلـغـتـ الـعـظـمـ فـأـوـضـحـتـ عـنـهـ .

(٣) مـأـمـوـمـةـ ، أـيـ بلـغـتـ أـمـ الرـأسـ .

كان عاملا على ناحية ، خرجت إليه فألفيتها مغزولا ، فقطع بي ، فأنا خارج أضطرب في المعاش . قلت : ألسنت ذكرت أنك حائث ؟ قال : أنا أحوك الكلام واست بحائث الثياب . قال : فدعوت المُزيَّن فأخذ من شعره ، وأدخل الحمام فطرحت عليه شيئاً من ثيابي . فلما صرت إلى الأهواز كللت الرُّخْجَى فاعطاه خمسة آلاف درهم ورَجَعَ معي ، فلما صرت إلى أمير المؤمنين ، قال : ما كان من خبرك في طريقك ؟ فأخبرته خبرى حتى حدثه حديث الرجل . فقال لي : هذا لا يُسْتَغْنى عنه ، فلا شيء يصلح ؟ قلت : هذا أعلم الناس بالمساحة والهندسة . قال : فولاه أمير المؤمنين البناء والمرمة . فكنت والله ألقاه في الموكب النبيل فینحط عن دابته ، فاحلف عليه ، فيقول : سُبْحانَ اللَّهِ إِنَّمَا هذِهِ نِعْمَتُكَ ، وَبِكَ أَفْدَتْهَا^(١) ١٠

فضائل الكتابة

قال أبو عثمان الجاحظ : ما رأيت قوماً أنفذ طريقة في الأدب من هؤلاء الكتاب ، فإنهم التمسوا من الألفاظ ما لم يكن متوجراً وحشياً ، ولا ساقطا سوقياً . وقال بعض المهاجرة لبنيه : تزيروا بزى الكتاب فإنهم جعوا أدب الملوك وتواضع السوق . وعتَّب أبو جعفر المنصور على قوم من الكتاب فأمر بحبسهم ، فرفعوا إليه رُقعة ليس فيها إلا هذا البيت :

ونحنُ الکانبون وقد أسانا فهمنا للكرام الكتابينا

فعفا عنهم وأمر بتخلية سبيلهم .

وقال المؤيد : كتاب الملك عبادتهم [الظاهرة] ، وأذانهم الوعائية ، المؤيد ثم لسمهل ابن هارون في وأستههم الفاطقة . والكتابة أشرف مراتب الدنيا بعد الخلافة ، وهي صناعة فضل الكتابة جليلة تحتاج إلى آلات كثيرة . وقال سهل بن هارون : [الكتابة] أول زينة الدنيا التي إليها يتناهى الفضل ، وعندها تَقِفُ الرَّغْبة .

(١) انظر صبيح الأعشى ، في بين النصين خلاف كبير .

ما يجوز في الكتابة وما لا يجوز فيها

قال إبراهيم بن محمد الشيباني : إذا احتجت إلى مخاطبة الملوك والوزراء والعلماء والكتاب والخطباء والأدباء والشعراء وأوساط الناس وسوقهم ، نفاطب كلام على قدر أبهته وجلالته ، وعلوّه وأرتفاعه ، وفطنته وانتباهه . وأجعل طبقات الكلام على ثمانية أقسام ^(١) : منها : الطبقات العلية أربع ، والطبقات الأخرى ، وهي دونها ، أربع : لكل طبقة منها درجة ، ولكل قسمها ، لا ينبغي لكاتب البليغ أن يقتصر بأهلها عنها ويقلب معناها إلى غيرها . فالحد الأول : الطبقات العليا ، وغايتها ^(٢) القصوى الخلافة ، التي أجل الله قدرها وأعلى شأنها عن سعادتها بأحد من أبناء الدنيا في التعظيم والتوقير ؛ والطبقة الثانية لوزرائها وكتابها الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم وأسلفهم ، ويرثون الفتوح بآرائهم ؛ والطبقة الثالثة أمراء ثغورهم وقواد جنودهم ، فإنه يجب مخاطبة كل أحد منهم على قدره وموضعه ، وحظه وغناه وإجزائه ، واضطلاعه بما حمل من أعباء أمورهم وحالات أعمالهم ؛ والطبقة الرابعة القضاة ، فإنهم وإن كان لهم تواضع العلماء ، وحلية الفضلاء ، فهم أبهة السلطنة وهيبة الأمراء . وأما الطبقات الأربع الأخرى فهم : الملوك الذين أوجبت نعمتهم تعظيمهم في الكتب إليهم ، وأفضلهم تفضيلهم فيها ؛ والثانية وزراؤهم وكتابهم وأتباعهم الذين [بهم] تُقرع أبوابهم ، وبعالياتهم تستباح أموالهم ؛ والثالثة هم العلماء [الذين] يجب توقيرهم في الكتب بشرف العلم وعلو درجة أهله ؛ والطبقة الرابعة لأهل القدر والجلالة ، والخلافة والطلاوة ، والظرف والأدب ، فإنهم يضطرونك بحده أذهانهم ، وشدة تمييزهم وانتقادهم ، وأدبهم وتصفحهم ، إلى الاستقصاء على نفسك في مكتابتهم . واستغنينا عن الترتيب للسوق والعوام والتجار باستغفارهم بعهاناتهم ^(٣) عن هذه الآلات ،

(١) انظر الاقتباس في شرح أدب الكتاب (ص ٦٦ - ٧٠) في طبقات الكتاب

هنا وهناك تبادر . (٢) في بعض الأصول : « والغاية » .

(٣) في بعض الأصول : « بعهاناتهم » .

واشتغالم بهماتهم عن هذه الأدوات . ولكل طبقة من هذه الطبقات معان ومذاهب يجب عليك أن ترعاها في رسالتك إياهم فـ كتبك ، فـ نـ كلامك في مخاطبـ لهم بـ يـ زـ انـه ، وـ تعـ طـ يـ هـ قـ سـ هـ ، وـ توـ قـ يـ هـ نـ صـ يـ هـ ؟ فإنـكـ متـ أـ هـ مـ لـ تـ ذـ لـ كـ . وأـ ضـ هـ لـ آـ مـ نـ عـ لـ يـ كـ أـ نـ تـ عـ دـ لـ بـ هـمـ عنـ طـ رـ يـ قـ هـمـ ، وـ تـ سـ لـ كـ بـ هـمـ غـ يـ رـ مـ سـ لـ كـ هـمـ ، وـ يـ حـ جـ رـ يـ شـ عـ اـ عـ بـ لـ اـ غـ تـ كـ فيـ غـ يـ رـ بـ جـ رـ اـ هـ ، وـ تـ نـ ظـ اـ جـ وـ هـ رـ كـ لـ اـ مـ كـ فيـ غـ يـ رـ سـ اـ كـ . فلا تعتـدـ بالـ معـنـيـ الـ جـزـلـ ماـ لـ تـ لـ بـ سـهـ لـ فـظـ لـ اـ لـ اـ ثـقـاـ بـ مـ نـ كـ اـ تـ بـ تـ هـ ، وـ مـ لـ مـ تـ بـ مـ نـ رـ اـ سـ لـ تـ هـ ؟ فإنـ إـ بـاسـكـ المـعـنـيـ ، وـ إـ بـانـ صـحـ وـ شـرـفـ ، لـ فـظـاـ مـ تـ خـلـفـاـ عنـ قـدـرـ الـ مـكـتـوبـ إـ لـ يـهـ لـ تـ بـ حـرـ بـهـ عـادـاـتـ هـمـ ، تـ بـ حـرـ بـهـ عـادـاـتـ هـمـ ، وـ إـ خـلـالـ بـقـدـرـهـ ، وـ ظـلـمـ بـحـقـ الـ مـكـتـوبـ إـ لـ يـهـ ، وـ نـقـصـ مـاـ يـجـبـ لـهـ ؟ كـاـنـ فـيـ أـتـبـاعـ تـعـارـفـ هـمـ ، وـ مـاـ اـنـتـشـرـتـ بـهـ عـادـاـتـ هـمـ ، وـ جـرـتـ بـهـ عـذـتـهـمـ ، قـطـعاـ لـعـذـرـهـ ، وـ خـرـوجـاـ مـنـ حـقـوـقـهـمـ ، وـ بـلـوـغـاـ إـلـىـ غـايـةـ مـرـادـهـ ، وـ إـسـقـاطـاـ لـحـجـةـ أـدـبـهـ . فـنـ الـأـفـاظـ الـمـرـغـوبـ عـنـهـاـ ، وـ الصـدـورـ الـمـسـتوـحـشـ مـنـهـاـ ٢١٤

فيـ كـتـبـ السـادـاتـ وـ الـمـلـوكـ وـ الـأـمـرـاءـ ، عـلـىـ أـتـفـاقـ الـمـعـنـيـ ، مـثـلـ : أـبـقـاـكـ اللـهـ طـوـيـلاـ ، وـ عـمـرـكـ مـلـيـيـاـ . وـ إـنـ كـنـاـ نـعـلـمـ أـنـهـ لـاـ فـرـقـ بـيـنـ قـوـلـهـمـ : أـطـالـ اللـهـ بـقـاـكـ ، وـ بـيـنـ قـوـلـهـمـ : أـبـقـاـكـ اللـهـ طـوـيـلاـ . وـ لـكـنـهـمـ جـعـلـواـ هـذـاـ أـرـجـعـ وـزـنـاـ ، وـ أـنـبـهـ قـدـرـاـ فـيـ الـمـخـاطـبـةـ . ١٥

كـاـنـهـمـ جـعـلـواـ : أـ كـرـمـكـ اللـهـ ، وـ : أـبـقـاـكـ ، أـحـسـنـ مـنـزـلـاـ فـيـ كـتـبـ الـفـضـلـاـ ، وـ الـأـدـبـاـ ، مـنـ : جـعـلـتـ فـدـاـكـ ، عـلـىـ اـشـتـرـاكـ مـعـنـاهـ ، وـ أـحـتمـالـ أـنـ يـكـونـ فـدـاءـهـ مـنـ الـخـيـرـ ، كـاـ يـحـتـمـلـ أـنـ يـكـونـ فـدـاءـهـ مـنـ الشـرـ ؟ وـ لـوـلـاـ أـنـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ لـسـعـدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ : أـزـمـ فـدـاـكـ أـبـيـ وـأـمـيـ ، لـكـرـهـنـاـ أـنـ يـكـتـبـ بـهـ أـحـدـ . عـلـىـ أـنـ كـتـابـ الـعـسـكـرـ وـعـوـاـتـهـمـ قـدـ وـلـعـواـ بـهـذـهـ الـلـفـظـةـ حـتـىـ أـسـتـعـمـلـهـاـ فـيـ جـمـيعـ مـخـاطـبـهـمـ ، وـ جـعـلـوهـاـ هـجـيـراـهـمـ فـيـ مـخـاطـبـةـ الـشـرـيفـ وـ الـوـضـيـعـ ، وـ الـكـبـيرـ وـ الـصـغـيرـ . وـ لـذـلـكـ قـالـ مـحـمـودـ الـوـرـاقـ :

كـلـ مـنـ حـلـ سـرـ مـنـ رـىـ مـنـ النـاـ سـ وـمـنـ قـدـ يـدـأـخـلـ الـأـمـلـاـ كـاـ لوـ رـأـيـ الـكـلـبـ مـائـلاـ بـطـرـيقـ قـالـ لـلـكـلـبـ يـاـ جـعـلـتـ فـدـاـكـ

و كذلك لم يجيزوا أن يكتبوا بمثل ، أبقاك الله ، وأمتع بك ، إلا في ابن والخادم المنقطع إليك ؛ وأما في كتب الإخوان ، فغير جائز بل مذموم مرغوب عنه . ولذلك كتب عبد الله بن طاهر إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أحلتَ عما عهدتُ من أدبكْ أم نلتَ ملائكة قتيتَ في كتبكْ
 • أم قد ترى أنَّ في ملاطفة إلَّا إخوانَ نقصاً عليك في أدبكْ
 أكان حقاً كتاباً ذي مقاة يكون في صدره : وأمتع بكْ
 أتعبتَ كفيك في ملائتكِ حسبيك ما قد لقيتَ في تعبكْ
 فكتب إليه محمد بن عبد الملك الزيات :

كيف أخون الإخاء يا أمي وكل شئ أنا من سببكْ
 ١٠ أذكرتَ شيئاً فلستُ فاعله وإن تراه يخطُّ في كتبكْ
 إن يك جهلُ أتاك من قبلِ فعذْ بفضلِ على من حسبيكْ
 فاعفْ فدْتُك النفوس عن رجلٍ يعيش حتى الممات في أدبكْ
 ولا كل مكتوب إليه قدر وزن ، ينبغي للكاتب ألا يتتجاوز به عنه ،
 ولا يقتصر به دونه . وقد رأيتم عابوا الأحوص حين خاطب الملوك خطاب

العوام في قوله :

واراك تفعل ما تقول وبضمهم مدق الحديث يقول ما لا يفعل^(١)
 وهذا معنى صحيح في المدح ، ولكنهم أجلوا قدر الملوك أن يُمدحوا بما
 تُمدح به العوام ؛ لأن صدق الحديث وإنجاز الوعد وإن كان من المدح فهو
 واجب على العامة ، والملوك لا يُمدحون بالفرائض الواجبة ، إنما يحسن مدحهم
 بالنواقل ؛ لأن المادح لو قال لبعض الملوك : إنك لا تزني بمحملة جارك ، وإنك
 ٢٠ لا تخون ما أستودعت ، وإنك لتصدق في وعديك وتني بعهدك ، فكأنه قد
 أثني بما يجب ، ولو قصد بثنائه إلى مقصده^(٢) كان أشبه في الملوك^(٣) .

(١) مدق الحديث ، أي في حديثه مداورة ومواربة . (٢) أي ثناؤه على الملوك

بالنواقل لا بالفرائض . (٣) في الملوك ، أي في مدح الملوك .

٢١٥

ونحن نعلم أنَّ كلَّ أميرٍ يتولى من أمر المؤمنين شيئاً فهو أميرُ المؤمنين ، غير أنهم لم يُطلقوا هذه اللفظة إلا على أخلفاء خاصة . ونحن نعلم أنَّ الـكَيْس هو العاقل ، لكنَّ لو وصفتَ رجلاً فقلتَ : إنه لـعاقل ، كفت مدحَته عند الناس ، وإن قلتَ : إنه لـكَيْس ، كفت قد قصرتَ به عن وصفه وصَفَرتَ من قدره ، إلا عند أهل العلم باللغة ؛ لأنَّ العامَة لا تلتفت إلى معنى الـكلمة ، ولكن إلى ما جرت به العادة من استعمالها في الظاهر ، إذ كان استعمال العامَة لهذه الكلمة مع الحِداثة والغِرَة وخِسَاسة القدر وصِغر السن . وقد روينا عن عَلَى كرم الله وجهه أنه تسمى بالـكَيْس حين سُجِنَ الـكَوْفَة ، فقال في ذلك :

أَمَا تُرَانِي كَيْسًا مُـكَيْسًا^(١) بَنِيتُ بـمـد نافع مُـخِيـسـاً^(٢)

٤٠

حِصْنـا حـصـيـداً^(٣) وـأـمـيـنا كـيـسـاً^(٤)

وقال الشاعر : ما يَصْنَعُ الْأَحْمَقُ الْمَرْزُوقُ بـالـكـيـسـ^(٥)

وكذلك نعلم أن الصلاة رحمة ، غير أنهم كرهوا الصلاة إلا على الأنبياء ، كذلك روينا عن أَبِن عباس . وسمع سعدُ بْنُ أَبِي وقاص ابْنَ أَنَّ خَلَّه يَلْبَيْ و يقول في تَلْبِيَتِه : لَبَيْك يَا ذَا الْمَارِجَ ، فقال : نحن نعلم أنه ذو الـمارِجَ ، ولكن ليس كذا كـنـا نـلـبـيـ على عـهـد رـسـوـل اللـه صـلـى اللـه عـلـيـه وـسـلـمـ ، إـنـما كـنـا نـقـول : لـبـيـك اللـهـم لـبـيـك . وكان [أبو] إبراهيم المـزـنـي^(٦) يقول في بعض ما خاطب به داود

٤٥

ابن خـلـفـ الـأـصـبـهـانـي^(٧) : فـإـنـ قـالـ كـذـا فـقـدـ خـرـجـ عـنـ الـلـهـ ، وـالـحـمـدـ اللـهـ .

(١) كيساً مكيساً ، أي ظريفاً نافعاً .

(٢) المـخـيـسـ : سـجـنـ كـانـ بـالـكـوـفـةـ غـيرـ مـسـتـوـقـ الـبـنـاءـ مـنـ قـصـبـ ، فـكـانـ الـمـحـبـوـسـونـ يـهـرـبـونـ مـنـهـ ، لـهـذـا بـنـيـ عـلـىـ الـمـخـيـسـ . وـيـسـمـيـ السـجـنـ الـمـخـيـسـ ، بـفـتـحـ الـيـاءـ الـمـشـدـدـةـ ، لـأـنـ النـاسـ يـخـيـسـونـ فـيـهـ وـيـلـزـمـونـ نـزـولـهـ ، أـوـ الـمـخـيـسـ ، بـكـسـرـ الـيـاءـ الـمـشـدـدـةـ ، لـأـنـهـ يـخـيـسـ الـمـحـبـوـسـينـ .

(٣) في المـلـانـ مـادـةـ خـيـسـ « بـاـباـ كـبـيرـاـ وـأـمـيـناـ » . (٤) الـكـيـسـ : الـعـقـلـ .

(٥) هو أبو إبراهيم إسماعيل بن إبراهيم المـزـنـي ، أخذ عن الشافعـيـ ، وـكـانـ وـرـعـاـ فـقـيـهـ ، وـتـوـقـ بـعـصـرـ سـنـةـ ٢٦٤ـ (انـظـرـ فـهـرـسـتـ اـبـنـ النـدـيمـ) .

(٦) في الأنسـابـ : « دـاـوـدـ بـنـ عـلـىـ » ، وـفـيـ رسـائـلـ الـبـلـغـاءـ : « دـاـوـدـ بـنـ عـلـىـ بـنـ خـلـفـ الـخـزـاعـيـ » وـهـوـ مـنـ أـصـحـابـ الـظـاهـرـ ، الـذـيـنـ يـجـرـوـنـ النـصـوصـ عـلـىـ ظـاهـرـهـاـ .

فنقض ذلك عليه داود ، وقال فيما رد عليه : تَحْمِدُ اللَّهَ عَلَى أَنْ تُخْرِجَ أَمْرًا مُسْلِمًا مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَهَذَا مَوْضِعُ أَسْتِرْجَاعٍ ، وَلَا حَمْدٌ مَكَانٌ يَلْيِقُ بِهِ ! وَإِنَّمَا يُقَالُ فِي الْمُصِيْبَةِ : إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ .

قَائِمٌ مِثْلُ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ ، وَأَجْرٌ عَلَى هَذِهِ الْقَوَاعِدِ^(١) ، وَتَحْفِظُ فِي صُدُورِ كُتُبِكَ

وَفُصُوطًا وَخَوَاتِمِهَا ، وَضَعَ كُلَّ مَعْنَى فِي مَوْضِعٍ يَلْيِقُ بِهِ ، وَتَخْيِيرٌ لِكُلِّ لَفْظَةٍ مَعْنَى يُشَارِكُهَا ، وَلَيْكَنْ مَا تَخْتَمُ بِهِ فُصُولُكَ فِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ الْمَبْلُوْيَ بِعِشْلٍ : نَسَأَ اللَّهَ دَفْعَ الْمَحْذُورِ ، وَصَرْفَ الْمَكْرُورِ ، وَأَشْبَاهِ هَذَا ؛ وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ الْمُصِيْبَةَ : إِنَّ اللَّهَ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ؛ وَفِي مَوْضِعٍ ذَكَرَ النِّعَمَةَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِصًا وَالشَّكْرُ لِلَّهِ وَاجِمَعًا .

إِنَّ هَذِهِ الْمَوَاضِعَ يَجِبُ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَتَفَقَّدَهَا وَيَتَحْفِظَ فِيهَا^(٢) ؛ فَإِنَّ الْكَاتِبَ

إِنَّمَا يَصِيرُ كَاتِبًا بِأَنْ يَضْعِمَ كُلَّ مَعْنَى فِي مَوْضِعِهِ ، وَيَعْلَقُ كُلَّ لَفْظَةٍ عَلَى طَبْقَتِهِ مِنَ الْمَعْنَى . وَاعْلَمُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ فِي الرِّسَائِلِ أَسْتِعْهَالُ مَا أَتَتْ بِهِ آيَةُ الْفِرَآنِ مِنَ الْاِقْتَصَارِ وَالْحَذْفِ ، وَمُخَاطَبَةُ الْخَاصَّ بِالْعَامِ وَالْعَامُ بِالْخَاصَّ ؛ لَأَنَّ اللَّهَ جَلَ ثَنَاؤُهُ خَاطَبَ بِالْقِرَآنِ قَوْمًا فُصْحَاءَ فَهِمُوا عَنْهُ جَلَ ثَنَاؤُهُ أَمْرَهُ وَنَهْيُهُ وَمُرْادُهُ ، وَالرِّسَائِلُ إِنَّمَا يُخَاطَبُ بِهَا أَقْوَامٌ دَخَلَتْ عَلَى الْلِّغَةِ ، لَا عِلْمٌ لَهُمْ بِلِسَانِ الْعَربِ . وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي

لِلْكَاتِبِ أَنْ يَجْتَذِبُ الْلَّفْظَ الْمُشَتَّكَ وَالْمَعْنَى الْمُلْتَبِسَ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ ذَهَبَ يُكَاتِبُ عَلَى

مِثْلِ مَعْنَى قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (وَأَسْأَلُ الْقَرِيْبَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا) وَكَقُولَهُ تَعَالَى : (بِلَ مَسْكُرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) ، احْتَاجُ الْكَاتِبُ أَنْ يُبَيِّنَ مَعْنَاهُ :

بِلَ مَكْرُهِمُ باللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ؛ وَمِثْلُ هَذَا كَثِيرٌ لَا يَتْسَعُ الْكِتَابُ لِذَكْرِهِ . وَكَذَلِكَ لَا يَجُوزُ أَيْضًا فِي الرِّسَائِلِ وَالْبِلَاغَاتِ الْمُشْهُورَةِ مَا يَجُوزُ فِي الْأَشْعَارِ الْمَوْزُونَةِ ، لَأَنَّ

الشَّاعِرُ مُضطَرٌ ، وَالشَّعْرُ مَقْصُورٌ مَقْيَدٌ بِالْوَزْنِ وَالْقَوْافِيِّ ؛ فَلَذَلِكَ أَجَازَوَا لَهُمْ صَرْفَ مَا لَا يَنْصُرُ فِي الْأَسْمَاءِ ، وَحَذْفَ مَا لَا يُحَذَّفُ مِنْهَا ، وَأَغْتَفَرُوا فِيهِ سُوءُ النَّظَمِ ، وَأَجَازُوا فِيهِ التَّقْدِيمَ وَالتَّأْخِيرَ ، وَالْإِضْمَارُ فِي مَوْضِعِ الإِظْهَارِ ، وَذَلِكَ كَمَا غَيْرُ مُسْتَسَاغٍ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « الْقَوْمَ » .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « يَتَحْفِظُ بِهَا » .

٢١٦

فِي الرَّسَائِلِ وَلَا جَائزُ فِي الْبَلَاغَاتِ . فَمَا [أَجِيزَ] فِي الشِّعْرِ مِنْ الْحَذْفِ [مِثْلَ] قَوْلِ الشَّاعِرِ^(١) : قَوْاطِنًا مَكَةً مِنْ وُرْقِ الْحَمَى^(٢) يَعْنِي الْحَمَى وَقَوْلُ الْآخِرِ : صِفَرُ الْوَشَاحِينَ صَمَوتُ الْخَلْخَل^(٣) يَرِيدُ : الْخَلْخَالُ وَكَقُولُ الْآخِرِ : دَارُ لَسْلَمَيْ إِذْ مِنْ هَوَا كَا يَرِيدُ : إِذْ هِيَ وَكَقُولُ الْحُطَمَيْهَ :

١٠

فِيهَا الرَّمَاحُ وَفِيهَا كُلُّ سَابِغَةٍ جَدْلَاءٌ مَسْرُودَةٌ مِنْ صُنْعِ سَلَامٍ^(٤) يَرِيدُ : سَلِيمَانُ . وَكَقُولُ الْآخِرِ^(٥) :

١٥

مِنْ نَسْجَ دَاؤِدُ أَبِي سَلَامَ وَالشِّيخُ عُثَمَانُ أَبِي عَفَانَ أَرَادُ : عُثَمَانُ بْنُ عَفَانَ . وَكَمَا قَالَ الْآخِرُ^(٦) :

٢٠

وَسَائِلَةٌ بَشَعْلَيْهَ بْنِ سَيْرٍ وَقَدْ عَلِقَتْ بَشَعْلَيْهَ الْعَلُوقُ^(٧) وَأَرَادُ : ثَعَلَبَةُ بْنُ سَيَّارٍ . [وَكَمَا] قَالَ الْآخِرُ :

٢٥

وَلَسْتُ بَايِيْهَ وَلَا أَسْتَطِيعُهُ وَلَا كِ أَسْقَنِي إِنْ كَانَ مَأْوِكَ ذَا فَضْلٍ أَرَادُ : وَلَكِنْ .

وَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي فِي الرَّسَائِلِ أَنْ يُصَغِّرَ الْاسْمُ فِي مَوْضِعِ التَّعْظِيمِ ، وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ جَائزًا ، مَثَلُ قَوْلِهِمْ : دُوِيَّهِيَّة ، تَصْغِيرُ دَاهِيَّة . وَجُذْدِيل ، تَصْغِيرُ جِذْلٍ . وَعُذْبِق ، تَصْغِيرُ عَدْقٍ . وَقَالَ الشَّاعِرُ ، وَهُوَ لَمِيدٌ :

(١) هو العجاج . (انظر لسان العرب مادة حم وقطن) .

(٢) حذف الميم وقلب الألف ياء ، وهو حذف شاذ . وقيل إنما حذف الألف من الحمام ، فبقيت الحم ، فاجتمع حرفان من جنس واحد فلزمه التضييف ، فأبدل ياء من الميم .

(٣) قال ابن منظور في اللسان (مادة خلخل) : والخلخل (بالفتح) والخلخل (بالضم) : من الخل ، معروف . ثم قال : والخلغل (بالفتح) : لغة في الخلخل أو مقصورة منه ، واحد خلاغيل النساء . (٤) في لسان العرب (مادة جدل) :

فِيهِ الْجَيَادُ وَفِيهِ كُلُّ سَابِغَةٍ جَدْلَاءٌ مَحْكَمَةٌ مِنْ نَسْجِ سَلَامٍ

(٥) ذَكَرَ ابن منظور (مادة سلم) صدر هذا البيت عجزاً لصدر آخر وهو : * وَدَعَا بِحِكْمَةِ أَمِينِ سَكَهَا * وَنَسْبَهُ لِلْأَسْوَدِ بْنِ يَعْفَرَ .

(٦) هو المفضل البكري . (انظر لسان العرب مادة علق) . (٧) العلوق : المنية .

وكل أنس سوف تدخل بينهم دُوَيْهِيَّةٌ تَصْفِرُ منها الأناملُ
وقال الحباب بن المنذر ، يوم سقيفة بني ساعدة : أنا عذيقها المرجب ،
وجذب لها المحكك . وقد شرحه أبو عبيد^(١) .

ومن لا يجوز في الرسائل وكرهه في الكلام أيضاً مثل قوله : كلامتُ إياك ،
وأعني إياك ، وهو جائز في الشعر . وقال الشاعر :
وأَحْسِنْ وَأَجْمَلْ فِي أَسِيرِكَ إِنَّهُ ضَعِيفٌ وَلَمْ يَأْسِرْ كَإِيَّاكَ آسِرُ
وقال الراجز : * إِيَّاكَ حَتَّى بَلَغْتَ إِيَّاكَ *

فتخيَّر من الألفاظ أرجحها لفظاً^(٢) ، وأجزَّ لها معنى ، وأشرفها جوهرًا ،

وأَكْرَمَهَا حسبياً ، وأليقها في مكانتها ، وأشكالها في موضوعها ؛ فإنْ حاولت صنعة رسالة

فِيَنِ اللَّفْظَةِ قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِيزَانِ التَّصْرِيفِ إِذَا عَرَضْتَ ، وَعَيْرَ الْكَامَةَ بِعِيَارِهَا
إِذَا سَهَّتْ ، فَإِنَّهُ رِبَّا مَرَّ بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مُخْرِجَ الْكَلَامِ إِذَا كَتَبْتَ : أَنَا
فَاعِلُ ، أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تَكْتُبَ : أَنَا أَفْعُلُ ، وَمَوْضِعٌ آخَرٌ يَكُونُ فِيهِ : أَسْتَفْعِلُ ،

أَحْلَى مِنْ : فَعَلْتَ . فَأَدِيرُ الْكَلَامَ عَلَى أَمَاكِنَهُ^(٤) ، وَقَلْبِي عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهِ ، فَأَيْ
لَفْظَةَ رَأَيْتَهَا [أَخْفَ] فِي الْمَكَانِ الَّذِي نَدَبَتْهَا إِلَيْهِ ، وَأَنْزَعَ إِلَى الْمَوْضِعِ^(٥) الَّذِي رَادَتْهَا

عَلَيْهِ ، فَأَوْقَعَهَا فِيهِ ، وَلَا تَجْعَلِ الْلَّفْظَةَ قَلِيقَةً فِي مَوْضِعِهَا ، نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا ، فَإِنَّكَ

٢١٧
٢
مَتَّ فَعْلَتْ هِجَنْتَ الْمَوْضِعَ الَّذِي حَوَلْتَ تَحْسِينَهُ ، وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي
أَرْدَتِ إِصْلَاحَهُ ؛ فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفاظَ فِي غَيْرِ أَمَاكِنَهَا ، وَقَصْدَكَ بِهَا إِلَى غَيْرِ
مُصَابِّهَا^(٦) ، إِنَّمَا هُوَ كَتْرَقِيعُ الثَّوْبِ الَّذِي لَمْ تَشَابِهِ^(٧) رِقَاعَهُ ، وَلَمْ تَتَقَارَبْ أَجْزَاءُهُ ،

(١) العذيق : تصغير عذق ، بفتح العين ، وهو النخلة . والمرجب : الذي جعل له
رجبة ، وهي دعامة تبني حولها من الحجارة ، وذلك إذا كانت النخلة كريمة وطال
تحوفوا عليها أن تنقر من الرحاب المواتصف . والجذيل المحكك : عود ينصب
في مبارك الإبل تتمرس به الإبل الجربي . وفي بعض الأصول : « وقال سرحة
أبو عبيدة ». وهو تحريف . (٢) في نهاية الأرب (ج ٧ ص ١٨٨
طبعة دار الكتب) : « وزنا ». (٣) وفي رواية : « وأكملا حسنا ». .

(٤) في بعض الأصول : « أَعْكَانَهُ ». (٥) في بعض الأصول : « فَانْزَعْهَا إِلَى الْمَكَانِ
الَّذِي أَرْدَتْهَا ». (٦) في نهاية الأرب : « مَظَانَهَا ». .

(٧) في بعض الأصول : « تَشَابِهِ ». .

نخرج من حَدَّ الجَدَّةِ ، وَتَغْيِيرُ حُسْنَهِ ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

إِنَّ الْجَدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلَقٍ تَبَيَّنَ النَّاسُ^(١) أَنَّ الشَّوْبَ مَرْقُوعٌ
وَكَذَلِكَ كَلَا أَحْلَوْتِ الْكَلَامَ وَعَذْبَ وَرَاقَ وَسَهَلَتْ مَخَارِجَهُ كَانَ أَسْهَلَ
وَلُوْجًا^(٢) فِي الْأَسْمَاعِ ، وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ ، وَأَخْفَى عَلَى الْأَفْوَاهِ ؛ لَا سِيمَى إِذَا
كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ مُتَرَجِّمًا بِلِفَظِ مُونِقٍ شَرِيفٍ ، وَمُهَايَرًا بِكَلَامٍ عَذْبٍ لَمْ يَسِمْهُ
الْتِكَالِيفُ بِمِسْمَهُ ، وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ بِأَسْتَغْلَافِهِ^(٣) .

وَكَتَبَ عَيْسَى بْنُ هَيْمَعَةَ إِلَى أَخِيهِ أَبِي الْحَسْنِ وَزَوَّارَ^(٤) كَلَامَهُ وَجَاؤَ
الْمِقْدَارَ فِي التَّنْطُّعِ ، فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :

أَنَّ يَكُونَ بَلِيقًا مِنْ أَسْمَهُ كَانَ عِيَّا^(٥)

وَثَالِثُ الْحَرْفُ مِنْهُ^(٦) أَذَى كُفِيتُ مُسِيَّا^(٧)

قال : وَبِلِفَنِي أَنْ بَعْضَ الْكِتَابِ عَادَ بَعْضَ الْمَلُوكَ فَوُجِدَهُ يُنْ^٨ مِنْ عَلَّةِ ،
وَكَاتِبُ^٩ بَيْنَ عَنْهُ وَسِرِّ بَيْبَابِ الطَّاقِ^(٨) ، فَإِذَا بَطَّيَرَ يَدِعِي الشَّفَانِينَ^(٩) ، فَاشْتَرَاهُ
وَبَعْثَ بَهُ إِلَيْهِ ، وَكَتَبَ كِتَابًا وَتَنْطُّعَ فِي بِلَاغَتِهِ : وَتَذَكَّرَ أَنَّهُ يَقَالُ لَهُ شَفَانِينَ ،
أَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَفَاءً مِنْ أَنْيَنِ . فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ : وَاللَّهُ لَوْ عَطَسْتَ ضَبَّيَا
ما كَنْتَ عَنْدَنَا إِلَّا نَبْطِيَا ، فَأَقْصَرَ عَنْ تَنْطَعِكَ^(١٠) ، وَسَهَّلَ كَلَامَكَ .

قوله : لَوْ عَطَسْتَ ضَبَّيَا ، يَرِيدُ أَنَّ الضَّبَّابَ مِنْ طَعَامِ الْأَعْرَابِ وَفِي بَلَدِهِ ؟

فَقَالَ : لَوْ عَطَسْتَ فَنَثَرْتَ ضَبَّيَا مِنْ عُطَاسِكَ لَمْ تُلْحَقْ بِالْأَعْرَابِ وَلَمْ تَكُنْ إِلَّا

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بَيْنَ النَّاسِ » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَأَرْجَا » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ « بِاسْتَهْلَاكِهِ » . (٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَصِدْرٌ » .

(٥) يُشَيرُ إِلَى الْحَرْفَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مِنْ « عَيْسَى » .

(٦) يُشَيرُ إِلَى السِّينِ وَالْأَلْفِ وَمَا فِيهِمَا مِنْ مَعْنَى الإِسَاءَةِ .

(٧) مُسِيَّا : مُسِيَّا ، ثُمَّ سَهَّلَتْ الْهَمْزَةُ وَأَدْغَمَتِ الْيَاءُ فِي الْيَاءِ .

(٨) بَابُ الطَّاقِ : مَحَلَّةٌ كَبِيرَةٌ بِيَغْدَادِ بِالْجَانِبِ الْقَرْقِيِّ . (انْظُرْ مَعْجَمَ الْبَلَدَانِ) .

(٩) فِي حِيَاةِ الْحَيْوَانِ الْلَّدْمِيَّيِّ : « الشَّفَانِينَ يَكْسِرُ الشَّيْنَ الْمَعْجَمَةَ » ، وَهُوَ مَوْلَدُ بَيْنِ

نُوَعَيْنِ مَا كَوَافِنَ ، وَعَدَهُ الْجَاحِظُ فِي أَنْوَاعِ الْحَمَامِ . وَبَعْضُهُمْ يَقُولُ : الشَّفَانِينَ هُوَ

الَّذِي تَسْمِيهِ الْعَامَةُ الْيَاءُ ، وَجَمِيعُهُ شَفَانِينَ » .

(١٠) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بِضَكٌ » .

نبطياً . وقد جاء في بعض الحديث : إن القِطَّ من نَثْرَة عَطْسَة الأَسَد ، وإن الفَارُ من نَثْرَة عَطْسَة الْخِنْزِير . فقال هذا : لو أن الضبّ من نَثْرَتِك لم تَكُنْ إِلَّا نَبْطِيَا . وفي هذا المعنى قال مُحَمَّدُ الْمُوصَلِيَّ يَهْجُو حَبِيبًا :

لَخَلْدُ الْمُوصَلِيَّ
يَهْجُو حَبِيبًا

أَنْتَ عَنْدِي عَرَبٌ لَيْسَ فِي ذَاكَ كَلَامٌ

٥ شَعْرٌ سَاقِيكَ وَفَخْذِيَّ لَكَ خُزَامَيَّ وَثَمَامَ^(١)

وَقَدَّى عَيْنِكَ صِبْغٌ وَنَوَاصِيكَ ثَغَامَ^(٢)

وَضُلُوعُ الصُّدُرِ مِنْ شِلَّاً وَكَبَّ نَبْعٌ وَبَشَامَ^(٣)

لَوْ تَحْرَكْتَ كَذَا أَذْ جَفَلْتَ مِنْكَ نَعَامَ

وَظَبَّ—إِلَّا رَاتِعاً تَ وَرَابِيعَ عِظَامَ^(٤)

١٠ وَحَمَامَ حَبَّذَا ذَاكَ الْحَمَامَ يَتَغَنَّى

أَنَا مَا ذَنْبِي لَأَنْ كَذَّبَنِي فِيهِ الْأَنَامَ

وَفَقَى^(٥) يَحْلِفُ مَا إِنْ عَرَّقْتُ فِيهِ الْكَرَامَ^(٦)

ثُمَّ قَالُوا جَاسِمَ^(٧) مِنْ بَنِي الْأَنْبَاطِ حَامَ

كَذَّبُوا مَا أَنْتَ إِلَّا عَرَبٌ وَالسَّلَامَ

وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ شَبَهُوا الْمَعْنَى الْخَفِيَّ بِالرُّوحِ الْخَفِيَّ ، وَالْمَفْظُوْتُ الظَّاهِرُ بِالْجُمْهَانِ ١٥
الظَّاهِرُ ، وَإِذَا لَمْ يَنْهَضْ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ الْجَزْلُ لِفَظُ شَرِيفٌ جَزْلٌ لَمْ تَكُنْ
الْعَبَارَةُ وَاضْحَىَ ، وَلَا النَّفَاظُ مُتَسَقِّمًا ، وَتَضَاؤُلُ الْمَعْنَى الْحَسَنُ تَحْتَ الْمَفْظُوْتِ الْقَبِيْحِ
كَتَضَاؤُلِ الْحَسَنَاءِ فِي الْأَطْهَارِ ارْثَةً .

وَإِنَّمَا يَدْلِي عَلَى الْمَعْنَى أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ : لِفَظٌ وَإِشَارَةٌ وَعَقْدٌ وَخَطٌّ . وَقَدْ
٢٠ ذَكَرَ لَهُ أَرْسَطَاطَالِيُّسْ صِنْفًا خَامِسًا فِي كِتَابِ الْمَنْطَقِ ، وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى

(١) الْخُزَامِيُّ وَالثَّمَامُ : بَنْتَانٌ . (٢) التَّغَامُ : بَنْتٌ .

(٣) الْبَشَامُ : شَجَرٌ عَطْرٌ الرَّائِحةُ وَرَقُهُ يَسُودُ الشَّعْرَ وَيُسَالُ بِقُصْبَهُ .

(٤) الْيَرَابِيمُ : جَمْعٌ يَرْبُوعٌ ، دُوَيْبَةٌ فَوْقَ الْجَرْذَ ، الْذَّكْرُ وَالْأَنْثَى فِيهِ سَوَاءٌ .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَاقْفَا » . (٦) يَقَالُ : عَرْقٌ فِيهِ أَعْمَامَهُ (بِالتَّضَعِيفِ)
وَأَعْرَقُوهُ ، إِذَا خَالَطَهُ ذَلِكَ وَتَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِهِمْ . (٧) كَذَا فِي . وَجَاسِمٌ :

٢٥ مَنْسُوبٌ إِلَى جَاسِمٍ ، حَسَنٌ قَدِيمٌ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « هَاشِمٌ » .

٢١٨
الفُصيَّبة^(١). والفصيَّة : الحال الدالَّة التي تقوم مقام تلك الأصناف الأربع، وهي الناطقة بغير لفظ ، ومشيرة إلىك بغير يد . وذلك ظاهر في خلق السموات والأرض وكل صامت وناطق . وجميع هذه الأصناف الخمسة كاشفة عن أعيان المعاني ، وسافرة عن وجوهها . وأوضح هذه الدلائل وأفصح هذه الأصناف ، صنفان ، هما : القلم واللسان ، وكلامها للقلب ترجمان . فاما اللسان فهو الآلة التي يخرج الإنسان بها عن حد الاستبهام إلى حد الإنسانية بالكلام ؛ ولذلك قال صاحب المنطق : حد الإنسان الحى الناطق . وقال هشام بن عبد الملك : إن الله رفع درجة اللسان فأنطقه بين الجوارح . وقال علي بن عبيدة : إنما يُبين عن الإنسان اللسان ، وعن المودة العينان . وقال آخر : الرجل مخبوء تحت لسانه . ١٠ وقالوا : المرء بأصغر يه : قلبه ولسانه . وقال الشاعر :

وَمَا الْمَرءُ إِلَّا الأَصْغَرُانِ لِسَانُهُ وَمَعْقُولُهُ وَالجَسْمُ خَلَقُ مُهَاجَرٌ
فَإِنْ طُرْةً^(٢) رَاقِتُكَ يَوْمًا فَرِبَّا أَصَرَّ مَذَاقُ الْعُودِ وَالْعُودُ أَخْضَرٌ
وَلَا يُخْطِطُ صُورَةً مَعْرُوفَةً ، وَحِلْيَةً مَوْصُوفَةً ، وَفَضْيَلَةً بَارِعَةً ، لَيْسَتْ هَذِهِ
الْأَصْنَافُ ؟ لَأَنَّهُ^(٣) يَقُومُ مَقَامَهَا فِي الْإِيْضَاحِ عَنْدَ الْمُشَهِّدِ ، وَيَفْضُلُهَا فِي الْمَغَيْبِ ،
لَأَنَّ السَّكَّتَبَ تَقْرَأُ فِي الْأَماَكِنِ الْمُتَبَايِنَةِ ، وَالْبُلْدَانِ الْمُتَفَرِّقَةِ ، وَتُدْرِسُ فِي كُلِّ
عَصْرٍ وَزَمَانٍ ، وَبِكُلِّ لِسَانٍ ، وَاللِّسَانِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَا فَصَدِيقًا لَا يَعْدُ سَامِعَهُ ،
وَلَا يُجَازِهُ إِلَى غَيْرِهِ .

اللغة

قال سهيل بن هارون : سياسة البلاغة أشد من البلاغة . وقيل لجعفر بن [يحيى بن] سهيل بن هارون
وغيره في معنى خالد : ما البلاغة ؟ قال : التقرُّب من المعنى البعيد ، والدلالة بالقليل على الكثير .
هذا العنوان
وقيل لابن المقفع : ما البلاغة ؟ قال : قلَّة الْحَسَر ، وأُجْرَأَةٌ عَلَى الْبَشَر ؛ قيل له :

(١) النصيحة: كل ما نصب بفعل عاما.

(٢) كذا في . وطارة ، أى هيئة حسنة وجمال . وفي سائر الأصول : « ترها » .

(٣) في بعض الأصول: «ليست هذه الأوصاف إلا لأنه ... الح» وهي ظاهرة الاضطراب.

فما هي؟ قال : الإطراق من غير فِكْرَة ، والتَّنَحْنَحُ من غير عِلْمٍ . وقيل لآخر : ما البلاغة؟ قال : تَطْوِيلُ القَصِير ، وتقسيم الطويل . وقيل للأعرابي : ما البلاغة؟ فقال : حَدْفُ الْفُضُول ، وتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ . وقيل لأرسطاطاليس : ما البلاغة؟ فقال : حُسْنُ الْأَسْتِعْنَارَةِ . وقيل لجالينوس : ما البلاغة؟ فقال : إِيْضَاحُ الْمُعْضِلِ ، وفَكُّ الْمُشْكَلِ . وقيل للخليل بن أحمد : ما البلاغة؟ فقال : مَا قَرُبَ طَرَفَاهُ ، وَبَعْدَ مُنْتَهِاهِهِ . وقيل لخالد بن صفوان : ما البلاغة؟ قال : إِصَابَةُ الْمَعْنَى ، وَالْأَصْنَدُ لِلْحُجَّةِ . وقيل لآخر : ما البلاغة؟ قال : تَصْوِيرُ الْحَقِّ فِي صُورَةِ الْبَاطِلِ ، وَالْبَاطِلُ فِي صُورَةِ الْحَقِّ . وقيل لإبراهيم الإمام : ما البلاغة؟ فقال : الجزالة والإصابة .

تضمين الأسرار في الكتب

وأما تضمين الأسرار في الكتب [حتى] لا يقرؤها غير المكتوب إليه ١٠ وفيه أدب تجب معرفته . وقد تعلقت العامة بكتاب القمي^(١) والأصبغاني^(٢) . وكان أبو حاتم سهل بن محمد قد وصف^(٣) لي منها أشياء جليلة من تبديل الحروف ، وذلك مُمْكِن لـ كل إنسان . غير أن اللطيف من ذلك : أن تأخذ ابننا حليبيا فتكتب به في القرطاس ، فَيَذَرُ المكتوب له عليه رماداً سُخناً من رماد القراطيس ، فيظهر^٤ ما كتبت به إن شاء الله . وإن شئت كتبت بماء الزاج الأبيض ، ١٥ فإذا وصل إلى المكتوب إليه أمر عليه شيئاً من غبار الزاج ، وإن أحبت أن لا يقرأ الكتاب بالنهار ويقرأ بالليل فاكتتبه بمرارة الشلحفة .

(١) القمي ، رجلان : أحدهما إسماعيل بن محمد ، وله من الكتب : كتاب الهند وكتاب العلل . والآخر على بن موسى ، وكان أحد الفقهاء العراقيين المشهورين .
٢٠ (انظر الفهرست لابن النديم ص ٨٥ ، ٢٠٧ ، طبعة أوربة) . وظاهر أن المعنى منهما هنا إسماعيل .

(٢) هو أبو علي الحسن بن عبد الله ، أصفهانى المولد . دخل الحضرمة وأخذ عن أخذ عنه أبو حنيفة الدینوری . وله من الكتب : الرد على الشعراء . كتاب النطق . كتاب علل النحو . كتاب التسمية . كتاب المشاشة والبشاشة ، وغيرها .

(انظر الفهرست لابن النديم ص ٨١) طبعة أوربة .

(٣) في بعض الأصول : « وضع » .

قولهم في الأقلام

قالوا : القلم أحد المسانين ، وهو المخاطب للعيون بسرائر القلوب ، على بعضهم في الأقلام
 ثم لأبي الحسن
 الهاشمي

لغات مختلفة ، من معان معقودة بحروف معهومة مؤلفة^(١) ؛ مُتباينات الصور ، مختلفات الجهات ؛ لقاحها التفكير ، ونِتاجها التَّدَبِير ؛ تَخْرُسُ مُنفرَدات ، وتنطِقُ مُزْدوجات ؛ بلا أصوات مسموعة ، ولا ألسن محدودة ، ولا حركات ظاهرة ؛
 خلا^(٢) قلم حرف باريته قطته ليتعلق المداد به ، وأرهف جانبيه ليُرد ما انتشر عنه إليه ، وشق رأسه ليحتبس^(٣) المداد عليه ، فهناك أستمد القلم بشقه ، ونثر في القرطاس بخطه ، حروفاً أحكمها التَّفَكَّر^(٤) ، وجرى على أسلته^(٥) الكلام ، الذي سدَّاه العقل ، وألهَّهَ الناس ، ونهسته اللهوات ، وقطعته الأسنان ، ولفظته الشفاه ، ووعته الأسماع ، عن أنحاء شتى من صفات وأسماء . وقال الشاعر ، وهو أبو الحسن محمد بن عبد الملك بن صالح الهاشمي :

وأندر طاوي الكشح آخرَ ناطقٍ
 له ذمَّلَانٌ في بُطُونِ المَهارِقِ^(٦)
 إذا استعجبَتْه الْكَفُّ أمطرَ وبَلَه
 بلا صوتٍ إِرْعَادٌ ولا ضَوْءٌ^(٧) بارق
 إذا ما حدا غَرَّ الْقَـ وافي رأيَّتها
 مجليةٌ تضي أمام السـ وابق
 إذا ما أـتـهـتـتـ مـزـنـهـ بالصـوـاعـقـ
 كـأـنـ عـلـيـهـ من دـجـىـ اللـيلـ حـلـةـ
 كـأـنـ الـلـالـيـ وـالـزـرـ جـدـ نـطـقـهـ^(٨)
 وـنـورـ الـخـزـامـيـ فـعـيـونـ الـحـدـائقـ

للعلوي

وقال العلوي في صفة القلم :

وعريانٌ من خلعةٍ مُسْكَنٍ
 يَمِيسُ من الوَشَى في يَلْمَقٍ^(٩)

(١) في بعض الأصول : « معقودة بحروف معلولة . . . » .

(٢) يريد أنها لا تنطق بأصوات وألسن وحركات وإنما نطقها بالقلم .

(٣) في : « لتجبيس ». (٤) في : « أحكمتها الفكر ». .

(٥) في بعض الأصول : « وأولى الاستماع بها ». .

(٦) الذملان : ضرب من السير ، وقيل هو السير الدين .

(٧) في : « برق ». (٨) اليامق : القباء ، فارسي ، مغرب يلهه .

تَحَدُّرُ مِنْ رَأْسِهِ رِيقَةً^(١)
فَكُمْ مِنْ أَسِيرٍ لِهِ مُطْلَقٌ
يُقْيِمُ وَيُوْطِنُ غَرْبَ الْبَلَادِ
قَلِيلٌ كَثِيرٌ ضُرُوبُ الْخَطُوطِ
إِذَا مَا حَدَّا الْفَكْرُ فِي مُهْرَقٍ

بعض الشعراء
وقال آخر في القلم :

وَجَدْنَا رَسْمَهُ خَيْرَ الْمُطَاعِ
وَمِنْ شَرِّي وَبِي ذَى أَمْتَنَاعٍ^(٢)
فَيُسْمِعُ وَهُوَ لَيْسَ بِذِي أَسْمَاعِ
عَلَيْهِ سَمَاءُ فِكْرُكَ بِأَنْدَافِ

لَكَ الْقَلْمَ الْمُطَيِّعُكَ غَيْرَ أَنَا
لَهُ ذَوْقَانٌ مِنْ أَرْزِي هَفِي
أَحَدُ الْفَوْظِ يَنْفُطِقُ عَنْ سِوَاهِ
إِذَا أَسْتَسْقِي بِلَاغْتِكَ أَسْتَهَمَّ

وقال :

بِأَسْمَرَ مَشْقُوقَ الْخَيَاشِيمِ يُرْعَفُ
كَأْنَّ عَلَيْهِ مَلْبِسًا جَلَدَ حَيَةً
جَلِيلٌ شُئُونَ الْخَطْبِ مَا كَانَ رَاكِبًا
فَضُفَّفَ

وقال حبيب بن أوس ، وهو من أحسن ما قيل فيه :

لَحِيب

يُصَابُ مِنَ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ وَالْمَفَاصِلِ
وَأَرْزِيُّ الْجَنِيِّ أَشْتَارَتِهِ أَيْدِيُّ عَوَاسِلِ
بَآثارِهِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَربِ وَابْلِ
وَأَعْجَمُ إِنْ خَاطَبَهُ وَهُوَ رَاجِلٌ
عَلَيْهِ شَعَابُ الْفِكْرِ وَهُنَّ حَوَافِلٌ
لَنْجُواهُ تَقْوِيْضَ الْخِيَامِ الْجَحَافِلَ

لَكَ الْقَلْمُ الْأَعْلَى الَّذِي بَشَبَاتِهِ^(٣)
لَعَابُ الْأَفَاعِيِّ الْقَاتِلَاتِ لَعَابُهُ
لَهُ رِيقَةٌ طَلْلٌ وَلَكَنْ وَقْعَهَا
فَصِيحُ إذا أَسْنَطَقَتْهُ وَهُوَ رَاكِبٌ
إِذَا مَأْمَطَى الْخَمْسَ الْلَّطَافَ وَأَفْرَغَتْ
أَطْاعَتْهُ أَطْرَافُ الْقَنَا وَتَقْوَضَتْ

(١) الريقة : رضاب الفم .

(٢) الأرى : العسل ، أو ما تجمعه النحل في أجواها ثم تلفظه . والشري : الحنظل ،
أو شجره . (٣) كذا في بعض الأصول وصبح الأعشى (ج ٢ ص ٤٤٨)
ونهاية الأربع (ج ٧ ص ٢٥) . وفي سائر الأصول : « بسناته » .

إذا أستغزرت الذهن الجلى وأقبلت
أعليه في القرطاس وهو أسفل
ثلاث نواحيم الثلاث الأنامل
رأيت جليلا شائعا وهو مرهف ضئي وسمينا خطبه وهو ناحل
ولما قال حبيب هذا الشعر حسده الختumi، فقال لأن الزيات :
ما خطبة القلم التي أنبتها وردت عليك لشاعر مجدد

للبحترى يصف قلم
الحسن بن وهب

وأنشد البختري لنفسه يصف قلم الحسن بن وهب :
وإذا تألق في الندى كلامه ألا مصقول^(١) خلت لسانه من عضبه
برقت مصابيح الدجى في كتبه
منا وينبئ دليله في قربه^(٢)
حكم فساخها خلال بنائه
وكأنها والسمع معقود بها

لأحمد بن
أبي طاهر

وأنشد أحمد بن أبي طاهر في بعض الكتاب ويصف القلم :
فلم الكتابة في يمينك آمن مما يعود عليه فيما يكتب
فلم به ظفر العدو مقلم وهو الأمان لما يخاف ويره
يُبدى السراير وهو عنها محجوب واسان حجته بصمت يُعرب

لابن عبد ره
في القلم

ومن قولنا في القلم :
بكفه ساحر البيان إذا
أدراه في صحيفه سحرًا
ينطق في عجمة بلغته
نواذر يقرع القلوب بها
إن تستعينها وجدتها صورا
نظام در الكلام ضمه
سلكاً لخط الكتاب مستطرًا^(٤)
إذا أمتطى الخضراء ذكر من سحبان فيها أطال وأختصر

(١) كذا في ديوان البختري . والنوى في الأصول : « في العيون كلامه المحدود » .

(٢) في بعض الأصول والديوان : « دنت » .

(٣) في الأصول : « عن » وما أثبنا عن الديوان . (٤) مستطرًا ، أي مكتوبا .

يُخاطب الغائب الشاهدَ الذي حَضرا
ترى المقادير تَسْتَدِف^(١) له وتنفذُ الحادثاتُ ما أَمْرَا
شَيْخْتُ^(٢) ضئيلٌ لِفَعْلَه خَطَرَ
تمْجَحْ فَكَاهْ رِيقَةَ صَغُورَتْ
تُواقِعْ النَّفْسُ مِنْهُ ما حَذَرَتْ
وَرِبَّا جُنْبَتْ بِهِ الْحَمَدَ ذَرَا
مُهَفَّهَ تَزَدَّهِي بِهِ صُحْفَ
كَانْمَا تَرْقَعْ الْعَيْوَنُ^(٤) بِهَا
إِنْ قُرْبَتْ مُرْطَتْ^(٤) طَوَابُهَا
يَكَادُ عَنْوَانَهَا لَرْوَعَةَ^(٥)
وَمِنْ أَحْسَنِ مَا شُبِّهَتْ بِهِ الْأَقْلَامُ وَشُبِّهَ بِهَا قَوْلُ ذِي الرَّمَةِ :

كَانْ أَنْوَفُ الطَّيْرِ فِي عَرَصَاتِهَا خَرَاطِيمُ أَقْلَامٍ تَنْخُطُ وَتَعْجِمُ

وَمِثْلُه قولُ عَدَى بْنِ الرَّقَاعِ فِي وَلَدِ الْبَقَرَةِ :

تُزْجِي أَغْنَى كَانْ إِبْرَةَ رَوْقَه قَلْمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاهِ مِدَادَهَا

وَمِنْ قَوْلَنَا^(٥) :

كَانْ آذَانَهَا أَطْرَافُ أَقْلَامٍ يَخْرُجُونَ مِنْ فُرْجَاتِ النَّقْعِ دَامِيَةً

وَمِنْهُ قَوْلُ الْمَأْمُونِ :

كَانْمَا قَابِلَ الْقَرْطَاسِ إِذْ مُشَقَّتْ^(٦) مِنْهَا ثَلَاثَةَ أَقْلَامٍ عَلَى قَلْمَ

وَمِثْلُه قَوْلَنَا :

إِذَا أَدَارَتْ بَنَانَهَ قَلْمَأَ لمْ تَدْرِ لِلشَّبِهِ أَيْهَا الْقَلْمُ

(١) تستدف ، أي تسهل و تستقيم . وفي بعض الأصول : « تستدق » .

(٢) الشخت (بالفتح ويحرك) : الدقيق الضامر لاهزا . (٣) الريقة : ماء الفم .

(٤) كذا في . ومرطت أي نزعت وتطايرت كما يمرط الرئيس ؟ أي أن اختامتها تفضي بآدفي لمس . والذى في سائر الأصول : « فرطت » .

(٥) جاء في بعض الأصول البيت الآتى منسوباً لعدى ويت عدى قبله منسوباً للمؤلف .

(٦) مشقت ، أي استدققت . شبه الأصابع في دقتها بالأقلام .

ومن قولنا في الأقلام :

ومَعْشِر تَنْطُق أَقْلَامُهُمْ بِحَكْمَةٍ تَلْفَظُهَا الْأَعْيُنُ
تَلْفَظُهَا فِي الصُّكُوكِ أَقْلَامُهُمْ كَائِنًا أَوْ لَامِهِمُ الْسَّنُونُ

ومن قولنا في الأقلام :

يَا كَاتِبًا نَقَشْتَ (١) أَنَامِلُ كَفَهُ سُحْرَ الْبَيَانِ بِلَا إِسَانٍ يَنْطِقُ
إِلَّا صَقِيلَ الْمَتَنِ مَلَمَوْمَ الْقُوَى حَدَّتْ لَهَازِمُهُ وَشُقَّ الْمَفْرِقِ
فَإِذَا تَكَلَّمَ رَغْبَةً أَوْ رَهْبَةً فِي مَغْرِبِ أَصْفَى إِلَيْهِ الْمَشْرِقِ
يَجْرِي بَرِيقَةً أَرْيَهُ أَوْ شَرِيهً يَبْكِي وَيَضْحِكُ مِنْ مُرَاهِ الْمُهَرَّقِ (٢)

١٠ وَاعْبُدُ اللَّهَ بْنَ الْمُعْتَزِ كَلَامًا يَصُفُ فِيهِ الْقَلْمَنْ : الْقَلْمَنْ يَخْدُمُ الْإِرَادَةَ ، وَلَا يَعْلَمُ
فِي وَصْفِ الْقَلْمَنْ لَابْنِ الْمُعْتَزِ ؛ يَسْكُتُ وَاقِفًا ، وَيَنْطُقُ سَاكِنًا ؛ عَلَى أَرْضِ بِيَاضِهَا مَظْلَمٌ ، وَسُوَادُهَا
مَضِيٌّ . وَقَالَ سَلِيمَانُ بْنُ وَهْبٍ ، وَزَيْرُ الْمَهْدَى : كُلُّ قَلْمَنْ تُطِيلُ جَلْفَتَهُ (٣) فَإِنَّ الْخَطَّ
يَخْرُجُ بِهِ أَوْقَصَ (٤) .

وَكَتَبَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ الْلَّيْثِ يَسْتَوْصِفُ الْخَطَّ ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ
أَمَا بَعْدُ ، فَلَيْكَنْ قَلْمَكَ بَحْرِيَا ، لَا سَمِينَا (٥) وَلَا رَقِيقَا ، مَا بَيْنَ الرَّقَّةِ وَالْعِاظَةِ ،
صَيْقَ الْفَقْبِ . فَأَبْرَهَ بَرِيَا مُسْتَوْيَا كَمِنْقَارِ الْجَمَامَةِ ، أَعْطَفَ قَطْتَهُ (٦) ، وَرَقَقَ
شَفَرَتَهُ (٧) . وَلَيْكَنْ مَدَادُكَ صَافِيَا (٨) ، خَفِيفًا إِذَا اسْتَمْدَدَتْ مِنْهُ (٩) ، فَأَنْقَعَهُ لِيَلَةً ثُمَّ
صَاهَهُ فِي الدَّوَاهَةِ . وَلَيْكَنْ قَرْطَاسُكَ رَقِيقًا مُسْتَوْيَا الْذَّسِيجِ ، تَخْرُجُ السَّحَاهَةُ مُسْتَوْيَةً مِنْ
أَحَدِ الْطَّرَفَيْنِ إِلَى الْآخَرِ ، فَلَيْدَسْتَ تَسْتَقِيمُ السَّطُورِ إِلَّا فِيمَا كَانَ كَذَلِكَ . وَلَيْكَنْ
أَكْثَرَ تَمْطِيطَكَ فِي طَرْفِ الْقَرْطَاسِ الَّذِي فِي يَسَارِكَ وَأَقْلَهُ فِي الْوَسْطِ ، وَلَا تَطِّ

(١) فِي : « بَعْثَتْ » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « يَدِلِي » مَكَانٌ

« يَجْرِي » . وَالْأَرْيَ : الْعَسْلُ . وَالشَّرِيْ : الْحَنْضُولُ أَوْ شَجَرَهُ .

(٣) الْجَلْفَةُ مِنَ الْقَلْمَنْ (بِالْكَسْرِ وَيَفْتَحُ) : مَا بَيْنَ مُبَرَّاهِ إِلَى سَنْتَهِ .

(٤) الْوَقَصُ : قَصْرُ فِي الْعَنْقِ مَعْ مِيلٍ . شَبَهَ بِهِ مَثَلُهُ مِنَ الْخَطِّ .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « مَتَيْنَا » . (٦) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بَطْنَهُ » .

(٧) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « شَفَقِيَهُ » . (٨) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « فَارْسِيَا » .

(٩) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَزْنَهُ » مَكَانٌ « اسْتَمْدَدَتْ مِنْهُ » .

في الطرف الآخر ، ولا تُمْطَّ كُلَّةً ثالثةً أَحْرَفَ وَلَا أَرْبَعَةَ ، وَلَا تُتَرَكُ الْأُخْرَى
بِغَيْرِ مَطْ ? فَإِنَّكَ إِذَا فَرَقْتَ^(١) الْقَلِيلَ كَانَ قَبِيْحًا ، وَإِذَا جَمَعْتَ الْكَثِيرَ كَانَ سَمِيْحًا .
شَمَّ أَبْتَدَىُ الْأَلْفَ بِرَأْسِ الْقَلْمَ كَلَهُ وَأَخْطَطَهُ بِعَرْضِهِ وَأَخْتَمَهُ بِأَسْفَلِهِ . وَأَكْتَبَ
الْبَاءَ وَالْتَاءَ وَالسَّيْنَ وَالشَّيْنَ ؛ وَالْمَطَّةَ الْعَلِيَّاً مِنَ الصَّادِ وَالضَّادِ وَالظَّاءِ وَالظَّاءِ وَالْكَافِ
وَالْعَيْنِ وَالْغَيْنِ ، وَرَأْسَ كُلِّ مُرْسِلٍ ، بِرَأْسِ الْقَلْمِ . وَأَكْتَبَ الْجَيْمَ وَالْحَاءَ وَالْخَاءَ
وَالْدَّالِ وَالْدَّالِ وَالرَّاءَ ، وَالْمَطَّةَ السُّفْلَى مِنَ الصَّادِ وَالضَّادِ وَالظَّاءِ وَالظَّاءِ وَالْكَافِ
وَالْعَيْنِ وَالْغَيْنِ بِالسُّنْنِ السُّفْلَى مِنَ الْقَلْمِ ، وَامْطَطَ بِعَرْضِ الْقَلْمِ . وَالْمَطَّ نِصْفُ الْخُطِّ ،
وَلَا يَقُوِي عَلَيْهِ إِلَّا الْعَاقِلُ ، وَلَا أَحْسَبُ الْعَاقِلَ يَقُوِي عَلَيْهِ أَيْضًا إِلَّا بِالنَّظَارِ إِلَى
الْيَدِ فِي اسْتِعْمَالِهَا الْحَرْكَةُ ، وَالسَّلَامُ .

١٠ وقال ابن طاهر لكاتبته : أَلِقْ دَوَاتِكَ ، وَأَطِلْ سِنَنَ قَلْمَكَ ، وَفَرَّجْ بَيْنَ
السُّطُورَ ، وَقَرْمَطْ بَيْنَ الْحَرَوْفَ . وقال^(٢) إِبْرَاهِيمَ بْنَ جَبَلَةَ : مَرَّ بِي عَبْدُ الْحَمِيدَ ، وَأَنَا
أَخْطَ خَطَا رَدِيَّاً ، فَقَالَ لِي : أَتَحْبَ أَنْ يَجُودَ خَطَّكَ ؟ قَلَتْ : بَلِي . قَالَ : أَطِلْ
جَلْفَةَ الْقَلْمَ وَأَسْنَنَهَا ، وَحَرَّفَ قَطْنَكَ وَأَيْمَنَهَا . فَفَعَلَتْ بِخَادِ خَطَّيِ . وَقَالَ الْعَتَابِيُّ :
بِكَاءَ الْقَلْمَ تَبَقَّسُ الْكُتُبَ . وَقَالَ بَعْضُ الْحَكَمَاءَ : أَمْرُ الدِّينِ وَالدِّيَنِ تَحْتَ
شَبَّاهَ^(٣) السَّيْفِ وَالْقَلْمِ . وَقَالَ حَبِيبُ الطَّائِيُّ :

لَوْلَا مُنَاشَدَةُ الْقُرْبَى لِغَادِرِكَ حَصَانَدَ الْمُرْهَفَيْنِ : السَّيْفِ وَالْقَلْمِ

وَقَالَ أَرْسَطَاطَالِيسُ : عَقُولُ الرِّجَالِ تَحْتَ سِنَنَ أَقْلَامِهِمْ . وَقَالَ أَبُو حَكِيمَةُ :
كَفَتُ أَكْتَبَ الْمَصَاحِفَ ، فَمَرَّ بِي عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَمُ اللَّهِ وَجْهُهُ ، فَقَالَ :
أَجْلَلُ قَلْمَكَ . فَقَصَمْتُ مِنْ قَلْمَى قَصْمَةً . فَقَالَ : هَكَذَا ، نُورَهُ كَمَا نُورَهُ اللَّهُ .

٢٠ (١) في بعض الأصول : « قرنت ». (٢) في صبح الأعشى (ج ٢ ص ٤٥٩) : « وقال عبد الحميد بن يحيى كاتب مروان

لرغبان . وكان يكتب بقلم قصدير البرية ». (٣) في الأصول : « شنان » .

لابن طاهر ثم
لعبد الحميد يوصى
ابن جبلة ثم لاعتابي
وبعض الحكماء
ثم شعر حبيب

لأرسطاطاليس
ثم لم على يوصى
أبا حكيمه ثم
لابن سيرين

وكان ابن سيرين يكره أن يكتب القرآن مشقًا^(١)، وقال : أجود الخطأ بيده .
 وقال سليمان بن وهب : زينوا خطوطكم بإسبال ذوايئها . وقال عمرو بن مسعود : الخط صورة ضئيلة ، لها معان جليلة ، وربما ضاق على العيون ، وقد ملا أقطار الظنون^(٢) . وذكر علي بن عبيدة^(٣) القلم فقال : أصم يسمع الفجوى ، أعمى من باقل ، وأبلغ من سهجان وائل ، يجعل الشاهد ، ويخبر الغائب ، ويجعل السكّتب بين الإخوان السنا ناطقة ، وأعنينا لاحظة ، وربما ضمّنها من وداع^(٤) القلوب ما لا تَبُوح به الألسن عند المشاهدة . وقال أحمد بن يوسف الكاتب : ما عبرات الغواني في خُودهن بأحسن من عبرات الأقلام في خُود السكّتب . وقال المتنبي : الأقلام مطايا الفطن . وتخاير^(٥) غلامان في بعض الدواوين فقاما إلى أستاذهما يعرضان عليه خطوطهما ، فكره أن يفضل أحدهما على الآخر ، فقال لأحدهما : أما خطك أنت فوشى محوك . وقال للآخر : وأما خطك أنت فذهب مسبوك ، تكافيئاً في غاية ، وتوافيئاً في نهاية . وقال آخر : دخلت الديوان فنظرت إلى غلام بيده قلم كأنه قضيب عقیان وعليه مكتوب :

وأبأي ، وأبأي من كف من يكتب بي^(٦)

شعر لأبن هفان
في وصف القلم

وقال أبو هفان يصف القلم :

وإذا أمر على المهارق كفه
بأنامل يحملن شختا هفاما^(٧)
ومقصراً ومطولاً ومقطعاً
وموصلًا ومشتقاً ومؤافاً
كالحية الرقشاء إلا أنه
يس تنزل الأرضى إليه تلطضا^(٨)
يهفو بها قلم يموج لعابه فيعود سيفاً صارماً ومثقفاً

(١) المشق في السكتابة : مد حروفها . (٢) في : « روائع » .

(٣) في بعض الأصول : « على بن عبيدة » .

(٤) في بعض الأصول : « أخطار الفنون » . (٥) تخاير : تفاخر .

(٦) في بعض الأصول : « من كفه تكتب » .

(٧) الشخت (بالفتح ويحرك) : الدقيق الضامر لا هز الا .

(٨) الأرضى : جم كثرة للأروية ، وهي أنى الوعول .

شعر لبعضهم
في وصف الدواة

وقال آخر في وصف الدواة :
ومُسُودَةُ الأرجاء قد خُضْتُ حَالَهَا
وروَيَتْ مِنْ قَعْرِهَا غَيْرَ مُنْبَطَ^(١)
خَمِيسُ الْحَشَى يَرْوَى عَلَى كُلِّ مَشْرَبٍ
أَمِينًا عَلَى سَرِّ الْأَمِينِ الْمُسَلَّطَ

وقال بعض الكتاب :

وَمَا رَوْضَ الرَّبِيعِ وَقَدْ زَاهَ
نَدَى الْأَسْحَارِ يَأْرَجُ بِالْغَدَاءِ
بِأَصْوَاعِ أَوْ بِأَسْطَعِ مِنْ نَسِيمٍ
تَؤْدِيهِ الْأَفَوَهُ مِنْ دَوَّةٍ

وقال آخر في وصف محبرة :

وَلِجَّةُ بَحْرِ أَجْمَعِ الْعُبَادِ
بِبَادٍ^(٢) وَأَمْوَاجُهُ تَزَخَّرُ
إِذَا غَاصَ فِيهِ أَخْوَغَوْصَةٌ
سَرِيعُ السَّبَاحَةِ مَا يَفْتَرُ
فَأَنْفَسَ بِذَلِكَ مِنْ غَائِصٍ
بَدِيعُ الْكَلَامِ لِهِ جَوْهَرٌ
وَأَكْرَمُ بِبَحْرٍ لِهِ لِجَّةٌ
جَوَاهِرُهَا حَكْمٌ تُفْثَرُ

لِيَمَّا ثُمَّ شَعَرَ
وَقَالَ ثَمَّا مَهْبَهُ بْنُ أَشْرَسَ : مَا أَثْرَرَهُ الْأَقْلَامُ لَمْ تَطْمَعْ فِي دَرْسِهِ الْأَيَّامُ . وَنَظَرَ
لِلْمَامُونَ إِلَى جَارِيَةِ مِنْ جَوَارِيَهِ تَخْطُّ خَطًّا حَسَنًا ، فَقَالَ فِيهَا :

وَزَادَتْ لَدِينَا حُظْوَةً حِينَ أَطْرَقْتَ
وَفِي إِصْبَعِيهَا أَسْمَرَ اللَّوْنَ أَهِيفُ
أَصْمُ سَمِيعٌ سَاكِنٌ مَتَحْرِكٌ يَنَالُ جَسِيمَاتِ الْمُنْيِّ وَهُوَ أَعْجَفُ

وقال بعض الكتاب :

إِذَا مَا تَقَيَّنَا وَأَنْقَضَنَا صَوَارِمَا
يَكَادُ يُصْمِمُ السَّامِعِينَ صَرِيرُهَا
تَساقِطُ فِي الْقِرْطَاسِ مِنْهَا بَدَائِعُ
كَمِيلُ الْلَّالِي نَظَمُهَا وَنَثَيرُهَا

قال بِشَرُّ بْنُ الْمُعْتَمِرَ : الْقَلْبُ مَعْدَنٌ ، وَالْحَلْمُ^(٣) جَوْهَرٌ ، وَاللَّسَانُ مُسْتَنبَطٌ ،
وَالقَلْمَنْ صَانِعٌ ، وَالْخَطُّ صَيْغَةٌ^(٤) . وَقَالَ مَهْلُ بْنُ هَارُونَ : الْقَلْمَنْ لِسَانُ الضَّمِيرِ ، إِذَا

لِبْشَرُ بْنُ الْمُعْتَمِرَ
وَابْنُ هَارُونَ
وَغَيْرُهَا

(١) الحال : الطين الأسود . ويريد به : المداد . وأنبسط الماء ، إذا استتبطه وانتهى
إليه . يريد أنها غير بعيدة الغور . (٢) باد ، أى ظاهر القرع .

(٣) الحكم : العقل . (٤) في بعض الأصول : « صانع ... صنعة » .

رَعَفَ^(١) أَعْلَنَ^(٢) أُسْرَارَهُ ، وَأَبَانَ آثَارَهُ . وَقَالُوا : حُسْنُ الْخَطَّ يُنَاضِلُ عَنْ صَاحِبِهِ ، وَيُوضَحُ الْحِجَةُ ، وَيُمْكَنُ لَهُ دَرَكُ الْبُغْيَةِ . وَقَالَ آخَرُ : الْخَطَّ الرَّدِيُّ زَمَانَةً^(٣) الْأَدِيبِ . وَقَالَ الْحَسْنُ بْنُ وَهْبٍ : يَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى خَلَالٍ ، مِنْهَا : جَوْدَةٌ بَرْمَى الْقَلْمَ ، وَإِطَالَةٌ جِلْفَتَهُ ، وَتَحْرِيفٌ قَطْتَهُ ، وَحُسْنُ التَّأْتَى لِإِمْطَاءٍ^(٤) الْأَنَاملُ ، وَإِرْسَالُ الْمَدَّةِ بِقَدْرِ أَتْسَاعِ الْحُرُوفِ ، وَالتَّحْرِزُ عِنْدَ فِرَاغِهَا مِنَ الْكَسْوَفِ ، وَتَرْكُ الشَّكْلِ عَلَى الْخَطَّأِ ، وَالْإِعْجَامُ عَلَى التَّصْحِيفِ ، وَأَسْتَوَاءُ الرُّسُومِ ، وَحِلَادَةُ الْمَقَاطِعِ .

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ : مِنْ أَدْبَارِ الْكَاتِبِ أَنْ يَأْخُذْ قَلْمَهُ فِي أَحْسَنِ أَجْزَائِهِ وَأَبْعَدْ مَا يَمْكُنُ الْمَدَادَ فِيهِ ، وَيُعْطِيهِ مِنَ الْقَرْطَاسِ حَقَّهُ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسَ : كُلُّ كِتَابٍ غَيْرٌ مُخْتَومٌ فَهُوَ غُفْلٌ^(٥) . وَفِي تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى : (إِنَّ أُلْقَى إِلَى كِتَابٍ كَرِيمٍ) . قَالَ : مُخْتَومٌ . وَرُفِعَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ قَصْةً قَدْ أَكْثَرَ صَاحِبَهَا إِعْجَامَهَا ، فَقَالَ : مَا أَحْسَنَ مَا كَتَبْتَ ، إِلَّا أَنَّكَ أَكْثَرْتَ شُونِيزَهَا .

وَقَالَ أَبُو عَبِيْدَةَ^(٦) : لَا يَقُولُ : كَأْسٌ ، إِلَّا إِذَا كَانَ فِيهَا شَرَابٌ ، وَإِلَّا فَهُوَ زَجاَةٌ ؛ وَلَا مَائِدَةٌ ، إِلَّا إِذَا كَانَ عَلَيْهَا طَعَامٌ ، وَإِلَّا فَهُوَ خِوانٌ ؛ وَلَا قَلْمٌ ، إِلَّا إِذَا بُرْئَى ، وَإِلَّا فَهُوَ قَصْبَةٌ . وَقَالَ آخَرُ : جُلوْسُ الْأَدْبَاءِ عِنْدَ الْوَرَاقِينَ ، وَجُلوْسُ الْمُحَمَّنِينَ عِنْدَ النَّخَاسِينَ ، وَجُلوْسُ الطَّفَيلِيِّينَ عِنْدَ الطَّبَّاخِينَ .

وَكَتَبَ عَلَى^(٧) بْنِ الْأَزْهَرِ إِلَى صَدِيقِهِ يَسَّارِهِ أَقْلَامًا يَبْعَثُ بَهَا إِلَيْهِ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّا عَلَى طَوْلِ الْمَارِسَةِ هَذِهِ الْكِتَابَةِ الَّتِي غَلَبَتْ عَلَى الْأَسْمَ ، وَلَزِمَتْ لِزُومَ الْوَاسِمَ ، خَلَّتْ مَحْلُ الْأَنْسَابَ ، وَجَرَتْ مَجْرِيُ الْأَلْقَابِ ، وَجَدْنَا الْأَقْلَامَ الصَّحْرَيَّةَ^(٨) أَسْرَعَ

(١) رَعَفَ (كَنْصُرٌ وَمِنْ وَكْرَمٍ وَعَنْ وَسِعَمْ) : خَرَجَ مِنْ أَنْفَهِ الدَّمِ . وَبِهِ شَبَهَ سِيلَانَ الْمَدَادِ مِنَ الْقَلْمِ . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «أَغْلَقَ» : تَحْرِيفٌ .

(٣) الزَّمَانَةُ : الْعَاهَةُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «زَمَانَةُ الْأَدِيبِ» .

(٤) فِي : وَنَهَايَةِ الْأَرْبَ (ج ٧ ص ٢) : «إِمْطَاء» . وَهَا بِمَعْنَى .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «أَغْلَفَ» . (٦) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «أَبُو عَبْدِ اللَّهِ» .

(٧) الصَّحْرَيَّةُ . نَسْبَةٌ إِلَى الصَّحْرَةِ ، وَهِيَ جَوْبَةٌ تَنْجَابُ وَسْطَ الْحَرَةِ وَتَكُونُ أَرْضًا لِبَنَةٍ تَطْيِفُ بَهَا حِبَّارَةً .

في الكواغد ، وأمر في الجلود ، كما أن البحرية منها أسلس في القراطيس ، وألين^(١) في المعاطف ، وأشد لتصريف الخط فيها ، ونحن في بلد قايم القصب رديئه ، وقد أحببت أن تتقدم في اختصار أقلام بحرية^(٢) ، وتتألق في انتقامها قبلك ، وتطلبها في مظانها ومنابتها من سطوط الأنهر ، وأرجاء الكروم ، وأن تديم^(٣) باختيارك منها الشديدة المحس^(٤) ، الصلبية المغض ، النقيمة الخدود ، القليلة الشحوم ، المكتنرة الدهوم ، الضيقية الأجوف ، الرزينة المحمل ؛ فإنها أبقى على الكتابة ، وأبعد من الحفاء ، وأن تقصد بانتقامك الرقاق القضبان^(٥) ، المقوّمات المتون ، الملمس المعاعد ، الصافية القشور ، الطويلة الأنابيب ، البعيدة ما بين الكعوب ، السكريمة الجواهر ، المعتدلة القوام ، المستحكة بيساً ، وهي قائمة على أصولها ، لم تعجل عن إبان ينبعها ، ولم تؤخر إلى الأوقات المخوفة عليها من خصر الشتاء ، وعفن الأنداء ، فإذا استجمعت عندك أمرت بقطعها ذراعا ذرعا ، قطعاً رقيقاً ، ثم عبأت منها حزما فيما يصونها من الأوعية ، ووجهتها مع من يؤدى الأمانة في حراستها وحفظها وإيصالها ، وكسبت معه رقة بعدها وأصنافها ، بغير تأخير ولا توان ، إن شاء الله تعالى .

قولهم في الخبر

بعض الكتاب قال بعض الكتاب : عطروا دفاتر آدابكم بجيد الخبر ، فإن الأدب غولي ، والخبر غولي . ونظر جعفر بن محمد إلى فتي على ثيابه أثر المداد وهو يستره ، فقال له :

لا تجزعن من المداد فإنه عطر الرجال وحلية الكتاب

(١) في بعض الأصول : « وأسرع ». وما أثبتنا عن سائر الأصول وصيغ الأعشى

(ج ٢ ص ٤٥١) ونهاية الأربع (ج ٧ ص ٢١) .

(٢) في الأصول : « بحرية ». والسياق بعد يقتضى ما أثبتنا .

(٣) في صيغ الأعشى : « تديم ». .

(٤) المحس : قوة الخلق مع ضمور . (٥) في بعض الأصول : « القصبات » .

وأَتَى وَكِيعَ بْنَ الْجَرَاحَ رَجُلًا يَمْتَلِئُ إِلَيْهِ بِحُرْمَةٍ ، فَقَالَ لَهُ : وَمَا حُرْمَتُكَ ؟
قَالَ لَهُ : كَفَتَ تَكْتَبَ مِنْ مَحْبُرَتِي عِنْدَ الْأَعْمَشِ ، فَوَثَبَ وَكِيعٌ وَدَخَلَ مَنْزَلَهُ ،
نَمَّ أَخْرَجَ لَهُ بِضَعْفِهِ^(١) دَنَانِيرَ ، وَقَالَ لَهُ : أَعْذُرْ فَهَا أَمْلَكَ غَيْرَهَا .

وفي الأقلام

أَهْدَى ابْنُ الْحَرَوْنَ^(٢) إِلَى رَجُلٍ مِنْ إِخْرَاجِهِ مِنَ الْكِتَابِ أَقْلَامًا وَكَتَبَ
إِلَيْهِ : إِنَّهُ لَمَا كَانَتِ الْكِتَابَةُ ، أَبْقَاكَ اللَّهَ ، أَعْظَمَ الْأَمْرَوْرَ ، وَقِوَامَ الْخِلَافَةَ ، وَعِمْدَةَ
الْمَلَكَةَ ، خَصَصْتُكَ مِنْ آتِهَا بِمَا يَحْفَظُ تَحْمِلَهُ ، وَتَثْقِلُ قِيمَتَهُ ، وَيَعْظُمُ نَفَعَهُ ،
وَيَجْلُ خَطَرَهُ ، وَهِيَ أَقْلَامٌ مِنَ الْقَصْبِ النَّابِتِ فِي الصَّحْرَ^(٣) ، الَّذِي نَسِفَ فِي حَرَزِ
الْمَهْجِيرِ مَأْوَهُ ، وَسَرَرَهُ مِنْ تَلْوِيهِ غَشَاؤهُ ، فَهِيَ كَاللَّالَى الْمَكْنُونَةُ فِي الصَّدْفِ ،
وَالْأَنْوَارُ الْمَحْجُوبَةُ فِي السَّدَافِ ، تِبْرِيَّةُ الْقُشُورِ ، دُرِّيَّةُ الظَّهُورِ ، فَضِيَّةُ الْكُسُورِ ،
قَدْ كَسْتَهَا الطَّبِيعَةُ جَوَاهِرَ كَالْوَشَى الْمُحَبَّرَ ، وَفِرِندِ الدِّيَبَاجِ الْمُنَيرَ^(٤) .

قولهم في الصحف

نعم الأنديسُ إِذَا خَلَوْتَ كِتَابًا تَلَهُو بِهِ إِنْ مَلَكَ الْأَحَبَابُ
لبعض الشعرا
لا مُفْشِيًّا سرًا إِذَا أَسْتَوْدَعَتَهُ وَتُفَادَ مِنْهُ حِكْمَةٌ وَصَوَابٌ
وقال آخر :

وَكُلُّ صَاحِبٍ لَذَّةٌ مَتَّزِهٌ^(٥)

(١) في بعض الأصول : « نفقة » .

(٢) هو محمد بن أحمد بن الحسين بن الأصبغ بن الحرون . وفي بعض الأصول : « ابن الحرونى » . وما أثبتنا عن سائر الأصول وصبح الأعشى ونهاية الأربع .

(٣) الصحر : جمع صحراء (انظر الحاشية رقم ٦ ص ١٩٩) من هذا الجزء . والذى فى صبح الأعشى : « الصحراء » . والذى فى نهاية الأربع : « الصحراء » .

(٤) الفرنـد : الثوب . وفي بعض الأصول : « إفرند » وهو معناه . والمـير : الذى جعل له نـير (بالـكسر) وهو علم الثوب ، أو القصب والخيوط إذا اجتمعت .

(٥) في بعض الأصول : « نـزـهـةـ » .

لحبب وقال حبيب : مدادٌ مثلُ خافيةِ الغراب وقرطامس كرقرق السراب
وألفاظُ كألفاظ المثاني وخطٌ مثلُ وشم يد السكاع
كتبتُ ولو قدرتْ هوى وشوقاً إليك لكتبتُ سطراً في الكتاب^(١)

وقال في صحيفه جاءته من عند الحسن بن وهب :

لقد جَلَّ كتابك كلَّ بَثٍ جَوِ وأصاب شاكلاة الرامي^(٢)
فضضتُ ختامه فتبليجتُ لى غرائبُه عن الخبر الجلي
وكان أغصَّ في عيني وأندَى على كبدى من الزَّهر الجفني
وأحسنَ موقعًا مِنْيَ وعندى من البُشري أتت بعد النعي
وضمُّن صدره ما لم تُضمن صدور الغانيمات من الحل^(٣)
فكائن فيه من معنى خطير وكأن في ثلَجَ الفؤاد وكان رَضْفاً^(٤)
فيما ثلَجَ الفؤاد وكان رَضْفاً^(٥)
فكم أَفَصَحَتَ عن بُرِّ جليل به ووأيتَ من وَأَيْ سَفْنَيْ^(٦)
كتبتَ به بلا لفظٍ كريه على أذن ولا خطٌ قمي^(٧)
رسالةً من تَمَّقَعَ منذ حين ومتَّعنا من الأدب الرَّاضِي^(٨)
لئن غربتها في الأرضِ بِكِرَا لَقد زُفْتَ إلى قلب وفي^(٩)
وإنْ يَكُ من هَداياك الصَّفَايَا فربَّ هديَّة لك كالمَدِي^(١٠)
وقال ابن أبي طاهر في ابن ثوابه :
لابن أبي طاهر في ابن ثوابه
في كل يوم صدور السُّكُوب صادرة من رأيه وندَى كَفَيه عن مُثُلٍ
عن خط أقلامه خط القضاة على الـ أعداء بالموت بين البيض والأسل^(١١)

(١) لم يذكر في ديوان أبي تمام البيتان الأولى والثانى . وذكر هذا البيت الثالث في

قصيدة له يمدح بها محمد بن الهيثم . (٢) جو : شديد . وفي بعض الأصول :

« جرى » . والشاكلاة : الخاصرة . (٣) الرضف : الحجارة الحمامة .

(٤) الوَأْيَ : الوعد . وفي الأصول : « فكم كشفت ... * به وأتيت من رأى ... » .

وما أثبتنا عن الديوان . (٥) قى ، أصله قىء ، بالهمز ، فسهل

ثم أدمغ . والقمعى : الصغير الدليل . (٦) في الديوان : « الوضى » .

(٧) في الديوان : « لقد جلست على سمع كفى » . (٨) الهدى ، العروس .

لعاها عِلَّهُ فِي الصَّدَرِ تَنْفَتِهِ^(١) وَوَمَا كَانَ فِي— النَّفَعُ لِلْعِلَّلِ
كَانَ أَسْطَارَهَا فِي بَطْنِ مُهْرَقَهَا نَوْرٌ يُضَاحِكُ دَمَّ الْوَاكِفِ الْخَضِيلِ

وقال الْبُحْتَرِيُّ فِي مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزَّيَّاتِ :

قد تصرفت في الكتابة حتى عَطَّلَ النَّاسَ فَنَّ عَبْدُ الْحَمِيدِ
فِي نَظَامٍ مِنَ الْبَلَاغَةِ مَا شَكَّ أَمْرُؤُ أَنَّهُ نَظَامٌ فَرِيدٌ
وَبَدِيعٌ كَأَنَّهُ الزَّهْرَ الضَّـا حَكَ فِي رَوْنَقِ الرَّبِيعِ الْجَدِيدِ
مَا أُعِيرَتْ مِنْهُ بُطُونٌ^(٢) الْقَرَاطِيدِ— سِـ وَمَا حَمَلَتْ ظُهُورُ الْبَرِيدِ
حُجُجٌ تُخْرِسُ الْأَلَدَ بِالْفــا ظــ فَرَادِي كَاجْوَهْ الْمَعْدُودِ
حُزْنٌ مُسْتَعْمِلٌ الْكَلَامُ أَخْتِيَارًا وَتَجَنَّبَنَ ظــةَ التَّعْقِيدِ
كَالْعَذَارِيِّ غَدَوْنَ فِي الْحُلَلِ الْبَيِّنِ ضــ إِذَا رُحْنَ فِي الْخُطُوطِ الْسَّوْدَادِ^٣

وقال عَلَىٰ بْنِ الْجَهْمِ فِي رُقْعَةٍ جَاءَتْهُ بِخَطٍّ جَيِّدٍ^(٤) :

ما رُقْعَةٌ جَاءَتْكَ مَمْنُونَةً كَأَنَّـا خَدَّ عَلَى خَدَّ
نَثَرَ سَوَادٌ فِي بَيْاضٍ كَمَا ذُرَّ فَتَيَّتُ الْمِسْكُ فِي الْوَرْدِ
سَاهِمَةُ الْأَسْطُرُ مَصْرُوفَةٌ عَنْ جَهَةِ الْهَذْلِ إِلَى الْجَدِيدِ
يَا كَاتِبًا أَسْلَمْنِي عَتْبَهُ إِلَيْكَ حَسْبِيْ مِنْكَ مَا عِنْدِيٰ^٥

وقال مُحَمَّدُ بْنُ إِبرَاهِيمَ بْنُ مُحَمَّدِ الشِّيبَانِيَّ : رفع أَبَانُ بْنُ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْلَّاحِقِ
إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ رُقْعَةً بِأَبِيَّاتٍ لَهُ يُصَفُُ فِيهَا قَامَتْهُ ، وَكَثَافَةُ حَيْتَهُ ،
وَحَلاوةُ شَمَائِلِهِ ، وَبِرَاعَةُ أَدْبِهِ ، وَبَلَاغَةُ قَلْمَهُ ، فَقَالَ :

أَنَا مِنْ بُغِيَّةِ الْأَمْيَرِ وَكَنْزٍ^(٦) مِنْ كُنُوزِ الْأَمْيَرِ ذُو أَرْبَاحٍ
كَاتِبٌ حَاسِبٌ أَدِيبٌ لَبِيدٌ^(٧) نَاصِحٌ زَانْدٌ عَلَى الْفَصَاحَةِ^٨

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « طَلَلٌ يَبْعَثُهُ » .

(٢) كَذَا فِي دِيَوَانِ الْبُحْتَرِيِّ . وَالَّذِي فِي الْأَصْوَلِ : « مَا اعْتَذَتْ مِنْهُ فِي بُطُونِهِ » .

(٣) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَالْدِيَوَانِ . وَالَّذِي فِي سَائرِ الْأَصْوَلِ : « فِي حَلَلٍ صَفَرٍ » .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « جَارِيَةٌ » مَكَانٌ « جَيِّدٌ » .

شاعر مُقلق أخف من الريشة مما^(١) تكون تحت الجناح

لَيَ فِي النَّحْوِ فَطْنَةٌ وَنَفَادٌ أَنَا فِي — قَلَادَةٌ بُوشَاحٌ^(۲)

لورماني الأمير أصلح — الله رماحاً صدمت حد الرّماح

ثم أروي من^(٤) أن سيرين في الفقه يقول مُنْهَى الإفصاح

لستُ بالضَّعْمِ فِي رُوَايَىٰ وَلَا فَدَّا مَوْلَىٰ بِالْمُجَعَّدِ الدَّحْدَاحِ^(٤)

لحمة كثة وأنف طوله، وأتقاد كثرة المصباح

وكثير الحدث من ملح النا س بصير مخافيات ملاح

ك وك قد خيأت عندى حديثاً هو عند الأمير كالتفاح

أَيْمَنُ النَّاسِ طَائِرًا يَوْمَ صَيْدٍ فِي غُدُوٍّ أَوْ بُكْرَةً أَوْ رَوَامٍ

أعلم الناس بالجوارح والصياغ وبالخرد الحسان الملاح

كُلَّ هذَا جمعتُ وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ عَلٰى أَنِّي ظَرِيفٌ الْمَزَاحُ

است بالناسك المشمر ثوبية ولا الفاتك الخليم الواقح

لو دعاني الأمير عاين مني شمّريّاً كالبلبل^(٥) الصدّاح^(٦)

: فدعاه . فلما دخل عليه أتاه كتاب من إرميئية فرمى به إليه وقال له :

ب. فأجاب بما في غرضه وأحسن . فأصر له بآلف ألف درهم ، وكُنا نراه

فبلغ هذا الشعر أبا نوامن فقال :

أنت أولى بقلة الحظ مني يا مُسَمِّي بالجليل^(٧) الصداح^(٦)

قبلوا منه حين عزّ لديهم أخرسَ القول غيرَ ذي إفصاح

(١) كذا في وديوان أبي نواس . وفي سائر الأصول : « لما » .

(٢) في ديوان أبي نواس: «وانقاد» مكان «ونفاذ» . والوشاح (بالضم والكسر):

كرسان من لؤلؤ وجوه منظومان يخالف بينهما معطوف أحداها على الآخر.

(٣) في بعض الأصول: «عن». وما أثبتنا عن سائر الأصول و

(٢) في نسخ الأصناف: «العنوان» . و(سرها): «ماضي في الامور المجرى ، والدى في الأصول : «تمهير يا كاجبل». .

(٧) في الأصل كان: «أنا أنت»، لكنه بالطبع ما أقتنى عن المذهبان.

(٢) في الأصوات: «... . نسمى بأجهج». وما أبغيَ عن المديون.

شِم بالرِّيش شِبَه النَّفَس فِي الْخِفَةِ مَا يَكُونُ تَحْتَ الْجَنَاحِ
 فَإِذَا الشَّمُ مِنْ شَمَارِيخِ رَضْوَى خِفَةٌ عَنْدَهُ نُوْيِ الْمِسْبَاحِ^(١)
 لَمْ يَكُنْ فِيهِكَ غَيْرُ شَيْئَيْنِ مِمَّا قَلَّتَ فِي نَعْتِ خَلْقِكَ الدَّهْدَاجِ
 لِحِيَةٍ جَمَدَةٌ وَأَنْفٌ طَوِيلٌ وَسِوَى ذَاكَ ذَاهِبٌ فِي الرِّيَاحِ
 فِيهِكَ مَا يَحْمِلُ الْمَلُوكَ عَلَى الشِّنْخِ فِي وِيزْرِي بِالْمَسَاجِدِ الْجَحْمَاجِ
 بَارِدُ الظَّرْفُ مُظْلِمُ الْأَبْ تِيَا هُمْ مُعِيدُ الْحَدِيثِ سَمْجُ الْمِزَاحِ^(٢)
 قَالَ : فَبَعْثَ إِلَيْهِ أَبَانَ بَأْنَ لَا تُذِيمَهَا وَخُذُ الْأَلْفَ أَلْفَ دِرْهَمٍ . فَبَعْثَ إِلَيْهِ
 أَبُو نُوَاسَ : لَوْ أَعْطَيْتَنِي مَا تَهْنَأُ أَلْفَ أَلْفَ دِرْهَمٍ لَمْ أَجِدْ بَدْءًا مِنْ إِذَا عَتَهَا . فَيَقُولُ :
 إِنَّ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى لَمَا سَمِعَ شِعْرَ أَبِي نُوَاسَ قَالَ : لَا حَاجَةَ لِي فِي أَبَانَ ، لَقَدْ
 رُمِيَ بِخَمْسٍ فِي بَيْتٍ لَا يَقْبَلُهُ عَلَى وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ إِلَاجَاهِلُ ، فَقَيْلَ لَهُ : كَذَبٌ
 عَلَيْهِ . فَقَالَ : قَدْ قَبِلَ ذَلِكَ ، فَأَقْصَاهُ . وَإِنَّمَا أَغْرَى أَبَا نُوَاسَ بِهَذَا الْكَاتِبِ أَبَانَ
 بْنَ عَبْدِ الْحَمِيدِ الْلَّاحِقِ أَنَّ الْفَضْلَ بْنَ يَحْيَى أَعْطَاهُ مَا لَا يُفَرِّقُهُ فِي الشِّعْرِ وَيُعْطِي
 كُلَّ وَاحِدٍ عَلَى قَدْرِهِ ، فَبَعْثَ إِلَى أَبِي نُوَاسَ بِدِرْهَمٍ زَائِفٍ نَاقِصٍ ، وَقَالَ :
 إِنِّي أَعْطَيْتُ كُلَّ شَاعِرٍ عَلَى مَقْدَارِ شِعْرِهِ ، وَكَانَ هَذَا أَوْفَرَ نَصِيبَكَ عَنْدِي .
 ١٥ فِي هَجَاهِ لَذَلِكَ^(٣) .

(٤) توقيعات الخلفاء

عُمَرُ بْنُ الْخَطَابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

كَتَبَ إِلَيْهِ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ فِي بُنْيَانِ يَبْنِيَهُ ، فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ :

(١) يَرِيدُ بِالْمِسْبَاحِ : السَّبْعَةِ . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَالْدِيوَانِ : «مُظْلِمُ الْكَذْبِ» .
 ٢٠ وَبَيْنِ الشِّعْرِ هَذَا وَفِي الْدِيوَانِ خَلَافَ غَيْرِ قَلِيلٍ .

(٣) فِي بَعْدِ هَذَا : هُوَ تِمَ الْجَزْءُ السَّابِعُ وَالْعَشْرُونُ مِنْ كِتَابِ الْعَقْدِ وَهُوَ كِتَابُ
 الْمُجْنَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي التَّوْقِيُّعَاتِ مِنْ تَبْزُزَهُ حَسِينٌ جَزْءًا يَتَلَوَّهُ الْجَزْءُ الثَّامِنُ وَالْعَشْرُونُ
 باقِيَ كِتَابِ الْمُجْنَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي التَّوْقِيُّعَاتِ وَالْفَصْوَلِ وَالْصُّدُورِ وَأَخْبَارِ الْكِتَابِ
 وَتَوْقِيُّعَاتِ الْخَلْفَاءِ . (٤) فَبَلْ هَذَا الْغَنْوَانُ فِي : «الْجَزْءُ الثَّامِنُ وَالْعَشْرُونُ
 مِنْ كِتَابِ الْعَقْدِ» ، وَهُوَ باقِيَ كِتَابِ الْمُجْنَبَةِ الثَّانِيَةِ فِي التَّوْقِيُّعَاتِ وَالْفَصْوَلِ
 وَالْصُّدُورِ وَأَخْبَارِ الْكِتَابِ وَتَوْقِيُّعَاتِ الْخَلْفَاءِ » ثُمَّ «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» .
 ٢٥

أَبْنَ مَا يُكْنَى مِنَ الْهَوَاجِرِ وَأَذِي الْمَطَرِ . وَوَقَعَ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ : كُنْ لِرَعِيَّتِكَ كَانْتُبْ أَنْ يَكُونَ لَكَ أَمِيرُكَ .

عثمان بن عفان رضي الله عنه

وَقَعَ فِي قِصَّةٍ قَوْمٌ تَظَالَمُوا مِنْ مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمَ وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَمَرَ بِوَجْهِهِ أَعْنَاقَهُمْ : فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ . وَوَقَعَ فِي قِصَّةٍ رَجُلٌ شَكَّا عَيْلَةً^(١) : قَدْ أَمْرَنَا لَكَ بِمَا يُقْيِيمُكَ ، وَلَيْسَ فِي مَالِ اللَّهِ فَضْلٌ لِلْمُسْرِفِ .

علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

وَقَعَ إِلَى طَالِحةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ : فِي بَيْتِهِ يُؤْتَى الْحَكَمُ . وَوَقَعَ فِي كِتَابٍ جَاءَهُ مِنْ الْحَسَنِ بْنِ عَلَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : رَأْيُ الشَّيْخِ خَيْرٍ مِنْ مَشَهُدٍ^(٢) الْفَلَامِ . وَوَقَعَ فِي كِتَابِ سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ ، وَكَانَ سَأَلَهُ كَيْفَ يُحَاسِبُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يُحَاسِبُونَ كَمِرْزَقُونَ . وَوَقَعَ فِي كِتَابِ الْحَصِينِ بْنِ الْمُنْذَرِ إِلَيْهِ يُذَكَّرُ أَنَّ السَّيْفَ قَدْ كَثُرَ فِي رَبِيعَتِهِ : بِقِيَمَةِ السَّيْفِ أَنْمَى عَدْدًا . وَفِي كِتَابِ جَاءَهُ مِنْ الْأَشْتَرِ الْفَخْعَى فِيهِ بَعْضُ مَا يَكْرَهُ : مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ كَاهَ ؟ وَفِي كِتَابِ صَعْصَعَةِ ابْنِ صَوْحَانِ يُسَأَلُهُ فِي شَيْءٍ : قِيمَةُ كُلِّ أَمْرِيٍّ مَا يُحْسِنُ .

معاوية بن أبي سفيان

١٥

كِتَابٌ إِلَيْهِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ فِي أَمْرِ عَاتِبِهِ فِيهِ ، فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ : بَيْتُ أُمَيَّةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَشْرَفَ مِنْ بَيْتِ حَبِيبٍ^(٣) . فَأَمَّا فِي الْإِسْلَامِ ، فَأَنْتَ تَرَاهُ . وَفِي كِتَابِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ يُسَأَلُهُ أَنْ يُقْطِعَهُ مَالًا بِالْطَّافَ : عِشْ رَجَبًا تَرَى عَجَباً . وَفِي كِتَابِ زَيْدٍ يُخْبِرُهُ بِطَعْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسِ فِي خَلْفَتِهِ : إِنَّ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « عَيْلَةُ عَلَيْهِ » . (٢) كَذَا فِيهَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ وَبَعْضِ الْأَصْوَلِ هُنَا . وَفِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ هُنَا : « جَلْدٌ » .
(٣) هُوَ حَبِيبُ بْنُ عَبْدِ شَمْسٍ .

أبا سفيان وأبا الفضل كانوا في الجاهلية في مسلاخ واحد ، وذلك حلف لا يحتمله سوء أدبك^(١) . وكتب إليه ربيعة بن عسل اليربوعي يسأله أن يعينه في بناء داره بالبصرة بألف جذع : أدارك في البصرة أم البصرة في دارك ؟

يزيد بن معاوية

٥ وقع في كتاب عبد الله بن جعفر إليه يستميه^(٢) لرجال من خاصته : أحكم لهم بما هم إلى مُنتهي آجالهم . فيحكم بتسهيله ألف ، فأجازها . وكتب إليه مسلم ابن عقبة المرئي بالذى صنع أهل الحرثة ، فوقع في أسفل كتابه : فلا تأس على القوم الفاسقين . وفي كتاب مسلم بن زياد عامله على خراسان وقد أستبطأه في الخراج : قليل العِتاب يُخْكِمْ صراير الأسباب ، وكثيره يقطع أواخى الأنساب . ووقع إلى عبد الرحمن بن زياد ، وهو عامله على خراسان : القرابة واشارة ، والأفعال مُقباينة ، فخذل رحمك من فعلك . وإلى عبيد الله بن زياد : أنت أحد أعضاء ابن عمك فأحرص أن تكون كلما .

عبد الملك بن مروان

١٥ وقع في كتاب أتاه من الحجاج : جَنَبَنِي دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الطلب . وكتب إليه الحجاج يخبره بسوء طاعة أهل العراق وما يُقاسي منهم ، ويستأذنه في قتل أشرافهم ، فوقع له : إن من يُعن السائب أن يتآلف به المختلفون ، ومن شُؤمه أن يختلف به المؤتلفون . وفي كتاب الحجاج يخبره بقوّة ابن الأشعث : بضعفك قوي ، وبخُرقك طلع^(٣) . ووقع في كتاب ابن الأشعث :

٢٠ فـا بـالـمـنـ أـسـعـيـ لـأـجـبـ عـظـمـهـ حـفـاظـاـ وـيـنـوـيـ مـنـ سـفـاهـتـهـ كـسـرـىـ ؟

(١) في بعض الأصول : « رأيك ». (٢) في بعض الأصول : « يستميه ». .

(٣) في بعض الأصول : « وبخوفك خلع » .

ووقع أيضاً في كتاب : **كيف يَرْجُون سِقاطي بعدها شَمَل الرَّأْسَ مَشِيدٌ وَصَلَعٌ ؟**
الوليد بن عبد الملك

كتب إليه الحجاج لما بلغه أنه خرق فيما خلف له عبد الملك ، يُذكر ذلك عليه ويُعرف أنه [على] غير صواب ، فوق في كتابه : **لأَجْمَعِنَّ الْمَالَ جَمْعَ مَنْ يَعِيشُ أَبْدًا ، وَلَا فَرْقَنَهُ تَفْرِيقٌ مَنْ يَمُوتُ غَدًا .** ووقع إلى عمر بن عبد العزيز : **قَدْ رَأَبَ اللَّهُ بِكَ الدَّاءَ ، وَأَوْذَمَ^(١) بِكَ السَّقاءَ .**

سلیمان بن عبد الملك

كتب قتيبة بن مسلم إلى سليمان يتهدده بالخلع ، فوق في كتابه : **رَأَمُ الفَرْزَدقُ أَنْ سَيَقْتَلُ مَرْبَعًا أَبْشِرُ بِطُولِ سَلَامَةٍ يَا مَرْبَعُ**
وَوَقَّعَ في كتابه أيضاً : العاقبة للمتقين . وإلى قتيبة أيضاً جواباً وعいで : وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَقَوَّلَا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا .

عمر بن عبد العزيز

كتب بعض العمال إليه يستأذنه في مرمة مدينته ، فوق أسلف كتابه : **أَبْنِهَا بِالْعَدْلِ ، وَنَقَّ طُرُقَهَا مِنَ الظُّلْمِ . وَإِلَى بَعْضِ عَمَالِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكِ : حَصَّنَهَا وَنَفَسَكَ بِتَقْوَى اللَّهِ . وَإِلَى رَجُلٍ وَلَاهُ الصَّدَقَاتُ ، وَكَانَ دَمِهَا ، فَعَدْلٌ وَأَحْسَنُ :**
وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَرَدَّرُ أَعْيُنُكُمْ لَنْ يُؤْتَيْهُمُ اللَّهُ خَيْرًا . وكتب إليه صاحب العراق يُخبره عن سوء طاعة أهلهما ، فوق له : **أَرْضَهُمْ مَا تَرَضَى لِنَفْسِكَ ، وَخُذْهُمْ بِحِرَائِهِمْ بَعْدَ ذَلِكِ .** و إلى عدى بن أرتاة في أمر عاته عليه : **إِنْ آخْرَ آيَةً أُنْزَلتَ : (وَأَنْتُمْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ) .** و إلى عامله على الكوفة ، وكتب إليه أنه فعل في أمر كما فعل عمر بن الخطاب : **أَوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ**

(١) أوذم : شد .

فبهداهم أقتده . وإلى الوليد بن عبد الملك ، وعمر عامله على المدينة ، فوقَ في كتابه : الله أعلم أنك [است] أول خليفة تموت . وأتاه كتاب عدى يُخبره بسوء طاعة أهل الكوفة ، فوقَ في كتابه : لا تطلب طاعة من خذل عليّا ، وكان إماماً مرضيّا . وإلى عامله بالمدينة ، وسأله أن يعطيه موضعًا يبنيه ، فوقَ : كُنْ من الموت على حذر . وفي قصّة مُتّظلم : العدل إمامك . وفي رُقعة محبوس : تُبْ تُطّلاق . وفي رُقعة رجل قتل : كتاب الله بيدي وبينك . وفي رُقعة مُفتّح : لوذ كرتَ الموت شغلتك عن ناصحتك . وفي رُقعة رجل شكا أهل بيته : أنتا في الحق سِيّان . وفي رُقعة امرأة حبس زوجها : الحق حبسه . وفي رُقعة رجل تظلم من أبنته : إنْ لم أنصفك منه فأننا ظلمتاك .

يزيد بن عبد الملك

١٠

وقَع إلى صاحب خراسان : لا يغرنك^(١) حُسن رأى فإنما تفسد عَثرة . وإلى صاحب المدينة : عَثرة فاستقل . وفي قصّة مُتّظلم : سَيَعْلَمُ الذين ظلموا أى مُنْقلَبَ يُنْقلِبون . وفي [قصة] مُتّظلم شكا بعض أهل بيته : ما كان عليك لو صفت عنك وأستوصلكني .

هشام بن عبد الملك

١٥

في قصّة مُتّظلم : أتاك الغوث إن كنت صادقا ، وحلَّ بك النَّكال إن كنت كاذبا ، فتقدَّم أو تأخر . وفي قصّة قوم شَكَوا أميرَهم : إن صَحَ ما أَدْعَيْتَ عليه عَزْلناه وعاقبناه . وإلى صاحب خراسان حين أمره بمحاربة الترك : أحذر لياليَّ اليميات . وإلى صاحب المدينة وكتب يُخبره بوئوب أبناء الأنصار : أحفظ فيهم رسولَ الله صلَّى اللهُ عليه وسلم وَهَبْهم له . ووقع في رُقعة محبوس لِزِمه الحد : نزل بحدك الكتاب . ووقع في قصّة رجل شكا إليه الحاجة وكثرة العيال وذَكر أنَّ له حرمة : لعيالك في بيت مال

(١) في بعض الأصول : « لا ترك » .

المسالمين سَهْم ، وَلَك بِحُرْمَتِك مِنَّا مِثْلَاه . وَإِلَى عَامِلِه عَلَى الْعَرَاقِ فِي أَمْرِ
الْخَوَارِجِ : ضَعَ سَيِّفَك فِي كَلَابِ النَّارِ ، وَتَقْرَبْ إِلَى اللَّهِ بِقَتْلِ الْكُفَّارِ . وَإِلَى
جَمَاعَةِ يَشْكُونَ تَعْدِي عَامِلِهِم عَلَيْهِمْ : لِنَفْوَضْنَكْ ، فَإِنِّي خَصْمُ دُونَكْ . وَفِي
كِتَابِ عَامِلِه يُخْبِرُهُ فِيهِ بِقَلْةِ الْأَمْطَارِ فِي بَلَدِه : مُرْهُمُ بِالْأَسْتَغْفَارِ . وَإِلَى سَهْلِ
ابْنِ سَيِّارِ : خَفِ اللَّهُ وَإِمَامَك فَإِنِّي يَا خَذْكَ عِنْدَ أَوَّلِ زَلَّةِ .

يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان

وَقَعَ إِلَى مَرْوَانَ : أَرَاكَ تُقْدِمَ رِجْلًا وَتُؤْخِرَ أُخْرَى ، فَإِذَا أَتَاكَ كَتَابِي هَذَا
فَأَعْتَمِدُ عَلَى أَيْمَهَا شِئْتَ . وَإِلَى صَاحِبِ حُرَاسَانَ فِي الْمُسْوَدَةِ : نَجَمَ أَمْرِ أَنْتَ
عَنْهُ نَائِمٌ ، وَمَا أَرَاكَ مِنْهُ أَوْ مِنْيَ بِسَالِمَ .

مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ

كَتَبَ إِلَى نَصْرِ بْنِ سَيِّارِ فِي أَمْرِ أَبِي مُسْلِمْ : تَحَوَّلَ^(١) الظَّاهِرُ يَدِلُّ عَلَى ضَعْفِ
الْبَاطِنِ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعِنُ . وَوَقَعَ إِلَى أَبْنِ هُبَيْرَةِ أَمِيرِ خُرَاسَانَ : الْأَمْرُ مُضْطَرِبٌ ،
وَأَنْتَ نَائِمٌ وَأَنَا سَاهِرٌ . وَإِلَى حُوَرَةَ بْنِ سُهَيْلٍ^(٢) حِينَ وَجَهَهُ إِلَى قَحْطَبَةِ : كُنْ
مِنْ بَيَاتِ الْمَارِقَةِ عَلَى حَذَرٍ . وَوَقَعَ حِينَ أَتَاهُ غَرْقٌ^(٣) قَحْطَبَةُ وَأَنْهَزَامُ أَبْنِ هُبَيْرَةِ :
هَذَا وَاللَّهُ الْإِدْبَارُ ، وَإِلَّا فَنَّ رَأَى مَيْقَاتَا هَزَمَ حَيَا . وَفِي جَوابِ أَبَيَاتِ نَصْرِ بْنِ
سَيِّارِ إِذَا كَتَبَ إِلَيْهِ :

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادَ وَمِيَضَّ جَمْرٍ وَيُوشِكَ أَنْ يَكُونَ لَهُ ضِرَارُمُ :
الْحَاضِرُ يَرَى مَا لَا يَرَى الْغَائِبُ ، فَأَحْسَمَ الثَّوَّلَوْلَ^(٤) . فَكَتَبَ نَصْرٌ : الثَّوَّلُوْلُ قَدْ
أَمْقَدَتْ أَغْصَانُهُ^(٥) ، وَعَظَمَتْ نِكَائِتِهِ . فَوَقَعَ إِلَيْهِ : يَدَاكَ أَوْ كَتَّا وَفُوكَ تَفَخَّ^(٦) .

٢٢٩ ٢٠ (١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «نَجُومٌ» . (٢) فِي الْأَصْوَلِ : «الْحَوَرَةُ بْنُ سَهْلٍ» .
وَمَا أَبْنَتْنَا عَنِ الْطَّبْرَى . (٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «غَزوٌ» .

(٤) الثَّوَّلُوْلُ : الْخَرَاجُ ، وَقِيلُ هُوَ بُرٌّ صَغِيرٌ صَلْبٌ مُسْتَدِيرٌ عَلَى صُورِ شَقَّ .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «أَشْتَدَتْ أَعْضَاوُهُ» .

(٦) هَذَا مَثَلٌ . وَأَصْلُهُ أَنْ رَجُلًا كَانَ فِي جَزِيرَةٍ فَأَرَادَ أَنْ يَعْبُرَ عَلَى زَقٍ لَمْ يَمْسِنْ
لِحَكَامِهِ ، حَقَّ إِذَا تَوَسَّطَ الْبَحْرَ خَرَجَتْ مِنْهُ الرِّيحُ ، فَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَى الْفَرْقَ اسْتَغَاثَ
بِآخَرَ ، فَقَالَ لَهُ هَذَا المَثَلُ .

توقيعات بنى العباس

السـفـاح

كتب إليه جماعة من أهل الأنبار يذكرون أنَّ منازلهم أخذت منهم
وأدخلت في البناء الذي أُمر به ولم يعطوا أثمانها ، فوقع : هذا بناء أُسس على
غير تقوى ؛ ثم أمر بدفع قيم منازلهم إليهم . ووقع في كتاب أبي جعفر وهو
يحارب ابن هبيرة بواسط : إِنْ حَلَكَ أَفْسَدْ عِلْمَكَ ؛ وَرَاهِيَكَ أَئْرَى طَاعَتَكَ ،
فَخُذْ لِي مِنْكَ ، وَلَكَ مِنْ نَفْسِكَ . وَوَقَعَ إِلَيْهِ فِي ابن هبيرة بعد أن راجعه
فيه^(١) غير مرأة : اسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مَنِّي إِنْ لَمْ تَقْتُلْهُ . وجاءه كتاب من أبي مُسلم
يسْتَأْذِنُه فِي الْحَجَّ وَفِي زِيَارَتِه ، فَوَقَعَ إِلَيْهِ : لَا أَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ زِيَارَةِ
بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ أَوْ خَلِيفَتِه ، وَإِذْنَكَ لَكَ . وَوَقَعَ فِي كِتَابِ جَمَاعَةِ مِنْ بَطَانَتِه
يَشْكُونَ احْتِبَاسَ أَرْزاقِهِمْ : مَنْ صَبَرَ فِي الشَّدَّةِ شَارَكَ^(٢) فِي النَّعْمَةِ ؛ ثُمَّ أُمِرَ
بِأَرْزاقِهِمْ . وَإِلَى عَامِلٍ تُظْلَمُ مِنْهُ : وَمَا كَنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضَلِّينَ عَصْدًا . وَفِي قَوْمٍ
شَكَوَا غَرْقًا^(٣) ضِيَاعَهُمْ فِي نَاحِيَةِ الْكَوْفَةِ : وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ .

أبو جعفر

15 وقع في كتابه إلى عبد الله بن علي عليه عمه : لا تجعل للأيام في وفيك نصيبياً من حوادثها . ووقع إليه أيضاً : (أدفع بالتي هي أحسن) إلى قوله : (وما يُلقَّها إلَّا ذُو حَظٍ عظيم) . فاجعل الحظ لي دونك ^(٤) يكن لك كله . ووقع إلى عبد الحميد ^(٥) صاحب خراسان : شكوت فأشـكـينـاك ، وعتـتـ فأـعـتـنـاك ؛ ثم

(١) في بعض الأصول: «في». (٢) في بعض الأصول: «شورك».

(٢) في بعض الأصول: « حرق » .

(٤) في بعض الأصول: « لك دوني » .

(٥) كذا في الأصول .

خرجتَ عنِ العامة ، فتأهّب لفرق السلامة . وإلى أهل الكوفة ، وشكوا عاملهم :
 كَا تَكُونُونَ يُؤْمِرُ عَلَيْكُمْ . وإلى قومٍ ظَلَمُوكُمْ مِنْ عَامِلِهِمْ : لَا يَنْالُ عَهْدَ الظَّالِمِينَ .
 وفي قصّةٍ رجل شكا عيّلة : سَأَلَ اللَّهَ مِنْ رِزْقِهِ . وفي قصّةٍ رجل سألهُ أَنْ يَبْنِي
 بِفِرْبَهِ مسجداً^(١) إِنَّ مُصْلَاهُ عَلَى بُعْدٍ : ذَلِكَ أَعْظَمُ لِنَوَابِكَ . وفي قصّةٍ رجل قطع
 عَنْهُ أَرْزَاقُهُ : (مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكٌ لَهَا) الآية . وفي قصّةٍ
 ٥ رجل شكا الدين : إِنْ كَانَ دَيْنُكَ فِي مَرْضَاتِ اللَّهِ قَضَاهُ . وإلى صارورة^(٢) سألهُ أَنْ
 يَحْجُجْ : (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجْجَ الْبَيْتِ مَنْ أَسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا) . وإلى صاحب
 مصر حين كتب يذكر نقصان النيل : طَهْر عَسْكُوكَ مِنَ الْفَسَادِ يُعْطِكَ النَّيلُ
 القيادات . وإلى عامله على حِصْنٍ ، وجاءه منه كتابٌ فِيهِ خَطَا : أَسْتَبْدِلْ بِكَاتِبِكَ
 ١٠ وَإِلَّا أَسْتَبْدِلْ بِكَ . وإلى صاحب إرمينية : إِنَّ لِي فِي قَفَاكَ عِينَيْكَ ، وَبَيْنَ عِينَيْكَ
 عِينَيْكَ ، وَلَهَا أَرْبَعَ آذَانَ . وإلى رجل أَسْتَوْصَلَهُ : لَا مَانِعَ لَمَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ . وفي
 كتاب أتاه من صاحب الهند يخبره أن جنداً شَغَبُوا عَلَيْهِ وَكَسَرُوا أَقْفَالَ بَيْتِ
 ١٥ الْمَالِ فَأَخْذُوا أَرْزَاقَهُمْ^(٣) منه : لَوْ عَدَتْ لَمْ يَشْغُلُوا ، وَلَوْ وَفَيتْ لَمْ يَهْبُوا .

المهـدى

وقع في قصّةٍ مُتَظَلِّمِينَ شَكَوْنَا بِعُضُّ عُمَالِهِ : لَوْ كَانَ عِيسَى عَامِلَكُمْ قُدْنَاهُ إِلَى
 ١٥ الْحَقِّ كَمَا يُقادُ الْجَلِلُ الْمَخْشُوشُ^(٤) — يَرِيدُ عِيسَى وَلَدَهُ . وَوَقَعَ إِلَى صاحبِ إِرمِينِيَّةِ ،
 وَكَتَبَ إِلَيْهِ يَشْكُوُ سُوءَ طَاعَةِ رَعَايَاهُ : خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ
 الْجَاهِلِينَ . وإلى صاحبِ خُرَاسَانَ فِي أَمْرِ جَاهِهِ : أَنَا سَاهِرٌ وَأَنْتَ نَائِمٌ . وفي
 قصّةٍ قومٍ أَصَابُهُمْ قَحْطٌ : يُقْدِرُ لَهُمْ قُوتُّ سَنَةِ الْقَحْطِ وَالسَّنَةِ الَّتِي تَلِيهَا . وإلى

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « مَنْزِلًا » .

(٢) الصَّارُورَةُ : الَّذِي لَمْ يَحْجُجْ . وَفِيهَا لِغَاتٌ أُخْرَى .

(٣) فِي : « الدِّرَاهِمَ » .

(٤) الْجَلِلُ الْمَخْشُوشُ : الَّذِي يَدْخُلُ فِي عَظَمِ أَنْفِهِ خَشْبَةً .

شاعر ، أظنه مروان بن أبي حفصة : أسرفتَ في مدحك فقصّرنا في حِبائِك .
وفي قصة رجل من الغارمين : خُذْ من بيت مال المسلمين ما تَقْضى به دينك ،
وَتُقْرِئُ به عَيْنَك . وفي قصة رجل شكا الحاجة : أتاك الغوث . وإلى رجل من
بطانته أستوصله ة ليمت إصراعنا إليك يقوم بإبطائنا عنك . وفي قصة قوم تظلموا
من عاملهم وسائله إشخاصه إلى بابه : قد أَنْصَفَ الْقَارَةَ مَنْ رَأَمَا هَا^(١) . وفي قصة
^{٢٤٠}
رجل حُبس في دَمْ : ولَكُمْ فِي الْقَصَاصِ حِيَاةٌ يَا أَوْلَى الْأَلْبَابِ .. وإلى صاحب
خُراسان ، وكتب إليه يُخْبِرُه بـغلاء الأسعار : خُذْهُمْ بِالْعَدْلِ فِي الْمِكَيَالِ وَالْمِيزَانِ .
وإلى يوسف البرم^(٢) حين خرج^(٣) بخراسان : لك أمانى وموكداً يمانى .

موسى المادى

^{١٠} كتب إلى الحسن بن قحطبة في أمر راجعه فيه : قد أَنْكَرْنَاكَ مِنْذُ لَزَمْتَ
أبا حنيفة^(٤) ، كفاناها الله . وإلى صاحب إفريقيا في أمر فرط منه : يابن اللخاء ،
أَنَّى تَتَمَرَّسَ^(٥) .

هارون الوشيد

^{١٥} وقع إلى صاحب خراسان : داوِ جُرْحَكَ لَا يَتَسْعَ . وإلى عامله على مصر : أحذر
أَنْ تُخْرِبَ خِزَانَتِي وَخِزَانَةَ أَخِي يُوسُفَ ، فِي أَتَيْكَ مَنِي^(٦) مَا لَا قَبَلَ لَكَ بِهِ ، وَمِنَ اللَّهِ
أَكْثَرَ مِنْهُ . وقع في قصة [رجل من البرامكة] : أَبْنَتْهُ الطَّاعَةُ وَحَصَدَتْهُ الْمُعْصِيَةُ .

(١) القارة : قبيلة ؟ وكانوا رماة في الجاهلية . ويزعمون أن رجلاً من النبي أحد هم قاري ،
واختار الآخر المراة ، فقال القاري هذا المثل .

(٢) كذا في الطبرى (ف ٢ ص ٤٧٠) طبعة أوربة . وهو يوسف بن
إبراهيم البرم . وكان خروجه على المهدى بخراسان سنة ستين ومائة . والذى
في سائر الأصول : « الرومى » .

(٣) في بعض الأصول « ظفر » .

(٤) لعله أبو حنيفة حرب بن قيس . (انظر الطبرى) .

(٥) يقال : غرس الرجل ، إذا مارس الفتن وخرج على إمامه .

(٦) في بعض الأصول : « منه » .

وإلى عامله على فارس : كُن مثني على مثل ليلة البيات . وإلى عامل خراسان : إنَّ الْمَلُوكَ يُؤْثِرُ عَنْهُمُ الْحَزْمَ^(١) . وإلى خُزِيمَةَ بْنَ خَازِمٍ ، إِذْ كَتَبَ إِلَيْهِ أَنَّهُ وَضَعَ [فِيهِمْ] السِيفَ حِينَ دَخَلَ أَرْضَ إِرمِينِيَّةَ : لَا أَمْ لَكَ ! تُقْتَلُ بِالذَّنْبِ مَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ .

وفي قصَّةَ مَحْبُوسٍ : مَنْ جَاءَ إِلَى اللَّهِ نَجَا . وفي قصَّةَ مَتَظَلِّمٍ : لَا يُجَاوِزُ بَلْكَ الْعَدْلُ ، وَلَا يُقْصِرُ بَلْكَ دُونَ الْإِنْصَافِ . وإِلَى صَاحِبِ السَّنْدَدِ ، إِذْ ظَهَرَتِ الْمُصْبِيَّةَ^(٢) : كُلُّ

٥ من دُعَا إِلَى الْجَاهْلِيَّةِ ، تَعَجَّلَ إِلَى الْمُنْيَةِ . وإِلَى عامله على خراسان : كُلُّ مَنْ رَفَعَ رَأْسَهْ فَأَزَلَّهُ عَنْ بَدْنِهِ . وفي رُقْعَةَ مَتَظَلِّمٍ مِنْ عامله على الأَهْوَازِ ، وَكَانَ بِالْمُتَظَلِّمِ عَارِفًا : قَدْ وَلَيْنَاكَ مَوْضِعَهْ فَتَنَكَّبُ سِيرَتِهِ . وفي كِتَابِ بَكَارِ الزَّبِيرِيِّ^(٣) إِلَيْهِ يُخْبِرُهُ بِسِرِّ مَنْ أَسْرَارَ الطَّالِبِيَّينَ : جَزِيَ اللَّهُ الْفَضْلَ خَيْرَ الْجَزَاءِ فِي أَخْتِيَارِهِ إِلَيْكَ ،

١٠ وقد أَنْبَلَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مائةً أَلْفَ بِحُسْنِ نِيَّتِكَ . وإِلَى مَحْفُوظٍ^(٤) صَاحِبِ خَرَاجِ مِصْرَ : يَا مَحْفُوظَ ، اجْعَلْ خَرَاجَ مِصْرَ خَرَاجًا^(٥) وَاحْدَادًا وَأَنْتَ أَنْتَ . وإِلَى صَاحِبِ الْمَدِينَةِ : ضَعْ رَجْلِيَّكَ عَلَى رَقَابِ أَهْلِ هَذَا الْبَطْنِ ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَطَالُوا لِيَلِي بِالشَّهَادَةِ ، وَنَفَوْا عَنْ عَيْنِ الْذِيْدَ الرَّقَادِ . وَوَقَعَ إِلَى السَّنْدِيِّ بْنِ شَاهِكَ : خَفِ اللَّهُ وَإِمَامَكَ فَهُمَا نَجَاتُكَ . وإِلَى سُلَيْمَانَ بْنَ أَبِي جَعْفَرٍ فِي كِتَابِ وَرَدِ عَلَيْهِ مِنْهُ يَذَكِّرُ فِيهِ وُثُوبَ أَهْلِ دِمْشِقَ : أَسْتَحْمِيَّتُ لِشَيْخِ وَلَدِهِ الْمَنْصُورِ أَنْ يَهْرُبَ عَنْ وَلَدَتِهِ كِنْدَةً وَطِيْءَ ،

١٥ فَهَلَا قَابِلَتِهِمْ بِوْجَهِكَ ، وَأَبْدِيَّتَ لَهُمْ صَفَحتِكَ^(٦) ، وَكَنْتَ كَمْرُوانَ بْنَ عَمِّكَ إِذْ خَرَجَ مُصْلِقاً سِيَّفَهُ مَتَمَثِلاً بِبَيْتِ الْجِحَافِ بْنِ حُكَّامِ :

مُتَقْلِّدُينَ صَفَاحًا هِنْدِيَّةَ يَتَرَكَنَ مَنْ ضَرَبَوا كَمْ لَمْ يُولِدِ

(١) في بعض الأصول : « عنها الحظ ». ولعل « الخط » محرفة عن « الخطأ » ، يريد أن هفوة الملك مشهورة بأثرها الناس بعضهم عن بعض .

(٢) في بعض الأصول : « المعصية » .

(٣) لعله بكار بن عبد الله بن مصعب الزبيري . (انظر الطبرى) .

(٤) هو محفوظ بن سليمان . (انظر الولاة والقضاة للسكنى) .

(٥) الخرج : الإتاوة ، كالخرج . وفي بعض الأصول : « فرج ... فرجاً » .

(٦) زيد في بعض الأصول : « وبدلهم منحتك ». وهي كاترى لا تلتئم مع غيرها من العبارات التي تفيد أمره باستعمال الشدة والقسوة .

خالد به حتى قُتُل^(١) ، اللَّهُ أَمْ وَلَدَهُ ، وَأَبْ أَنْهَضَهُ ! وَكَتَبَ مُقْمِلَكُ^(٢) الرُّومَ
إِلَى هارون الرشيد : إِنِّي مُتَوَجِّهٌ نَحْوَكَ بِكُلِّ صَلَيْبٍ فِي مَلَكَتِي ، وَكُلُّ
بَطْلٍ فِي جُنْدِي . فَوَقَعَ فِي كَتَابِهِ : سَيَعْلَمُ الْكَافِرُ لِمَنْ عُقِّبَ الدَّارُ . وَكَتَبَ
إِلَيْهِ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ مِنَ الْحَبْسِ حِينَ أَحْسَنَ بِالْمَوْتِ : قَدْ تَقْدَمَ الْخَصْمُ إِلَى مَوْقِفِ
الْفَصْلِ ، وَأَنْتَ بِالْأَثْرِ ، وَاللَّهُ أَكْرَمُ الْعُدُولَ ، وَسَتُقْدَمُ فَتَعْلَمَ . فَوَقَعَ فِيهِ
الْرَّشِيدُ : أَكْرَمُ الَّذِي رَضِيَتْهُ فِي الْآخِرَةِ لَكَ هُوَ الَّذِي أَعْدَى الْخَصْمَ [فِي الدُّنْيَا]
عَلَيْكَ ، وَهُوَ مَنْ لَا يُرُدُّ حُكْمَهُ ، وَلَا يُصْرِفُ قَضَاؤُهُ .

المأمور

وَقَعَ إِلَى [عَلَى] بْنِ هَشَامَ فِي أَمْرٍ تَظَلَّمَ فِيهِ مِنْهُ : مِنْ عَلَامَةِ الشَّرِيفِ أَنْ يَظْلِمَ مَنْ
فَوْقَهُ وَيَظْلِمَهُ مَنْ دُونَهُ ، فَأَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَنْتَ ؟ وَإِلَى هَشَام^(٣) : لَا أَدْنِيكَ وَلَا بَيْانِي
خَصْمٌ . وَإِلَى الرَّئِسِ الْمُسْتَمِيِّ فِي قَصَّةٍ مِنْ تَظَلُّمٍ مِنْهُ : لَيْسَ مِنَ الْمَرْوَةِ أَنْ تَكُونَ آنِيَتُكَ مِنْ
ذَهَبٍ وَفَضَّةٍ ، وَغَرِيمُكَ خَاوِي ، وَجَارُكَ طَاوِي . وَفِي قَصَّةٍ مِنْ تَظَلُّمٍ مِنْ عُمَرَ بْنِ مُسَعِّدَةَ :
٢٣١ ٢ يَعْمَرُو ، أَعْمَرٌ نَعْمَتُكَ بِالْعُدُولِ ، فَإِنَّ الْجُورَ يَهْدِمُهَا . وَفِي قَصَّةٍ مِنْ تَظَلُّمٍ مِنْ أَبِي عَبْدَادِ
يَا ثَابَتَ ، لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ قِرَابَةٌ . وَفِي قَصَّةٍ مِنْ تَظَلُّمٍ مِنْ أَبِي عَيْسَى أَخِيهِ :
١٥ فَإِذَا نَفَخْتُ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ . وَفِي قَصَّةٍ مِنْ تَظَلُّمٍ مِنْ
حُمَيْدَ الطُّوسِيِّ : يَا أَبَا غَانِمَ^(٤) ، لَا تَغْتَرَ بِمَوْضِعِكَ مِنْ إِمَامَكَ ، فَإِنَّكَ وَأَخْسَثُ عَبْيِدِهِ
فِي الْحَقِّ سَيِّانٌ . وَإِلَى طَاهِرِ صَاحِبِ خَرَاسَانَ : احْمَدُ اللَّهُ أَبَا الطَّيِّبِ إِذَا حَلَّكَ مِنْ
خَلِيفَتِهِ مَحْلَّ نَفْسِهِ^(٥) ، فَمَا لِكَ مَوْضِعٌ تَسْمُو إِلَيْهِ نَفْسُكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَوْقَهُ عِنْدَهُ . وَفِي

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ بَعْدَ قُولَهُ « قُتُلَ » : « إِمَامَ بَدْعَةٍ وَإِمَامَ خَلَةٍ أَشَدُ هُرَاشَا وَأَخْشَنُ
مَرَاسَا وَلَوْلَا أَنْ يَقَالَ لَقْلَتْ رَجْهَ اللَّهِ » ٢٠

(٢) فِي : « مَلِكٌ » .

(٣) فِي : « أَحْمَدَ بْنَ هَشَامَ » .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ « يَا أَبَا غَانِمَ » . وَمَا أَنْتَنَا عَنْ سَائِرِ الْأَصْوَلِ وَالْأَغَانِيِّ (ج ١٨ ص ١٠٧ و ١١٣) .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « خَلِيفَةٌ مَحْلٌ نَفْسِهِ مِنْ نَفْسِهِ » . ٢٥

كتاب بشر بن داود : هذا أمان عاقدتُ الله [عليه] في مُناجاتي إياته . وفي كتاب إبراهيم بن جعفر في فدك^(١) حين أمره بردّها : قد أرضيتَ خليفة الله في فدك كما أرضى الله رسوله^(٢) فيها . وفي قصة مظلم من محمد بن الفضل الطوسي : قد احتملنا بذاءك وشکاسة خلقك ، فأمّا ظلمك للرعية فإنما لا نحتمله . ووقع إلى بعض عمّاته : طالع كل ناحية من نواحيك ، وقاصية من أقصايك ، بما فيه أستصلاحها .

وكتب إليه إبراهيم بن المهدى في كلام له : إن غفرت فبغضلك ، وإن أخذت فبحقك . فوقع في كتابه : القدرة تذهب الحفظة ، والنّدم جزء من التوبة ، وبينهما عفو الله . ووقع في رقعة مولى طلب كسوة : لو أردت الكسوة لازمت الخدمة ، ولتكنك آخر الرقاد ، فتحظك الرؤيا . ووقع في يوم عاشوراء لبعض أصحابه ، وقد وافته الأموال : يؤمر له بخمسين ألف لطول همة^(٣) . ولثامة بن أشرس بثمانمائة ألف لتركه ما لا يغطيه . ولأبي محمد اليزيدي : يؤمر له بخمسين ألف لكبّره . والمعلم بخمسين ألف ل الصحيح نيته . ولإسحاق بن إبراهيم بخمسين ألف لصدق لهجته . ولعباس بخمسين ألف لفصاحته متنطقه . ولأحمد بن أبي خالد بألف ألف لمخالفته شهوةه . ولإبراهيم بن بويع كذلك لسرعة دموعه .

ولمرسي بثمانمائة ألف لإسباغ وضوئه . ولعبد الله بن بشر بعثتها لحسن وجهه .

(١) فدك (بالتحريل) : قرية بالحجاج بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة ، أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع صلحا ، وادعت فاطمة أن الرسول نحلها إليها . ثم أعطاها عمر إلى ورثة الرسول صلى الله عليه وسلم . وما ولـ عمر بن عبد العزيز ردـها إلى ولـ فاطمة . فلما ولـ يزيد قبـضاها . حتى ولـ السفاح فدفعـها إلى الحسن بن الحسن بن علي . فلما ولـ المنصور قبـضاها . فلما ولـ المهدى أعادـها .

ثم قبـضاها الهادى إلى أيام المؤمنون ، فـكتب بها سجلا لبني على بن أبي طالب .

(انظر مجمـ البلدان) .

(٢) في بعض الأصول : « خليفة » .

(٣) في : « وقع في رقعة غسان بن عباد يوصى له بثمانمائة ... الخ » مكان قوله :

« وقع في يوم عاشوراء » إلى هنا .

٢٩٩ ٧ توقيعات الأمراه والكبار

زياد

وقع إلى بعض عماله : قد كنت على الدُّعَار ، و إخالك داعرًا . و كتبت
إليه عائشة في وصاة برجل ، فوقع في كتابها : هو بين أبويه . وإلى صاحب
خراسان في أمر خالفه فيه : أشتَر بعضَ دينك ببعضٍ وإلا ذهب كله . وإلى
عامله بالسُّكوفة : أَمِطْ الْحَدُودَ عَنْ ذُو الْمُرْوَاتِ . وفي قصة مُتَظَّلٌ : أنا معك .
وفي قصة قوم رفعوا على عامل [رفيعة]^(١) : مَنْ أَمَالَهُ الْبَاطِلُ قَوْمُهُ الْحَقُّ . وفي
قصة مُسْتَقْمِنْ : لَكُ الْمُوَاسَةُ . وإلى عامله في خوارج خرجوا بالبصرة : النساء
تُخَارِبُهُمْ دُونَكَ . وفي قصة سارق : القَطْعُ جَزَاوِكَ . وفي قصة امرأة حُبسَ
زوجها : حُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ . وفي قصة قوم نَقَبُوا : تُنْقَبُ ظُهُورُهُمْ . وفي قصة نَبَاشُ
يُدْفَنُ حَيًّا فِي قَبْرِهِ . وفي قصة مُتَظَّلٌ : الْحَقُّ يَسْعُكَ . وفي قصة مُتَنَصِّحٌ :
* مَهْلَأْ فَقْدَ أَبْلَغَتَ إِسْمَاعِيلَ^(٢) *

وفي قصة مُتَظَّلٌ : كَفِيتُ . وفي قصة رجل شَكَا إِلَيْهِ عُقوقَ أَبْنَهُ : رَبِّا كَانَ
عُقوقُ الْوَلَدِ مِنْ سُوءِ تَأْدِيبِ الْوَالِدِ . وفي قصة رجل شَكَا الْحَاجَةَ : لَكَ فِي مَالِ
اللَّهِ نَصِيبٌ أَنْتَ آخْذُهُ . وفي قصة رجل جَارِحٌ : الْجُرُوحُ قَصَاصُ . وفي قصة
حَبْوَسٌ : التَّابُ منَ الذَّنْبِ كَمْ لَا ذَنْبَ لَهُ . وفي قصة قوم شَكَوا غَرَقَ
ضَيْعَاهُمْ : لَا نَعْرِضُ فِيمَا تَفَرَّدَ اللَّهُ بِهِ . وفي قصة قوم أَشْتَكُوا اجْتِيَاحَ الْجَرَادِ
لَزَرْوَاهُمْ : لَا حُكْمٌ فِيمَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِهِ .

الحجاج بن يوسف

٢٠
وقع في كتاب أتاه من قتيبة بن مسلم يشكوكثرة الجراد وذهاب الغلات

(١) الرفيعة : ما رفع به على الرجل . (٢) هذا بجز بيت لأبي قيس بن الأسلت
الأنصاري وصدره : * قالت ولم تقصد لغيل الحنا * (انظر المفضليات) .

وَمَا حَلَّ بِالنَّاسِ مِنَ الْقَحْطِ : إِذَا أَزِفَ خَرَاجُكَ فَأُنْظَرْ لِرَعِيَّتِكَ فِي مَصَالِحِهَا ،
 فَبِدَتِ الْمَالُ أَشَدَّ أَضْطِلاعًا بِذَلِكَ مِنَ الْأَرْمَلَةِ وَالْيَتَمِ وَذِي الْعِيلَةِ . وَفِي كِتَابٍ
 قُتْبَيَةَ إِلَيْهِ أَنَّهُ طَلَّ عَبُورَ النَّهَرِ وَمُحَارَبَةَ التَّرَكِ : لَا تُخَاطِرْ بِالْمُسَامِينَ حَتَّى تَعْرَفَ
 مَوْضِعَ قَدْمَكَ ، وَمَرْجِي سَهَامِكَ . وَفِي كِتَابٍ صَاحِبِ الْكَوْفَةِ يُخْبِرُهُ بِسُوءِ
 طَاعَتِهِمْ وَمَا يُقَاسِي مِنْ مُدَارَاتِهِمْ : مَا ظَنَّكَ بِقَوْمٍ قَتَلُوا مَنْ كَانُوا يَعْبُدُونَهُ . وَفِي
 قَصَّةِ مَحْبُوسٍ ذَكَرُوا أَنَّهُ تَابَ : مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ . وَإِلَى قُتْبَيَةَ : خُذْ
 عَسْكَرَكَ^(١) بِتَلَوِّهِ الْقُرْآنَ ، فَإِنَّهُ أَمْنَعُ مِنْ حُصُونِكَ . وَفِي كِتَابِهِ إِلَى بَعْضِ عُمَالِهِ :
 إِيَّاكَ وَالْمَلَاهِيَ حَتَّى تَسْتَنْظِفَ^(٢) خَرَاجَكَ . وَفِي كِتَابِهِ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ :
 مَارِكَبْ يَهُودِيَّ قَبْلَكَ مِنْبِرًا . وَفِي كِتَابِهِ إِلَى يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمَ : أَنْتَ أَبُو عُبَيْدَةَ
 هَذَا الْقَرْنَ .

أَبُو مَسْلِم

وَقَعَ فِي كِتَابِ سَلِيمَانَ بْنِ كَثِيرِ الْخَزَاعِيِّ : لِكُلِّ نَبَأٍ مُسْتَقْرَرٍ وَسَوْفَ
 تَعْلَمُونَ . وَإِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ فِي يَزِيدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ هَبِيرَةَ : قَلَّ طَرِيقٌ سَهُلٌ تُلْقِي
 فِيهِ الْحِجَارَةَ إِلَّا عَادَ وَعْرًا ، وَاللَّهُ لَا يَصْلُحُ طَرِيقٌ فِيهِ ابْنُ هَبِيرَةَ أَبْدًا . وَإِلَى ابْنِ
 قَحْطَبَةَ : لَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدِّينِ . وَإِلَيْهِ : أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ
 وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ . وَإِلَيْهِ : لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوكُمْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ . وَإِلَى مُحَمَّدِ
 أَبْنِ صُولَ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بِسْلَامَةَ أَطْرَافَهُ : وَأَمَّا بِنَعْمَةِ رَبِّكَ فَخَدَّثَ . وَكَتَبَ إِلَيْهِ
 قَحْطَبَةَ^(٣) : إِنْ بَعْضَ قَوَادِهِ خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِ ابْنِ ضُبَارَةِ رَاغِبًا ، فَوَقَعَ فِي كِتَابِهِ :
 (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفَراً) الْآيَةُ . وَإِلَى عَامِلِهِ بَيْلَخَ : لَا تُؤْخِرْ عَمَلَ
 الْيَوْمِ لِغَدٍ . وَإِلَى أَبِي سَلَمَةَ الْخَلَالِ حِينَ أَنْكَرَ نِيَّتَهُ : وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا
 ٢٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « أَهْلُ عَسْكَرَكَ » .

(٢) يَقَالُ : اسْتَنْظِفِ الْوَالِي مَا عَلَيْهِ مِنَ الْخَرَاجِ ، إِذَا اسْتَوْفَاهُ .

(٣) هُوَ قَحْطَبَةُ بْنُ شَبَّابِ الطَّائِيِّ .

قالوا آمناً وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إننا معكم .

جعفر بن يحيى

وقع في قصة محبوس : لـكـلـ أـجلـ كـتابـ . وـفـيـ مـثـلـهـ : العـدـلـ يـوـبـقـهـ^(١) ، والـتـوـبـةـ تـُطـلـقـهـ . وـفـيـ قـصـةـ مـُتـنـصـحـ : بـعـضـ الصـدـقـ قـَبـيـحـ . وـإـلـىـ بـعـضـ عـمـالـهـ^(٢) : قد كـثـرـ شـاكـوكـ ، وـقـلـ شـاكـروـكـ ، فـإـمـاـ عـدـلـتـ ، وـإـمـاـ أـعـزـلـتـ . وـفـيـ قـصـةـ رـجـلـ شـكـاـ بـعـضـ خـدـمـهـ : خـذـ بـأـذـنـهـ وـرـأـسـهـ فـهـوـ مـالـكـ . وـإـلـىـ عـامـلـ فـارـسـ فـيـ رـجـلـ كـتـبـ إـلـيـهـ بـالـوـصـاـةـ : كـنـ لـهـ كـأـبـيـهـ لـوـ كـانـ مـكـانـكـ . وـإـلـىـ عـامـلـ مـصـرـ فـيـ رـجـلـ من بـطـانـتـهـ يـوـصـيـهـ : إـنـهـ رـغـبـ إـلـىـ شـبـعـكـ ، فـأـرـغـبـ فـيـ اـصـطـنـاعـهـ . وـفـيـ قـصـةـ مـقـظـلـ مـنـ بـعـضـ عـمـالـهـ : إـنـيـ ظـلـمـتـكـ دـوـنـهـ . وـفـيـ قـصـةـ مـحبـوسـ : الـجـنـاـيـةـ حـبـسـتـهـ ، وـالـتـوـبـةـ^(٣) تـُطـلـقـهـ . وـإـلـىـ قـوـمـ : عـيـنـ الـخـلـيـفـةـ تـَكـلـوـكـ ، وـنـظـرـهـ يـعـمـكـ . وـفـيـ رـقـعـةـ صـارـوـرـةـ أـسـتـأـذـنـهـ فـيـ الـحـجـ : مـنـ سـافـرـ إـلـىـ اللـهـ أـنـجـحـ . وـفـيـ قـصـةـ رـجـلـ شـكـاـعـزـوـبـةـ : الصـومـ لـكـ وـِجـاءـ^(٤) . وـفـيـ رـقـعـةـ رـجـلـ سـأـلـ وـلـاـيـةـ : لـاـ أـوـلـىـ بـعـضـ الـظـالـمـينـ بـعـضاـ . وـفـيـ قـصـةـ رـجـلـ سـأـلـهـ أـنـ يـقـفلـ أـبـنـهـ فـقـدـ طـالـتـ غـيـرـتـهـ عـنـهـ : غـيـرـةـ يـوـسـفـ صـلـيـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ كـانـ أـطـولـ . وـفـيـ قـصـةـ رـجـلـ تـُظـلـمـ مـنـ بـعـضـ عـمـالـهـ : أـنـاـمـشـلـهـ حـتـىـ يـنـصـفـكـ . وـفـيـ قـصـةـ قـوـمـ شـَكـوـاـ سـُوـءـ جـوارـ بـعـضـ قـرـابـتـهـ : يـرـحلـ عـنـكـ . وـفـيـ قـصـةـ مـُسـتـمـنـحـ قـدـ كـانـ وـصـلـهـ مـرـارـاـ : دـعـ الـفـرـعـونـ يـدـرـ لـغـيرـكـ كـاـدـرـ لـكـ . وـإـلـىـ الـفـضـلـ بـنـ الـرـيـعـ ، وـجـاءـهـ مـنـهـ كـتـابـ غـمـهـ وـأـكـرـبـهـ : كـثـرـةـ مـلـاحـةـ الرـجـالـ رـبـماـ أـرـاقـتـ الدـمـاءـ . وـإـلـىـ مـنـصـورـ بـنـ زـيـادـ فـيـ أـمـرـ عـاتـبـهـ فـيـهـ : لـمـ نـزـرـعـكـ لـنـحـصـدـكـ . وـإـلـىـ بـعـضـ عـمـالـهـ : اـجـعـلـ وـسـيـلـتـكـ إـلـيـنـاـ مـاـ يـزـيدـكـ عـنـدـنـاـ . وـإـلـىـ بـعـضـ نـدـمـائـهـ : لـاـ تـبـعـدـ عـنـ ضـمـكـ . وـفـقـعـ إـلـىـ مـُتـنـصـلـ مـنـ ذـنـبـ : حـكـمـ الـفـاتـاتـ خـلـافـ حـكـمـ الـإـصرـارـ .

(١) فـيـ : «ـ أـوـقـهـ » .

(٢) فـيـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ : «ـ وـفـيـ رـجـلـ شـكـاـ بـعـضـ عـمـالـهـ » .

(٣) الـوـجـاءـ : شـبـيهـ بـالـخـصـاءـ .

الفضل بن سهل

كتب إلى أخيه الحسن : أَحْمَدَ اللَّهُ يَا أَخِي ، فَإِنَّكَ بَيْتُ خَلِيفَةِ اللَّهِ إِلَّا عَلَى
 ذِكْرِكَ . وَإِلَى طَاهِرٍ : لِخَيْرٍ مَا اتَّضَعْتَ^(١) . وَإِلَيْهِ : لَشَرٍّ مَا سَمَوْتَ . وَإِلَى هَرَثَةَ
 وَأَشَارَ عَلَيْهِ بِرَأْيٍ : لَا يَحْلُّ مَا عَقَدْتَ . وَفِي قَصَّةِ مُتَظَّلِّمٍ : كَفَى بِاللَّهِ الْمَظْلُومَ نَاصِراً .
 وَفِي قَصَّةِ رَجُلٍ نَقَبَ بَيْتَ الْمَالِ : يُدْرِأُ عَنْهُ الْحَدَّ إِنْ كَانَ لَهُ فِيهِ سَهْمٌ . وَوَقَعَ إِلَى
 حَاجِبَهُ : تَهَلَّلُ وَتَسْتَهَلُ . وَإِلَى صَاحِبِ الشَّرْطَةِ : تَرَفَّقَ تُوفَّقَ . وَإِلَى رَجُلٍ شَكَا
 غَلْبَةَ الدِّينِ : قَدْ أَمْرَنَا لَكَ بِشَلَاثَيْنِ أَلْفَيْنِ وَسَذَّشَفَعَهَا بِعَمَلِهَا لِيَرْغَبَ الْمُسْتَمْنِحُونَ^(٢) .
 وَفِي قَصَّةِ مُتَظَّلِّمٍ : طَبَّ نَفْسًا فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمَظْلُومِ . وَإِلَى رَجُلٍ شَكَا إِلَيْهِ الدِّينِ :
 الدِّينُ سُوءٌ يَهْبِطُ الْأَعْنَاقَ ، وَقَدْ أَمْرَنَا بِقَضَايَهُ . وَفِي قَصَّةِ قَوْمٍ قَطَعُوا الطَّرِيقَ :
 (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) . الْآيَةِ .
 وَفِي أَمْرِيٍّ قَاتَلَ شَهِيدَ عَلَيْهِ الْعَدُولَ فَشُفِعَ فِيهِ : كَقَابُ اللَّهِ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ . وَفِي
 قَصَّةِ رَجُلٍ شَهِيدَ عَلَيْهِ أَنَّهُ شَتَمَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ : يُضَربُ دُونَ الْحَدَّ وَيُشَهَّرُ ضَرْبُهُ .

الحسن بن سهل ذو الرياستين

وَقَعَ فِي قَصَّةِ مُتَظَّلِّمٍ : يُنْظَرُ فِيمَا رَفَعَ : فَإِنَّ الْحَقَّ مُغَيْمٌ ، وَإِلَّا فَشَفَاءُ السَّقِيمِ^(٣)
 دَوَاءُ السَّقِيمِ . وَفِي قَصَّةِ قَوْمٍ تَظَلَّمُوا مِنْ وَالِيهِمْ : الْحَقُّ أُولَئِنَاءُ بَنَا ، وَالْعَدْلُ بُغَيْتَنَا ،
 وَإِنْ صَحَّ مَا أَدْعَيْتُمْ عَلَيْهِ صَرْفَنَاهُ وَعَاقِبَنَاهُ . وَفِي قَصَّةِ امْرَأَةٍ حُبُسَ زَوْجُهَا :
 الْحَقُّ يَحْبَسُهُ وَالْإِنْصَافُ يُطْلَقُهُ . وَفِي رُقْعَةٍ رَانَدَ : قَدْ أَمْرَنَا لَكَ بِشَيْءٍ هُوَ دُونَ
 قَدْرِكَ فِي الْأَسْتِحْقَاقِ ، وَفَوْقَ الْكِفَايَةِ مِنَ الْأَقْتَصَادِ . وَكَتَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ
 الشَّعْرَاءِ^(٤) يَقُولُ لَهُ :

(١) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « مَا اسْتَطَعْتَ » .

(٢) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « الْمُنْتَصِحُونَ » .

(٣) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « فَشَانُ السَّلِيمُ دَوَاءُ السَّقِيمِ » .

(٤) فِيمَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ (ج ١ ص ٣٦) أَنَّ هَذَا الشِّعْرُ لِلْبَطِينِ وَكَانَ كَتَبَ بِهِ
 إِلَى عَلَى بْنِ يَحْيَى الْأَرْمِينِ .

رأيتُ في النّوم أني راكبٌ فرساً ولِي وصيفٌ وفي كفٍ دنانيرٌ
 فقال قومٌ لهم فهمْ ومَعْرُوفةٌ رأيتَ خيراً وللأحلام تَعبيرٌ
 رُؤياك فَسَرَّ عَدَا عندَ الْأَمِيرِ تَجَزَّ في الْحَلْمِ خيراً وفي النّوم التَّبَاشِيرُ^(١)
 فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ : أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَامِ بِعَالَمِينَ .
 وأَطْلَقَ لِهِ مَا أَلْتَسَهُ .^(٢) وَدَخَلَ بَعْضُ الشُّعُرَاءِ^(٣) عَلَى [عبد الملك بن] بِشْرِ بْنِ
 مَرْوَانَ فَأَنْشَدَهُ :

أَغْفَيْتُ عَنْدَ الصَّبَحِ نَوْمَ مُسْهَدٍ
 فَرَأَيْتُ أَنَّكَ رُعْتَنِي بِوَلِيدَةٍ^(٤)
 وَبِمَدْرَةٍ حَمَلْتُ إِلَيْهِ وَبَفَلَةَ دَهَاهَ مُشْرَفةَ يَصِّـلَّ إِجَامَهَا
 فَدَعَوْتُ رَبِّيَ أَنْ يُشَبِّكَ جَنَّةَ عِوْضًا يُصِيبِكَ بَرَدَهَا^(٥) وَسَلَامَهَا
 لَيْتَ الْمَنَابِرَ يَا بنَ مَرْوَانَ النَّدَى أَضْحَتَ وَأَنْتَ خَطِيبُهَا وَإِمامَهَا^(٦)
 فَقَالَ لِهِ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنَ بِشْرٍ : فِي كُلِّ شَيْءٍ أَصْبَتَ إِلَى الْمَغْلَةِ ، فَإِنِّي لَا أَمْلِكُ
 إِلَّا شَهْبَاءَ . فَقَالَ لِهِ : اسْرَأْتَيْ طَالِقَ إِنْ كَنْتَ رَأَيْتُهَا إِلَّا شَهْبَاءَ ، إِلَّا أَنِّي غَلِطَتْ .

طاهر بن الحسين

وَقَعَ فِي كِتَابِ رَجُلٍ تَظَلَّمَ مِنْ أَحْمَابِ نَصْرِ بْنِ شَبِّيْبٍ : طَلَبَتِ الْحَقَّ فِي
 دَارِ الْبَاطِلِ . وَفِي قَصَّةِ رَجُلٍ طَلَبَ قَبَالَةَ^(٧) بَعْضُ أَعْمَالِهِ : الْقَبَالَةُ مُفْتَاحُ الْفَسَادِ ،
 وَلَوْ كَانَتْ صَلَاحًا مَا كَنْتَ لَهَا مُوضِّعًا . وَإِلَى السُّنْدِيِّ بْنِ شَاهِلَكَ ، وَجَاهَهُ مِنْهُ

(١) رواية هذا العجز فيما مر : * تعبير ذاك وفي الفأل التباشير *

(٢) هذا الخبر غريب على هذا الباب ، فهو لابن بشر والباب توقيعات لحسن بن سهل فلعل المؤلف ساقه للمشاكلة ، أو اعلمه كان تحت عنوان آخر .

(٣) الشاعر هو الحكم بن عبد . (انظر ج ١ من ٣١٦ من هذه الطبعة) . والأغاني

(ج ٢ من ٤٠٧) طبعة دار الكتب المصرية . وقد ذكر من هذا الشعر أبيات في الأغاني (ج ١٥ من ٢٣) طبعة بلاق منسوبة لمحزنة بن يعن .

(٤) جارية رعبوبية : ببعضها حسنة رطبة حلوة . (٥) في بعض الأصول : « درها » .

(٦) بين الأبيات هنا وفي الأغاني خلاف في بعض الألفاظ . (٧) القبالة : السكفة .

كتاب يستعطفه فيه : عِشْ مَا لَمْ أَرَكْ . وَإِلَى حُزَيْنَةَ بْنَ خَازَمَ : الْأَعْمَال
بِخَوَاتِيمِهَا ، وَالصَّنِيعَةَ بِأَسْقَدَامِهَا ، وَإِلَى الْغَايَةِ مَا جَرَى الْجَوَادُ ، فَحَمْدُ السَّابِقُ ،
وَذُمُّ السَّاقِطُ . وَإِلَى الْعَبَاسِ بْنِ مُوسَى الْهَادِي وَأَسْتَبْطَأَهُ فِي خَرَاجِ نَاحِيَتِهِ :
وَلَيْسَ أَخُو الْحَاجَاتِ مَنْ بَاتْ نَائِمًا وَلَكِنْ أَخُوهَا مَنْ يَبِيتُ عَلَى رَحْلٍ^(١)

وَفِي رُقْعَةَ مُتَنَصِّحٍ : سَنِنَظَرُ أَصْدَقَتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . وَفِي قَصَّةَ ٥
مَحْبُوسٍ : يُطْلَقُ وَيُعْقَقُ . وَفِي رُقْعَةَ مُسْتَوْصِلٍ : يُقَامُ أَوْدَهُ .^(٢) وَكَتَبَ أَبُو جَعْفَرُ
إِلَى عُمَرَ بْنِ عُبَيْدٍ : أَبَا عَثَمَانَ ، أَعْنَى بِأَصْحَابِكَ ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُ الْعَدْلِ ، وَأَصْحَابُ
الصَّدْقِ ، وَالْمُؤْثِرُونَ لَهُ . فَوْقَعَ فِي كِتَابِهِ : أَرْفَعْ عَلَمَ الْحَقِّ يَتَبَعَّكَ أَهْلَهُ .

توقيعات العجم

٢٣٤ وَقَعَ أَرْدَشِيرُ فِي أَرْزَمَةِ عَمَّتِ الْمُمْلَكَةَ : مِنَ الْعَدْلِ أَنْ لَا يَفْرَحَ الْمَلِكُ وَرَعِيَتُهُ
مَحْزُونُونَ . ثُمَّ أَمْرَ فَفَرَقَ فِي الْكُورِ جَمِيعَ مَا فِي بُيُوتِ الْأَمْوَالِ . وَرَفَعَ رَجُلٌ
إِلَى كَسْرَى بْنِ قُبَادَ رُقْعَةً يُخْبِرُهُ فِيهَا أَنَّ جَمَاعَةَ مِنْ بَطَانَتِهِ قَدْ فَسَدَتْ نِيَّاتِهِمْ
وَخَبَثَتْ ضَمَارِهِمْ ، مِنْهُمْ فَلَانُ وَفَلَانُ . فَوْقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ : إِنَّمَا أَمْلَكَ ظَاهِرَ
الْأَجْسَامَ لَا النِّيَّاتِ ، وَأَحْكَمَ بِالْعَدْلِ لَا بِالْهُوَى ، وَأَنْفَصَ عَنِ الْأَعْمَالِ لَا عَنِ
الْمَرَاثِ . وَوَقَعَ كَسْرَى فِي رُقْعَةَ مَدْحُ : طُوبِي الْمَدْوَحِ إِذَا كَانَ الْمَدْحُ مُسْتَحْقَقًا ،
وَلِلَّدَاعِيِّ إِذَا كَانَ الْإِجَابَةَ أَهْلًا . وَكَتَبَ إِلَيْهِ مُتَنَصِّحٍ : إِنْ قَوْمًا مِنْ بَطَانَتِهِ
أَجْتَمَعُوا لِلْمُنَادِمَةِ ، فَعَابُوهُ وَتَلَمُوهُ . فَوْقَعَ : لَئِنْ كَانُوا نَطَقُوا بِالسَّنَةِ شَتَّى لَقَدْ
أَجْتَمَعُتْ مَسَاوِيهِمْ عَلَى إِسَانِكَ ، فَجُرْحَكَ أَرْغَبَ^(٣) ، وَإِسَانِكَ كَذَبَ . وَرَفَعَ
إِلَيْهِ جَمَاعَةً مِنْ بَطَانَتِهِ [رُقْعَةً] يَشْكُونَ [فِيهَا] سُوءَ حَالِهِمْ . فَوْقَعَ : مَا أَنْصَفْكُمْ
مِنْ إِلَى الشَّكَيْةِ أَحْوَجَكُمْ ؛ ثُمَّ فَرَقَ بَيْنَهُمْ مَا وَسَعُهُمْ وَأَغْنَاهُمْ . وَوَقَعَ أَنْوَشْرُوانَ
٢٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَجْلٌ ». (٢) يَلَاحِظُ أَنَّ هَذَا التَّوْقِيقُ لَا يَنْدَرِجُ
تَحْتَ تَوْقِيُّاتِ هَذَا الْبَابِ . فَلَمَّا مَكَانَهُ مَعَ تَوْقِيُّاتِ أَبِي جَعْفَرٍ فِي مَا مُضِيَّ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ (ص ٢١١) . (٣) أَرْغَبٌ : أَوْسَعَ .

إلى صاحب خرجمه : ما أَسْتَغْزِرُ الْخَرَاجَ بِمَثْلِ الْعَدْلِ ، وَلَا أَسْتَنْزِرُ بِمَثْلِ الْجَوْرِ .
وَوَقْعٌ فِي قَصَّةِ رَجُلٍ تَظَلَّمَ مِنْهُ : لَا يَنْبَغِي لِالْمَلَكِ الظُّلْمُ ، وَمِنْ عَنْدِهِ يُلْقَى مِنْ الْعَدْلِ ،
وَلَا الْبَخْلُ ، وَمِنْ عَنْدِهِ يُتَوَقَّعُ الْجُبُودُ ؛ ثُمَّ أَمْرٌ بِالْحَضَارِ الرَّاجِلِ وَقَعْدَ مَعَهُ بَيْنَ
يَدِي الْمُوَبِّذِ^(١) . وَوَقْعٌ فِي قَصَّةِ مَحْبُوسٍ : مَنْ رَكَبَ مَا نُهِيَ عَنْهُ حِيلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
مَا يَشْتَهِي . وَرَفَعَ إِلَيْهِ بَعْضُ خَدْمَهُ رِقْعَةً يُخْبِرُهُ فِيهَا بِكَثْرَةِ عِيَالِهِ ، وَسُوءِ حَالِهِ ،
فَعَرَفَ كَذْبَهُ ، فَوَقْعٌ : إِنَّ اللَّهَ خَفَفَ ظَهُورَكَ فَتَقْلِيَتَهُ ، وَأَحْسَنَ إِلَيْكَ فَكَفَرْتَهُ ،
فَتَبُّعْ إِلَى اللَّهِ يَتَبَّعُ عَلَيْكَ . وَوَقْعٌ فِي قَصَّةِ رَجُلٍ سَعَى إِلَيْهِ بِبِاطِلٍ : بِاللَّاسَانِ
أَحْفَظَ رَأْسَكَ . وَوَقْعٌ فِي قَصَّةِ رَجُلٍ ذَكَرَ أَنَّ بَعْضَ قَرَابَةِ الْمَلَكِ ظَلَمَهُ وَأَخْذَ مَالَهُ :
لَا تَصْلِحُ الْعَامَةُ إِلَّا بِيَعْضِ الْحَيْفِ عَلَى الْخَاصَّةِ ، فَإِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَبْحِتُكَ جَمِيعَ
مَا يَمْلِكُكَ . فَلَمْ يَتَظَلَّمْ بَعْدَهَا أَحَدٌ مِنْ قَرَابَتِهِ .

فصول في المودة

كَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ الْخَرَانِيَّ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ سَهْلٍ : أَعْزُكَ اللَّهُ ، إِنَّ
كُلَّ مُجَازَةٍ قَاصِرَةٌ عَنْ حَقِّ السَّابِقِ^(٢) إِلَى افْتِتَاحِ الْوُدُّ ، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنِّي
أَسْتَقْبِلُكَ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْكَ بِمَا لَمْ تَسْتَدِعْهُ ، وَأَعْتَمِدُكَ مِنَ الرَّغْبَةِ فِيْكَ
بِمَا لَمْ تُولِهِ .

وَفَصْلٌ لِأَبِي عَلَى الْبَصِيرِ : قَدْ أَكَدَ اللَّهُ بِيَنْنَا مِنَ الْوُدِّ^(٣) ، مَا نَأْمَنُ الدَّهْرَ
عَلَى حَلِّ عَقْدِهِ ، وَنَقْضِ مَرَائِهِ ، وَمَا يَسْتَقْوِي فِيهِ ثَقَنَا بِأَنفُسِنَا لَكَ ، وَثَقَنَا
بِمَا عَنْدَكَ .

(١) الموبذ : فقيه الفرس ، كالموبدان .

(٢) في : « السائل » .

(٣) في بعض الأصول : « المودة » .

(٤) في بعض الأصول : « نفسنا » .

وفصل له : الحال فيما يهمنا تحتمل الدالة ، وتُوجب الأنس والثقة ، وبسْطَ اللسان بالاستزادة ، وأنا أُمِّتُ إليك بالحرمة المتقدمة ، والأسباب المؤكدة ، التي تُخلِّ صاحبها محلَّ خاصة الأهل والقرابة .

وفصل لإبراهيم بن العباس : المودة يجتمعنا حبلها^(١) ، والصناعة تُؤلفنا أسبابها ، وما بين ذلك من تراخي في إلقاء ، أو تخلف في مُكتبة ، موضوع بيدننا يجب العذر فيه .

وفصل لسعيد بن عبد الملك : أنا صَبَّ إليك ، سامي الطرف نحوك ، وذِكرك مُلْصق بلسانى ، وأشمُك حلو على هواي ، وشيخُوك ماثلٌ بين عينى ، وأنت أقرب الناس من قلبي ، وآخذُهم بمعجم هواي .

١٠ وفصل له : لنحن أحق بأبدانك بما ابتدأنا به من الصلة ، إلا أنك أحق بالفضل الذي سبقت إليه .

وفصل لسعيد بن حميد : إنني أهديت مودتي إليك رغبة ، ورضيتك بالقبول منك مثوبه ، فصرت بقبوتها قاضياً لحق ، ومالكاً لرق ، وصرت بالتسريع إلى الهدية ، والتَّنَظُّر^(٢) المثوبة ، مُسرتهن اللسان بالجزاء^(٣) ، واليدين بالوفاء .

وفصل له : إنني صادفت منك جوهراً نفسي ، فأنا غير محمود على الأنقياد لك بغير زمام ، لأنَّ النفس يقود بعضها بعضاً . وقال أبو العتاهية :

وللقلب على القلب دليلٌ حين يلقاه
وللناس من الناس مقاييسٌ وأشباه

(١) في بعض الأصول : « محبتها » .

(٢) في بعض الأصول : « والتَّنَظُّر » .

(٣) في بعض الأصول : « بالرضا » .

وفصل ره: لسانى رَطْب بذَكْرِك ، وقلبي مَعْمُور بمحبتك ، حضرتَ أو
غَبَّتَ ، سِرتَ أوقتَ ، كقول مَعْقَل أخي أبي دُلف :

أَعْمَرِي لَئِنْ قَرَّتْ بِقُرْبِكْ أَعْيْنُ لَقَدْ سَخِنَتْ بِالْبَيْنِ مِنْكِ عَيْنُونْ
فِسْرٌ أَوْ أَقْيمٌ وَقَفْ عَلَيْكِ مُودَّتِي مَكَانُكِ مِنْ قَابِي عَلَيْكِ مَصْوَنْ

وفصل لإبراهيم بن المهدى: كتابي إليك كتاب تُخْبِرُ وسائل ؟ فَأَمَا
الإخبار ، فمن تصرُّف الخطوب بما^(١) يُوجِبُ العُذْرُ عند صديق العزيز على
في إبطائي بالتعهّد له ؛ وأما السؤال ، فمن إمساك هذا الأخ الوَدُود المَوْدُود
عن مثل ذلك ؟ وإن العذر^(٢) كاشف ما سلف ، مُصلح لما أستُؤْنَف .

فصول في الزيارة

١٠ كتب الحسين بن الحسن بن مهمل إلى صديق له : نحن في مأدبة لنا تُشرف
على روضة تصاحك الشمس حُسْنَا ، قد باتت السماء تَطْلُّها^(٣) ، فهى شرقه^(٤)
بعاها ، حالية بُنُوا رها ، فبادر إلينا^(٥) لنكون على [سواء من] أستمتاع بعضنا
بعض . فكتب إليه : هذه صفة لو كانت في أقصى الأطراف لوجب انتجاعها ،
وحتَّى المطى في أبتغامها ، فكيف في موضع أنت تسْكُنه ، وتجتمع إلى أنيق
١٥ مَنْظَرِه ، حُسْنَ وجهك ، وطَيْب شمائلك ، وأنا الجواب .

وفصل : كتب إسحاق بن إبراهيم الموصلى إلى أحمد بن يوسف في المصير
إليه ، وعنـدـ أحمد بن يوسف إبراهيم بن المهدى فكتب إليه : عنـدى من
أنا عنـده ، وحُجَّتـنا عـلـيـكـ^(٦) إعلامـنا إـلـيـكـ .

(١) في بعض الأصول: « على ما » .

(٢) في بعض الأصول: « البذل » .

(٣) في بعض الأصول: « تعلها » .

(٤) في بعض الأصول: « مشرفة » .

(٥) في بعض الأصول: « فرأيك فينا » .

(٦) في بعض الأصول: « إليك » .

وَفِصْلٌ : إِنَّمَا مَنْ ظَمَى شَوْقَهُ مِنْ رَؤْيَاكَ ، أَسْتَوْجِبُ الرَّغْيَ مِنْ زِيَارَتِكَ .

ثُمَّ كَتَبَ تَحْتَ هَذَا :

سِرِّ إِلَيْنَا تَفَدِّيَكَ نَفْسِي مِنَ الشَّوْءِ فَقَدْ طَالَ عَهْدُنَا بِالْتَّلَاقِ

وَأَجْعَلْنَا ذَاكَ إِنْ رَأَيْتَ جَوابِي فَلَقَدْ خَفْتُ سَطْوَةَ الْأَشْتِيَاقِ

وَفِصْلٌ : إِلَى اللَّهِ أَشْكُو شِدَّةَ الْوَحْشَةِ لِغَيْبَتِكَ ، وَفَرَطَ الْحُزْنَ مِنْ فَرَاقِكَ ،

وَظُلْمُ الْأَيَامِ بَعْدِكَ ، وَأَقُولُ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْمُحَدِّثِينَ :

غَضَارَةُ دُنْيَا أَظْلَمُ الْعِيشِ بَعْدَهَا وَعِنْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ يُعْرَفُ فَقْدُهَا

وَفِصْلٌ : الشَّوْقُ إِلَيْكَ وَإِلَى عَهْدِ أَيَامِنَا الَّتِي حَسُنْتُ [بَكَ] حَتَّى كَانَهَا

أَعِيَادٌ ، وَقَصْرُتْ [بَكَ] حَتَّى كَانَهَا سَاعَاتٌ ، يَفْوَتُ الصِّفَاتُ ؟ وَمَا يَجْدِدُهُ

وَيُكْثِرُ دُوَاعِيهِ تَصَاقُبُ الدِّيَارِ ، وَقُرْبُ الْجِوارِ ، تَمَّ اللَّهُ لَنَا النِّعَمَةُ الْمُجَدَّدةُ فِيْكَ
١٠ بِالنَّظَرِ إِلَى الْفُرْجِ الْمُبَارَكَةِ ، الَّتِي لَا وَحْشَةَ مَعَهَا وَلَا أَنْسَ بَعْدَهَا .

وَفِصْلٌ : مَثَلُنَا — أَعْزَكَ اللَّهَ — فِي قُرْبِ تَجَاوِرِنَا ، وَبَعْدَ تَزَاوِرِنَا ، مَا قِيلَ

فِي أَهْلِ الْقُبُورِ :

هُمُّ جِيرَةُ الْأَحْيَاءِ أَمَّا مَزَارُهُمْ فَدَارِي ، وَأَمَّا الْمُلْتَقِي فَبَعِيدُ

وَكُلُّ عِلْمٍ مَعَكَ مُحْتَمِلَةٌ ، وَكُلُّ جَفْوَةٍ مَغْفُورَةٌ ؛ لِلشَّغْفِ بَكَ ، وَالثَّقَةُ بِحُسْنِ

نِيَّتِكَ ، وَسَنَأْخُذُ بِقَوْلِ أَبِي قَيْسَ بنَ الْأَسْلَتِ :

وَيُسْكِرُهَا جَارَاهَا فِي زُرْبَهَا وَتَغْفِلُ عَنِ إِتْيَانِهِنَّ فَتَعْذِرُ

وَفِصْلٌ : كَتَبَ حَكَمٌ إِلَى حَكَمٍ : يَا أَخِي ، إِنَّ أَيَامَ الْعُمُرِ أَقْلَى مِنْ أَنْ

تَحْتَمِلَ الْهَجْرَ ، وَالسَّلَامُ .

وَفِصْلٌ : كَتَبَ أَحْمَدُ بْنُ يُوسُفَ : لَا تَجُوزُ قَطْيَعَةً [الصَّدِيقَ] لِأَنَّهَا الْتَّخْلُو مِنْ

أَحَدَ وَجْهَيْنِ : إِمَّا ضَعَفَ فِي نَفْسِ الْأَخْتِيَارِ ، وَإِمَّا مَلَلَ . وَكُلُّهَا لَا حُجَّةَ فِيهِ .

وفصل : طال العهد بالمجتمع حتى كدنا نتناكر عند اللقاء ، وقد جعلك الله للسرور نظاماً ، وللأنس تماماً ، وجعل المشاهد موحشة إذا خات منك .
وكتب الحسن بن وهب إلى محمد بن عبد الملك الزيات :

أوجب العذر في تراخي اللقاء ما تواى من هذه الأنواء
فسلام الإله أهديه من كل يوم لسيد الوزراء
لست أدرى ماذا أقول وأشكو من سماء تعوقني عن سماء
غير أنني أدعو على تلك بالشکر وادعو لها ده بالبقاء
وقال آخر :

أزور محمدًا فإذا أتني تكلمت الضمير في الصدور
فأرجع لم أمه ولم يلمني وقد رضى الضمير عن الضمير ١٠

فصول في وصاة

كتب الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في [ابن] أبي الشيّص : كتافي
إليك خططته بيميّني ، وفرّغت له ذهني ، فما ظنك بمحاجة هذا موقعها مني ؟
أتراي أقبل العذر فيها ، أو أقصر في الشكر عليها ؟ وأبن أبي الشيّص قد عرفته
و[عرفت] نسبه وصفاته ، ولو كانت أيدينا تنبسط ببره ما عدانا إلى غيرنا ،
فاكتف بهذا منها . ١٥

وفصل : كتابي إليك كتاب معنىًّا من كتب له ، واثقٌ من كتب
إليه ، وأن يضيع بين الثقة والعناء حامله .

٢٠ فـكـتـبـ : حـامـلـ كـتـابـيـ إـلـيـكـ أـنـاـ ، فـكـنـ لـهـ أـنـاـ ، وـالـسـلـامـ .
وـفـصـلـ : كـتـبـ المـتـابـيـ فـكـادـ أـنـ يـخـلـ بـالـمـعـنـىـ مـنـ شـدـةـ الـأـختـصـارـ ،

وفصل للحسن بن مهمل : فلان قد أستغنى بأصنفاعك إياه عن تحريري
إياك في أمره ، فإن الصناعة حُرمة للمصنوع إلية ، ووسيلة إلى مُصطنعه ، فبسط
الله يدك بالخيرات ، وجعلك من أهلها ، ووصل بك أسبابها .

وَنَهَمْ لِمْ : مُوصَلْ كِتَابِي إِلَيْكَ أَنَا ، فَكُنْ لَهُ أَنَا ، وَتَأْمَلْ بَعْنَ مُشَاهِدَتِي
وَخَلَقِي ، فَلِسَانُهُ أَشْكَرُ مَا آتَيْتَ إِلَيْهِ ، وَأَذْمَرُ مَا قَصَرْتَ فِيهِ .

فصل في عتاب

كتاب أحمد بن يوسف : لولا حُسن الظَّنِّ بك - أعزك الله - لكان
في إغضائك عني ما يَقْبضُني عن الطَّلَبَةِ إِلَيْكَ ، ولكنْ أَمْسَكْ بِرَمْقِ الرَّجَاءِ
عِلْمِي بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ ، وَبَسْطُ يَدِكَ إِلَى الَّذِي لَوْ قَبضَتْهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ
إِلَّا كَرْمُكَ مُذَكَّرًا ، وَسُؤْدَدَكَ شَافِعًا .

فصل : ما أَبْعَدَ الْبُرْءَةَ مِنْ صَرِيصِ دَأْوَهِ فِي دَوَائِهِ ، وَعِلْمَتْهُ فِي حِجْنِيقَتِهِ ، وَأَنَا
مَذَكَّرُ كَالْغَاصِنِ بِالْمَاءِ لَا مَسَاغَ لَهُ . وكما قال الشاعر :
كفتُ مِنْ كُرْبَتِي أَفْرَزُ إِلَيْهِمْ وَهُمْ كُرْبَتِي ، فَأَينَ الْفِرَارُ؟
فصل : أنا مُنْتَظَرٌ وَاحِدَةٌ مِنْ أَثْنَتِينِ : عُتْبَى تَكُونُ مَذَكَّرًا ، أَوْ عُتْبَى
تَغْفَى عَنْكَ .

فصل : أَمَا بَعْدَ فَقَدْ كَفَتَ لَنَا كُلُّكَ ، فَاجْعَلْ لَنَا بَعْضَكَ ، وَلَا نَرْضِي
إِلَّا بِالْكُلِّ لَكَ مِنَّا^(١) .

فصل : أَنَا أَبْقَى عَلَى وُدُّكَ مِنْ عَارِضِ يَغِيْرِهِ ، أَوْ عَتَابٍ^(٢) يَقْدِحُ فِيهِ ،
وَآمِلُ عَائِدًا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ يَغْنِي عَنْ أَقْتَصَادِكَ .

فصل : أَهْمَكَ اللَّهُ مِنَ الرُّشْدِ بِحَسْبِ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْمَضْلُلِ . وَلَوْ أَنَّ كُلَّ
مَنْ تَرَزَعَ إِلَى الصَّرْمِ قَلَّذَاهُ عِنَانُ الْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى بِالذَّنْبِ مِنْهُ ، وَأَكِنَّا
نَرْدَ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ ، وَنَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ .

فصل لعبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين : أَمَا بَعْدَ ،
فَقَدْ عَاقَنَى الشَّكَّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عِزِيمَةِ الرَّأْيِ فِيهِ ، ابْتَدَأْتَنِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيرِ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « لَنَا مِنْكَ ». (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « كِتَابٌ » .

٢٣٧
خِبْرَةُ ، وَأَعْقَبَهُ جفَاءُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ ، فَأَطْمَعَنِي أَوْلَكُ فِي إِخَائِكُ ، وَآيَسَنِي آخْرُكُ
مِنْ وَفَائِكُ ، فَسَبِّحَانَ مِنْ لَوْشَاءِ الْكَشْفِ ، مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيزَةِ الرَّأْيِ فِيَكُ ،
فَأَقْنَا عَلَى أَئْتِلَافٍ ، أَوْ افْتَرَقْنَا عَلَى أَخْتِلَافٍ .

فصل : إذا جعلتَ الظنَّ شاهدًا تُعدِّل شهادته ، بعد أن جعلته حَكَماً
يَحْيِفُ فِي حَكْوَمَتِه ، هَلْ مَنْ يَؤْتَى بِجَوْرِكَ ، وَلَسْتُ أَسْلَكُ طَرِيقًا مِنَ الْعَتَبِ
عَلَيْكَ ، إِلَّا سَدَّهُ مَا أَنْطَوَى عَلَيْهِ مِنْ مُودَّتِكَ . وَلَا سَبِيلٌ إِلَى شِكَائِيْتِكَ إِلَّا
إِلَيْكَ ، وَلَا أَسْتَعَا نَهَارًا إِلَّا بِكَ ، وَمَا أَحْقَى مَنْ جَعَلَكَ عَلَى أَمْرِهِ عَوْنَانًا أَنْ تَكُونَ لَهُ
إِلَى النِّجَاحِ سَبِيلًا . وَقَالَ الشَّاعِرُ :

عجَبْتُ لِقَلْبِكَ كَيْفَ أَنْقَلَبْ وَمِنْ طَوْلِ وُدُّكَ، أَنَّى ذَهَبْ؟
وَأَعْجَبْ مِنْ ذَا وَذَا أَنَّى أَرَاكَ بَعْنَ الرَّضَا فِي الْغَصَبْ ١٠

وفصل : إن مسألتي إليك هوأجبي مع عَتبِك على " لمن الْأَوْم ، وإنْ إِمساكِي عنها في حال ضرورة إِليها مع عِلْمِي بِكرْمِك في السُّخْط والرِّضا لعَجز ؛ غيرَ أَنْ أعلم أنْ أقْرَبَ الوسائِل في طلب رضاك مُسَاءِ لِثُك ما سَعَح من الحاجة ، إذْ كفْتَ لَا تجعل عَتبِك سبِيباً لمنع مَعْروفك .

١٥ وَفِصْلٌ : لَوْ كَانَتِ الشُّكُوكُ تَخْتَلِجُنِي فِي صِحَّةِ مُودَّتِكَ ، وَكَرِيمٌ إِخْانِكَ ،
وَدَوَامٌ عَهْدِكَ ، اطْمَالٌ عَتْبٌ عَلَيْكَ فِي تَوَاتِرِ كُتُبِيْ وَأَحْقِبَاسِ جَوَابَاتِهَا عَنِيْ ؟ وَلَكِنْ
الثِّقَةُ بِمَا تَقْدِمُ عَنِّي تَعْذِيرٌ ، وَتُحْسِنُ مَا يُقْبِلُهُ جَفَاؤُكَ ، وَاللَّهُ يُدِيمُ نَعْمَتَهُ
لَكَ وَلَنَا بِكَ .

٢٠ وفصل لابن المدبر : وصل كتابك المفتح بالعتاب الجميل ، والتفريح اللطيف : فلولا ماغلب على من السرور بسلامتك ، لتقطعت غماما بعتابك الذى أطف حتى كاد يخفى عن أهل الرقة والقطنة ، وغلظ حتى كاد يفهمه أهل الجهل والبله . فلا أعدمني الله رضاك مجازيا على ما أستحقه عقلك ، وأنت ظالم

فيه ، فهو ^(١) ولُّ الخرج منه .

وقال أبو الدرداء : عتابُ الأخ خيرٌ من فقده . وقال الشاعر :

إذا ذَهَبَ العِتَابُ فَلَيْسَ وَدًّا وَيَبْقَى الْوَدُّ مَا يَبْقَى العِتَابُ

وقال آخر في ^(٢) هذا المعنى :

إذا كُنْتَ تَغْضِبُ مِنْ غَيْرِ ذَنْبٍ وَتَعْتَبُ فِي كُلِّ يَوْمٍ عَلَيْهَا

طَلَبْتُ رِضَاكَ فَإِنْ عَزَّزْنِي عَدْدُكَ مَيِّتًا وَإِنْ كُنْتَ حَيًّا

فَلَا تَعْجِبْنَ بِمَا فِي يَدِكَ فَأَكْثَرُ مِنْهُ الَّذِي فِي يَدِيَا

وفصل في عتاب : العِتَابُ قَبْلَ العِقَابِ ، فَلَيْكَنْ إِيقَاعُكَ بَعْدَ وَعِيدِكَ ،
وَوَعِيدُكَ بَعْدَ وَعْدِكَ .

وفصل : قد حميتُ جانبَ الأملِ فيكَ ، وقطعتُ أسبابَ الرِّجاءِ منكَ ،
وقد أسلمني اليأسُ منكَ إِلَى العزاءِ عنكَ ، فَإِنْ تَرَغَبَ مِنَ الْآنِ فَصَفْحٌ
لَا تَثْرِيبُ مَعْهُ ، وَإِنْ تَمَادَيْتَ فَهُجْرٌ لَا وَصْلٌ بَعْدَهُ .

فصول في التنصل

كتب ابن مكرم : لا وَعَظِيمُ أَمْلِي فِيَكَ ، مَا أَتَيْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنِكَ ذَنْبًا
مُخْطَئًا وَلَا مَقْعُودًا ، وَلِعَلِّ فَلَاتَةٍ لَمْ أُقِّلِ هَا بِالْأَفْوَاطِي هَا أَعْتَذْرًا ، وَإِنْ تَكَنْ
فِيَفَتَةٍ ^(٣) حَاسِدٌ زَخْرَفَهَا عَلَى لِسَانِ وَاشْ نَبَذَهَا إِلَيْكَ فِي بَعْضِ غَرَّاتِكَ أَصَابَتْ
مِنِي مَقْتَلًا ، وَشَفَتْ مِنْهِ ^(٤) غَلِيلًا .

وفصل : ليس يُزِيلُنِي عَنْ حُسْنِ الظَّنِّ بِكَ فِعْلٌ حَمَلَكَ الْأَعْدَاءَ عَلَيْهِ ،
وَلَا يَقْطَعُنِي عَنْ رِجَائِكَ عَقْبٌ حَدَثَ مِنْكَ عَلَيْهِ ، بل أَرْجُو أَنْ يَتَقَاضِي كَرْمُكَ
إِنجازَ وَعْدِكَ ؛ إِذَا كَانَ أَبْلَغَ الشُّفَعَاءَ إِلَيْكَ ، وَأَوْجَبَ الْوَسَائِلَ لَدِيكَ .

(١) في بعض الأصول : « وَعِتَابُكَ » مَكَانٌ « فِيهِ » .

(٢) في بعض الأصول : « فِي غَيْرِ هَذَا » .

(٣) في بعض الأصول « فِيَفَتَةٍ » . (٤) في بعض الأصول : « مِنْكَ » .

٢٣٨

وفصل : أنت — أعزك الله — أعلم بالعفو والعقوبة من أن تُجازي بِالشُّوءِ
 على ذَنب لم أَجْنَه بِيَدِ وَلَا لِسَانٍ ، بل جَنَاه عَلَى لِسَانِ وَاشِ . فَأَمَا قَوْلُكِ إِنَّكَ
 لَا تُسْهِلُ سَبِيلَ الْعُذْرٍ ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالْكَرْمِ ، وَأَرْعَى لِحَقْوَقِهِ ، وَأَعْرَفُ^(١)
 بِالشَّرْفِ ، وَأَحْفَظُ لِذَمَامَاتِهِ^(٢) مِنْ أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُؤْمِلَكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكِ إِذَا
 أُلْتَسِهِ ، وَمِنْ عُذْرِكِ إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ ، وَذَرِيعَةً لَهِ .

وفصل لإبراهيم بن العباس : السَّكِيرِمُ أَوْسَعُ مَا تَكُونُ مَغْفِرَتَهُ ، إِذَا ضَاقَتْ
 بِالْمُذْنَبِ مَعْذِرَتَهُ .

١٠

وفصل : يَا أَخِي ، أَشْكُوكُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكَ تَحَمِّلُ الْأَيَامَ عَلَيْهِ ، وَسُوءُ أَثْرِ^(٣)
 الْدَّهْرِ عَنْدِي ، وَأَنِّي مُعْلَقٌ فِي حِبَائِلِ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَوْضِعَهُ ، وَلَا يَحْلُو عَنْهُ
 مَوْقِعِي ، أَطْلَبُ مِنْهُ الْخَلاصَ فَيُزِيدُنِي كُلُّهُ ، وَأَرْتَجِي مِنْهُ الْحَقَّ فَيُزِدَّادُ بِهِ ضَنْعًا ،
 فَالثَّوَاءُ ثَوَاءُ مَقِيمٍ ، وَالنِّيَّةُ نِيَّةُ ظَاعِنٍ ، وَالْزَّمَاعُ زَمَاعٌ^(٤) مُرْتَحِلٌ . مَا أَذْهَبَ إِلَى
 نَاحِيَةِ مِنْ الْحِيلَةِ إِلَّا وَجَدْتُ مِنْ دُونِهَا مَا نَعَّا مِنْ الْعَوَائِقِ ، فَأَحْمَلَ الدَّنْبَ عَلَى
 الْدَّهْرِ ، وَارْجَعَ إِلَى اللَّهِ بِالشَّكْوَى^(٥) ، وَأَسْأَلَهُ جَمِيلَ الْعُقُوبِ ، وَحُسْنَ الصَّبْرِ .

فصول في حسن التواصل

١٥

المُفْضَلُ أَنْ يَخْصُ بِفَضْلِهِ مَنْ شَاءَ ، وَلِهِ الْحَمْدُ^(٦) فِيمَا أَعْطَى . وَلَا حُجَّةٌ
 عَلَيْهِ فِيمَا مَنَعَ . [وَ] كُنْ كَيْفَ شَئْتَ ، فَإِنِّي قَدْ أَوْلَيْتُكَ^(٧) خَالِصَةً سَرِيرِتِي ،
 أُرِي بِبِقَائِكَ بِقَاءً سُرُورِي ، وَبِدَوَامِ النِّعَمَةِ عَنْدَكَ ، دَوَامَهَا عَنْدِي .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَأَفْعَدَ ». (٢) الْذَّمَامَاتُ : جَمِيعُ ذَمَامَاتِهِ (بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ) وَهِيَ الْعَهْدُ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « شَرٌّ ». (٤) الْزَّمَاعُ (كَسْحَاجَابٌ وَكِتَابٌ) : الْمَضَاءُ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزْمُ عَلَيْهِ . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ :

« وَبِزَمَامِ الرَّأْيِ » . (٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بِالشَّكْرِ » . (٦) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ :

« وَشَاءَ وَلِهِ الْحَمْدُ ثُمَّ لَهُ قِيمًا ». (٧) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ :

« وَاجْدَ أُمْرِي » مَكَانٌ « قَدْ أَوْلَيْتُكَ » .

وفعل: قد أَغْنَى الله بِكَرْمِكَ عن الذُّرِيْعَةِ إِلَيْكَ، وَالْأَسْتَعْانَةُ عَلَيْكَ، لَأَنْ حُسْنَ الظُّنُونِ^(١) فِيْكَ، وَتَأْمِيلِ^(٢) نُجُوحِ الرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، فَوْقَ^(٣) الشُّفَعَاءِ عَنْدَكَ.

وفعل: قد أَفْرَدْتُكَ بِرَجَائِي بَعْدَ اللهِ، وَتَعَجَّلَتْ رَاحَةُ اليَأسِ مَمْنَ يَجُودُ بِالْوَعْدِ، وَيَضْنِنُ بِالْإِنْجَازِ، وَيُحْسِنُ الْفَضْلَ وَيَزْهُدُ فِيْ أَنْ يَتَفَضَّلُ، وَيَعِيبُ السَّكَدَبَ وَلَا يَصْدِقُ.

وفعل: ضَعْنَى — أَكْرَمَكَ اللهُ — مِنْ نَفْسِكَ حَيْثُ وَضَعْتُ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ، أَصَابَ اللهُ بِعِرْوَفِكَ مَوْاضِعَهُ، وَبَسْطَ بِكُلِّ خَيْرٍ يَدَكَ.

وفعل: لَا أَزَالَ — أَبْقَاكَ اللهُ — أَسْأَلُ الْكِتَابَ إِلَيْكَ. فَرْمَةُ اتْوَقْفٍ تَوْقَفَ الْمُخْفَفَ عَنْكَ مِنَ الْمُؤْوِنَةِ، وَمَرْمَةً أَكْتَبَ كِتَابَ الرَّاجِعِ مِنْكَ إِلَى الثَّقَةِ، وَالْمُعْتَمَدُ مِنْكَ عَلَى الْمِيقَةِ^(٤). لَا أَعْدَمْنَا اللهُ دَوَامَ عَنْكَ، وَلَا سَلَبَ الدِّينِيَا بِهِ جَهْتِهِ بَكَ، وَلَا أَخْلَانَا مِنَ الصُّنْعِ لَكَ، فَإِنَا لَا نَعْرِفُ إِلَّا نِعْمَتَكَ، وَلَا نَجِدُ لِلْحَيَاةِ طَفْمًا إِلَّا فِي ظِلِّكَ، وَلَئِنْ كَانَتِ الرَّغْبَةُ إِلَى تَفَرُّ^(٥) مِنَ النَّاسِ خَسَاسَةً وَذُلًَّا، لَقَدْ جَعَلَ اللهُ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ كَرَامَةً وَعَزَّاً، لَأَنَّكَ لَا تَعْرِفُ حُرُّاً قَعَدَ بِهِ دَهْرُهُ إِلَّا سَبَقْتَ مَسْأَلَتَهُ بِالْمُطْئِيَّةِ، وَصَدَّتَ وِجْهَهُ عَنِ الْطَّلَبِ وَالذَّلَّةِ.

وفعل: لِي عَلَيْكَ حَقُّ التَّأْمِيلِ فِي الزِّيَادَةِ بِمَا أَبْتَدَأْتَ مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَلَكَ عَلَى حَقِّ الْأَصْطَنَاعِ وَالْفَضْلِ، وَالْتَّنْوِيهِ بِالْأَسْمَ وَالشَّكْرِ^(٦)، وَلَيْسَ يَمْنَعُنِي عِلْمِي بِزِيَادَةِ^(٧) حَقْكَ عَلَى مَا أَبْلَغَهُ مِنْ شُكْرِكَ مِنْ مُسَاءِلَتِكَ الْمَزِيدَ، إِذْ كَنْتُ قَدْ

(١) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: « بِاللهِ فِيْكَ » .

(٢) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: « وَتَأْوِيلِ » .

(٣) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: « دُونِ » .

(٤) الْمِيقَةُ: الْمُحْبَةُ .

(٥) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: « بَشَرِ » .

(٦) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: « التَّأْمِيلُ وَالشَّكْرُ بِمَا أَبْتَدَأْتَ ... بِالْأَسْمَ وَالْزِيَادَةِ فِي الْقَدْرِ » .

(٧) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: « عِلْمِكَ زِيَادَةً » .

اتهيتُ إلى ما ببلغه المجهود ، وخرجتُ من منزلة الإضاعة والتقصير ؛ وإذا كنتَ تسمح بالحق عليك ، وتطيب نفساً عن حملك^(١) ، وتذكر اليسير ، ولا تكلف أحداً شكرك على الكثير .

وفصل : لك — أصلحك الله — عندى أيدٍ تشفع لي إلى محبتك ،

ومعروف يوجب عليك الراب^(٢) والإتمام .

وفصل : أنا أسألك الله أن ينجز لي ما لم تزل الفراسة تعدنيه فيك .

وفصل : قد أجل الله قدرك عن الاعتذار ، وأغناك^(٣) في القول [عن الاعتلال] ، وأوجب علينا^(٤) أن تقنع بما فعلت ، ورضي بما أتيت^(٥) ، وصلت أو قطعت .

فصل في الشكر

١٠

كتب محمد بن عبد الملك الزيارات كتاباً عن المعتصم إلى عبد الله بن طاهر الخراساني ، فكان في فصل منه : لوم يكن من فضل الشكر إلا أنك لا تراه إلا بين نعمة مقصورة عليك ، أو زيادة مُنْقَظَرَة لها [لـكـفـي] . ثم قال محمد بن إبراهيم بن زياد : كيف ترى ؟ قال : كأنهما قرطان بينهما وجه حسن .

وفصل للاحسن بن وهب : من شكرك على درجة رفعته إليها ، أو ثروة

٢٣٩

أفذتَها إليها ؟ فإن شكري لك على مهجة أخيتها ، وحشاشة أبيتها ، ورمق أمسكتَ به ، وثبتَ بين القلف وبينه . فـ كل نعمة من نعم الدنيا حدث تنتهي إليه ، ومدى يوقف عنده ، وغاية من الشكر يسمون إليها الطرف ، خلا هذه النعمة التي قد فاقت الوصف ، وطالت الشكر ، وتجاوزت كل قدر ، وأنت مِن

(١) في بعض الأصول : « حملك على ما ببلغه من شكرك وشكر اليسير » .

(٢) الرب : الزيادة . وفي بعض الأصول : « المودة » .

(٣) في بعض الأصول : « وأغناني » .

(٤) في بعض الأصول : « عليك » . (٥) في بعض الأصول : « أثبتت » .

وراء كل غاية ؟ ردتْ عَنَا كيدَ العدو ، وأرغمت أنفَ الحسود ، ففتحن نلجاً منها إلى ظلٍّ ظليل ، وكتفَ كريم . فـكـيـف يـشـكـر الشـاكـر ، وأين يـبـلـغ جـهـدـ المـجـهـد ؟

وقال إبراهيم بن المهدى يشكّر المأمون :

٥ ردتَ مالي ولم تَمُنْ علىَ بهِ وقبلَ رَدِكَ مالي قد حَقَنتَ دَمِي
فأبْتَ منكَ وقد جَلَلتني نعماً هي الحياتان من مَوْتٍ^(١) ومن عدم
فلو بذلتُ دَمِي أبغى رِضاكَ بهِ والمالَ حتى أَسْلَ النَّعلَ من قَدْمِي
ما كان ذاك سِوَى عارِية رَجعتَ إليكَ لو لم تُعِرْها كفتَ لم تَلْمَ
البَرْبَرِي مِنْكَ وَطَى العَذْرُ عَنْدَكَ لِي فِيمَا أَتَيْتُ فَلَمْ تَعْتَبْ ولم تَلْمَ
١٠ وقام عِلْمُكَ بِي يَحْتَاجُ عَنْدَكَ لِي مقام شاهدِ عَدْلٍ غير مُتَّهِم

فصول في البلاغة

كتب الحسن بن وهب إلى إبراهيم بن العباس : وَصَلَ كِتابُكَ فَارأَيْتُ
كتاباً أَسْهَلَ فُنُونَا ، ولا أَمْلَسَ مُقْوِنَا ، ولا أَكْثَرَ عُيُونَا ، ولا أَحْسَنَ مقاطع
ومطالع ، منه : أَنْجَزْتَ فِيهِ عِدَّةَ الرَّأْيِ ، وَبُشِّرَى الْفِرَاسَةَ ، وَعَادَ الظَّنُّ يَقِينَا ،
١٥ والأَمْلُ مَبْلُوغاً ، والحمدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَمَّ الصَّالَاتُ .

فصل : الـكـلامـ كـثـيرـ فـنـونـه ، قـلـيلـةـ عـيـونـه ؟ فـنـهـ ماـ يـفـكـهـ الأـسـمـاعـ ،
وـيـؤـنـسـ الـقـلـوبـ ، وـمـنـهـ ماـ يـحـمـلـ الـآـذـانـ ثـقـلاً ، وـيـعـلـاًـ الـأـذـهـانـ وـحـشـةـ .

فصول في المدح

وكتب ابنُ مكرم إلى أحمد بن المُدبر : إنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَائِكَ

٢٠ (١) في الأمالي (ج ١ ص ١٩٩) : « وفر » . وبين الآيات هنا وهناك خلاف في بعض الألفاظ . وانظر سبط اللآل (ج ١ ص ٤٧٧ — ٤٧٨) .

يَتَنَازَّ عَوْنَ الْفَضْلِ ، فَإِذَا أَنْتَهُوا إِلَيْكَ أَقْرَأُوكَ لَكَ ، وَيَتَنَافَسُونَ [فِي] الْمَنَازِلِ ،
فَإِذَا بَلَغُوكَ وَقَفُوا دُونَكَ . فَزَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ^(١) وَفِيكَ ، وَجَعَلَنَا مِنْ يَقْبَلُهُ
رَأْيُكَ ، وَيُقْدِمُهُ أَخْتِيَارُكَ ، وَيَقْعُدُ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْقِعِ مُوافَقَتِكَ ، وَيَجْرِي فِيهَا
عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ .

وَفَصْلُهُ : إِنَّ مِنَ النِّعَمَةِ عَلَى الْمُثْنَى عَلَيْكَ أَنَّهُ لَا يَخَافُ الْإِفْرَاطَ وَلَا يَأْمُنُ
الْتَّقْصِيرَ ، وَيَأْمُنُ أَنْ تَلْحِقَهُ نَقْيَصَةُ السَّكْدَبِ ، وَلَا يَنْتَهِي بِهِ الْمَدْحُ إِلَى غَايَةِ
إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجاوزَهَا . وَمِنْ سَعَادَةِ جَدِّكَ أَنَّ الدَّاعِي لَا يَعْدُمُ كَثْرَةَ الْمُشَايِعِينَ^(٢)
لَهُ ، وَالْمُؤْمِنِينَ مَعَهُ .

وَفَصْلُهُ : إِنَّ مَا يُطْعَمُ فِي بَقَاءِ النِّعَمَةِ عَنْكَ ، وَيَزِيدُ فِي بَصِيرَةِ الْعِلْمِ
بِدَوَامِهِ لِدِيكَ ، أَنْكَ أَخْذَتَهَا بِحَقْقِهَا ، وَأَسْتَوْجِبُهَا بِمَا فِيكَ مِنْ أَسْبَابِهَا ؛ وَمِنْ
شَأنِ الْأَجْنَاسِ أَنْ تَتَأَلَّفَ ، وَشَأنِ الْأَشْكَالِ أَنْ تَتَقَارَبَ^(٣) ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَقَلَّلُ
إِلَى مَعْدَنِهِ ، وَيَحْنَ إِلَى عَنْصِرِهِ ، فَإِذَا صَادَفَ مَنْبَتَهُ ، وَنَزَلَ فِي مَغْرُوسِهِ ، ضَرَبَ
بِعِرْقِهِ ، وَسَقَى^(٤) بِفَرْعَاهُ ، وَتَمَكَّنَ تَمَكَّنَ الْإِقَامَةِ ، وَتَبَيَّنَكَ تَبَيَّنَكَ الطَّبِيعَةِ .

وَفَصْلُهُ : إِنِّي فِيمَا أَتَعْطَى مِنْ مَذْدُوكَ كَالْمُخْبَرِ عَنْ ضَوءِ النَّهَارِ الْوَاهِرِ ،
وَالْقَمَرِ الْبَاهِرِ ، الَّذِي لَا يَخْفِي عَلَى كُلِّ نَاظِرٍ . وَأَيْقَنْتُ أَنِّي حَيْثُ أَنْتَهَى بِي
الْقَوْلُ مَذْسُوبٌ إِلَى الْعَجَزِ ، مَقْصُرٌ عَنِ الْغَايَةِ ، فَأَنْصَرَفْتُ مِنِ الشَّنَاءِ عَلَيْكَ
إِلَى الدُّعَاءِ لَكَ ، وَوَكَّلْتُ الْإِخْبَارَ عَنْكَ إِلَى عِلْمِ النَّاسِ بِكَ .

وَفَصْلُهُ لِحَمْدِ بْنِ الْجَهْمِ : إِنْكَ لَزِمْتَ مِنَ الْوَفَاءِ طَرِيقَةً مَحْمُودَةً ، وَعَرَفَتَ
مَنَاقِبَهَا ، وَشُهُورَتْ بِمَحَاسِنِهَا ، فَتَنَافَسَ الْإِخْوَانُ فِيكَ يَعْتَدُرُونَ وَدَّكَ ، وَيَقْسِمُونَ
^{٤٤٠} بِحَبْلَكَ ، فَمَنْ أَثْبَتَ اللَّهُ لَهُ عَنْكَ وُدًّا فَقَدْ وُضَعَتْ^(٥) خَلَّتْهُ مَوْضَعَ حِرْزَهَا .

(١) فِي : « مِنْكَ » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « الْمُتَابِعِينَ » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « تَتَقاوِمُ » . (٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَسِيقُ » .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَضَعَ » .

وفصل لابن مكرم : السيف العقيق إذا أصابه الصدأ أستغنى بالقليل
من الحلاه حتى تعود جذته ويظهر فرنده ، للين طبيعته ، وكرم جوهره ،
ولم أصيف نفسي لك عجبًا^(١) بل شكرًا .

وفصل له : زاد معروفك عندى عظماً ، أنه عندك مستور حقير ، وعند
الناس مشهور كبير . أخذه الشاعر فقال :

زاد معروفك عندى عظماً . أنه عندك مستور حقير
تناساه كان لم تأتيه وهو عند الناس مشهور كبير

وفصل للعتابي : أنت أهلاً للأمير وارث سلفك ، وبقيمة أعلام أهل
بيتك ، المسود به ثلهم ، المجدّد به قديم شرفهم ، والمحيا به أيام سعيهم .
وإنه لم يحصل من كفت وارثه ، ولا درست آثار من كنت سالك سبيله ،
ولا أنيحت أعلام من خلفته في رقبته .

فصول في الدم

كتب أحمد بن يوسف : أما بعد ، فإني لا أعرف للمعروف طريقةً أو عرَّا
من طريقه إليك ؟ فالمعرفة لديك ضائع ، والشُّكر عندك مهجور ؟ وإنما
غايتكم في المعروف أن تَحْقِرُه ، وفي ولئه أن تَكْفُرُه .

وكتب أبو العتاهية إلى الفضل بن مَعْنَ بن زائدة : أما بعد ، فإني توسلت
في طلب نائلك بأسباب الأمل ، وذرائع الحمد ، فراراً من الفقر ، ورجاءً للفي ،
فازدادت بهما بعدها مما فيه تقررت ، وقرباً مما فيه تبعدت . وقد قسمت اللامنة
بيني وبينك ؛ لأنني أخطأت في سؤالك وأخطأت في مَنْعِي ، أمرت باليأس من
أهل البخل فسألتهم ، ونهيت عن منع أهل الرغبة فمنعتهم . وفي ذلك أقول :
فررت من الفقر الذي هو مُدركي إلى بُخل مخضور النوال مُنْوِع

(١) في بعض الأصول : « عجبًا بك » .

فَأَعْقَبَنِي الْحِرْمَانَ غَبَّ مَطَامِعِي
 كَذَلِكَ مَنْ تَلَقَاهُ غَيْرَ قَنُوعٍ^(١)
 وَغَيْرُ بَدِيعٍ مَنْعُ ذِي الْبُخْلِ مَالَهُ
 كَمَا تَبْذُلُ أَهْلُ الْفَضْلِ غَيْرُ بَدِيعٍ
 إِذَا أَنْتَ كَشَفْتَ الرِّجَالَ وَجَدْتَهُمْ^(٢)
 لِأَعْرَاضِهِمْ مِنْ حَافِظٍ وَمُضِيعٍ
 وَفَصْلٌ لِإِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهَدِّيِّ : أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّكَ لَوْ عَرَفْتَ فَضْلَ الْحَسْنِ
 لَتَجْنَبَتْ شَيْءَنِ الْقَبِيْحِ ، وَرَأَيْتَكَ آثَرَ الْقَوْلِ عِنْدَكَ مَا يُضْرِبُكَ ، فَكَنْتُ فِيهَا كَانَ
 مِنْكَ وَمِنْنَا ، كَمَا قَالَ زُهْيرُ بْنُ أَبِي سُلَيْمَانَ :
 وَذِي خَطْلٍ فِي الْقَوْلِ يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ هَا يُلْمِمُ بِهِ فَهُوَ قَاتِلُهُ
 عَيَّاتٌ لَهُ حِلْمًا وَأَكْرَمَتَ غَيْرَهُ وَأَعْرَضْتَ عَنْهُ وَهُوَ بَادِ مَقَاوِلُهُ
 فَصْلٌ : إِنَّ مَوْدَةَ الْأَشْرَارِ مَتَّصِلَةٌ بِالذَّلَّةِ وَالصَّغَارِ ، تَمَيلُ مَعْهُمَا ، وَتَتَصَرَّفُ
 فِي آثَارِهِمْ . وَقَدْ كَنْتُ أُحِلَّ مَوْدَتِكَ بِالْمَحْلِ النَّفِيسِ ، وَأَنْزَلْتُهَا بِالْمَنْزِلِ الرَّفِيعِ ، حَتَّى
 رَأَيْتُ ذَلَّتِكَ عِنْدَ الْضَّعْفِ ، وَضَرَعْتُكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ ، وَتَغْيَّرْتُكَ عِنْدَ الْأَسْتَغْنَاءِ ،
 وَأَطْرَاحْتُكَ لِإِخْوَانِ الصَّفَاءِ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَقْوَى أَسْبَابِ عُذْرَى فِي قَطِيعَتِكَ عِنْدِ
 مَنْ يَتَصَفَّحُ أَمْرِي وَأَمْرِكَ بَعْنَ عَدْلٍ ، لَا يَمْلِي إِلَيْهِ هُوَ وَلَا يَرَى الْقَبِيْحَ حَسْنَا .
 فَصْلٌ لِلْعَقَابِيِّ : تَأْتِيَنَا إِفَاقِتِكَ مِنْ سَكْرِتِكَ ، وَتَرْقَبَنَا أَنْتِبَاهُكَ مِنْ
 رَقْدِتِكَ ، وَصَبَرْنَا عَلَى تَجْرِيعِ الْغَيْظِ فِيْكَ ، حَتَّى بَانَ لَنَا الْيَأسُ مِنْ خَيْرِكَ ،
 وَكُشِّفَ لَنَا الصَّبَرُ عَنْ وَجْهِ الْغَلْطِ فِيْكَ . فَهَا أَنَا قَدْ عَرَفْتُكَ حَقًّا مَعْرِفَتِكَ فِي
 تَعْدِيَكَ لَطْوِرِكَ ، وَأَطْرَاحْتُكَ حَقًّا مِنْ غَلِطِ فِيْ أَخْتِيَارِكَ .

فصول في الأدب

٢٤١

كَتَبَ سَعِيدُ بْنُ حُمَيْدٍ : إِنَّ مِنْ أَمَارَاتِ الْحَزْمِ وَصَحَّةِ الرَّأْيِ فِي الرَّجُلِ تُرَكَهُ
 الْمُتَّاسِ مَا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ ؛ إِذَا كَانَ ذَلِكَ دَاعِيَةً لِعَنَاءٍ لَا ثُمَرَةَ لَهُ ، وَشَقَاءٌ لَا دَرَكَ
 فِيهِ . وَقَدْ سَمِحَتْ فِي أَمْرِي تُخْبِرُكَ أَوْ ائِلَهُ عَنْ أَوْآخِرِهِ ، وَيُنْبِيَكَ بَدْؤُهُ عَنْ عَوَاقِبِهِ ،
 لَوْ كَانَ لِهَذَا الْخَبَرِ الصَّادِقِ مُسْتَمِعٌ حَازِمٌ . وَرَأَيْتُ رَائِدَ الْهُوَى مَالَ بِكَ إِلَى

(١) فِي دِيْوَانِ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ : « مِنْ يَلْقَاهُ » . (٢) فِي دِيْوَانِ : « وَمُذِيعٍ » .

هذا الأمر ميالاً أياًسَ مَنْ رَغِبَ فِيهِكَ ، وَدَلَّ عَدُوُكَ عَلَى مَعَايِبِكَ ، وَكَشَفَ لَهُ عن مَقَاتِلَكَ . وَلَوْلَا عِلْمِي بِأَنَّ غِلْمَظَةَ النَّاصِحِ تَؤْدِي إِلَى نَفْعٍ فِي أَعْتَقَادِ صَوَابِ الرَّأْيِ ، لَكَانَ غَيْرُ هَذَا القَوْلُ أَوْلَى بِكَ . وَاللَّهُ يُوفِّقُكَ لِمَا يُحِبُّ ، وَيُؤْفِقُكَ مَا تَحْبَبُ .

وَفَصْلٌ : أَنْتَ رَجُلٌ لِسَانُكَ فَوْقَ عُقْلَكَ ، وَذَكَرُكَ فَوْقَ عَزْمَكَ ، فَقَدْمُكَ عَلَى نَفْسِكَ مَنْ قَدْمُكَ عَلَى نَفْسِهِ . ٥

وَفَصْلٌ : مِنْ أَخْطَأَ فِي ظَاهِرِ دُنْيَاكَ وَفِيهَا يُؤْخَذُ بِالْعَيْنِ كَانَ أَحْرَى أَنْ يُخْطَئُ فِي أَمْرِ دِينِهِ وَفِيهَا يُؤْخَذُ بِالْعَقْلِ .

وَفَصْلٌ : قَدْ حَسَدَكَ مَنْ لَا يَنْامُ دُونَ الشَّفَاءِ ، وَطَلَبَكَ مَنْ لَا يَنْامُ دُونَ الظَّفَرِ ، فَاسْتَدْدَدَ حِيَازِ يَمَكَ وَكُنْ عَلَى حَذْرٍ . ١٠

وَفَصْلٌ : قَدْ آتَى أَنْ تَدْعَ مَا تَسْمَعُ بِمَا تَعْلَمُ ، وَلَا يَكْنِي غَيْرُكَ فِيمَا يُبَلِّغُهُ أَوْثَقَ مِنْ نَفْسِكَ فِيهَا تَعْرُفُهُ .

وَفَصْلٌ : لَسْتَ بِحَالٍ يُرْضِي بِهَا حُرْرَةً ، وَلَا يُقْيمُ عَلَيْهَا كَرِيمًا ، وَلَيْسَ يَرْضَى لَكَ بِهَذَا إِلَّا مَنْ يَدْتَغْرِي لَكَ أَنْ تَرْضِي بِهِ .

وَفَصْلٌ : أَنْتَ طَالِبٌ مُقْيِمٌ ، وَأَنَا دَافِعٌ مُغْرِمٌ^(١) ، فَإِنْ كُنْتَ شَاكِرًا فِيهَا مُضِيًّا ، فَاعْذُرْ فِيهَا بِقِيَةً . ١٥

وَفَصْلٌ لِلْعَقَابِيِّ ، أَمَا بَعْدَ ، فَإِنْ قَرِيبُكَ مِنْ قَرْبِكَ خَيْرُهُ ، وَأَبْنُ عَمَّكَ مِنْ عَمَّكَ نَفْعُهُ ، وَعِشِيرَكَ مَنْ أَحْسَنَ عِشْرَتَكَ ، وَأَهْدَى النَّاسِ إِلَى مَوْدَتَكَ مِنْ أَهْدَى بَرَّهُ إِلَيْكَ .

٢٠ فَصَوْلٌ إِلَى عَلِيلٍ

لَيْسَتْ حَالٌ — أَكْرَمَكَ اللَّهُ — فِي الْأَغْتِيَامِ بِعِلْمِكَ حَالَ المُشَارِكِ^(٢) فِيهَا

(١) المغرم (كـكرم ، بصيغة اسم المفعول) : أسيـر الدين .

(٢) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «المشاركة» .

بأن ينالني نصيب منها وأسلم من أكثراها، بل أجمع على منها أنني مخصوص بها دونك، مولم منها بما يُؤلمك، فأنا عليل معروف العناية إلى عليل، كأني سليم يسهر على سليم؛ فأنا أسأل الله الذي جعل عافيتي في عافيتك أن يخصني بها فيك، فإنها شاملة لي ولوك.

وفصل: إن الذي يعلم حاجتي إلى بقائك، قادر على المدافعة عن حزبائك^(١). فلو قلت إن الحق قد سقط عنك في عيادتك لأنني عليل بعلتك، لقام لي بذلك شاهد عدل في ضميرك، وأثر باد في حال إهينك. وأصدق الخبر ما حققه الآخر، وأفضل القول ما كان عليه دليل من العقل.

وفصل: إن تخلفت عن عيادتك بالعذر الواضح من العلة لما أغفل قلبي ذكرك، ولا لسانى فمحضًا عن خبرك، فمحض من تقسم^(٢) جوارحه وصبك، وزاد^(٣) في أمها أملك، ومن تتصل^(٤) به أحوالك في النساء والضراء. ولما بلغتني إفاقتك كتبت مهنة بالعافية، معفيًا من الجواب، إلا بخبر السلام إن شاء الله.

ولأحمد بن يوسف: قد أذهب الله وصب العلة ونصبها، ووفر أجرها وثوابها، وجعل فيها من إرغام العدو بعمتها، أضعاف ما كان عنده من الشرور بقبح^(٥) أولاه.

فصل إلى خليفة وأمير

منها: كتب الحجاج بن يوسف إلى عبد الملك بن مروان: يا أمير المؤمنين، إن كل من عنيت به فكريتك فما هو إلا سعيد يوثر، أو شقي يوثر.

(١) الحواب: النفس.

(٢) في بعض الأصول: « يجب أن تقسم » مكان « خص من تقسم ».

(٣) في بعض الأصول: « وإن زاد ».

(٤) في بعض الأصول: « وإن تضل ».

(٥) في بعض الأصول: « يفتح ».

كتب الحسن بن سهيل يصف عقل المؤمنون : وقد أصبح أمير المؤمنين محمود السيرة ، عفيف الطعمة ، كريم الشيمة ، مبارك الضريبة^(١) ، محمود النقيبة ، موافقاً بما أخذ الله عليه ، مضطلاً بما حمله منه ، مُؤدياً إلى الله حقه ، مقرراً له بنعمته ، شاكراً لآلامه ، لا يأمر إلا عدلاً ، ولا ينطق إلا فضلاً ، راعياً لدينه وأمانته ، كافأ ليده ولسانه .

^٥
وكتب محمد بن عبد الملك الزيات : إن حق الأولياء على السلطان تنفيذ أمورهم ، وتقويم أودهم ، ورياضة أخلاقهم ، وأن يميز بينهم ، فيقدم محسنهم ، ويؤخر مسيئهم ، ليزداد هؤلاء في إحسانهم ، ويزداد هؤلاء عن إساءتهم .
^٦
وفصل له : إن أعظم الحق حق الدين ، وأوجب الحرج حرج المسلمين .

^{١٠}
فحقيقة من راعى ذلك الحق وحفظ تلك الحرجة أن يرعاها حسب ما رعاها الله به ، ويحفظ له حسب ما حفظ الله على يديه .

^{١٥}
وفصل له : إن الله أوجب خلفائه على عباده حق الطاعة والنصيحة ، واعبده على خلفائه بسط العدل والرأفة ، وإحياء السنن الصالحة . فإذا أدى كل إلى كل حقه كان سبباً ل تمام المعاونة ، واتصال الزيادة ، واتساق الكلمة ، ودوام الألفة .

وفصل : ليس من نعمة يجددها الله لأمير المؤمنين في نفسه خاصة إلا اتصلت برعيته عامة ، وشملت المسلمين كافة ، وعظم بلاء الله عندهم فيها ، ووجب عليهم شكره عليها ؛ لأن الله جعل بنعمته تمام نعمتهم ، وبتقديره وذبه عن دينه حفظ حريتهم ، وبحياطته حصن دمائهم وأمن سبيهم . فأطال الله بقاء أمير المؤمنين^(٢) ، مؤيداً بالنصر ، معززاً بالتمكين ، موصول البقاء بالنعم المقيم .

(١) الضريبة : الطبيعة .

(٢) زيد في بعض الأصول بعد قوله « المؤمنين » : « منطوى القلب على مناصحته » .

ومكانها في الفصل الثاني حيث هي .

فصل : الحمد لله الذي جعل أمير المؤمنين معقود النية بطاعته ، منطوى القلب على مُناصحته ، مشحوذ السيف على عدوه ؛ ثم وَهْب له الظفر ، وَدَوْخ له البلاد ، وَشَرَّد به العدو ، وَخَصَّه بشرف الفتوح شرقاً وغرباً ، وَبِرَا وبحرَا .

وفصل : أفعال الأمير عندنا مَفْسُولَة كالأماني ، مُتَّصلَة كالأيام ، وَنَحْن نُواَتِ الشُّكْر لـكَرِيمِ فَعْلِه ، وَنُواَصِل الدُّعَاء لـه مُواَصِلَة بُرْه ؛ إِنَّه الناهض بكلّنا ، والحاصل لأعبائنا ، والقائم بما نَابَ مِنْ حُقُوقَنَا .

وفصل : أَمَا بَعْد ، فَقَدْ أَنْتَهَى إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ كَذَا فَأَنْكَرَه ، وَلَا يَخْلُو مِنْ إِحْدَى مِنْزَلَتِينْ لَيْسَ فِي وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا عُذْرٌ يُوجَبُ حُجَّةٌ ، وَيُرْثِي لِائِمَةً : إِمَّا تَقْصِيرٌ فِي عَمَلٍ^(١) دُعَاكَ لِلإِخْلَال بِالْحَزْمِ وَالتَّفَرِيطِ فِي الْوَاجِبِ ، وَإِمَّا مُظَاهَرَةٌ لِأَهْلِ الْفَسَادِ وَمُدَاهَنَةٌ لِأَهْلِ الرِّيبِ . وَأَيْةٌ هاتِينِ كَانَتْ مِنْكَ لِمُحِلَّةِ النَّكْرِ^(٢) بِكَ ، وَمُوجَبَةُ الْعُقُوبَةِ عَلَيْكَ ، لَوْلَا مَا يَلْقَاكَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَنَا وَالنَّظَرَةِ ، وَالْأَخْذُ بِالْحُجَّةِ ، وَالتَّقْدِيمُ فِي الإِعْذَارِ وَالْإِنْذَارِ . وَعَلَى حَسْبِ مَا أُقْلِتَ مِنْ عَظِيمِ الْعَثْرَةِ يَحْبُبُ^(٣) أَجْتَهادُكَ فِي تَلَافِي التَّقْصِيرِ وَالْإِضَاعَةِ ، وَالسَّلَامُ .

وَكَتَبَ طَاهِرُ بْنُ الْحُسَيْنَ ، حِينَ أَخْذَ بِغَدَادَ ، إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمَهْدَى :
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ عَزِيزٌ عَلَى أَنْ كَتَبَ إِلَى أَحَدٍ مِنْ بَيْتِ الْخِلَافَةِ يَغْيِرُ كَلَامَ الْإِمْرَةِ وَسَلَامَهَا ، غَيْرَ أَنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ مَايُلْقَاكَ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْأَنَا وَالنَّظَرَةِ كَانَ كَمَا بَلَغَنِي فَكَثِيرٌ مَا كَتَبْتُ بِهِ قَلِيلٌ^(٤) لَكَ ، وَإِنْ يَكُنْ غَيْرَ ذَلِكَ فَالسَّلَامُ عَلَيْكَ أَيَّهَا الْأَمِيرُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ . وَقَدْ كَتَبْتُ فِي أَسْفَلِ كِتَابِي أَبِيَّاتٍ فَتَدَبَّرُهَا :

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « عَمَلُكَ » .

(٢) النَّكْرُ : الْأَمْرُ الشَّدِيدُ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « مَا يَحْبُبُ » .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « فَقْلِيلٌ . . . كَثِيرٌ » .

رُكوبُكَ الْهَوْلَ مَالِمْ تُلْفٌ^(١) فُرْصَتَهُ
 جَهَلٌ رَمَى بَكَ بِالْإِقْحَامِ تَغْرِيرٌ
 أَهُونٌ بَدْنِيَا يُصِيبُ الْخَطَئُونَ بِهَا
 حَظٌّ الْمُصَيْبِينَ وَالْمَغْرُورُ مَغْرُورٌ
 فَلَنْ يُذْمَمْ لِأَهْلِ الْحَزْمِ تَدْبِيرٌ
 فَإِنْ ظَفَرَتْ مُصِيبَةً أَوْ هَلَكَتْ بِهِ
 وَإِنْ ظَفَرَتْ عَلَى جَهَلٍ فَقَرْتَ بِهِ
 قَالُوا جَهَولٌ أَعْانَتْهُ الْمَقَادِيرُ

فصل للحسن بن وهب : أما بعد ، فالحمد لله مُتَمَّم النعم برحمته ، الهادي إلى
شُكْرِه بفضلِه ، وصَلَى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد عَبْدِه وَرَسُولِه ، الَّذِي جَمَعَ لَهُ مِن
الفضائل مَا فَرَقَهُ فِي الرَّوْسَل قَبْلَهُ ، وَجَعَلَ تُرَاثَه راجِعًا إِلَى مَن خَصَّهُ بِخَلَافَتِه ،
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

فصل لعمرو بن حمر الجاحظ

منها فصول في عتاب : أما بعد ، فإن المكافأة بالإحسان فريضة ،
والتفضل على [غير] ذوى الإحسان نافلة .

جاحدا .
١٥
أما بعد ، فإن العقل والهوى ضدان ، فقرين العقل التوفيق ، وقرين
الهوى الخذلان ، والنفس طالبة ، فبما يهم ما ظفرت كانت في حزبه .
أما بعد ، فإن الأشخاص كالأشجار ، والحركات كالأغصان ، والألفاظ
كالمثار .

٢٠ أما بعد ، فإن القلوب أوعية ، والعقول معدن ، فما في الوعاء ينفذ إذا لم يُعده المعدن .

(١) في بعض الأصول: « تلق » .

(٢) فـ بعض الأصول : فـ لها .

أما بعد ، فـكـفى بالتجارب تـأـديـباً ، وـبـتـقـلـبـ الأـيـامـ عـظـةـ ، وـبـأـخـلـاقـ مـنـ عـاـشـرـتـ مـعـرـفـةـ ، وـبـذـكـرـكـ الـمـوتـ زـاجـراـ .

أما بعد ، فإن أحتمال الصبر على لذع الغضب أهون من إطفاءه بالشتم والقدح .

أما بعد ، فإن أهل النظر في العواقب أولوا الأستعداد للنواب ، وما عَظَمَتْ

نِعْمَةٌ^(١) أُمْرِيَّ إِلَى أَسْتَغْرِقَ الدُّنْيَا هَمْتُهُ ، وَمَنْ فَرَغَ لِطَامِبِ الْآخِرَةِ شُغْلَهُ جَعَلَ
الْآيَامِ مَطَايَا عَمَلِهِ ، وَالْآخِرَةَ مَقِيلٌ مُرْتَحِلٌ .

أما بعد ، فإن الاهتمام بالدنيا غير زائد في الرزق والأجل ، والأسْتَغْنَاءُ غير
ناقص للمقادير .

أما بعد ، فإنه ليس كل من حلم^(٢) أمسك ، وقد يُسْتَجْهَلُ^(٣) الحليم
حين يستخفه المُجْرِي^(٤) .

أما بعد : فإن أحببت أن تَمْ لَكَ المِقَةُ في قلوب إخوانك ، فاستقل كثيراً
مَا تُولِيهِمْ .

أما بعد ، فإن أنظر الناس في العاقبة من لطف حتى كف حرب عدوه
بالصفح والتجاوز ، وأستقل حقدَه بالرُّفُق والتَّحَبَّب .

وكتب إلى أبي حاتم السجستاني ، وبلغه عنه أنه نال منه : أما بعد ، فلو
كفتَ عَنَّا من غَرْبَك لَكُنَا أَهْلًا لِذَلِكَ مِنْكَ ، والسلام . فلم يُعُد أبو حاتم
إلى ذكره بقبيح .

وله فصول في وصاة : أما بعد ، فإن أحقَّ مَنْ أسعفَتَهُ في حاجته ،
وأجبته إلى طِبِّيقَتِه ، مَنْ توسلَ إِلَيْكَ بالأَمْلَ ، وَنَزَعَ حُوكَ الْوِجَاءِ .

(١) في بعض الأصول : « بغية » .

(٢) في بعض الأصول : « علم » .

(٣) يقال : أستجهله ، إذا حلَّهُ على شيءٍ ليس من خلقه فيغضبه .

(٤) في بعض الأصول : « يستحق المجران » .

أما بعد ، فما أَبْقَى الْأَحْدُوْنَةِ مِنْ مُسْتَمْنِحِ حَرْمَتَهُ ، وَطَالِبٌ حَاجَةٌ رَدَدَتَهُ ،
وَمُثَابٌ حَجَبَتَهُ ، وَمُنْبَسْطٌ إِلَيْكَ قَبْضَتَهُ ، وَمُقْبَلٌ إِلَيْكَ بِعْنَانَهُ لَوْيَتَ عَنْهُ .
فَتَذَبَّتَ فِي ذَلِكَ ، وَلَا تُطِيعُ كُلَّ حَلَافٍ مَهِينَ ، هَمَازٌ مَشَاءٌ بِنَفْسِيْمِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ فَلَانًا أَسْبَابُهُ مَتَّصِلَةٌ بِنَا ، يُلْزِمُنَا ذِمَامُهُ عِنْدَنَا بُلُوغٌ مَوْافِقَتِهِ
مِنْ أَيْدِيكَ ، وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ التَّقْيَةِ مِنْ مُكَافَأَتِهِ . فَأَوْلَانَا فِيهِ مَا نَعْرِفُ بِهِ ٥
مَوْقِعَنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ ، وَيَكُونُ مُكَافَأَةً لِحَقِّهِ عَلَيْنَا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ أَتَانَا كِتَابُكَ فِي فَلَانَ ، وَلَهُ لَدِينَا مِنَ الدَّمَامِ مَا يُلْزِمُنَا
مُكَافَأَتَهُ وَرِعَايَةَ حَقِّهِ ، وَنَحْنُ مِنَ الْعَنَایَةِ^(١) بِأَمْرِهِ عَلَى مَا يُكَافِ^(٢) حَرْمَتَهُ ،
وَيُؤْدِي شَكْرَهُ .

وَلَهُ فَصُولُ فِي اسْتِجَازٍ وَعَدْ : أَمَّا بَعْدُ ، فَقَدْ رَسَفْنَا فِي قِيُودِ مَوَاعِيدِكَ ، ١٠
وَطَالَ مُقَامُنَا فِي سُجُونِ مَطْلَكَ ، فَأَطْلَقْنَا - أَبْقَاكَ اللَّهُ - مِنْ ضِيقِهَا وَشَدِيدِ
غَمْهَاهَا ، بِـ « نَعَمْ » مِنْكَ مُثْمَرَةً أَوْ « لَا » مُرِيَحَةً .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنْ شَجَرَةَ مَوَاعِيدِكَ قَدْ أُورَقتَ ، فَلَيْكَنْ ثُرُّهَا سَالِمًا مِنْ
جَوَائِحِ الْمَطْلِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ سَحَابَ وَعْدَكَ قَدْ بَرَقَتَ ، فَلَيْكَنْ وَبْلَهَا سَالِمًا مِنْ صَوَاعِقِ
الْمَطْلِ وَالْاعْتَلَالِ . ١٥

وَلَهُ فَصُولُ فِي ارْتِعْنَادِ : أَمَّا بَعْدُ ، فَنِعْمَ الْبَدِيلُ مِنَ الْزَلَةِ الْأَعْتَدَارِ ،
وَبَئْسُ الْعِوضُ مِنَ التَّوْبَةِ الإِصرَارِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَحَقَّ مِنْ عَطْفَتِهِ عَلَيْهِ بِحَلْمِكَ مَنْ لَمْ يَتَشَفَّعْ إِلَيْكَ بِغَيْرِكَ . ٢٤٤
أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّهُ لَا عَوْضٌ مِنْ إِخْانِكَ ، وَلَا خَلْفٌ مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ ، وَقَدْ
انْتَقَمَ مِنِّي فِي زَلَّتِي بِجَفَاؤِكَ ، فَأَطْلَقَ أَسِيرَ تَشْوِقِي إِلَى لِقَائِكَ . ٢٠

(١) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « الْمُعْتَبَةُ » .

(٢) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « مَا كَانَ فِي » .

١٠ أما بعد ، فإنني بمحبتي بمحبتك ^(١) حلمك ، وغاية عفوك ، ضممت لنفسى العفو من زلتها عندك .

أما بعد ، فإنَّ مَنْ جَحِدَ إِحْسَانَكَ بِسُوءِ مَقَالَتِهِ فِيكَ مُسْكَدٌ بِنَفْسِهِ يَبْدُو لِلنَّاسِ مِنْهُ .

١١ أما بعد ، فقد مَسَّنِي مِنَ الْأَلْمِ بِقَطْعِيْتُكَ مَا لَا يَشْفِيهِ غَيْرُ مُوَاصِلَتِكَ ، مع حَبْسِكَ الْأَعْتَذَارَ مِنْ هَفْوَتِكَ ؛ وَإِنْ كُنْ ذَنْبِكَ تَغْتَفِرْهُ مُودَّتِكَ ، فَأَمَّا عَلَيْنَا بِصَلَتِكَ تَكُنْ بَدْلًا مِنْ مَسَاءَتِكَ ، وَعِوْضًا مِنْ هَفْوَتِكَ .

١٢ أما بعد ، فلا خيرَ فيمن أَسْتَغْرَقَتْ مَوْجَدَتُهُ عَلَيْكَ قَدْرَكَ عَنْهُ ، وَلَمْ يَتَسَعْ لِهُنَّاتِ الْإِخْوَانِ [صِدْرُهُ] .

١٣ أما بعد ، فإنَّ أَوْلَى النَّاسِ عِنْدِي بِالصَّفَحِ مَنْ أَسْلَمَهُ إِلَى مِلَكِ الْتَّمَاسِ رِضَاكَ مِنْ غَيْرِ مَقْدَرَةِ مِنْكَ عَلَيْهِ .

١٤ أما بعد ، فإنَّ كُنْتَ ذَمَمَتِنِي عَلَى الإِسَاءَةِ فَلَمْ رَضِيتْ لِنَفْسِكَ الْمَكَافَافَةَ .

وله فَصُولُ فِي التَّعَازِي : أما بعد ، فإنَّ الْمَاضِيَ قَبْلَكَ الْباقِ لَكَ ، وَالْباقِ بَعْدَكَ الْمَأْجُورُ فِيكَ ، وَإِنَّمَا يُؤْفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

١٥ أما بعد ، فإنَّ فِي اللَّهِ الْعَزَاءَ مِنْ كُلِّ هَالَكَ ، وَالْخَلْفُ مِنْ كُلِّ مُصَابٍ ، وَإِنَّهُ مَنْ لَمْ يَتَعَزَّ بِعَزَاءِ اللَّهِ تَنْقُطْعِ نَفْسُهُ عَلَى الدُّنْيَا حَسْرَةً .

١٦ أما بعد ، فإنَّ الصَّبَرَ يَعْقِبُهُ الْأَجْرُ ، وَالْجَزْعَ يَعْقِبُهُ الْهَلْعُ ، فَتَمَسَّكَ بِحَظْكَ مِنَ الصَّبَرِ تَنَلَّ بِهِ الذَّى تَطْلُبُ ، وَتُدْرِكَ بِهِ الذَّى تَأْمُلُ .

١٧ أما بعد ، فقد كفى بِكِتَابِ اللَّهِ وَاعْظَمَاً ، وَلَذَوِي الْأَلْبَابِ زَاجِرًا ، فَعَلِمَكَ بِالْتَّلَاقِ تَنْجُ مَا أَوْعَدَ اللَّهُ [بِهِ] أَهْلَ الْمَعْصِيَةِ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بِلَوْغٍ » .

صَدْرُ الرَّبِيعِيَّةِ : وَفَقَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالظَّفَرِ فِيمَا قَلَدَهُ وَأَيَّدَهُ ، وَأَصْلَحَ
بَهُ وَعَلَى يَدِيهِ — أَكْرَمَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالظَّفَرِ ، وَأَيَّدَهُ بِالنَّصْرِ فِي دَوَامِ
نِعْمَتِهِ ، وَحَاطَ الرُّعَيَا بِطُولِ مَدَّتِهِ .

صَدْرُ الرَّبِيعِيَّةِ : مَتَّعَ اللَّهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِطُولِ مُدَّةِ الْأَمِيرِ ،
وَأَجْرَى عَلَى يَدِيهِ فَعْلَ الجَيْلِ ، وَآنَسَ بِوْلَايَتِهِ الْمُؤْمِنِينَ — مَدَّ اللَّهُ لِلْأَمِيرِ
النِّعْمَةِ ، وَأَسْعَدَ بِطُولِ عُمْرِهِ الْأَمْمَةَ ، وَجَعَلَهُ غِيَاثًا وَرَحْمَةً — أَكْمَلَ اللَّهُ لَهُ
السَّكْرَامَةَ ، وَحَاطَهُ بِالنِّعْمَةِ وَالسَّلَامَةِ ، وَمَتَّعَ بِهِ الْخَاصَّةَ وَالْعَامَّةَ — مَتَّعَ اللَّهُ
بِسَلَامِكَ أَهْلَ الْحُرْمَةِ ، وَجَمَعَ لَكَ شَمْلَ الْأَمْمَةِ ، وَأَسْتَعْمَلُكَ بِالرَّأْفَةِ
وَالرَّحْمَةِ .

صَدْرُ الرَّبِيعِيَّةِ : أَنْصَفَ اللَّهُ بَكَ الظَّالِمَ ، وَأَغَاثَ بَكَ الْمَهْوَفَ ، ١٠
وَأَيَّدَكَ بِالتَّثْبِيتِ ، وَوَفَّقَكَ لِلصَّوَابِ — أَرْشَدَكَ اللَّهُ بِالْتَّوْفِيقِ ، وَأَنْطَقَكَ بِالصَّوَابِ ،
وَجَعَلَكَ عِصْمَةً لِلَّدَّيْنِ ، وَحَصَنَنَا الْمُسْلِمِينَ — أَعْانَكَ اللَّهُ عَلَى مَا قَلَدَكَ ، وَحَفَظَ
لَكَ مَا أَسْتَعْمَلَكَ بِمَا يُرْضِي مِنْ فَعْلَكَ — سَدَّدَكَ اللَّهُ وَأَرْشَدَكَ ، وَأَدَمَ لَكَ فَضْلَ
مَا عَوَدَكَ — زَادَكَ اللَّهُ شَرْفًا فِي الْمَنْزِلَةِ ، وَقَدْرًا فِي قُلُوبِ الْأَمْمَةِ ، وَزُلْفَةً عِنْدِ
الْخَلِيفَةِ — نَصَرَ اللَّهُ بِعَدْلِكَ الظَّالِمَ ، وَكَشَفَ بَكَ كُرْبَةَ الْمَهْوَفِ ، ١٥
وَأَعْانَكَ عَلَى أَدَاءِ الْحُقُوقِ .

صَدْرُ الرَّبِيعِيَّةِ : أَهْمَكَ اللَّهُ الْحُجَّةَ ، وَأَيَّدَكَ بِالتَّثْبِيتِ ، وَرَدَّ بَكَ الْحُقُوقِ .
— أَهْمَكَ اللَّهُ الْأَعْتِصَامَ بِحَبْلِهِ بِالْعِلْمِ ، وَالتَّثْبِيتَ فِي الْحُكْمِ — أَهْمَكَ اللَّهُ
الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخُطَابَ ، وَجَعَلَكَ إِمَامًا لِذُوِّ الْأَلْبَابِ — زَيَّنَ اللَّهُ بِفَضْلِكَ
الزَّمَانَ ، وَأَنْطَقَ بِشُكْرِكَ الْإِسْلَامَ ، وَبَسَطَ يَدَكَ فِي اصْطِنَاعِ الْمَعْرُوفِ ، وَأَدَمَ ٢٠
اللَّهُ لَكَ الْإِفْضَالَ ، وَحَقَّ فِيكَ الْآمَالَ .

صَدْرُ الرَّبِيعِيَّةِ : جَعَلَ اللَّهُ لَكَ الْعِلْمَ نُورًا فِي الطَّاغَةِ ، وَسَبِيلًا إِلَى النَّجَاهَةِ ،

وزانة عند الله - نفع الله بعلمك المستفیدین ، وقضى بك حوانج المتحرّمین ^(١) ، وأوضح بك سُنن الدین ، وشرائع المسلمين - أدام الله لك التطوّل بإسعاف الراغب ، وأنجح بك حاجة الطالب ، وأمّنك مکروه العاقد .

^{٢٤٥}
٢
صادر إلى أهواه : مَقْعَدُ اللَّهِ أَبْصَارُنَا بِرُؤْيَاكَ ، وَقَلُوبُنَا بِدَوَامِ أَفْتِكَ ،
٥ ولا أَخْلَانَا مِنْ جَمِيلِ عِشْرِتِكَ ، وَوَهْبَ لَكَ مِنْ كَرِيمِ نَفْسِكَ بِحَسْبِ مَا تَنْطَوِي
عليه مودّتك ، وأبْهَجَ اللَّهُ إِخْوَانَكَ بِقُرْبِكَ ، وَجَمَعَ أَفْتَهُمْ بِالْأَنْسِ بَكَ ، وَصَرَفَ
الله عن أَفْقَنَا عَوَاقِبَ الْقَدَرِ ، وأَعَادَ صَفْوَ إِخْائِنَا مِنَ السَّكَرِ ، وَجَعَلَنَا مِنْ أَنْمَمِ
الله عليه فَشَّـكَرَ - مَنْ الله عَلَيْنَا بِطُولِ مُدْتِكَ ، وَآنْسِ أَيَامِنَا بِمُواصِلِتِكَ ،
وهنَّا نَفْعَمَةً بِسَلَامَتِكَ - قَرَبَ اللَّهُ مِنَّا مَا كُنَّا نَأْمُلُ مِنْكَ ، وَجَمَعَ شَمْلَ
١٠ الشَّرُورِ بَكَ - نَزَّهَ اللَّهُ بِقُرْبِكَ الْقُلُوبَ ، وَبِرُؤْيَاكَ الْأَبْصَارَ ، وَبِحَدِيثِكَ
الْأَسْمَاعِ - أَقْبَلَ اللَّهُ بَكَ عَلَى أَوْدَائِكَ ، وَلَا أَبْتَلَاهُمْ بِطُولِ جَفَائِكَ - أَدَالَ
الله حِرْصَنَا مِنْ فُتُورِكَ عَنَا ، وَرَغْبَتِنَا فِيهِكَ ^(٢) مِنْ تَقْصِيرِكَ فِي أَمْرَنَا - حَفَظَ اللَّهُ
لَنَا مِنْكَ مَا أَوْحَشَنَا فَقْدُهُ ، وَرَدَ إِلَيْنَا مَا كُنَّا نَأْلَفُهُ وَنَعْهُدُهُ - رَحْمَ اللَّهُ
فَاقَةَ الْحَنَينِ إِلَيْكَ ، وَمَا بَيْنَ مِنْ تَبَارِيْحِ الْحُزْنِ عَلَيْكَ ، وَجَعَلَ حُرْمَتِنَا
١٥ مِنْكَ ، الشَّفَيعَ لَدِيكَ - يَسِّرَ اللَّهُ لَنَا مِنْ صَفَحِكَ مَا يَسِّعُ تَقْصِيرِنَا ، وَمِنْ
حَلْمِكَ مَا يَرِدُ سُخْطَكَ عَنَا - زَيَّنَ اللَّهُ أَفْقَنَا بِمُعاوِدَةِ صِلَتِكَ ، وَاجْتَمَعْنَا
بِزِيارتِكَ - أَعَادَ اللَّهُ عَلَيْنَا مِنْ إِخَائِكَ وجَمِيلِ رَأْيِكَ مَا يَكُونُ مَعْهُودًا
مِنْكَ ، وَمَأْلُوفًا لَكَ .

صادر في عتاب : أَنْصَفَ اللَّهُ شَوْقَنَا إِلَيْكَ مِنْ جَفَائِكَ لَنَا ، وَأَخْذَ
٢٠ لَبَرَّنَا بَكَ مِنْ تَقْصِيرِكَ عَنَا .

(١) يقال : تحرم منه بحرمة ، أي تقنع وتحمى بذمة .

(٢) في بعض الأصول : « عنك » .

(١) وكثب معاوية إلى عمرو بن العاص ، وبلغه عنه أمر : وفتك الله لرشدك . بلغنى كلامك فإذا أوله بطر ، وآخره خور ، ومن أبطره الغنى أذله الفقر ، وها ضدان مخادعان الماء عن عقله ، وأولى الناس بمعرفة الدواء من يَبيِّن له الداء ، والسلام . فأجابه : طاولتك الفعم وطاولت بك . علو إنصافك يُؤمِّن سطوة جورك ، ذكرت أنني نطقت بما تَكْرَه ، وأنا مخدوع ، وقد علمت أنني مللت إلى محبتك ولم أخدع ، ومثلك من شَكْر سعي مُعتذر ، وعفازلة مُعْتَرَف (٢) .

(١) هذا الكلام إلى آخر الباب لا يندرج تحت العنوان الذي هو « فصل لعمرو ابن بحر الجاحظ » .

(٢) في بعدها : « تم الجزء الثامن والعشرون من كتاب العقد ، وهو باقي كتاب المحببة الثانية في التوقعات بمحمد الله وعونه من تجزئة حسين جزءاً وهو السادس من الفرع . يتلوه الجزء التاسع والعشرون من كتاب العقد كتاب المسجدة الثانية في أيام الخلفاء وتواريختهم وأيامهم من تجزئة حسين جزءاً » .

فرش كتاب العسجدة الثانية

في الخلفاء وتواریخهم وأخبارهم

قال الفقيه أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربہ رحمه الله : قد مضى لنا قولنا في التوقيعات والفصول والصدور والكتابة ، وهذا كتاب لفناه في أخبار الخلفاء وتواریخهم وأیامهم ، وأسماء كتبهم وحجاجهم .

أخبار الخلفاء

نسب المصطفى صلی الله علیه وسلم

روى أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله بن أبي سيف ^(١) عن أشياخه : هو محمد رسول الله صلی الله علیه وسلم ابن عبد الله بن عبد المطلب ^(٢) بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي ^(٣) بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهز بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة ^(٤) بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان . وأمه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب .

صون النبي صلی الله علیه وسلم — قالوا : ولد رسول الله صلی الله علیه وسلم عام الفيل لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربیع الأول . وقال بعضهم : لليلتين خلتا منه . وقال بعضهم : بعد الفيل بثلاثين يوماً . فهذا جمع ما اختلفوا فيه عن مولده ^(٥) . وأوحى الله إليه وهو ابن أربعين عاماً . وأقام بمكة عشرة ، وبالمدینة

(١) كما في فهرست ابن النديم . وفي أنساب السمعاني (ص ٥١٥) : « أبي شعيب » وفالأصول : « أبي يوسف » . (٢) اسم عبد المطلب : شيبة ، وقيل عاص .

(انظر السيرة لابن هشام والمغارف وشرح المواهب اللدنية ج ١ ص ٢٨١) .

(٣) اسم هاشم : عمرو . واسم عبد مناف : المغيرة . واسم قصي : زيد .

(٤) اسم فهر : قريش ؟ وقيل بل فهر اسمه وقريش لقب له . واسم النضر : قيس .

واسم مدركة : عاص . (٥) في بعض الأصول : « في مولده » .

عشرًا . وقال ابن عباس : أقام بمكة خمس عشرة وبالمدينة عشرة . والمجمع عليه أنه أقام بمكة ثلاثة عشرة وبالمدينة عشرة .

البُوْم والشَّرَرُ الَّذِي هَاجَرَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ لِثَلَاثَ عَشَرَةَ خَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَمَاتَ يَوْمَ الْأَثْنَيْنِ لِثَلَاثَ عَشَرَةَ خَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، الْيَوْمُ وَالشَّهْرُ الَّذِي هَاجَرَ فِيهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

^٥ ^{٢٤٦} ^٢ جعلنا الله من يرد حوضه ، وينال مرافقته في أعلى عليين من درجات الفِرْدُوس ، وأسائل الله الذي جعلنا من أمته ولم تره أن يقوانا على ملته ، ولا يحرمنا رؤيته في الدنيا والآخرة .

صَفَّةُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - رَبِيعَةُ بْنَ [أَبِي] عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، عَنْ أَنْسِ بْنِ مَالِكٍ ، قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبِيضَ ، مُشَرِّبًا بُحْرَةً^(١) ، ضَخْمَ الرَّأْسِ ، أَزْجَ^(٢) الْحَاجِبِينَ ، عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ ، أَدْعِجَ أَهْدَبَ^(٣) ، شَنْ^(٤) الْكَفَّيْنِ وَالْقَدَمَيْنِ . إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ كَانَمَا يَنْحِطُ مِنْ صَبَّابَ ، وَيَمْشِي فِي صُدُّ كَانَمَا يَتَقْلِعُ مِنْ صَبَّاحَ . إِذَا التَّفَتَ التَّفَتَ جَمِيعًا . لَيْسَ بِالْجَعْدِ الْقَطَطِ وَلَا السَّبَطِ^(٥) .

ذَا وَفْرَةٍ إِلَى شَحْمَةِ أَذْنِيهِ . لَيْسَ بِالْطَّوَيلِ الْبَاهْنِ ، وَلَا بِالْقَصِيرِ الْمُتَطَاهِنِ . عَرْفَهُ أَطِيبُ مِنَ الْمَسَكِ الْأَذْفَرِ . لَمْ تَلِدِ النِّسَاءُ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مَثَلَهُ . بَيْنَ كَتْفَيْهِ خَاتَمُ النَّبُوَةِ كَبِيَّضَةُ الْحَمَامَةِ . لَا يَضْحِكُ إِلَّا تَبَشَّهَا . فِي عَنْفَقَتِهِ شَعَرَاتٌ بَيْضَ لَا تَكَادُ تَبَيَّنُ .

وَقَالَ أَنْسُ بْنُ مَالِكٍ : لَمْ يَبْلُغِ الشَّيْبُ الَّذِي كَانَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشْرِيْنَ شَعْرَةً . وَقِيلَ لَهُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، عَجَّلْ عَلَيْكَ الشَّيْبَ . قَالَ : شَيْبِتَنِي هُودٌ وَأَخْوَاتُهَا .

هَبِيْتُ النَّبِيِّ وَقَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كَانَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ، وَيَلْبِسُ الْعَبَاءَةَ ، وَيُجَالِسُ الْمَسَاكِينَ ، وَيَقْعُدُ الْقُرْفَصَاءَ ، وَيَتَوَسَّدُ يَدَهُ ، وَيَلْعُقُ أَصَابَعَهُ^(٦) .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بُحْرَةً » . (٢) الزَّجْجَ في الْحَاجِبِينَ : دَقْتَهُمَا فِي طَوْلِ .

(٣) أَدْعِجَ : أَسْوَدُ الْعَيْنِ وَاسْعَهَا . وَأَهْدَبَ : كَثِيرُ أَشْعَارِ الْعَيْنَيْنِ .

(٤) شَنْ : غَلِيظَ .

(٥) الْجَعْدُ : الْقَصِيرُ ، وَكَذَلِكَ الْقَطَطُ . وَالْسَّبَطُ (بِالْفَتْحِ وَيَحْرُكُ وَكَكْتَفٍ) نَقِيضُ الْجَعْدِ .

(٦) زَيْدَ فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ بَعْدَ قَوْلِهِ « أَصَابَعَهُ » : « وَيَقْضِي مِنْ نَفْسِهِ » .

ولا يأكل مُنكنا ، ولم يُرقط ضاحكاً ملء فيه . وكان يقول : إنما أنا عبد آكل كا يأكل العبد ، وأشرب كا يشرب العبد ، ولو دعيت إلى ذراع لأجبت ، ولو أهدى إلى كُراع لقبلت .

شرف بيت النبي صلى الله عليه وسلم — قال النبي صلى الله عليه وسلم :
 ٥ أنا سيد البشر ولا فخر ، وأنا أفعى العرب ، وأنا أول من يقرع باب الجنة ،
 وأنا أول من ينشق عنه التراب . دعا إلى إبراهيم ، وبشر بي عيسى ، ورأى
 ١٠ أهي حين وضعتني نوراً أضاء لها ما بين المشرق والمغارب . وقال صلى الله عليه
 وسلم : إن الله خلق الخلق فجعلني في خير خلقه ، وجعلهم فرقاً فجعلني في خيرهم
 فرقه ، وجعلهم قبائل فجعلني في خير قبيلة ، وجعلهم بيوتاً فجعلني في خير بيت ؛
 ١٥ فأنا خيركم بيتاً وخيركم نسماً . وقال صلى الله عليه وسلم : أنا ابن الفواطم
 والعواتك من سليم ، وأسترضعت في بني سعد بن بكر . وقال : نزل القرآن بأعراب
 اللغات ، فكل العرب فيه لغة ، ولبني سعد بن بكر سبع لغات . وبنو سعد
 ابن بكر بن هوازن أفعى العرب ، فهم من الأعجاز ، وهي قبائل من مضر متفرقة ،
 وكانت ظهر النبي صلى الله عليه وسلم التي أرضعته حليمة بنت أبي ذؤيب ،
 ٢٠ من بني ناصرة [بن قصيّة بن نصر] بن سعد بن بكر بن هوازن . وإخوته
 في الرضاعة : عبد الله بن الحارث ، وأنيسة بنت الحارث ، وخدامة^(٢) بنت
 الحارث ، وهي التي أتى بها النبي صلى الله عليه وسلم في أسرى حنين ، فبسط لها

(١) في القاموس (مادة فطم) : « الفواطم : اللاتي ولدن النبي صلى الله عليه وسلم قرشية وقيسيتان ويمانيتان وأزدية وخزاعية ». ثم في مادة (عترك) : « والعواتك في جدات النبي صلى الله عليه وسلم تسع ، ثلات من سليم : بنت هلال بن فالج أم والد هاشم ، وبنت مرة بن هلال أم هاشم ، وبنت الأوقص بن مرة بن هلال أم وهب بن عبد مناف . والبواقي من غير بني سليم » .

(٢) كذا في بعض الأصول والإصابة ، وهي بكسر الحاء المعجمة ، كما نبه على ذلك السهيلي وأبوذر . وفي السيرة : « حذافة ». وقد ذكرها أيضاً السهيلي وأبوذر وابن حجر على أنها رواية أخرى ، وزاد أبوذر أنها هي الصواب . وفي الطبرى والطبقات : « جدامه » بالجيم والدال المهملتين . وفي سائر الأصول : « جذامة » ،

رداه ووهب لها أسرى قومها . والعواتك من سليم ثلات : عاتكة بنت [مُرّة] أبن [هلال] ، ولدت هاشماً وعبد شمس ونوفلا^(١) ؛ وعاتكة بنت الأوقص بن هلال ، ولدت وَهْب بن عبد مناف بن زهرة ؛ وعاتكة بنت [هلال بن] فاج^(٢) . وقال على لأشعث إذ خطب إليه : أَغْرِكَ ابْنُ أَبِي قَحَافَةَ إِذْ رَوَجَكَ أُمُّ فَرَوَةَ^(٣) ، وإنها لم تكن من الفواطم من قريش ، ولا العواتك من سليم .

^٥ أبو النبي صلى الله عليه وسلم — عبد الله بن عبد المطلب ، ولم يكن له ولد غيره ، صلى الله عليه وسلم ، وتوفي وهو في بطنه أمه . فلما ولد كفله جده عبد المطلب إلى أن تُوفى ، فكفله عمّه أبو طالب ، وكان أخا عبد الله لأمه وأبيه ، فمن ذلك كان أشفق أعمام النبي صلى الله عليه وسلم عليه وأولاده . وأمّا أعمام النبي صلى الله عليه وسلم وعماته ، فإن عبد المطلب بن هاشم كان له من الولد لصلبه عشرة من الذكور وستة من الإناث . وأسماء بناته : عبد الله ، والد النبي عليه الصلاة والسلام ، والزبير ، وأبو طالب ، وأسمه عبد مَنَاف ، والعباس ، وضرار ، ومحزنة ، والمُقوّم ، وأبومَه ، وأسمه عبد العزى ، والحارث ، والغيداق ، وأسمه حَجْل^(٤) ، ويقال نَوْفَل . وأسماء بناته ، عمّات النبي صلى الله عليه وسلم : عاتكة ، والبيضاء ، وهي أم حكيم ، وبَرَّة ، وأميما ، وأروى ، وصفية .

^{١٥} ولد النبي صلى الله عليه وسلم — ولد له من خديجة : القاسم والطيب وفاطمة وزينب ورقية وأم كلثوم . وولد له من مارية القبطية : إبراهيم . فجُمِعَ ولده من خديجة غير إبراهيم .

^{٢٠} أزواجه صلى الله عليه وسلم — أولهن خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى ، ولم يتزوج عليها حتى ماتت . ثم تزوج سودة بنت زمعة ، وكانت

(١) في السيرة لابن هشام : « المطلب » . وفيها أيضاً أن « نوفلا » أمه واقدة بنت عمرو المازنية .

(٢) في الأصول : « فاتع » . انظر الحاشية (رقم ١ ص ٢٥١) من هذا الجزء ، والطبرى .

(٣) كذا فيها سيراتي في الأصول والمأرف والطبرى والاستعباب . وهي أم فروة بنت

^{٢٥} أبي قحافة ، أخت أبي بكر ، أم محمد بن الأشعث . وفي الأصول هنا : « أم وفرة » .

(٤) ويقال إن اسم حجل : المغيرة . (انظر القاموس وشرحه مادة حجاج) .

تحت السكران بن عمرو ، وهو من مهاجرة الحبشة ، فمات ولم يعقب ، فتزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعده . ثم تزوج عائشة بنت أبي بكر بكرًا ، ولم يتزوج بكرًا غيرها ، وهي ابنة سرت ، وأبنتي عليها ابنة تسع ^(١) ، وتوفى عنها وهي ابنة ثمان عشرة سنة ، وعاشت بعده إلى أيام معاوية ، وماتت سنة ثمان وخمسين وقد قاربت السبعين ، ودفنت ليلا بالبقاء ، وأوصت إلى عبد الله بن الزبير . وتزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب ، وكانت تحت خنيس بن ^(٢) حذافة الشهري ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسله إلى كسرى ، ولا عقب له . ثم تزوج زينب بنت خزيمة ، من بني عامر بن صعصعة ، وكانت تحت عبيدة بن الحارث ابن عبد المطلب ، أول شهيد كان بيدر . ثم تزوج زينب بنت جحش الأسدية ، وهي بنت عممة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي أول من مات من أزواجها في خلافة عمر . ثم تزوج أم حبيبة ، وأسمها رملة بنت أبي سفيان ، وهي اخت معاوية ، وكانت تحت عبيدة بن جحش الأسدى ، فتنصر وما مات بأرض الحبشة . وتزوج أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة الخزومي ، وكانت تحت أبي سلمة ، فتوفى عنها ولها منها أولاد ، وبقيت إلى سنة تسع وخمسين . وتزوج ميمونة بنت الحارث ، من بني عامر بن صعصعة ، وكانت تحت أبي رهم ^(٣) العاصي ^(٤) . وتزوج صفية بنت حبيبة بن أخطب النضرية ، وكانت تحت رجل من يهود خيبر ، يقال له كنانة ^(٤) ، فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنقه وسبى أهله . وتزوج جويرية بنت الحارث ، وكانت من سبئي بنى المصطلق . وتزوج خولة بنت حكيم ، وهي التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ^(٥) .

٢٠ (١) انظر السيرة لابن هشام .

(٢) في بعض الأصول : « خنيس بن عبد الله بن خدامه » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والسيرة والطبرى .

(٣) في الأصول : « أبي سمرة بن أبي رهم » . وما أثبتنا عن السيرة والطبرى .

(٤) هو كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق .

(٥) قيل إن التي وهبت نفسها هي ميمونة بنت الحارث ، وقيل أم شريك الأزدية .
انظر السيرة والمعارف) .

وتزوج أمرأة يقال لها عُمرَة ، فطلّقها ولم يَبْنَ بها ، وذلك أن أباها قال له : وأزيدك أنها لم تُعرض قط . فقال : ما هذه عند الله من خَيْر ، فطلّقها . وتزوج أمرأة يقال لها : أمِيمَة^(١) بنت النعمان ، فطلّقها قبل أن يَطأها . وخطب أمرأة من بنى مُرَّة بن عَوْف ، فردها أبوها ، وقال : إنَّ بها بَرَصا . فلما رجع إليها وجدها بَرَصاء .

^٥ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم وخراسه — كتاب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد بن ثابت ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وحنظلة بن الربيع الأسدى ، وعبد الله بن سعد بن أبي سرّح ، أرتد ولحق بمكة مُشركا . وحاجبه : أبوأنس^(٢) ، مولاه . وخدمه : أنس بن مالك الأنصارى ، ويكنى أبا حمزة . وخازنه على خاتمه : معيقىب بن أبي فاطمة . ومؤذناته : بلال وابن أم مكتوم . وحراسه : سعد بن زيد الأنصارى ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبي وقاص . وخاتمه فضة ، وقصه حبشي مكتوب عليه : محمد رسول الله ، في ثلاثة أسطر : محمد ، سطر ، ورسول ، سطر ، والله ، سطر . وفي حديث أنس بن مالك خادم النبي صلى الله عليه وسلم : وبه تَخْتَمْ أبو بكر وعمر ، وتَخْتَمْ به عثمان ستة أشهر ، ثم سقط منه في بئر ذى أَرْوَان^(٣) ، فطلب فلم يوجد .

^{١٥} وفاة النبي صلى الله عليه وسلم — توفى صلى الله عليه وسلم يوم الإثنين لثلاث عشرة ليلة خلت من ربىع الأول ، وحُفر له تحت فراشه في بيت عائشة . وصلى عليه المسلمون جمِيعاً بلا إمام ، الرجال ثم النساء ثم الصبيان ، ودُفن ليلة الأربعاء في جوف الليل ، ودخل القبر على ، والفضل وقُثم ، أبنا العباس ، وشُقران مولاهم ، ويقال : أسامة بن زيد ، وهم تولوا غسله وتكفينه وأمره كلَّه ، وكُفُنْ

(١) كذلك في الأصول والمعرف . والذى في السيرة والطبرى : أسماء .

(٢) في الأصول : « أبوأنسية » . والتوصيب عن شرح القاموس (مادة أنس) . ويقال : « أنسة » .

(٣) ذو أروان : بئر بالمدينة . وقد جاء فيها : ذروان ، وأروان . غير أن المجمع عليه هو أن الخاتم سقط في بئر أريس . (انظر الطبرى والطبقات ومعجم ما استعجم للبكري ومعجم البلدان لياقوت) .

في ثلاثة أبواب ببعض سَحْولية^(١) ، ليس فيها قيص ولا عمامة . وأختلف في سِنّه . فقال عبد الله ابن عباس وعائشة وجريء بن عبد الله ومعاوية : توف وهو ابن سنتين سنة . وقال عروة بن الزبير وقتادة : أثنتين وستين سنة .

نسب أبي بكر الصديق وصفته

رضي الله عنه

هو عبد الله بن أبي قحافة ، وأسم أبي قحافة عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة ، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مُرّة .

وكاتبه : عثمان بن عفان . و حاجيه : رشيد ، مولاه . وقيل : كتب له زيد بن ثابت أيضا . وعلى أمره كلّه وعلى القضاة عمر بن الخطاب ، وعلى بيت المال أبو عبيدة بن الجراح ، ثم وجهه إلى الشام . ومؤذنه : سعد القرظ ، مولى عمّار بن ياسر .

قيل لعائشة : صفي لنا أباك . قالت : كان أبيض ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، أحني لا يستمسك إزاره ، معروق الوجه ، غائر العينين ، ناق الجبهة ، عاري الأشاجع ، أقرع . وكان عمر بن الخطاب أصلع . وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكلم^(٢) . وقال أبو جعفر الانصارى : رأيت أبو بكر كان لحيته ورأسه جمر الغضى . وقال أنس بن مالك : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وليس في أصحابه أشmet^(٣) غير أبي بكر . فغلّفها بالحناء والكلم .

(١) يروى : سحولية (بالفتح) : نسبة إلى السحول ، وهو القصار ، لأنّه يدخلها ، أي يغسلها ؛ أو إلى سحول ، وهي قرية بالین . كما يروى : سحولية (بالضم) جمع سحل ، وهو الثوب الأبيض النق ، ولا يكون إلا من قطن ، وفيه شذوذ ، لأنّه نسب إلى الجمع . وقيل إن اسم القرية بالضم أيضا . (انظر النهاية لابن الأثير) .

(٢) الكلم (حركة) : بنت يخلط بالحناء ويخضب به الشعر فيبيق لونه . وإذا طبخ أصله بالماء كان مدادا للكتابة .

(٣) الأشmet : الذي يختلط بياض رأسه سواد .

وتُوفِيَ مسأله ليلة الثلاثاء ، ثماني ليالٍ بقين من جهادى الآخرة ، سنة ثلاثة عشرة من التاريخ . فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرين ليالٍ . وكان نقش خاتم أبي بكر : نعم القادر الله .

فهرفة أبي بكر رضى الله عنه — شعبية عن سعد بن إبراهيم عن عروة عن عائشة : إن النبي صلى الله عليه وسلم قال في مرضه : مروا أبا بكر فليصل بالناس . فقلت : يا رسول الله ، إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يسمع الناس من البكاء ، فمر عمر فليصل بالناس . قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت عائشة : فمر عمر ، ففعلت حفصة . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما إن كان صواحب يوسف ، مروا أبا بكر فليصل بالناس .

أبو جعدة عن الزبير قال : قالت حفصة : يا رسول الله ، إنك مررت بقدمة أبا بكر . قال : لست الذي قدمته ، ولكن الله قدّمه .

أبو سلمة عن إسماعيل بن مسلم عن أنس قال : صلى أبو بكر بالناس ورسول الله صلى الله عليه وسلم صريض سنتين أيام .

النضر بن إسحاق عن الحسن قال : قيل لعلى : علام بايعت أبا بكر ؟ فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمْت فجأة ، كان يأتيه بلال في كل يوم في مرضه يؤذنه بالصلوة ، فيما يمس أبا بكر فيصل بالناس ، وقد تركني وهو يرى مكانى ، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى المسالمون لدنياهم من رضيه رسول الله صلى الله عليه وسلم لدينهم ، فبايعوه وبايعته .

ومن حديث الشعبي قال : أول من قدم مكة ، بوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافة أبي بكر ، عبد ربه بن قيس بن السائب المخزومي ، فقال له

أبو قحافة : مَن ولي الأمر بعده ؟ قال : أبو بكر أبنُك . قال : فرضي بذلك بنو عبد مناف ؟ قال : نعم . قال : لا مانع لما أعطى الله ولا مُعطى لما منع الله .
 جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال : توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو سفيان غائب في مسعاة أخرجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أنصرف لقي رجلاً في بعض طريقه مُقبلًا من المدينة ، فقال له : مات محمد ؟
 قال : نعم . قال : فمن قام مقامه ؟ قال : أبو بكر . قال أبو سفيان : فما فعل المستضعفان على والعباس ؟ قال : جالسين . قال : أما والله لئن بقيت لها لأرفع من أعقابهما ، ثم قال : إنني أرى غيره لا يطفئها إلا دم . فلما قدم المدينة جعل يطوف في أزقتها ويقول :

١٠ بني هاشم لا تطمع الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
 فما الأمر إلا فيكم وإليكم وليس لها إلا أبو حسن على
 فقال عمر لأبي بكر : إن هذا قد قدم وهو فاعل شرًا ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسألنه على الإسلام ، فدع له ما بيده من الصدقة ، ففَعَل . فرضي أبو سفيان وبايده .

سقيفة بني ساعدة

١٥

أحمد بن الحارث عن أبي الحسن عن أبي معاشر عن المقبرى : أن المهاجرين
 بينما هم في حُجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد قبضه الله إليه ، إذ جاء
 معن بن عدى وعُويْم بن ساعدة ، فقال لأبي بكر : بابِ فتنَة إن يغلقه الله
 بك ، هذا سعد بن عبادة والأنصار يريدون أن يُبايعوه . فمضى أبو بكر
 وعمر وأبو عبيدة حتى جاءوا سقيفة بني ساعدة ، وسعد على طِنفَسَة مُتَكَبَّأ على
 وسادة ، وبه الحمى ، فقال له أبو بكر : ماذا ترى أبا ثابت ؟ قال : أنا رجل
 منكم . فقال حباب بن المنذر : منا أمير ومنكم أمير ، فإن عمل المهاجرى في

الأنصارى شيئاً رداً عليه ، وإن عمل الأنصارى في المهاجرى شيئاً رد عليه ، وإن لم تفعلوا فأنا جُذبُهم المُحكَم وعُذْيقها المُرجِب ^(١) ، لغُيدهم جَذَّعَة ^(٢) . قال عمر : فأردت أن أتكلم ، وكنت زَوَّرت كلاماً في نفسي . فقال أبو بكر : على رسُّلك يا عمر ، فما ترَكَ كلاماً كنْتُ زَوَّرْتها في نفسي إلا تكلم بها ، وقال : نحن المهاجرون ، أول الناس إسلاماً ، وأكرمُهم أحساباً ، وأوسطُهم داراً ، وأحسنُهم وجهاً ، وأمسَّهم برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رِحْمَا ، وأتم إخواننا في الإسلام ، وشرَّكاؤنا في الدين ، نَصَرْتُم وواسَّيْتُم ، بجزاكُم الله خيراً ، فنحن الأُمراء وأنتم الوزراء ، لا تَدِينُونَ الْعَرَبَ إِلاَّ هَذَا الْحَيٌّ مِنْ قُرْيَشٍ ، فلا تنفسوا على إخوانكم المهاجرين ما فضلُهم الله به ، فقد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : الأئمة من قُرْيَشٍ . وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين — يعني عمر ابن الخطاب وأبا عبيدة بن الجراح — فقال عمر : يكون هذا وأنت حي ! ما كان أحد ليؤخرك عن مقامك الذي أقامك فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثم ضرب على يده فبأيده ، وبأيده الناس وأزدحوا على أبي بكر . فقالت الأنصار : قتلت سعداً . فقال عمر : أقتلوه فقتلته الله ، فإنه صاحب فتنه . فبأيده الناس أبا بكر ، وأتوا به المسجد يُبَايِعُونَهُ ، فسمع العباس وعلى التَّكبير في المسجد ، ولم يفرُّغا من غسل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فقال على : ما هذا ؟ قال العباس : ما رُئِي مثل هذا قط ، أما قلت لك !

ومن حديث النعمان بن بشير الأنصارى : لما ثقل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تكلم الناس من يقوم بالأمر بعده ، فقال قوم : أبو بكر ، وقال قوم : أبي بن كعب . قال النعمان بن بشير : فأتيت أبىَا فقلت : يا أبي ،

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ١٨٦) من هذا الجزء .

(٢) الجذعة : الصغيرة ، وهي من الشيء ما كانت في الثانية ، ومن ذوات الحافر ما كانت في الثالثة ، ومن الإبل ما كانت في الخامسة . وإذا أطفئت حرب بين قوم فقال بعضهم : إن شئتم أعدناها جذعة ، فيعني شبّيناها من جديد .

إِنَّ النَّاسَ قَدْ ذَكَرُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحْلِفُ أَبَا بَكْرًا أَوْ إِبْرَاهِيمَ،
فَأَنْطَلَقَ حَتَّى نَفَرَطَ فِي هَذَا الْأَمْرِ . فَقَالَ : إِنَّ عَنْدِي فِي هَذَا الْأَمْرِ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا مَا أَنَا بِذَاكِرِهِ حَتَّى يَقِيمَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ ،
ثُمَّ أَنْطَلَقَ . وَخَرَجَتُ مَعَهُ حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ
الصُّبْحِ ، وَهُوَ يَحْسُو حَسْوَةً فِي قَصْعَةٍ مَشْعُوبَةٍ . فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَى أَبِيهِ فَقَالَ :
هَذَا مَا قَاتَلْتُ لَكَ . قَالَ : فَأَوْصِنَا بِنَا . نَخْرُجُ يَخْنَطُ بِرْجَاهِهِ حَتَّى صَارَ عَلَى الْمِنْبَرِ ،
ثُمَّ قَالَ : يَا مُعْشِرَ الْمُهَاجِرِينَ ، إِنَّكُمْ أَصْبَحْتُمْ تَزَيَّدُونَ ، وَأَصْبَحْتُ الْأَنْصَارُ
كَمَا هُوَ لَا تَزِيدُ ، أَلَا وَإِنَّ النَّاسَ يَكْثُرُونَ وَتَقْلِيلُ الْأَنْصَارِ حَتَّى يَكُونُوا
كَالْمِلحَ فِي الطَّعَامِ ، فَنَوْلَى مِنْ أَمْرِهِمْ شَيْئًا فَلَمْ يَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَلَيُعْفَ عنْ
١٠ مُسِينِهِمْ ، ثُمَّ دَخَلَ . فَلَمَّا تَوَفَ قَيْلَ لَى : هَاتِيكَ الْأَنْصَارُ مَعَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ
يَقُولُونَ : نَحْنُ أُولَى بِالْأَمْرِ ، وَالْمُهَاجِرُونَ يَقُولُونَ : لَنَا الْأَمْرُ دُونَكُمْ . فَأَتَيْتُ
أَبِيهَا فَقَرَعْتُ بَابَهُ ، نَخْرُجُ إِلَى مُلْتَحَفِهِ ، فَقَلَمَتْ : أَلَا أَرَاكَ إِلَّا قَاعِدًا بِبَيْتِكَ مُغْلَقًا
عَلَيْكَ بَابَكَ وَهُؤُلَاءِ قَوْمُكَ مِنْ بَنِي سَاعِدَةِ يَنْهَا عَوْنَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَاخْرُجْ إِلَى
قَوْمِكَ . فَخَرَجَ ، فَقَالَ : إِنَّكُمْ وَاللَّهُ مَا أَنْتُمْ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ فِي شَيْءٍ ، إِنَّهُ لَمْ
١٥ دُونَكُمْ ، يَلِيهَا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رِجْلَانِ ، ثُمَّ يُقْتَلُ الثَّالِثُ ، وَيُنْزَعُ الْأَمْرُ فِي كُونِ
هَا هَا ، وَأَشَارَ إِلَى الشَّامِ ، وَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ لِبَلَوْلِ بَرِيقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ أَغْلَقَ بَابَهُ وَدَخَلَ .

وَمِنْ حَدِيثِ حَذِيفَةَ قَالَ : كَفَّا جَلْوَسًا عَنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
فَقَالَ : إِنِّي لَا أَدْرِي مَا بِقَائِي فِيهِمْ ، فَاقْتَدُوهُ بِالَّذِينَ مِنْ بَعْدِي ، وَأَشَارَ إِلَى
٢٠ أَبِي بَكْرَ وَعَمِّرَ ، وَاهْتَدُوا بِهِدْيَ عَمِّارَ ، وَمَا حَدَّثَكُمْ أَبْنُ مُسْعُودَ فَصَدَّقُوهُ .

الَّذِينَ خَلَفُوا عَنِ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ — عَلَى وَالْعَبَاسِ وَالْزَّبَيرِ وَسَعْدِ بْنِ عُبَادَةِ .
فَأَمَّا عَلَى وَالْعَبَاسِ وَالْزَّبَيرَ ، فَقَعُدُوا فِي بَيْتِ فَاطِمَةَ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِمْ أَبُو بَكْرَ عَمِّرَ
ابْنَ الْخَطَابِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ بَيْتِ فَاطِمَةَ ، وَقَالَ لَهُ : إِنَّ أَبْوَا فَقَاتِلُهُمْ . فَاقْبَلَ

بقبس من نار على أن يضرم عليهم الدار ، فلقيته فاطمة ، فقالت : يابن الخطاب ، أجهت ^{لتُحرق} دارنا ؟ قال : نعم ، أو تدخلوا فيها دخلت فيه الأمة . خرج على حتى دخل على أبي بكر فبادره ، فقال له أبو بكر : أكرهت إمارتي ؟ فقال : لا ، ولكنني آليت أن لا أرتدي بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفظ القرآن ، فعليه حبسن نفسى .

ومن حديث الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : لم يمأىع على أبا بكر حتى ماتت فاطمة ، وذلک لستة أشهر من موت أبيها صلى الله عليه وسلم . فأرسل على إلى أبي بكر ، فأتاه في منزله فمأيده ، وقال : والله ما نفنسنا عليك ما ساق الله إليك من فضل وخير ، ولكننا كننا نرى أن لنا في هذا الأمر شيئاً فاستبددت به دوننا ، وما نُنكِر فضلك . وأما سعد بن عبدة فإنه رحل إلى الشام .

أبو المنذر هشام بن محمد الكلبي^(١) قال : بعث عمر رجلاً إلى الشام ، فقال : أدعه إلى البيعة وأحمل له بكل ما قدرت عليه ، فإن أبي فاستعن الله عليه . فقدم الرجل الشام ، فلقيه بحوران في حائط ، فدعاه إلى البيعة ، فقال : لا أباعي
قرشياً أبداً . قال : فإني أقاتلك . قال : وإن قاتلتني ! قال : أخارجك أنت مما دخلت فيه الأمة ؟ قال : أمّا من البيعة فأنا خارج . فرمى بهم ، فقتلهم .

ميمون بن مهران عن أبيه قال: رُمِي سعد بن عبادة في حمام بالشام، فُقتل.

٢٥١ سعيد بن أبي عروبة عن ابن سيرين قال: رُمِي سعد بن عُبادة بسمهم فوجد

دفينا في جسده . ثمّات ، فبكّه الجنّ ، فقالت :

وقتلتها^(٢) سيد الخزرج رج سعد بن عبادة

ورمینه اه بسهمی ن فلم نخطی،^(۲) فواده

(١) في بعض الأصول : «أبو محمد عن الكاكي» .

(٢) في بعض الأصول: « نحن قتلنا » .

(٣) في شرح نهج البلاغة (ج ٢ ص ٥٤٠) : « فلم يخطأ ». وخطيء يخطأ .
مثلاً خطأ يخطئ .

فضائل أبي بكر رضي الله عنه — محمد بن المُنْكَدِر قال : نازع عمر^٥
أبا بكر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنت تاركوني وصاحبـ؟
إن الله بعثني بالهـدى ودين الحق إلى الناس كافـة ، فقالوا جـمـيعـاً : كـذـبـتـ ،
وقال أبو بـكر : صـدقـتـ . وهو صـاحـبـ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجـلـيسـه
في الغـارـ ، وأـوـلـ من صـلـىـ معـهـ وآـمـنـ بـهـ واتـبعـهـ .

وقال عمر بن الخطـابـ : أبو بـكرـ سـيـدـناـ ، وـأـعـتـقـ سـيـدـناـ . يـرـيدـ بلاـلاـ .
وـكـانـ بـلاـلـ عـبـدـ لـامـيـةـ بـنـ خـلـفـ ، فـأـشـرـاهـ أبوـ بـكرـ وـأـعـتـقـهـ ، وـكـانـ مـنـ مـوـلـدـيـ
مـكـةـ ، أبوـ رـبـاحـ ، وـأـمـهـ حـمـامـةـ .

وقيل للنبي صلى الله عليه وسلم : من أول من قام مـعـكـ في هذا الأمرـ؟
قال : حـرـ وـعـبـدـ . يـرـيدـ بـالـحـرـ أـبـاـ بـكـرـ ، وـبـالـعـبـدـ بـلـلاـ . وـقـالـ بـعـضـهـمـ :
عـلـىـ وـخـبـابـ .

أـبـوـ الـحـسـنـ الـمـدـائـنـيـ قـالـ : دـخـلـ هـارـونـ الرـشـيدـ مـسـجـدـ رسولـ اللهـ صلىـ اللهـ
عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـبـعـثـ إـلـىـ مـالـكـ بـنـ أـنـسـ ، فـقـيـهـ الـمـدـيـنـةـ ، فـأـتـاهـ وـهـوـ وـاقـفـ بـيـنـ قـبـرـ
رسـولـ اللهـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ [ـوـالـنـبـرـ] ، فـلـمـ قـامـ بـيـنـ يـدـيـهـ وـسـلـمـ عـلـيـهـ بـالـخـلـافـةـ ،
قالـ : يـاـ مـالـكـ ، صـفـ لـيـ مـكـانـ أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ مـنـ رـسـولـ اللهـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ
فـيـ الـحـيـاـةـ الـدـنـيـاـ . فـقـالـ : مـكـانـهـمـ مـنـهـ يـاـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ كـمـكـانـ قـبـرـهـ .
فـقـالـ : شـفـيـتـنـيـ يـاـ مـالـكـ .

الـشـعـبـيـ عـنـ أـبـيـ سـلـمـةـ^(١) : إـنـ عـلـيـاـ مـسـئـلـ عـنـ أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـرـ ، فـقـالـ : عـلـىـ
الـخـبـرـ سـقطـتـ ، كـانـ وـالـلـهـ إـمـامـيـنـ صـالـحـيـنـ مـصـلـحـيـنـ ، خـرـجاـ مـنـ الـدـنـيـاـ حـمـيـصـيـنـ .
وـقـالـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ : سـبـقـ رـسـولـ اللهـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، وـثـنـيـ
أـبـوـ بـكـرـ ، وـثـلـثـ عـمـرـ ، ثـمـ خـبـطـتـنـاـ فـتـنـةـ عـمـيـاءـ كـاـشـاءـ اللـهـ ،
وـقـالـتـ عـائـشـةـ : تـوـقـيـ رسولـ اللهـ صلىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـيـنـ سـجـرـيـ وـنـحـرـيـ ،

(١) كـذـاـ فـيـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ : وـهـوـ يـنـفـقـ مـعـ مـاـفـ التـهـذـيـبـ (ـجـ ١٢ـ صـ ١١٦ـ) . وـالـذـيـ
فـيـ سـائـرـ الـأـصـوـلـ : «ـأـبـوـ سـلـمـ عـنـ الشـعـبـيـ» .

فَلَوْ نَزَلَ بِالْجَبَالِ الرَّاسِيَاتِ مَا نَزَلَ بِأَبِي هُدَّهَا ، أَشْرَأَبَ النَّفَاقَ ، وَأَرْتَدَتِ
الْعَرَبَ ، فَوَاللَّهِ مَا اخْتَلَفُوا فِي لَفْظَةِ إِلَّا طَارَ أَبِي بَحْظَهَا وَغَنَّامَهَا^(١) فِي الْإِسْلَامِ .
عُمَرُ بْنُ عَمَانَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ ، أَنَّهُ بَلَغَهَا أَنَّ أَنَاسًا يَتَناولُونَ مِنْ أَبِيهَا ،
فَأَرْسَلَتِ إِلَيْهِمْ ، فَلَمَّا حَضَرُوا قَالَتْ : إِنَّ أَبِي وَاللَّهِ لَا تَعْطُوهُ الْأَيْدِي^(٢) ، طَوَدَ
مُنْيِفَ ، وَظَلَّ مَدْدُودَ ، أَنْجَحَ إِذَا كَدِيتُمْ^(٣) ، وَسَبَقَ إِذَا وَنِيتُمْ « سَبَقَ الْجَوَادَ إِذَا
اسْتَوَى عَلَى الْأَمْدِ »^(٤) . فَتَى قَرِيشَ نَاصِثًا ، وَكَهْفَهَا^(٥) كَهْلاً . يَفْكَ عَانِيهَا ،
وَيَرِيشَ مُمْلِقَهَا^(٦) ، وَيَرَأْبَ [صَدْعَهَا ، وَيَلْمَ] شَعْنَاهَا . فَمَا بَرَحَتْ شَكِيمَتُهُ
فِي ذَاتِ اللَّهِ تَشَقَّدَ حَتَّى اتَّخَذَ بَفَنَاهُ مَسْجِدًا يَحْيِي فِيهِ مَا أَمَاتَ الْمُبْطَلُونَ . وَكَانَ
وَقِيدَ الْجَوَانِحَ^(٧) ، غَزِيرُ الدَّمْعَةِ ، شَجَّى النَّشِيجَ . وَأَصْفَقَتِ^(٨) إِلَيْهِ نَسَوانَ
مَكَةَ وَوَلَانَهَا يَسْخَرُونَ مِنْهُ وَيَسْتَهْزَئُونَ بِهِ ، وَاللَّهُ يَسْتَهْزَئُ بِهِمْ وَيَمْدُهُمْ
فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ، وَأَكَبَرْتِ ذَلِكَ رِجَالَتُ قَرِيشَ ، فَمَا فَلَوْا لَهُ صَفَاهَةَ ،
وَلَا قَصْفَوَا^(٩) قَنَاهَ ، حَتَّى ضَرَبَ الْحَقَّ بِحَرَانَهُ ، وَأَلْقَى بَرْكَه^(١٠) ، وَرَسَتْ أَوْتَادُهُ .
فَلَمَّا قَبَضَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ضَرَبَ الشَّيْطَانُ رُوَاَقَهُ ، وَمَدَ طَنْبَهُ ، وَنَصَبَ حَبَائِلَهُ ، وَأَجْلَبَ
بَخِيلَهُ وَرَجْلَهُ ، فَقَامَ الصَّدِيقُ حَاسِرًا مَشْمَرًا . فَرَدَّ [نَشَرَ] الْإِسْلَامَ عَلَى غَرَّه^(١١) ،

(١) تَرِيدُ أَنَّهُ كَانَ بَيْنَ الصَّوَابِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ فَيَفْوَزُ بِالثَّنَاءِ وَالثَّوَابِ . وَفِي بَعْضِ
الْأَصْوَلِ : « فَوَاللَّهِ مَا طَارُوا فِي نَقْطَةٍ إِلَّا لَحَظَهَا وَعَنَاهَا » . وَمَا أَنْبَتَنَا عَنْ سَائِرِ
الْأَصْوَلِ وَبِلَاغَاتِ النِّسَاءِ . (٢) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَبِلَاغَاتِ النِّسَاءِ .
وَلَا تَعْطُوهُ : لَا تَبْلِغُهُ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « لَا تَعْطُوهُ إِلَى الْأَبْدِ » .

(٣) أَنْجَحَ ، أَى أَعْطَى وَيْسِرَ . وَأَكَدَى : مَنْ . وَالَّذِي فِي الْأَصْوَلِ : « وَنَجَحَ إِذَا
كَذَبَتُمْ » . وَمَا أَنْبَتَنَا عَنْ بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ . (٤) أَى إِذَا بَلَغَ الْغَايَةَ .

(٥) السَّكَهُ : الْمَلْجَأُ . (٦) يَرِيشَ مُمْلِقَهَا ، أَى يَصْلَحُ حَالَهُ .

(٧) وَقِيدَ الْجَوَانِحَ ، أَى مَحْزُونُ الْقَلْبِ ، كَانَ الْحَزَنُ قَدْ كَسَرَهُ وَضَعَفَهُ . وَمَا كَانَ الْجَوَانِحُ
تَخْبِسُ الْقَلْبَ وَتَحْوِيهِ ، فَأَضَافَ الْوَقْدَ إِلَيْهَا . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَقِيدَ » .
قَالَ ابْنُ مَنْظُورَ فِي مَادَةِ وَقْدٍ : « قَالَ وَيَقَالُ : تَرَكَتْهُ وَقِيدَنَا وَوَقِيظَا . قَالُ : الْوَجْهُ
عَنْدِي وَالْقِيَاسُ أَنَّ يَكُونُ الظَّاءُ بَدْلًا مِنَ الذَّالِ .

(٨) أَصْفَقَتِ إِلَيْهِ : اجْتَمَعَتْ . وَيَرُوِيُّ : « وَانْصَفَتْ لَهُ » وَهِيَ بِعِنَاهَا . (انْظُرْ لِسَانَ الْعَرَبِ
مَادَةَ صَفَقَ) . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « تَصْفَقَتْ » .

(٩) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « فَصَمَوَا » . وَمَا أَنْبَتَنَا عَنْ سَائِرِ الْأَصْوَلِ وَبِلَاغَاتِ النِّسَاءِ .

(١٠) الْبَرْكُ مِنَ الْبَعِيرِ : صَدَرَهُ .

(١١) الْغَرُّ (بِالْفَتْحِ) : كُلَّ كَسَرٍ مُتَشَنِّ فِي ثَوْبٍ أَوْ جَلْدٍ ، وَمِنْهُ : اطْوُ الثَّوْبَ عَلَى غَرَّهِ الْأَوَّلِ
كَمَا كَانَ مَطْوِيَا . أَرَادَتْ عَائِشَةَ تَدْبِيرَهُ أَمْرَ الرَّدَّةِ وَمُقَابِلَةَ دَائِهَا بِدَوَاهِهَا .

وأقام أَوَدُه بِشِقاوْه ، فاِبْذ عَرَّ^(١) التّفَاق بِوْطَه ، وَأَنْتَاش^(٢) النَّاسَ بَعْدَه ، حَتَّى
أَرَاحَ الْحَقَّ عَلَى أَهْلِه ، وَحَقَنَ الدَّمَاءَ فِي أَهْبَاهَا . ثُمَّ أَتَتْهُ مُنْتَهَهُ ، فَسَدَّ ثُلْمَتَهُ
نَظِيرُهُ فِي الْمَرْجَة ، وَشَقِيقُهُ فِي الْمَعْدَلَة ، ذَلِكَ ابْنُ الْخَطَاب . اللَّهُ دَرَّأَمْ حَفَلتُ لَهُ
وَدَرَّتُ عَلَيْهِ . فَفَتَحَ الْفُتُوحَ ، وَشَرَدَ الشَّرْكَ ، وَبَعَجَ الْأَرْضَ ، فَقَامَتْ
أَكْلَهَا^(٣) ، وَلَفَظَتْ جَنَاهَا ؛ تَرَأَمْهُ وَيَأْبَاهَا ، وَرَيْدَهُ وَيَصِدِّفُ عَنْهَا ، ثُمَّ تَرَكَهَا
كَمَا تَحْبَهَا . فَأَرُونِي مَا تَرْتَابُون^(٤) ؟ وَأَيَّ يَوْمٍ أَبِي تَنَقَّمُونَ ؟ أَيْوَمْ إِقَامَتِهِ إِذْ عَدَلَ
فِيهِمْ ، أَمْ يَوْمَ ظَعْنَهِ إِذْ نَظَرَ لَكُمْ^(٥) ؟ أَقُولُ [قولي] هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه

الليث بن سعد عن الزهرى قال : أهدى لأبي بكر طعاماً وعنه الحارث
ابن كلدة فأكل منه ، فقال الحارث : أكلنا سَمَّ سَنَة ، وإنى وإياك لميتان عند
رأس الحول . فماتا جميعاً في يوم واحد عند انقضاء السنة . وإنما سُمِّته يهود كاما
سمت النبي صلى الله عليه وسلم بخيبر في ذراع الشاة . فلما حضرت النبي صلى الله
عليه وسلم الوفاة قال : ما زالت أكلة خيبر تعاودني حتى قطعت أبهري . وهذا
مثل ما قال الله تعالى (ثم لقطعنا منه الوتين) . والأبهر والوتين : عرقان في
الصلب إذا انقطع أحدهما مات صاحبه .

الزهرى عن عروة عن عائشة قالت : أغسل أبو بكر يوم الاثنين لسبعين
خلون من جمادى الآخرة ، وكان يوماً بارداً ، فجم خمسة عشر يوماً لا يخرج إلى
صلاة ، وكان يأمر عمر يصلى بالناس . وتوفي ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى
الآخرة سنة ثلاثة عشرة من التاريخ . وغسلته أماته أسماء بنت عميس .

(١) ابْذ عَرَّ : تفرق وتبعد . وفي بلاغات النساء : « ابْذ قَرْ » وهي بعثتها .

(٢) أَنْتَاش : أَنْهَض . (٣) بَعَجَ الْأَرْضَ ، أَيْ شقها وأذها ، تكفي عن فتوحه .
وقاءت أكلها ، أَيْ أَظْهَرَتْ نباتها وخزائتها .

(٤) كذا في بعض الأصول ونهاية الأرب (ج ٧ ص ٢٣١) وصحب الأعشى (ج ١
ص ٢٤٨) . وفي سائر الأصول : « ماذا ترون » .

(٥) يَوْمَ ظَعْنَهِ ، أَيْ يَوْمَ وفَاتِهِ . وَأَرَادَتْ بِنْظَرِهِ لَهُمْ : عَهْدَهُ بِالْخَلَافَةِ إِلَى عَمِّهِ .

وصلَى عليهِ عُمَرُ بْنُ الخطَّابَ بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمِنْبَرِ، وَكَبَرَ أَرْبَعاً.

الْزَّهْرَى عن سعِيدِ بْنِ الْمُسِيْبِ قَالَ: لَمَا تُوْفِيَ أَبُو بَكْرٍ أَقَامَتْ عَائِشَةُ النَّوْحَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ فَنَاهَنَّ، فَأَبَيْنَ. فَقَالَ هَشَامُ بْنُ الْوَلِيدَ: أَخْرَجَ إِلَى بَنْتِ أَبِي قُحَافَةَ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ أُمَّ فَرْوَةَ، فَعَلَاهَا بِالدَّرَّةِ ضَرَبَ، فَتَفَرَّقَتِ النَّوَافِحُ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ وَأَبُوهاً يَغْمِضُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَأَبِيضُ يُسْتَسْقِي الغَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبِيعُ الْيَتَامَى عِصْمَةُ الْأَرَامِلِ^(١)
قَالَتْ عَائِشَةُ: فَنَظَرَ إِلَيْهِ وَقَالَ: ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ أَغْمَى عَلَيْهِ. فَقَالَتْ:

لَعْمَرُكَ مَا يُغْنِي الثَّرَاءَ عَنِ الْفَقَى إِذَا حَشَرْجَتْ يَوْمًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدَرُ^(٢)
فَنَظَرَ إِلَى كَالْغَضَبَانِ وَقَالَ: قَوْلِي: (وَجَاءَتْ سَكَرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ) ذَلِكَ
مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحْيِدَ). ثُمَّ قَالَ: انْظُرُوا مُلَاءَتِينَ خَلَقَيْنِ^(٣) فَاغْسِلُوهَا وَكُفِّنُوهُ
فِيهِمَا، فَإِنَّ الْحَىَ أَحْوَجُ إِلَى الْجَدِيدِ مِنَ الْمَيْتِ.

عُرُوفُ بْنُ الزَّبِيرِ وَالْقَاسِمِ بْنُ مُحَمَّدٍ قَالَا: أَوْصَى أَبُو بَكْرٍ عَائِشَةَ أَنْ يُدْفَنَ
إِلَى جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَلَمَّا تُوْفِيَ حُفَرَ لَهُ وَجْهُ رَأْسِهِ بَيْنَ
كَتْفَيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَأْسُ عُمَرَ عِنْدَ حَقْوَى أَبِي بَكْرٍ. وَبِقِيَ
فِي الْبَيْتِ مَوْضِعَ قَبْرٍ. فَلَمَّا حَضَرَتِ الْوَفَاءُ الْحَسَنُ بْنُ عَلَىٰ أَوْصَى بِأَنْ يُدْفَنَ مَعَ
جَدَّهِ فِي ذَلِكَ الْمَوْضِعِ. فَلَمَّا أَرَادَ بْنُ هَاشَمَ أَنْ يَحْفِرْ وَاللهِ مَنْعِهِمْ مَرْوَانُ، وَهُوَ وَالِي
الْمَدِينَةِ فِي أَيَّامِ مَعَاوِيَةَ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: عَلَامَ تَمْنَعُهُ أَنْ يُدْفَنَ مَعَ جَدَّهِ؟ فَأَشَهَدُ
لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: الْحَسَنُ وَالْحُسَينُ سَيِّدَا شَبَابِ
أَهْلِ الْجَنَّةِ. قَالَ لَهُ مَرْوَانُ: لَقَدْ ضَيَّعْتَ اللَّهَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

إِذْ لَمْ يَرُوهُ غَيْرُكَ. قَالَ: أَنَا وَاللهِ لَقَدْ قَلْتُ ذَلِكَ، لَقَدْ صَحَبْتُهُ حَتَّى عَرَفْتُ مَنْ

(١) هَذَا الْبَيْتُ لِأَبِي طَالِبٍ، عَمِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَصِيَّدَةِ لَهُ يُدْفَعُ بِهِ عَنِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (انْظُرُ السِّيرَةَ لِابْنِ هَشَامِ ج ١ ص ٢٩١ - ٢٩٩ طَبْعَةَ الْحَلَبِ).

(٢) الْبَيْتُ لِحَاتَمَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ مِنْ أَبْيَاتِهِ لَهُ. (انْظُرُ ج ١ ص ٣٣٥ - ٣٣٧) مِنْ هَذِهِ الْطَّبْعَةِ.

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ: «مُلَاءَتِي خَلْقٌ».

أَحَبَّ وَمِنْ أَبْغَضِ ، وَمِنْ نَفِي وَمِنْ أَقْرَأَ ، وَمِنْ دَعَا لَهُ وَمِنْ دَعَا عَلَيْهِ . قَالَ :
 وَسُطْحَ قَبْرُ أَبِي بَكْرٍ كَمُسْطَحَ قَبْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرُشَّ بِالْمَاءِ .
 هَشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ : إِنَّ أَبَا بَكْرَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اِلَيْهِ دُفُونَ لَيْلًا . وَمَاتَ
 وَهُوَ أَبْنَانِ ثَلَاثٍ وَسَتِينَ سَنَةً ، وَلَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَعَاشَ أَبُو خَافَةَ
 بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ أَشْهُرًا وَأَيَّامًا ، وَوَهَبَ نَصِيبَهُ فِي مَيْرَانَهُ لَوْلَدَ أَبِي بَكْرٍ . وَكَانَ نَفَشَ
 خَاتَمُ أَبِي بَكْرٍ : نَعَمُ الْقَادِرُ اللَّهُ . وَلَمَّا قُبِضَ أَبُو بَكْرٍ سُجْنِي بِثُوبٍ ، فَأَرْتَجَتِ الْمَدِينَةُ
 مِنَ الْبَكَاءِ ، وَدَهَشَ الْقَوْمُ كَيْوَمَ قُبِضَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَجَاءَ
 عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ بِأَكِيمًا مُسْرِعًا مُسْتَرْجِعًا حَتَّى وَقَفَ بِالْبَابِ وَهُوَ يَقُولُ . رَحِمْكَ
 اللَّهُ أَبَا بَكْرٍ ، كَنْتَ وَاللَّهُ أَوْلَاقَ الْقَوْمَ إِسْلَامًا ، وَأَصْدَقُهُمْ إِيمَانًا ، وَأَشَدُّهُمْ يَقِينًا ،
 وَأَعْظَمُهُمْ غَنَاءً ، وَأَحْفَظُهُمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَحْدَبُهُمْ عَلَى
 الإِسْلَامِ ، وَأَحْمَاهُمْ عَنْ أَهْلِهِ ، وَأَنْسَبُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ خُلُقًا وَفَضْلًا وَهَدْيًا وَسَمْتَهَا ؛
 بِخِزَائِكَ اللَّهُ عَنِ الْإِسْلَامِ وَعَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَعَنِ الْمُسَلِّمِينَ خَيْرًا . صَدَقَتْ رَسُولُ اللَّهِ
 حِينَ كَذَّبَهُ النَّاسُ ، وَوَاسَيَتْهُ حِينَ بَخْلَوْا ، وَقَمَتْ مَعَهُ حِينَ قَهْدَوْا ، وَسَمَّاكَ اللَّهُ فِي
 كَتَابِهِ صَدِيقًا ، فَقَالَ : (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ) يَرِيدُ مُحَمَّداً وَيَرِيدُكَ .
 كَنْتَ وَاللَّهُ لِلإِسْلَامِ حِصْنًا ، وَلَا كَافِرٌ نَا كَمَا ، لَمْ تُضْلِلْ حِجَّتَكَ ، وَلَمْ تَضُعِفْ
 بَصِيرَتَكَ ، وَلَمْ تَجْبَنْ نَفْسُكَ . كَنْتَ كَالْجَبَلِ لَا تَحْرِكَهُ الْعَوَاصِفَ ، وَلَا تَزِيلَهُ
 الْفَوَاصِفَ . كَنْتَ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ضَعِيفًا فِي
 بَذَنَكَ ، قَوِيًّا فِي دِينِكَ ، مَتَوَاضِعًا فِي نَفْسِكَ ، عَظِيمًا عِنْدَ اللَّهِ ، جَلِيلًا فِي الْأَرْضِ ،
 كَبِيرًا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ . لَمْ يَكُنْ لَأَحَدٍ عِنْدَكَ مَطْعَمٌ وَلَا هُوَ ، فَالضَّعِيفُ عِنْدَكَ
 قَوِيًّا ، وَالقوِيُّ عِنْدَكَ ضَعِيفٌ ، حَتَّى تَأْخُذَ الْحَقَّ مِنَ الْقَوِيِّ وَتَأْخُذَهُ لِلضَّعِيفِ ،
 فَلَا حَرَمَكَ^(١) اللَّهُ أَجْرُكَ ، وَلَا أَضْلَلَنَا بَعْدَكَ .

القاسم بن محمد عن عائشة أم المؤمنين أنها دخلت على أبيها في صرمه الذي

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « حَرَمَنَا » .

تُوفِّ فيه فقالت : يا أبَتْ ، أَعْهَدْ إِلَى خاصَّتِكْ ، وَأَنْفَذْ رَأْيَكْ فِي عَامَّتِكْ^(١) ،
وَانْقَلَ مِنْ دَارِ جَهَازَكْ إِلَى دَارِ مُقَامَكْ ، إِنَّكَ مَحْضُورٌ وَمَتَّصِلٌ بِي لَوْعَتِكْ ،
وَأَرَى تَخَادُلَ أَطْرَافَكْ وَأَنْتِقَاعَ لَوْنَكْ ، فَبِاللهِ تَعَزِّيَّتِي عَنْكْ ، وَلَدِيهِ ثَوَابُ
حُزْنِي عَلَيْكَ . أَرْقَا فَلَا أَرْقَا^(٢) ، وَأَشْكُو فَلَا أُشْكِي . قَالَ : فَرَفِعَ رَأْسَهُ ،
وَقَالَ : يَا أُمَّتِهِ^(٣) ، هَذَا يَوْمٌ يُحْلَى^(٤) لِي فِيهِ عَنْ غَطَائِي ، وَأَشَاهِدُ جَرَائِي ؛ إِنْ فَرَحَّا
فَدَائِمٌ ، وَإِنْ تَرَحَّا فَمُقْتَمِيمٌ . إِنِّي أَضْطَلْتُمْ بِإِمَامَةٍ^(٥) هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ حِينَ كَانُ
الْفَكُوصُ إِصْبَاعَةً ، وَالْخَلْزَلُ^(٦) تَفْرِيظًا ؛ فَشَهِيدُ اللَّهِ ، مَا كَانُ بِقَلْبِي^(٧) إِلَّا إِيَاهُ ،
فَتَبَلَّغَتْ بِصَحْفَتِهِمْ ، وَتَعْلَلَتْ بِدَرَّةِ لِقَحْتِهِمْ ، فَأَقْبَلَتْ صَلَائِي^(٨) مَعَهُمْ ، لَا يُخْتَالُ
أَشِرَّاً ، وَلَا مُكَاثِرًا بَطَرِّاً . لَمْ أَعْدُ سَدَّ الْجَمْوعَةِ ، وَتَوْرِيَةِ الْعُورَةِ^(٩) ، وَإِقَامَةِ
الْقِوَامِ ، مِنْ طَوِيِّ مُعْضِ^(١٠) ، تَهْفُو مِنْهُ الْأَحْشَاءُ ، وَتَجْفَفُ لَهُ الْأَمْعَاءُ ،
فَاضْطَرَرَتْ إِلَى ذَلِكَ أَضْطَرَارِ الْجَرِبِ^(١١) إِلَى [الْمَاءِ] الْمَعِيفِ الْآجِنِ . فَإِذَا أَنْأَيْتَ
فَرْدَى إِلَيْهِمْ حَحْفَتِهِمْ وَعَبْدَهِمْ وَلِقَحْتِهِمْ وَرَحَاهِمْ وَدَثَارَةً مَا فَوْقَ أَتْقَيْتَ بِهَا الْبَرْدَ ،
وَوِثَارَةً مَا تَحْتَ اتْقَيْتَ بِهَا أَذْى الْأَرْضِ ، كَانَ حَشُونَهَا قِطْعَ السَّعْفِ .
قَالَ : وَدَخَلَ عَلَيْهِ عَمْرٌ فَقَالَ : يَا خَلِيلَةَ رَسُولِ اللَّهِ ، لَقَدْ كَافَتِ الْقَوْمُ بَعْدَكَ
تَعْبَأً ، وَوَلَيْتَهُمْ نَصِيبًا ، فَهُنَّ هُنَّ مِنْ شَقَّ غُبَارِكَ ! فَكَيْفَ الْحَاقُّ بِكَ ! .

(١) فِي بِلَاغَاتِ النِّسَاءِ : « حَامِنَكَ . . سَامِنَكَ ». وَالْحَامِنَةُ : الْعَامِمَةُ ، وَالسَّامِمَةُ : الْخَاصَّةُ .

(٢) أَيْ أَسْكَنَ نَفْسِي فَلَا تَسْكُنَ .

(٣) هِيَ وَإِنْ كَانَتْ بَنْتَهُ إِلَّا أَنْهَا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَهُوَ يَخْاطِبُهَا بِهَذَا .

(٤) فِي مَا صَرَ (ج ٣ ص ٢٣١ مِنْ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ) : « يُحْلَى فِيهِ عَنْ » .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « أَطْعَتْ أَمَانَةً » . (وَانْظُرْ ج ٣ ص ٢٣١ مِنْ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ) .

(٦) الْخَلْزَلُ ، أَيْ التَّرَاجِعُ . (وَانْظُرْ ج ٣ ص ٢٣١ مِنْ هَذِهِ الطَّبِيعَةِ) .

(٧) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « يَقِيلِنِي » .

(٨) الصَّلَا : وَسْطُ الظَّهَرِ مِنَ الْإِنْسَانِ وَمِنْ كُلِّ ذِي أَرْبَعٍ . وَإِقَامَةِ صَلَاهُ ، كَنْيَةُ
عَنْ مَسَاوَاتِهِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ نَفْسِهِ .

(٩) تَوْرِيَةِ الْعُورَةِ ، أَيْ سُترِهَا . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَوْرِي » .

(١٠) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَبِلَاغَاتِ النِّسَاءِ . وَمُمْعَضُ : مَوْجَعٌ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ
الْأَصْوَلِ : « عَفْصٌ » .

(١١) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ . وَالْجَرِبُ : الَّذِي يَتَلَمَّعُ رِيقَهُ بِجَهَدٍ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ :
« الْمَتَبَرِّضُ » . وَالْمَتَبَرِّضُ : الْتَّبَلُغُ فِي الْعِيشِ بِالْبَلْغَةِ وَتَطْلُبُهُ مِنْ هَنَا وَهُنَا قَلِيلًا قَلِيلًا .

استخلاف أبي بكر لعمر

عبد الله بن محمد التيمى عن محمد بن عبد العزيز : إن أبي بكر الصديق حين حضرته الوفاة كتب عهده وبعث به مع عثمان بن عفان ورجل من الأنصار ليقرأه على الناس ، فلما اجتمع الناس قاما فقالا : هذا عهد أبي بكر ، فإن تقرأ به نقرأه ، وإن تذكره نترجمه . فقال : بسم الله الرحمن الرحيم . هذا عهد أبي بكر بن أبي قحافة عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها ، وأول عهده بالآخرة داخلا فيها ، حيث يؤمن الكافر ، ويتحقق الفاجر ، ويصدق الكاذب .
٢٥٤
 إني أمرت عليكم عمر بن الخطاب ، فإن عدل وأتقى فذاك ظنني به ورجائي فيه ، وإن بدأ وغيره فالخير أردت ، ولا يعلم الغيب إلا الله .

١٠ ^(١) قال أبو صالح : أخبرنا محمد بن وضاح ، قال : حدثني محمد بن رممح ^(٢) بن المهاجر الثجيفي قال : حدثني الليث بن سعد عن علوان عن صالح بن كيسان عن حميد ابن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ، أنه دخل على أبي بكر رضي الله عنه في مرضه الذي توفي فيه فأصابه مفيقا ، فقال : أصبحت بحمد الله بارئا . قال أبو بكر : أترأه ؟ قال : نعم . قال : أما إني على ذلك أشدید الوجع ، ولما لقيت منكم يامعاشر المهاجرين أشد على من واجعى . إني وليت أمركم خيركم في نفسي فكأنكم ورم من ذلك أنفه ، يريد أن يكون له الأمر [من دونه] ، ورأيت الدنيا مقبلة ، ولن ^(٣) تقبل — وهي مقبلة — حتى تتخذوا سبور الحريرون ضائد الدجاج ، وتلموا الأضطجاع على الصوف الأذري ^(٤) كما يالم أحدكم الأضطجاع على شوك السعدان . والله لأن يقدّم أحدكم فتضرب عنقه في غير حدّ خير له من أن يخوض في غمرة الدنيا .
 ١٥
 ٢٠ ألا وإنكم أول ضال بالناس غدا فتصدّوهم عن الطريق يعينا وشمالا . ياهادى الطريق

(١) انظر الكامل للمبرد والطبرى وإعجاز القرآن (ص ١١٦) في بين النصوص خلاف .

(٢) في بعض الأصول : « زمچ » . وانظر تهذيب التهذيب والسكنى .

(٣) في بعض الأصول : « ولما » . (٤) نسبة إلى أذريجان .

إِنَّمَا هُوَ الْفَجْرُ أَوِ الْبَعْجُرُ^(١) . قَالَ : فَقَالَتْ لَهُ : خَفَّضَ عَلَيْكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَإِنْ هَذَا
يَهْبِطُ عَلَى مَا بَكَ ، إِنَّمَا النَّاسُ فِي أَمْرِكَ بَيْنَ رِجْلَيْنِ ، إِمَّا رَجُلٌ رَأَى مَا رَأَيْتَ فَهُوَ
مَعَكَ ، وَإِمَّا رَجُلٌ خَالِفُكَ فَهُوَ يُشَيرُ عَلَيْكَ بِرَأْيِهِ ، وَصَاحِبُكَ كَمَا تُحِبُّ ، وَلَا نَعْلَمُكَ
أَرْدَتَ إِلَى الْخَيْرِ ، وَلَمْ تَزُلْ صَالِحًا مُصْلِحًا ، مَعَ أَنَّكَ لَا تَأْمُنُ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا .
فَقَالَ : أَجَلَ ، إِنِّي لَا آسَى عَلَى شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا عَلَى ثَلَاثَ فَعَلْتُهُنَّ وَوَدَّتُ أَنِّي
تَرَكْتُهُنَّ ، وَثَلَاثَ تَرَكْتُهُنَّ وَوَدَّتُ أَنِّي فَعَلْتُهُنَّ ، وَثَلَاثَ وَدَّتُ أَنِّي سَأَلْتُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْهُنَّ . فَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِي فَعَلْتُهُنَّ وَوَدَّتُ أَنِّي تَرَكْتُهُنَّ :
فَوَدَّتُ أَنِّي لَمْ أُكْشِفْ بَيْتَ فَاطِمَةَ عَنْ شَيْءٍ ، وَإِنْ كَانُوا أَغْلَقُوهُ عَلَى الْحَرْبِ ؛
وَوَدَّتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ حَرَقْتُ الْفُجَاهَةَ^(٢) السَّلْمَى ، وَأَنِّي قُتِلْتُهُ سَرِيعَحًا أَوْ خَلِيمَتَهُ
نَجِيحاً^(٣) ؛ وَوَدَّتُ أَنِّي يَوْمَ سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ قَدْ رَمَيْتُ الْأَمْرَ فِي عُنْقِ أَحَدٍ
الرِّجْلَيْنِ ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا أَمِيرًا وَكَنْتُ لَهُ وزِيرًا — يَعْنِي بِالرِّجْلَيْنِ عَمَرَ بْنَ الْخَطَابِ
وَأَبِي عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَاحِ — وَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِي تَرَكْتُهُنَّ وَوَدَّتُ أَنِّي فَعَلْتُهُنَّ :
فَوَدَّتُ أَنِّي يَوْمَ أُتَيْتُ بِالْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسَ أَسِيرًا ضَرَبْتُ عَنْقَهُ ؛ فَإِنَّهُ يُخَيِّلُ إِلَى
أَنَّهُ لَا يُرَى شَرًّا إِلَّا أَعْنَانُهُ ؛ وَوَدَّتُ أَنِّي يَوْمَ سَيَرَتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدَ إِلَى
أَهْلِ الرَّدَّةِ أَفْتَ بِذِي الْقَصَّةِ^(٤) فَإِنَّ ظَفَرَ الْمُسْلِمُونَ ظَفَرُوا وَإِنَّ أَنْزَلُوا كَفَتُ
بِصَدَدِ لِقَاءَ أَوْ مَدْدَ ؛ وَوَدَّتُ أَنِّي وَجَهْتُ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدَ إِلَى الشَّامِ وَوَجَهْتُ عَمَرَ
بِهِ قَدْدَدَ

(١) الْبَعْجُرُ (بِالْفَتْحِ وَالْفَضْمِ) : الدَّاهِيَةُ وَالْأَمْرُ الْعَظِيمُ . أَيْ إِنْ انتَظَرْتَ حَتَّى يَضِيءَ الْفَجْرُ
بَصْرَتِ الظَّرِيقَ ، وَإِنْ خَبَطَتِ الظَّلَمَاءُ أَفْضَلْتَ بَكَ إِلَى الْمَكْرُوْهِ . وَيَرْوَى :

«الْبَعْجُرُ» بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ . يَرِيدُ غَمْرَاتَ الدُّنْيَا . شَبَهُهَا بِالْبَحْرِ لِتَحْيِيرِ أَهْلِهَا فِيهَا .

(٢) فِي الْأَصْوَلِ : «النَّحَامُ» . وَالْتَّصْوِيبُ عَنِ الطَّبَرِيِّ . وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ الْفُجَاهَةِ هَذَا
أَنَّهُ أَتَى أَبَا بَكْرَ فَادْعَى إِلِيَّةِ إِسْلَامِ وَطَلَبَ إِلَيْهِ جَهَادَ مِنْ أَرْتَدَ وَأَنْ يَحْمِلَهُ ، فَحَمَلَهُ وَأَعْطَاهُ
سَلَاحًا ، فَشَدَّ غَارَةَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ . وَلَا مَكَنَّتْ أَبَا بَكْرَ الْفَرَصَةَ مِنْهُ أَوْ قَدْ نَارَ أَمْ رَمَى
بِهِ فِيهَا مَقْمُوْطًا .

(٣) سَرِيعَحًا : سَرِيعًا . وَنَجِيحاً : وَشِيكَا . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «شَدِينِحَا» مَكَانٌ

«سَرِيعَحًا» . وَمَا أَثَبَنَا عَنِ سَائِرِ الْأَصْوَلِ وَالْطَّبَرِيِّ وَابْنِ عَسَارِكَ فِي تَرْجِهِ أَبِي بَكْرٍ .

(٤) ذُو الْقَصَّةِ : مَوْضِعُ يَدِهِ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَةَ وَعَشْرَوْنَ مِيلًا . وَبِهِ نَزَلَ أَبُو بَكْرَ
فِي خَلَافَتِهِ لِمَا وَجَهَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدَ لِفَتْالِ أَهْلِ الرَّدَّةِ . (انْظُرْ مَعْجمَ الْبَلْدَانِ) .

ابن الخطاب إلى العراق ، فأُكُون قد بسطت يديَ كلتَيهما في سبيل الله . وأما
الثلاث التي وددتُ أنني أسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهن : فإنني وددتُ
أنني سأله : لمن هذا الأمر من بعده فلا ينافيه أحد ، وأنني سأله هل الانصار
في هذا الأمر نصيب فلا يظلموا نصيبيَّهم منه ، ووددتُ أنني سأله عن بنت الأخ
والعمة ، فإنَّ في نفسيِّ منها شيئاً .

نسب عمر بن الخطاب وصفته

أبو الحسن علي بن محمد قال : هو عمر بن الخطاب بن فقيل بن عبد العزى
ابن رياح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن أوى بن غالب
ابن فهْر بن مالك . وأمه حنة بنت هاشم ^(١) بن المغيرة بن عبد الله بن عمر ^(٢)
بن مخزوم . وهاشم هو ذو الرشرين . قال أبو الحسن : كان عمر رجلاً آدم مشهوراً
بُحرة طويلاً أصلع له حفافان ^(٣) ، حسنَ الخدين والأنف والعينين ، غليظَ القدَّمين
والكفين ، مجدول اللحم ، حسنَ الخلائق ، ضخم السكرياديس ^(٤) ، أعنيَّ يسر ^(٥) ،
إذا مشى كأنه راكب . ولِي الخلافة يوم الثلاثاء لثمانين بيئين من مجاهدي الآخرة
سنة ثلث عشرة من التاريخ . وطعن لثلاث بيئين من ذي الحجة سنة ثلث
وعشرين من التاريخ . فعاش ثلاثة أيام ، ويقال سبعة أيام .

معدان بن أبي حفصة ^(٦) ، قال : قُتل عمر يوم الأربعاء لأربع بيئين من
ذى الحجة سنة ثلث وعشرين ، وهو ابن ثلث وستين سنة ، في رواية الشعبي .

ولها مات أبو بكر ، ولها مات النبي صلى الله عليه وسلم .

٤٥٥

- (١) وقيل بنت هشام أخت أبي جهل (انظر الاستيعاب والسيره) .
- (٢) في بعض الأصول : « عمرو » وهو تحريف . (انظر السيرة) .
- (٣) الحفاف (كتاب) : الطرة من الشعر حول رأس الأسلم .
- (٤) السكرياديس : رءوس العظام ؛ واحدها كردوس .
- (٥) أعنيَّ يسر ، أي يعمله بيديه جميعاً .
- (٦) في بعض الأصول : « صفحه » . ولعله « معدان بن أبي طلحة » . (انظر الطبرى) .

٢٠

فضائل عمر بن الخطاب

أبو الأشہب^(١) عن الحسن^(٢) ، قال : عاتب عُمیّنَةً عثمانَ ، فقال له : كان عمر خيراً لنا مذكُوراً : أَعْطَانَا فَأَغْنَانَا ، وَأَخْشَانَا فَأَتَقَانَا . وَقَيْلُ عُثْمَانَ : مَا لَك لا تَكُونُ مِثْلَ عمر؟ قال : لَا أَسْتَطِعُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ لِقَانَ الْحَكَمِ .

القاسم بن عمر قال : كان إسلام عمر فَتَحَّا ، وهجرته نصراً ، وإمارته رحمة . •
وقيل : إن عمر خطب امرأة من ثقيف وخطبها المغيرة ، فزوّجها المغيرة . فقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَلَا زَوْجُمُ عَمِرٍ ؟ فَإِنَّهُ خَيْرُ قَرِيشٍ أَوْهَا وَآخْرَهَا ، إِلَّا مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَسُولِهِ .

الحسن بن دينار عن الحسن ، قال : ما فَضَلَ عَمِرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ أَطْوَلَهُمْ صَلَاةً ، وَأَكْثَرَهُمْ صِيَامًا ؛ وَلَكِنَّهُ كَانَ أَزْهَدَهُمْ فِي الدُّنْيَا ، وَأَشَدَّهُمْ فِي أَمْرِ اللَّهِ . وَتَظَلَّمَ رَجُلٌ مِّنْ بَعْضِ عُمَّالِ عَمِرٍ ، وَأَدَعَى أَنَّهُ ضَرَبَهُ وَتَعَذَّرَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنِّي لَا أَهْلُ لَهُمْ أَشْعَارَهُمْ وَلَا أَبْشَارَهُمْ . كُلُّهُ مِنْ ظَلَمَهُ أَمِيرُهُ فَلَا أَمِيرٌ عَلَيْهِ دُونِي ، ثُمَّ أَقَادَهُ مِنْهُ .

عَوَانَةُ^(٣) عن الشَّعْبِيِّ قال : كان عمر يطوف في الأسواق ، ويقرأ القرآن ، ويقضى بين الناس حيث أدركه الخصوم . ١٥

وقال المغيرة بن شعبة ، وذكر عمر ، فقال : كان والله له فضل يعنده [من] أن يخدع ، وعقل يعنده [من] أن يُخدوع . فقال عمر : لست بخبي ولا أخبار يخدعني .

عِكْرَمَةُ عن ابن عباس ، قال قال : بِيَدِنَا أَنَا أَمْشِي مَعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ فِي خِلَافَتِهِ وَهُوَ عَامِدٌ لِحَاجَةِ لَهُ وَفِي يَدِهِ الدَّرَّةُ ، فَأَنَا أَمْشِي خَلْفَهُ وَهُوَ يُحَدِّثُ نَفْسَهُ

ويضرب وحشى" قد ميده بدرته ، إذ التفت إلى ، فقال : يابن عباس ، أتدرى ما حملني على مقالتي^(١) التي قللت يوم توف رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قلت : لا . قال : الذي حملني على ذلك أني كنت أقرأ هذه الآية : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهادة على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) فوالله إنى كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى في أمته حتى يشهد علينا بأخف أعمالنا ، فهو الذي دعاني إلى ما قلت .

أن دأب قال : قال ابن عباس : خرجت أريد عمر في خلافته ، فألفيت راكباً على حمار قد أرسته بحمل أسود ، وفي رجليه نعلان مخصوصتان ، وعليه إزار قصير وقميص قصير ، قد انكشفت منه ساقاه ، فشيئت إلى جنبه وجعلت^{١٠} أجبر الأزار عليه ، فجعل يضحك ويقول : إنه لا يطيعك . حتى أتي العالية ، فصنع له قوم طعاماً من خبز ولح ، فدعوه إليه ، وكان عمر صائماً ، فعمل ينبع إلى الطعام ويقول : كل لي ولك .

ومن حديث ابن وهب عن الليث [بن سعد] : أن أبا بكر لم يكن يأخذ من بيته المال شيئاً ولا يجرى عليه من الف درها ، إلا أنه أستلف منه مالاً ،^{١٥} فلما حضرته الوفاة أمر عائشة بردّه . وأما عمر بن الخطاب فكان يجري على نفسه درهرين كل يوم . فلما ولى عمر بن عبد العزيز قيل له : لو أخذت ما كان يأخذ عمر بن الخطاب ؟ قال : كان عمر لا مال له ، وأنا مالي يغنىني ؟ فلم يأخذ منه شيئاً .

(١) يريد مقالته : إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفي ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ، ولكن ذهب إلى ربه كاذب موسى بن عمران ، قد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات . والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى ، فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .^{٢٠}

أبو حاتم عن الأصمى ، قال : قال عمر وقام على الرَّدِم^(١) : أين حدقك يا أبا سفيان مما هنا ؟ قال : ممَّا تحت قدميك إلى . قال : طالما كنتَ قدِيمَ الظلم ، ليس لأحد فيما وراء قدميْ حق ، إنما هي منازل الحاج .

قال الأصمى : وكان رجلٌ من قريش قد تقدَّم صدرُه من داره عن قدمَيْه . وأراد أن يغور البئر ، فقيل له : في البئر للناس مَنْفعة ، فتركها .
٥
قال الأصمى : إذا وَدَعَ الحاجُ ثم بات خلفَ قدميْه عمرَ لم أَرْ عليه أَنْ يرجع . يقول : قد خرج من مكة .

مقتيل عمر

٢٥٦
٤
أبو الحسن : كان المُغيرة بن شعبة غلام نَصْراني يقال له : فَيْروز أبو لَوْأَة ،
وكان نجَّاراً لطيفاً ، وكان خِرَاجُه^(٢) ثقيلاً ، فشكَا إلى عمرِ ثقل الخراج ، وسأله
أن يكلم مولاه أن يخفف عنه من خراجـه ، فقال له : وكم خِرَاجك ؟ قال ثلاثة
درَاهِم في كل شهر . قال وما صناعتك ؟ قال : نجَّار . قال : ما أرى هذا ثقيلاً
في مثل صناعتك . نخرج مُغضبًا ، فأستقل^(٣) خِنْجرًا محدودَ الطَّرْفَيْن . وكان عمر
قد رأى في المَنَام دِيكَا أحمر ينقره ثلث نَقَرات ، فتاوله رجلاً من العجم يَطْعُنه
١٥
ثلاثَ طَعنَات . فطعنه أبو لَوْأَة بِخِنْجرِه ذلك في صلاة الصَّبْحِ ثلاثة طَعنَات ،
إحداها بين سُرْتَه وعانته ، فخرقت الصَّفَاق ، وهي التي قتله . وطُعن في المسجد
معه ثلاثة عشرَ رجلاً ، مات منهم سَبْعة . فأقبل رجلٌ من بني تميم ، يقال له حِطَّان ،
فألقى كِسَاءه عليه ثم أَحْتَضَنه . فلما عَلِمَ العِلْجُ أَنَّه مَأْخوذ طَعْنَةً في نفسه . وقدَمَ عمر
مُهَبِّيًّا يَصْلِي بالناس ، فقرأ بهم في صلاة الصَّبْح : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ) في الرَّكْعَة
الأُولى ، و (قُلْ يَا يَهُودَ الْكَافِرُونَ) في الرَّكْعَةِ الثانية . واحْتَمَلَ عمرَ إلى بيته ،
٢٠

(١) الرَّدِم : موضع بَكَة . (٢) ضبطه التَّهانوي ، بالعبارة ، بالكسر .

(٣) في بعض الأصول : « فاستعمل » .

فعاش ثلاثة أيام ثم مات . وقد كان أستاذن عائشة أن يُدفن في بيته مع صاحبيه ، فأجابتـه وقالـت : والله لقد كـنت أـردت ذـلك المـضـجـع لـنـفـسـي وـلـأـوـثـرـه الـيـوـم عـلـى نـفـسـي . فـكـانـت وـلـاـيـة عـمـر عـشـرـ سـنـيـن . صـلـى عـلـيـه صـهـيـب بـيـن الـقـبـر وـالـمـنـبـر ، وـدـفـنـعـنـدـغـرـوبـ الشـمـسـ كـاتـبـهـ زـيـدـبـنـ ثـابـتـ ، وـكـتـبـلـهـ مـعـيـقـيـبـ أـيـضاـ . وـحـاجـبـهـ يـرـفـاـ ، مـوـلـاهـ . وـخـازـنـهـ يـسـارـ . وـعـلـى بـيـتـ مـالـهـ عـبـدـ اللهـ بـنـ الـأـرـقمـ .

وقال الليث بن سعد : كان عمر أول من جَنَد الأجناد ، ودوَّن الدَّوَّاوِين ، وجعل الخليفة شُوري بين ستة من المسلمين ، وهم : على وعثمان وطائحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، ليختاروا منهم رجلاً يولونه أمر المسلمين . وأوصى أن يحضر عبد الله بن عمر معهم ، وليس له من أمر الشورى شيء .

أمر الشورى في خلافة عثمان بن عفان

صالح بن كيسان قال : قال ابن عباس : دخلت على عمر في أيام طعنـتهـ ، وهو مُضـطـجـعـ عـلـى وـسـادـةـ مـنـ أـدـمـ ، وـعـنـدـهـ جـمـاعـةـ مـنـ أـصـحـابـ النـبـيـ صـلـى اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ . فقال لهـ رـجـلـ : لـيـسـ عـلـيـكـ بـأـسـ . قالـ : لـئـنـ لـمـ يـكـنـ عـلـىـ الـيـوـمـ لـيـكـونـ بـعـدـ الـيـوـمـ ، وـإـنـ لـلـاحـيـةـ لـفـصـيـبـاـ مـنـ الـقـلـبـ ، وـإـنـ الـمـوـتـ اـسـكـرـةـ ، وـقـدـ كـنـتـ أـحـبـ أـنـ أـنـجـيـ نـفـسـيـ وـأـنـجـوـ مـنـكـ ، وـمـاـ كـنـتـ مـنـ أـمـرـكـ إـلـاـ كـالـغـرـيقـ يـرـىـ الـحـيـاةـ فـيـرـجـوـهـ ، وـيـخـشـيـ أـنـ يـمـوتـ دـوـنـهـ ، فـهـوـ يـرـكـ بـيـدـيـهـ وـرـجـلـيـهـ ؛ وـأـشـدـ مـنـ الغـرـيقـ الـذـىـ يـرـىـ الـجـنـةـ وـالـنـارـ وـهـوـ مـشـغـولـ . وـلـقـدـ تـرـكـ زـهـرـتـكـ كـاـهـىـ ، مـاـ لـبـسـتـهـ فـأـخـلـقـتـهـ ، وـثـرـةـكـ يـانـعـةـ فـأـكـامـهـ مـاـ أـكـلـتـهـ ، وـمـاـ جـنـيـتـ مـاـ جـنـيـتـ إـلـاـكـمـ ، وـمـاـ تـرـكـ وـرـائـيـ دـرـهـاـ مـاـ عـدـاـ ثـلـاثـيـنـ أوـ أـرـبعـيـنـ درـهـاـ ، ثـمـ بـكـىـ وـبـكـىـ الـنـاسـ مـعـهـ . فـقـلـتـ : يـاـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـيـنـ ، أـبـشـرـ ، فـوـالـلـهـ لـقـدـ مـاتـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـى اللهـ

عليه وسلم وهو عنك راضٍ ، ومات أبو بكر وهو عنك راضٍ ، وإن المسلمين راضون عنك . قال : المَغْرُورُ وَاللَّهُ مِنْ غَرَّ تَمُواهُ ، أَمَا وَاللَّهُ لَوْ أَنْ لَّيْ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ لَا فَتَدِيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلَ الْمُطَّالَعَ .

داود بن أبي هِنْد عن قَتَادَةَ قَالَ : لَمَا ثَقَلَ عُمَرَ قَالَ لَوْلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ : ضَعَ خَدَّى عَلَى الْأَرْضِ . فَكَرِهَ أَنْ يَفْعُلْ ذَلِكَ . فَوَضَعَ عُمَرُ خَدَّهُ عَلَى الْأَرْضِ ٥
وَقَالَ : وَيْلٌ لِعُمَرِ وَلَأُمِّ عُمَرِ إِنْ لَمْ يَعْفُ اللَّهُ عَنْهُ .

أَبُو أُمِّيَّةَ بْنَ يَعْلَى عَنْ نَافِعٍ قَالَ : قَيْلَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ : تُغْسِلُ الشَّهِيدَاءِ ؟
قَالَ : كَانَ عُمَرُ أَفْضَلَ الشَّهِيدَاءِ ، فَغُسْلٌ وَكُفْنٌ وَصُلْلٌ عَلَيْهِ .

يونس عن ^(١) الحسن ، وهشام بن عروة عن أبيه ، قالا ^(٢) : لَمَّا طَعَنَ عُمَرُ بْنَ الخطاب قَيْلَ لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ أَسْتَخْلَفْتَ ؟ قَالَ : إِنْ تَرْكُتُكُمْ فَقَدْ تَرَكْتُكُمْ
٢٥٧ ٢ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْكُمْ ، وَإِنْ أَسْتَخْلَفْتُ فَقَدْ أَسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي ، وَلَوْ كَانَ
أَبُو عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَاحَ حَيَا لَا سْتَخْلَفْتُهُ ، فَإِنْ سَأَلْتَنِي رَبِّي قَلْتَ : سَمِعْتُ نَبِيَّكَ
يَقُولُ : إِنَّهُ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ؛ وَلَوْ كَانَ سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ حَيَا لَا سْتَخْلَفْتُهُ ،
فَإِنْ سَأَلْتَنِي رَبِّي قَلْتَ : سَمِعْتُ نَبِيَّكَ يَقُولُ : إِنَّ سَالِمًا لَيُحِبُّ اللَّهَ حُبًّا لَمْ يَخْفَهُ
ما عَصَاهُ . قَيْلَ لَهُ : فَلَوْ أَنَّكَ عَاهَدْتَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ فَإِنَّهُ لَهُ أَهْلٌ فِي دِينِهِ وَفَضْلَهِ
١٥ وَقَدِيمِ إِسْلَامِهِ . قَالَ : بِحَسْبِ آلِ الخطابِ أَنْ يُحَاسَبَ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَاحِدٌ عَنْ
أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْدَدْتُ أَنِّي نَجُوتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ كَفَافًا لَا لِي وَلَا
عَلَيَّ . ثُمَّ رَاحُوا فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، لَوْ عَاهَدْتَ ؟ فَقَالَ : قَدْ كَنْتُ أَجْعَثُ
بَعْدَ مَقَالَتِي لَكُمْ أَنْ أُولَئِكَ أَمْرَكُمْ أَرْجُو أَنْ يَحْمِلُكُمْ عَلَى الْحَقِّ - وَأَشَارَ

٢٠ (١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بَنْ » مَكَانٌ « عَنْ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَيُرَوَى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ يُونُسَ بْنَ أَبِي إِسْحَاقِ وَيُونُسَ بْنَ أَبِي الْفَرَاتِ ؟ كَمَا يُرَوَى عَنْهُ مِنْ أَصْحَابِهِ يُونُسَ بْنَ عَبِيدٍ ، وَقَدْ يَكُونُ هُوَ الْمَعْنَى هُنَا . (انْظُرْ الطَّبْرِيَّ) .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « قَالَ » .

إلى علىٰ - ثم رأيتُ أن لا أتحملها حيَا وموتاً ، فعليكم بهؤلاء الرهط الذين
 قال فيهم النبي صلى الله عليه وسلم . إنهم من أهل الجنة ، منهم سعيد بن زيد
 ابن عمرو بن نفيل ، ولست مدخله فيهم ، ولكن السيدة : علىٰ وعثمان ، أبا
 عبد مناف ، وسعد ، وعبد الرحمن بن عوف ، خال رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
 والزبير ، حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبن عمته ، وطلحة الخير ،
 فليختاروا منهم رجالاً ، فإذا لوكتم عليهم فأحسنوا معاوزته . فقال العباس لمليٰ :
 لا تدخل معهم . قال : أكره الخلاف . قال : إذن ترى ما تكره . فلما
 أصبح عمر دعا علياً وعثمان وسعداً والزبير وعبد الرحمن ، ثم قال : إني نظرتُ
 فوجدتُكم رؤساء الناس وقادتهم ، ولا يكون هذا الأمر إلا فيكم ، وإنى
 لا أخاف الناس عليكم ، ولكنني أخافكم على الناس ، وقد قبض رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهو عنكم راض ، فأجتمعوا إلى حجرة عائشة بادئها ،
 فتشاوروا وأختاروا منكم رجالاً ، ولم يصل بالناس صهيب ثلاثة أيام ، ولا يأتي
 اليوم الرابع إلا عليكم أمير منكم ، ويحضركم عبد الله مشيراً ، ولا شيء له من
 الأمر ، وطلحة شريككم في الأمر ، فإن قدِم في الأيام الثلاثة ^(١) فأحضروه أمركم ،
 وإن مضت الأيام الثلاثة قبل قدومه فامضوا أمركم . ومن لي بطلحة ؟ فقال سعد :
 أنا لك به إن شاء الله . ثم قال لأبي طلحة الأنباري ^(٢) : يا أبا طلحة ، إن الله قد
 أعزكم بالإسلام ، فاخترَّ خمسين رجلاً من الأنصار وكُونوا مع هؤلاء الرهط
 حتى يختاروا رجالاً منهم . وقال المقداد بن الأسود الكندي : إذا وضعتموني
 في حفرتي فاجمع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجالاً منهم . وقال اصهيب : صل
 بالناس ثلاثة أيام ، وأدخل علياً وعثمان والزبير وسعداً وعبد الرحمن وطلحة ، إن

(١) في بعض الأصول : « في ثلاثة أيام » .

(٢) هو أبو طلحة زيد بن سهل بن الأسود ، كان من فضلاء الصحابة . مات سنة
 أربع وثلاثين ، وقيل غير ذلك . (انظر الاستيعاب) .

حضر ، [بيت عائشة] وأحضر عبد الله بن عمر ، وليس له في الأمر شيء ، وقم على رؤوسهم ، فإن اجتمع خمسة على رأى واحد وأبى واحد فاشدَّخ رأسه بالسيف ، وإن اجتمع أربعة فرضوا وأبى الاثنان فأضرب رأسهما ، فإن رضى ثلاثة رجالاً وثلاثة رجالاً فحكموا عبد الله بن عمر ، فإن لم يرضوا بعبد الله فكُونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف واقتلوه الباقيين ، إن رغبوا عمّا اجتمع عليه الناس وخرجوا . فقال على "لقوم معه من بنى هاشم : إن أطيع فيكم قومكم فلن يؤمركم أبداً . وتلقاه العباس فقال له : عدلت علينا . قال له : وما أعلمك ؟ قال : قرن بي عنان ، ثم قال : إن رضى ثلاثة رجالاً وثلاثة ^(١) رجالاً فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، [فسعد لا يخالف ابن عميه عبد الرحمن ، وعبد الرحمن صهر عنان ، لا يختلفون] ، فلو كان الآخرين معي ما نفعاني .

١٠

قال العباس : لم أدفعك في شيء إلا رجعت إلى مستارها بما أكره ، أشرتُ عليك عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم [أن تسأله فيمن] هذا الأمر فأبىت ، وأشرتُ عليك بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تتعاجل الأمر فأبىت ، وأشرتُ عليك حين سماك عمر في الشورى أن لا تدخل معهم فأبىت ، فاحفظ عنك واحدة : كل ما عرض عليك القوم فامسك إلى أن يلوك ، واحذر هذا الرهط فإنهم لا يترحون يدفعوننا عن هذا الأمر حتى يقوم لنا به ^(٢) غيرنا . فلما مات عمر وأخرجت جنازته تصدّى على وعثمان أيهما يصلى عليه . فقال عبد الرحمن : كلاً كاً يحب الأمر ، لستما من هذا في شيء ، هذا صهيب ، أستخلفه عمر يصلى بالناس ثلاثة حتى يجتمع الناس على إمام . فصلى عليه صهيب . فلما دُفن عمر جمع المقداد بن الأسود ^{١٥}
٢٥٨

أهل الشورى في بيت عائشة بإذنها وهم خمسة ، معهم ابن عمر ، وطلحة غائب ،

(١) في بعض الأصول : « رجلان ... ورجلان » مكان : « ثلاثة ... وثلاثة » .

(٢) في بعض الأصول « فيه » .

وأمرها أباً طلحة^(١) فجدهم . وجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة بجلسا بالباب ، فخصبها سعد وأقامها ، وقال : تُريدان أن تقولا : حضرنا وكُنَّا في [أهل] الشورى ! فتنافس القوم في الأمر ، وكثير يفهم الكلام ، كل يرى أنه أحق بالأمر . فقال أبو طلحة : أنا كنت لأن تدعوها أخوف مني لأن تنافسوها^(٢) ، لا والذى ذهب بنفسه محمد لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمر بها عمر أو أجلس في بيته . فقال عبد الرحمن : أيسكم يخرج منها نفسه ويقتلها على أن يولىها أفضلكم ؟ فلم يحبه أحد . قال : فأنا أخلع منها . قال عثمان : أنا أول من رضى ، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : عبد الرحمن أمين في السماء أمين في الأرض . فقال القوم : رضينا ، وعلى ساكت . فقال : ما تقول يا أبا الحسن ؟ قال : إن أعطيتني موثقا لتوثرن الحق ، ولا تتبع الهوى ، ولا تخص ذارئ ، ولا تألو الأمة نصحا . قال : أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معى على من نسل ، وأن ترضوا بما أخذت لكم . فتوثق بعضهم من بعض وجعلوها إلى عبد الرحمن . فخلالاً على^(٣) ، فقال : إنك أحق بالأمر اقربتك وسابقتك وحسن أثرك ، ولم تبعد ، فمن أحق بها بعدك من هؤلاء ؟ قال : عثمان^(٤) . ثم خلا بعثمان فسأله عن مثل ذلك . فقال : على^(٥) . ثم خلا بسعد ، فقال : عثمان^(٦) ، ثم خلا بالزبير . فقال : عثمان^(٧) .

(١) كذا في الطبرى . وفي الأصول : « أبا فروة » .

(٢) في بعض الأصول : « لا تندافعوا فإني أخاف أن تناقصوها » مكان قوله « أنا كنت ... تنافسوها » . (٣) في بعض الأصول : « على » .

(٤) في بعض الأصول : « على » . وما أثبتنا عن سائر الأصول والطبرى .

(٥) زبد في بعض الأصول بعد قوله عثمان ما يأتى : « فقال عمر بن ياسر لعبد الرحمن : إن أردت أن لا يختلف عليك اثنان فول علينا . وقال ابن أبي سرح : إن أردت أن

لا يختلف عليك قرشى فول عثمان . وقال عبد الرحمن : والله ما خلعت نفسى وأنا أرى فيه خيرا ؛ لأنى علمت أنه لا يلى بعد أبي بكر وعمر أحد يرضى الناس أمره .

فلمما أحدث عثمان ما أحدث من تولية الأحداث من أهل بيته وتقديم قرابته ، قيل لعبد الرحمن : هذا كله فعلمك ، قال : لم أظن هذا به ، ولكن الله على أن أكله

أبدا . فات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان ، ودخل عليه عثمان عائدا ، فتحول عنه إلى الحائط ولم يكلمه » . ثم اضطررت في سرد الحديث على غير ما أثبتنا فقدمت وأخرت

أبو الحسن قال : لما خاف على بن أبي طالب عبد الرحمن بن عوف والزبير
 وسعداً أن يكونوا مع عثمان لقي سعداً ومعه الحسن والحسين ، فقال له : (اتقوا
 الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً) . أسلك برحمني
 هذين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبرحمني حمزة منك أن لا تكون
 مع عبد الرحمن ظهيراً على عثمان ، فإني أدل إليك بما لا يدلي به عثمان . ٥

ثم دار عبد الرحمن لياليه تلك على مشائخ قريش يشاورهم ، فكلّهم يشير
 بعثمان ، حتى إذا كان في الليلة التي استكملت صبيحتها الأجل أتى منزل المسور بن
 مخرمة بعد هجرة من الليل فأيقظه ، فقال : ألا أراك [إلا] ناما ولم أذق في هذه
 الليلى نوما ، فأنطريق فادع إلى الزبير وسعداً ، فدعاهما . فبدأ بالزبير في مؤخر
 المسجد ، فقال [له] : خلّ بني عبد مناف لهذا الأمر . فقال : نصيبي لعلى . ١٠
 لسعد : أنا وأنت كالآللة فاجعل نصيبك لي فاختار . قال : أما إن اخترت
 نفسك فنعم ، وأما إن اخترت عثمان فعلى أحب إلى منه . قال : يا أبا إسحاق ،
 إني قد خلعت نفسي منها على أن اختار ، ولو لم أفعل وجعل إلى الخيار ما أرددتها ،
 إني رأيت كأنني في روضة خضراء كثيرة العشب ، فدخل فحل لم أمر مثله ١٥
 خلاً أكرم منه ، فرّ كأنه سهم لا يلتفت إلى شيء مما في الروضة حتى قطعها ،
 ودخل بغير يقلوه فأتبع أثره حتى خرج إليه من الروضة ، ثم دخل خل عبقرى
 يحر خطامه يلتفت يميناً وشمالاً ويغضى قصد الأولين ، ثم خرج من الروضة ،
 ثم دخل بغير رابع فرتع في الروضة ، ولا والله لا أكون البعير الرابع ، ولا
 يقوم بعد أبي بكر وعمر أحد فيرضي الناس عنه . ثم أرسل المسور إلى على ،
 وهو لا يشك أنه صاحب الأمر . ثم أرسل المسور إلى عثمان فناجاه طويلاً حتى
 فرق بينهما أذان الصبح . فلما صلوا الصبح جمع إليه الرهط وبعث إلى من
 حضره من المهاجرين والأنصار ، وإلى أمراء الأجناد ، حتى ارتج المسجد بأهله

قال : أيها الناس ، إنَّ الناس قد أحبُّوا أن تلحق أهلُ الأمصار بأمصارهم وقد علِّموا من أميرُهم . فقال عمَّار بن ياسر : إنْ أردتَ أن لا يختلفُ المسلمون فبایع عليًّا . فقال المقدادُ بن الأسود : صَدَقَ عمَّار ، إنْ بایعتَ عليًّا قلنا : سَمعنا وأطعنا . قال ابنُ أبي سَرْحٍ : إنْ أردتَ أن لا يختلفُ قريشُ فبایع عُثمان ، إنْ بایعتَ عُثمان سمعنا وأطعنا . فَشَتَّمَ عمَّار ابنَ أبي سَرْحٍ ، وقال : متى كنْتَ تَنْصَحُ الْمُسْلِمِينَ ! فَتَكَلَّمَ بْنُو هاشم وبنو أمية . فقال عمَّار : أيها الناس ، إنَّ الله أَكْرَمَنَا بِنَبِيِّنَا وَأَعْزَّنَا بِدِينِنَا ، فَإِنَّنِي تَصْرُفُونَ هَذَا الْأَمْرَ عَنْ بَيْتِنِيْكُمْ ! فقال له رجلٌ مِّنْ بَنِي مُخْزُومٍ : لَقَدْ عَدُوتَ طَوْرَكَ يَا بْنَ سَمِيَّةَ ، وَمَا أَنْتَ وَتَأْمِيرُ قَرِيشٍ لِّأَنْفُسِهَا . فقال سعدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنَ ، أَفْرُغْ قَبْلَ أَنْ يَفْتَنَ النَّاسُ . [قال عبد الرحمن : إِنِّي قَدْ نَظَرْتُ وَشَارَتْ] ، فَلَا تَجْعَلُنَّ أَيْهَا الرَّهْطَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ سَبِيلًا . وَدَعَا عَلِيًّا فَقَالَ : عَلَيْكَ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ لِتَعْمَلَنَّ بِكِتابِ اللهِ وَسُنْنَةِ نَبِيِّهِ ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ ، فَقَالَ : عَلَيْكَ عَهْدُ اللهِ وَمِيثَاقُهُ لِتَعْمَلَنَّ بِكِتابِ اللهِ وَسُنْنَةِ نَبِيِّهِ وَسِيرَةِ الْخَلِيفَتَيْنِ مِنْ بَعْدِهِ ؟ قَالَ : أَعْمَلُ بِمَا يَبْلُغُ عِلْمِي وَطَاقَتِي . ٥

لَيْسَ ذَا بِأَوَّلِ يَوْمٍ تَظَاهَرُ تِلْكَمْ فِيهِ عَلَيْنَا ، أَمَّا وَاللهِ مَا وَلَيْتَ عُثْمَانَ إِلَّا لِيَرِدَ الْأَمْرَ إِلَيْكَ ، وَاللهِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ . فقال عبدُ الرحمن : يَا عَلِيًّا ، لَا تَجْعَلْ عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا ، فَإِنِّي قَدْ نَظَرْتُ وَشَارَتُ النَّاسُ فَإِذَا هُمْ لَا يَعْدُلُونَ بِعُثْمَانَ أَحَدًا . ١٠

نَخْرُجُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ : سَيَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجَلَهُ . فقال المقدادُ : يَا عَبْدَ الرَّحْمَنَ ، أَمَّا وَاللهِ لَقَدْ تَرَكْتَهُ مِنَ الَّذِينَ يَقْضُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدُلُونَ . فقال : يَا مُقْدَدَ ، وَاللهِ لَقَدْ اجْتَهَدَ الْمُسْلِمِينَ . قال : لَئِنْ كَفْتَ أَرَدْتَ بِذَلِكَ اللَّهَ فَأَثَابَكَ اللَّهُ ١٥

ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ . ثُمَّ قَالَ : مَا رَأَيْتُ مُثْلَ مَا أُوتِيَ أَهْلُ هَذَا الْبَيْتِ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ، [إِنِّي لَا يُحِبُّ مِنْ قَرِيشٍ أَنْهُمْ تَرَكُوا رَجُلًا مَا أَقُولُ إِنَّ أَحَدًا أَعْلَمُ [مِنْهُ] ، وَلَا أَقْضَى ٢٠

بالعدل ، ولا أعرف بالحق ، أما والله لو أجد أعوانا ! قال له عبد الرحمن :
يا مقداد ، اتق الله فإني أخشى عليك الفتنة .

قال : وقدم طلحة في اليوم الذي بُويع فيه عثمان ، وقيل له : إن الناس
قد بايعوا عثمان . فقال : أَكُلْ قُرِيشَ رضُوا بِهِ ؟ قالوا : نعم . وأتى عثمان ،
فقال له عثمان : أنت على رأس أمرك . قال طلحة : فَإِنْ أَبِيْتُ أَرْدُهَا ؟ قال :
نعم . قال : أَكُلْ النَّاسَ بَايِعُوكَ ؟ قال : نعم . قال : قد رضيتُ ، لا أُرغِب
عما اجتمع الناس عليه ، وبايده .

وقال المغيرة بن شعبة لعبد الرحمن : يا أبا محمد ، قد أصبتَ إذ بايعتَ عثمان
ولو بايعت غيره ما رضيتك . قال : كذبتَ يا أور ، لو بايعتُ غيره لم يبايعته
وقلت هذه المقالة .

١٠
١٥
٢٠

وقال عبد الله بن عباس : ماشيتُ عمرَ بن الخطاب يوماً فقال لي :
يابن عباس ، ما يمنع قومكم وأتم أهلُ البيت خاصة ؟ قلت : لا أدرى .
قال : لـكـنـىـ أـدـرـىـ ، إـنـكـمـ فـضـلـتـمـوـهـمـ بـالـنـبـوـةـ ، فـقـالـوـاـ :ـ إـنـ فـضـلـواـ بـالـخـلـافـةـ مـعـ النـبـوـةـ
لـمـ يـبـقـواـ لـنـاـ شـيـئـاـ ، وـإـنـ أـفـضـلـ النـصـيـبـيـنـ بـأـيـدـيـكـمـ ، بـلـ مـاـ إـخـالـهـ إـلـاـ مـجـمـعـةـ لـكـمـ
وـإـنـ نـزـلـتـ عـلـىـ رـغـمـ أـنـفـ قـرـيشـ .

فـلـمـ أـحـدـثـ عـمـانـ مـاـ أـحـدـثـ مـنـ تـأـمـيرـ الـأـحـدـاتـ مـنـ أـهـلـ بـيـتـهـ عـلـىـ الـجـلـةـ
مـنـ أـحـبـابـ مـحـمـدـ ، قـيـلـ لـعـبـدـ الرـحـمـنـ :ـ هـذـاـ عـمـلـكـ ، قـالـ :ـ مـاـ ظـنـتـ هـذـاـ ، شـمـ مـضـىـ
وـدـخـلـ عـلـيـهـ وـعـاتـبـهـ ، وـقـالـ :ـ إـنـمـاـ قـدـمـتـكـ عـلـىـ أـنـ تـسـيـرـ فـيـنـاـ بـسـيـرـةـ أـبـيـ بـكـرـ وـعـمـ،
نـخـافـتـهـمـ وـحـابـيـتـ أـهـلـ بـيـتـهـ وـأـوـطـأـتـهـمـ رـقـابـ الـمـسـلـمـيـنـ .ـ فـقـالـ :ـ إـنـ عـمـرـ كـانـ
يـقـطـعـ قـرـابـتـهـ فـيـ اللـهـ وـأـنـاـ أـصـلـ قـرـابـتـيـ فـيـ اللـهـ .ـ قـالـ عـبـدـ الرـحـمـنـ :ـ اللـهـ عـلـىـ أـنـ
لـأـكـلـكـ أـبـداـ ، فـلـمـ يـكـلـمـهـ أـبـداـ حـتـىـ مـاتـ ، وـدـخـلـ عـلـيـهـ عـمـانـ عـائـدـاـ لـهـ فـيـ صـرـضـهـ،
فـتـحـوـلـ عـنـهـ إـلـىـ الـحـاطـطـ وـلـمـ يـكـلـمـهـ .

ذكروا أنَّ زِياداً أَوْفَدَ ابْنَ حُصَيْنَ^(١) عَلَى مَعَاوِيَةَ، فَأَقَامَ عَنْهُ مَا أَقَامَ، ثُمَّ
إِنَّ مَعَاوِيَةَ بَعَثَ إِلَيْهِ لِيَلَّا، نَخْلَابَهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا بْنَ حُصَيْنَ، قَدْ بَلَغْتَ أَنَّ عَنْكَ
ذِهْنَكَ وَعَقْلَكَ، فَأَخْبَرْتَنِي عَنْ شَيْءٍ أَسْأَلُكَ عَنْهُ. قَالَ: سَلَّنِي عَمَّا بَدَا لَكَ. قَالَ:
أَخْبَرْتَنِي مَا الَّذِي شَتَّتَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ وَفَرَقَ أَهْوَاءِهِمْ^(٢) وَخَالَفَ بَيْنَهُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ،
قُتِلَ النَّاسُ عَمَّا نَحْنُ. قَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: فَسِيرُ عَلَى إِيمَكَ وَقِتَالِهِ إِيَّاكَ.
قَالَ: مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: فَسِيرُ طَلِحَةَ وَالْزَّبَرِ وَعَائِشَةَ وَقِتَالُ عَلَى إِيَّاهُمْ. قَالَ:
مَا صَنَعْتَ شَيْئًا. قَالَ: مَا عَنِّي غَيْرُ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ: فَأَنَا أَخْبُرُكَ،
إِنَّهُ لَمْ يُشَتَّتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَا فَرَقَ أَهْوَاءِهِمْ [وَلَا خَالَفَ بَيْنَهُمْ] إِلَّا الشُّورِيُّ الَّتِي
جَعَلَهَا عَمَرٌ إِلَى سَتَّةِ نَفَرٍ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً بِالْهُدَى وَدِينَ الْحَقِّ لِيُظَهِّرَ عَلَى
الْدِينِ كُلَّهُ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، فَعَمِلَ بِمَا أَمْرَهُ اللَّهُ بِهِ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، وَقَدَّمَ
أَبَا بَكْرَ لِلصَّلَاةِ، فَرَضُوهُ لِأَمْرِ دُنْيَا هُمْ إِذْ رَضِيَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَمْرِ
دِينِهِمْ، فَعَمِلَ بِسُنْنَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَارَ بِسَيِّرَهُ، حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ،
وَأَسْتَخَلَفَ عَمَرٌ، فَعَمِلَ بِمِثْلِ سَيِّرَتِهِ، ثُمَّ جَعَلَهَا شُورِيَّ بَيْنَ سَتَّةِ نَفَرٍ، فَلَمْ يَكُنْ
رَجُلٌ مِّنْهُمْ إِلَّا رَجَاهَا لِنَفْسِهِ وَرَجَاهَا لِهِ قَوْمُهُ، وَتَطَلَّعَ إِلَى ذَلِكَ نَفْسُهُ.
وَلَوْ أَنَّ عَمَرَ أَسْتَخَلَفَ عَلَيْهِمْ كَمَا أَسْتَخَلَفَ أَبَا بَكْرَ مَا كَانَ فِي ذَلِكَ أَخْتِلَافٌ.

وَقَالَ الْمُغَيْرَةُ بْنُ شُعْبَةَ: إِنَّ لِعَنْدِ عَمَرِ بْنِ الْخَطَّابِ، لِيَسْ عَنْهُ أَحَدٌ غَيْرِيْ، إِذَا أَتَاهُ
آتٍ فَقَالَ: هَلْ لَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي نَفَرٍ مِّنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، يَزْعُمُونَ أَنَّ الَّذِي فَعَلَ أَبَا بَكْرَ فِي نَفْسِهِ وَفِيهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ، وَأَنَّهُ كَانَ بِغَيْرِ
مَشَوَّرَةٍ وَلَا مُؤَامَرَةٍ، وَقَالُوا: تَعَالَوْا نَتَعَاهَدُ أَنْ لَا نَعُودُ إِلَى مِثْلِهَا. قَالَ عَمَرٌ: وَأَنِّي
هُمْ؟ قَالَ: فِي دَارِ طَلْحَةَ. نَخْرَجُ نَحْوَهُ وَخَرَجْتُ مَعَهُ، وَمَا أَعْلَمُهُ يُبَصِّرُنِي مِنْ
شَدَّةِ الغَضَبِ، فَلَمَّا رَأَوْهُ كَرَهُوهُ وَظَنُّوا إِنَّهُمْ جَاءُ لَهُ. فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ، وَقَالَ:
أَنْتُمُ الْقَائِلُونَ مَا قَلْتُمْ؟ وَاللَّهُ لَنْ^(٣) تَتَحَابُوا حَتَّى يَتَحَابَ الْأَرْبَعَةُ: الْإِنْسَانُ وَالشَّيْطَانُ

(١) هو عمران بن حصين.

(٢) في بعض الأصول: « وملائم » مكان « وفرق أهواهم ».

(٣) في بعض الأصول: « لا ».

يُغويه وهو يَلْعَنُه ، والنار والماء يطفئها وهي تُحرق ، ولم يَأْنِ لِكُمْ بَعْدُ ، وقد آن ميعادُكم ميعاد المسيح^(١) متى هو خارج . قال : فَتَفَرَّقُوا فَسَلَكَ كُلُّ واحدٍ منهم طريقاً . قال المُغيرة : [ثم] قال لى : أَدْرِكَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ فَأَحْدِسُهُ عَلَىْ . فقلت : لا يَفْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَهُوَ مُغَدِّرٌ^(٢) . فقال : أَدْرِكْهُ وَإِلَّا قُلْتُ لَكَ يَا بْنَ الدَّبَاغَةَ . قال : فَأَدْرِكْتُهُ ، فقلت له : قِفْ مَكَانَكَ لِإِمَامِكَ وَأَحْلِمْ فِيْ إِيمَانِ سُلْطَانِ وَسَيِّنَدِمْ وَتَنَدِمْ . قال : فَأَقْبَلَ عَمْرٌ ، فقال : وَاللَّهِ مَا خَرَجَ هَذَا الْأَمْرُ إِلَّا مِنْ تَحْتِ يَدِكَ . قال عَلَىْ : أَتَقْ أَنْ لَا^(٣) تَكُونَ النَّذِيْنُ نُطِيعُكَ فَنَفْتَنِتُكَ . قال : وَتُحِبُّ أَنْ تَكُونَ هُوَ ؟ قال : لَا ، وَلَا كَنَّنَا نُذَكِّرُكَ الذِّي نَسِيْتَ . فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِ عَمْرٌ فَقال : أَنْصَرْفُ ، فَقَدْ سَمِعْتَ مَنَّا عَنْدَ الغَضَبِ مَا كَفَاكَ . فَتَنَحَّيْتُ قَرِيبًا ، ١٠ وَمَا وَقَفْتُ إِلَّا خَشِيَّةً أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ فَأَكَوْنَ قَرِيبًا ، فَتَكَلَّمَ كَلَامًا غَيْرَ غَضْبَانِيْنَ وَلَا رَاضِيْنَ ، ثُمَّ رَأَيْتُهُمَا يَضْحِكَانْ وَتَفَرَّقَا . وَجَاءَنِي عَمْرٌ ، فَهَشَيْتُ مَعْهُ وَقُلْتُ : يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ ، أَغْضَبْتَ ؟ قال : فَأَشَارَ إِلَيْهِ عَلَىْ وَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَوْلَا دُعَابَةً^٤ فِيهِ مَا شَكَكْتُ فِي وَلَايَتِهِ ، وَإِنْ نَزَّلْتُ عَلَىْ رَغْمِ أَنْفِ قَرِيشٍ .

الْعُتْبَى عَنْ أَبِيهِ : إِنْ عُتْبَةَ بْنَ أَبِي سُفَيْفَانَ قَالَ : كَفْتُ مَعَ مَعَاوِيَةَ فِي دَارِ كِنْدَةَ ، إِذْ أَقْبَلَ الْحَسْنُ وَالْحُسْنَى وَمُحَمَّدُ ، بَنُو عَلَىْ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ، فقلت : ١٥ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ أَشْعَارًا وَأَبْشَارًا ، وَلَيْسَ مِثْلُهُمْ كَذَبٌ ، وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ أَبَاهُمْ كَانَ يَعْلَمُ . فقال : إِلَيْكَ مِنْ صَوْتِكَ ، قَدْ قَرُبَ الْقَوْمُ ، فَإِذَا قَامُوا فَذَكَرْنِي بِالْحَدِيثِ ، فَلَمَّا قَامُوا قُلْتُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ مِنْ الْحَدِيثِ ؟ قال : كُلُّ الْقَوْمَ كَانَ يَعْلَمُ وَكَانَ أَبُوهُمْ مِنْ أَعْلَمِهِمْ . ثُمَّ قال : ٢٠ قَدَمْتُ عَلَىْ عَمَّرَ بْنِ الْخَطَابِ ، فَإِنِّي عَنْهُ إِذْ جَاءَهُ عَلَىْ وَعْثَانَ وَطَلْحَةَ وَالْزَّبِيرَ وَمَعْدُودَ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ ، فَاسْتَأْذَنُوا ، فَأَذِنْتُ لَهُمْ ، فَدَخَلُوا وَهُمْ يَقْدَافُونَ

(١) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « الْمَسِيحُ » بِالْحَاءِ الْمُهَمَّلَةِ .

(٢) مُغَدِّرٌ : غَضِيبٌ . وَفِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « فَوَاللَّهِ مَا غَدَدْتُ أَبْغَضْهُمْ » .

(٣) أَيْ لَثَلَاثَةٌ تَكُونُ .

ويَضِحُّونَ ، فلما رأَهُمْ عُمَرُ نَكَسَ ، فَلَمُّا أَنَّهُ عَلَى حَاجَةٍ ، فَقَامُوا كَمَا دَخَلُوا .
 فَلَمَّا قَامُوا أَتَبَعَهُمْ بَصَرَهُ ، فَقَالَ : فِتْنَةٌ^(١) ، أَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَقَدْ كَفَانِي اللهُ
 شَرَّهُمْ . قَالَ : وَلَمْ يَكُنْ عُمَرُ بِالْوَجْلِ يُسَأَلُ عَمَّا لَا يُفَسِّرُ . فَلَمَّا خَرَجَتْ جَعْلَتْ
 طَرِيقَ عَلَى عُثَمَانَ خَدْثَتْهُ الْحَدِيثَ وَسَأَلَتْهُ السَّتْرَ . قَالَ : نَعَمْ ، عَلَى شَرِيعَةِ
 ٥ قَلْتَ : هَذِهِ لَكَ . قَالَ : تَسْمَعُ مَا أَخْبَرْتَ بِهِ وَتَسْكُتْ إِذَا سَكَتْ^(٢) . قَلْتَ : نَعَمْ .
 قَالَ : سَقَةٌ يُقْدِحُ بِهِ زِنَادَ الْفِتْنَةِ يَجْرِي الدَّمُ مِنْهُمْ عَلَى أَرْبَعَةِ . قَالَ : ثُمَّ سَكَتْ .
 وَخَرَجَتْ إِلَى الشَّامَ ، فَلَمَّا قَدِمَتْ عَلَى عُمَرَ خَدَثَ مِنْ أَمْرِهِ مَا حَدَثَ ، فَلَمَّا
 مَضَتِ الشُّورِيَّةِ ، ذَكَرَتِ الْحَدِيثُ ، فَأَتَيْتَ بَيْتَ عُثَمَانَ وَهُوَ جَالِسٌ وَبِيْدِهِ قَضِيبٌ ،
 ٦٦٠ فَقَلْتَ : يَا أَبا عَبْدِ اللهِ ، تَذَكَّرُ الْحَدِيثُ الَّذِي حَدَّثْتَنِي ؟ قَالَ : فَأَزَمَّ عَلَى الْقَضِيبِ
 ١٠ عَصَمًا ، ثُمَّ أَقْلَعَ عَنْهُ وَقَدْ أَثْرَ فِيهِ ، فَقَالَ : وَيَحْكُ يَا مَعَاوِيَةَ ، أَئِّ شَيْءٌ ذَكَرْتَنِي !
 لَوْلَا أَنْ يَقُولَ النَّاسُ خَافَ أَنْ يُؤْخَذَ عَلَيْهِ خَرَجَتْ إِلَى النَّاسِ مِنْهَا . قَالَ :
 فَأَبَى قَضَاءِ اللهِ إِلَّا مَا تَرَى .

وَمَا نَقَمَ النَّاسُ عَلَى عُثَمَانَ أَنَّهُ آوَى طَرِيدَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 الْحَكَمَ بْنَ أَبِي العاصِ ، وَلَمْ يُؤْوِهِ أَبُو بَكْرَ وَلَا عُمَرَ ، وَأَعْطَاهُ مائَةً أَلْفًا ، وَسَيِّرَ
 ١٥ أَبَا ذَرَ إِلَى الرَّبَّذَةِ ، وَسَيِّرَ عَاصِرَ بْنَ عَبْدِ قَيْسَ مِنْ الْبَصَرَةِ إِلَى الشَّامَ ، وَطَلَبَ مِنْهُ
 عُبَيْدَ اللهِ بْنَ خَالِدَ بْنَ أَسِيدَ صَلَّةً فَأَعْطَاهُ أَرْبَعَمِائَةً أَلْفًا ، وَتَصَدَّقَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى
 اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِهِزَّر — مَوْضِعُ سُوقِ الْمَدِينَةِ — عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَأَقْطَعُهَا الْحَارَثُ بْنُ
 الْحَكَمِ ، أَخَا مَرْوَانَ ، وَأَقْطَعَ فَدَكَ^(٢) مَرْوَانَ ، وَهِيَ صَدَقَةٌ لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَافْتَتَحَ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَأَخْذَ حُمْسَهُ فَوَهَبَهُ لَمَرْوَانَ . فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ
 ٢٠ حَفْبَلَ^(٣) الْجَمْحَى :

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « فِتْنَةٌ » .

(٢) انْظُرْ الْحَاشِيَّةَ (رَقْمُ ١ ص ٢١٦) مِنْ هَذَا الْجَزْءِ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « جَعْلٌ » . وَمَا أَثَبَنَا عَنْ سَائِرِ الْأَصْوَلِ وَالْمَعَارِفِ وَالْطَّبَرِيِّ .

فَأَحْلِفُ بِاللهِ رَبِّ الْأَنَاءِ مَا كَتَبَ^(١) اللَّهُ شَيْئًا سُدَى
وَلَكُنْ خُلِقْتَ لَنَا فِتْنَةً لَكِ نُبْتَلِي بِكَ أَوْ تُبْتَلِي
فَإِنَّ الْأَمِينَينَ قَدْ بَيْنَنَا مَنَارًا لِّهُدِّي
فَاخْرَذَا دِرْهَمًا غِيلَةً وَمَا تَرَكَ دِرْهَمًا فِي هَوَى
وَأُعْطِيَتَ مَرْوَانُ حُمَّسُ الْعَبَا دِهِيَّاتَ شَأْوَكَ مِنْ شَائِي^(٢)

٥

نسب عثمان وصفته

٢٦٢ هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف .
أمها أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس . وأمهما البيضاء بنت عبد المطلب بن هاشم ، عممة النبي صلى الله عليه وسلم . وكان عثمان أبيضَ مُشرِّبَا صُفرة ، كأنها فضة وذهب ، حَسَنَ الْقَامَة ، حَسَنَ السَّاعِدِين ، سَبَطَ الشِّعْر ،
أصلع الرأس ، أجمل الناس إذا أعتم ، مُشَرِّفُ الْأَنْف ، عَظِيمُ الْأَرْنَبَة ، كثير شَعْرِ السَّاقِينِ وَالذَّرَاعِينِ ، ضَخْمُ الْكَرَادِيسِ ، بَعِيدٌ مَا بَيْنَ الْمُنْكَبَيْنِ . ولما أَسْنَ شَدَّ أَسْنَانَه بالذَّهَب ، وسَلِسَ بَوْلُه ، فَكَانَ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلَة . وَلِيَ الْخِلَافَةَ مُذْسِلَخَ ذِي الْحِجَّةَ سَنَةَ ثَلَاثَ وَعَشْرِينَ ، وَقُتُلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ صَبَيْحَةَ عِيدِ الأضحى سَنَةَ خَمْسَ وَثَلَاثِينَ . وفي ذلك يقول حسان :

١٥ ضَحَّوا بِأَشْمَطِ عُنْوانِ الشُّجُودِ بِهِ يُقْطَعُ الْلَّيْلَ تَسْبِيحًا وَقُرْآنًا^(٣)
لَنْسَمَنْ وَشِيكًا فِي دِيَارِهِمُ^(٤) اللَّهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُمَانَا
فَكَانَتْ وَلَا يَتَهُ أَثْنَى عَشْرَةَ سَنَةً وَسَمْتَهُ عَشْرَ يَوْمًا . وَهُوَ أَبْنَ أَرْبَعِ وَثَمَانِينَ
سَنَةً . وَكَانَ عَلَى شُرُطَتِهِ — وَهُوَ أَوْلُ مَنْ أَتَخَذَ صَاحِبَ شَرْطَةً — عَبِيدُ اللَّهِ

٢٠

(١) في بعض الأصول : « ما ترك ». .

(٢) في بعض الأصول : « تشاء ». .

(٣) هذا البيت ليس من أبيات الديوان .

(٤) في الديوان : « في دياركم ». .

ابن فتفذ^(١). وعلى بيت المال ، عبد^(٢) الله بن أرقم ، ثم أستعفاه . وكاتبُه : مروان . وحاجبه : حران ، مولاه .

فضائل عثمان

٥ سالم^{*} بن عبد الله عن عبد الله بن عمر ، قال : أصاب الناس مجاعة في غزوة تبوك ، فأشترى عثمان طعاماً على ما يصلاح العسكري ، وجهز به عيراً . فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى سواد مقبل ، فقال : هذا جمل أشقر قد جاءكم بميرة^(٣) . فأنىخت الركائب ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه إلى السماء وقال : اللهم إني قد رضيتك عن عثمان فارض عنه . وكان عثمان حليها سخيناً محبيها إلى قريش ، حتى كان يقال : « أحبك والرحمن ، حب قريش عثمان ». ١٠ وزوجه النبي صلى الله عليه وسلم رقية ابنته ، فماتت عنده ، فزوجه أم كلثوم ابنته أيضاً .

الزهرى عن سعيد بن المسيب^(٤) ، قال : لما ماتت رقية جزع عثمان عليها ، وقال : يا رسول الله ، انقطع صہری منك . قال : إن صهرك مني لا ينقطع ، وقد أمرني جبريل أن أزوجك أختها بأمر الله .

١٥ عبد الله بن عباس قال : سمعت عثمان بن عفان يقول : دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا البيت ، فرأى ضجيعاً^(٥) لأم كلثوم ، فاستعبر^(٦) . فقلت : والذى بعثك بالحق ما أضطجعت عليه^(٧) أنت بعدها . فقال : ليس لهذا

(١) الذى في الاشتغال لابن دريد : « فتفذ بن عمير بن جدعان » .

(٢) في بعض الأصول : « عبيد » .

(٣) في بعض الأصول : « بخیر » .

(٤) المسيب ، كمحدث ، بصيغة اسم الفاعل ، ويفتح .

(٥) في بعض الأصول : « ضجاعاً » .

(٦) في بعض الأصول : « فاستعفر » .

(٧) عليه ، أى على فراش رقية . وفي بعض الأصول : « ما أضجعت على » .

أَسْتَعْبُرُ^(١) ، فَإِنَّ الشَّيْابَ لِلْحَىٰ وَالْمَيْتِ الْحَجَرَ ، وَلَوْ كُنْ يَا عُثَمَانَ عَشْرًا
ازْوَجْتُكُهُنَّ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةً .

وعرض عمر بن الخطاب ابنته حفصة على عثمان فأبى منها ، فشكاه عمر
إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : سيرزوج الله أبنتك خيراً من عثمان ،
ويزوج عثمان خيراً من أبنتك . فتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة ،
وزوج أبنقها من عثمان بن عفان .

[ومن حديث الشعبي أن النبي عليه السلام دخل عليه عثمان ، فسوى
ثوبه عليه وقال : كيف لا أستحيى من تستحي منه الملائكة !]

مقتل عثمان بن عفان

الرّياشى عن الأصمعى قال : كان القواد الذين ساروا إلى المدينة في أمر عثمان أربعة : عبد الرحمن بن عديس التّنخوى ، وحكيم بن جبلة العبدى ، والأشتراخى ، وعبد الله بن فديك الخزاعى . فقدموا المدينة خاصروه ، وحاصره معهم قوم من المهاجرين والأنصار ، حتى دخلوا عليه فقتلوه والمصحف بين يديه . ثم تقدموا إليه وهو يقرأ يوم الجمعة صلبيحة النّحر ، وأرادوا أن يقطعوا رأسه ويدهباوا به ، فرمّت نفسها عليه امرأته نائلة بنت الفرافصة ، وابنة شيبة بن ربيعة^(٢) ، فتركوه وخرجوا . فلما كان ايلم الليل أتّدّب لدفنه رجال ، منهم جعير ابن مطعم ، وحكيم بن حرام ، وأبو الجهم^(٣) بن حذيفة ، وعبد الله بن الزبير ، فوضعوه على باب صغير ، وخرجوا به إلى البقيع ، ومعهم نائلة بنت الفرافصة بيدها السّراج . فلما بلغوا به البقيع مَنْعِمٌ من دفنه فيه رجال من بني ساعدة ،

(١) في بعض الأصول : « استغرت » .

(٢) هي رملة بنت شيبة بن ربيعة . وفي بعض الأصول : « عليه » تحرير . (انظر الطبرى والطبقات) .

(٣) في الإصابة والطبقات والطبرى : « وأبو جهم » .

فردّوه إلى حُشْ كوكب^(١) ، فدفنه فيه ، وصلى عليه جُبِيرُ بْنُ مُطَعْمٍ ، ويقال : حَكَيمُ بْنُ حِزَامٍ . وَدَخَلَتِ الْقَبْرَ نَائِلَةُ بَنْتِ الْفَرَافِصَةَ ، وَأُمُّ الْبَنِينَ بَنْتِ عَيْدِنَةَ^(٢) ، زوجتها ، وَهَا دَلْتَاهَا فِي الْقَبْرِ .

والحُشْ : البستان . وَكَانَ حُشْ كوكب ، اشتراه عثمان ، بِجُمْلِهِ أَوْلَادُهُ

٥ مقبرة المسلمين .

يعقوب بن عبد الرحمن : عن محمد بن عيسى الدمشقي عن محمد بن عبد الرحمن ابن أبي ذئب عن محمد بن شهاب الزهرى قال : قلت لسعيد بن المسيب : هل أنت تُخْبِرُ كَيْفَ قُتِلَ عُثْمَانُ ؟ وما كان شأن الناس وشأنه ؟ ولم يَذْلِهِ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ فقال : قُتِلَ عُثْمَانُ مَظْلُومًا ، وَمَنْ قَتَلَهُ كَانَ ظَالِمًا ، وَمَنْ يَذْلِهِ كَانَ مَعْذُورًا^(٣) . قلت : وكيف ذاك ؟ قال : إِنَّ عُثْمَانَ لَمَّا وَلَىَ كَرْهًا وَلَا يَتَّهِيَ نَفْرًا^(٤) من أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، لَأَنَّ عُثْمَانَ كَانَ يُحِبُّ قَوْمَهُ ، فَوَلَىَ النَّاسَ أَثْنَى عَشْرَةَ سَنَةً^(٥) ، وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُوْلَى بَنِي أُمَّيَّةَ ، مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَاحِبَةً ، وَكَانَ يَجْحِيُّ مِنْ أَمْرِ أَهْلِهِ مَا يُنْكِرُهُ^(٦) أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ، فَكَانَ يُسْتَعْتَبُ فِيهِمْ فَلَا يَعْزَلُهُمْ . فَلَمَّا كَانَ فِي الْحِجَاجِ الْآخِرَةِ^(٧) اسْتَأْتَرَ بَنِي عَمْهُ فَوَلَّهُمْ ١٥ وَأَمْرَهُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ ، نَخْرَجُوا . وَوَلَّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي سَرْحٍ مَصْرَ ، فَكَثُرَ عَلَيْهَا سِنِينَ ، فَجَاءَ أَهْلُ مَصْرٍ يَشْكُونَهُ وَيَتَظَالِمُونَ مِنْهُ . وَمَنْ قَبْلَ ذَلِكَ كَانَ مِنْ عُثْمَانَ هَذَا^(٨) إلى عبد الله بن مسعود وأبي ذر وعمار بن ياسر . فَكَانَتْ هُذِيلُ وَبَنُو زُهْرَةَ فِي قُلُوبِهِمْ مَا فِيهَا لَابن مسعود . وَكَانَتْ بَنُو غِفارَ وَأَحْلَافُهَا وَمَنْ غَضِبَ لِأَبِي ذَرٍ فِي قُلُوبِهِمْ مَا فِيهَا . وَكَانَتْ بَنُو مَخْزُومَ قَدْ حَنِقَتْ عَلَى عُثْمَانَ بِمَا نَالَ^(٩) عمَّارَ بْنَ

٢٠ (١) كوكب ، الذي أضيف إليه « حش » اسم رجل من الأنصار . وحسن كوكب : عند بقیع الغرقد ، اشتراه عثمان بن عفان وزاده في البقیع . (انظر معجم البلدان) .

(٢) في الأصول : « عتبة » .

(٣) في بعض الأصول : « ما يكره » .

(٤) في بعض الأصول : « الباقيه » .

(٥) في بعض الأصول : « بحال » مكان « بحال » .

ياسر . وجاء أهل مصر يشكون من ابن أبي سرح ، فكتب إليه عثمان كتاباً
 يتهدّده ، فأبى ابن أبي سرح أن يقبل مانهاه عثمان عنه ، وضرب رجلاً من أئمّة
 عثمان ، فقتلها . خرج من أهل مصر سبعاً نة رجل إلى المدينة ، فنزلوا المسجد ،
 وشكوا إلى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في مواقيت الصلاة ما صنع ابن
 ٥ أبي سرح . فقام طلحة بن عبيد الله فكلّم عثمان بكلام شديد . وأرسلت إليه
 عائشة : قد تقدّم إليك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وسألوك عزل
 هذا الرجل فأبىت أن تعزله ، فهذا قد قتل منهم رجلاً ، فأنصفهم من عاملك .
 ودخل عليه على ، وكان متكلّماً القوم ، فقال : إنما سألكم رجلاً مكان رجل ،
 وقد أدعوا قبله دمًا ، فاعزله عنهم ، وأقض بينهم ، وإن وجب عليه حقّ فأنصفهم
 ١٠ منه . فقال لهم : أختاروا رجلاً أوله عليكم مكانه . فأشار الناس عليهم بمحمد
 ابن أبي بكر . فقالوا : أستعمل علينا محمد بن أبي بكر . فكتب عهده وولاه ،
 وأخرج معهم عدّة من المهاجرين والأنصار ينظرون فيما بين أهل مصر وابن أبي
 سرح . خرج محمد ومن معه ، فلما كان على مسيرة ثلاثة أيام من المدينة إذا هم
 ١٥ بغلام أسود على بعير يخطب الأرض خبطاً ، كأنه رجل يطلب أو يطلب . فقال
 له أصحاب محمد : ما قصتك؟ وما شأنك؟ كأنك هارب أو طالب . فقال : أنا
 غلامُ أمير المؤمنين وجهني إلى عامل مصر . فقالوا : هذا عامل مصر معنا .
 قال : ليس هذا أريد . وأخبر بأمره محمد بن أبي بكر ، فبعث في طلبه ،
 فأتى به ، فقال له : غلامُ من أنت؟ قال : فأقبل مرأة يقول : غلامُ أمير
 المؤمنين ، ومرة : غلامُ مروان ، حتى عرفه رجل منهم أنه لعثمان . فقال له محمد :
 ٢٦٤ إلى من أرسلت؟ قال . إلى عامل مصر . قال : لماذا؟ قال : برسالة . قال : معلم
 ٢ كتاب؟ قال : لا . ففتشوه فلم يوجد معه شيء إلا إداوة قد يبست فيها شيء
 يتكلّل ، فرث كوه ليخرج فلم يخرج ، فشقوا الإداوة ، فإذا فيها كتاب من عثمان
 إلى ابن أبي سرح . جمع محمد من كان معه من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ثم فك

الكتاب بِمَحْضِهِ مِنْهُمْ ، فَإِذَا فِيهِ : إِذَا جَاءَكُمْ مُحَمَّدٌ وَفَلَانٌ وَفَلَانٌ فَاحْتَلُ لَقْتَلَهُمْ ،
وَأَبْطَلَ كِتَابَهُمْ ، وَقَرَّ عَلَى عَمَلِكَ حَتَّى يَأْتِيَكُمْ رَأْيِي ، وَأَحْتَسِسَ مَنْ جَاءَ يَتَظَلَّمُ مِنْكُمْ
لِيَأْتِيَكُمْ فِي ذَلِكَ رَأْيِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ . فَلَمَّا قَرَءُوا الْكِتَابَ فَزَعُوا وَعَزَّمُوا عَلَى الرُّجُوعِ
إِلَى الْمَدِينَةِ ، وَخَتَمَ مُحَمَّدُ الْكِتَابَ بِنَحْوَتِمِ الْقَوْمِ الَّذِينَ أُرْسَلُوا مَعَهُ ، وَدَفَعُوا الْكِتَابَ
إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ ، وَقَدِمُوا الْمَدِينَةَ فَجَمَعُوا عَلَيْهَا وَطَاهَةً وَالْزَّبَرَ وَسَعْدًا وَمَنْ كَانَ
مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ فَكَوْا الْكِتَابَ بِسَاحَضَرِهِمْ
وَأَخْبَرُوهُمْ بِقَصَّةِ الْغَلامَ ، وَأَفْرَءُوهُمِ الْكِتَابَ . فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ فِي الْمَدِينَةِ إِلَّا حَنِقَ
عَلَى عُثَمَانَ ، وَأَزْدَادَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ غَاضِبًا لِأَبْنَى مُسَعُودَ وَأَبْنَى ذَرَ وَعُمَارَ بْنَ يَاسِرَ غَاضِبًا
وَحَنِقًا ، وَقَامَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمَّا حَقَّوْا مَنَازِلَهُمْ ، مَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا
وَهُوَ مُغْتَمٌ بِمَا قَرَءَوا فِي الْكِتَابِ . وَحَاصَرَ النَّاسُ عُثَمَانَ ، وَأَجْلَبَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ
أَبْيَ بَكْرٍ بْنِ تَيمٍ وَغَيْرِهِمْ ، وَأَعْانَهُ طَاهَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ عَلَى ذَلِكَ . وَكَانَتْ عَائِشَةَ
تُقْرَضُهُ^(١) كَثِيرًا . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ عَلَيْهِ بَعْثَةً إِلَى طَاهَةَ وَالْزَّبَرِ وَسَعْدِ وَعُمَارَ وَنَفِرَ
مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، كُلُّهُمْ بَدْرِي ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَى عُثَمَانَ
وَمَعَهُ الْكِتَابُ وَالْغَلامُ وَالْبَعِيرُ ، وَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ : هَذَا الْغَلامُ غَلامُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
وَالْبَعِيرُ بَعِيرُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . وَالْخَاتَمُ خَاتَمُكَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَنْتَ كَتَبْتَ
الْكِتَابَ ؟ قَالَ : لَا ، وَحَلَفَ بِاللهِ : مَا كَتَبْتُ الْكِتَابَ وَلَا أَمْرَتُ بِهِ وَلَا وَجَهْتَ
الْغَلامَ إِلَى مَصْرَ قَطْ . وَأَمَّا الْخَطُّ فَعْرَفُوا أَنَّهُ خَطُ مَرْوَانَ ، وَشَكَوْا فِي أَمْرِ عُثَمَانَ
وَسَأْلُوهُ أَنْ يَدْفَعْ إِلَيْهِمْ مَرْوَانَ ، فَأَبَى . وَكَانَ مَرْوَانَ عَنْدَهُ فِي الدَّارِ . نَفَرَ أَصْحَابُ
مُحَمَّدٍ مِنْ عَنْدِهِ غَاضِبًا ; وَشَكَوْا فِي أَمْرِ عُثَمَانَ ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَا يَحْلِفُ بِاطْلَالًا ، إِلَّا أَنَّ
قَوْمًا قَالُوا : لَا يُبْرِئُ عُثَمَانَ إِلَّا أَنْ يَدْفَعْ إِلَيْهِمْ مَرْوَانَ ، حَتَّى نَمَتْحَنَهُ وَنَعْرِفَ أَمْرَ
هَذَا الْكِتَابَ ، وَكَيْفَ يَأْمُرُ بِقَتْلِ رِجَالٍ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِغَيْرِ
حَقٍّ ! إِنْ يَكُونَ عُثَمَانُ كَتَبْهُ عَزْلَنَاهُ ، وَإِنْ يَكُونَ مَرْوَانُ كَتَبْهُ عَلَى لِسَانِهِ نَظَرَنَا

(١) التقریض : المدح والذم ، والمراد هنا الثاني .

فِي أَمْرِهِ، وَلَزَمُوا بِيَوْتَهُمْ. وَأَبْيَ عَمَّانَ أَنْ يُخْرِجَ إِلَيْهِمْ مَرْوَانَ، وَخَشِيَ عَلَيْهِ الْقَتْلُ. وَحَاصَرَ النَّاسُ عَمَّانَ وَمَنْعَوهُ الْمَاءُ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَفِيكُمْ عَلَىٰ؟ قَالُوا: لَا. قَالَ: أَفِيكُمْ سَعْدٌ؟ قَالُوا: لَا. فَسَكَتْ ثُمَّ قَالَ: أَلَا أَحَدٌ يَبْلُغُ عَلَيْنَا فَيَسْقِينَا مَاءً؟ فَبَلَغَ ذَلِكَ عَلَيْنَا، فَبَعْثَ إِلَيْهِ ثَلَاثَ قَرَبٍ مَمْلُوَةَ مَاءً، فَمَا كَادَتْ تَصْلُ إِلَيْهِ، وَجَرَحَ بِسَبِيلِهِ عِدَّةٌ مِنْ مَوَالِي بْنِ هَاشِمٍ وَبَنِي أُمَيَّةَ، حَتَّىٰ وَصَلَ إِلَيْهِ الْمَاءُ. فَبَلَغَ عَلَيْنَا أَنَّ عَمَّانَ يَرَادُ قَتْلَهُ، فَقَالَ: إِنَّمَا أَرْدَنَا مِنْهُ مَرْوَانُ، فَأَمَّا قَتْلُ عَمَّانَ فَلَا. وَقَالَ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَينِ: أَذْهَبَا بِسَيْفِيْكُمَا حَتَّىٰ تَقْوِمَا عَلَىٰ بَابِ عَمَّانَ فَلَا تَدْعَا أَحَدًا يَصْلِ إِلَيْهِ بِمَكْرُوهٍ. وَبَعْثَ الزَّبِيرُ وَلَدَهُ، وَبَعْثَ طَلْحَةَ وَلَدَهُ عَلَىٰ كُرْهَ مِنْهُ. وَبَعْثَ عِدَّةً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبْنَاءَهُمْ لِيَنْعُوا النَّاسَ أَنْ يَدْخُلُوا عَلَىٰ عَمَّانَ، وَسَأَلُوهُ إِخْرَاجَ مَرْوَانَ. وَرَمَى النَّاسُ عَمَّانَ بِالسَّهَامِ حَتَّىٰ خُضْبُ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيٍّ بِالدَّمَاءِ عَلَىٰ بَابِهِ، وَأَصَابَ مَرْوَانَ سَهْمًا فِي الدَّارِ، وَخُضْبُ مُحَمَّدَ بْنَ طَلْحَةَ، وَشُجَّقَ قُبْرَهُ، مَوْلَى عَلَيٍّ. وَخَشِيَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنْ تَغْضِبَ بَنُو هَاشِمٍ لِحَالِ الْحَسَنِ وَالْحُسَينِ فَيُثْبِرُونَهُمَا، فَأَخْذَ بِيَدِي رَجُلَيْنِ فَقَالَ لَهُمَا: إِذَا جَاءَتْ بَنُو هَاشِمٍ فَرَأُوا الدَّمَاءَ عَلَىٰ وَجْهِ الْحَسَنِ وَالْحُسَينِ كُشْفُ النَّاسِ عَنْ عَمَّانِ وَبَطْلِ مَا نُرِيدُ، وَلَا كُنْ مُرْتَوِا بِنَا حَتَّىٰ نَتَسْوُرَ عَلَيْهِ الدَّارَ فَنَقْتَلَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْلَمَ أَحَدٌ. فَتَسَوَّرَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ وَصَاحْبَاهُ مِنْ دَارِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ. وَيَقَالُ مِنْ دَارِ مُحَمَّدَ بْنِ حَزْمِ الْأَنْصَارِيِّ. وَمَا يَدْلِلُ عَلَىٰ ذَلِكَ قَوْلُ الْأَحْوَصِ:

لَا تَرْثِينَ لَحْزَمِيْ ظَفِيرَتَ بِهِ طَرَّا وَلَوْ طُرَحَ الْحَزَمِيُّ فِي النَّارِ^(١)
النَّاخِسِينَ بِمَرْوَانَ بِذِي خُشْبٍ وَالْمُدْخَلِينَ عَلَىٰ عَمَّانَ فِي الدَّارِ^(٢)

(١) انظر الأغانى (ج ١ ص ٢٣ ، ج ٤ ص ٢٣٨) طبعة دار السكتب بين الروايتين خلاف.

(٢) ذو خشب: دار على مسيرة ليلة من المدينة. والناخسين بمروان. يريد الطاردين لمروان والمزعجين له؟ يقال: نحس بغلان، إذا نحس دابته من خلقه وطرده وسيره في البلاد. يشير إلى قصة طرد مروان من ذي خشب بعد أن مضى إليها ونحس حرث رقاصة به حتى كاد يسقط عن ناقته. (انظر الأغانى ج ١ ص ٢٣ طبعة دار السكتب).

فدخلوا عليه وليس معه إلا امرأته نائلة بنت الفرافصة ، والمصحف في حجره ،
ولا يعلم أحد ممن كان معه ، لأنهم كانوا على البيوت . فتقدم إليه محمد وأخذ
بلحيته ، فقال له عثمان : أرسل لحبيقي ابن أخي فلوراك أبوك لسأله مكانك .
فتراحت يده من لحيته ، وغمز الرجلين فوجاه بمساقص معهما حتى قلاه ،
وخرجوا هاربين من حيث دخلوا . وخرجت امرأته فقالت : إنَّ أمير المؤمنين
قد قُتل . فدخل الحسن والحسين ومن كان معهما فوجدوا عثمان مذبوحا ،
فأكباوا عليه يبكون . وبلغ الخبر علياً وطلحة والزبير وسعداً ومن كان بالمدينة ،
فخرجوا وقد ذهبت عقولهم حتى دخلوا على عثمان فوجدوه مقهولا ، فاسترجعوا .
وقال عليٌّ لأبيه : كيف قُتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب ؟ ورفع يده فلطم
الحسين ، وضرب صدر الحسن ، وشتم محمد بن طلحة ، ولعن عبد الله بن الزبير .
ثم خرج على وهو غضبان يرى أن طلحة أعن عليه . فلقيه طلحة فقال : مالك
يا أبا الحسن ضربت الحسن والحسين ؟ فقال : عليك وعليهما لعنة الله ، يُقتل
أمير المؤمنين ورجل من أصحاب النبي صلي الله عليه وسلم بدري ، ولم تقم بيئنة
ولا حُجة ! فقال طلحة : لو دفع مروان لم يُقتل . فقال : لو دفع مروان قُتل
قبل أن تثبت عليه حُجة . وخرج على فأتي منزله . وجاءه القوم كلهم يُهرعون
إليه ، أصحاب محمد وغيرهم ، يقولون : أمير المؤمنين على بن أبي طالب . فقال :
ليس ذلك إلا لأهل بدر ، فمن رضى به أهل بدر فهو خليفة ، فلم يبق أحدٌ من
أهل بدر إلا أتى علياً ، فقالوا : ما زرني أحداً أولى بها منك ، فمُد يدك نُبَايعك .
قال : أين طلحة والزبير وسعد ؟ فكان أول من بايعه طلحة ببساته ، وسعد
ببيده . فلما رأى ذلك على خرج إلى المسجد ، فصعد المنبر ، فكان أول من صعد
طلحة فبايعه بيده ، وكانت إصبعه شلاء ، فتطيير منها على ، وقال : ما أخلقه أن
يَنْكِث . ثم بايعه الزبير وسعد وأصحاب النبي جميعاً . ثم نزل ، ودعا الناس ،
وطلب مروان فهرب منه .

وَخَرَجَتْ عَائِشَةَ بَارِكَيْهَ تَقُولُ : قُتِلَ عُثْمَانُ مُظْلومًا ! فَقَالَ لَهَا عُمَّارٌ : أَنْتِ
بِالْأَمْسِ تُحَرِّضِينَ عَلَيْهِ ، وَالْيَوْمَ تَبْكِيْنَ عَلَيْهِ ! وَجَاءَ عَلَىٰ إِلَى امْرَأَةِ عُثْمَانَ ،
فَقَالَ لَهَا : مَنْ قَتَلَ عُثْمَانَ ؟ قَالَتْ : لَا أَدْرِي ، دَخَلَ رَجُلٌ لَا أُعْرِفُهُمَا إِلَّا أَنْ
أَرَى وُجُوهَهُمَا ، وَكَانَ مَعَهُمَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ، وَأَخْبَرَتْهُ بِمَا صَنَعَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي
بَكْرٍ . فَدَعَا عَلَىٰ مُحَمَّدًا ، فَسَأَلَهُ عَمَّا ذَكَرَتْ امْرَأَةُ عُثْمَانَ . فَقَالَ مُحَمَّدٌ : لَمْ تَكُنْ ،
وَقَدْ وَاللهِ دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَأَنَا أَرِيدُ قَتْلَهُ ، فَذَكَرَ لِي أَبِي ، فَقَمَتْ وَأَنَا تَائِبٌ ، وَاللهُ
مَا قَتَلْتُهُ وَلَا أَمْسَكْتُهُ . فَقَالَتْ امْرَأَةُ عُثْمَانَ : صَدِيقٌ ، وَلَكُنْهُ دَخَلَهُمَا .

الْمُعْتَمِرُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الْحَسْنِ : إِنَّ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَخْذَ بِلِحِيَةِ عُثْمَانَ ، فَقَالَ
لَهُ : يَا بْنَ أَخِي ، لَقَدْ قَعَدْتَ مِنْيَ مَقْعِدًا مَا كَانَ أَبُوكَ لِيَقْعُدُهُ . وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ :
إِنَّهُ قَالَ : يَا بْنَ أَخِي ، لَوْرَآكَ أَبُوكَ لِسَاهِهِ مَكَانُكَ . فَاسْتَرْخَتْ يَدُهُ ، وَخَرَجَ
١٠ مُحَمَّدٌ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ وَالْمُصْحِفُ فِي حِجْرِهِ ، فَقَالَ لَهُ : بَيْنِي وَبَيْنِكَ كِتَابُ
اللهِ ، نَخْرُجُ وَتَرَكُهُ . ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ آخَرٌ ، فَقَالَ : بَيْنِي وَبَيْنِكَ كِتَابُ اللهِ ،
فَأَهْوَى إِلَيْهِ بِالسِيفِ ، فَأَتَقَاهُ بِيَدِهِ ، فَقَطَعَهُمَا . فَقَالَ : أَمَا إِنْهَا أَوْلَ يَدَ خَطَّتْ
٢٦٦ ٤ المُفَصَّلُ^(١) .

القواد الذين أقبلوا إلى عثمان

الْأَصْمَعِيُّ عَنْ أَبِيهِ عَوَانَةَ قَالَ : كَانَ الْقَوَادُ الَّذِينَ أَقْبَلُوا إِلَى عُثْمَانَ : عَلَقْمَةُ
ابْنِ عُثْمَانَ ، وَكِنَانَةُ بْنِ بَشَرٍ ، وَحَكَمَ بْنِ جَبَلَةَ ، وَالْأَشْتَرُ النَّخْعَنِيُّ ، وَعَبْدُ اللهِ
ابْنُ بُدَيْلٍ .

وَقَالَ أَبُو الْحَسْنِ : لِمَا قَدِمَ الْقَوَادُ قَالُوا لَعَلَىٰ : قُمْ مَعْنَا إِلَى هَذَا الرَّجُلِ .
٢٠ قَالَ : لَا وَاللهِ لَا أَقُومُ مَعَكُمْ . قَالُوا : فَلِمَ كَتَبْتَ إِلَيْنَا ؟ قَالَ : وَاللهِ مَا كَتَبْتُ
إِلَيْكُمْ كِتَابًا قَطًّا . قَالَ : فَنَظَرَ الْقَوَادُ بِعِصْمِهِمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَخَرَجَ عَلَىٰ مِنَ الْمَدِينَةِ .

(١) المفصل : القرآن . وكان عثمان من كتاب الوحي .

الأعمش عن عيينة عن مسروق قال : قالت عائشة : مُصْتموه^(١) موص الإناء حتى تركتموه كالثوب الرحيف^(٢) نقىًا من الدنس ، ثم عدوتم فقتلتموه ! فقال مروان : فقلت لها : هـذا عَمَلُك ، كَتَبْتِ إِلَى النَّاسِ تَأْمِرُهُمْ بِالْخُروجِ عَلَيْهِ . فقالت : والذى آمن به المؤمنون وكفر به الكافرون ما كَتَبْتُ إِلَيْهِمْ بِسُوادِ فِي بَيَاضٍ ، حتى جلست في مجلسى هذا . فكانوا يرَوْنَ أَنَّهُ كَتَبَ عَلَى لِسَانٍ عَلَى لِسَانِهَا ، كَمَا كَتَبَ أَيْضًا عَلَى لِسَانِ عُمَانَ مَعَ الْأَسْوَدِ إِلَى عَامِلِ مَصْرَ . فـكان أختلاق هذه الكلبة كلها سببًا للفتنة .

وقال أبو الحسن : أقبل أهل مصر عليهم عبد الرحمن بن عديس البليوى ، وأهل البصرة عليهم حكيم بن جبلة العبدى ، وأهل الكوفة عليهم الأشتر ١٠ — وأسمه مالك بن الحارث النخعى — في أمر عثمان حتى قدموا المدينة .

قال أبو الحسن : لما قدم وفده أهل مصر دخلوا على عثمان فقالوا : كَتَبْتَ فِيمَا كَذَا وَكَذَا ؟ قال : إنما هما أثنتان ، أن تقيموا رجايin من المسلمين ، أو يَمْيِنُ بالله الذي لا إله إلا هو ما كَتَبْتُ ولا أَمْلَيْتُ ولا عَلِمْتُ ، وقد يُكتب الكتاب على لسان الرجل ، وينفع الشَّاتِمَ على الشَّاتِمِ . قالوا : قد أحل الله دمك ، وحصروه في الدار . فأرسل عثمان إلى الأشتر ، فقال له : ما يريد الناس مني ؟ قال : واحدة من ثلاثة ليس عنها بد . قال : ما هي ؟ قال : يُخَيِّرُونَكَ بين أن تخْلِعَ لهم أمرهم فتقول : هذا أمركم فقلدوه من شئتم ؛ وإما أن تقتضي من نفسك ؛ فإن أبىت فالقوم قاتلوك . قال : أما أن أخلع لهم أمرهم ، فما كنت لأخلع سر بالآخر سر بلنيه الله فتكون سُنَّةً مِنْ بَعْدِي ، كلما كرَهَ القوم ٢٠ إمامهم خلعواه ؛ وأما أن أقتضي من نفسي ، فوالله لقد علمت أن صاحبَيَّ بين

(١) الموص : غسل ابن ، والدلاك باليد .

(٢) الرحيف : المغسول . وفي بعض الأصول : « الرحض »

يدى قد كانوا يُعاقبان ، وما يقوى بَدْنِى على القصاص ؟ وأما أن تقتلوني ، فلن
قتلتمونى لا تتحابتون بعدى أبداً ولا تصلون بعدى جيماً أبداً .

قال أبو الحسن : فوالله لن يزالوا على النّوى جميعاً ، وإن قلوبهم مختلفة .

وقال أبو الحسن : أشرف عليهم عثمان وقال : إنه لا يحل سفك دم أمرئ مُسلم إلا في إحدى ثلات : كفر بعد إيمان ، أو زنا بعد إحسان ، أو قتل نفس بغير نفس ، فهل أنا في واحدة منهم ؟ فما وجد القوم له جواباً . ثم قال : أنشدكم الله ، هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان على حراء ومعه تسعة من أصحابه أنا أحدهم ، فتزلزل الجبل حتى همت أحجاره أن تتتساقط ، فقال : اسكن حراء ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد ؟ قالوا : اللهم نعم . قال : شهدوا إلى رب السكبة .

قال أبو الحسن : أشرف عليهم عثمان فقال : السلام عليكم ، فاردد أحد عليه السلام . فقال : أيها النام ، إن وجدتم في الحق أن تضعوا رجلي في القبر فضعوها . فما وجد القوم له جواباً . ثم قال : أستغفر الله إن كنت ظلمت ، وقد غفرت إن كنت ظلمت .

١٥ يحيى بن سعيد عن عبد الله بن عاص بن ربيعة قال : كنت مع عثمان في الدار فقال : أعزم على كل من رأى أن لي عليه سمعاً وطاعة أن يكُف يده ويُلقي سلامه . فألقى القوم أسلحتهم .

٢٦٧ ابن أبي عروبة عن قتادة : إن زيد بن ثابت دخل على عثمان يوم الدار ، فقال : إن هذه الأنصار بالباب وتقول : إن شئت كنّا أنصار الله مرتين . قال : لا حاجة لي في ذلك ، كفوا .

ابن أبي عروبة عن يعلى بن حكيم عن نافع : إن عبد الله بن عمر لم يبس

دِرْعَه وَتَقْلِد سِيفَه يَوْمَ الدَّار ، فَعَزَمَ عَلَيْهِ عُثَمَانُ أَنْ يَخْرُجْ وَيَضْعِسْ سَلَاحَه وَيَكْفَهْ يَدَهْ ، فَفَعَلَ .

مُحَمَّدُ بْنُ سَيْرِينَ قَالَ قَالَ سَلَيْطٌ : نَهَا نَا عُثَمَانَ عَنْهُمْ ، وَلَوْ أَذِنْ لَنَا عُثَمَانَ فِيهِمْ لَضَرَبَنَاهُمْ حَتَّى نُخْرِجَهُمْ مِنْ أَقْطَارِنَا .

ما قالوا في قتلة عثمان

الْعُتْبَىٰ قَالَ : قَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي لَيْثٍ : لَقِيَتُ الزَّبِيرَ قَادِمًا ، فَقَلَتْ : أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، مَا بِالْكَ؟ قَالَ : مَطْلُوبٌ مَغْلُوبٌ ، يَغْلِبُنِي أَبْنِي ، وَيَطْلُبُنِي ذَنْبِي . قَالَ : فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَلَقِيَتْ سَعْدَ بْنَ أَبِي وَقَاصَ ، فَقَلَتْ : أَبَا إِسْحَاقَ ، مَنْ قُتِلَ عُثَمَانُ؟ قَالَ : قُتِلَ سَيْفُ سَلَتَهُ عَائِشَةَ ، وَشَحَذَهُ طَلْحَةَ ، وَسَمَّهُ عَلَيْهِ . قَلَتْ : فَمَا حَالَ الزَّبِيرَ؟ قَالَ : أَشَارَ بِيَدِهِ وَصَمَّتَ بِلِسَانِهِ .

وَقَاتَتْ عَائِشَةَ : قُتِلَ اللَّهُ مَذَمَّهُ بِسَعْيِهِ عَلَى عُثَمَانَ ، تَرِيدُ مُحَمَّدًا أَخَاها ، وَأَهْرَقَ دَمَ ابْنِ بُدْيَلٍ عَلَى ضَلَالِهِ ، وَسَاقَ إِلَى أَعْيَنَ بْنِ^(١) تَعْيِمٍ هُوَانًا فِي بَيْتِهِ ، وَرَمَى الأَشْتَرَ بِسَهْمَيْهِ مِنْ سَهَامِهِ لَا يُشْوِيْ . قَالَ : فَمَنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَدْرَكَتْهُ دُعْوَةُ عَائِشَةَ .

سَفِيَّانُ الثَّوْرَىٰ قَالَ : لَقِيَ الأَشْتَرُ مَسْرُوقًا فَقَالَ لَهُ : أَبَا عَائِشَةَ ، مَا لِي أَرَاكَ غَضْبَانَ عَلَى رَبِّكَ مِنْ يَوْمِ قُتْلَ عُثَمَانَ بْنِ عَفَانَ؟ لَوْ رَأَيْتَنَا يَوْمَ الدَّارِ وَنَحْنُ كُلُّ حَافِظٍ بِعِبْلِ بْنِ أَسْرَائِيلِ !

وَقَالَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصَ لِعَمَّارَ بْنَ يَاسِرَ : لَقَدْ كُنْتَ عِنْدَنَا مِنْ أَفَاضِلِ أَحْصَابِ مُحَمَّدٍ حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقِ مِنْ عُمرَكَ إِلَّا ظَمْءُ الْحَمَارِ^(١) فَعَلْتَ وَفَعَلْتَ ، يُعَرِّضُ لَهُ

(١) هو أعين بن ضبيعة المجاشعي، من بني تعيم. وفي بعض والأصول: «أعين بن تعيم» . تحرير. (انظر الطبرى) .

(١) من أمثالهم: أقصر من ظمء الحمار، لأنَّه لا يصبر على العطش أكثَرَ من يوم . والظماء: ما بين الشرتين، طويلاً كان أو قصيراً . وأقصر الأظماء ظمء الحمار . يريد: لم يبق من عمرك إلا يسير .

بقتل عثمان . قال عمّار : أى شئ أحب إليك ؟ مودة على دخل أو هجر جمیل ؟
قال : هجر جمیل . قال : فللله على ألا أكلم أبدا .

دخل المغيرة بن شعبة على عائشة فقالت : يا أبا عبد الله ، لو رأيتنی يوم الجمل
وقد نفذت النصال^(١) هودجي حتى وصل بعضها إلى جلدی . قال لها المغيرة :
٥ وددت والله أن بعضها كان قتلك . قالت : يرحمك الله ، ولم تقول هذا ؟ قال :
لعلها تكون كفارة في سعیك على عثمان . قالت : أما والله إنن قلت ذلك لما علم
الله أني أردت قتلہ ، ولكن علم الله أني أردت أن يقاتل فقوتلت ، وأردت
أن يرمي فرمیت ، وأردت أن يعصي فعصیت ، ولو علم مني أني أردت
قتله لقتلته .

١٠ وقال حسان بن ثابت لعلى : إنك تقول : ما قتلت عثمان ولكن خذلته ،
ولم أمر به ولكن لم أنه عنه ، فالخاذل شريك القاتل ، والساكت شريك القاتل .
أخذ هذا المعنى كعب بن جعيل التغلبي ، وكان مع معاوية يوم صفين ، فقال
في على بن أبي طالب :

١٥ وما في علىٰ أمستحدث^(٢) مقالٌ سوى عَصْمَه^(٣) المُحَدِّثُينَا
وإشاره^(٤) لأهالى الذُّنُوب ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سُيَلَ عنَه زَوْجِه^(٥) وعَمَّى الجواب على السائلينا
فليس براضٍ ولا ساخطٍ ولا في النهاة ولا الآمرينا

(١) يقال : تفذ السهم الرمية ، إذا خالط جوفها ثم خرج طرفه من الشق الآخر
وسائره فيها . وفي بعض الأصول : « أنفذت النصل » .

٢٠ (٢) في الكامل لل McBrd (ص ١٨٤) طبعة أوربة وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد
(ج ١ ص ١٥٨) : « لستعقب » .

(٣) في الكامل وابن أبي الحديد : « فضمه » .

(٤) في الكامل وابن أبي الحديد : « وإشاره اليوم أهل » .

(٥) في الكامل وابن أبي الحديد : « حدا شبهة » . وحدا : ساق .

و لا هو ساه^(١) ولا سرّه ولا آمن بعضاً ذا أن يكونا^(٢)
وقال رجل من أهل الشام في قتل^(٤) عثمان رضى الله تعالى عنه :

خذلته الأنصار إذ حضر الموت وكانت ثقاته الأنصار

ضرروا بالبلاء فيه مع النّاس وفي ذاك للبرية عار

حرمة بالبلاد من حرم الله ووال من الولاة وجار

أين أهل الخيماء إذ مُنْعِنَ الماء فدته الأسماع والأبصار

من عذري من الزبير ومن طلاقه هاجا أمراً له بإعصار

تركوا الناس دونهم عبرة العجب لفسق وسط المدينة نار

هكذا زاغت اليهود عن الحق بما^(٥) زخرفت لها الأخبار

ثم وافى محمد بن أبي بكر رجهاً وخلفه عمر^٦

وعلى في بيته يسأل النّاس أبداء وعنده الأخبار

باستطاعاً للتي يريد يديه وعليه سكينة وقار

يرقب الأمر أن يُزف إليه بالذى سببت له الأقدار

قد أرى كثرة الكلام قبيحاً كل قول يشينه إكثار

وقال حسان يرثى عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه :

من سرّه الموت صرفاً لا مزاج له فليأت مأسدة في دار عثماناً

صبراً وذى لكم أمى وما ولدت قد ينفع الصبر في المكروره أحياناً

لعلكم أن ترؤوا يوماً بمغيبة خليفة الله فيكم كالذى كانا

إلى لمنهم^(٦) وإن غابوا وإن شهدوا ما دمت حياً وما سمعت حساناً

(١) ساه، أي ساءه، خذف المهمزة وسهل. وفي الكامل وابن أبي الحديد: «ساه».

(٢) في الكامل وابن أبي الحديد: «ولا بد من بعض».

(٣) نسب هذا الشّعر في مروج الذهب للمسعودي (ج ١ ص ٤٢ طبعة البهية) لحسان بن ثابت.

(٤) في بعض الأصول: «قتلة» (٥) في بعض الأصول: «حسبا».

(٦) أي إلى لمنهم بريء.

يَا لَيْتِ شِعْرِي وَلَيْتِ الطَّيْرُ تُخْبِرُنِي
مَا كَانَ شَأْنُ عَلَيْهِ وَأَبْنَ عَفَانَا
لَتَسْمَعَنَّ وَشَكَّا فِي دِيَارِهِمُ^{١)} إِلَهُ أَكْبَرُ يَا ثَارَاتِ عُثَمَانَا
ضَحَّوَا بِأَشْمَطِ عَنْوَانِ السُّجُودِ بِهِ يُقْطَعُ اللَّيلَ تَسْبِيحًا وَقَرَآنًا

في مقتل عثمان بن عفان

أبو الحسن عن مسامة عن ابن عون^(٢) : كان من نصر عثمان سبعمائة ، فيهم
الحسن بن علي ، وعبد الله بن الزبير . ولو تركهم عثمان لضربوهم حتى آخر جوهم
من أقطارها .

١٠ أبو الحسن عن جعير بن سيرين قال : دخل ابن بديل على عثمان وبيته
سيف ، وكانت بيتهما شحيحة ، فضربه بالسيف ، فأتقاه بيده فقطعها ، فقال :
أما إنها أول كف خلط المفصل^(٢) .

أبو الحسن قال : يوم قُتل عثمان يقال له : يوم الدار . وأغلق على ثلاثة
من القتلى : غلام أسود كان لعثمان ، وكناة بن بشر ، وعثمان .

١٥ أبو الحسن قال : قال سلامة بن روح الخزاعي لعمرو بن العاص : كان
بينك و بين الفتنة باب فكسر تموجه فاحملكم على ذلك ؟ قال : أردنا أن نخرج
الحق من حفيرة^(٣) الباطل وأن يكون الناس في الحق سواء .

مجالد عن الشعبي قال : كتب عثمان إلى معاوية : أن أمدني . فآمدنه
بأربعة آلاف مع يزيد بن أسد بن كرز الباجلي^(٤) . فقلقا الناس بقتل عثمان
فأنصرف ، فقال : لو دخلت المدينة وعثمان حي ما تركت بها مختلفا إلا قتيلا ،
لأن الخاذل والقاتل سواء .

٢٠ قيس بن رافع قال زيد بن ثابت : رأيت علياً مُضطجعاً في المسجد ،

(١) فـ بعض الأصول : « ابن عوف » .

(٢) المفصل : القرآن . وكان عثمان من كتاب الوحي . (٣) الحفيرة الحفرة .

(٤) فـ الأصول : « العجل » ، وما أثبتنا من الطبرى .

فقلت : أبا الحسن ، إن الناس يرَوْنُ أذكَّ لَو شئتَ ردَّتَ الناس عن عثمان .
جلس ، ثم قال : والله ما أصْرَهُمْ بشَيْءٍ ولا دخلَتْ فِي شَيْءٍ مِّنْ شَأْنِهِمْ . قال :
فَأَتَيْتُ عَمَّانَ فَأَخْبَرْتُهُ ، فقال :

وحرق قيس على البلا د حتى إذا أضطررت أحذما^(١)

الفضل عن كثير عن سعيد المقرب قال : لما حصروا عثمان ومنعوه الماء ،
قال الزبير : وحيل بينهم وبين ما يشتهون ، كما فعل بأشياعهم من قبل .

ومن حديث الزهرى قال : لما قُتل مسلم بن عقبة أهل المدينة يوم
الحرّة^(٢) ، قال عبد الله بن عمر : بفعلهم في عثمان ورب الكعبة .

ابن سيرين عن ابن عباس قال : لو أمرت السماء دمًا لقتل عثمان لكان
قليلًا له .

أبو سعيد مولى أبي حذيفة^(٣) قال : بعث عثمان إلى أهل الكوفة : من كان
يطالبني بدينار أو درهم أو لطمة فليأت يأخذ حقه ، أو يتصدق فإن الله يجزي
المتصدقين . قال : فبكى بعض القوم ، وقالوا : تصدقنا .

ابن عون^(٤) عن ابن سيرين قال : لم يكن أحد من أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم أشد على عثمان من طلحة .

أبو الحسن قال : كان عبد الله بن عباس يقول : ليغلبن معاوية وأصحابه
عليًا وأصحابه ، لأن الله تعالى يقول : (ومَنْ قُتِلَ مَظُلُومًا فَقَدْ جَعَلَنَا لَوْلَيْهِ سُلْطَانًا).
أبو الحسن قال : كان عمامة الأنصارى عاملاً لعثمان ، فلما أتاها قتله بكى ،

(١) البيت للريبع بن زياد العبسى . والإجذام : الإسراع . يقول : ألهب قيس بن زهير
البلاد على فلام استعرت هرب ، وذلك لأن قيس استررك أرض العرب وانتقل إلى عمان
بعد إثارة الفتنة في سبق داحس . والذى في الأصول : «أحاجى» مكان «أجذاما» .
وما أتبقينا عن شرح الخامسة .

(٢) هي حرّة واقم ، إحدى حرّى المدينة ، وهي القرقية . وفي هذه الحرّة كانت
وقمة الحرّة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية سنة ٦٣ . (انظر معجم البلدان) .

(٣) في الطبرى : «أبو سعيد مولى أبي أسيد الأنصارى» .

(٤) في بعض الأصول : «ابن عوف» . وما أتبقينا عن سائر الأصول والطبرى .

وقال : اليوم انتزعت خلافة النبوة من أمة محمد وصار الملك بالسيف ، فلن
غلب على شيء أكله .

أبو الحسن عن أبي مخنف عن نمير بن وعلة عن الشعبي : أن نائلة بنت
الفرافصة أمراة عثمان بن عفان كتبت إلى معاوية كتاباً مع الفuhan بن بشير ،
وبعثت إليه بقميص عثمان مخصوصاً بالدماء ، وكان في كتابها : من نائلة بنت
الفرافصة إلى معاوية بن أبي سفيان ، أما بعد : فإنني أدعوك إلى الله الذي أنعم
عليكم ، وعلمكم الإسلام ، وهداكم من الضلال ، وأنقذكم من الكفر ، ونصركم
على العدو ، وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، وأنشدكم الله وأذكروكم حقه
وحق خليفته أن تذتصروه بعزم الله عليكم ، فإنه قال : (وإن طائفتان من
المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بَغَتْ إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي
تبغى حتى تَفِي إلى أمر الله) . فإن أمير المؤمنين بُغى عليه ، ولو لم يكن لعثمان
عليكم إلا حق الولاية لحق على كل مسلم يرجو إمامته أن ينصره ، فكيف
وقد علمتم قدمه في الإسلام ، وحسن بلائه ، وأنه أحب الله ، وصدق كتابه ،
وأتبع رسوله ، والله أعلم به إذ انتخبه ، فأعطاه شرف الدنيا وشرف الآخرة .
وإنى أقص عليكم خبره ، إنى شاهدة أمره كله : إن أهل المدينة حصروه
في داره وحرسوا عليهم ونهازهم ، قياماً على أبوابه بالسلاح ، يمنعونه من كل شيء
قدروا عليه ، حتى منعوه الماء ، فكث هو ومن معه حسين ليلة ؛ وأهل مصر
قد أسندوا أمرهم إلى على محمد بن أبي بكر وعمار بن ياسر وطلحة والزبير ،
فأمرتهم بقتله ، وكان معهم من القبائل خزانة وسعد بن بكر وهذيل وطوابش
من جهينة ومزينة وأنباط يثرب ، فهولاء كانوا أشد الناس عليه . ثم إنه حصر
فرشق بالنبل والحجارة ، فجروح ممن كان في الدار ثلاثة نفر معه ، فاتاه
الناس يصرخون إليه ليأذن لهم في القتال ، ففهموا أن يردوا إليهم
نبالهم ، فردوها عليهم ؛ فازادهم ذلك في القتل إلا جرأة ، وفي الأمر إلا

إغراقاً ، فرقوا باب الدار . ثم جاء نفرٌ من أصحابه فقالوا : إن ناساً يريدون أن يأخذوا بين الناس بالعدل فاخْرُج إلى المسجد يأتوك . فانطلقَ مجلس فيه ساعةً وأسلحةً القوم مطلة عليه من كل ناحية ، فقال : ما أرى اليوم أحداً يُعذَل ، فدخل الدار . وكان معه نفرٌ ليس على عامتهم سلاح ، فلبس درعه وقال لأصحابه : لو لا أتتم ما لبست اليوم درعى . فوثب عليه القوم ، فكلّمهم ابنُ الزبير ، وأخذ عليهم ميشاقاً في صحيفه بعث بها إلى عثمان : عليكم عهـدـ الله وميشاقـهـ أن لا تقربوه بسوء حتى تتكلـمـوهـ وتخـرـجـواـ ، فوضع السلاح ، ولم يكن إلا وضعه . ودخل عليه القوم يقدـمـهمـ محمدـ بنـ أبيـ بكرـ ، فأخذ بلحـيـتهـ ، ودعـوهـ بالـلـقـبـ . فقال : أنا عبدـ اللهـ وخـلـيـفـتـهـ عـمـانـ . فضرـبـوهـ على رأسـهـ ثـلـاثـ ضـرـبـاتـ ، وطـعنـوهـ في صـدـرـهـ ثـلـاثـ طـعـنـاتـ ، وضرـبـوهـ على مـقـدـمـ العـيـنـ فوقـ الأنـفـ ضـرـبـةـ أـسـرـعـتـ فـيـ الـعـظـمـ ، فـسـقطـتـ عـلـيـهـ وقد أـخـنـوـهـ وـبـهـ حـيـاةـ ، وـهـ يـرـيدـونـ أـنـ يـقـطـمـوـأـرـأـسـهـ فـيـذـهـبـوـاـ بـهـ ، فـأـتـنـىـ اـبـنـةـ شـيـبـةـ بـنـ رـبـيـعـةـ فـأـلـقـتـ بـنـفـسـهـاـ مـعـىـ ، فـوـطـئـنـاـ وـطـئـنـاـ شـدـيـداـ ، وـعـرـيـنـاـ مـنـ حـلـيـنـاـ . وـحـرـمـةـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ أـعـظـمـ ، فـقـتـلـوـاـ أـمـيرـ المـؤـمـنـينـ فـيـ بـيـتـهـ مـقـهـورـاـ عـلـىـ فـرـاشـهـ . وـقـدـ أـرـسـلـتـ إـلـيـكـ بـشـوـبـهـ عـلـيـهـ دـمـهـ ، فـإـنـهـ وـالـلـهـ إـنـ كـانـ أـئـمـمـ مـنـ قـتـلـهـ هـاـ سـلـيمـ مـنـ خـذـلـهـ ، فـاـنـظـرـوـاـ أـنـ أـتـمـ مـنـ اللـهـ . وـأـنـ أـشـتـكـيـ كـلـ مـاـ مـسـنـاـ إـلـىـ اللـهـ عـنـ وـجـلـ ، وـأـسـتـضـرـخـ بـصـاحـبـ عـبـادـهـ . فـرـحـمـ اللـهـ عـمـانـ وـلـعـنـ قـتـلـتـهـ وـصـرـعـهـمـ فـيـ الدـنـيـاـ مـصـارـعـ الـخـزـىـ وـالـمـذـلةـ ، وـشـفـيـعـهـ مـنـهـمـ الصـدـورـ .

خلاف رجالـ منـ أـهـلـ الشـامـ أـنـ لـاـ يـعـشـواـ غـسـلاـ حـتـىـ يـقـتـلـوـاـ عـلـيـمـاـ أـوـ تـفـنـيـ أـرـوـاحـهـ .

وقال الفرزدق في قتل عثمان :

إنَّ الْخَلَافَةَ لِمَا أَظْعَنَتْ ظَعْنَتْ	عَنْ أَهْلِ يَثْرَبَ إِذْ غَيْرَ الْهُدَى سَلَكُوا
صَارَتْ إِلَى أَهْلِهَا مِنْهُمْ وَوَارِثُهَا	لِمَا رَأَى اللَّهُ فِي عَمَانَ مَا أَتَهُ كَوَا

الساِفِكَى دِمِه ظُلْمًا وَمَعْصِيَةً أَى دِم لَا هُدُوا مِنْ غَيْرِهِم سَفَكُوا

وقال حسان :

إِنْ تُمِسْ دَارُ بْنِ عَمَّانَ خَاوِيَةً
بَابُ صَرِيعٌ وَبَيْتُ مُحَرَّقٍ خَرِبُ
فَقَدْ يُصَادِفُ بِاغْرِيِّ الْخَيْرِ حَاجَتَهُ
يَا مَعْشَرَ النَّاسِ أَبْنُدُوا ذَاتَ أَنْفُسِكُمْ لَا يَسْتُوِي الْحَقُّ عِنْدَ اللَّهِ وَالْكَذِبُ^(١)

تبرؤ على من دم عثمان

قال علي بن أبي طالب على المنبر : والله لئن لم يدخل الجنة إلا من قتل عثمان لا دخلتها أبداً . ولئن لم يدخل النار إلا من قتل عثمان لا دخلتها أبداً . وأشرف على من قصر له بالكوفة ، فنظر إلى سفينه في دجلة فقال : والذى أرسلها في بحره مُسْخَرَة بأمره ما بدأته في أمر عثمان بشيء ، ولئن شاءت بنو أمية لأباهم ^(٢) عند الكعبة خمسين يميناً ما بدأته في حق عثمان بشيء . فبلغ هذا الحديث عبد الملك بن مروان فقال : إني لا أحسبه صادقاً .

قال معبد الخزاعي : لقيتُ علياً بعد الجمل ، فقلت له : إني سألك عن مسألة كانت منك ومن عثمان ، فإن نجوتَ اليوم نجوتَ غداً إن شاء الله . قال : سَلْ عَمَّا بَدَلَكَ . قلتُ : أَخْبِرْنِي أَى مَنْزَلَةَ وَسْعَتْكَ إِذْ قُتِلَ عَمَّانَ وَلَمْ تَنْصُرْهُ ؟

قال : إِنَّ عَمَّانَ كَانَ إِمَامًا وَإِنَّهُ نَهَى عَنِ الْقِتَالِ ، وَقَالَ : مَنْ سَلَّ سَيْفَهُ فَلَيْسَ مَنِّي ، فَلَوْ قَاتَلَنَا دُونَهِ عَصَيْنَا . قال : فَأَى مَنْزَلَةَ وَسَعَتْ عَمَّانَ إِذْ أَسْتَسْلَمَ حَتَّى قُتُلَ ؟

قال : الْمَنْزَلَةُ الَّتِي وَسَعَتْ أَبْنَ آدَمَ ، إِذْ قَالَ لِأَخِيهِ : (لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لَتَقْتَلَنِي مَا أَنَا بِيُبَاسِطِ يَدِيَ إِلَيْكَ لَا قُتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ رَبَّ الْعَالَمِينَ) . قلتُ :

فَهَلَا وَسَعَتْكَ هَذِهِ الْمَنْزَلَةُ يَوْمَ الْجَلْلِ ؟ قال : إِنَّا قَاتَلَنَا يَوْمَ الْجَلْلِ مَنْ ظَلَّمَنَا ، قال

(١) انظر ديوان حسان (ص ٢٨) طبعة أوربة . فبين الشعر هنا وهناك خلاف يسير في الألفاظ .

(٢) المباهلة : أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الطالم منا .

الله : (ولم أنَّ تَصُرْ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأَوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ . إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلَمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أَوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَلَمْ صَبَرْ وَغَفَرْ إِنْ ذَلِكَ لَمْ يَعْزِمْ الْأُمُورِ) . فَقَاتَلَنَا نَحْنُ مَنْ ظَلَمَنَا وَصَبَرْ عَمَانُ ، وَذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ .

وَمِنْ حَدِيثِ بَكْرِ بْنِ حَمَادٍ : إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ ابْنَ الْكَوَافِرَ سَأَلَ عَلَيْهِ بْنَ أَبِي طَالِبٍ^٥ يَوْمَ صِفَيْنَ ، فَقَالَ لَهُ : أَخْبِرْنِي عَنْ مَحْرَجِكَ هَذَا ، تَضْرِبُ النَّاسَ بِعَضَّهُمْ بِعَضًّا ، أَعْهَدْتُ إِلَيْكَ عَهْدَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَمْ رَأَيْتَ أَرْتَائِيهِ ؟ قَالَ عَلَيْهِ^٦ : الَّهُمَّ إِنِّي كَنْتُ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِهِ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ ، لَمْ يَكُنْ^٧ عَنْدِي فِيهِ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَوْ كَانَ عَنْدِي فِيهِ عَهْدٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا تَرَكْتُ أَخَا تَيمَ وَعْدَهُ عَلَى مَنَابِرِهَا ؛ وَلَكِنْ^٨ نَبَيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ نَبِيًّا رَحْمَةً ، مَرِضَ أَيَّامًا وَلِيَالِيًّا ، فَقَدَّمَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى الصَّلَاةِ ، وَهُوَ يَرَانِي وَيَرَى مَكَانِي . فَلَمَّا تُوفِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، رَضِيَّنَا لِأَمْرِ دُنْيَا نَا إِذْ رَضِيَّهُ رَسُولُ اللَّهِ لِأَمْرِ دِينِنَا . فَسَلَّمَتُ لَهُ^(١) وَبَايَعْتُ وَسَمِعْتُ^٩ وَأَطْعَتُ ، فَكَنْتُ آخِذُ إِذَا أَعْطَانِي ، وَأَغْزُو إِذَا أَغْزَانِي ، وَأَقِيمُ الْحُدُودَ بَيْنَ يَدِيهِ . شِمَّ أَنْتَهُ مَنِيَّتُهُ ، فَرَأَيْتَ أَنَّ عَمَرَ أَطْوَقَ هَذَا الْأَصْرَ مِنْ غَيْرِهِ ، وَوَاللَّهِ مَا أَرَادَ^{١٠} بِهِ الْمُحَابَاةَ ، وَلَوْ أَرَادَهَا لَجَعْلِهَا فِي أَحَدٍ وَلَدِيَّهُ . فَسَلَّمَتُ لَهُ وَبَايَعْتُ وَأَطْعَتُ وَسَمِعْتُ^{١١} ، فَكَنْتُ آخِذُ إِذَا أَعْطَانِي ، وَأَغْزُو إِذَا أَغْزَانِي ، وَأَقِيمُ الْحُدُودَ بَيْنَ يَدِيهِ . شِمَّ أَنْتَهُ مَنِيَّتُهُ ، فَرَأَيْتَ أَنَّهُ مِنْ أَسْتَخْلَفَ رِجَالًا فَعَمِلَ بِغَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ عَذَّبَهُ اللَّهُ بِهِ^{١٢} فِي قَبْرِهِ ، فَجَعَلَهَا شُورِيَ بَيْنَ سَتَّةِ نَفَرٍ مِنْ أَحَادِيبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .^{١٣} وَكَنْتُ أَحَدَهُمْ ، فَأَخِذَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ مَوَاثِيقَنَا وَعَهْوَدَنَا عَلَى أَنْ يَخْلُمَ نَفْسَهُ وَيَنْظُرَ لِعَامَةِ الْمُسْلِمِينَ ، فَبَسَطَ يَدَهُ إِلَى عَمَانَ فَبَايَعَهُ . اللَّهُمَّ إِنْ قَلْتُ إِنِّي لَمْ أَجِدْ فِي نَفْسِي^{١٤} فَقَدْ كَذَبْتُ ، وَلَكِنِي نَظَرْتُ فِي أَصْرِي فَوَجَدْتُ طَاعَتِي قَدْ تَقْدَمْتُ مَعْصِيَتِي ، وَوَجَدْتُ الْأَصْرَ الَّذِي كَانَ بِيَدِي قَدْ صَارَ بِيَدِ غَيْرِي . فَسَلَّمَتُ وَبَايَعْتُ وَأَطْعَتُ^{١٥}

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « عَلَيْهِ » .

وسمعتُ ، فكنتَ آخذ إذا أعطاني ، وأغزو إذا أغزاني ، وأقيم الحدود بين يديه .
 ثم نقم الناس عليه أموراً فقتلوه . ثم بقيتُ اليوم أنا وعمرؤة ، فأرى نفسي أحق
 بها من عروبة ؛ لأنى مهاجرى وهو أعرابى ، وأنا ابن عم رسول الله وصهره ،
 وهو طليقُ ابن طليق . قال له عبدُ الله بن السكون : صدقتَ ، ولكن طلحة
 والزبير ، أما كان لها في هذا الأمر مثلُ الذي لك ؟ قال : إن طلحة والزبير ٥
 بائعانى في المدينة ونكثا بيوعة بالعراق ، فقاتلتهما على نكثهما ، ولو نكثا بيوعة
 أبي بكر وعمر لقاتلتها على نكثهما كما قاتلتهما . قال : صدقتَ ، ورجع إليه .
 وأستعمل عبدُ الملك بن مروان نافعَ بن علقمة بن صفوان على مكة ، خطب
 ذات يوم ، وأبانُ بن عثمان قاعداً عند أصل المثبر ، فنال من طلحة والزبير ، فلما
 نزل قال لأبان : أرضيتك من المدهنيين في [أمر] أمير المؤمنين ؟ قال : لا ، ١٠
 ولكنك سوتني ، حسبي أن يكونا بريئين من أمره . وعلى هذا المعنى قال إسحاق
 ابن عيسى : أعيذ علیاً بالله أن يكون قتل عثمان ، وأعيذ عثمان أن يكون قتله
 على . وهذا الكلام على مذهب قول النبي " صلى الله عليه وسلم : إن أشد الناس
 عذاباً يوم القيمة رجل قتل نبياً أو قتلهنبياً .

سعيد بن جبير عن أبي الصهباء : إن رجالاً ذكرروا عثمان فقال رجلٌ من ١٥
 القوم : إنِّي أعرفُ لكم رأيَ علىٰ فيه . فدخل الرجلُ علىٰ علىٰ ، فنال من
 عثمان ، فقال علىٰ : دع عنك عثمان ، فهو والله ما كان باشراًنا ، ولكن وليٌ فاستأثر
 خرمنا فأساء الحرمان^(١) .

وقال عثمان بن حنيف^(٢) : إنِّي شهدتُ مشهداً أجتمع فيه علىٰ وعمار ومالك
 الأشتر وصعصعة ، فذكروا عثمان ، فوقع فيه عمّار ، ثم أخذ مالكُ فخذ حذوه ، ٢٠
 ووجهُ علىٰ يتَمَرَّ^(٣) ، ثم تكلم صعصعة ، فقال : ما علىٰ رجل يقول : كان والله

(١) في بعض الأصول : « خدمنا فأسانا الحدع » .

(٢) في بعض الأصول : « حبيب » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٣) يتَمَرَّ : يتغير غيطاً .

أولَ مَنْ وَلَى فَاسْتَأْتَرَ ، وَأوْلَ مَنْ تَفَرَّقَ عَنْهُ هَذِهِ الْأُمَّةِ ! فَقَالَ عَلَيْهِ : إِلَى أَبَا الْيَقْظَانَ ، لَقَدْ سَبَقْتُ عُثْمَانَ سَوْابِقًا لَا يُعَذِّبُهُ اللَّهُ بَهَا أَبْدًا .

مُحَمَّدُ بْنُ حَاطِبٍ قَالَ : قَالَ لِي عَلَيْهِ يَوْمَ الْجَلْ: أَنْطَلَقْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَبْلَغْهُمْ كُتُبِي وَقَوْلِي . فَقَلَّتْ : إِنْ قَوْمِي إِذَا أَتَيْتُهُمْ يَقُولُونَ : مَا قَوْلُ صَاحِبِكَ فِي عُثْمَانَ ؟ ٢٧٢
فَقَالَ : أَخْبَرْهُمْ أَنْ قَوْلِي فِي عُثْمَانَ أَحْسَنُ الْقَوْلِ ، إِنْ عُثْمَانَ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ، ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

جَرِيرُ بْنُ حَازِمٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ : مَا عَلِمْتُ أَنْ عَلِيًّا أَتَاهُمْ فِي دَمِ عُثْمَانَ حَتَّى بُوَيْعَ ، فَلَمَّا بُوَيْعَ أَتَاهُمْ النَّاسُ .

مُحَمَّدُ بْنُ الْخَنْفِيَّةَ : إِنِّي عَنْ يَمِينِ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجَلْ وَابْنِ عَبْرَاسَ عَنْ يَسَارِهِ ، إِذَا سَمِعْ صَوْتَهَا فَقَالَ : مَا هَذَا ؟ قَالُوا : عَائِشَةُ تَلَعْنُ قَتْلَةَ عُثْمَانَ . فَقَالَ عَلَيْهِ : لَعْنَ اللَّهِ قَتْلَةَ عُثْمَانَ فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ وَالْبَحْرِ وَالْبَرِّ . ١٠

ما نقم الناس على عثمان

ابن داوب قال : لما أنكر الناس على عثمان ما أنكروا من تأمير الأحداث من أهل بيته على الجلة الأكبر من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قالوا عبد الرحمن بن عوف : هذا عملك وأختيارك لأمة محمد . قال : لم أظنَّ هذا به . ١٥
ودخل على عثمان فقال له : إنما قدمتك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر ، وقد خالفتما . فقال : عمر كان يقطع قرابته في الله وأنا أصل قرابتي في الله . فقال له : لله على أن لا أكلمك أبداً . فمات عبد الرحمن وهو لا يكلم عثمان .

٢٠ ولما ردَّ عثمان الحكَّمَ بْنَ أَبِي العاصِ ، طرَيَّدَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَطَرَيَّدَ أَبِي بَكْرَ وَعُمَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ عُثْمَانَ : مَا يَنْقُمُ النَّاسُ مِنِّي ! إِنِّي وَصَلَّتُ رَحْمًا وَقَرَبَتْ قِرَابَةً^(١) .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « عِنْنَا » .

حُصين بن زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ قَالَ : مَرَرْنَا بْنَى ذَرَّ بِالرَّبْذَةِ فَسَأَلْنَاهُ عَنْ مَنْزِلَهُ .
 فَقَالَ : كُنْتُ بِالشَّامِ فَقَرَأْتُ هَذِهِ الْآيَةَ : (وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الْذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا
 يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشَّرَهُمْ بِعِذَابٍ أَلِيمٍ) . فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : إِنَّمَا هِيَ فِي أَهْلِ
 الْكِتَابِ . فَقَلَتْ : إِنَّهَا لِفِينَا وَفِيهِمْ . فَكَتَبَ إِلَى عُمَانَ : أَقْبَلْ . فَلَمَّا قَدِمْتُ
 رَكِبَتِنِي النَّاسُ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْنِي قَطُّ ، فَشَكَوْتُ ذَلِكَ إِلَى عُمَانَ . فَقَالَ : لَوْ ٥
 أَعْتَزَتَ فَكُنْتَ قَرِيبًا . فَنَزَّلَتْ هَذِهِ الْمَنْزِلَ ، فَلَا أَدْعُ قَوْلِي ، وَلَوْ أَمْرَوْا عَلَيْهِ
 عَبْدًا حَبْشِيًّا لَأَطْعَمْتُهُ .

الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ عَنِ الزَّبِيرِ بْنِ الْعَوَامِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ : (وَاتَّقُوا فَتْنَةَ
 لَا تُصِيبُنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوكُمْ خَاصَّةً) . قَالَ : لَقَدْ نَزَّلْتُ وَمَا نَدْرِي مِنْ يَخْتَلِفُ لَهَا .
 فَقَالَ بَعْضُهُمْ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، فَلِمَ جَئْتَ إِلَى الْبَصَرَةِ؟ قَالَ : وَيَحْكُ ، إِنَّا ١٠
 نَنْظَرُ وَلَا نُبَصِّرُ .

أَبُو نُضْرَةَ^(١) عَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرَى قَالَ : إِنَّ نَاسًا كَانُوا عِنْدَ فُسْطَاطِ
 عَائِشَةَ وَأَنَا مَعَهُمْ بِمَكَّةَ ، فَهَرَبْنَا عُمَانَ ، فَهَنَّابَقِي أَحَدُ مِنْ الْقَوْمِ إِلَّا لَعْنَهُ غَيْرِي ،
 فَكَانَ فِيهِمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فَكَانَ عُمَانَ عَلَى الْكُوفَةِ أَجْرَأَ مِنْهُ عَلَى
 غَيْرِهِ ، فَقَالَ : يَا كُوفِي ، أَتَشْتُمُنِي؟ فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ كَانَ يَتَهَدَّدُهُ . قَالَ : فَقِيلَ ١٥
 لَهُ : عَلَيْكَ بَطَاحَةً . قَالَ : فَأُنْطَلِقُ مَعَهُ حَتَّى دَخُلَ عَلَى عُمَانَ . فَقَالَ عُمَانُ : وَاللَّهِ
 لِأَجْلَدْنَاهُ مائَةَ سَوْطٍ . قَالَ طَاحَةً : وَاللَّهِ لَا تَجْلِدْنَاهُ مائَةً إِلَّا أَنْ يَكُونَ زَانِيًّا .
 قَالَ : وَاللَّهِ لَا أَحْرِمْنَاهُ عَطَاءَهُ . قَالَ : اللَّهُ يُرْزِقُهُ .

وَمِنْ حَدِيثِ أَبْنِ أَبِي قَتِيْبَةَ^(٢) عَنِ الْأَعْمَشِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ : خَرَجَ
 عَلَيْنَا أَبْنُ مَسْعُودٍ وَنَحْنُ فِي الْمَسْجِدِ ، وَكَانَ عَلَى بَيْتِ مَالِ الْكُوفَةِ ، وَأَمِيرُ الْكُوفَةِ
 الْوَلِيدُ بْنُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، فَقَالَ : يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ ، فَقُدِّمَتْ مِنْ بَيْتِ مَالِكٍ ٢٠

(١) هُوَ الْمَنْذُرُ بْنُ مَالِكٍ الْعَبْدِيِّ (انْظُرْ الطَّبَرِيَّ وَتَهْذِيبَ التَّهْذِيبِ) .

(٢) كَذَّا فِي الْأَصْوَلِ هُنَا . وَفِيهَا سِيَّارَى بَعْدَ قَلِيلٍ : «أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شِيبةَ» . وَقَدْ كَانَ
 وَفَاتُ الْأَعْمَشَ سَنَةُ ١٤٥ هـ أَيْ قَبْلَ وَفَاتَهُ أَبِي قَتِيْبَةَ بِنْ حَوْيَى تِسْعَيْنَ سَنَةً .

الليلة مائة ألف لم يأتني بها كتاب من أمير المؤمنين ولم يكتب لي بها براءة .
قال : فكتب الوليد بن عقبة إلى عثمان في ذلك ، فنزعه عن بيت المال .

ومن حديث الأعمش يرويه أبو بكر بن أبي شيبة قال : كتب أصحاب
عثمان عَيْبَه وما يَنْقُمُ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي صَحِيفَةٍ ، ثُمَّ قَالُوا : مَنْ يَذْهَبُ بِهَا إِلَيْهِ ؟ قَالَ
عَمَّارٌ : أَنَا . فَذَهَبَ بِهَا إِلَيْهِ . فَلَمَّا قَرَأَهَا قَالَ : أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفُكَ . قَالَ : وَأَنْفُ
أَبْنِي بَكْرٍ وَعَمْرٍ . قَالَ : فَقَامَ إِلَيْهِ فَوَطَّئَهُ حَتَّى غُشِّيَ عَلَيْهِ . ثُمَّ نَدَمَ عَمَّانَ وَبَعْثَ
إِلَيْهِ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ يَقُولُانِ لَهُ : أَخْتَرْ إِحْدَى ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ تَعْفُوَ ، وَإِمَّا أَنْ
تَأْخُذَ الْأَرْشَ^(١) ، وَإِمَّا أَنْ تَقْتَصَ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا قَبْلَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهَا حَتَّى أُلْقَى
اللَّهُ . قَالَ أَبُو بَكْرٍ : فَذَكَرْتُ هَذَا الْحَدِيثَ لِلْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ ، فَقَالَ : مَا كَانَ
عَلَى عَمَّانَ أَكْثُرُ مَا صَنَعَ .

ومن حديث الليث بن سعد قال : مَرَّ عَمْدُ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ حُذَيْفَةَ فَقَالَ : لَقَدْ أَخْتَلَفَ النَّاسُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ ، فَمَا مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَعْطَى مِنْ دِينِهِ مَا عَدَاهُ هَذَا الرَّجُلُ .

وَسُئِلَ سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَاصٍ عَنْ عُثْمَانَ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كَانَ أَحْسَنَنَا
وُضُوءًا ، وَأَطْوَلَنَا صَلَاةً ، وَأَتَلَانَا لِكِتَابَ اللَّهِ ، وَأَعْظَمَنَا نَفْقَةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ .
ثُمَّ وَلِيَ فَازْكَرُوا عَلَيْهِ شَيْئًا ، فَأَتَوْا إِلَيْهِ أَعْظَمَ مَا أَنْكَرُوا .

وكتب عثمان إلى أهل الكوفة حين ولاهم سعيد بن العاص : أما بعد .
فإن كنتُ وليتكم الوليدَ بن عقبة علاماً حين ذهب شرخه ، وثاب حلمه ،
وأوصيته بكم ولم أوصيكم به ، فلما أعيتكم علانية طعنتم في مريضه . وقد وليتكم
سعيدَ بن العاص ، وهو خيرُ عشيرته ، وأوصيكم به خيراً فاستوصوا به خيراً . ٢٠

وكان الوليد بن عقبة أخا عثمان لامه ، وكان عامله على الكوفة ، فصلٌ ٢٤٠
الصبحَ ثلاَث ركعات وهو سَكران ، ثم التفت إليهم فقال : وإن شئتم زِدْتُمْ

(١) الأُرْش : الْدِيَة .

فقامت عليه البيضاء بذلك عند عثمان ، فقال اطليحة : قُمْ فاجله . قال : لم أكن من الحالدين . قام إليه على سجله .

وفيه يقول الحطيئة :

شَهَدَ الْحَاطِيَّةُ يَوْمَ يَلْقَى رَبَّهُ أَنَّ الْوَالِيَّدَ أَحَقُّ بِالْعُذْرِ
 (١) لِيَزِيدَهُمْ خَيْرًا وَلَوْ قَبَلُوا جَمِيعَهُمْ بَيْنَ الشَّفْعِ وَالوِترِ
 مَسْكُوا عَنَانَكَ إِذْ جَرِيتْ وَلَوْ تَرَكُوا عَنَانَكَ لَمْ تَزَلْ تَجْرِي

ابن دأب قال : لما نَكَرَ النَّاسُ عَلَى عُثْمَانَ مَا نَكَرُوا وَاجْتَمَعُوا إِلَى عَلَى
 وَسَأَلُوهُ أَنْ يَلْقَى لَهُمْ عُثْمَانَ . فَأَقْبَلَ حَتَّى دَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنَّ النَّاسَ وَرَأَى قَدْ
 كَامَوْنِي أَنْ أَكُلَّكَ ، وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ، مَا أَعْرَفُ شَيْئًا تُنْكِرُهُ ،
 وَلَا أَعْلَمُ شَيْئًا تَجْهِلُهُ ، وَمَا ابْنُ الْخَطَابِ أَوْلَى بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَيْرِ مِنْكَ ، وَمَا نُبْصِرُكَ
 مِنْ عَمَى ، وَمَا نَعْلَمُكَ مِنْ جَهْلٍ ، وَإِنَّ الطَّرِيقَ لَبَيْنَ وَاضْحَى . تَعْلَمْ يَا عُثْمَانَ أَنَّ
 أَفْضَلَ النَّاسِ عَنْدَ اللَّهِ إِيمَانُ عَدْلٍ ، هُدًى وَهَدَى ، فَأَحْيَا سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بَدْعَةَ
 مَجْهُولَةً ؛ وَأَنَّ شَرَ النَّاسِ عَنْدَ اللَّهِ إِيمَانُ ضَلَالَةً ، ضَلَّ وَأَضَلَّ ، فَأَحْيَا بَدْعَةَ مَجْهُولَةً ،
 وَأَمَاتَ سُنَّةً مَعْلُومَةً . وَإِنِّي سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يُؤْتَى
 بِالْإِمَامِ الْجَاهِرِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَيْسَ مَعَهُ نَاصِرٌ وَلَا لَهُ عَاذِرٌ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ فَيَدْوِرُ دَوْرَ
 الرَّحْمَى يُرْتَطَمُ بِجَمَرَةِ النَّارِ إِلَى آخِرِ الْأَبْدِ . وَأَنَا أُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ إِمامًا هَذِهِ
 الْأُمَّةِ الْمَقْتُولُ ، يُفْتَحُ بَهُ بَابُ الْقَتْلِ وَالْقَتَالِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، يُمْرَجَ بِهِ أَمْرُهُمْ
 وَيَمْرَجُونَ . خَرَجَ عُثْمَانَ ، ثُمَّ خَطَبَ خُطْبَتِهِ الَّتِي أَظْهَرَ فِيهَا التَّوْبَةَ .

وَكَانَ عَلَى كُلِّ أَشْتَكِيِّ النَّاسِ إِلَيْهِ أَمْرُ عُثْمَانَ أَرْسَلَ أَبْنَهُ الْحَسْنَ إِلَيْهِ ،
 فَلَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِ قَالَ لَهُ : إِنَّ أَبَاكَ يَرَى أَنَّ أَحَدًا لَا يَعْلَمُ مَا يَعْلَمُ ، وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا نَفْعَلُ ،
 فَكَفَّ عَنَّا . فَلَمْ يَبْعَثْ عَلَى أَبْنَهِ فِي شَيْءٍ بَعْدَ ذَلِكَ .

(١) قبل هذا البيت في الأغاني (ج ٤ ص ١٧٨ طبعة بلاق) :

نَادَى وَقَدْ تَمَتْ صَلَاتِهِمْ أَزْيَدُكُمْ عَلَا وَمَا يَدْرِي

(٢) في الأغاني : « فَأَبْوَا أَبَا وَهْبٍ وَلَوْ أَذْنُوا * لَقَرَنَتْ » .

وذكروا أن عثمان صلى العصر ثم خرج إلى على يعوده في مرضه، ومرwan معه، فرأه ثقيلاً. فقال: أما والله لولا ما أرى منك ما كنت أتكلم بما أريد أن أتكلم به، والله ما أدرى أى يوميك أحب إلى أو أبغض، أي يوم حياتك أو يوم موتك؟ أما والله لئن بقيت لا أعدم شامتاً يعذك كنفا^(١)، ويتحذذك عصداً، ولئن مت لا يغفر لك. فخطى منك حظ الوالد المشيق من الولد العاق، إنْ عاش عَقَهُ، وإن مات فِجَعَهُ. فليتك جعلت لنا من أمرك عَلَمًا نقف عليه ونعرفه، إما صديق مسلم وإما عدو معاند، ولم يجعلني كالمختنق بين السماء والأرض، لا يرقى بيده، ولا يهبط برجلي. أما والله لئن قتلتُك لا أصيب منك خلفاً، ولئن قتلتني لا تصيب مني خلفاً، وما أحب أن أبي بقي بعذتك. قال مرwan: أى والله وأخرى، إنه لا يُنال ما وراء ظهورنا حتى تُنكسر رماحنا وتقطع سيفونا، فما خير العيش بعد هذا. فضرب عثمان في صدره وقال: ما يدخلك في كلامنا؟ فقال على: إنَّ الله في شُغل عن جوابكما، ولكنني أقول كما قال أبو يوسف: (فَصَبِرْ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعْانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ).

وقال عبد الله بن العباس: أرسل إلى عثمان فقال لي: أكفي ابن عمك. فقلت: إنَّ ابن عمِي ليس بالرجل يُرى له ولكنَّه يُرى لنفسه، فأرسلني إليه بما أحببت. قال: قُل له فَلَمَّا خرج إلى ماله باليمين فلا أَغْتَمْ به ولا يغتم بي. فأتىت علياً فأخبرته. فقال: ما تتحذذى عثمان إلا ناصحاً، ثم أنسد يقول:

فكيف به أَنِّي أَدَوِي جراحَه فَيَدُوِي فَلَا مُلْ الدَّوَاهُ وَلَا الدَّاهُ
٢٠ أما والله إنه ليختبر القوم. فأتىت عثمان، فحدثته الحديث كله إلا البيت الذي أنسده. و قوله: إنه ليختبر القوم. فأنسد عثمان:

فكيف به أَنِّي أَدَوِي جراحَه فَيَدُوِي فَلَا مُلْ الدَّوَاهُ وَلَا الدَّاهُ
وجعل يقول: يا رحيم، انصرنـي، يا رحيم، انصرنـي، يا رحيم، انصرنـي.

(١) في بعض الأصول: «كهفا».

قال : فخرج على إِلَى يَنْبَعُ ، فـ كـتـبـ إـلـيـهـ عـمـانـ حـينـ اـشـقـدـ الـأـصـ : أـمـ بـعـدـ .
وـقـدـ بـلـغـ السـيـلـ الزـبـيـ ، وـجـاـزـ الـحـزـامـ الطـبـيـبـيـنـ ، وـطـمـعـ فـيـ مـنـ كـانـ يـضـعـفـ
عـنـ نـفـسـهـ :

فـإـنـكـ لـمـ يـفـخـرـ عـلـيـكـ كـفـاخـرـ ضـعـيفـ وـلـمـ يـغـلـبـكـ مـثـلـ مـغلـبـ^(١)
فـأـقـبـلـ إـلـىـ أـلـيـكـ أـحـبـتـ ، وـكـنـ لـىـ أـمـ عـلـىـ ، صـدـيقـاـ كـفـتـ
أـمـ عـدـوـاـ :

فـإـنـ كـنـتـ مـاـ كـوـلـأـفـكـنـ خـيـرـ آـكـلـ . وـإـلـاـ فـأـدـرـكـنـيـ وـلـاـ أـمـزـقـ^(٢)

خلافة على بن أبي طالب

رضي الله عنه

قال : لما قُتل عثمان بن عفان ، أقبل الناس يُهُزِّعون إلى على بن أبي طالب ١٠
فتراكمت عليه الجماعة في البيعة ، فقال : ليس ذلك إليكم ، إنما ذلك لأهل بيته
ليبياعوا . فقال : أين طلحه والزبير وسعد ؟ فأقبلوا فيما يعوا ، ثم بايعه المهاجرون
والأنصار ، ثم بايعه الناس . وذلك يوم الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة
سنة خمس وثلاثين ، وكان أول من بايع طلحه ، فكانت إصبعه شلاء ، فتطهير
منها على ، وقال : ما أخلفه أن ينكث . فكان كما قال على رضي الله عنه . ١٥

نسب على بن أبي طالب وصفاته

هو على بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف ، وأمه فاطمة
بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف . وصفاته ، كان أصلع بطينًا حمش ^(٣) الساقين .

(١) هذا البيت لامرئ القيس من قصيدة مطلعها :

خليلي صراibi على أم جندب لنقض حاجات الفؤاد المغلب
(انظر العقد الثمين ص ١١٦ - ١١٧ طبعة أوربة) .

(٢) هذا البيت من أبيات لممزق العبدى قالها عمرو بن هند . (انظر ج ٢ ص ١٦٣
- ١٦٤ من هذه الطبعة) .

(٣) حمش الساقين : دقيقهما .

صاحب شرطته مَعْقُل بن قيس الرياحي ، ومالك بن حبيب اليربوعي ، وكاتبته سعيد بن نمران^(١) ، وحاجبه قنبر ، مولاه . وقتل يوم الجمعة بالكوفة ، وهو خارج إلى المسجد لصلاة الصبح ، لسبعين بقين من شهر رمضان ، فكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر ، صلى عليه ولده الحسن ، ودُفن برحمة الكوفة ، ويقال في لِحْف^(٢) الحيرة ، وعمى قبره . واختلف في سنته ، فقال الشعبي : قُتل على رحمه الله وهو ابن ثمان وخمسين سنة ، وولد على بمكة في شعب بن هاشم .

فضائل علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

٤٧٥

أبو الحسن قال : أسلم على وهو ابن خمس عشرة سنة ، وهو أول من شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

وقال النبي عليه الصلاة والسلام : من كفت مولاه فعل مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاده . وقال له النبي صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن تكون مثلي بنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي ؟ وبهذا الحديث سُمِّيت الشيعة على بن أبي طالب الوصي ، وتآتوا فيه أنه استخلفه على أمته إذ جعله منه بنزلة هارون من موسى ؟ لأن هارون كان خليفة موسى على قومه إذا غاب عنهم . وقال السيد الحميري رحمه الله تعالى :

إني أدين بما دان الوصي به وشاركت كفه كف بصفينا

وجمع النبي صلى الله عليه وسلم فاطمة وعليها والحسن والحسين فألقى عليهم كساءه وضمهما إلى نفسه ثم تلا هذه الآية : (إنما يُريد الله ليدزه عنكم الرّجس أهل البَيْت ويطهّركم تطهيرا) . فتاوات الشيعة الرّجس هنا بالخوض في غمرة^(٣)

(١) كذا في الطبرى . والذى فى الأصول هنا : « سعد بن مهران » . وانظر الحاشية (رقم ٢ ص ١٦٤) من هذا الجزء .

(٢) المحف (بالكسر) : الصفع . (٣) فى بعض الأصول : « فى عشرة » .

الدُّنْيَا وَكُدُورُهَا^(١). وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْرٍ: لَا تُعْطِينَ الرَايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، لَا يُمْسِي حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ . فَدَعَا عَلَيْهَا، وَكَانَ أَرْمَدًا، فَتَقَلَّ فِي عَيْنِيهِ، وَقَالَ: اللَّهُمَّ قِهْ دَاءَ الْحَرَّ وَالْبَرْدِ . فَكَانَ يَلْبِسُ كُسوَةَ الصِّيفِ فِي الشَّتَاءِ وَكُسوَةَ الشَّتَاءِ فِي الصِّيفِ وَلَا يَضُرُّهُ .

أَبُو الْحَسْنِ قَالَ: ذُكْرُ عَلَيْهِ عِنْدَ عَائِشَةَ فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحَبَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ، وَلَا رَأَيْتُ اُمَّرَأَةً كَانَتْ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أُمْرَأَتِهِ .

وَقَالَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَنَا أَخُو رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنُ عَمِّهِ، لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلَّا كَذَابٌ .

الْشَّعْبِيُّ قَالَ: كَانَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ مِثْلَ الْمَسِيحِ بْنَ صَرِيمٍ ١٠ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ، أَحَبَّهُ قَوْمٌ فَكَفَرُوا فِي حُبِّهِ، وَأَبْغَضَهُ قَوْمٌ فَكَفَرُوا فِي بُغْضِهِ .

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْحَسْنُ وَالْحُسْنَيْنُ سَيِّدَا شَبَابَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَبْوَاهَا خَيْرٌ مِنْهُمَا .

أَبُو الْحَسْنِ قَالَ: كَانَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقْسِمُ بَيْتَ الْمَالِ ١٥ فِي كُلِّ جُمْعَةٍ حَتَّى لَا يُبْقِي مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ يُفْرِشُ^(٢) لَهُ وَيَقِيلُ فِيهِ . وَيَتَمَثَّلُ بِهَذَا الْبَيْتِ :

هَذَا جَنَّاتِي وَخِيَارِهِ فِيهِ إِذْ كُلَّ جَانِ يَدُهُ إِلَى فِيهِ^(٣)
كَانَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ إِذَا دَخَلَ بَيْتَ الْمَالِ وَنَظَرَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الدَّرَبِ

وَالْفَضْةَ قَالَ :

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ: « وَلَدَاتِهَا ». (٢) فِي بَعْضِ الْأَضْوَلِ: « يَرِشْ » .

(٣) هَذَا مِثْلُهُ، وَأَوْلُ مَنْ تَكَلَّمُ بِهِ عُمَرُ بْنُ عَدَى، وَذَلِكَ أَنَّ جَذِيعَةَ أَمَّهُ النَّاسُ أَنْ يَجْتَنِيَنَّ لَهُ الْكَمَأَةَ، فَكُلُّ مَنْ وَجَدَ خِيَارًا آثَرَهُ نَفْسَهُ إِلَّا عُمَراً . يَقُولُ: هَذَا مَا اجْتَنَيْتُهُ وَلَمْ أَخْذْ لِنَفْسِي خَيْرًا مَا فِيهِ إِذْ كُلَّ جَانِ يَدُهُ مَائِلَةً إِلَيْ فِيهِ يَا كَلَهُ . (انْظُرْ فَرَائِدَ الْلَّالَى ج ٢ ص ٣٤٩) .

أبيضٌ وأصفرٌ وغُرْيٌ غيري إني من الله بكل خير
ودخل رجل على الحسن بن أبي الحسن البصري فقال : يا أبا سعيد ، إنهم
يزعمون أنك تبغض علياً . قال : فبكي الحسن حتى أخذت لحيته ، ثم قال :
كان على بن أبي طالب صهباً من صرادي الله على عدوه ، ورباني هذه الأمة ،
وذا فضلها وسابقتها ، وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لم يكن
بالغُوَّة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا الملوة^(١) في ذات الله ، ولا السُّرُوفة
لِمَال الله . أعطى القرآن عنده ففاز منه برياض مونقة [وأعلام بيضاء] ، ذلك
على بن أبي طالب يا لكم .

يوم الجلل

١٠ أبو اليقظان قال : قدم طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام وعائشة أم المؤمنين البصرة . فتقلاهم الناس بأعلى المربد ، حتى لو رموا بحجر ما وقع إلا على رأس إنسان ، فتكلم طلحة وتكلمت عائشة ، وكثير الاغلط ، فجعل طلحة يقول :
أيها الناس ، أنصتوا . وجعلوا يركبونه ولا ينصلتون . فقال . أَفْ أَفْ ! فراش نار ، وذباب طمع . وكان عثمان بن حنيف الأنصاري عامل على بن أبي طالب
٢٧٦ على البصرة ، فخرج إليهم في رجاله ومن معه ، فتوقفوا حتى زالت الشمس ، ثم
أصدطاحوا ، وكثروا بينهم كثابة أن يكفووا عن القتال حتى يقدم على بن أبي طالب ،
ولعثمان بن حنيف دار الإمارة والمسجد الجامع وبيت المال ، فكفوا . ووجه
علي بن أبي طالب الحسن أبنته وعمار بن ياسر إلى أهل الكوفة يستنفرانهم ،
فنفر معهما سبعة آلاف من أهل الكوفة . فقال لهم عمّار : أما والله إني لأعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ، ولكن الله ابتلاكم بها لتتبعوه أو تتبعوها . وخرج
علي في أربعة آلاف من أهل المدينة ، فيهم ثمانمائة من الأنصار ، وأربعمائة
من شهد بيعة الرضوان مع النبي صلى الله عليه وسلم . ورایة على مع ابنه محمد

(١) في بعض الأصول : « الملوة ». وانظر (ج ٢ ص ٢٢٩) من هذه الطبعة .

ابن الحنفية ، وعلى مَيْمِنَتِهِ الْحُسْنُ ، وعلى مَيْسِرَتِهِ الْحُسْنُ ، وعلى الْخَيْلِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرَ ، وعلى الرَّجَالَةِ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ ، وعلى الْمُقْدَمَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ .
ولوَاءَ^(١) طَلَحَةَ وَالْزَّبِيرَ مَعَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ حَكَمَيْنَ بْنَ حِزَامٍ ، وعلى الْخَيْلِ طَلَحَةَ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ ، وعلى الرَّجَالَةِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ . فَالْتَّقَوَا بِمَوْضِعِ قَصْرِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ فِي النَّصْفِ مِنْ جُمَادَى الْآخِرَةِ يَوْمَ الْحَمِيسِ . وَكَانَتِ الْوَقْعَةُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ .

وَقَالُوا : لَمَا قَدِمْتَ عَلَى^٢ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْبَصَرَةَ قَالَ لَأَبْنِ عَبَّاسٍ : أَئْتَ الْزَّبِيرَ وَلَا تَأْتِ طَلَحَةَ ، فَإِنَّ الْزَّبِيرَ أَلِينٌ ، وَأَنْتَ تَجِدُ طَلَحَةَ كَالثُّورِ عَاقِصاً بِقَرْنِهِ يَرْكِبُ الصَّعْوَبَةَ ، وَيَقُولُ : هَى أَسْهَلُ ، فَأَفْرِغْهُ السَّلَامَ ، وَقُلْ لَهُ : يَقُولُ لَكَ إِنَّ خَالَكَ : عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ ، وَأَنْكَرْتَنِي بِالْعِرَاقِ ، فَمَا عَدَا مَا^(٢) بَدَا ؟ قَالَ أَبْنُ عَبَّاسٍ : فَأَتَيْتَهُ فَأَبْلَغْتَهُ . فَقَالَ : قُلْ لَهُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ عَهْدُ خَلِيفَةَ ، وَدُمُّ خَلِيفَةَ ، وَاجْتَمَاع١٠ ثَلَاثَةَ ، وَأَنْفَرَادٌ وَاحِدٌ ، وَأَمْ مَبْرُورَةَ ، وَمُشَارِكةَ الْعَشِيرَةِ ، وَنَسْرَ المَصَاحِفِ ، بُخِيلٌ مَا أَحَلَّتْ ، وَنَحْرَمٌ مَا حَرَّمَتْ .

وَقَالَ عَلَى^٣ بْنِ أَبِي طَالِبٍ : مَا زَالَ الْزَّبِيرُ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ حَتَّى أُدْرِكَهُ أَبْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ فَلَفَقَتْهُ عَنَّا .

وَقَالَ طَلَحَةُ لِأَهْلِ الْبَصَرَةِ وَسَأَلَهُ عَنْ بَيْعَةِ عَلَى^٤ فَقَالَ : أَدْخَلْنِي فِي حُشْن١٥ نَمَّ وَضَعُوا الْلَّبَجَ عَلَى قَفَّيْ فَقَالُوا : بَايْعٌ وَإِلَّا قَتَلْنَاكَ . قَوْلَهُ : الْلَّبَجُ ، يَرِيدُ السَّيْفَ ، وَقَوْلُهُ : قَفَّيْ ، لِغَةُ طَيْيٍّ ، وَكَانَتْ أُمُّهُ طَائِيَّةً .

وَخَطَبَتْ عَائِشَةُ أَهْلَ الْبَصَرَةِ يَوْمَ الْجَمْلِ فَقَالَتْ : أَيْهَا النَّاسُ ، صَهْ صَهْ ، كَأَنَّمَا قُطِعَتِ الْأَلْسُنُ فِي الْأَفْوَاهِ . نَمَّ قَالَتْ : إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حُرْمَةَ الْأُمُومَةِ ، وَحَقَّ^(٢) الْمَوْعِظَةِ ، لَا يَتَهَمَّنِي إِلَّا مَنْ عَصَى رَبَّهُ . ماتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ20 سَحْرَى وَنَحْرَى ، وَأَنَا إِحْدَى نَسَائِهِ فِي الْأَجْنَةِ ، لَهُ أَدْخَرْنِي رَبِّي وَسَلَّمْنِي^(٤) مِنْ كُلِّ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَأَبُو » . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « مَا » .

(٣) انْظُرْ الْحَاشِيَّةَ (رَقْمُ ٢ ص ١٢٨) مِنْ هَذَا الْجَزْءِ .

(٤) انْظُرْ الْحَاشِيَّةَ (رَقْمُ ١ ص ١٢٩) مِنْ هَذَا الْجَزْءِ .

بُضم^(١) ، وبِي مَيْزَ بَيْنَ مُنَافِقَكُمْ وَمُؤْمِنَكُمْ ، وبِي أَرْخَصِ لَكُمْ فِي صَعِيدِ الْأَبْوَاءِ^(٢) .
 ثُمَّ أَبْيَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَثَانِي أَنْذِنِينَ فِي الْغَارِ ، وَأَوْلَى مِنْ سُمَّى حِدَّيَقَةً . مَفِي
 رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَاضِيًّا عَنْهُ ، وَطَوَّقَهُ طَوق^(٣) الْإِمَامَةَ . ثُمَّ أَضَطَّرَّبَ
 حِبْلُ الدِّينِ فَهَسَكَ أَبْيَ بَطَرَفِيهِ ، وَرَتَقَ لَكُمْ أَنْتَاهَهُ^(٤) ، فَوَقَمَ^(٥) النَّفَاقَ ، وَأَغَضَ نَبَعَ
 الرَّدَّةَ ، وَأَطْفَأَ مَا حَشَّتَ^(٦) يَهُودَ ، وَأَنْتَمْ يَوْمَئِذٍ جُحْظَ الْعَيْنَوْنَ ، تَنْظَرُونَ الْعَدُوَّةَ^(٧) ،
 وَتَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ ، فَرَأَبَ الثَّائِي^(٨) ، وَأَوْذَمَ الْعَطْلَةَ^(٩) ، وَأَنْتَاشَ^(١٠) مِنَ الْهُوَّةِ ،
 وَأَجْتَحَى^(١١) دُفَينَ الدَّاءِ ، حَتَّى أَعْطَنَ الْوَارِدَ^(١٢) ، وَأَوْرَدَ الصَّادِرَ ، وَعَلَّ
 النَّاهِلَ ، فَتَبَاهَ اللَّهُ وَاطِّئًا عَلَى هَامَاتِ النَّفَاقِ ، مُذْكَرًا نَارَ الْحَرْبِ الْمُشْرِكِينَ .
 وَأَنْتَظَمْتَ طَاعَتُكُمْ بِحَبْلِهِ . ثُمَّ وَلَى أَمْرَكُمْ رَجُلًا مَرْعِيًّا إِذَا رُكِنَ إِلَيْهِ ، بَعِيدًا

١٠ (١) كذا في بلاغات النساء ، أى من كل نكاح ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم تزوجها
 بكرا من بين نسائه . والذى في الأصول : « بضاعة » .

(٢) تشير إلى حديث الإفك ونزول الوسي ببراءتها ، فيه تمييز المؤمنون الذين وثقوا من
 براءتها من المنافقين الذين ذهبوا إلى اتهامها .

(٣) في بلاغات النساء : « وَهَفْ » مكان « طَوقْ » والوهف : الثقل . وفي لسان
 العرب (ماده وهف) : « قلده رسول الله صلى الله عليه وسلم وله وهف الأمانة .
 وفي رواية : وَهَفْ الدِّينِ . أى قلده القيام شرف الدين بعده ... وقيل وَهَفْ
 الأمانة ، ثقلها » .

(٤) كذا في بعض الأصول وببلاغات النساء . والرتفق : ضد الفتق . وأنباء الشيء :
 قوله . والذى في سائر الأصول : « وزبن له أفياءه » .

(٥) وقه : قهره وأذله . وفي بلاغات النساء : « وَقَذْ » . والوقذ : الكسر والدفع .
 (٦) حش النار : أوقدها .

(٧) العدوة : الوثبة . وفي الأصول : « النَّفَرَةُ » . وما أثبتنا عن بلاغات النساء .
 وانظر الحاشية (رقم ٨ ص ١٢٩) من هذا الجزء .

(٨) رَأَبْ : أصله . والثَّائِي (بالفتح والتحريك) : الإفساد .

(٩) العطلة (كفرحة) من الدلاء : التي انقطع وذهبها ، وهي السبب بين آذان الدلو
 والعراق . وأوذمهما : شدهما . وفيما من هذا الجزء (ص ١٢٩) : « وَأَوْدَ
 مِنَ الْغَلَظَةِ » .

(١٠) انتاش : أخرج .

(١١) اجْتَحَى : استأصل .

(١٢) أَعْطَنَ الْوَارِدَ : حبس ماءه عن الماء . وهذا كساية عن تأمين السبل .

ما بين الْلَّابِتَيْنَ^(١) إِذَا ضُلَّ ، عَرُوكَةُ الْأَذَّةِ بِجَنْبِهِ^(٢) ، يَقْظَانُ اللَّيلِ فِي نُصْرَةِ
الْإِسْلَامِ ، فَسَلَكَ مَسْلَكَ السَّابِقِينَ ، فَفَرَقَ شَمْلَ الْفِتْنَةِ ، وَجَمَعَ أَعْضَادَ مَا جَمَعَ
الْقُرْآنَ ، وَأَنَا نُصْبُ الْمَسْأَلَةَ عَنْ مَسِيرِي^(٣) هَذَا . لَمْ أَتَقْسِ إِنْهَا ، وَلَمْ أُؤْرِثْ^(٤)
فِتْنَةً أَوْطَئُكُمُوهَا . أَقُولُ قَوْلِي هَذَا صِدْقًا وَعَدْلًا ، وَإِعْذَارًا وَإِنْذَارًا^(٥) ،
وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُصْلِي عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَنْ يَخْلُفَهُ فِيمَكَ بِأَفْضَلِ خَلَافَةِ الْمُرْسَلِينَ .

وكتبت أم سَلَمَة زوج النبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ
٤٧٧
إِذْ عَنِمَتْ عَلَى الْخُرُوجِ يَوْمَ الْجَلِيلِ : مِنْ أُمَّ سَلَمَةِ زوجِ النبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
إِلَى عَائِشَةَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنِّي أَحْمَدُ اللَّهَ إِلَيْكَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ . أَمَا بَعْدُ ،
إِنَّكَ^(٦) سُدَّةٌ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبَيْنَ أُمَّتِهِ ، حِجَابٌ^(٧) مَضْرُوبٌ
عَلَى حُرْمَتِهِ . قَدْ جَمَعَ الْقُرْآنُ ذِيلَكَ فَلَا تَنْدَحِيهِ^(٨) ، وَسَكَرٌ خَفَارَتِكَ فَلَا
تَبْدِيزَاهَا^(٩) . فَاللَّهُ مِنْ وَرَاءِ هَذِهِ الْأُمَّةِ . لَوْ عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
أَنَّ النِّسَاءَ يَحْتَمِلُنَّ الْجَهَادَ عِهْدَ إِلَيْكَ . أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ قدْ نَهَاكَ عَنِ الْفَرَاطَةِ^(١٠)
فِي الْبَلَادِ^(١١) ، فَإِنَّ عَمُودَ الدِّينِ^(١٢) لَا يَثْبُتُ بِالنِّسَاءِ إِنْ مَالَ ، وَلَا يُرَأِبَ بِهِنَّ

(١) الالاتان : مبني الالاة ، وهي الحرة . تزيد أنه واسم الحيلة حين يضل الناس .

(٢) العرك : الدلك . ويقال : عرك بجنبه ما كان من صاحبه ، كأنه حكم حق عفاء . ١٥ تصفه بالاحتمال .

(٣) أي أنها عرضة لأن تسأل عن خروجها لمخرجت .

(٤) أورث : أشعل وأقد .

(٥) في بعض الأصول: «وتهذيرا».

(٦) في بعض الأصول : « فقد هتكت » مكان « إنك سيدة » وما أثبتنا عن سائر الأصول وبالغات النساء .

(٧) في بلاغات النساء: « حجابك » .

(٨) فلا تندحِيه ، أى لا توسيعه بمحروبك إلى البصرة . وفي بعض الأصول : « ذيولك
فلا تسخنها » .

(٩) كذا في الأصول . وسکر : حبس . ومنه قوله تعالى : « سکرت أبصارنا » أى حبس عن النظر ، أو غطیت وغشیت . وفي بلاغات النساء ولسان العرب (مادة عقر) : « وسكن الله عقيراك فلا تصير بيهما » أى أسكنك الله بيتك وعقارك وسترك فيه فلا تبرز بهما . والعقیر : مصغّر مشتق من عقر الدار .

(١٠) الفراتنة : التقدم . (١١) في بعض الأصول : « في الدين » .

(١٢) في الأصول : «الدين». وما أتبنا من بلاغات النساء.

إن أنسدعاً؟ جهاد النساء غَضْلُ الأطراف ، وضمُّ الذِيول ، وقصر المُوادَة .
ما كنت قائلاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو عارضك ببعض هذه الفلوات
ناصَة^(١) قَعُوداً ، من مَهْلٍ إلى مَهْلٍ؟ وغداً تردين على رسول الله صلى الله
عليه وسلم . وأُقْسِمَ لوقيل لي : يا أم سَلَمة ، ادْخُلِي الجنة ، لاستحيميتُ أن ألقى
رسول الله صلى الله عليه وسلم هاتـكـة حجايا ضـرـبهـ عـلـيـهـ . فاجعلـيـهـ سـتـركـ ،
وقاعةـ الـبـيـتـ حـضـنـكـ ؟ فإنـكـ أـنـصـحـ ماـ تـكـونـينـ لـهـذـهـ الـأـمـةـ ماـ قـعـدـتـ عنـ
نـصـرـهـمـ . ولوـأـنـيـ حدـثـتـكـ بـحـدـيـثـ سـمـعـتـهـ منـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـيـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ
لـنـهـشـتـنـيـ^(٢) نـهـشـ الـحـيـةـ الرـقـشـاءـ الـمـطـرـقةـ . وـالـسـلـامـ .

فأجابـهاـ عـائـشـةـ : منـ عـائـشـةـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ إـلـىـ أـمـ سـلـامـ ، سـلـامـ عـلـيـكـ ، فإنـيـ
أـحـمـدـ اللهـ إـلـيـكـ الـذـىـ لـاـ إـلـهـ إـلـاـ هـوـ . أـمـاـ بـعـدـ . فـهـاـ أـقـبـلـنـيـ لـوـأـعـظـكـ ، وـأـعـرـفـنـيـ لـحـقـ
نـصـيـحـتـكـ ، وـمـاـ أـنـاـ بـمـعـقـمـةـ^(٣) بـعـدـ تـعـرـيجـ ، وـلـنـعـمـ الـمـطـلـعـ مـطـلـعـ فـرـقـتـ فـيـهـ بـيـنـ
فـتـئـيـنـ مـُـتـشـاجـرـتـيـنـ مـنـ الـمـسـلـمـيـنـ ، فـإـنـ أـقـدـ فـعـنـ غـيرـ حـرـجـ ، وـأـنـ أـمـضـ فـإـلـىـ
مـاـ لـاـ غـنـىـ بـيـ عنـ الـأـزـدـيـادـ مـنـهـ . وـالـسـلـامـ .

وكـبـدتـ عـائـشـةـ إـلـىـ زـيـدـ بـنـ صـوـحـانـ إـذـ قـدـمـتـ الـبـصـرـةـ : منـ عـائـشـةـ أـمـ
الـمـؤـمـنـينـ إـلـىـ أـبـنـهـ الـخـالـصـ زـيـدـ بـنـ صـوـحـانـ ، سـلـامـ عـلـيـكـ . أـمـاـ بـعـدـ ، فإنـ أـبـاكـ كـانـ
رـأـسـاـ فـيـ الـجـاهـلـيـةـ وـسـيـدـاـ فـيـ الـإـسـلـامـ ، وـإـنـكـ مـنـ أـبـيكـ بـمـنـزـلـةـ الـمـصـلـىـ مـنـ السـابـقـ ،
يـقالـ كـادـ أـلـحـقـ ، وـقـدـ بـلـغـكـ الـذـىـ كـانـ فـيـ الـإـسـلـامـ مـنـ مـصـابـ عـمـانـ بـنـ عـفـانـ ،
وـنـحـنـ قـادـمـوـنـ عـلـيـكـ ، وـالـعـيـانـ أـشـفـيـ لـكـ مـنـ الـخـبـرـ . فـإـذـاـ أـتـاكـ كـتـابـيـ هـذـاـ فـتـبـطـ
الـنـاسـ عـلـىـ بـنـ أـبـيـ طـالـبـ ، وـكـنـ مـكـانـكـ حـتـىـ يـأـتـيـكـ أـمـرـيـ ، وـالـسـلـامـ .

فـكـتـبـ إـلـيـهـ : مـنـ زـيـدـ بـنـ صـوـحـانـ إـلـىـ عـائـشـةـ أـمـ الـمـؤـمـنـينـ . سـلـامـ عـلـيـكـ ،
أـمـاـ بـعـدـ ، فإنـكـ أـمـرـتـ بـأـمـرـ وـأـمـرـنـاـ بـغـيـرـهـ ، أـمـرـتـ أـنـ تـقـرـرـيـ فـيـ بـيـتـكـ ، وـأـمـرـنـاـ

(١) الفعود (بالفتح) : من الإبل يقتعده الراعي في كل حاجة . وناصَة : اسم فاعل من النص ، وهو أن تستخرج من الناقة أقضى سيرها .

(٢) في بعض الأصول : « انْهَشْتْ ». وما أثبتنا من سائر الأصول والإمامية والسياسة .

(٣) الاعتمار : الزيارة . تريدها ليست راجعة عمما عننت عليه .

أن نقاتل الناس حتى لا تكون فتنه . فتركت ما أُمرت به ، وكتبت تنهيماً عما أُمرنا به ، والسلام .

وخطب على رضي الله عنه بأهل الكوفة يوم الجمل إذ أقبلوا إليه مع الحسن بن علي فقام فيهم خطيباً ، فقال : الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين وأخر المرسلين ، أما بعد . فإن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى الشَّقَّلين كافة ، والناسُ في اختلاف ، والعربُ بشرٌ المنازل ، مُسْتَهْضَفُونَ لِمَا بَهُمْ ، فرَأَبَ اللَّهُ بِهِ الشَّائِي ، وَلَمْ بِهِ الصَّدْعُ ، وَرَتَقَ بِهِ الْفَتْقُ ، وَأَمَّنَ بِهِ السَّبِيلُ ، وَحَقَّنَ بِهِ الدَّمَاءُ ، وَقَطَّعَ بِهِ الْعِدَادُ الْمُوْغَرَةَ^(١) لِلْقُلُوبِ ، وَالضَّغَانِ المُشْحَنَةَ^(٢) لِلصَّدُورِ ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى مُشَكُوراً سَعِيهِ ، مَرْضِيَا عَمَلَهُ ، مَغْفُوراً ذَنْبَهُ ، كَرِيمًا عِنْدَ اللَّهِ تَرْزُلُهُ . فِيهَا مِنْ مُصِيدَبَةِ عَمَّتِ الْمُسْلِمِينَ ، وَخَصَّتِ الْأَقْرَبَيْنَ .

١٠ وَوَلِيَ أَبُو بَكْرَ فَسَارَ فِيهَا بِسِيرَةِ رِضا ، رَضِيَ بِهَا الْمُسْلِمُونَ . ثُمَّ وَلِيَ عُمَرَ فَسَارَ بِسِيرَةِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا . ثُمَّ وَلِيَ عُمَانَ فَنَالَ مِنْكُمْ وَنِلَتُمْ مِنْهُ . ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ ، أَتَيْتُمُوهُ فَقَتَلْتُمُوهُ ، ثُمَّ أَتَيْتُمُونِي فَقَاتَمْ : لَوْ بَايَعْتَقَنَا ؟ فَقَلَتْ : لَا أَفْعُلُ ، وَقَبَضَتْ يَدِي فِي بَسْطَتِهَا ، وَنَازَعْتُكُمْ كَفِي فِي جَذْبِتُهَا ، وَقَلَمْ : لَا نَرْضِي إِلَيْكُمْ ، وَلَا نَجْتَمِعُ إِلَيْكُمْ ، وَتَرَكْتُمْ عَلَى تَرَاكِمِ الْأَبْلَلِ الْهَمِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ ٢٧٨ وَرُودِهَا ، حَتَّى ظَفَنَتْ أَنْكُمْ قَاتِلِيَّ وَأَنَّ بَعْضَكُمْ قَاتِلٌ بَعْضًا ، فَبَايَعْتَقَنِي ، وَبَايَعْنِي طَلْحَةُ وَالْزَّبِيرُ ، ثُمَّ مَا لَبَثَ أَنْ أَسْتَأْذِنَنِي إِلَى الْعُمْرَةِ . فَسَارَ إِلَى الْبَصَرَةِ فَقَاتَلَ بِهَا الْمُسَامِينَ ، وَفَعَلَ بِهَا الْأَفْاعِيَلَ ، وَهَا يَعْلَمَنَ وَاللَّهُ أَنِّي لَسْتُ بِدُونِ مَنْ مَضِيَ ، وَلَوْ أَشَاءَ أَنْ أَقُولَ لِقَلْتَ : اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَمَا قَرَابَتِي ، وَنَسْكَثَا بَيْعَتِي ، وَأَلْبَاعَلِيَ عَدُوِّي . اللَّهُمَّ فَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا ، وَأَرِهَا الْمَسَاةَ فِيهَا عَمَلاً .

٢٠ وَأَمَلَى عَلَيَّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ مُسْلِمَةَ^(٣) بْنِ حُمَارَبٍ عَنْ دَاؤِدٍ عَنْ أَبِي هِنْدٍ عَنْ أَبِي

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « الْوَاغْرَةُ » .

(٢) الْمُشْحَنَةُ ، أَيُّ الْمُوْغَرَةُ ؟ يَقُولُ : شِحْنٌ عَلَيْهِ ، كَفْرٌ حِلْدَةٌ . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « الْمُحَشَّنَةُ » . مِنْ الْحَشَنَةِ (بِالْكَسْرِ) : الْحَقْدُ .

(٣) فِي الْأَصْوَلِ : « سَلَمَةُ » . وَمَا أَنْبَتَنَا عَنْ الطَّبَرِيِّ .

حَرْبُ عَنْ أَبِي الْأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : خَرَجْتُ مَعَ عِمْرَانَ بْنَ حُصَيْنَ وَعُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفَ إِلَى عَائِشَةَ فَقَلَّنَا : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَخْبَرِنَا عَنْ مَسِيرِكَ هَذَا . عَهْدُ عَهْدِهِ إِلَيْكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ أَمْ رَأَيْتَهُ ؟ قَالَتْ : بَلْ رَأَيْتُهُ حِينَ قُتِلَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَانَ ، إِنَّا نَقْمَنَا عَلَيْهِ ضَرَبَهُ بِالسَّوْطِ ، وَمَوْقِعُ الْمِسْحَةِ الْمُحْمَّةِ ، وَإِمْرَةُ سَعِيدٍ وَالْوَلِيدِ^(١) ، فَعَدُوكُمْ عَلَيْهِ فَأَسْتَحْلِلُتُمْ مِنْهُ الْثَلَاثَ الْحُرْمَ : حُرْمَةُ الْبَلْدِ وَحُرْمَةُ الْخَلْفَةِ وَحُرْمَةُ الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، بَعْدَ أَنْ مُصْتَمِّوْهُ كَمَا يُمَاصُ^(٢) الْإِنَاءَ ، فَفَضَّبْنَا لَكُمْ مِنْ سَوْطِ عُثْمَانَ ، وَلَا نَغْضَبُ لِعُثْمَانَ مِنْ سَيْفِكُمْ^(٣) ؟ قَلَّنَا : مَا أَنْتَ وَسِيفُنَا وَسَوْطُ عُثْمَانَ ، وَأَنْتَ حَبِيسُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ! أَمْرُكَ أَنْ تَقْرَرِي فِي بَيْتِكَ فَجَئْتَ تَضَرُّبَ بَيْنَ النَّاسِ بِعَضَّهُمْ بِبَعْضٍ ! قَالَتْ : وَهُلْ أَحَدٌ يَقَاتِلُنِي أَوْ يَقُولُ غَيْرَ هَذَا ؟ قَلَّنَا : نَعَمْ . قَالَتْ : وَمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ هَلْ أَنْتَ مُبْلَغُ عَنِي يَا عِمْرَانَ ؟ قَالَ : لَسْتُ مُبْلَغًا عَنِكَ حَرْفًا وَاحِدًا . قَلَّتْ^(٤) : لَكُنْنِي مُبْلَغُ عَنِكَ ، فَهَاتِ مَا شَاءْتِ . قَالَتْ : اللَّهُمَّ اقْتُلْ مُذَمِّمًا قَصَاصًا بِعُثْمَانَ ، وَأَرْمِ الْأَشْتَرَ بِسَهَامِكَ لَا يُشْوِي ، وَأَذْرِكَ عَمَّارًا بِخَفَرَهِ بِعُثْمَانَ^(٥) .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِدْرِيسَ عَنْ حُصَيْنِ عَنْ الْأَحْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : قَدَّمْنَا الْمَدِينَةَ وَنَحْنُ زَرِيدُ الْحَجَّ ، فَأَنْطَلَقْتُ فَأَتَيْتُ طَلْحَةَ وَالْزَّبِيرَ ، فَقَلَّتْ : إِنِّي لَا أَرَى هَذَا^(٦) إِلَّا مَقْتُولًا ، فَمَنْ تَأْمَرَنِي بِهِ كَمَا تَرْضِيَاهُ لِي ؟ قَالَا : نَأْمُرُكَ بِعَلَى^(٧) . قَلَّتْ : فَتَأْمَرْنِي بِهِ وَتَرْضِيَاهُ لِي ؟ قَالَا : نَعَمْ . قَالَ : ثُمَّ أَنْطَلَقْتُ حَتَّى أَتَيْتُ مَكَّةَ ، فَبَيْنَا نَحْنُ بِهَا إِذْ أَتَانَا قَتْلُ عُثْمَانَ وَبِهَا عَائِشَةَ

(١) سعيد، هو ابن العاص. والوليد، هو ابن عقبة. وقد ولما الكوفة لعثمان، ولها الوليد ثم ولها سعيد فأتيماً أنكره الناس عليهما. (انظر مرسوج الذهب).

(٢) الموس : عسل لين ، والدلك ياليد . (وانظر ص ٢٩٢ من هذا الجزء).

(٣) الضمير في قلت : « لوالد أبي الأسود » الذي خرج مع ابن حسين وابن حنيف إلى عائشة . وقد تقدم ذكره في أول هذا الخبر » .

(٤) يقال : خفر به خفراً وخفوراً ، إذا نقض عهده وغدره . (انظر القاموس مادة خفر) . وفي بعض الأصول : « بغيرته على عثمان » . وقد مر هذا الخبر عن عائشة (ص ٢٩٤) من هذه الجزء مع قليل من الاختلاف .

(٥) يزيد عثمان بن عفان .

أم المؤمنين ، فانطلقت إلها فقلت : مَن تأمر يني أَنْ أَبَايِع ؟ قالت : على بن أبي طالب .
 قلت : أتأمر يني به وترضينه لى ؟ قالت : نعم . قال : فررت على على " بالمدينة
 فبایعته ، ثم رجعت إلى البصرة ، وأنا أرى أن الأمر قد أستقام ؛ فما راعنا إلا
 قدوم عائشة أم المؤمنين وطلحة والزبير قد نزلوا جناب الخربة^(١) . قال : فقلت :
 ما جاء بهم ؟ قالوا : قد أرسلوا إليك يستنصرونك على دم عثمان ، إنه قُتل مظلوما .
 ٥
 قال : فأتأنى أفعظ أمر لم يأتني قط . قلت : إن خذلان هؤلاء ومعهم أم المؤمنين
 وحواري رسول الله صلى الله عليه وسلم لشديد ، وإن قتال ابن عم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بعد أن أمروني بيديعته لشديد . قال : فلما أتيتهم قالوا :
 ١٠ جئناك نستنصر لك على دم عثمان ، قُتل مظلوماً . قال : فقلت : يا أم المؤمنين ،
 أَنْشِدْكَ الله ، أَقْلَتِ لك : مَن تأمر يني به وترضينه لى ، فقلت : على ؟ قالت : بلى ،
 ولـكـهـ بـدـلـ . قـلـتـ : يـازـبـيرـ ، يـاحـوارـيـ رسـولـ اللهـ ، وـيـاطـلـحـةـ ، نـشـدـتـكـاـ بالـلـهـ ،
 قـلـتـ أـكـمـاـ : مـنـ تـأـمـرـانـيـ بـهـ وـتـرـضـيـانـهـ لـىـ ، فـقـلـتـاـ عـلـىـ ؟ـ قـالـاـ : بـلىـ ، وـلـكـنـهـ بـدـلـ .
 قال : والله لا أقاتلكم ومعكم أم المؤمنين ، ولا أقاتل علياً ابن عم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ، ولكن أختاروا مني إحدى ثلات خصال : إما أن تفتحوا
 ١٥ لـيـ بـابـ الجـسـرـ فـالـحـقـ بـأـرـضـ الـأـعـاجـمـ حـتـىـ يـقـضـيـ اللـهـ مـنـ أـمـرـهـ مـاـ يـقـضـيـ ، وـإـمـاـ
 أـنـ أـلـحـقـ بـعـكـةـ فـأـ كـوـنـ بـهـ ، أـوـ أـتـحـوـلـ فـأـ كـوـنـ قـرـيـباـ ؟ـ قـالـواـ : نـأـمـرـ شـمـ نـرـسـلـ
 إـلـيـكـ .ـ قـالـ : فـأـمـرـواـ وـقـالـواـ : نـفـتـحـ لـهـ بـابـ الجـسـرـ فـيـلـحـقـ بـهـ المـفـارـقـ وـالـخـاذـلـ ،
 أـوـ يـلـحـقـ بـعـكـةـ فـيـفـحـشـكـ فـقـرـيـشـ وـيـخـبـرـهـ بـأـخـبـارـكـ ، اـجـعـلـوهـ هـاـهـنـاـ قـرـيـباـ حـيـثـ
 تـنـظـرـوـنـ إـلـيـهـ .ـ فـأـعـتـزـلـ بـالـجـمـاهـ ،ـ مـنـ الـبـصـرـةـ عـلـىـ فـرـسـخـينـ ،ـ وـاعـتـزـلـ مـعـهـ زـهـاءـ
 ٢٠ سـقـةـ آـلـافـ مـنـ بـنـىـ تـمـيمـ .

مقتل طلحة

أبو الحسن قال : كانت وقعة الجمل يوم الجمعة في النصف من جمادى الآخرة ،

(١) الخربة (بلفظ التصغير) : موضع بالبصرة ، وعنه كانت وقعة الجمل بين على وعائشة . (انظر معجم البلدان) .

التقوا فكان أولَ مَصْرُوعَ فِيْنَا طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ ، أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ^(١)
فَأَصَابَ رُكْبَتَهُ ، فَكَانَ إِذَا أَمْسَكَوْهُ فَتَرَ الدَّمْ ، وَإِذَا تَرَكَوْهُ أَنْفَجَرَ ، فَقَالَ
لَهُمْ : أَتَرَكُوهُ ، فَإِنَّمَا هُوَ سَهْمٌ أَرْسَلَهُ اللَّهُ .

هـ حَمَادُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ يَحْيَى بْنِ سَعِيدٍ قَالَ : قَالَ طَلْحَةُ يَوْمَ الْجَلْ :
نَدَمْتُ نَدَمَةً الْكَسْعِيَّةَ^(٢) لَمَّا طَلَبْتُ^(٣) رَضَا بْنَ حَزْمَ^(٤) بِرَغْمِيَ
اللَّهُمَّ خُذْ مِنِّي لِعْنَانَ حَتَّى يَرْضَى .

وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : لَمَّا رَأَى سَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمَ يَوْمَ
الْجَلْ طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ : لَا أَنْتَظُ بَعْدَ الْيَوْمِ بِشَأْرِي فِي لِعْنَانَ ، فَانْتَزَعَ
لَهُ سَهْمًا^(٥) فَقُتِلَ .

١٠ وَمِنْ حَدِيثِ سُقِيَانَ التَّوْرِيِّ قَالَ : لَمَّا أَنْقَضَنِي يَوْمُ الْجَلْ خَرَجَ عَلَيْهِ بْنُ
أَبِي طَالِبٍ فِي لَيْلَةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَمَعْهُ مَوْلَاهُ وَبِيَدِهِ شَمْعَةٌ يَتَصَفَّحُ وِجْهَ الْقَتْلِ ،
حَتَّى وَقَفَ عَلَى طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ فِي بَطْنِ وَادِي مُتَعَفِّرًا ، فَجَعَلَ يَمْسَحُ الْغَبَارَ عَنْ
وِجْهِهِ وَيَقُولُ : أَعْزِزُ عَلَيَّ يَا أَبَا مُحَمَّدٍ أَنْ أَرَاكَ مُتَعَفِّرًا تَحْتَ نَجُومِ السَّمَاءِ وَفِي بَطْنِ
الْأَوْدِيَّةِ ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . شَقَّيْتُ نَفْسِي وَقَتَلْتُ مُعْشَرِي ، إِلَى اللَّهِ
١٥ أَشْكُوُ عُجَرَى وَبُجَرَى^(٦) . ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَلِعْنَانُ وَطَلْحَةُ
وَالْزَّيْرُ مِنَ الْذِينَ قَالَ اللَّهُ فِيهِمْ : (وَرَزَّعَنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى
سُرُرِ مُتَقَابِلِينَ) وَإِذَا لَمْ نَكُنْ نَحْنُ فَمَنْ هُمْ ؟

(١) سَهْمٌ غَرْبٌ ، بِالإِضَافَةِ وَفَتحُ غَرْبٍ وَيَحرُكُ ، وَسَهْمٌ غَرْبٌ ، نَعْتًا : أَى لَا يَدرِي رَامِيهِ.

(٢) الْكَسْعِيُّ الَّذِي يَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلُ فِي النَّدَامَةِ ، رَجُلٌ رَامٌ رَمِيَ بَعْدَ أَنْ أَسْدَفَ الْلَّيْلَ
عِيرًا فَأَصَابَهُ ، وَظَنَّ أَنَّهُ أَخْطَأَهُ فَكَسَرَ قَوْسَهُ ، وَقِيلَ قَطْعَنَاصِبَعَهُ ، ثُمَّ نَدَمَ مِنَ الْفَدَى
حِينَ نَظَرَ إِلَى الْعِيرِ مَقْتُولًا وَسَهْمَهُ فِيهِ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « شَرِيتٌ » . وَمَا أَثْبَتَنَا مِنْ سَائِرِ الْأَصْوَلِ وَالْمَرْوِجِ (ج ٢ ص ١١).

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ « جَرْمٌ بِرَغْمِيٌّ » .

(٥) انتزعَ لَهُ سَهْمًا : رَمَاهُ بِهِ . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « فَانْتَزَعَهُ بِسَهْمٍ » .

(٦) عَجَرٌ وَبُجَرٌ : عَيْوبٌ وَأَحْزَانٌ ، وَمَا أَبْدَى وَمَا أَخْفَى .

أبو إدريس عن ليث بن طلحة عن مطرّف : أن عليًّا بن أبي طالب أجلس طلحة يوم الجل ومسح الغبار عن وجهه وبكى عليه .
ومن حديث سفيان : أن عائشة بنت طلحة كانت ترى في نومها طلحة ، وذلك بعد موته بعشرين يوماً^(١) ؛ فكان يقول لها : يا بُنْيَةُ ، أَخْرِجْنِي مِنْ هَذَا الماء الَّذِي يُؤْذِنِي . فلما أَنْتَهَتْ مِنْ نَوْمِهَا جَمَعَتْ أَعْوَانَهَا ثُمَّ نَهَضَتْ فَنَبَشَتْهُ ، فَوَجَدَهُ صَحِيحاً كَمَا دُفِنَ لَمْ تَنْخَسِرْ لَهُ شَرْرَةٌ ، وَقَدْ اخْضَرَ جَنَبَهُ كَالسَّاقِ مِنْ الْمَاءِ الَّذِي كَانَ يَسْيَلُ عَلَيْهِ ، فَلَفَتَهُ فِي الْمَلَاحِفِ وَأَشْتَرَتْ لَهُ عَرْصَةً بِالْبَصَرَةِ فَدَفَنَتْهُ فِيهَا ، وَبَنَتْ حَوْلَهُ مَسْجِداً . قَالَ : فَلَقَدْ رَأَيْتُ الْمَرْأَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَصَرَةِ تَقْبَلُ بِالْقَارُورَةِ مِنَ الْبَابِ فَتَصْبِهَا عَلَى قَبْرِهِ حَتَّى تُفْرَغَهَا ، فَلَمْ يَرَانِ يَفْعَلْنَ ذَلِكَ حَتَّى صَارَ تَرَابٌ فِي قَبْرِهِ مِنْ كَاذْفِرٍ .

١٠

وَمِنْ حَدِيثِ الْخَشْنِيِّ قَالَ : قَالَ لِمَا قُتِلَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ يَوْمَ الْجَلِّ وَجَدُوا فِي تَرَكَتِهِ ثَلَاثَةَ بُهَارٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ . وَالْبُهَارُ : مِزْوَدٌ مِنْ جَلَدِ بَعْلٍ^(٢) . وَقَعَ قَوْمٌ فِي طَلْحَةَ عِنْدِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ : أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ قُلْتُمْ فِيهِ أَنَّهُ لِكَانَ قَالَ الشَّاعِرُ :

١٥

فَتَّى كَانَ يُدْنِيَهُ الْفَنِيِّ مِنْ صَدِيقِهِ إِذَا مَا هُوَ أَسْتَغْفِي وَيُبَعْدُهُ الْفَقَرُ^{*}
كَانَ التَّرِيَا عُلِّقَتْ فِي يَمِينِهِ وَفِي خَدَّهُ الشَّعْرَى وَفِي الْآخَرِ الْبَدْرُ

مقتل الزبير بن العوام

شَرِيكٌ عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ قَيسٍ قَالَ : حَدَّثَنِي مَنْ رَأَى الزَّبِيرَ يَوْمَ الْجَلِّ يَقْصُصُ الْخَيلَ بِالرَّمْعِ قَعْصَا ، فَنَوَّهَ بِهِ عَلَيْهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، أَنَّهُ ذَكَرَ يَوْمًا أَتَانَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَنْاجِيكَ فَقَالَ : أَتَنْاجِيهِ ! وَاللَّهِ لَيُقَاتَلَنَّكَ وَهُوَ ظَالِمٌ لَكَ . قَالَ : فَصَرَفَ الزَّبِيرَ وَجْهَ دَابِّتَهُ وَأَنْصَرَفَ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « سَنَةٌ » .

(٢) قَالَ ابْنُ مَنْظُورَ مَادَةَ (بَهَار) : الْبَهَارُ (بِالضمِّ) : شَيْءٌ يُوزَنُ بِهِ ، وَهُوَ ثَلَاثَةُ رَطْلٍ . ثُمَّ سَاقَ هَذَا الْكَلَامَ . فَقَالَ : إِنَّ أَبِنَ الصَّعْبَةِ ، يَعْنِي طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ — كَانَ يَقَالُ لَأَبِنِ الصَّعْبَةِ — تَرَكَ مَائَةَ بُهَارٍ ، وَفِي كُلِّ بُهَارٍ ثَلَاثَةُ قَنَاطِيرٍ ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ . فَهُلْهُ وَعَاءٌ .

قال أبو الحسن : لما أتَحَازَ الزَّبِيرَ يَوْمَ الْجَلَ مَرْبَأَهُ لِبَقِيَّمْ ، فَقَيْلَ
الْأَنْفَ بنَ قَيْسَ : هَذَا الزَّبِيرَ قَدْ أَقْبَلَ . قَالَ : وَمَا أَصْنَعَ بِهِ أَنْ جَمَعَ بَيْنَ
٢٨٠
هَذِينَ الْغَزِيرَيْنَ^(١) وَتَرَكَ النَّاسَ وَأَقْبَلَ — يَرِيدُ بِالْغَزِيرَيْنَ^(٢) الْمُعْسَكَرَيْنَ — وَفِي مَجَلَسِهِ
عُمَرُ بْنُ جُرْمُوزِ الْمَخَشِعِيِّ ، فَلَمَّا سَمِعْ كَلَامَهُ قَامَ مِنْ مَجَلَسِهِ وَأَتَبَعَهُ حَتَّى وَجَدَهُ
٥ بِوَادِي السَّبَاعِ نَائِمًا فَفَقَتَهُ ، وَأَقْبَلَ بِرَأْسِهِ إِلَى عَلَىَّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ . فَقَالَ عَلَىَّ : أَبْشِرْ
بِالنَّارِ ، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : بَشِّرُوا قَاتِلَ الزَّبِيرَ بِالنَّارِ .
فَخَرَجَ عُمَرُ بْنُ جُرْمُوزَ وَهُوَ يَقُولُ :

أَتَيْتُ عَلَيْهَا بِرَأْسِ الزَّبِيرِ وَقَدْ كَنْتُ أَخْسِبَهَا زَلْفَهَ
فَبَشَّرْتُ بِالنَّارِ قَبْلَ الْعِيَانِ فَبَدَئْتُ بِشَارَةَ ذِي التَّحْفَهِ
١٠ وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ أَبِي شِيمَةَ قَالَ : أَقْبَلَ رَجُلٌ بِسَيْفِ الزَّبِيرِ إِلَى الْحَسَنِ بْنِ
عَلَىَّ ، فَقَالَ : لَا حَاجَةٌ لِي بِهِ ، أَدْخِلْهُ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ . فَدَخَلَ بِهِ إِلَى عَلَىَّ ، فَنَاوَلَهُ
إِلَيْاهُ وَقَالَ : هَذَا سَيْفُ الزَّبِيرِ . فَأَخْذَهُ عَلَىَّ ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ مَلِيَّةً ثُمَّ قَالَ : رَحْمَ اللَّهِ
الْزَّبِيرِ . لَطَالَمَا فَرَّجَ بِهِ الْكُرْبَ عنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَقَالَتْ
أُمْرَأَةُ الزَّبِيرِ^(٢) تَرْثِيهُ :

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزَ بِفَارَسِ بَهْمَةِ^(٣) يَوْمَ الْهِيَاجِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَدِّدٍ
يَا عُمَرُ لَوْ نَبَهْتُهُ لَوْجَدَهُ لَا طَائِشَ رَعِشَ الْجَنَانَ وَلَا الْيَدَ
ثِكْلَتُكَ أَمْكَ أَنْ قَتَلَ امْسِلَمًا حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةَ الْمُتَعَمِّدِ
١٥ وَقَالَ جَرِيرٌ يَنْهَا عَلَى ابْنِ مُجَاشِعٍ قَتْلَ الزَّبِيرِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ :
إِنِّي تُذَكَّرُنِي الزَّبِيرَ حَامَةً تَدْعُو بِمَطْنَ الْوَادِيَيْنِ^(٤) هَدِيلًا^(٥)

٢٠
(١) الغزى : جمع غاز . وفي بعض الأصول « الغازين » .
(٢) هي عانسكة بنت زيد بن نفیل ، أخت سعيد بن زيد .
(٣) فارس بهمة : لا ينثى عن شيء أراده .
(٤) كذا في الأصول . والذى فى الأغانى ودىوان جرير ومعجم البلدان فى رسم « النخلتين »
« تدعوا بمعجم نخلتين » . والنخلتين : عن يعين بستان ابن عامر ، إحداها النخلة
الشهالية . والذى فى السكامبل للبرد : « تدعوا بأعلى الأيكين » .
٢٥
(٥) الهدىيل : فرض تزعم الأعراب أنه كان فى عهد نوح عليه السلام مات عطشا فلا زالت
الحاجة يندenne .

قالت قريش ما أذلة مجاشماً جاراً وأكرم ذا القتيل فقيلاً
 لو كنت حرراً يابن قين^(١) مجاشع شَيْعَةَ ضَيْفَكَ فَرَسِخَاً أو مِيلَا
 أَبْعَدْ قَتْلَكَ^(٢) خليلَ مُحَمَّدَ تَرْجُو الْقَيْوَنَ^(٣) مع الرسول سَبِيلَا^(٤)
 هشام بن عمروة عن أبيه عن عبد الله بن الزبير قال : دعاني أبي يوم الجمل
 فقمت عن يمينه ، فقال : إنه لا يقتل اليوم إلا ظالم أو مظلوم ، وما أراني إلا
 سأقتل مظلوما ، وإن أكبـرـ هـمـيـ دـيـنـيـ ، فـبـعـ مـالـيـ ثـمـ أـقـضـ دـيـنـيـ ، فـإـنـ فـضـلـ
 شـىـ فـثـلـهـ لـوـلـدـكـ ، وـإـنـ عـجـزـتـ عـنـ شـىـ يـاـ بـنـيـ فـاسـتـعـنـ مـوـلـاـيـ . قـلتـ : وـمـنـ
 مـوـلـاـكـ يـاـ أـبـتـ ؟ قـالـ : اللـهـ . قـالـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ الزـبـيرـ : فـوـالـلـهـ مـاـ بـقـيـتـ بـعـدـ ذـلـكـ
 فـكـرـبـةـ مـنـ دـيـنـهـ أـوـ عـسـرـةـ إـلـاـ قـلـتـ : يـاـ مـوـلـىـ الزـبـيرـ ، أـقـضـ عـنـهـ دـيـنـهـ ، فـيـقـضـيـهـ .
 ١٠ قـالـ : فـقـتـلـ الزـبـيرـ وـنـظـرـتـ فـيـ دـيـنـهـ فـإـذـاـ هـوـ أـلـفـ أـلـفـ وـمـائـةـ أـلـفـ . قـالـ : فـبـعـتـ
 ضـيـعـةـ لـهـ بـالـغـابـةـ^(٥) بـأـلـفـ أـلـفـ وـسـيـمـائـةـ أـلـفـ ، ثـمـ نـادـيـتـ : مـنـ كـانـ لـهـ قـبـلـ الزـبـيرـ
 شـىـ فـلـمـيـأـتـنـاـ نـقـصـهـ . فـلـمـاـ قـضـيـتـ دـيـنـهـ أـتـانـيـ إـخـوـقـيـ فـقـالـوـاـ : أـقـسـمـ بـيـنـنـاـ مـيـرـاـنـاـ .
 قـلتـ : وـالـلـهـ لـاـ أـقـسـمـ حـتـىـ أـنـادـيـ أـرـبـعـ سـنـيـنـ بـالـمـوـسـمـ : مـنـ كـانـ لـهـ عـلـىـ الزـبـيرـ
 شـىـ فـلـمـيـأـتـنـاـ نـقـصـهـ . قـالـ : فـلـمـاـ مـضـتـ الـأـرـبـعـ سـنـيـنـ أـخـذـتـ الـثـلـثـ لـوـلـدـيـ ، ثـمـ
 ١٥ قـسـمـ الـبـاقـيـ . فـصـارـ لـكـلـ أـمـرـأـ مـنـ نـسـاءـهـ — وـكـانـ لـهـ أـرـبـعـ نـسـوـةـ — فـرـبـعـ
 الـثـمـنـ أـلـفـ أـلـفـ وـمـائـةـ أـلـفـ . فـجـمـيعـ مـاـ تـرـكـ مـائـةـ أـلـفـ أـلـفـ وـسـبـعـائـةـ أـلـفـ أـلـفـ .
 وـمـنـ حـدـيـثـ اـبـنـ أـبـيـ شـيـبـةـ قـالـ : كـانـ عـلـىـ يـخـرـجـ مـنـادـيـهـ يـوـمـ الجـلـ يـقـولـ :
 لـاـ يـسـلـبـنـ قـتـيـلـ ، وـلـاـ يـتـبـعـ مـذـبـرـ ، وـلـاـ يـجـهـزـ عـلـىـ جـرـيـحـ .

(١) في بعض الأصول « قيس ». وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان .

٢٠ (٢) في السـكـاملـ : « مـتـرـكـمـ » . وـفـيـ لـسـانـ الـعـرـبـ مـادـةـ سـبـلـ : « مـقـتـلـكـ » .

(٣) في بعض الأصول : « العيون ». وما أثبتنا من سائر الأصول والديوان والـسـكـاملـ
 وـلـسـانـ الـعـرـبـ .

(٤) سـبـيلاـ ، أـيـ سـبـباـ وـوـصـلـةـ .

(٥) الغـابـةـ : موـضـعـ قـرـبـ الـمـدـيـنـةـ مـنـ نـاحـيـةـ الشـامـ فـيـهـ أـمـوـالـ لـأـهـلـ الـمـدـيـنـةـ . (انـظـرـ معـجمـ
 الـبـلـدانـ) .

قال . وخرج كعب بن ثور من البصرة قد تقلد المصحف في عنقه ، فجعل ينشره بين الصفيين ويناشد الناس في دمائهم ، إذ أتاه سهام فقتله وهو في تلك الحال لا يدرى من قتله .

وقال علي بن أبي طالب يوم الجمل للأشر، وهو مالك بن الحارث ، وكان على الميمنة : احمل . فحمل ، فكشف من بازائه . وقال هاشم بن عقبة ، أحد بنى زهرة بن كلاب ، وكان على الميسرة : احمل . فحمل ، فكشف من بازائه . فقال علي لأصحابه : كيف رأيتم ميسرتى وميمنتى !

ومن حديث الجمل^(١)

الخشى عن أبي حاتم السجستاني قال : أنسن الأصمى عن رجل شهد

١٠ الجمل يقول^(٢) :

شهدتُ المروب وشَيْبَنِي فلم تَرَ عَيْنِي كِيمَ الجَمَلْ
أَضَرَ^(٣) عَلَى مُؤْمِنٍ فِتْنَةً وَأَفْتَكَ مِنْهُ لِحْرَقَ بَطْلَ^(٤)
فَلَيْتَ الظَّعِينَةَ فِي بَيْتِهَا وَلَيْتَكَ عَسْكَرُ لَمْ تَرَ تَحْلِ

ابن مُفْيَة^(٥) وَهُبَهْ لِعَائِشَةَ وَجَعَلَ لَهُ وَدْجَانَ حَدِيدَ ، وَجَهَزَ مِنْ مَالِهِ خَمْسَانَةَ

١٥ فَارِسَ بِأَسْلَحَتِهِمْ وَأَزْوَادَهُمْ . وَكَانَ أَكْثَرَ أَهْسَلَ الْبَهْرَةَ مَالًا . وَكَانَ عَلَى بن

(١) في بعض الأصول : « الجملي » . تحرير .

(٢) روى المسعودي في الكلام على يوم الجمل هذه الآيات لامرأة من عبد القيس خرجت تطوف بين القتلى فوجدت ابنيها لها قتلا ، وقد كان قتل زوجها وأخوانها فيما قتل قبل مجده على البصرة .

٢٠ (٣) كذلك في المرrog وفي الأصول : « أثير » .

(٤) الخرق (بالكسر) : السخن والفق الحسن الكرم الخليفة . ورواية هذا الشطر في المرrog : * وأفنته لشجاع بطل *

(٥) في الأصول : « منه » تحرير (انظر المعارف والطبرى والمشتبه) . ومنية ، أمه . وهي منية بنت الحارث بن جابر ، من بنى مازن . وقد مر ذكره في الجزء الأول من هذه الطبعة (ص ٢٩٩ - ٣٠٠) .

أبي طالب يقول : بُلْيَتْ بِأَنْضَ^(١) النَّاسَ وَأَنْطَقَ النَّاسَ وَأَطْوَعَ النَّاسَ فِي النَّاسِ .

يُرِيدُ بِأَنْضَ^(٢) النَّاسَ : يَعْلَمَ بِنَمْيَةٍ ، وَكَانَ أَكْثَرَ النَّاسَ نَاضِ^(٣) ؛ وَيُرِيدُ

بِأَنْطَقَ النَّاسَ : طَلْحَةَ بْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ ؛ وَأَطْوَعَ النَّاسَ فِي النَّاسِ عَاشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شِبَّابٍ عَنْ مُحَمَّدٍ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ عَنِ التَّقْمِيمِيِّ قَالَ : كَانَتْ رَأْيَةُ عَلَى يَوْمِ الْجَلِ سُودَاءَ ، وَرَأْيَةُ أَهْلِ الْبَصْرَةِ كَالْجَلِ .

الْأَعْمَشُ عَنْ رَجُلٍ سَمَاهَ قَالَ : كَنْتُ أُرِي عَلَيًّا يَوْمَ الْجَلِ يَحْمَلُ فِي ضَرَبِ

بِسَيْفِهِ حَتَّى يَنْذُنِي ، ثُمَّ يَرْجِعُ فَيَقُولُ : لَا تَلُومُنِي وَلَوْمُوا هَذَا ، ثُمَّ يَعُودُ وَيُقُومُ .

وَمِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شِبَّابٍ قَالَ : قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرَ : الْقَقِيتُ مَعَ الْأَشْتَرِ يَوْمَ الْجَلِ ، فَهَا ضَرَبَتُهُ ضَرَبَةً حَتَّى ضَرَبَنِي خَمْسَةً أَوْ سَبْتَةً ، ثُمَّ جَرَّ بِرْجَلِي فَأَلْقَاهُ فِي الْخَمْدَقِ ، وَقَالَ : وَاللَّهِ لَوْلَا قَرُبْتُكَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَجْتَمَعَ فِيهِ عُضُوٌ إِلَى آخَرَ .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شِبَّابٍ قَالَ : أَعْطَتْ عَاشَةَ الَّذِي بَشَّرَهَا بِحَيَاةِ ابْنِ الزَّبِيرِ ،

إِذَا التَّقَى مَعَ الْأَشْتَرِ يَوْمَ الْجَلِ ، أَرْبَعَةَ آلَافَ .

سَعِيدُ عَنْ قَتَادَةَ قَالَ : قُتِلَ يَوْمَ الْجَلِ مَعَ عَاشَةَ عَشْرَوْنَ أَلْفًا ، مِنْهُمْ ثَمَانَمِائَةً

مِنْ بَنِي ضَبَّةَ .

وَقَالَتْ عَاشَةُ : مَا أَنْكَرْتُ رَأْسَ جَلِي حَتَّى فَقَدْتُ أَصْوَاتَ بَنِي عَدَى^(٤) .

وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ عَلَى^(٥) خَمْسَمِائَةِ رَجُلٍ ، لَمْ يُعْرَفْ مِنْهُمْ إِلَّا عَلِيَّا^(٥) بْنَ الْمُهِيمِنِ

وَهِنْدَ الْجَلِي^(٦) ، قُتِلُوهُمَا ابْنُ الْيَثْرَبِيُّ^(٦) ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

(١) أَنْضَ ، أَيْ أَكْثَرَ النَّاسَ نَاضَ . وَالنَّاضُ مِنَ الْمَنَاعِ : مَا تَحْوِلُ وَرَهَا أَوْ عَيْنَا . وَعَنِ

الْأَصْمَعِيِّ : اسْمُ الدِّرَامِ وَالدَّنَانِيِّ عِنْدَ أَهْلِ الْمَجَازِ النَّاضُ وَالنَّاضُ . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ :

« أَقْضَى » وَمَا أَتَبَدَّلَ مِنْ سَائِرِ الْأَصْوَلِ وَالْمَعَارِفِ .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ « بِأَقْضَى » اَنْظُرِ الْحَاشِيَةَ السَّابِقَةَ .

(٣) اَنْظُرِ الْحَاشِيَةَ رَقْمَ ١ .

(٤) فِي الطَّبَرِيِّ : « مَا زَالَ رَأْسُ جَلِي مَعْنَدَلًا حَتَّى قُتِلَتْ بَنُو ضَبَّةَ حَوْلَى » .

(٥) كَذَا فِي الطَّبَرِيِّ ، وَكَذَا جَاءَ فِي هَامَرِ (ج ٣ ص ٣٤٣ مِنْ هَذِهِ الْطَّبَعَةِ) . وَفِي

الْمَسَانِ (مَادَةُ جَلِي) : « عَلِيَّا » دُونَ ذِكْرِ أَيِّهِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْوَلِ هَذَا : « عَلَمَارٌ

ابْنُ الْحَارِثِ » . (٦) هُوَ عَمِيرَةُ بْنُ الْيَثْرَبِ .

إني لِمَنْ يَجْهَلُنِي أَبْنُ الْيَثْرَى^(١) قَتَلْتُ عَلِيَّاً^(٢) وَهِنْدَ الْجَلِيلِيَّ^(٣)
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْنَ عن أَبِي رِجَاءَ قَالَ : لَقَدْ رَأَيْتَ الْجَلَ حِينَئِذٍ وَهُوَ كَظُهُورٌ
الْقَنْفُدُ مِنَ النَّبْلِ ، وَرَجُلٌ^(٤) مِنْ بَنِي ضَبَّةَ آخَذَ بِخُطَامِهِ وَهُوَ يَقُولُ :
نَحْنُ بْنُو ضَبَّةَ أَصْحَابُ الْجَلِيلِ الْمَوْتُ أَحْلٌ عَنِّنَا مِنَ الْعَسْلِ
نَفْعَى أَبْنَ عَفَانَ بِأَطْرَافِ الْأَسْلِ^(٥)

غُنْدَر^(٦) قَالَ : حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ عُمَرِ بْنِ مُرْعَةَ قَالَ : سَمِعْتَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ سَلَمَةَ ، وَكَانَ مَعَ عَلَى^(٧) بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَوْمَ الْجَلِيلِ ، وَالْحَارِثَ بْنَ سُوِيدَ ، وَكَانَ مَعَ طَلْحَةَ وَالزَّبِيرَ ، وَتَذَاكَرَا وَقَعْدَةُ الْجَلِيلِ ، فَقَالَ الْحَارِثُ بْنُ سُوِيدَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ مِثْلَ يَوْمِ الْجَلِيلِ ، لَقَدْ أَشْرَعُوا رِمَاحَهُمْ فِي صُدُورِنَا وَأَشْرَعْنَا رِمَاحَنَا فِي صُدُورِهِمْ ،
١٠ وَلَوْ شَاءَتِ الرِّجَالُ أَنْ تَمْشِي عَلَيْهَا لَمْشَتْ ، يَقُولُ هُؤُلَاءِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ،
وَيَقُولُ هُؤُلَاءِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، فَوَاللَّهِ لَوْدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَشْهُدْ ذَلِكَ الْيَوْمَ ،
وَأَنِّي أَعْمَى مَقْطُوعُ الْيَدِينَ وَالْوَجْلِينَ . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَمَةَ : وَاللَّهِ مَا يُسْرِنِي
أَنِّي غَبَّتْ عَنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَا عَنْ مَشْهُدِ شَهِيدِهِ عَلَى^(٨) بْنِ أَبِي طَالِبٍ بِحُمْرَ الدَّعْمِ .

٢٨٤ ٢ على^(٩) بْنِ عَاصِمٍ عَنْ حُصَيْنٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبُو جَعْمَلَةَ الْبَكَاءُ . قَالَ : إِنِّي لَفِي
١٥ الصَّفَّ مَعَ عَلَى بْنِ أَبِي طَالِبٍ إِذْ عَقَرَ بَأْمَ الْمُؤْمِنِينَ جَلَّهَا ، فَرَأَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ

(١) انظر المسان والجزء الثالث من هذه الطبعة (ص ٣٤٣) ففي صدر البيت خلاف في الرواية .

(٢) في الأصول : « عممار ». انظر الحاشية (رقم ٥ ص ٣٢٦ من هذا الجزء) .

(٣) هو هند بن عمرو . وزاد الطبرى على هذا الجزء بيتاً وهو :

* وابنا صوحان على دين على *

يريد زيد بن صوحان ، وكان ثالث من قتليهم ابن اليماني في هذا اليوم .

(٤) اسم هذا الرجل الحارث . (انظر الطبرى) .

(٥) في مروج الذهب :

ردوا علينا شيخنا ثم بجل عثمان ردوه بأطراف الأسل

(٦) هو محمد بن جعفر البصري ، مولى هذيل . وغندر ، كجندب وقنفذ : سمين ناعم ،

وهو لقبه . وكان أكثر من السؤال في مجلس ابن جرير ، فقال له : ما تريده يا غندر ؟

فأزمه . (انظر المعارف والطبرى والقاموس وشرحه مادة غندر) .

وَعُمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ يَشْتَدَّانِ بَيْنَ الصَّفَيْنِ أَيْمَانًا يَسْبِقُ إِلَيْهَا ، فَقَطَّعَا عَارِضَةَ الرَّحْلِ
وَأَحْتَمَلَاهَا فِي هَوْدِجِهَا .

وَمِنْ حَدِيثِ الشَّعْبِيِّ قَالَ : مَنْ زَعَمَ أَنَّهُ شَهَدَ الْجَمْلَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ إِلَّا أَرَبَعَةُ
فَكَذْبُهُ ، كَانَ عَلَىٰ وَعْدَهُ فِي نَاحِيَةٍ ، وَطَلَحَةُ وَالْزَّبِيرُ فِي نَاحِيَةٍ .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ قَالَ : حَدَّثَنِي خَالِدُ بْنُ مَخْلُدٍ عَنْ يَعْقُوبَ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ
أَبِي الْمُغَيْرَةِ عَنْ أَبِي أَبْرَارٍ قَالَ : أَنْتَهُي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُدْيَلٍ إِلَى عَائِشَةَ وَهِيَ فِي
الْهَوْدِجِ ، فَقَالَ : يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنْشَدْتُكَ بِاللَّهِ ، أَتَعْلَمُنِي أَنِّي أَتَيْتُكِ يَوْمَ قُتْلَ عَمَّانَ
فَقَلَتْ لَكَ : إِنَّ عَمَّانَ قُتْلَ فَمَا تَأْمِرُنِي [بِهِ] . فَقَلَتْ لِي : الزَّمْ عَلَيْيَا ؟ فَوَاللَّهِ
مَا غَيْرَ وَلَا بَدْلٌ . فَسَكَتَ . ثُمَّ أَعْادَ عَلَيْهَا . فَسَكَتَ . ثَلَاثَ مَرَاتٍ . فَقَالَ :
إِعْرِفُوا الْجَمْلَ ، فَعَقَرُوهُ . فَنَزَّلَتْ أُنَا وَأَخْوَهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ فَأَحْتَلْنَا الْهَوْدِجَ
حَتَّى وَضَعَنَاهُ بَيْنَ يَدَيِّ عَلَىٰ ، فَسُرَّ بِهِ ، فَأَدْخَلَ فِي مَنْزِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُدْيَلٍ .
وَقَالُوا : لِمَا كَانَ يَوْمُ الْجَمْلِ مَا كَانَ ، وَظَفَرَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ دَنَا مِنْ
الْهَوْدِجِ عَائِشَةَ ، فَكَلَّمَهَا بِكَلَامٍ . فَأَجَابَتْهُ : مَلَكَتْ فَأَسْجَعَ . فَجَهَزَهَا عَلَىٰ
بِأَحْسَنِ الْجِهَازِ وَبَعْثَتْ مَعَهَا أَرْبَعِينَ امْرَأَةً — وَقَالَ بَعْضُهُمْ : سَبْعِينَ امْرَأَةً —
حَتَّى قَدِمَتِ الْمَدِينَةَ .

عَكْرَمَةُ عَنْ أَبِي عَبَّاسٍ قَالَ : لِمَا انْقَعَدَ أَمْرُ الْجَمْلِ دَعَا عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ
بِآجْرَتِينِ فَعَلَاهُمَا ، فَحَمَدَ اللَّهَ وَأَنْتَيَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا أَنْصَارَ الْمَرْأَةِ ، وَأَصْحَابَ
الْبَهِيمَةِ ، رَغَا فِيْهِمُ ، وَعَقَرَ فَهُزِمُ ، نَزَّاتِمُ شَرَّ بَلَادَ ، أَبْعَدَهَا مِنِ السَّهَاءِ ، بِهَا
مَغَيْضٌ كُلُّ مَاءٍ ، وَلَهَا شَرُّ أَسْمَاءٍ ، هِيَ الْبَصَرَةُ وَالْبُصِيرَةُ وَالْمُؤْتَفَكَةُ وَتَدْمَرُ ،
أَيْنَ أَبِي عَبَّاسٍ ؟ قَالَ : فَدُعِيْتُ لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، فَأَقْبَلَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : أَنْتَ
هَذِهِ الْمَرْأَةُ ، فَلَمْ تَرْجِعْ إِلَى بَيْتِهَا إِلَيْهَا الَّتِي أَمْرَهَا اللَّهُ أَنْ تَقْرَفِيهِ . قَالَ : فَجَئْتُ
فَاسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهَا ، فَلَمْ تَأْذَنْ لِي ، فَدَخَلْتُ بِلَا إِذْنٍ وَمَدَدْتُ يَدِي إِلَى وِسَادَةِ
فِي الْبَيْتِ فَلَسْتُ عَلَيْهَا . فَقَالَتْ : تَالَّهِ يَا أَبَنَ عَبَّاسٍ مَا رَأَيْتُ مِثْلَكَ ! تَدْخُلُ

يدقنا بلا إذننا ، وتجلس على وسادتنا بغير أمرنا . فقلت : والله ما هو يبيتك ، ولا يبيتك إلا الذي أمرك الله أن تقرئ فيه فلم تفعل ، إن أمير المؤمنين يأمرك أن ترجع إلى بلدك الذي خرجم منه . قالت : رحم الله أمير المؤمنين ، ذاك عمر بن الخطاب . قلت : نعم ، وهذا أمير المؤمنين على بن أبي طالب . قالت : أبديت أبديت . قلت : ما كان إباوك إلا فوّاق ناقة بكية^(١) ، ثم صرت ما تُحملين ولا تُتمرين^(٢) ، ولا تأسرين ولا تنهرين . قال : فبكـت حتى علا نسيجها . ثم قالت : نعم ، أرجـع ؛ فإنـ أغـضـ الـ بلـدانـ إـلـىـ بلـدـ أـنـتمـ فـيـهـ . قـلتـ : أـمـاـ وـالـلـهـ مـاـ كـانـ ذـلـكـ جـزـءـ نـاـ مـنـكـ إـذـ جـعـلـنـاـ الـمـؤـمـنـينـ أـمـاـ ، وـجـعـلـنـاـ أـبـاـكـ لـهـ صـدـيقـاـ . قـالتـ : أـتـمـنـ عـلـىـ بـرـسـولـ اللـهـ يـاـ بـنـ عـبـاسـ ؟ـ قـلتـ : نـعـمـ ، نـمـنـ عـلـيـكـ بـنـ فـقـيلـ بـيـنـ عـيـنـ ، وـقـالـ : بـأـبـيـ ذـرـيـةـ بـعـضـهـ مـنـ بـعـضـ وـالـلـهـ سـمـيعـ عـلـيمـ .

وـمـنـ حـدـيـثـ اـبـنـ أـبـيـ شـيـبـةـ عـنـ اـبـنـ فـصـيـلـ عـنـ عـطـاءـ بـنـ السـائـبـ : أـنـ قـاضـيـاـ مـنـ قـضـاءـ أـهـلـ الشـامـ أـتـيـ عـمـرـ بـنـ الخطـابـ ، فـقـالـ : يـاـ أـمـيـرـ الـمـؤـمـنـينـ ، رـأـيـتـ رـؤـيـاـ أـفـظـعـتـنـيـ . قـالـ : وـمـارـأـيـتـ ؟ـ قـالـ : رـأـيـتـ الشـمـسـ وـالـقـمـرـ يـقـتـلـانـ وـالـنـجـومـ مـعـهـمـاـ نـصـفـيـنـ . قـالـ : فـعـ أـيـهـمـاـ كـفـتـ ؟ـ قـالـ : مـعـ القـمـرـ عـلـىـ الشـمـسـ . قـالـ عـمـرـ بـنـ الخطـابـ : (وـجـعـلـنـاـ اللـيـلـ وـالـنـهـارـ آـيـةـنـ فـمـحـوـنـاـ آـيـةـ اللـيـلـ وـجـعـلـنـاـ آـيـةـ النـهـارـ مـبـصـرـةـ)ـ فـأـنـطـلـقـ ، فـوـالـلـهـ لـاـ تـعـمـلـ لـىـ عـمـلاـ أـبـداـ . قـالـ : فـبـلـغـنـيـ أـنـ قـتـلـ مـعـ مـعاـويـةـ بـصـفـيـنـ .

أـبـوـ بـكـرـ بـنـ أـبـيـ شـيـبـةـ قـالـ : أـقـبـلـ سـلـيـانـ بـنـ صـرـدـ^(٣) ، وـكـانـتـ لـهـ صـحبـةـ مـعـ

(١) الفوّاق (بضم الفاء وفتحها) : ما بين الحلبتين من الوقت ، لأن الناقة تحمل ثم تترك سوية يرضعها الفضيل لتدر ثم تحمل . ويقال : ما أقام عنده إلا فوّاقا ، أي قدر ما بين الحلبتين . والبكية من النوق : التي قل لبها .

(٢) يقال : فلان ما يمر وما يحل ، (مضارع أمر وأحل) أي ما يتكلّم بمحلو ولا مر ، ولا يفعل فعلًا حلو ولا مرا . فإن نفيت عنه أن يكون من مرارة وحلوا أخرى ، قلت : ما يمر وما يحلو (مضارع مر وحل) .

(٣) هو سليمان بن صرد بن الجون بن أبي الجون بن منقذ بن ربيعة . ومات في ربيع الآخر سنة خمس وستين . (انظر تهذيب التهذيب) .

النبي صلى الله عليه وسلم ، إلى على بن أبي طالب بعد وقعة الجمل ، فقال له : ٢٨٣
 تنانّات^(١) وتَرْجَحَتْ وترَبَّصَتْ ، فكيف رأيتَ الله صَنَعَ ؟ قال : يا أمير المؤمنين ،
 إِنَّ الشُّوَطَ بَطِينَ^(٢) ، وقد بقي من الأمور ما تَعْرَفُ به عدوك من صَدِيقَكْ .
 وكتب على بن أبي طالب إلى الأشعث بن قيس بعد الجمل ، وكان واليما
 لعثمان على أذربیجان : سلام عليك ، أما بعد . فلو لا هنات كُنْ منك لـكنت
 أنت المُقدَّم في هذا الأمر قبل الناس ، واعلَمْ أَمْرَكَ يحمل بعضه بعضاً إن
 اتقىَتَ الله ، وقد كان من بَيْعَةِ النَّاسِ إِيَّاى ما قدَّ بلغَكْ ، وقد كان طلاحةُ
 والزبير أولَ من بايعَ شَمَّ نَكْثَا بيعتى من غير حَدَثَ ولا سَبَبَ ، وأخرجا
 أَمَّ المؤمنين ، فساروا إلى البَصَرَةَ ، وسرتُ إِلَيْهِمْ فِيمَنْ بايعَى من المُهاجِرِينَ
 والأنصار ، فالتقينا ، فدعوتَهُمْ إِلَى أَنْ يَرْجِعوا إِلَى مَا خَرَجُوا مِنْهُ ، فَأَبْوَأُوا ، فَأَبْلَغْتُ
 ١٠ فِي الدُّعَاءِ وَأَحْسَنْتُ فِي الْبُقِيمَا ، وأَمْرَتُ أَلَا يُذْفَ^(٣) عَلَى جَرِيحَ وَلَا يُتَبَعُ مُهْزَمَ
 وَلَا يُسَلِّبُ قَتِيلَ ، وَمَنْ أَلْقَ سَلَاحَهُ وَأَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ . وَاعْلَمُ أَنْ عَمَلَكَ
 لَيْسَ لَكَ بِطُّعْمَةٍ ، إِنَّمَا هُوَ أَمَانَةٌ فِي عُنْقَكَ ، وَهُوَ مَالُ مَالِ اللهِ ، وَأَنْتَ مِنْ
 خُرَّانِي عَلَيْهِ حَتَّى تُؤْدِيهِ إِلَى إِنْ شَاءَ اللهُ ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ .

١٥ فَلَمَّا بَلَغَ الأَشْعَثَ كِتَابَ عَلَى قَامَ فَقَالَ : أَيْهَا النَّاسُ ، إِنْ عَمَانَ بْنَ عَفَانَ
 وَلَا نِي أَذْرَ بِيَجَانَ فَهَلَكَ ، وَقَدْ بَقَيْتَ فِي يَدِي ، وَقَدْ باِعَ النَّاسُ عَلَيْهَا وَطَاعَتُنَا لَهُ
 وَاجِبَةً ، وَقَدْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ وَأَمْرِ عَدُوِّهِ مَا كَانَ ، وَهُوَ الْمَأْمُونُ عَلَى مَنْ غَابَ
 مِنْ ذَلِكَ الْمَجْلِسِ ، ثُمَّ جَلَسَ .

قولهم في أصحاب الجمل

٢٠ أبو بكر بن أبي شيبة قال : سُئلَ عَلَى عن أصحاب الجمل : أَمْشِرَكُونْ
 هُمْ ؟ قال : مِنَ الشَّرِّكَ فَرَثُوا . قال : فَمَنَافِقُونْ هُمْ ؟ قال : إِنَّ الْمَنَافِقِينَ لَا يَذَكَرُونَ
 الله إِلَّا قَلِيلًا . قال : فَهُمْ ! قال : إِخْوَانُنَا بَغَوْا عَلَيْنَا .

(١) تنانّات : قصرت وبعذت . (٢) بطين ، أي بعيده .

(٣) ذف على الجريح : أجههز .

وسر على بقتلى الجمل فقال : اللهم اغفر لنا ولهم ، ومعه محمد بن أبي بكر وعمار ابن ياسر ، فقال أحدهما لصاحبه : أما تسمع ما يقول ! قال : اسكت لا يزيدك .

وكيم عن مسخر عن ^(١) عبد الله بن رباح عن عمار قال : لا تقولوا : كفر أهل الشام ، ولكن قولوا : فسقوا وظلموا .

وسئل عمار بن ياسر عن عائشة يوم الجمل فقال : أما والله إنا لنعلم أنها زوجته في الدنيا والآخرة ، ولكن الله أبتلاكم بها لعلكم تتبعونها أم تتبعونها .

وقال علي بن أبي طالب يوم الجمل : إن قوماً زعموا أن البغى كان معا عليهم ، وزعموا أنه منهم علينا ، وإنما افتقذنا على البغى ولم نقتتل على التكفير .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : أول ما تكلمت به الخوارج يوم الجمل قالوا : ما أحل لنا دماءهم وحرم علينا أموالهم ! فقال علي : هي السنة في أهل القبلة . قالوا : ما ندرى ما هذا ؟ قال : فهو ذه عائشة رأس القوم ، أنتساهمون عليها ! قالوا : سبحان الله ! أمنا . قال : فهو حرام ؟ قالوا : نعم . قال : فإنه يحرم من أبناءها ما يحرم منها .

قال : ودخلت أم أوف العبدية على عائشة بعد وقعة الجمل فقالت لها : يا أم المؤمنين ، ما تقولين في امرأة قتلت ابنها صغيراً ؟ قالت : وجئت لها النازار . قالت : فما تقولين في امرأة قاتلت من أولادها إلا كابر عشرين ألفاً في صعيد واحد ؟ قالت : خذوا بيدي عدوة الله .

وماتت عائشة في أيام معاوية ، وقد قاربت السبعين . وقيل لها : تدفنين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : لا ، إني أحدثت بعده حدثاً فادفوني مع إخوتي بالبقاء .

(١) في بعض الأصول : « مساعدة بن عبد الله ... الخ ». تحرير . فوكيم يروى عن مسخر بن حبيب فيمن يروى عنه . كما يروى مسخر بن حبيب عن عمار بن ياسر . (انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٢٠٦ وج ١٢٣ من ١٢٣).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قال لها : يا حميرة ، كأنك تذبح كلاب الحَوَّب^(١) . تقاتلين علياً وأنت له ظالمة . والحوَّب ، بضم الحاء وتشقيل الواو ، وقد زعموا أن الحَوَّب ماء في طريق البصرة . قال في ذلك بعض الشيعة :

إني أدين بحب آل محمد وبنى الوصي شهـ ودـهم والقيـب
وأنا البريء من الزبير وطلحة ومن التي نـجـحتـ كلابـ الحـوـب

أخبار على ومعاوية

كتب على بن أبي طالب إلى جرير بن عبد الله ، وكان وجهه إلى معاوية فيأخذ بيته ، فأقام عنده ثلاثة أشهر يُماطله بالبيعة ، فكتب إليه على : سلام عليك ، فإذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل ، وخياره بين حرب مجلية ، أو سلم محظية^(٢) . فإن اختار الحرب فاذبذ إليهم على سواه إن الله لا يحب الخائفين ، وإن اختار السلم فخذ بيته وأقبل إلى

وكتب على إلى معاوية بعد وقعة الجمل : سلام عليك . أما بعد . فإن بيته بالمدينة لزمالك وأنت بالشام ، لأنه بيعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بيعوا عليه . فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد ، وإنما الشوري للمهاجرين والأنصار ، فإذا اجتمعوا على رجل وسموه إماماً كان ذلك الله رضا ، وإن خرج عن أمرهم خارج ردّوه إلى ما خرج عنه ؛ فإن أبي قاتلوه على أتباعه غير سبيل المؤمنين ، وولاه الله ما تولى وأصلاحه جهنم وساحت مصيرا . وإن طلحـةـ والـزـبـيرـ بـاعـانـىـ ثمـ نـقـضـاـ بـيـعـتـهـماـ ،ـ وـكـانـ نـقـضـهـماـ كـرـدـتـهـماـ^(٣) ،ـ فـجـاهـدـهـماـ بـعـدـ مـاـ أـعـذـرـتـهـماـ ،ـ حـتـىـ جـاءـ الـحـقـ وـظـهـرـ أـمـرـ اللـهـ وـهـمـ كـارـهـونـ .

(١) هذا غير ما ذكره ياقوت في معجمه والسان والصحاح وفيها : « الحَوَّب » بالهز . وذكره البكري في معجم ما استجم فقال : « الحَوَّب ، بزيادة همزة بين الواو والياء . قال ابن الأنباري : وتحفف المهمزة ، فيقال : حوب » .

(٢) كذلك في كتاب صفين . والذى في بعض الأصول : « معضلة ... مجنة » . والذى في سائر الأصول : « محربة » . (٣) في بعض الأصول : « كردها » .

فادخل فيما دخل فيه المسلمون ، فإن أحب الأمور إلى قبولك العافية . وقد أكثرت في قتلة عثمان ، فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ، ثم حاكمت القوم إلى حملتك وإيامهم على كتاب الله . وأما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن الابن . ولعمري أن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبراً قريش من دم عثمان . وأعلم أنك من الطلاقاء الذين لا تحمل لهم الخلافة ولا يدخلون في الشورى ، وقد بعشت إليك وإلى من قبلك جرير بن عبد الله ، وهو من أهل الإيمان والهجرة ، فباييعه ولا قوة إلا بالله .

فـ كتب إليه معاوية : سلام عليك . أما بعد ، فلعمري لو باييعك الذين ذكرت وأنت برىء من دم عثمان لـ كنت كأبي بكر وعمرو عثمان ، ولكنك أغريت بدم عثمان وخذلت الأنصار ، فأطاعتك الجاهل ، وقوى بك الضعيف . وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان ، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين . وإنما كان الحجازيون هم الحكام على الناس والحق فيهم ، فلما فارقوه كان الحكام على الناس أهل الشام . ولعمري ما حججتك على أهل الشام كحججتك على أهل البصرة ، ولا حججتك على كحججتك على طلحة والزبير ، [إن] كانا باياعك فلم أباييك أنا . فاما فضلك في الإسلام وقربك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلست أدفعه .

فـ كتب إليه على : أما بعد . فقد أنا أنا كتا بك ، كتاب أمرى . ايس له بصرى يهدى ولا قائد يرشده ، دعاه الهوى فأجابه ، وقاده فأتبعه . زعمت أنك إنما أفسد عليك بيعي خفوري ^(١) عثمان . ولعمري ما كنت إلا رجلًا من المهاجرين أوردت كما أوردوا ، وأصدرت كما أصدروا . وما كان الله ليوجههم على ضلاله ولا ليضر بهم بالعمى . وما أمرت فلزمته خطيئة الأمر ، ولا قلت فأخاف

(١) يقال : أخفر النمة ، إذا لم يف بها : والحفور ، هو الإخفار نفسه من قبل الحفر ، من غير فعل . ويقال : خفتر ذمة فلان (البناء للجهول) خفورة ، إذا لم يوف بها ولم يتم . وفي بعض الأصول : « خفري » .

على نَفْسِي وَصَاصِ القاتلِ . وأما قُولُك إن أهل الشام هُم حُكَّام أهل الحجاز . فهات رجلاً من أهل^(١) الشام يُقْبَلُ في الشورى أو تَحْلُّ له الخلافة ، فإن سَمِيتَ كَذَبَك المهاجرون والأنصار . ونَحْنُ نَأْتِيكَ به من أهل^(١) الحجاز . وأما قُولُك : ادفع إلى قتلة عَمَانَ . فَمَا أنت وذاك ؟ وَهَا هُنَّ بَنُو عَمَانَ ، وَهُمُ الْأَوَّلُونَ بِذَلِكَ مِنْكَ .

^{٢٨٥}
٢

فَإِنْ رَعِمْتَ أَنْكَ أَقْوَى عَلَى طَلَبِ دَمِ عَمَانَ مِنْهُ ، فَأَرْجِعْ إِلَى الْبَيْعَةِ الَّتِي لَزَمَتْكَ وَحَاكَمَ الْقَوْمَ إِلَيْهِ . وأما تَميِيزُك بين أهل الشام والبصرة ، وَبَيْنَكَ وَبَيْنَ طَلْحَةَ وَالْزَّبِيرِ . فَاعْمَرِي مَا الْأَمْرُ هُنَاكَ إِلَّا وَاحِدٌ ، لَأَنَّهَا بَيْعَةٌ عَامَّةٌ لَا يَتَأْتِي فِيهَا النَّظَرُ وَلَا يُسْتَأْنِفُ فِيهَا الْخِيَارِ . وأما قرابةي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقدِمِي فِي الْإِسْلَامِ ، فَلَوْ أَسْتَطَعْتَ دُفْعَتَهُ لِدُفَعَتَهُ .

وَكَتَبَ مَعَاوِيَةُ إِلَى عَلَيْهِ الْأَمْرُ : أَمَا بَعْدُ . فَإِنَّكَ قَتَلْتَ نَاصِرَكَ ، وَاسْتَنْصَرْتَ وَاتِّرَكَ . فَأَيْمَ اللهُ لَأَرْمِينَكَ بِشَهَابَ تُرْكِيهِ الرِّيحِ وَلَا يُطْفَئَهُ الْمَاءُ . فَإِذَا وَقَعَ وَقْبُ^(٢) ، وَإِذَا مَسَّ ثَقَبَ ، فَلَا تَحْسِبَنِي كَسُحْبِيْمُ أَوْ عَبْدَ الْقَيْسِ أَوْ حُلْوانَ الْكَاهِنِ . فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ : أَمَا بَعْدُ . فَوَاللهِ مَا قَتَلَ ابْنَ عَمِّكَ غَيْرُكَ ، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ أُحْفَكَ بِهِ عَلَى مَثْلِ ذَنْبِهِ وَأَعْظِمَ مِنْ خَطِيئَتِهِ . وَإِنَّ السَّيفَ الَّذِي ضَرَبَتْ بِهِ أَهْلَكَ^(٣) لِمَعِيْدَمْ . وَاللهِ مَا اسْتَحْدَثْتُ ذَنْبَنِي ، وَلَا اسْتَبْدَلْتُ نَبِيَّنِي ، وَإِنِّي عَلَى الْمِنَاهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ ، وَأَدْخَلْتُمُوهُ كَارِهِينَ .

وَكَتَبَ مَعَاوِيَةُ إِلَى عَلَيْهِ الْأَمْرُ : أَمَا بَعْدُ . فَإِنَّ اللَّهَ أَصْطَافَ مُحَمَّداً وَجَمِيلَهُ الْأَمِينَ عَلَيْهِ وَحْيَهُ ، وَالرَّسُولَ إِلَى خَلْقِهِ ، وَأَخْتَارَ لَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَعْوَانَهُ أَيْدِيهِ بِهِمْ ، وَكَانُوا فِي مَنَازِلِهِمْ عِنْدَهُ عَلَى قَدْرِ فَضَائِلِهِمْ فِي الْإِسْلَامِ ، فَكَانُوا أَفْضَلَهُمْ فِي الْإِسْلَامِ وَأَنْصَحَهُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ الْخَلِيفَةُ ، وَخَلِيفَةُ الْخَلِيفَةِ ، وَالْخَلِيفَةُ الْثَّالِثُ ، فَلَكُلِّهِمْ حَسْدُتَ ، وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغْيَتَ . عَرَفْنَا ذَلِكَ فِي نَظَرِكَ الشَّرَّزُورِ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « قَرِيشٌ » .

(٢) وَقْبٌ : دَخْلٌ وَتَفْذِي .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « أَبَاكَ وَأَهْلَكَ » .

وتنفسك الصعداء ، وابطأئك على الخلفاء ، وأنت في كل ذلك تقاد كما يقاد البعير المخشوش^(١) ، حتى تُبَايِعَ وأنت كاره . ولم تكن لأحد منهم أشد حسداً منك لأن عملك عثمان ، وكان أحقرهم أن لا تفعل ذلك في قرابةه وصهره . فقطعت رحمة ، وقبحت محسنه ، وألبت عليه الناس ، حتى ضربت اليه آباط الإبل ، وشهر عليه السلاح في حرم الرسول ، فقتل ملك في الحلة وأنت تسمع في داره المائعة^(٢) ، لا تؤدي عن نفسك في أمره بقول ولا فعل برأ . أقسم قسماً صادقاً لو قمت في أمره مقاماً واحداً تنهين الناس عنه ماعدل بك من قبلنا من الناس أحد ، ولم يحا ذلك عمالك ما كانوا يعرفونك به من المجانية لعثمان ، فهم بطالتك وعذرك وأنصارك . وقد بلغني أنك تنتقم من دمه ، فإن كنت صادقاً فادفع إليك قتليه نقتلهم به ، ١٠ ثم نحن أسرع الناس إليك ، وإلا فليس لك ولا لأصحابك عندنا إلا السيف . والذي نفس معاوية بيده لأطلبنَّ عثمان في الجبال والرمال والبر والبحر حتى نقتلهم أو تتحقق أرواحنا بالله .

فأجابه على : أما بعد . فإن أخي خوالان قدْم على بكتاب منك تذكر فيه مخدداً صلي الله عليه وسلم وما أنعم الله به عليه من الهدى والوحى . فالحمد لله الذي صدقه الوعد ، وتم له النصر ، ومكنته في البلاد ، وأظهره على الأعدى من قومه ، الذين أظهروا له التكذيب ، ونابدوه بالعداوة ، وظاهروا على إخراجه وإخراج أصحابه ، وألبوا عليه العرب ، وحرزوا الأحزاب ، حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون . وذكرت أن الله أختر من المسلمين أعوااناً أيده بهم ، فكانوا في منازلهم عنده على قدر فضائلهم في الإسلام ، فكان أفضالهم في الإسلام^(٣) وأنصحهم لله ولرسوله الخليفة وخليفة الخليفة من بعده . ٢٠

(١) يقال : خشت البعير فهو مخشوش ، إذا جعلت في أنه خشاشا ، وهو ما يدخل في عظم أنف البعير من خشب .

(٢) المائعة : الصوت الشديد تفرز منه .

(٣) في بعض الأصول : « أفضالهم ابن عملك في الإسلام » .

ولعمري إن كان مكانهما^(١) في الإسلام لعظيمها ، وإن كان المصاص بـهما^(٢) أجر حا
في الإسلام شديدا ، فرحمهما الله وغفر لها . وذكرت أن عثمان كان في الفضل ثالثاً ،
فإنْ كانْ مُحْسِنًا فسيلقي ربّا شكوراً يضاعف له الحسنات ويجزيه الثواب العظيم ،
وإنْ يكُنْ مُسِيئًا فسيلقي ربّا غفوراً ، لا يَتَعَاظِمُ ذَنْبُ يغفره . ولعمري إني
لأرجو إذا الله أعطى الأئمّة^(٣) أن يكون سهْمُهُمَا أهلَّ البيت أو فرَّ نصيب . وأيم
الله ، ما رأيت ولا سمعت بأحد كان أنسَحَّ لله في طاعة الله ورسوله ، ولا أنسَحَّ
لرسول الله في طاعة الله ، ولا أصبر على البلاء والأذى في مواطن الخوف ، مِنْ هؤلاء
الفقر من أهل بيته ، الذين قُتلوا في طاعة الله : عُبيدة بن الحارث يوم بدر ،
وحمزة بن عبد المطلب يوم أحد ، وجعفر وزيد يوم مؤتة . وفي المهاجرين خير
كثير ، جزاهم الله بأحسن أعمالهم . وذكرت إبطائي عن الخلفاء وحسدي إياهم
والبغى عليهم . فأما البغي ، فعادَ الله أن يكون . وأما الكراهة لهم ، فوالله
ما أعتذر للناس من ذلك . وذكرت بغي على عثمان وقطعى رحمه ، فقد عمل
عثمان بما قد علمت ، وعمل به الناس ما قد باهتك . فقد علمت أنني كنت من
أمره في عزلة ، إلا أن تجئي ، فتجنّ ما شئت . وأما ذِكرك قتلة عثمان وما سألت
من دفعهم إليك ، فإنني نظرت في هذا الأمر وضررت أنفه وعيشه ، فلم يسعني
دفعهم إليك ولا إلى غيرك ، وإن لم تنزع عن عييك لنعرف فنك عما قليل يطلبونك
ولا يكلفونك أن تطلبهم في سهل ولا جبل ، ولا بَرَّ ولا بَحْر . وقد كان أبوك
أبو سفيان أتاني حين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أبسط يدك
أبايعك ، فأنت أحق الناس بهذا الأمر . فكنت أنا الذي أبيت عليه مخافة
الفرقـة بين المسلمين ، لقرب عهد الناس بالكفر . فأبوك كان أعلم بـحق منك ،
وإن تعرف من حق ما كان أبوك يعرفه تصيب رشك ، وإلا فـستعين الله عليك .

(١) في بعض الأصول : « مكانهم » .

(٢) في بعض الأصول : « بهما » .

(٣) في بعض الأصول : « الإسلام » .

وكتب^(١) عبد الرحمن بن الحكم إلى معاوية :

ألا أبلغ معاوية بن حرب كتاباً من أخي ثقة يوم^(٢)

فإنك والكتاب إلى على كدابة وقد حلم الأديم^(٣)

يوم صفين

٥ أبو بكر بن أبي شيبة قال : خرج على بن أبي طالب من الكوفة إلى معاوية في خمسة وتسعين ألفاً ، وخرج معاوية من الشام في بضم وثمانين ألفاً ، فالتقىوا بصفين . وكان عسكر على يسمى الزحزحة ، لشدة حركته ، وعسكر معاوية يسمى الخضرية ، لاسوداده بالسلاح والدروع .

١٠ أبو الحسن قال : كانت أيام صفين كلها موافقة ، ولم تكن هزيمة بين الفريقين إلا على حامية ثم يكررون .

١١ أبو الحسن قال : كان مُنادى على يخرج كل يوم وينادى : أيها الناس ، لا تجهزن على جريح ، ولا تتعهنَّ مولياً ، ولا تسببن قتيلاً ، ومن ألق سلاحه فهو آمن .

١٥ أبو الحسن قال : خرج معاوية إلى على يوم صفين ، ولم يُبايعه أهل الشام بالخلافة ، وإنما بايعوه على نصرة عثمان والطلب بدمه . فلما كان من أمر الحاكمين ما كان ، بايعوه بالخلافة . فكتب معاوية إلى سعد بن أبي وقاص يدعوه إلى القيام معه في دم عثمان : سلام عليك . أما بعد . فإن أحق الناس بنصرة عثمان أهل الشورى من قريش ، الذين أثبتوا حقه ، واختاروه على غيره ، ونصرة طلحة والزبير ، وهما شريكان في الأمر ، ونظيراك في الإسلام .

٢٠ (١) نسب هذا الشعر في اللسان (مادة حلم) للوليد بن عقبة يحضر فيه معاوية على قتال على عليه السلام .

(٢) رواية عجز هذا البيت في اللسان : * * بأنك من أخي ثقة مليم *

(٣) حلم الأديم ، أن يقع فيه دود فيتقطب . يقول : أنت تسعى في إصلاح أمر قد تم فساده ، كهذه المرأة التي تدبغ الأديم الحلم ، فلا ينفع به .

وخفَّت لذلك أُم المؤمنين ، فلا تَسْكِرْه مارضوا ، ولا تَرْدَ ما قبلوا ، وإنما
يريد أن تردها شُورى بين المسلمين . والسلام .

فأجابه سعد : أما بعد . فإن عمر رضي الله عنه لم يدخل في الشــوري
إلا من تَحْلَّ له الخلافة ، فلم يكن أحد أولى بها من صاحبها إلا بجماعتنا
عليه . غير أن علياً كان فيه ما فينا ، ولم يكن فيما فيه ، ولو لم يطلبهما ولزم
بيته لطلبته العرب ولو بأقصى اليمن . وهذا الأمر قد كرها أولاً وكرها
آخره . وأما طلاحة والزبير فلو لزما بيتهما لــكان خيراً لها . والله يغفر
لأم المؤمنين ما أنت .

وكتب معاوية إلى قيس بن سعد بن عبادة : أما بعد . فإنما أنت يهودي
ابن يهودي ، ابن ظفر أحــبــ الفريقيــن إــلــيــك عــزــلك واستبدل بك ، وإن ظفر
أبغضــ الفريقيــن إــلــيــك قــتــلك ونــكــلــ بك . وقد كان أبوك أوترــ قوســه ورمــيــ
غرضــه ، فأــكــثــرــ الحــزــ وآخــطــ المــفــصــلــ ، خــذــلهــ قــومــهــ ، وآذــرــكــهــ يومــهــ ، ثم مات
طــرــيــداً بــحــورــانــ (١) .

فأجابه قيس : أما بعد . فأنت وثنــيــ ابن وثنــيــ . دخلتــ في الإسلام كــرــهاــ ،
وخرجــتــ منه طــوعــاــ ، لم يــقــدــمــ إــيمــانــكــ ، ولم يــحــذــرــ نــفــاقــكــ . ونحنــ انصــارــ الدينــ
الذــى خــرــجــتــ منهــ ، وآعــدــاءــ الدــينــ الذــى دــخــلــتــ فــيهــ . والسلام .

وخطــبــ علىــ بنــ أــبــيــ طــالــبــ أــصــحــابــهــ يــوــمــ صــفــيــنــ فقالــ : أــيــهــ النــاســ ، إــنــ
الموتــ طــالــبــ لا يــعــجــزــ هــارــبــ ، ولا يــفــوتــهــ مــقــيــمــ ، أــقــدــمــوا وــلــا تــنــكــلــوا ، فــلــيــســ
عنــ الموتــ مــحــيــصــ . وــالــذــى نــفــســ أــبــنــ أــبــيــ طــالــبــ بــيــدــهــ ، إــنــ ضــرــبةــ ســيفــ أــهــونــ
منــ مــوــتــ الفــرــاشــ . أــيــهــ النــاســ ، اتــقــوا الســيــوــفــ بــوــجــوــهــكــ ، وــالــرــماــحــ بــصــدــورــكــ ،
وــمــوــعــدــيــ وــإــيــاــكــ الرــايــةــ الــحــرــاءــ (٢) .

فقالــ رــجــلــ منــ أــهــلــ الــعــرــاقــ : مــا رــأــيــتــ كــاــلــيــوــمــ خــطــيــباــ يــخــطــبــنــاــ ! يــأــســرــنــاــ أنــ

(١) حورانــ (بالفتح) : كورة واسعة من أعمال دمشق .

(٢) يريد راية معاوية .

نَقَقَ السِّيُوفَ بِوْجُوهِهَا ، وَالرِّمَاحَ بِصُدُورِنَا ، وَيَعْدُنَا رَأْيَةً يَدِنُنَا وَيَدِنُنَا مائةً أَلْفَ سِيفَ .

قال أبو عبيدة في الناج : جَمِعَ عَلَىٰ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رِئَاسَةً بَكْرَ كُلُّهَا يَوْمَ صِفَيْنِ حُضِينِ بْنِ الْمُنْذِرِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ وَعْلَةَ ، وَجُعِلَ أَوْتَهَا تَحْتَ لَوَانِهِ ، وَكَانَتْ لَهُ رَأْيَةٌ سُودَاةٌ يَخْفِقُ ظِلَّهَا إِذَا أَقْبَلَ ، فَلَمْ يُغَنِّ أَحَدٌ فِي صِفَيْنِ غَنَاءَهُ . فَقَالَ فِيهِ عَلَىٰ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

لَمْنَ رَأْيَةُ سُودَاةٍ يَخْفِقُ ظِلَّهَا إِذَا قِيلَ قَدَّهَا حُضِينُ تَقَدَّمَا
يُقَدِّمُهَا فِي الصَّفَّ حَتَّىٰ يُزِيرَهَا حِيَاضَ الْمَنَابِيَا تَقَطَّرُ السَّمَّ وَالدَّمَا
جَزِيَ اللَّهُ عَنِّي وَالْجَزَاءُ بِكَفَهُ رِبِيعَةُ خِيرًا مَا أَعْفَ وَأَكْرَمَا^(١)

١٠ وَكَانَ مِنْ هَمْدَانَ فِي صِفَيْنِ حُسْنٍ . فَقَالَ فِيهِمْ عَلَىٰ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

لَهْمَدَانُ أَخْلَاقُ وَدِينٍ يَرِينُهُمْ وَبَأْسٌ إِذَا لَاقُوكُمْ وَحُسْنُ كَلَامٍ
فَلَوْ كُفِتُ بِوَابَةً عَلَى بَابِ جَنَّةَ اقْلَمْتُ لَهْمَدَانَ أَدْخُلُوا بَسَلامٍ
أَبُو الْحَسْنِ قَالَ : كَانَ عَلَىٰ بْنَ أَبِي طَالِبٍ يَخْرُجُ كُلَّ غَدَةٍ صِفَيْنِ فِي
١٥ سَرَّعَانَ الْخَيْلِ^(٢) فِي قَفَبِ بَيْنِ الصِّفَيْنِ شَمِيْنَ يَنْادِي : يَا مَعَاوِيَةَ ، عَلَامَ يَقْتَلُ النَّاسَ ؟
اَبْرُزْ إِلَيَّ وَأَبْرُزْ إِلَيْكَ فَإِنْ كُونَ الْأَمْرُ لِمَنْ غَلَبَ . فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ :
أَنْصُكَ الرَّجُلُ . فَقَالَ لَهُ مَعَاوِيَةً : أَرْدَتَهَا يَا عُمَرُ ، وَاللَّهِ لَا رَضِيتُ عَنْكَ حَتَّىٰ
تُبَارِزَ عَلَيْهَا . فَبَرَزَ إِلَيْهِ مُتَنَكِّرًا ، فَلَمَّا غَشِيَهُ عَلَىٰ بِالسَّيْفِ رَمَى بِنَفْسِهِ إِلَى
الْأَرْضِ وَأَبْدَى لَهُ سُوَاتِهِ ، فَضَرَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَرَسَهُ وَأَنْصَرَفَ عَنْهُ . جَلَسَ مَعَهُ
٢٠ مَعَاوِيَةُ يَوْمًا فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ . فَقَالَ عُمَرُ : أَنْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ ، مَا الَّذِي
أَنْحَكَكَ ؟ قَالَ : مَنْ حُضُورُ ذَهْنِكَ يَوْمَ بَارَزَتْ عَلَيْهَا إِذَا تَقَيَّمَتْ بَعْوَرَتِكَ . أَمَا وَاللَّهِ

(١) رواية هذا البيت في الطبرى :

جزى الله قوماً صابروا في لفائهم لدی الموت قوماً ما أعف وأكرما

(٢) سرعان الخيل : أوائلها .

لقد صادفتَ مَنَاذاً كريماً، ولو لا ذلك لَحَرم رَفِيقَك^(١) بالرُّمْح . قال عمرو بن العاص : أما والله إني عن يمينك إذ دعاك إلى البراز فأحوت عيناك ، وربما سَحْرُك^(٢) ، وبدا منك ما أكره ذكره لك .

وذُكر عمرو بن العاص عند علي بن أبي طالب ، فقال فيه علي : عجباً لأنَّ بن النابغة^(٣) ! يزعم أنَّى بلقائه أَعافِس وأُمارِس^(٤) ، أنَّى وَشَرَّ القول أَكذبه ، إنه يسأل فيُلْحَف ، ويُسأَل فيَبْخَل . فإذا أحْمَرَ المأس ، وَحَمِيَ الوطيس ، وأَخْذَت السَّيُوفُ مَا خَذَهَا مِنْ هَامِ الرِّجال ، لم يكن له هُمْ إِلَّا تَرْزُعُه^(٥) ثيابه ، وَيَنْعِجُ النَّاسُ أَسْتَه ، أَغْصَه^(٦) الله وَتَرَحَّه^(٧) .

مقتل عمار بن ياسر

^{٢٨٨}
الْمُتَّبِّي قال : لما ألقى الناس بصفين نظار معاوية إلى هاشم^(٨) بن عتبة الذي يقال له : المِرْقَال ، لقول النبي صلى الله عليه وسلم : أَرْقَلَ لِيمَوْن . وكان أَعْوَرَ ، والراية بِيده ، وهو يقول^(٩) :

أَعْوَرَ يَبْغِي نَفْسَهُ مَحْلًا
لَا بُدُّ أَنْ يَفْلَأَ أوْ يُفَلَّا

قال معاوية لعمرو بن العاص : يا عمرو ، هذا المِرْقَال ، والله أَنْ زَحَفَ^{١٥}
بالراية زَحْفًا إِنَّه لِيَوْمٌ أَهْلُ الشَّامِ الْأَطْوُل . ولَكُنِي أَرَى ابنَ السُّودَاءَ إِلَى

(١) الرفع (بالتجرييك ويضم) : أصل الفخذ .

(٢) السحر (بالفتح ويحرك ويضم) : الرئة . وربما : انتفخ فزها .

(٣) في بعض الأصول : « الباغية » تحريف .

(٤) المعافة : المعالجة . والممارسة : المداعبة .

(٥) في بعض الأصول : « غرفة » .

(٦) في بعض الأصول : « غصه » . (٧) ترَحَّه : أَحْزَنَه .

(٨) في بعض الأصول : « هاشم » وما أثبَتَنا من سائر الأصول والمعارف والـكامل والإصابة والـسان (مادة رقل) .

(٩) في رواية أنَّ هذا الشعر لعمار بن ياسر يخاطب به المِرْقَال . (انظر الإصابة في ترجمة المِرْقَال) .

جنبه ، يعني عماراً ، وفيه سجدة في الحرب ، وأرجو أن تقدمه إلى الملكة .
وجعل عمار يقول : أبا عقبة ، تقدم . فيقول : يا أبا اليقظان ، أنا أعلم بالحرب
منك ، دعنى أزحف بالراية زحفاً . فلما أضجره وتقدم ، أرسل معاوية خيلاً
فاختطفوا عماراً ، فكان يسمى أهل الشام قتل عمار فتح الفتوح .

٥ أبو بكر بن أبي شيبة : عن يزيد بن هارون عن العوام بن حوشب عن
أسود بن مسعود عن حنظلة بن خويلد قال : إني لجالس عند معاوية إذ أتاه
رجلان يختهمان في رأس عمار ، كل واحد منهما يقول : أنا قتله . فقال لها
عبد الله بن عمرو بن العاص : ليطِّبْ به أحد كا نفساً اصحابه ، فإني سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول له : تقتلك الفتنة الباغية .

٦ أبو بكر بن أبي شيبة عن ابن عليلة عن ابن عون عن الحسن عن أم سلمة
قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتل عماراً الفتنة الباغية .
أبو بكر قال : حدثنا علي بن حفص عن أبي معاشر عن محمد بن عماراً^(١) قال :
ما زال جدي خزيمة بن ثابت كافياً سلاحه يوم صفين حتى قُتل عمار ، فلما قُتل
سل سيفه وقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تقتل عماراً الفتنة
الباغية . فازال يقاتل حتى قُتل .

٧ أبو بكر عن غندر عن شعبة^(٢) عن عمرو بن مرمي عن عبد الله بن
سلمحة قال : رأيت عماراً يوم صفين شيخاً آدم طوالاً آخذًا الحرابة بيده ،
ويده ترعد ، وهو يقول : والذى نفسي بيده ، لقد قاتلت بهذه الحرابة مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات وهذه الرابعة . والذى نفسي بيده
لو خضر بونا حتى يبلغوا بنا سمات هجر اعرفت أنا على حق وأنهم على باطل .

(١) في الأصول : « عبادة ». وما أثبتنا من الطبرى .

(٢) في الأصول هنا : « غندر عن عمرو بن شعبة » والمعروف أن غندر يروى عن
شعبة وقد مرت روايته عنه (ص ٣٢٧) من هذه الجزء . ثم إن المراجع التي بين
أيدينا تفقد من اسمه عمرو بن شعبة .

نَمْ جَهْلٌ يَقُولُ : صَبِرًا عِبَادَ اللَّهِ ، الْجَنَّةُ تَحْتَ ظَلَالِ السَّيْفِ .

أَبُو بَكْرٍ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ وَكِيعٍ عَنْ سُفِيمَانَ عَنْ حَبِيبٍ عَنْ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ^(١)
قَالَ : لَمَا كَانَ يَوْمُ صِيفِينَ وَأَشْتَدَتِ الْحَرَبُ دَعَا عَمَّارُ بْنَ شَرَبَةَ لَبْنَ وَشَرَبَهَا وَقَالَ :
إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ : إِنَّ آخِرَ شَرَبَةِ تَشَرِّبُهَا مِنَ الدُّنْيَا
شَرَبَهَا لَبْنَ .

أَبُو ذَرَّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ
أُمِّ سَلَمَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ : لَمَّا بَنَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ مَسْجِدَهُ بِالْمَدِينَةِ أَمَرَ بِاللَّبَنِ يُضْرَبُ وَمَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ ، ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعَ رِدَاءَهُ ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ وَضَمُوا
أَرْدِيَتِهِمْ وَأَكْسِيَتِهِمْ يَرْتَجِزُونَ وَيَقُولُونَ وَيَعْمَلُونَ :

١٠

لَئِنْ قَعَدْنَا وَالنَّبِيُّ يَعْمَلُ ذَلِكَ إِذَا لَعْنَ مُضَلَّلٍ

قَالَتْ : وَكَانَ عَمَّانَ بْنَ عَفَانَ رَجُلًا نَظِيفًا مُمْتَنَفِطًا ، فَكَانَ يَحْمِلُ الْأَلْبَنَةَ
وَيُجَاهِي بَهَا عَنْ ثُوبِهِ ، فَإِذَا وَضَعَهَا نَفَضَ كَفِيهِ وَنَظَرَ إِلَى ثُوبِهِ ، فَإِذَا أَصَابَهُ شَيْءٌ
مِّنَ التُّرَابِ نَفَضَهُ . فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَلَى رُضَى اللَّهِ عَنْهُ فَأَنْشَدَهُ :

٢٨٩

لَا يَسْتَوِي مَنْ يَعْمُرُ الْمَسَاجِدَ يَدَأْبُ فِيهَا رَاكِمًا وَسَاجِدًا

وَقَائِمًا طَوْرًا وَطَوْرًا قَاعِدًا وَمَنْ يُرَى عَنِ التُّرَابِ حَائِدًا

فَسَمِعَهَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرَ فَجَعَلَ يَرْتَجِزُهَا وَهُوَ لَا يَدْرِي مِنْ يَعْنِي . فَسَمِعَهُ
عَمَّانُ ، فَقَالَ : يَا بْنَ سُمِيَّةَ ، مَا أَغْرَفَنِي بَنَ تُعَرِّضُ ، وَمَعَهُ جَرِيدَةٌ ، فَقَالَ :
لَا تَكْفُنَ أَوْ لَا تَعْرِضَنَ بَهَا وَجْهَكَ . فَسَمِعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ جَالِسٌ
فِي ظَلِيلِ حَائِطٍ ، فَقَالَ : عَمَّارٌ جَلَدَهُ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَنْفُهُ ، فَنَبَّغَ ذَلِكَ مِنْهُ فَقَد
بَلَغَ مِنْيَ ، وَأَشَارَ بِيَدِهِ فَوَضَعَهَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ . فَكَفَفَ النَّاسُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقَالُوا
لِعَمَّارِ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ غَضِبَ فِيكَ وَنَخَافَ أَنْ يَنْزِلَ فِيهَا

(١) هُوَ سَعِيدُ بْنُ فَيْرُوزَ .

قرآن . فقال : أنا أرضيه كاغضب . فأقبل عليه وقال : يا رسول الله ، مالي ولاصحابك ؟ قال : وما لك وهم ؟ قال : يُریدون قتلي ، يَحْمِلُون لِجنةً وَيَحْمِلُون على لِبنتين . فأخذ به وطاف به في المسجد ، وجعل يمسح وجهه من التراب ويقول : يابن سُمیة ، لا يقتلك أصحابي ، ولكن تقتلک الفئة الباغية .

فَلَمَّا قُتِلَ بِصَفَّينَ وَرَوَى هَذَا الْحَدِيثَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ، قَالَ معاوية : هُمْ قُتُلُوا لَأَنَّهُمْ أَخْرَجُوهُ إِلَى الْقَتْلِ . فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ عَلَيْهِ قَالَ : وَنَحْنُ قَتَلْنَا أَيْضًا حَزَنَةً لَأَنَا أَخْرَجْنَاهُ .

من حرب صفين

أبو الحسن قال : كانت أيام صفين كلها موافقة ، ولم تكن هزيمة في أحد الفريقين إلا على حامية ثم يكررون ^(١) .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : انقضت وقعة صفين عن سبعين ألف قتيل ، خمسين ألفاً من أهل الشام ، وعشرين ألفاً من أهل العراق . ولما انصرف الناس من صفين قال عمرو بن العاص :

شَبَّتِ الْحَرَبُ فَأَعْدَدْتُ لَهَا مُشْرِفَ الْحَارِكِ تَحْبُوكَ الشَّبَّاجَ ^(٢)

يَصِلُ الشَّرَّ بِشَرِّ فَإِذَا وَثَبَ الْخَيْلُ مِنَ الشَّرِّ مَعَاجَ ^(٣)

جُرْشُعَ ^(٤) أَعْظَمْهُ جُفْرَتَهَ ^(٥) فَإِذَا أَبْقَلَ مِنَ الْمَاءِ خَرَجَ ^(٦)

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ ^(٧) :

فَإِنْ شَهِدتْ جُنْلُ مَقَامِي وَمَشْهُدِي بِصَفَّينِ يَوْمًا شَابَ مِنْهَا الذَّوَابُ

(١) مر هذا الخبر (ص ٣٣٧) من هذا الجزء مع خلاف قليل .

(٢) الشباج : الوسط ، وما بين السكاكين إلى الظهر .

(٣) المعاج : سرعة السر . (٤) جرشع : عظيم الصدر .

(٥) الجفرة : وسط الفرس . وفي بعض الأصول : « حفرية » .

(٦) يريد أنه إذا ركب وعرق خرج في حدته ونشاطه وفات غيره . وفي هذا المعنى قول سامة بن الحرشب :

من المتفقات بجانبيها إذا ما بل مجزماها الجرم

(٧) نسب هذا الشعر في شرح نهج البلاغة (ج ٢ ص ٢٨٢) لمحمد بن عمرو بن العاص .

عشية جا^(١) أهل العراق كأهـم سحاب خريف صفة الجنائب^(٢)
إذا قلت قد ولوا سراً بدت لنا^(٣) كتائب منهم وارجحـنت كتائب
فدارت رحانا وأستدارت رحـاهـم سراة النهـار ما تولـى المـناكب
وقالـوا لنا إنا نـرى أن تـبـاعـوا عـلـيـا فـقـلـنـا بل نـرـى أن تـضـارـبـوا

وقال السيد الحـيرـى ، وهو رأس الشـيعـة ، وكانت الشـيعـة مـن تعـظـيمـها له

تـلاقـى له وسادـا بـمسجدـ الكـوفـة :

إـنـي أـدـينـ بـمـا دـانـ الـوـصـىـ بـهـ وـشـارـكـتـ كـفـهـ كـفـىـ بـصـفـيـنـاـ
فـيـ سـفـكـ مـاسـفـكـتـ مـنـهـ إـذـاـ حـتـضـرـواـ وـأـبـرـزـ اللهـ لـلـقـسـطـ المـواـزـيـنـاـ
تـلـكـ الدـمـاءـ مـعـاـ يـاـ رـبـ فـيـ عـنـقـ شـمـ أـسـقـنـىـ مـثـلـهـاـ آـمـيـنـ آـمـيـنـاـ
آـمـيـنـ مـنـ مـثـلـهـمـ فـيـ مـيـلـ حـاـلـهـمـ فـيـ فـتـيـةـ هـاجـرـواـ فـيـ اللهـ شـارـيـنـاـ
لـيـسـواـ يـرـيدـونـ غـيـرـ اللهـ رـبـهـمـ نـعـمـ المـرـادـ توـخـاهـ المـرـيدـونـاـ
وـقـالـ النـجـاشـىـ يـوـمـ صـفـيـنـ ، وـكـتـبـ بـهـاـ إـلـىـ مـعـاوـيـةـ^(٤) :

يـأـيـهـاـ الـمـلـكـ^(٥) الـمـبـدـىـ عـداـوـتـهـ أـنـظـرـ لـنـفـسـكـ أـىـ الـأـمـرـ تـأـتـمـرـ
فـإـنـ نـفـسـتـ عـلـىـ الـأـقـوـامـ بـجـدـهـمـ فـابـسـطـ يـدـيـكـ فـإـنـ الـخـيـرـ مـبـقـدـرـ
وـأـعـلـمـ بـأـنـ عـلـىـ الـخـيـرـ مـنـ نـفـرـ شـمـ الـعـرـانـيـنـ لـاـ يـعـلـومـ بـشـرـ
نـعـمـ الـفـتـىـ أـنـتـ^(٦) إـلـاـ أـنـ بـيـنـكـاـ كـاـ تـفـاضـلـ ضـوـءـ الشـمـسـ وـالـقـمـرـ
وـمـاـ إـخـالـكـ إـلـاـ لـسـتـ مـُـنـتـهـيـاـ حـتـىـ يـنـالـكـ مـنـ أـظـفـارـهـ ظـفـرـ

(١) في شرح نهج البلاغة : « غداة غدا » مكان « عشية جا » .

(٢) الجنائب : جمع جنوب ، والجنوب من الرياح حارة . وصفقت الريح السحاب ، إذا صرمتـهـ واختـلـفـتـ عـلـيـهـ . ورواية عـبـرـتـ هـذـهـ الـبـيـتـ فـيـ الـأـصـلـ :

* سـحـابـ رـيـبـعـ رـفـقـهـ الـجـنـائـبـ *

وـمـاـ أـثـبـتـنـاـ مـنـ شـرـحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ .

(٣) في شرح نهج البلاغة :

* إـذـاـ قـلـتـ يـوـمـاـ قـدـ دـنـواـ بـرـزـتـ لـنـاـ *

(٤) وكان معاوية قد تهدده . (انظر شرح نهج البلاغة) .

(٥) في شرح نهج البلاغة : « الرجل » .

(٦) في الأصول : « هو » . وما أثبـتـنـاـ مـنـ شـرـحـ نـهـجـ الـبـلـاغـةـ .

خبر عمرو بن العاص مع معاوية

سفيان بن عيينة قال : أخبرني أبو موسى الأشعري قال : أخبرني الحسن
 قال : عَلِمَ معاوية والله إن لم يبايعه عمرو وإنْ يَتَمَّ له أمر ، فقال له : يا عمرو ،
 أتبغى . قال : لماذا ؟ للآخرة ؟ فوالله ما معك آخرة ، أم للدنيا ؟ فوالله لا كان
 حتى أكون شريك فيها . قال : فأنت شريك فيها . قال : فاكثُب لى
 مصر وكورها . فكتب له مصر وكورها ، وكتب في آخر السكّن : وعلى
 عمر والسمع والطاعة . قال عمرو : وأكتب : إن السمع والطاعة لا ينفصان من
 شرطه شيئاً . قال معاوية : لا ينظر الناس إلى هذا . قال عمرو : حتى تكتب .
 قال : فكتب ، والله ما يجد بدأ من كتابتها .

١٠ ودخل عقبة بن أبي سفيان على معاوية وهو يكلم عمراً في مصر ، وعمرو
 يقول له : إنما أبايتك بها ديني . فقال عقبة : أتمن الرجل بدينه فإنه صاحب
 من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم .

وكتب عمرو إلى معاوية :

١٥ معاوى لا أعطيك ديني ولم أأنل به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع ؟
 وما الدين والدنيا سواها وإنى لأخذ ما تعطى ورأسى مقنع
 فإن تعطنى مصرًا فأرجح صفة أخذت بها شيخاً يضر ويُنفع

وقالوا : لما قاد عمرو بن العاص على معاوية وقام معه في شأن على ، بعد
 أن جعل له مصر طعمة ، قال له : إن بأرضك رجل له شرف وأسم ، والله إن قام
 معك استهويت به قلوب الرجال ، وهو عبدة بن الصامت . فأرسل إليه معاوية .
 ٢٠ فلما أتاه وسع له بيته وبين عمرو بن العاص ، فجلس بينهما . فحمد الله معاوية
 وأثنى عليه ، وذكر فضل عبادة وسابقته ، وذكر فضل عثمان وما ناله ، وحضره
 على القيام معه . فقال عبدة : قد سمعت ما قلت ، أتدرى أن لم جلست بينكما

فِي مَكَانِكُمْ؟ قَالَ: نَعَمْ، لِفَضْلِكَ وَسَابِقَتِكَ وَشَرْفِكَ . قَالَ: لَا وَاللَّهِ، مَا جَلَستُ^٠
بِيَنْكُمَا لِذَلِكَ، وَمَا كَنْتُ لِأَجْلِسُ بَيْنَكُمَا فِي مَكَانِكُمَا، وَلَكِنْ بَيْنَمَا نَحْنُ نَسِيرُ
مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزَّةِ تَبُوكَ إِذْ نَظَرَ إِلَيْكُمَا تَسِيرَانِ، وَأَتَهَا
تَتِحْدِثَانِ، فَأَلْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: إِذَا رَأَيْتُمُوهُمَا اجْتَمَعُوا فَقُرْقُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّهُمَا
لَا يَجْتَمِعُانْ عَلَى خَيْرٍ أَبْدَأُ . وَأَنَا أَنْهَا كَمَا عَنِ اجْتَمَاعِكُمَا . فَأَمَا مَا دَعَوْتُمْنِي إِلَيْهِ مِنْ
الْقِيَامِ مَعَكُمَا، فَإِنْ لَكُمَا عَدُوًّا هُوَ أَغْلَظُ أَعْدَائِكُمَا، وَأَنَا كَامِنٌ مِنْ وَرَائِكُمْ فِي ذَلِكَ
الْعَدُوُّ، إِنْ أَجْتَمَعُتُمْ عَلَى شَيْءٍ دَخَلْتُ فِيهِ .

أَمْرُ الْحَكَمِينَ

أَبُو الْحَسْنِ قَالَ: لَمَا كَانَ يَوْمُ الْهَرِيرِ^(١)، وَهُوَ أَعْظَمُ يَوْمٍ بِصَفَّيْنِ، زَحْفَ أَهْلِ
الْعَرَاقِ عَلَى أَهْلِ الشَّامِ فَازَ الْوَهْمُ عَنْ مَرَاكِزِهِمْ، حَتَّى أَنْتَهُوا إِلَى سُرُادِقِ مَعَاوِيَةِ، ١٠
فَدَعَا بِالْفَرَسِ وَهُمْ بِالْهَزِيَّةِ، ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى عُمَرِ بْنِ الْعَاصِ، وَقَالَ لَهُ: مَا عَنْدَكَ؟
قَالَ: أَمْرٌ بِالْمَصَاحِفِ فَتُرْفَعُ فِي أَطْرَافِ الرَّمَاحِ، وَيَقَالُ: هَذَا كِتَابُ اللَّهِ يَحْكُمُ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ . فَلَمَّا نَظَرَ أَهْلُ الْعَرَاقِ إِلَى الْمَصَاحِفِ أَرْتَدُوا وَأَخْتَلَفُوا، وَقَالَ بَعْضُهُمْ:
نَحْنُ كَمْهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا نُحَا كَمْهُمْ، لَأَنَّا عَلَى يَقِينٍ مِنْ أَمْرِنَا
وَلَسْنِنَا عَلَى شَكِّ . ثُمَّ أَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى التَّحْكِيمِ . فَهُمْ عَلَى أَنْ يُقْدِمُ أَبَا الْأَسْوَدِ
الْدُّوَلِيِّ، فَأَبْيَ النَّاسُ عَلَيْهِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَجْعَلْنِي أَحَدَ الْحَكَمِينَ، فَوَاللَّهِ
لَا فَتَنَّ لَكَ حِبَّلًا لَا يَنْقَطِعُ وَسَطُهُ وَلَا يُنْشَرُ طَرْفَاهُ . فَقَالَ لَهُ عَلَى: لَسْتَ مِنْ
كِيدَكَ وَلَا مِنْ كِيدِ مَعَاوِيَةِ فِي شَيْءٍ، لَا أُعْطِيهِ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَغْلِبَهُ الْحَقُّ .
قَالَ: وَهُوَ وَاللَّهِ لَا يُعْطِيَكَ إِلَّا السَّيْفَ حَتَّى يَغْلِبَكَ الْبَاطِلُ . قَالَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟
قَالَ: لَأَنَّكَ تُطَاعُ الْيَوْمَ وَتُعَصَّى غَدًّا، وَإِنَّهُ يُطَاعُ وَلَا يُعَصَى . فَلَمَّا أَنْتَشَرَ عَنْ عَلَى
أَصْحَابِهِ قَالَ: اللَّهُ بِلَاءُ ابْنِ عَبَّاسٍ، إِنَّهُ لِيَنْظَرُ إِلَى الْغَيْبِ بِسْتَرٍ رَّقِيقٍ . قَالَ: ثُمَّ

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٥) من هذا الجزء .

أجتمع أصحاب البرانس^(١) ، وهم وجوه أصحاب علي ، على أن يقدموه أباً موسى الأشعري ، وكان مُبرنسا ، وقالوا : لا نرضى بغيره ، فقدمه على . وقدم معاوية عمرو بن العاص . فقال معاوية لعمرو : إنك قد رُميت برجل طويل اللسان قصير الرأى فلا ترمه بعقلك كله فأخلي لهما مكان يجتمعان فيه ، فأمهله عمرو بن العاص ثلاثة أيام ، ثم أقبل إليه بأنواع من الطعام يشهي بها ، حتى إذا استبطن أبو موسى ناجاه عمرو ، وقال له : يا أبا موسى ؛ إنك شيخ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وذو فضلها وذو سابقتها ، وقد ترى ما وقعت فيه هذه الأمة من الفتن العمياء التي لا بقاء معها ، فهل لك أن تكون ميمون هذه الأمة فيحقن الله بك دماءها ، فإنه يقول في نفس واحدة : (ومَنْ أَحْيَاهَا فَكَانُوا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) ، فكيف ١٠
بن أحيا نفس هذا الخلق كله ! قال له : وكيف ذلك ؟ قال : تخلع أنت على بن أبي طالب ، وأخلع أنا معاوية بن أبي سفيان ، ونختار لهذه الأمة رجالاً لم يحضر في شيء من الفتن ، ولم يغمس يده فيها . قال له : ومن يكون ذلك ؟ وكان عمرو بن العاص قد فهم رأى أبا موسى في عبد الله بن عمر ، فقال له : عبد الله بن عمر . فقال : إنه لكي ذكرت ، ولكن كيف لي بالوثيقة بذلك ؟ ١٥
قال له : يا أبا موسى ، ألا بذِكْرِ اللهِ تطمئن القلوب ، خذ من العهود والمواثيق حتى ترضى . ثم لم يُيقِّن عمرو بن العاص عهداً ولا موئلاً ولا يميناً مُؤكدة حتى حلف بها ، حتى يَقِنَ الشَّيْخُ مَبْهُوتاً ، وقال له : قد أجبت . فنُودي في الناس بالأجتمع إليهما ، فاجتمعوا . فقال له عمرو : قُمْ فاخطب الناس يا أبا موسى . فقال : قُمْ أنت أخطبهم . فقال : سبحان الله ! أنا أتقدِّمُك وأنت شيخ ٢٠
 أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله لا فعلت أبداً ! قال : أو عسى في نفسك أمر ؟ فزاده أيماناً وتوكيداً . حتى قام الشيخ خطيب الناس ، سَفَمَ الله وأثني عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إني قد اجتمعت أنا وصاحبي على أن أخلع

(١) البرانس : جمع بُرنس ، وهو : قلسنة طولية ، كان النساء يلبسنها في صدر الإسلام .

أنا على بن أبي طالب ويعزل هو معاوية بن أبي سفيان ، ونجعل هذا الأمر
لعبد الله بن عمر ، فإنه لم يحضر في فتنة ، ولم يغمس يده في دم أمرى مسلم .
ألا وإن قد خلعت على بن أبي طالب كما أختاب سيفي هذا ، ثم خام سيفه من
عاتقه ، وجلس ، وقال عمرو : قم . فقام عمرو بن العاص فحمد الله وأثنى عليه ،
وقال : أيها الناس ، إنه كان من رأى صاحبى ما قد سمعتم ، وإنه قد أشهدكم أنه
خلع على بن أبي طالب كما يخلع سيفه ، وأنا أشهدكم أنى قد أثبتت معاوية بن
أبي سفيان كما أثبتت سيفي هذا ، وكان قد خلع سيفه قبل أن يقوم إلى الخطبة ،
فأعاده على نفسه . فاضطرب الناس ، وخرجت الخوارج . وقال أبو موسى
عمرو : لعنك الله ! فإن مثلك كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه
يلهث . قال عمرو : لعنك الله ! فإن مثلك كمثل الحمار يحمل أسفاراً .

٢٩٢
٤
وخرج أبو موسى من فوره ذلك إلى مكة مُستعذًا بها من على ، وحلف أن
لا يكلمه أبداً . فأقام بمكة حيناً حتى كتب إليه معاوية : سلام عليك ، أما بعد ،
فلو كانت النية تدفع الخطأ لنجا المجتهد وأعذر الطالب ، والحق لمن نصب له
فأسابيه ، وليس لمن عرض له فاختطاً . وقد كان الحكمان إذ حكما على على
لم يكن له الخيار عليهم ، وقد اختاره القوم عليك ، فاكره منهم ما كرهو منك ،
وأقبل إلى الشام فإني خير لك من على ، ولا قوة إلا بالله .

فكتب إليه أبو موسى : سلام عليك ، أما بعد ، فإني لم يكن مني في على
إلا ما كان من عمرو فيك ، غير أنى أردت بما صنعت ما عند الله ، وأراد به
عمرو ما عندك . وقد كان بيديه وبينه شروط وشُورى عن تراض ، فلما رجع
عمرو رجعت . أما قولك : إن الحكمين إذا حكما على رجل لم يكن له الخيار
عليهم . فإنهما ذلك في الشاة والبمير والدينار والدرهم . فاما أمر هذه الأمة ، فليس
لأحد فيما يكره حكم ، وإن يذهب الحق عجز عاجز ولا خدعة فاجر . وأما دعاؤك
إيابي إلى الشام ، فليس لي رغبة عن حرم إبراهيم .

فبلغ علياً كتاب معاوية إلى أبي موسي الأشعري فكتب إليه : سلام عليك ، أما بعد . فإذك أمرؤ ظلمك الهوى واستدرجك الغرور ، حرق بك حُسن الظن لزومك بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن ، فاستقبل الله يُقلّك ؛ فإن الله يغفر ولا يغفل ، وأحب عباده إليه التوابون . وكتبه سمّاك بن حرب .

فكتب إليه أبو موسي : سلام عليك . فإنه والله لو لا أني خشيت أن يرفوك مني منع الجواب إلى أعظم مما في نفسك لم أجبك ، لأنك ليس لي عندك عذر ينفعني ولا قوّة تمنعني . وأما قولك « ولزمي بيت الله الحرام غير حاج ولا قاطن » فإني اعتزلت^(١) أهل الشام ، وانقطعت عن أهل العراق ، وأصبت أقواماً صغاروا من ذنبي ما عظّمت ، وعظّموا من حقّ ما صغيرتم ، إذ لم يكن لي منكم ولّ ولا نصير .

وكان على بن أبي طالب إذ وجه الحكمان قال لها : إنما حكمنا كما بكتاب الله ، فتحمّيان ما أحيا القرآن ، وتحمّيان ما أمات . فلما كاد عمرو بن العاص لأبي موسي أضطرب الناس على على واقتلوها ، وخرجت الخوارج ، وقالوا : لا حكم إلا لله ، فجعل على يتمثل بهذه الآيات :

لي زلة إليكم فأعتذر سوف أكيس بعدها وأنشر
وأجمع الأمر الشّفّيت المفترض

أبو الحسن قال : لما قدم أبو الأسود الدؤلي على معاوية عام الجماعة ، قال له معاوية : بلغنى يا أبا الأسود أن على بن أبي طالب أراد أن يجعلك أحد الحكّمين ، فاكتنت تحكم به ؟ قال : لو جعلني أحد هؤلاء لجئت ألفاً من المهاجرين وأبناء المهاجرين ، وألفاً من الأنصار وأبناء الأنصار ، ثم ناشدتهم الله : المهاجرون وأبناء المهاجرين أولى بهذا الأمر أم الطلقاء ؟ قال له معاوية : الله أبوك ! أى حكم كنت تكون لو حكمت !

(١) فبعض الأصول : « أسلحت » .

احتجاج على وأهل بيته في الحكمين

أبو الحسن قال : لما أنقضى أمرُ الحكمين وأختلف أصحابُ علىٰ قال بعض الناس : ما مَنْعِنَ أميرَ المؤمنين أن يأمرَ بعضَ أهل بيته فيتكلم ، فإنه لم يبق أحدٌ من رؤساء العرب إلا وقد تكلم . قال : فبینما علىٰ يوماً على المِنْبَرِ إذ التفت إلى الحسن أباًه فقال : قُم يا حسن فقل في هذين الرجلين : عبد الله بن قيس وعمرو بن العاص . فقام الحسن فقال : أيها الناس ، إنكم قد أكثرتم في هذين الرجلين ، وإنما بعثنا ليحكمها بالكتاب على الموى ، فبحكمها بالموى على الكتاب .

^{٢٩٣}
٤

ومن كان هكذا لم يسم حكماً ، ولكنك محاكم على عليه . وقد أخطأ عبد الله بن قيس إذ جعلها لعبد الله بن عمر ، فأخذوا في ثلاثة خصال : واحدة ، أنه خالق آباء ، إذ لم يرضه لها ، ولا جعله من أهل الشورى ؛ وأخرى ، أنه لم يستأمره في نفسه ؛ وثالثة ، أنه لم يجتمع عليه المهاجرون والأنصار الذين يعقدون الإمارة ويحكمون بها على الناس . وأما الحكومة ، فقد حكم النبي عليه الصلاة والسلام سعد بن معاذ في بني قريظة ، فحكم بما يرضي الله به ولا شك ، ولو خالف لم يرضه رسول الله صلى الله عليه وسلم ^(١) ، ثم جلس . فقال عبد الله بن عباس : قُم . فقال عبد الله بن عباس ، بعد أن حمد الله وأثنى عليه : أيها الناس ، إن للحق أهلاً أصابوه بال توفيق ، فالناسُ بين راضٍ به وراغبٍ عنه ، فإنه بعث عبد الله بن قيس بهدئ إلى ضلاله ، وبعث عمرو بن العاص بضلاله إلى هدى ، فلما ألقاه راجع عبد الله بن قيس عن هداه وثبتت عمرو على ضلاله . وأيم الله ، لئن كانوا حكماً بما سار به ، لقد سار عبد الله وعلى إمامه ، وسار عمرو ومعاوية إمامه ، فما بعد هذا من عيب ينتظرك ؟ فقال علىٰ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : قُم .

٢٠

فقام فحمد الله وأثنى عليه ، وقال : أيها الناس ، إن هذا الأمر كان النظر فيه

(١) يشير إلى حكم سعد في بني قريظة بقتل الرجال وتقسيم الأموال وسي الذاري والنساء ثم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة (سوات) . (انظر السيرة لابن هشام) .

إلى علىٰ ، والرضا إلىٰ غيره . فجئتم إلىٰ عبد الله بن قيس مُبرنساً فقلتم :
لأنَّ رضيًّا إلا به . وأيم الله ، ما أستفدنا به عِلْمًا ، ولا أنتظرنَا منه غائبةً ، وما نعرفه
صاحبًا . وما أفسدنا بما فعلاً أهلَّ العراق ، وما أصاحاً أهل الشام ، ولا وضعاً
حق علىٰ ، ولا رفماً^(١) باطل معاوية ، ولا يذهب الحق رقية راق ، ولا نفتحة
شيطان ، ونحن اليوم علىٰ ما كُنَّا عليه أمس .

احتجاج علىٰ علىٰ أهل النهر وان

قالوا : إنَّ علَيَّاً لما اختلف عليه أهلُ النهر وان والقرى وأصحابُ البرانس ،
ونزلوا قريه يقال لها حَرُوراء ، وذلك بعدَ وقعةِ الجمل ، فرجع إليهم علىٰ بن
أبي طالب فقال لهم : يا هؤلاء ، من زعيمكم ؟ قالوا : ابنُ الـكَوَاء . قال :
فليبرُزْ إلىٰ . فخرج إليه ابنُ الـكَوَاء ، فقال له علىٰ : يابنُ الـكَوَاء ،
ما أخرجكم علينا بعدَ رضامكم بالـكَمِين ، ومُقامكم بالـكوفة ؟ قال : قاتلت بنا
عدوًّا لا نشك في جهاده ، فزعمتَ أن قتلنا في الجنة وقتلامهم في النار ، فبینما
نحن كذلك إذ أرسلتَ مُنَاوِقاً ، وحکمتَ كافراً ، وكان مما^(٢) شَكْكَ في أمر الله
أنْ قلت لقوم حين دعوتهم : كتابُ الله بيني وبينكم ، فإنْ قضى علىٰ بِيعْتُكم ،
وإنْ قضى عليكم بِيعْتُمني . فلو لا شَكْكَ لم تفعل هذا واحقٌ في يدك . فقال
علىٰ : يابنُ الـكَوَاء ، إنما الجوابُ بعد الفراغ ، أفرغت فأجيبيك ؟ قال : نعم .
قال علىٰ : أما قتالك معى عدوًّا لا نشك في جهاده ، فصدقْتَ ، ولو شَكْكَتْ
فيهم لم أقاتلهم . وأما قتلنا وقتلامهم ، فقد قال الله في ذلك ما يُستغنى به عن
قولي ؛ وأما إرسالي المُنَاوِق وتحكيمى الـكافر ، فأنت أرسلتَ أباً موسى
مُبرنساً ، ومعاوية حَكْمَ عمرًا ، أتيت بأباً موسى مُبرنساً ، فقلت : لأنَّ رضيًّا
إلا أباً موسى ، فهلا قام إلىٰ رجل منكم ؟ فقال : يا علىٰ ، لا نعطي هذه الدنيا
فإنها ضلاله . وأما قولى لمعاوية : إن جَرَّنِي إليك كتابُ الله تَبِعْتُك ، وإنْ

(١) فـ بعض الأصول : «وضعا». (٢) فـ بعض الأصول : «من».

جرَّكَ إِلَيَّ تَبَعَّتِي . زَعَمْتَ أَنِّي لَمْ أُعْطِ ذَلِكَ إِلَّا مِنْ شَيْكَ ، فَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ أَوْنَاقَ
 مَا فِي يَدِكَ هَذَا الْأَمْرُ ، خَلْدَتِي وَيَحْكُمُ عَنِ الْيَهُودِيِّ وَالْفَصْرَانِيِّ وَمُشْرِكِ الْعَرَبِ ،
 أَهُمْ أَقْرَبُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ أَمْ مَعَاوِيَةُ وَأَهْلُ الشَّامِ ؟ قَالَ : بَلْ مَعَاوِيَةُ وَأَهْلُ الشَّامِ
 أَقْرَبُ . قَالَ عَلَيْهِ : أَفَرِسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ أَوْنَاقَ بَمَا فِي يَدِيهِ مِنْ
 كِتَابِ اللَّهِ أَوْ أَنَا ؟ قَالَ : بَلْ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ : أَفَرَأَيْتَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
 حِينَ يَقُولُ : (قُلْ وَأَتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَبْعَثُهُ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ) . أَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا يُؤْتَى بِكِتَابٍ هُوَ أَهْدَى مِمَّا فِي يَدِيهِ ؟
 قَالَ : بَلِي . قَالَ : فَلِمَ أَعْطَى رَسُولُ اللَّهِ الْقَوْمَ مَا أَعْطَاهُمْ ؟ قَالَ : إِنْصَافًا وَحُجَّةً .
 قَالَ : فَإِنِّي أَعْطَيْتُ الْقَوْمَ مَا أَعْطَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ . قَالَ إِنَّ السَّكُوَاءَ : فَإِنِّي
 أَخْطَأْتُ ، هَذِهِ وَاحِدَةٌ ، زَرْدَنِي . قَالَ عَلَيْهِ : فَمَا أَعْظَمُ مَا نَقْمَتَ عَلَيَّ ؟ قَالَ :
 تَحْكِيمُ الْحَكَمَيْنِ ، نَظَرْنَا فِي أَمْرِنَا فَوَجَدْنَا تَحْكِيمَهُمَا شَكَّاً وَتَبَذِيرًا . قَالَ عَلَيْهِ :
 فَهَنَئْتُ أَبُو مُوسَى حَكَمًا : حِينَ أُرْسَلَ ، أَوْ حِينَ حَكَمَ ؟ قَالَ : حِينَ أُرْسَلَ .
 قَالَ : أَلِيسْ قَدْ سَارَ وَهُوَ مُسْلِمٌ ، وَأَنْتَ تَرْجُو أَنْ يَحْكُمَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ ؟ قَالَ : نَعَمْ .
 قَالَ عَلَيْهِ : فَلَا أَرَى الضَّلَالَ فِي إِرْسَالِهِ . فَقَالَ إِنَّ السَّكُوَاءَ : سُمَّى حَكَمًا حِينَ
 حَكَمَ . قَالَ : نَعَمْ ، إِذَا فَارَسَ اللَّهُ كَانَ عَدْلًا . أَرَأَيْتَ يَابِنَ السَّكُوَاءِ لَوْ أَنَّ
 رَسُولَ اللَّهِ بَعَثَ مُؤْمِنًا إِلَى قَوْمٍ مُشْرِكِينَ يَدْعُوهُمْ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ، فَارْتَدَّ عَلَى عَقْبِهِ
 كَافِرًا ، كَانَ يَضْرُبُ نَبِيَّ اللَّهِ شَيْئًا ؟ قَالَ : لَا . قَالَ عَلَيْهِ : فَمَا كَانَ ذَنْبِي أَنْ كَانَ
 أَبُو مُوسَى ضَلَّ ، هَلْ رَضِيتُ حَكْمَتِهِ حِينَ حَكَمَ ، أَوْ قَوْلَهُ إِذَا قَالَ ؟ قَالَ
 إِنَّ السَّكُوَاءَ : لَا ، وَلَكَفَكَ جَعَلَتْ مُسْلِمًا وَكَافِرًا يَحْكَمَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ .
 قَالَ عَلَيْهِ : وَيَلْكَ يَابِنَ السَّكُوَاءِ ! هَلْ بَعَثَ عَمْرًا غَيْرَ مَعَاوِيَةَ ، وَكَيْفَ أَحْكَمَهُ
 وَحْكَمَهُ عَلَى ضَرْبِ عُنْقِي ؟ إِنَّمَا رَضِيَ بِهِ صَاحِبُهُ كَمَا رَضِيتَ أَنْتَ بِصَاحِبِكَ ،
 وَقَدْ يَجْتَمِعُ الْمُؤْمِنُ وَالْكَافِرُ يَحْكَمَانِ فِي أَمْرِ اللَّهِ . أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا مُؤْمِنًا
 تَزَوَّجَ يَهُودِيَّةً أَوْ نَصَارَائِيَّةً فَخَافَا شِقَاقُ بَيْنَهُمَا ، فَفَرَّغَ النَّاسُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ ،

وَفِي كِتَابِهِ (فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا) فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ
أَوْ رَجُلٌ مِنَ النَّصَارَى وَرَجُلٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَجُوزُ لَهُمَا أَنْ يَحْكُمَا فِي كِتَابِ اللَّهِ،
فَحَكَمَا . قَالَ ابْنُ السَّكُوَاءَ : وَهَذِهِ أَيْضًا ، أَمْهِلْنَا حَتَّى نُنْظَرْ . فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ
عَلَىٰ . فَقَالَ لَهُ صَعْصَعَةُ بْنُ صُوحَانَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَئْذِنْ لِي فِي كَلَامِ الْقَوْمِ .
٥ قَالَ : نَعَمْ ، مَا لَمْ تَبْسُطْ يَدَّاً . قَالَ : فَنَادَى صَعْصَعَةَ ابْنَ السَّكُوَاءَ ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ ،
فَقَالَ : أَنْشُدْكُمْ بِاللَّهِ يَا مَعْشِرَ الْخَارِجِينَ أَلَا تَكُونُوا عَارِينَ عَلَىٰ مَنْ يَغْزُو لَغِيرَهُ ،
وَأَلَا تَخْرُجُوا بِأَرْضِ تُسْمِّوَا بِهَا بَعْدَ الْيَوْمِ ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا ضَلَالَ الْعَامِ خَشِيَّةَ
ضَلَالِ عَامِ قَابِلِ . فَقَالَ لَهُ ابْنُ السَّكُوَاءَ : إِنَّ صَاحِبَكَ لَقِيمَا بِأَمْرِ قَوْلَكَ فِيهِ
صَغِيرٌ ، فَأَمْسِكْ .

١٠ قَالُوا : إِنَّ عَلَيْنَا خَرْجٌ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ فَخَرَجَ إِلَيْهِ ابْنُ السَّكُوَاءَ ، فَقَالَ لَهُ
عَلَىٰ : يَا ابْنَ السَّكُوَاءَ ، إِنَّهُ مَنْ أَذْنَبَ فِي هَذَا الدِّينِ ذَنْبًا يَكُونُ فِي الْإِسْلَامِ
حَدَّثًا أَسْتَقْتِبَاهُ مِنْ ذَلِكَ الذَّنْبِ بِعِينِهِ ، وَإِنْ تَوَبَّتْكَ أَنْ تَعْرَفَ هُدًى مَا خَرَجْتَ
مِنْهُ وَضَلَالَ مَا دَخَلْتَ فِيهِ . قَالَ ابْنُ السَّكُوَاءَ : إِنَّا لَا نُنْكِرُ أَنَا قَدْ فَتَنَّا .
فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَبْنُ جُرْمُوزَ : أَدْرَكْنَا وَاللَّهُ هَذِهِ الْآيَةُ (أَلَمْ أَحَسِّبْ
١٥ النَّاسُ أَنْ يُتَرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفَتَّنُونَ) . وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ مِنْ قَرَّاءِ
أَهْلِ حَرَّ وَرَاءَ ، فَرَجَعُوا فَصَلَوَوا خَلْفَ عَلَيِّ الظَّهِيرَ ، وَأَنْصَرُوهُمْ إِلَيْهِ السَّكُوفَةَ ،
ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَ ذَلِكَ فِي رَجْعِهِمْ ، وَلَامَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا . فَقَالَ زِيدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ
الرَّأْسِيُّ ، وَكَانَ مِنْ أَهْلِ حَرَّ وَرَاءَ ، يُشَكِّلُهُمْ :

٢٠ شَكَّلْتُمْ وَمِنْ أَرْسَى ثِيرَانَ مَكَانَهُ وَلَوْلَمْ تَشَكَّلُوا مَا انتَدَيْتُمْ عَنِ الْحَرْبِ
وَتَحْكِيمُكُمْ عَمَرًا عَلَىٰ غَيْرِ تَوْبَةِ وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ خَطْبَانًا مِنَ الْخَطْبَ
فَأَنْكَصَهُ لِلْعَقْبِ لِمَا خَلَّ بِهِ فَأَصْبَحَ يَهُوَيِّ مِنْ ذُرَىٰ حَالِقَ صَعْبَ
وَقَالَ الرَّيَاحِيُّ :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ حُكْمَهُ وَعَمِرُو وَعَبْدُ اللَّهِ مُخْتَلِفَانِ

٢٩٥
٢

وقال مُسلم بن يَزِيد الثَّقْفِي ، وَكَانَ مِن عُبَاد حَرْوَاء :

وَإِن كَانَ مَا عَيْنَاهُ عَيْنِيَا خَسِبْنَا خَطَايَا بِأَخْذِ الْفَحْصِ مِنْ غَيْرِ نَاصِحٍ
وَإِن كَانَ عَيْنِيَا فَأَعْظَمْنَا بِتَرْكِنَا عَلَيْنَا عَلَى أَمْرٍ مِنَ الْحَقِّ وَاضْجَعْنَا
وَنَحْنُ أَنْاسٌ بَيْنَ بَيْنَ وَعْلَنَا سُرْرَنَا بِأَمْرٍ غَيْرِهِ غَيْرُ صَالِحٍ
ثُمَّ خَرْجُوا عَلَى عَلَى فَقْتَاهُم بِالنَّهْرِ وَانْ

٥

خروج عبد الله بن عباس على على

قال أبو بكر بن أبي شيبة : كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ مِنْ أَحْبَبِ النَّاسِ إِلَيْهِ
عُمَرُ بْنُ الْخَطَابِ ، وَكَانَ يُقْدِمُهُ عَلَى الْأَكْبَرِ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ،
وَلَمْ يَسْتَعْمِلْهُ قَطُّ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : كَذَّتْ أَسْتَعْمِلُكَ وَلَكِنْ أَخْشَى أَنْ تَسْتَحْلِ
الْفِيَّ عَلَى التَّأْوِيلِ . فَلَمَّا صَارَ الْأَمْرُ إِلَى عَلَى أَسْتَعْمِلَهُ عَلَى الْبَصَرَةِ . فَاسْتَحْلَ
الْفِيَّ عَلَى تَأْوِيلِ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى (وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ مُخْسِنُهُ
وَلَرَسُولُ وَلِيْدِي الْقُرْبَى) ، وَاسْتَحْلَهُ مِنْ قَرَابَتِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

وروى أبو مخنف عن سليمان بن أبي راشد عن عبد الرحمن بن عبيدة قال :
١٥ مَرَّ ابْنُ عَبَّاسٍ عَلَى أَبِي الْأَسْوَدِ الدُّؤْلِيَّ فَقَالَ لَهُ : لَوْ كَنْتَ مِنَ الْبَهَائِمِ لَكَفَتَ
بَجْلَانَ ، وَلَوْ كَنْتَ رَاعِيًّا مَا بَلَغَتِ الْمَارْعَى^(١) . فَكَتَبَ أَبُو الْأَسْوَدِ إِلَى عَلَى :
أَمَا بَعْدَ . فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ وَالِيَّا مُؤْتَهْنًا ، وَرَاعِيًّا مَسْئُولًا ، وَقَدْ بَلَوْنَاكَ ، رَحِمْكَ
اللَّهُ ، فَوْجَدْنَاكَ عَظِيمَ الْأَمَانَةِ ، نَاصِحًا لِلْأَمَمَةِ ، تُوَفَّرْ لَهُمْ فِيهِمْ ، وَتَكْفَ نَفْسَكَ
عَنْ دُنْيَاهُمْ ، فَلَا تَأْكُلُ أَمْوَالَهُمْ ، وَلَا تَرْتَشِي بَشَّيْهِ فِي أَحْكَامِهِمْ . وَابْنُ عَمِّكَ
٢٠ قَدْ أَكَلَ مَا تَحْتَ يَدِيهِ مِنْ غَيْرِ عِلْمِكَ ، فَلَمْ يَسْعَنِي كَتْمَانُكَ ذَلِكَ . فَانظُرْ ،
رَحِمْكَ اللَّهُ ، فِيهَا هَذَا الْكَثُرَ ، وَأَكْتَبْ إِلَيْهِ بِرَأْيِكَ ، فَمَا أَحْبَبْتَ أَتَبِعْهُ إِنْ
شَاءَ اللَّهُ . وَالسَّلَامُ .

(١) وزاد الطبرى على هذا : « ولا أحسنْتْ مَهْنَتَهِ فِي الْمَشْيِ » .

فـكـتـبـ إـلـيـهـ عـلـىـ : أـمـاـ بـعـدـ . فـثـلـكـ نـصـحـ الـإـمـامـ وـالـأـمـةـ ، وـوـالـىـ عـلـىـ الـحـقـ ، وـفـارـقـ الـجـلـوـرـ . وـقـدـ كـتـبـتـ اـصـاحـبـكـ بـمـاـ كـتـبـتـ إـلـىـ فـيهـ ، وـلـمـ أـعـلـمـ بـكـتـابـكـ إـلـىـ . فـلـاـ تـدـعـ إـعـلـامـيـ مـاـ يـكـوـنـ بـحـضـرـتـكـ مـاـ النـظـرـ فـيـهـ الـأـمـةـ صـلـاحـ ، فـإـنـكـ بـذـلـكـ جـدـيرـ ، وـهـوـ حـقـ وـاجـبـ اللـهـ عـلـيـكـ . وـالـسـلـامـ .

٥ وـكـتـبـ عـلـىـ إـلـيـهـ اـبـنـ عـبـاسـ : أـمـاـ بـعـدـ . فـإـنـهـ قـدـ بـلـغـنـيـ عـنـكـ أـمـرـ بـانـ كـنـتـ فـعـلـتـهـ وـقـدـ أـسـخـطـتـ اللـهـ ، وـأـخـرـبـتـ أـمـانـتـكـ ، وـعـصـيـتـ إـمـامـكـ ، وـخـنـتـ مـسـلـهـيـنـ . بـلـغـنـيـ أـنـكـ خـرـبـتـ الـأـرـضـ ، وـأـكـلـتـ مـاـ تـحـتـ يـدـكـ . فـأـرـفـعـ إـلـىـ حـسـابـكـ ، وـأـعـلـمـ أـنـ حـسـابـ اللـهـ أـعـظـمـ مـنـ حـسـابـ النـاسـ . وـالـسـلـامـ .

٦ وـكـتـبـ إـلـيـهـ اـبـنـ عـبـاسـ : أـمـاـ بـعـدـ . فـإـنـ كـلـ الـذـيـ بـلـغـكـ بـاطـلـ ، وـأـمـانـتـاـ تـحـتـ يـدـيـ ضـابـطـ ، وـعـلـيـهـ حـافـظـ ، فـلـاـ تـصـدـقـ عـلـىـ الـظـنـيـنـ .

٧ فـكـتـبـ إـلـيـهـ عـلـىـ : أـمـاـ بـعـدـ . فـإـنـهـ لـاـ يـسـعـنـيـ تـرـكـكـ حـتـىـ تـعـلـمـنـيـ مـاـ أـخـذـتـ مـنـ الـجـزـيـةـ مـنـ أـيـنـ أـخـذـتـهـ ، وـمـاـ وـضـعـتـ مـنـهـ أـيـنـ وـضـعـتـهـ . فـاتـقـ اللـهـ فـيـمـاـ أـنـقـمـتـكـ عـلـيـهـ وـأـسـتـرـعـيـتـكـ إـيـاهـ ، فـإـنـ الـمـتـاعـ بـمـاـ أـنـتـ رـازـمـهـ^(١) قـلـيـ ، وـتـبـعـاتـهـ وـبـيـلـةـ لـاـ تـبـيـدـ . وـالـسـلـامـ .

٨ فـلـمـ رـأـيـ أـنـ عـلـيـاـ غـيـرـ مـقـلـعـ عـنـهـ ، كـتـبـ إـلـيـهـ : أـمـاـ بـعـدـ . فـإـنـهـ بـلـغـنـيـ تـعـظـيـمـكـ عـلـىـ مـرـزـنـةـ مـالـ بـلـغـكـ أـنـ رـزـأـتـهـ^(٢) أـهـلـ هـذـهـ الـبـلـادـ . وـأـيـمـ اللـهـ ، لـأـنـ أـلـقـيـ اللـهـ بـمـاـ فـيـ بـطـنـ هـذـهـ الـأـرـضـ مـنـ عـقـيـانـهـ^(٣) وـمـخـبـنـهـ ، وـبـمـاـ عـلـىـ ظـهـرـهـاـ مـنـ طـلـاعـهـ^(٤) ذـهـبـاـ ، أـحـبـ إـلـىـ مـنـ أـلـقـيـ اللـهـ وـقـدـ سـفـكـتـ دـمـاءـ هـذـهـ الـأـمـةـ لـأـنـالـ بـذـلـكـ الـلـكـ وـالـإـمـرـةـ . أـبـعـثـ إـلـىـ عـمـلـكـ مـنـ أـحـبـتـ فـإـنـيـ ظـاءـعـنـ . وـالـسـلـامـ .

٩ فـلـمـ أـرـادـ عـبـدـ اللـهـ الـمـسـيـرـ مـنـ الـبـصـرـةـ دـعـاـ أـخـوـالـهـ بـنـ هـلـالـ بـنـ عـاصـيـ بـنـ

(١) رـازـمـهـ ، أـيـ جـامـعـهـ .

(٢) يـقـالـ : رـزـأـ الـمـالـ رـزـءـاـ وـمـرـزـنـةـ ، إـذـا أـصـابـ مـنـهـ شـيـئـاـ .

(٣) الـعـقـيـانـ (بـالـكـسـرـ) : الـذـهـبـ .

(٤) طـلـاعـ الشـيـ . (كـتـنـابـ) : مـلـوـهـ .

صَحَّصَهُ لِيَنْعُوهُ . فَجَاءَ الضَّحَّاكَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْمَلَائِيُّ فَأَجَارَهُ ، وَمَعَهُ رَجُلٌ مِّنْهُمْ
 يَقَالُ لَهُ : عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَزِينَ^(١) . وَكَانَ شِجَاعًا بَئِيسًا ، فَقَالَتْ بَنْوَهَلَلُ : لَا غَنِيٌّ
 بِنَاعِنَ هَوَازِنَ . فَقَالَتْ هَوَازِنَ : لَا غَنِيٌّ بِنَاعِنَ بْنِ سُلَيْمَ . ثُمَّ أَتَتْهُمْ قَيْسُ . فَلَمَّا
 رَأَى اجْتِمَاعَهُمْ لَهُ حَمَلَ مَا كَانَ فِي بَيْتِ مَالِ الْبَصَرَةِ ، وَكَانَ فِيمَا زَعْمَوا سِتَّةَ آلَافَ
 أَلْفَ ، فَجَعَلَهُ فِي الْغَرَائِرِ .

٥
 قال : خَدَّشَنِي الْأَزْرَقُ الْيَشْكُرِيُّ ، قال : سَمِعْنَا أَشْيَاخَنَا مِنْ أَهْلِ الْبَصَرَةِ
 قَالُوا : لِمَا وَضَعَ الْمَالَ فِي الْغَرَائِرِ ثُمَّ مَضَى بِهِ ، تَبَعَّثَهُ الْأَخْنَاسُ^(٢) كُلُّهَا بِالْأَطْفَالِ ،
 عَلَى أَرْبَعِ فَرَاسِخٍ مِنْ الْبَصَرَةِ ، فَوَاهَقُوهُ . فَقَالَتْ لَهُمْ قَيْسُ : وَاللَّهِ لَا تَصْلُوا إِلَيْهِ
 وَمَنَا عَيْنُ تَطْرُفُ . فَقَالَ ضَمْرَةُ ، وَكَانَ رَأْسَ الْأَزْدَ : وَاللَّهِ إِنَّ قَيْسًا لِإِخْوَنَنَا
 فِي الإِسْلَامِ ، وَجِيرَانُنَا فِي الدَّارِ ، وَأَعْوَانُنَا عَلَى الْعُدُوِّ . إِنَّ الَّذِي تَذَهَّبُونَ بِهِ
 ١٠
 الْمَالَ ، لَوْرُدَ عَلَيْكُمْ لَكَانَ نَصِيبُكُمْ مِنْهُ الْأَقْلَلُ ، وَهُمْ خَيْرُ لِكُمْ مِنْ الْمَالِ . قَالُوا :
 فَمَا تَرَى ؟ قَالَ : انْصِرُوهُمْ . فَقَالَتْ بَكْرُ بْنُ وَائِلٍ وَعَبْدُ الْقَيْسِ : نَعَمْ الرَّأْيُ
 رَأَى ضَمْرَةً ، وَاعْتَزَلُوهُمْ . فَقَالَتْ بَنْوَتِيمْ : وَاللَّهِ لَا تُفَارِقُهُمْ حَتَّى تَقْاتِلُهُمْ عَلَيْهِ .
 فَقَالَ الْأَخْنَفُ بْنُ قَيْسٍ : أَنْتُمْ وَاللَّهِ أَحَقُّ أَلَا تُقْاتِلُوهُمْ عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَرَكْتُهُمْ
 ١٥
 مَنْ هُوَ أَبْعَدُ مِنْكُمْ رَحْمًا . قَالُوا : وَاللَّهِ أَنْقَاتُنَاهُمْ . فَقَالَ : وَاللَّهِ لَا نَعَاوِنُكُمْ^(٣) عَلَى
 قَاتَلَهُمْ ، وَأَنْصِرُوهُمْ . فَقَدِمَ عَلَيْهِمْ ابْنُ الْمُجَاجَةِ^(٤) فَقَاتَلُوهُمْ . فَحَمَلَ عَلَيْهِ الضَّحَّاكُ
 ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ فَطَعَنَهُ فِي كَتْفِهِ فَصَرَّعَهُ ، فَسَقَطَ إِلَى الْأَرْضِ بِغَيْرِ قَتْلٍ . وَحَمَلَ
 سَلْمَةُ بْنُ ذُؤْيِبِ السَّعْدِيِّ عَلَى الضَّحَّاكَ فَصَرَّعَهُ أَيْضًا ، وَكَثُرَتْ بِيَنْهُمُ الْجَرَاحُ
 ٢٠
 مِنْ غَيْرِ قَتْلٍ . فَقَالَ الْأَخْنَاسُ^(٢) الَّذِينَ اعْتَزَلُوا : وَاللَّهِ مَا صَنَعْتُمْ شَيْئًا . اعْتَزَلْتُمْ
 قَاتَلَهُمْ وَتَرَكْتُمُوهُمْ يَتَشَاجِرُونَ . فَجَاءُوا حَتَّى صَرَفُوا وِجْهَهُمْ بَعْضَهُمْ عَنْ بَعْضٍ ،

(١) فِي الأَصْوَلِ هُنَا : « رَزِينُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ » وَمَا أَثَبَنَا مِنَ الطَّبْرِيِّ وَمَا سَيَّأَتِيَ .

(٢) يَرِيدُ أَخْنَاسَ الْبَصَرَةِ ، وَهِيَ خَسْنَةٌ ، فَالْخَسُّ الْأَوَّلُ الْعَالِيَّةُ ، وَالْخَسُّ الثَّانِي بَكْرُ بْنُ
 وَائِلٍ ، وَالْخَسُّ الْثَّالِثُ تِيمٌ ، وَالْخَسُّ الْأَرْبَعُ عَبْدُ الْقَيْسِ ، وَالْخَسُّ الْخَامِسُ الْأَزْدُ .

(٣) كَذَا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ وَالْطَّبْرِيِّ . وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « لَا إِنْشَانِيكُمْ » .

(٤) فِي الأَصْوَلِ : « ابْنُ مَحْدَبَةَ » وَمَا أَثَبَنَا مِنَ الطَّبْرِيِّ .

وقالوا لبني تميم : والله إن هذا اللؤم قبيح ، لنحن أنسخى أنفسنا منكم حين تركنا أموالنا لبني عمكم ، وأتتم تقاضاً لونهم عليها ، خلوا عنهم وأرواحهم ، فإن القوم قد حروا . فانصرفوا عنهم ، ومضى معه ناسٌ من قيس ، فيهم الصحاح بن عبد الله وعبد الله بن رزين ، حتى قدموا الحجاز ، فنزل مكة ، فجعل راجز^١ لعبد الله بن عباس يسوق له في الطريق ويقول :

صَبَّحْتُ مِنْ كاظمةَ الْقَصْرَ الْخَرْبِ^(١) مع ابن عباس بن عبد المطلب

وجعل ابن عباس يرتجز ويقول :

آوى إِلَى أَهْلِكَ يَا زَبَابُ آوى فَقَدْ حَانَ لَكِ الإِيَابُ

وجعل أيضاً يرتجز ويقول :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بَنَا هَمِيسًا إِنْ يَصُدُّ الطَّيْرُ نَنْكِ^(٢) أَمْيَسًا

فقيل له : يا أبا العباس ، أمثلك يزف في هذا الموضع ؟ قال : إنما الرفث

ما يقال عند النساء .

قال أبو محمد : فلما نزل مكة اشتري من عطاء بن جبير مولى بنى كعب ، من جواريه ثلاثة مولدات حجازيات ، يقال لهن : شادن ، وحوراء ، وفتون .

بثلاثة آلاف دينار .

وقال سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن عبيد عن أبي السكنود قال :

كنت من أووان عبد الله بالبصرة ، فلما كان من أمره ما كان أتيت عليه

فأخبرته فقال : (وَاتْلُ عَلَيْهِ نَبَأَ الدِّيْنَاهِ آيَاتِنَا فَإِنْ سَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ

فـكـانـ مـنـ الـغـاوـيـنـ) . ثم كتب معه إليه : أما بعد ، فإني كنت أشركتك

في أمانتي ، ولم يكن من أهل بيتي رجل أوثق عندى منك بمواساتي ومؤازرتى

(١) كاظمة : على سيف البحر من البصرة على مدخلتين . وفيها ركام كثير وما زالت شرubs . ورواية البيهقي في السكون :

صَبَّحْتُ مِنْ كاظمةَ الْخَصْرَ الْخَرْبِ بِجَهْلِنْ عَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَلْبِ

يريد : ابن عباس . وقد ساقه المبرد شاهدا على إقامة العرب المضاف إليه مقام المضاف .

(٢) في عيون الأخبار (ج ١ ص ٣٣١) : « نقل » .

بأداء الأمانة ، فلما رأيتَ الزَّمان قد كَلَبَ عَلَى ابن عمك ، والعدو قد حَرَدَ ،
وأمانة الناس قد خَرَبَتْ ، وهذه الأُمَّةَ قد فُقِنَتْ ، قلبتَ لابن عمك ظهر المجن ،
فقارقتَه مع القوم المُفارقين ، وخدلتَه أسوأ خذلان ، وخُفِّته مع مَنْ خان .

٢٩٧

فلا ابنَ عمك آسِيَتْ ، ولا الأمانة إِلَيْهِ أَدِيَتْ ، كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيْدَنَةٍ مِنْ
رَبِّكَ ، وَإِنَّكَ كَدَتْ أُمَّةً مُحَمَّدًا عَنْ دُنْيَا هُمْ ، وَغَدَرُهُمْ عَنْ فَيَهُمْ . فَلَمَّا أَمْكَنْتَكَ
الْفُرْصَةَ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ ، أَسْرَعْتَ الْغَدَرَةَ ، وَعَالَجْتَ الْوَثْبَةَ ، فَاخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ
عَلَيْهِ مِنْ أُمَوَالِهِمْ ، وَانْقَلَبْتَ بَهَا إِلَى الْحِجَازَ ، كَأَنَّكَ إِنَّمَا حُزِنْتَ عَنْ أَهْلَكَ مِيرَانَكَ
مِنْ أَبِيكَ وَأَمْكَ . سُبْحَانَ اللَّهِ ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ ، أَمَا تَخَافُ الْحِسَابِ ! أَمَا
تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَتَشْرُبُ حَرَامًا ! وَتَشْتَرِي الْإِيمَانَ وَتَنْكِحُهُمْ بِأَمْوَالِ
الْيَقَامِيِّ وَالْأَرَاملِ وَالْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، الَّتِي أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ! فَاتَّقِ اللَّهَ وَأَدِّ
إِلَى الْقَوْمِ أُمَوَالَهُمْ ، فَإِنَّكَ وَاللَّهُ لَئِنْ لَمْ تَفْعُلْ وَأَمْكَنْتَهُمْ مِنْكَ لَا يُعْذِرُنَّ إِلَى اللَّهِ
فِيهِكَ . فَوَاللَّهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعْلَا مِثْلَ الذِّي فَعَلَتْ مَا كَانَتْ لَهَا عِنْدِي
هَوَادَةَ ، وَلَمَا تَرَكْتُهُمَا حَتَّى أَخْذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا . وَالسَّلَامُ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ : أَمَا بَعْدَ . فَقَدْ بَلَغْنِي كِتَابُكَ تُعْظِمُ هَلِّي أُمَانَةَ
الْمَالِ الَّذِي أَصْبَتُ مِنْ بَيْتِ مَالِ الْبَصَرَةِ . وَلِعُمْرِي إِنْ حَقَّ فِي بَيْتِ مَالِ اللَّهِ
أَكْثَرُ مِنَ الذِّي أَخْذَتُ . وَالسَّلَامُ .

١٥

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ عَلَى : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ الْعَجَبَ كُلَّ الْعَجَبِ مِنْكَ ، إِذْ تَرَى
لِنَفْسِكَ فِي بَيْتِ مَالِ اللَّهِ أَكْثَرَ مِمَّا لَوْجَلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، قَدْ أَفْلَحَتْ إِنْ كَانَ
تَهْنِيَكَ الْبَاطِلَ وَأَذْعَاءَكَ مَا لَا يَكُونُ يُنْجِيَكَ مِنَ الْإِنْمَامِ ، وَيُحَلِّ لَكَ مَا حَرَمَ اللَّهُ
عَلَيْكَ . عَمْرُكَ اللَّهُ ! إِنَّكَ لَأَنْتَ الْبَعِيدُ^(١) ، قَدْ بَلَغْنِي أَنَّكَ أَخْذَتَ مَكَةَ وَطَنَّا ،
وَضَرَبْتَ بَهَا عَطْنَا ، تَشْتَرِي الْمُولَدَاتِ مِنَ الْمَدِينَةِ وَالْطَّائِفَ ، وَتَخْتَارُهُنَّ عَلَى
عِينِكَ ، وَتُعْطِي بَهْنَ^(٢) مَالَ غَيْرِكَ . وَإِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ ، مَا أُحِبُّ

(١) أَيُّ الْبَعِيدُ عَنِ الصَّوَابِ . (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَابِ « بَهْنَ » .

أنَّ مَا أَخْذَتَ مِنْ أَمْوَالِهِ لِحَلَالًا أَدْعُهُ مِيراثًا لِّقَبْيٍ . فَمَا بَالِ اغْتِبَاطِكَ بِهِ
تَأْكِلُهُ حَرَامًا ! ضَحْ رُوَيْدًا^(١) . فَكَانَكَ قدْ بَلَغْتَ الْمَدِي ، وَعَرَضْتَ عَلَيْكَ
أَعْمَالَكَ بِالْمَحَلِ الَّذِي يُنَادِي فِيهِ بِالْحَسْرَةِ ، وَيَتَعَنَّى بِالْتُّضِيعِ التَّوْبَةِ ، وَالظَّالِمِ الرَّجْعَةِ .
فَكَتَبَ إِلَيْهِ أَبْنُ عَبَّاسٍ : وَاللَّهِ أَنْ لَمْ تَدْعُنِي مِنْ أَسَاطِيرِكَ لِأَحْلَمْنَاهُ إِلَى
٥ مَعَاوِيَةِ يُقَاتِلُكَ بِهِ . فَكَفَ عَنْهُ عَلَيْهِ .

مقتل على بن أبي طالب رضي الله عنه

سُفيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ قَالَ : كَانَ عَلَيْهِ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، يَخْرُجُ
بِاللَّيلِ إِلَى الْمَسْجِدِ . فَقَالَ أَنَّاسٌ مِنْ أَصْحَابِهِ : نَخْشِي أَنْ يُصِيبَهُ بَعْضُ عَدُوِّهِ ، وَلَكِنْ
تَعَاوَلُوا نَحْرَسَهُ . فَيَخْرُجُ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَإِذَا هُوَ بِنَاهُ ، فَقَالَ : مَا شَأْنُكُمْ ؟ فَكَتَمُنَاهُ .
١٠ فَعَزَمَ عَلَيْنَا . فَأَخْبَرَنَاهُ . فَقَالَ : تَحْرُسُونِي مِنْ أَهْلِ السَّمَاءِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ ؟
قَلَنَا : مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ . قَالَ : إِنَّهُ لَيْسُ يُقْضَى فِي الْأَرْضِ حَتَّى يُقْضَى فِي السَّمَاءِ .
الْتَّيمِيُّ بِإِسْنَادِهِ قَالَ : لَمَّا تَوَاعَدَ أَبْنُ مُلَاجِمَ وَصَاحْبَاهُ بِقَتْلِ عَلَيْهِ مَعَاوِيَةَ
وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ ، دَخَلَ أَبْنُ مُلَاجِمَ الْمَسْجِدَ فِي بُزُوغِ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ ، فَدَخَلَ
فِي الصَّلَاةِ تَطْوِعاً ، ثُمَّ أَفْتَحَ فِي القراءَةِ ، وَجَمِيلٌ يُكَرِّرُ هَذِهِ الْآيَةَ (وَمِنْ
١٥ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ بِتَغْيَيْرِ مَرْضَاهِ اللَّهِ) . فَأَقْبَلَ أَبْنُ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ مِنْخَفَقَةً^(٢) ،
وَهُوَ يُوقَظُ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ ، وَيَقُولُ : أَيْهَا النَّاسُ ، الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ . فَهَرَّ بَابُ مُلَاجِمَ
وَهُوَ يَرْدَدُ هَذِهِ الْآيَةَ ، فَظَنَّ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَنْسَى فِيهَا ، فَفَتَحَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : (وَاللَّهِ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ) . ثُمَّ أَنْصَرَفَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الدَّارَ ، فَأَتَبَعَهُ فَضَرَبَهُ عَلَى
قَرْنَاهُ ، وَوَقَعَ السَّيْفُ فِي الجِدَارِ ، فَأَطْلَارَ فِدْرَةً^(٣) مِنْ آخِرِهِ ، فَأَبْتَدَرَهُ النَّاسُ فَأَخْذُوهُ ،
٢٠ وَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْهُ ، فَجَعَلَ يَقُولُ : أَيْهَا النَّاسُ ، احذِرُوا السَّيْفَ فَإِنَّهُ مَسْمُومٌ .
قَالَ : فَأَتَى بِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ : احْسُوهُ ثَلَاثَةً وَأَطْعُمُوهُ وَاسْقُوهُ ، فَإِنْ أَعْشَ أَرَأَ فِيهِ

(١) ضَحْ ، أَمْرٌ مِنَ التَّضْعِيفِ ، أَيْ لَا تَعْجِلُ فِي ذِبْحِهَا . ثُمَّ اسْتَعْيِدُ فِي النَّهْيِ عَنِ الْعَجْلَةِ فِي الْأَمْرِ .

(٢) المخفقة (مككنسة) : الدرة أو سوط من خشب .

(٣) فِدْرَةٌ ، بالكسر ، أَيْ قَطْمَةٌ .

رأي ، وإن أُمْتَ فاقْتُلُوهُ ولا تُمْثِلُوا به . فهات من تلك الضربة . فأخذه عبد الله
 ٢٩٨ ابن جعفر فقطع يديه ورجليه ، فلم يفزع ، ثم أراد قطع إسانه ففزع . فقيل له :
 لم لم تفزع لقطع يديك ورجليك وفزعـت لقطع إسانك ؟ قال : إنـى أـكرهـ أنـ
 لا تـمـرـ بـيـ سـاعـةـ لـأـذـ كـرـ اللهـ فـيـهاـ . شـمـ قـطـمـواـ إـسـانـهـ وـضـرـبـواـ عـنـقـهـ .

وـتـوجـهـ الـخـارـجـيـ الـآـخـرـ إـلـىـ مـعـاوـيـةـ فـلـيـمـ يـجـدـ إـلـيـهـ سـبـيلاـ . وـتـوجـهـ الثـالـثـ إـلـىـ
 عـمـرـ وـفـوـجـدـهـ قـدـ أـغـفـلـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ فـلـمـ يـخـرـجـ إـلـىـ الصـلـاـةـ ، وـقـدـمـ مـكـانـهـ رـجـلاـ يـقـالـ
 لـهـ خـارـجـةـ ، فـضـرـبـهـ الـخـارـجـيـ بـالـسـيـفـ وـهـوـ يـظـنـهـ عـمـرـ وـبـنـ الـعـاصـ ، فـقـتـلـهـ . فـأـخـذـهـ
 إـلـاـسـ ، فـقـالـوـاـ : قـتـلـتـ خـارـجـةـ . قـالـ : أـوـلـيـسـ عـمـراـ ؟ قـالـوـاـهـ : لـاـ . قـالـ : أـرـدـتـ
 عـمـراـ وـأـرـادـ اللهـ خـارـجـةـ .

وـفـيـ الـحـدـيـثـ : إـنـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ قـالـ لـعـلـىـ : أـلـاـ أـخـبـرـكـ بـأـشـدـ
 النـاسـ عـذـابـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ؟ قـالـ : أـخـبـرـنـيـ يـاـ رـسـوـلـ اللـهـ . قـالـ : فـإـنـ أـشـدـ النـاسـ عـذـابـ
 يـوـمـ الـقـيـامـةـ عـاقـرـ نـاقـةـ ثـمـودـ ، وـخـاصـبـ حـيـقـيـكـ بـدـمـ رـأسـكـ .
 وـقـالـ كـثـيرـ عـزـةـ :

أـلـاـ إـنـ الـأـئـمـةـ مـنـ قـرـيـشـ وـلـاـ عـهـدـ أـرـبـعـةـ سـوـاءـ
 عـلـىـ وـالـثـلـاثـةـ مـنـ بـنـيـهـ هـمـ الـأـسـبـاطـ لـيـسـ بـهـمـ خـفـاءـ
 ١٥ فـسـبـطـ سـبـطـ إـيمـانـ وـبـرـ وـسـبـطـ غـيـبـتـهـ كـرـبـلـاءـ
 وـسـبـطـ لـاـ يـدـوـقـ المـوـتـ حـتـىـ يـقـوـدـ الـحـيـلـ يـقـدـمـهـ الـلـوـاءـ
 تـغـيـبـ لـاـ يـرـىـ عـنـهـ زـمـانـ رـضـوـيـ عـنـهـ عـسـلـ وـمـاءـ

قال الحسن بن علي صبيحة الليلة التي قُتُلَ فيها على بن أبي طالب رضي الله
 الله عنه : حدثني أبي البارحة في هذا المسجد ، فقال : يا بني ، إنـى صـلـيـتـ الـبـارـحةـ
 ٢٠ ما رـزـقـ اللـهـ ، ثـمـ نـمـتـ نـوـمـةـ فـرـأـيـتـ رـسـوـلـ اللـهـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ ، فـشـكـوتـ
 لـهـ مـاـ أـنـاـ فـيـهـ مـنـ مـخـالـفـةـ أـصـحـابـ وـقـلـةـ رـغـبـتـهـ فـيـ الـجـهـادـ ، فـقـالـ لـيـ : اـدـعـ اللـهـ أـنـ
 يـرـيحـكـ مـنـهـ ، فـدـعـوـتـ اللـهـ .

وقـالـ الـحـسـنـ صـبـيـحـةـ تـلـكـ الـلـيـلـةـ : أـيـهـ النـاسـ ، إـنـهـ قـتـلـ فـيـكـ الـلـيـلـةـ رـجـلـ

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَبْعَثُ فِي الْأَرْضِ فَيَقْتُلُهُ حَيْرَ بْنُ عَمِيْمَةَ وَمِسْكَانِيْلُ
عَنْ إِسْرَارِهِ، فَلَا يَنْفَدِي حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لَهُ، مَا تَرَكَ إِلَّا ثَمَانَةَ دِرْهَمٍ مَا يَرْجِعُهُ نَبِيْرُ
لَهُ لِقَاءُ شَاهِدَيْنَ لِأَنَّهُ مُشَاهَدٌ كَمَا يُشَاهَدُ أَنَّهُ كَاشِفٌ؟ لِمَنْ أَنْهَا
خَلَافَةُ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيْهِ
بَعْدَهُ شَهِيْرٌ بْنُ عَلَيْهِ بْنُ عَمِيْمَةَ، لِمَنْ أَنْهَا شَاهِدَيْنَ لِمَنْ أَنْهَا
بَعْدَهُ شَهِيْرٌ بْنُ عَلَيْهِ بْنُ عَمِيْمَةَ، وَأَنَّهُ فَاطِمَةَ بَنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ،
فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةُ أَرْبَعِينَ مِنَ التَّارِيْخِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ لَيْلَةَ عَيْنَ عَيْنَيْسِ: إِنَّ النَّاسَ
قَدْ وَلَوْكَ أَمْرَهُمْ بَعْدَ عَلَيْهِ، فَأَشَدُّ عَنْ عَيْنِكَ، وَجَاهَدَ عَدُوكَ، وَاسْتَرَ
مِنَ الظَّنَنِ ذَنْبِهِ بِمَا لَا يَعْلَمُ دِينَكَ، وَأَسْتَعْمَلَ أَهْلَ الْمَبِيَوتَاتَ تَسْتَرِّعَ
عَشَارَهُمْ.
عَلَيْهِ حَالَةٌ عَذَابِيَّةٌ أَنَّ يَكُونَ أَنْهَى عَوْنَانَ
مَا لَمْ يُؤْمِنْ اجْتَمَعَ الْحَسَنُ بْنُ عَلَيْهِ وَمَعَاوِيَةَ بْنَ مَسْكِنَةَ مِنْ أَرْضِ السَّوَادِ مِنْ نَاحِيَةِ
الْأَنْبَارِ، وَأَصْطَلَاهَا، وَسَلَّمَ الْحَسَنُ الْأَمْرَ إِلَى مَعَاوِيَةَ، وَذَلِكَ فِي شَهْرِ حِجَادِيِّ
الْأُولَى سَنَةً إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ، وَيُسَمَّى عَامُ الْجَمَاعَةِ. فَكَانَتْ وِلَايَةُ الْحَسَنِ سَبْعَةَ
أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ، وَمَاتَ الْحَسَنُ فِي الْمَدِيْنَةِ سَنَةً تِسْعَ وَأَرْبَعِينَ، وَهُوَ ابْنُ سَتِّ
وَأَرْبَعِينَ سَنَةً. وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ سَعِيْدُ بْنُ الْعَاصِ، وَهُوَ وَالِيُّ الْمَدِيْنَةِ، وَأَوْصَى أَنْ
يُدُفَنَ مَعَ جَدِّهِ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ، فَنَعَّمَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَسَنَ فِرْدَوْسَ إِلَى الْمَقِيْمَةِ
عَلَيْهِ وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ لِمَرْوَانَ: عَلَامَ تَمْنَعُ أَنْ يُدُفَنَ مَعَ جَدِّهِ؟ فَلَقَدْ لَمْ يَهْدُ لَنِفَاعِ
سَمْعَتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ سَيِّدُنَا شَهِيْرَ
أَهْلَ الْجَنَّةِ. فَقَالَ لَهُ مَرْوَانَ: لَقَدْ ضَيْعَ [الله] حَدِيْثَ وَبَيْهِ إِذْ لَمْ يَرْمُوهُ غَيْرُكَ.
قَالَ: أَمَا إِنَّكَ إِذْ قَلْتَ ذَلِكَ لَقَدْ صَحَّبْتَهُ حَتَّى عَرَفْتَ مَنْ أَحَبَّتَ وَمَنْ أَبْغَضَتَ، وَمَنْ
رَفَقَ وَمَنْ أَفْرَقَ، وَمَنْ دَعَا لَهُ وَمَنْ دَعَا عَلَيْهِ.
وَلَمَّا بَلَغَ مَعَاوِيَةَ مَوْتَ الْحَسَنِ بْنِ عَلَيْهِ حَرَمَ سَاجِدًا لِلَّهِ، ثُمَّ أُرْسَلَ إِلَى أَبْنِ
عَيْنَيْسِ، وَكَانَ مَعَهُ فِي الشَّامِ، فَعَزَّاهُ وَهُوَ مُسْتَقْبَلُ، وَقَالَ لَهُ: أَبْنَ كَمْ حَسَنَةَ مَاتَ أَبُو مُحَمَّدَ؟
فَقَالَ لَهُ: سَيِّنَهُ كَانَ يُسَمِّعُ فِي قُرْيَشٍ، فَالْعَجِيبُ مِنْ أَنْ يَجْهَلَهُ مَثْلُكَ! قَالَ: بِلَفْغِي

أنه ترك أطفالاً صغاراً . قال : كُلُّ ما كان صغيراً يَكْبُرُ ، وإن طِلْفَنَا لَكَفِلُ ،
وإن صغيرنا لَكَبِيرٌ . ثم قال : مالي أراك يا معاوية مُسْتَبْشِراً بِمُوتِ الْحَسَنِ
ابنِ عَلِيٍّ ؟ فَوَاللهِ لَا يَنْسَا فِي أَجْلَكَ ، وَلَا يَسْدُدُ حُفْرَتَكَ ، وَمَا أَقْلَى بِقَاءَكَ وَبِقَاءَنَا
بَعْدَهُ . ثم خرج ابن عباس ، فبعث إِلَيْهِ معاوية ابْنَهُ يَزِيدَ ، فَقَعَدَ بَيْنَ يَدِيهِ فَعَزَّاهُ
وَأَسْتَعْبرُ بِمُوتِ الْحَسَنِ ، فَلَمَّا ذَهَبَ أَتَيَهُ ابْنُ عَبَامَى بَصَرَهُ ، وَقَالَ : إِذَا ذَهَبَ
آلُّ حَرَبِ ذَهَبَ الْحِلْمُ مِنَ النَّاسِ .

ثم اجتمع النَّاسُ عَلَى معاوية سَنَةَ إِحدى وَأَرْبَعينَ ، وَهُوَ عَامُ الجَمَاعَةِ ،
فِي ابْيَاعِهِ أَهْلُ الْأَمْصَارِ كُلُّهُمَا ، وَكَتَبَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَسَنِ كِتَابًا وَشَرْوَطَةً ، وَوَصَّلَهُ
بِأَرْبَعينَ أَلْفًا . وَفِي رِوَايَةِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي شَيْبَةَ أَنَّهُ قَالَ لِهِ : وَاللهِ لَا جَيْزَنِكَ
بِجَمِيعِهِ مَا أَجْزَتُ بِهَا أَحَدًا قَبْلَكَ ، وَلَا أُجَيِّزُ بِهَا أَحَدًا بَعْدَكَ ، فَأَسْرَهُ
بِأَرْبَعينَ أَلْفَ .

خلافة معاوية

هو معاوية بن أبي سفيان بن حَرَبِ بْنِ أُمِّيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ .
وَكُفْيَقَهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، وَأُمُّهُ هَنْدُ بَنْتُ عُثْمَانَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ .
وَمَاتَ مُعاوِيَةَ بِدِمْشَقِ يَوْمَ الْخَيْسِ لِثَانِي بَقِيَّتِهِ مِنْ رَجَبِ سَنَةِ مَقْتِيَّنِ ، وَصَلَّى عَلَيْهِ
الضَّحَّاكُ بْنُ قَدِيسٍ ، وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ سَنَةً ، وَيُقَالُ ابْنُ ثَانِيَّنِ سَنَةً .
كَانَتْ وَلَايَتُهُ تِسْعَ عَشْرَةَ مِنْهُ وَتِسْعَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ وَعَشْرِينَ يَوْمًا . صَاحِبُ
شَرْطَتِهِ يَزِيدُ بْنُ الْحَارِثِ الْعَدْسِيِّ . وَعَلَى حَرَسِهِ — وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ حَرَسًا —
رَجُلٌ مِنَ الْمَوَالِيِّ يُقَالُ لَهُ الْخَتَارُ . وَحَاجِبُهُ سَعْدٌ ، مَوْلَاهُ . وَعَلَى الْقَضَاءِ أَبُو إِدْرِيسِ
الْخَوَّلَانِيِّ . وَوَلَدُهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ وَعَبْدُ اللهِ ، مِنْ فَاقِهَةَ بَنْتِ قَرْظَةِ^(١) . أَمَّا عَبْدُ الرَّحْمَنِ
فَمَاتَ صَغِيرًا ، وَأَمَّا عَبْدُ اللهِ فَمَاتَ كَبِيرًا ، وَكَانَ ضَعِيفًا وَلَا عَقْبَ لَهُ مِنَ الذِّكْرِ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « قَرْظَةٌ » .

وكان له بنت يقال لها عاتكة ، تزوجها يزيد بن عبد الملك ، وفيما يقول الشاعر^(١) :
يا بيت عاتكة الذي أتعزل حذر العدا وبه الفؤاد موكلا^(٢)
ويزيد بن معاوية ، وأمه أبنة بحدل^(٣) ، كلبيية .

فضائل معاوية

ذكر عمرو بن العاص معاوية فقال : احضروا قرم^(٤) قريش وأبن كريها ،
من يضحك عذ الفضب ، ولا ينام إلا على الرضا ، ويتفاول ما فوقه من تحبه .
سئل عبد الله بن عباس عن معاوية ، فقال : سما بشيء أمره ، وأستظره
عليه بشيء ، خاول ما أمر بما أعلم فناله . كان حلمه قاهراً لفضبه ،
وجوده غالباً على مفعه ، يصل ولا يقطع ، ويجمع ولا يفرق ، فاستقام له أمره ،
وجري إلى مده . قيل : فأخبرنا عن ابنه . قال : كان في خير سبطه ، وكان
أبوه قد أحكمه ، وأمره ونهاه ، فتملىء بذلك ، وسلك طريقة مذلة .

وقال معاوية : لم يكن في الشباب شيء إلا كان من فيه مسقمع ، غير
أنى لم يكن صرعة ولا نكحة^(٥) ولا سببا .
قال الأصمي : السب : كثير الشباب .

(١) الشاعر هو الأحوص بن محمد الأنصاري . وهذا البيت مطلع قصيدة له مدح بها هجر
ابن عبد العزيز في عرض قصيدة اسلام ابن أبي دبائل التي يقول فيها :
يا بيت خنساء الذي أتعزل ذهب الشباب وحبه لا يذهب
انظر الأغاني (ج ١٨ ص ١٩٥) طبعة بلاط .

(٢) عاتكة ، قيل عجوز كبيرة ، وقبل هي عاتكة بنت عبد الله بن معاوية . وروى
إسحاق بن عبد الملك أن الأحوص كان لينا وأن عاتكة التي كان يشتبه بها
ليست عاتكة بنت عبد الله بن معاوية إنما هو رجل كان ينزل قري كانت بين
الأشراف كفي عنه بعاتكة . وأنزعله : أتعزله ، وأكون معزلا عنه . (انظر الأغاني)
(٣) هي ميسون بنت بحدل .

(٤) كذلك في بعض الأصول . وفي عيون الأخبار (ج ١ ص ٩) : « آدم » . وانظر
الخبر (ج ١ ص ٢٩) من هذه الطبعة . والذى في سائر الأصول : « ذم » .

(٥) الصرعة (كهمزة) : من يصرع الناس . (وبالضم) : من يصرعه الناس . والنكحة
(كهمزة) : السكينة النكاح .

ميمون بن مهران قال : كان أول من جلس بين الخطيبين معاوية ، وأول من وضعت شرف العطا ، ألفين معاوية .
وقال معاوية : لازلت أطمع في الخلافة منذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معاوية ، إذا ملكت فأحسن .

العمتي عن أبيه قال : قال معاوية لقريش : ألا أخبركم عن وعنكم ؟ قالوا : بلى . قال : فاتنا أطيب إذا وقتم ، وأفع إذا طرتم ، ولو وافق طيراني طيرانكم سقطنا جميعاً .

قال معاوية : لو أن يبني وبين الناس شعرة مما اقطعتم أبداً . قيل له : وكيف ذلك ؟ قال : كنت إذا مدوها أرحيتها ، وإذا أرخوها مددتها .

وقال زياد : ما غلبني أمير المؤمنين معاوية قط إلا في أمر واحد ، طلبته رجلاً من عماله كسر على الخراج فاجأ إليه ، فكتب إليه : إن هذا فساد عملي وعملك . فكتب إلى : إنه لا ينبعى لثائني أسومن الناس مدينه واحدة ، لا تلين جيئها في يرجح الناس في المضي ، ولا ناشئته جيئها فتجعل الناس على الملك ، ولكن تكون أنت للشدّة والفظاظة والغلاظة ، وأكون أنا للرأفة والرحمة .

أخبار معاوية

قدم معاوية المدينة بعد عام الجماعة ، فدخل دار عثمان بن عثمان ، فصاحت عائشة بنت عثمان وبكت ونادت أباها . فقال معاوية : يا بنته أخي ، إن الناس أطعوننا طاعة وأعطيناهم أماناً ، وأظهروا لهم حلمنا تحته عصب ، وأظهروا لنا دللاً تحته حقد ، ومع كل إنسان سيفه ، ويرى موضع أصحابه ، فإن نكثناهم ننكثوا بنا ، ولا ندرى أعلمينا تسكون أم لنا . لأن تسكوني أبنة عم أمير المؤمنين خير من أن تسكوني أمراة من عرض الناس .

القيحدمي قال : لما قدم معاوية المدينة قال : أئم الناس ، إن أبا بكر رضى الله عنه لم يرد الدنيا ولم ترده ، وأما عمر فآرادته ولم يردها ، وأما عثمان

فقال منها ونالت منه ، وأما أنا فحالت في وملتُ بها ، وأنفَلْ بِهَا ، فهى أبى وأنا
ابنها ، فإن لم تجدوني خيراً كم ما أنا خير لكم . ثم نزل .

قال جواد بن أسماء قال بشر بن أرطاة^(١) من على بن أبي طالب هند
معاوية ، وزيد بن عمر بن الخطاب جالس ، فعلا بشر بأحق شجرة ، فقال
معاوية : يازيد ، عمدت إلى شيخ قريش وسيد أهل الشام فصربيه ! وأقبل
على بشر وقال : تشتمني علياً وهو جده وأبوه الفاروق على رؤوس الناس ! أفكنت
ترأه بصير على شتم علي ! وكانت أم زيد أم كلثوم بنت على بن أبي طالب .

ولما قدم معاوية مكة ، وكان عمر قد استعمله عليهما ، دخل على أمه هند ،
فقالت له : يا بني . إنه قلما ولدت حرة مثلك ، وقد أستعملك هذا الرجل ،
فأعمل بما وافقه ، أحببت ذلك أم كرهته . ثم دخل على أبيه أبي سفيان ،
فقال له : يا بني . إن هؤلاء الرهط من المهاجرين سبقونا وتأخرنا ، فرقهم سبعة
وقد صدر بنا تأخيرنا ، فصادرنا أتباعاً وصاروا قادة ، وقد قلدوك جسدياً من أمرهم ،
فلا تخالفن رأيهم ، فإنك تجري إلى أمد لم تبلغه ، ولو قد بلغته لتفست فيه .

قال معاوية : فمجبت من اتفاقهما في المعنى على اختلافهما في اللفظ
العقبي عن أبيه : أن عمر بن الخطاب قدم الشام على حمار و معه عبد الرحمن
ابن عوف على حمار ، فتقلاهما معاوية في موكب نبيل ، فجاوز عمر حتى أخبر
فرجع إليه ، فلما قرب منه نزل ، فأعرض عنه عمر ، فجعل يمشي إلى جنبه راجلاً .

قال له عبد الرحمن بن عوف : أتعبت الرجل . فأقبل عليه عمر فقال : يا معاوية ،
أنت صاحب الموكب آتني مع ما بلغني من وقوف ذوى الحاجات ببابك ؟ قال :
نعم يا أمير المؤمنين . قال : ولم ذلك ؟ قال : لأنّي في بلاد لا يمتنع فيها من
جواسيس العدو ، فلا بد لهم مما يرّههم من هيبة السلطان ، فإن أمرت بذلك
أقت عليه ، وإن نهيت عن اتهيمت . قال : لعن كان الذي قلت حقاً فانه رأى
أرب ، وإن كان باطل فانها خدعة أديب ، ولا آمرك به ولا أمرك عنه .

(١) في الأصول : بشر بن أرطاة ، تصحيف (أنظر الطبرى والمغارف) .

فقال عبد الرحمن بن عوف: لحسن ما صدر من هذا الفتى عما أورده فيه . قال : لحسن مصادره وموارده جسمناه ماجسمناه .

وقال معاوية لابن السكوان : يابن السكوان ، أشدق الله ، ما علّمك في ؟
قال : أشدقني الله ! ما أعلمك إلا واسع الدنيا ضيق الآخرة .

ولما مات الحسن بن علي حجج معاوية ، فدخل المدينة وأراد أن يلعن هابيًا

^{٣٠١}
^٢ على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقيل له : إن هاهنا سعد بن أبي وقاص ، ولا تراه يرضى بهذا ، فأبعث إليه وخذ رأيه . فأرسل إليه وذكر له ذلك .

فقال : إن فعلت لأنحرجن من المسجد ، ثم لا أعود إليه . فأمسك معاوية عن لعننه حتى مات سعد . فلما مات لعنه حلَّ المنبر ، وكتب إلى عمالة أن يلعنوه على المذاابر ، ففعلا . فـ كتبت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إلى معاوية : إنكم

تلعنون الله ورسوله على مذابركم ، وذلك أنكم تلعنون على بن أبي طالب ومن أحببه ، وأناأشهد أن الله أحببه ورسوله ، فلم يلتفت إلى كلامها .

وقال بعض العلماء لولده : يا بني ، إن الدنيا لم تعن شيئاً إلا هدمه الدين ، وإن الدين لم يعن شيئاً فهو دمه الدين ، ألا ترى أن قوماً لعنوا علينا ليختفوا منه فـ كانوا أخذوا بناصيته جرًا إلى السماء .

ودخل صهوة بن صوحان على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره ، فقال : وسع له على ترابية فيه . فـ قال صهوة : إني والله لترابي ، منه خلقت ، وإليه أعود ، ومنه أبعث ، وإنك لمارج من مارج من نار .

العتبي عن أبيه ، قال : قال معاوية لعمرو بن العاص : ما أعجب الأشياء ؟

قال غلبة من لا حق له ذا الحق على حقه . قال معاوية : أعجب من ذلك أن يعطى من لا حق له ما ليس له بحق من غير غلبة .

وقال معاوية : أعددت على على باربعه ، كنت أكتيم سري وكان رجلًا يظهره ، وكنت في أصلاح جند وأنطوعه وكان في أخبث جند وأنصاره ،

وتركته وأصحاب الجل وقلت : إن ظفروا به كانوا أهون على منه ، وإن ظفروا بهم أغتر بها في دينه ، وكنت أحب إلى قريش منه . في ذلك من جامع إلى ومفرق عنه !

العتبي قال : أراد معاوية أن يقتدم ابنه يزيد على الصانفة^(١) ، فسأله

ذلك يزيد ، فأبى معاوية إلا أن يفعل ، فكتب إليه يزيد يقول :

نجي لا يزال يُعذَّبَ ذنباً لقطعه وصل حبلك من جبالى

فيوشك أن يُريحَك من أذانى نزولى في الماء - لك وارتحالي

وتجهز للخروج ، فلم يختلف^(٢) عنه أحد ، حتى كان فيمن خرج أبو أيوب

الأنصاري صاحب النبي صلى الله عليه وسلم .

قال العتبى : وحدثنى أبو إسحاق^(٣) إبراهيم قال : أرسل معاوية إلى ابن

عباس ، قال : يا أبا العباس ، إن أحبت خرجت^(٤) مع ابن أخيك فيما نسـ بك

ويقرـ بك وتشيرـ عليه برأيك . ولا يدخل الناس بيتك وبيته فيشغلاـ كلـ واحد

منكـ عن صاحبه . وأقلـ من ذكر حـلك ؟ فإنه إنـ كانـ لكـ فقدـ تركـتكـ لـ منـ هوـ

أـ بعدـ مـنـاـ حـبـباـ ، وـ إنـ لمـ يـكـنـ لـكـ فـ لاـ حـاجـةـ بـكـ إـلـىـ ذـ كـرـهـ ، مـعـ أـنـ هـ صـافـرـ إـلـيـكـ ،

وـ كـلـ آـتـ قـرـيبـ ، وـ لـ تـجـدـنـ^(٥) ، إـذـاـ كـانـ ذـكـ ، خـيرـ لـكـ مـنـاـ .

فـ قالـ ابنـ عـباسـ : وـ اللـهـ لـنـ عـظـمـتـ عـلـيـكـ الـفـعـمـةـ فـ نـفـسـكـ لـقـدـ عـظـمـتـ

عـلـيـكـ فـ يـزـيدـ . وـ أـمـاـ مـاـ سـأـلـتـنـىـ مـنـ الـكـفـ عنـ ذـكـرـ حـقـىـ ، فـ أـبـىـ لـمـ أـغـمـدـ سـيـفـ

وـ أـنـ أـرـيدـ أـنـ أـنـتـصـرـ بـلـسـانـىـ . وـ لـنـ صـارـ هـذـاـ الـأـمـرـ إـلـيـنـاـ شـمـ وـ رـيـكـ مـنـ قـوـىـ

مـثـلـ كـمـ كـاـ وـلـيـنـاـ مـنـ قـوـمـكـ مـثـلـكـ لـاـ يـرـىـ أـهـلـكـ إـلـاـ مـاـ يـحـتـبـونـ .

قالـ : خـرـجـ يـزـيدـ ، فـلـمـ صـارـ عـلـىـ الـخـلـيـجـ^(٦) ثـقـلـ أـبـوـ أيـوبـ الـأـنـصـارـىـ ،

(١) الصانفة : الجيش يغزو صيفاً . (٢) في بعض الأصول : « يختلف » .

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن خراش . وفي بعض الأصول : « أبو إبراهيم » .

(٤) في بعض الأصول : « أـنـ تـخـرـجـ » . مكان « خـرـجـتـ » .

(٥) في بعض الأصول : « ولـ تـجـدـنـاـ » .

(٦) الخليج : بحر دون القسطنطينية . (انظر معجم البلدان) .

فَأَتَاهُ يَزِيدُ عَادِيًّا ، فَقَالَ : مَا حَاجَتُكَ أَبَا يَوْبَ ؟ فَقَالَ : لَأَنَّمَا دُنِيَا كَمْ فَلَلَا حَاجَةَ لِي فِيهَا ، وَلَكِنْ قَدْ مَنَى مَا اسْتَطَعْتَ فِي بَلَادِ الْعَذْوَ ، عَانِي سَعَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : يُدْفَنُ عِنْدَ سُورِ الْقَسْطَنْطَنْيَّيْنِ رَجُلٌ صَالِحٌ ، أَرْجُو أَنْ أَكُونَ هُوَ . فَلَمَّا مَاتَ أَمْرِيَزِيدُ بْنَ كَفِيفَةَ وَمُحَمَّلَ عَلَى سَرِيرَهُ ، ثُمَّ أَخْرَجَ الْكِتَابَ .

^{٤٠٢} فَمُحَمَّلَ قَيْصِرِيَّةَ سَرِيرَهُ مُحَمَّلَ وَالنَّاسُ يَقْتَلُونَ . فَأَنْتَ مُحَمَّلٌ إِلَيْيَ زِيدٍ : مَا هَذَا الَّذِي أَرَى ؟ قَالَ : صَاحِبُ نَبِيَّنَا وَقَدْ سَأَلَنَا أَنْ نَقْدِمَهُ ^(١) فِي بَلَادِكَ ، وَنَحْنُ مُنْفَذُونَ وَصَيْدُهُ أَوْ تَامِعُ أَرْوَاحُنَا بِاللَّهِ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ الْعَجْبُ كُلُّ الْمَجْبَ . كَيْفَ يَدْهُى ^(٢) النَّاسُ أَبَاكَ وَهُوَ يُرْسَلُكَ ، فَتَعْمِدُ إِلَيْ صَاحِبِ نَبِيَّكَ فَتَقْدِمُهُ فِي بَلَادِنَا ، فَإِذَا وَلَيْتَ أَخْرُجْنَاهُ إِلَى السَّكَلَابِ ! فَقَالَ يَزِيدُ : إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَرَدْتُ أَنْ أُودِعَ بِلَادَكُمْ حَتَّى أُودِعَ كَلَامِي آذَانَكُمْ ، فَإِنَّكَ ^(٣) كَافِرٌ بِالَّذِي أَكْرَمْتُ هَذَا لَهُ ، لَئِنْ بَلَغْنِي أَنَّهُ نُبْشَ منْ قَبْرِهِ أَوْ مُثْلِهِ ، لَا تَرْكَتُ بِأَرْضِ الْعَرَبِ نَصْرًا إِلَّا قَتَلْتُهُ ، وَلَا كَنِيسَةَ إِلَّا هَدَمْتُهَا . فَبَيْهُتَ إِلَيْهِ قَيْصِرٌ : أَبُوكَ كَانَ أَعْلَمَ بِكَ ، فَوَحْقُ الْمَسِيحِ لَا حَظْمَهُ يَهْدِي سَهْنَةَ . فَلَقَدْ بَلَغْنِي أَنَّهُ بُنِيَ عَلَى قَبْرِهِ قَبْرَهُ يَسْرَجُ فِيهَا إِلَيَّ الْيَوْمَ بِمَلِئِهِ لِلْحَنَفَةِ ، شَلِيمَ بْنَهُ هَذَا وَدَهُ ^(٤) طَلَبَ مَعَاوِيَةَ الْبَيْعَةَ لِيَزِيدَ

^{٥١} ^{١٥} أَبُو الْحَسِينِ الْمَدَانِيِّ قَالَ : لَمَّا مَاتَ زِيَادٌ ، وَذَلِكَ سَنَةُ ثَلَاثَ وَخَمْسِينَ ، أَظْهَرَ مَعَاوِيَةُ عَهْدًا مُفْتَعِلًا ، فَقَرَأَهُ عَلَى النَّاسِ ، فِيهِ عَقْدُ الْوَلَايَةِ لِيَزِيدَ بَعْدَهُ ، وَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُسْهِلَ بِذَلِكَ بَيْعَهُ يَزِيدَ . فَلَمْ يَزَلْ يَرْوَضُ النَّاسَ لِبِيَعْتَهُ سَبْعَ شَنِينَ ، وَيُشَارِرُ ، وَيُعْطِي الأَقْارِبَ وَيُدَافِنُ الْأَبَاعِدَ ، حَتَّى أَسْتَوْتُقَ لَهُ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ .

فَقَالَ ابْنُهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّبِيرِ : مَا تَرَى فِي بَيْعَهُ يَزِيدَ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنِّي أَنْادِيكَ وَلَا أَنْاجِيكَ ، إِنَّ أَخْلَكَ مَنْ صَدَقَكَ ، فَانْظُرْ قَبْلَ أَنْ تَتَقدَّمَ . وَتَفَكَّرْ

(١) لَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ : وَنَدَفَنَهُ . لَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ : قَاتَلَهُ ^(٢)

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : وَنَدَفَنَهُ . لَفِي بَعْضِ الْحَدِيثِ : وَنَدَفَنَهُ ^(٣)

(٣) يَقُولُ : دَهَاءٌ ، إِذَا نَسِيَهُ إِلَى الدَّهَاءِ . يَرِيدُ أَنْ يَخْتَيَّ أَبِيهِ لَهُ لَمْ يَكُنْ عَنْ جُودَةِ

رَأْيٍ وَلَا أَرْبَ .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : وَبِفَانِي ^(٥) . خَيْرُ الْمُلْكَ قَاتَلَهُ ^(٦) . لَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ :

(٥) وَبِفَانِي ^(٦) . خَيْرُ الْمُلْكَ قَاتَلَهُ ^(٧) . لَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ :

قبل أن تَنْدَمْ ، فإنَّ النَّاظرَ قَبْلَ التَّقْدِيمْ ، والَّتَّفَكُّرَ قَبْلَ التَّنْدِيمْ . فَضَحِّكَ معاوِيَةَ
وَقَالَ : ثُلُبُ رَوَاعِي ، تَعْلَمَتِ السَّجْعَ (١) عِنْدَ السَّكِيرَ ، فِي دُونِ مَا سَجَحَتِ (٢) بِهِ عَلَى
أَبْنَ أَخِيكَ مَا يَكْفِيكَ . ثُمَّ التَّفَتَ إِلَى الْأَحْنَفَ فَقَالَ : مَا تَرَى فِي بَيْعَةِ يَزِيدَ ؟
قَالَ : نَخَافُكُمْ إِنْ صَدَقْنَاكُمْ ، وَنَخَافُ اللَّهَ إِنْ كَذَبْنَا .

٥ فَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ حَسْنٍ وَخَسِينَ (٣) كَتَبَ معاوِيَةَ إِلَى سَائِرِ الْأَمْصَارِ أَنْ
يَغْدِيَا عَلَيْهِ . فَوَفَدَ عَلَيْهِ مِنْ كُلِّ مِصْرٍ قَوْمٌ ، وَكَانَ فِيهِنَّ وَفَدٌ عَلَيْهِ مِنْ الْمَدِينَةِ
مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرُو بْنُ حَزْمٍ ، خَلَّا بِهِ معاوِيَةُ وَقَالَ لَهُ : مَا تَرَى فِي بَيْعَةِ يَزِيدَ ؟ فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَصْبَحَ الْيَوْمَ عَلَى الْأَرْضِ أَحَدٌ هُوَ أَحَبُّ إِلَيَّ رِشْدًا مِنْ
نَفْسِكَ سُوَى نَفْسِي ، وَإِنَّ يَزِيدَ أَصْبَحَ غَنِيًّا فِي الْمَالِ ، وَسَيِطًا فِي الْحَسْبِ (٤) ،
وَإِنَّ اللَّهَ سَاقَ كُلَّ رَاعٍ عَنْ رِعْيَتِهِ ، فَاتَّقُ اللَّهَ وَانظُرْ مَنْ تُولِي أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ .
١٠ فَأَخْذَ معاوِيَةَ بَهْرَ (٥) حَتَّى تَنْفَسَ الصُّعْدَاءَ ، وَذَلِكَ فِي يَوْمِ شَاتٍ ، ثُمَّ قَالَ : يَا مُحَمَّدَ ،
إِنَّكَ أَمْرُؤٌ نَاصِحٌ ، قُلْتَ بِرَأْيِكَ وَلَمْ يَكُنْ عَلَيْكَ إِلَّا ذَاكَ . [ثُمَّ] قَالَ معاوِيَةَ :
إِنَّهُ لَمْ يَبْقِ إِلَّا أَبْنَيْ وَأَبْنَاؤُهُ ، فَأَبْنَى أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، أَخْرُجْ عَنِّي .

١٥ ثُمَّ جَلَسَ معاوِيَةُ فِي أَصْحَابِهِ وَأَذْنَنَ لِلْوَفَودَ ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَقَدْ تَقدَّمَ إِلَى
أَصْحَابِهِ أَنْ يَقُولُوا فِي يَزِيدَ ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ تَكَلَّمَ الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْسَ فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ لَا بُدُّ لِلنَّاسِ مِنْ وَالِّ بَعْدِكَ ، وَالْأَنْفُسُ يُغَدِّيُ عَلَيْهَا وَيُرَاحِ ،
وَإِنَّ اللَّهَ قَالَ : (كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَانٍ) . وَلَا نَدْرِي مَا يُخْتَلِفُ بِهِ الْعَصْرَانِ ،
وَيَزِيدُ بْنُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فِي حُسْنِ مَعْدِنِهِ ، وَقَصَدَ سِيرَتَهِ (٦) ، مِنْ أَفْضَلِنَا حِلْمَاهُ ،

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «الشَّجَاعَةُ» بِالشِّينِ . وَأَعْلَمُهَا : السَّجَاعَةُ ، بِوزْنِ كِتَابَةِ ، كَالْحِيَاةِ
وَالْحِيَاةِ ، غَيْرُ أَنْ كَتَبَ الْلِّفَةَ لَمْ تَذَكَّرْهَا . ٢٠

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «تَشَجَّعَتْ» ،

(٣) فِي المَرْوِجِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ سَنَةُ تَسْعَ وَخَسِينَ . غَيْرُ أَنَّ مَا فِي الْإِمَامَةِ وَالسِّيَاسَةِ يَفْهَمُ
مِنْهُ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي حَيَاةِ الْحَسَنِ بْنِ عَلَى ، أَيْ قَبْلَ سَنَةِ خَسِينَ ، وَكَانَ وَفَاتُ الْحَسَن
سَنَةُ ٤٩ .

(٤) أَيْ أَوْسَطُهُمْ نَسْبًا وَأَرْفَهُمْ بَجْدًا . (٥) الْبَهْرُ : السَّكِيرُ وَالْمَعْجَبُ . ٢٥

(٦) قَصَدَ سِيرَتَهُ ، أَيْ اسْتَقَامَتْهَا .

وأحکمنا علماً، فوله عهدك، وأجعله لنا علماً بعدهك . وإننا قد بلّونا الجماعة والألفة
فوجدناه أحقن للدماء، وآمن للاشباع، وخيراً في العاجلة والآجلة^(١) .

١٠ ثم تكلّم عمرو بن سعيد فقال : أيها الناس ، إن يزيد أمل تأمّلونه ، وأجل
تأمّله^(٢) ؛ طويل الاباع ، رحب الذراع ؛ إذا صرتم إلى عدله وسعكم ، وإن
طلبتم رفده أغناكم ؛ جذع قارح ، سوبق فسبق ، ومُوجد فمجد ، وقورع
فقرع ، خلف من أمير المؤمنين ولا خلف منه . فقال : أجلس أبا أمية ، فلقد
أوسعت وأحسنت .

١١ ثم قام يزيد بن المفعع^(٣) فقال : أمير المؤمنين هذا ، وأشار إلى معاوية ، فإن
ذلك فهذا ، وأشار إلى يزيد ، فمن أبي فهذا ، وأشار إلى سيفه . فقال معاوية :
أجلس ، فإنك سيد الخطباء .

١٢ ثم تكلّم الأحنف بن قيس فقال : يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم بيزيد في ليته
ونهاره ، وسره وعلانيته ، ومدخله وخروجه ، فإن كنت تعلم الله رضا وهذه
الأمة ، فلا تشاور الناس فيه ، وإن كنت تعلم منه غير ذلك ، فلا تزوده الدنيا
وأنت تذهب إلى الآخرة .

١٣ قال : فتقفرق الناس ولم يذكروا إلا كلام الأحنف .

قال : ثم بايع الناس يزيد بن معاوية ، فقال رجل ، وقد دعى إلى البيعة :
اللهم إني أعوذ بك من شر معاوية . فقال له معاوية : تعوذ من شر نفسك ،
فإنك أشد علىك ، وبايض . قال : إني أبايع وأنا كاره للبيعة . قال له معاوية :
بايع أيها الرجل فإن الله يقول : (فَعَسَى أَن تَكْرِهُوا شَيْئاً وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ ذِيراً
كثِيراً) .

١٤ ثم كتب إلى مروان بن الحكم ، عامله على المدينة : أن أدع أهل المدينة إلى

(١) فـ بعض الأصول : « والعاقبة » .

(٢) يشير إلى ما ينتظر من طول مدة ولاته ، فقد ولـ حدثـ .

(٣) فـ عيون الأخبار : « المفعع » .

بَيْعَةِ يَزِيدَ ، فَإِنَّ أَهْلَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ قَدْ بَايعُوا . نَفْطَبْهُمْ مَرْوَانُ خَضْبَهُمْ عَلَى
 الطَّاعَةِ وَحَذَرُوهُمُ الْفِقْنَةَ وَدَعَاهُمْ إِلَى بَيْعَةِ يَزِيدَ ، وَقَالَ : سُنْنَةُ أَبِي بَكْرٍ الْمَهْدِيَّةَ .
 فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ : كَذَبْتَ ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ تَرَكَ الْأَهْلَ وَالْعَشِيرَةَ ،
 وَبَاعَ لِرَجُلٍ مِّنْ بَنِي عَدَىٰ ، رَضِيَّ دِينَهُ وَأَمَانَتَهُ ، وَأَخْتَارَهُ لَامِةً مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ مَرْوَانُ : أَيْهَا النَّاسُ ، إِنَّ هَذَا الْمُتَكَلِّمُ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ اللَّهُ
 فِيهِ : (وَالَّذِي قَالَ لَوَالَّدِيهِ أَفَ لَكَ أَتَعْدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ
 مِنْ قَبْلِي) . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنَ : يَا بْنَ الزَّرْقَاءِ ، أَفَيْمَا تَتَأْوِلُ الْقُرْآنَ ! وَتَكَلَّمُ
 الْحُسَيْنَ بْنَ عَلَىٰ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرَ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ وَأَنْكَرُوا بَيْعَةَ يَزِيدَ ،
 وَتَفَرَّقَ النَّاسُ . فَسَكَّتْ مَرْوَانُ إِلَى مَعَاوِيَةَ بِذَلِكَ . نَفْرَجُ مَعَاوِيَةَ إِلَى الْمَدِينَةِ
 فِي أَفَّ ، فَلَمَّا قَرُبْ مِنْهَا تَلَقَّاهُ النَّاسُ ، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى الْحُسَيْنِ قَالَ : مَرْحَبًا بِسَيِّدِ
 شَبَابِ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَبِّوَا دَائِبَةً لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ . وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ : مَرْحَبًا
 بِشَيْخِ قَرِيشٍ وَسَيِّدِهَا وَابْنِ الصَّدِيقِ . وَقَالَ لِابْنِ عُمَرَ : مَرْحَبًا بِصَاحِبِ رَسُولِ
 اللَّهِ وَابْنِ الْفَارُوقِ . وَقَالَ لِابْنِ الزَّبِيرِ : مَرْحَبًا بْنَ حَوَارِيِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَابْنِ عُمَّتِهِ ، وَدَعَا لَهُمْ بِدَوَابٍ حَمَلَهُمْ عَلَيْهَا . وَخَرَجَ حَتَّى أَتَى مَكَّةَ
 ١٥ فَقَضَى حَجَّهُ ، وَلَمَّا أَرَادَ الشُّحُوكُصَ أَمْرَ بِأَنْقَالِهِ فَقَدِمَتْ ، وَأَمْرَ بِالْمِنْبَرِ فَقَرَبَ
 مِنَ الْكَعْبَةِ ، وَأُرْسَلَ إِلَى الْحُسَيْنِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ وَابْنِ عُمَرَ وَابْنِ
 الزَّبِيرِ فَاجْتَمَعُوا . وَقَالُوا لِابْنِ الزَّبِيرِ : أَكْفَنَا كَلَامَهُ ، فَقَالَ : عَلَى أَنْ لَا تَخَالَفُونِي . قَالُوا :
 لَكَ ذَلِكَ . ثُمَّ أَتَوْا مَعَاوِيَةَ ، فَرَحِبَّ بِهِمْ وَقَالَ لَهُمْ : قَدْ عَلِمْتُ نَظَرِي لَكُمْ ،
 وَتَعَطَّلُ عَلَيْكُمْ ، وَصِلَقِي أَرْحَامَكُمْ ، وَيَزِيدُ أَخْوَكُمْ وَابْنُ عَمِّكُمْ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ
 ٢٠ أَنْ أُقْدِمَ بِاسْمِ الْخَلَافَةِ وَتَكُونُوا أَنْتُمْ تَأْمِرُونَ وَتَنْهَوْنَ . فَسَكَّتُوا ، وَتَكَلَّمَ ابْنُ
 الزَّبِيرِ ، فَقَالَ : نَحْيِرُكُمْ بَيْنَ إِحْدَى ثَلَاثَ ، أَيْهَا أَخْذَتَ فَهِيَ لَكَ رَغْبَةٌ وَفِيهَا
 خِيَارٌ : فَإِنْ شَئْتَ فَأَصْنَعُ فِيمَا مَا صَنَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَبَضَهُ
 اللَّهُ وَلَمْ يَسْتَخْلُفْ ، فَدَعَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَخْتَارَ النَّاسَ لِأَنْقَسْهُمْ ؛ وَإِنْ شَئْتَ

فما صنع أبو بكر ، عَهَدَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ قَاصِيَّةِ قُرِيشٍ وَتَرَكَ مِنْ وَلَدِهِ وَمِنْ رَهْطِهِ
الْأَدْنِينَ مَنْ كَانَ لَهَا أَهْلًا ؛ وَإِنْ شَتَّتَ فَمَا صَنَعَ عُمَرٌ ، صَبَرَهَا إِلَى سَقَةِ نَفْرَمَنْ قُرِيشٍ
يَخْتَارُونَ رِجَالًا مِنْهُمْ وَتَرَكَ وَلَدَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ وَفِيهِمْ مَنْ لَوْ وَلَيْهَا لَكَانَ لَهَا أَهْلًا .
قال معاوية : هل غير هذا ؟ قال : لا . ثم قال للآخرين : ما عندكم ؟ قالوا :
نَحْنُ حَلِّي مَا قَالَ ابْنُ الْزَّبِيرَ . فقال معاوية : إِنِّي أَتَقْدَمُ إِلَيْكُمْ ، وَقَدْ أَعْذَرْتُ مِنْ أَنْذَرْ ،
إِنِّي قَادِلٌ مِنْ قَوْلَةٍ ، فَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَئِنْ رَدَ عَلَيَّ رَجُلٌ مِنْكُمْ كَلَمَةً فِي مَقَامِي هَذَا لَا تَرْجِعُ
إِلَيْهِ كَلَمَتَهُ حَتَّى يُضْرِبَ رَأْسَهُ ، فَلَا يَنْظَرُ أَمْرًا مِنْكُمْ إِلَّا إِلَى نَفْسِهِ ، وَلَا يُبْقَى إِلَّا
عَلَيْهَا . وَأَمْرٌ أَنْ يَقُومَ عَلَى رَأْسِ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رِجْلَانِ بَسَيْفِيهِمَا ، فَإِنْ تَكَلَّمَ
بِكَلَمَةٍ يَرُدُّ بِهَا عَلَيْهِ قَوْلَهُ قَتْلَاهُ . وَخَرْجٌ وَأَخْرَجُوهُمْ مَعَهُ حَتَّى رَقَ الْمِفْرَرِ ، وَحَفَّ
بِهِ أَهْلُ الشَّامِ ، وَاجْتَمَعَ النَّاسُ ، فَقَالَ بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ : إِنَا وَجَدْنَا أَحَادِيثَ
النَّاسِ ذَاتَ عَوَارٍ ، قَالُوا : إِنَّ حُسَيْنَا وَابْنَ أَبِي بَكْرٍ وَابْنَ عَمْرٍ وَابْنَ الْزَّبِيرِ لَمْ يُبَايِعُو
إِيْزِيدَ ، وَهُؤُلَاءِ الرَّهْطِ سَادَةُ الْمُسْلِمِينَ وَخِيَارُهُمْ ، لَا نُبَرِّمُ أَمْرًا دُونَهُمْ ، وَلَا نَغْفِي
أَمْرًا إِلَّا عَنْ مُشَوْرَتِهِمْ ، وَإِنِّي دَعَوْتُهُمْ فَوَجَدْتُهُمْ سَامِعِينَ مُطِيعِينَ ، فَبَيَّنُوا
وَسَلَّمُوا وَأَطَاعُوا . فَقَالَ أَهْلُ الشَّامَ : وَمَا يَعْظُمُ مِنْ أَمْرٍ هُؤُلَاءِ ، أَئْذَنْ لَنَا
فَنُضْرِبَ أَعْنَاقَهُمْ ، لَا تُرْضِي حَتَّى يُبَايِعُوا عَلَانِيَّةً ! فَقَالَ معاوية : سَبِّحُوا اللَّهَ !
١٠ مَا أَسْرَعَ النَّاسَ إِلَى قُرِيشٍ بِالْمُشْرَقِ وَأَحْلَى دَمَاهُمْ عِنْدَهُمْ ! أَنْصَتُوا ، فَلَا أَسْمَعُ هَذِهِ
الْمَقَالَةَ مِنْ أَحَدٍ . وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْبَيْعَةِ فَبَيَّنُوا . ثُمَّ قَرَّبَتْ رِوَاْحَلَهُ ، فَرَكِبَ وَمَغَى .
١٠ فَقَالَ النَّاسُ لِلْحُسَيْنِ وَأَصْحَابِهِ : قَلْتُمْ : لَا نَبْاِعُ ، فَلَمَّا دُعِيْتُمْ وَأُرْضِيْتُمْ بِاِبْعَتِمْ أَقَالُوا
لَمْ نَفْعَلْ . قَالُوا : بِلِي ، قَدْ فَعَلْتُمْ وَبِاِبْعَتِمْ ، أَفَلَا أَنْسَكْرَتُمْ ! قَالُوا : خِفْنَا الْفَقْلَ
وَكَادَكُمْ بِنَا وَكَادَنَا بِكُمْ .

وفاة معاوية

عن الهيثم بن عدی قال : لما حضرت معاوية الوفاة ، ويزيد غائب ، دعا
الضحاك بن قيس الفهري ومسلم بن عقبة المارتي ، فقال : أبلغنا عنك يزيد وفولا

له : انظر إلى أهل الحِجاز فهم أصلك وعترتك ، فنأتاك منهم فأكرمه ،
ومن قَد عذت فتعاهذه . وانظر أهل العراق ، فإن سألك عَزْل عامل في كل
يوم فاغزِله ، فإن عَزْل عامل واحد أهون من سَلْ مائة ألف سيف ، ولا تدرى
على من تكون الدائرة ؛ ثم انظر إلى أهل الشام فاجعلهم الشُّعار دون الدُّنار ، فإن
رَبِّك من عدوك رَبِّ فارمه بهم ؛ ثم اردد أهل الشام إلى بلدتهم ، ولا يقيموا
في غيره فيتآذُّوا بغير أدبهم . لست أخاف عليك إلا ثلاثة : الحسين بن علي ،
وعبد الله بن الزبير ، وعبد الله بن عمر . فاما الحسين بن علي ، فما رجو أن
يَكْفِيكَهُ الله ، فإنه قُتل ^(١) أباه وخَذل أخاه ؛ وأما ابن الزبير ، فإنه يَحْبَب ضَب ^(٢) ،
وإن ظَفَرت به فَقَطَّعَهُ إِرْبَابًا ؛ وأما ابن عمر ، فإنه رجل قد وَقَدَه ^(٣) الورع ،
خل بينه وبين آخرته يَحْلُّ بيده وبيـن دُنيـاـه . ثم أخرج إلى يزيد بـريـداـ
بكـتاب يـسـتـقـدـمـهـ وـيـسـتـحـثـهـ . خـرـجـ مـسـرـعاـ . فـتـلـقـاهـ يـزـيدـ ، فـأـخـبـرـهـ بـعـوتـ مـعـاوـيـةـ ،
فـقـالـ يـزـيدـ :

جاء البريد بقرطاس يَحْبَب به فـأـوـجـسـ الـقـلـبـ منـ قـرـطـاسـهـ فـزـعـاـ
قـلـنـاـ لـكـ الـوـيلـ ماـذاـ فـصـحـيـفـكـ
فـادـتـ الـأـرـضـ أـوـ كـادـتـ تـمـيـدـ بـنـاـ
ثـمـ أـنـبـقـتـناـ إـلـىـ خـوـصـ مـزـمـةـ
نـرـمـيـ الـعـجـاجـ بـهـاـ مـاـ نـأـلـىـ سـرـعـاـ ^(٤)
فـاـ نـبـالـىـ إـذـاـ بـلـفـنـ أـزـحـلـنـاـ
مـاـ مـاتـ مـنـهـ بـالـمـوـمـاـهـ أوـ ظـلـمـاـ
أـوـ دـىـ اـبـنـ هـنـدـ وـدـىـ الـجـدـ يـتـبـعـهـ
أـغـرـ أـبـاجـ يـسـتـسـقـ الغـامـ بـهـ لوـ قـارـعـ النـاسـ عنـ أـحـلـامـهـ ^(٥) قـرـعاـ

(١) الضمير في « قُتل » و « خَذل » . يعود إلى لفظ الجملة .

(٢) الحب : ضد الغر ، وهو الخداع . والضب : المراوغ .

(٣) وَقَدَهُ الورع ، أي أَسْكَنَهُ وَأَخْنَهُ وَبَلَغَ مِنْهُ مَبْلغاً يَنْعَهُ مِنْ اِنْتِهَا كَمَا لَا يَحْلُّ وَلَا
يَجْعَلُ . وفي بعض الأصول : « فرقه » ، تحرير .

(٤) خوص : جمع خوصاء . يزيد نوقاً غاثرة العيون من كثرة الأسفار . والسرع
(بغْتَقْبَيْنَ ، وبِكَسْرِ فَقْحَ) : من مصادر سرع .

(٥) كـذـاـ فـيـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ ، وـهـيـ أـيـضاـ كـذـاـ فـيـ شـعـرـ الـأـعـمـىـ . وـالـذـىـ فـيـ سـائـرـ الـأـصـوـلـ :
« أـخـلـاقـهـمـ » .

لَا يَرْقَعُ النَّاسُ مَا أَوْهَى وَلَوْ جَهَدُوا أَنْ يَرْقِمُوهُ وَلَا يُوْهُونَ مَا رَقَعُوا

قال محمد بن عبد الحكم : قال الشافعى : سرق هذين البيتين من الأعشى .

ابن دأب قال : لما هلك معاوية خرج الضحاك بن قيس الفهري وعلى عاتقه ثياب حتى وقف إلى جانب المنبر ، ثم قال : أيها الناس ، إن معاوية كان إما (١) العرب ومملوكاً ، أطفأ الله به الفتنة ، وأحيا به السنة ، وهذه أكفانه ونحن مدرجون فيها وخلون بيته وبين ربه ، فمن أراد حضوره صلاة الظهر فليحضره . وصلى عليه الضحاك بن قيس الفهري .

^{٣٠٥} ثم قدم يزيد من يومه ذلك ، فلم يقدم أحد على تغزية ، حتى دخل عليه ^٢

عبد الله بن همام (٢) السلوى فقال :

اصبر يزيد فقد فارقت ذا مقاً وأشكُر حباء الذي بالملك حباباً كـ^{١٠}
لارز، أعظم في الأقوام قد علمـوا ما رزـت ولا عـقـبـي كـعـقـباـ كـ
أصبحـت راعـي أـهـلـ الـأـرـضـ (٣) كـلـمـ فـأـنـتـ تـرـعـاـمـ والله يـرـعـاـ كـ
وـفـيـ مـعـاوـيـةـ الـبـاقـ لـفـاـ خـلـفـ إذاـ بـقـيـتـ فـلـاـ (٤) نـسـمـ بـنـعـاـ كـ
فـأـفـتـقـعـ الـخـطـبـاءـ الـكـلـامـ ثمـ دـخـلـ يـزـيدـ فـأـقـامـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ لـاـ يـخـرـجـ لـلـنـاسـ ،
ثـمـ خـرـجـ وـعـلـيـهـ أـثـرـ الـحـزـنـ ، فـصـعـدـ الـمـنـبـرـ ، وـأـقـبـلـ الـضـحـاكـ جـلـسـ إـلـىـ جـانـبـ الـمـنـبـرـ ^{١٥}
وـخـافـ عـلـيـهـ الـحـصـرـ . فـقـالـ لـهـ يـزـيدـ : يـاضـحـاكـ ، أـجـمـتـ تـعـلـمـ بـنـيـ عـبدـ شـمـسـ
الـكـلـامـ ! ثـمـ قـامـ خـطـيـبـاـ فـقـالـ : الـحـمـدـ لـلـهـ الـذـيـ مـاـشـاءـ صـنـعـ ، مـنـ شـاءـ أـعـطـىـ وـمـنـ

(١) في الطبرى : « محمود ». وفيه غير هذا خلاف كثير .

(٢) في الأصول هنا : « هلال ». وقد مر (من ٨٨ من هذا الجزء و من ٣٠٨ من

^{٢٠} الجزء الثالث من هذه الطبعة) .

(٣) فيما سبق من هذا الجزء : « أهل الدين » .

(٤) كذلك في الأصول هنا وفيها ص . يزيد بمعاوية الباقي ، يزيد ابنه . جعل سيرته من سيرة

أبيه ففي ولادته وحياته اتصال لولادة معاوية وحياته . وفي سائر الأصول :

ولا . وعلى هذه الرواية . فهو يزيد معاوية بن يزيد ، يقول : الملك

^{٢٥} فيكم وفي أعقابكم فهو في عقب معاوية بعدك . ثم دعا له بطول البقاء بقوله :

« ولا نسمع بعنـاكـ » .

شاء منع ، ومن شاء خَفْض ومن شاء رفع . إن معاوية بن أبي سفيان كان حَبَلًا من حبال الله ، مدة الله ما شاء أن يَمْدُه ، ثم قطعه حين شاء أن يقطعه ، فـكان دون من قبله ، وخيراً من يأتي بعده ، ولا أزكيه وقد صار إلى ربه ، فإن يَعْفُ عنه فهو حسنة ، وإن يُعذبه فهو ذنبه . وقد وليت بهـدة الأسرـ ولست أعتذر من جهل ، ولا أني عن طلب ، وعلى رِسْلِكُم ، إذا كـرـه الله شيئاً غـيرـه ، وإذا أراد شيئاً يـسـره .

خلافة نزيل بن معاوية وسنته وصفتها

هو يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف . وأمه ميسون بنت بحدل [بن أنيف بن دلجة] بن قنافة ، أحد بنى حارثة بن جناب^(١) . وكنيته أبو خالد ، وكان آدم جعداً مهضوماً أحور العين ، بوجهه آثار جدرى ، حسن اللحمة خفيفها ، ولـى الخلافة في رجب سنة ستين ، وماتـ في النـصف من شـهر رـبيع الـأول سـنة أـربع وـستـين ، ودـفن بـحوـارـين^(٢) ، خـارـجاً مـنـ المـديـنـة . وـكـانـتـ وـلـايـتـهـ أـرـبعـ سـنـيـنـ وـأـيـامـاً . وـكـانـ عـلـىـ شـرـطـهـ حـمـيدـ بنـ حـرـيـثـ بـنـ بـحدـلـ . وـكـانـهـ وـصـاحـبـ أـمـرـهـ سـرـجـونـ بـنـ مـنـصـورـ . وـعـلـىـ الـقـضـاءـ أـبـوـ إـدـرـيـسـ الـخـوـلـانـيـ . وـعـلـىـ الـخـرـاجـ مـسـلـمـةـ بـنـ حـدـيـدـ الـأـزـدـيـ .

أو طرد بزير : معاوية و خالد و أبو سفيان ، وأمهن فاختة بنت أبي هاشم بن عقبة بن ربيعة ، و عبد الله و عمرو ، أحهما أم كلثوم بنت عبد الله بن عباس . وكان عبد الله ولده ناسكا ، و ولده خالد عالما ، لم يكن في بني أمية أزهدَ من هذا ولا أعلم من هذا .

الأصمى عن أبي عمرو قال : أعرق الناس في الخلافة عاتسكة بنت يزيد

(١) في بعض الأصول : « خباب ». وما أتبهنا من سائر الأصول والطبرى .

(٢) حوارين، هو بضم أوله، وبكسر، وتحقيق الواو وكسر الراء وياء ساكنة ونون.

ابن معاوية بن أبي سفيان ، أبوها خليفة ، وجدّها معاوية خليفة ، وأخوها معاوية بن يزيد خليفة ، وزوجها عبد الملك بن مروان خليفة ، وأرباؤها^(١) : الوليد وسليمان وهشام ، خلفاء .

مقتل الحسين بن علي

علي بن عبد العزيز قال : قرأ على أبو عبيدة القاسم^(٢) بن سلام وأنا أسمع ، فسألته : نَرَوْيِ عنك كَا قُرْيَةٍ علَيْكَ ؟ قال : نَمْ . قال أبو عبيدة : لما مات معاوية بن أبي سفيان وجاءت وفاته إلى المدينة ، وعلّمها يومئذ الوليد بن عقبة ، فأرسل إلى الحسين بن علي وعبد الله بن الزبير ، فدعاهما إلى البيعة ليزيد ، فقلالا : بالغد إن شاء الله على رؤوس الناس ، وخرج من عنده . فدعى الحسين برواحله ، فركبها وتوجه نحو مكة على المنهج الأكبر ، وركب ابن الزبير برذونا له وأخذ طريق العَرْج^(٣) حتى قدم مكة . وسرّ حسين حتى أتى على عبد الله بن مطیع وهو على بئر له ، فنزل عليه ، فقال للحسين : يا أبا عبد الله ، لا سقانا الله بعْدَكَ ما طييماً ، أين ترید ؟ قال : العراق . قال : سبحان الله ! لَمْ^٤ ؟ قال : مات معاوية وجاءني أكثُرُ من حُلْمٍ صُحْفٍ . قال : لا تفعل أبا عبد الله ، فوالله ما حفظوا أباك و كان خيراً منك ، فكيف يحفظونك ، والله لئن قُتلت لا يَقْبِضُ حُرْمة بعدك إلا أَسْتُحْلِتْ . خرج حسين حتى قَدِمَ مكة ، فاقام بها هو وابن الزبير . قال : فقدم عمرو بن سعيد في رمضان أميراً على المدينة والموسم ، وعزل الوليد بن عقبة . فلما أستوى على المنبر رَعَفَ^(٥) . فقال أعرابي : مه ! جاءنا والله بالدم ! قال : فتقلاه رجل بعماته . فقال : مه ! عَمَ النَّاسَ وَالله ! ثم قام فخطب ، فناولوه عصاها

٢٠

(١) أرباؤها : أولادها ، جمع ربّب .

(٢) في بعض الأصول : « أبو القاسم عبد الله بن سلام ». تحرير . فإن عبد العزيز يروى عن أبي عبيدة .

(٣) العرج : قرية جامعة في واد نواس الطائف .

(٤) رَعَفَ (كثُر وَمُنْعَنْ وَكَرْمَ وَسَعْمَ) : خرج من أَنْفَهِ الدُّمْ .

شعبتان . فقال : تشعب الناسُ والله ! ثم خرج إلى مكة ، فقدِّمها قبل [يوم] التروية^(١) بيوم ، ووفدت الناسُ للحسين يقولون : يا أبا عبد الله ، لو تقدَّمت فصلَّيت بالناس فأنزلتهم بدارك ؟ إذ جاء المؤذن فأقام الصلاة ، فتقدَّم عمرو بن سعيد فلَكَبر ، فقيل للحسين : اخرج أبا عبد الله إذ أتيت أن تقدَّم . فقال : الصلاة في الجماعة أفضَّل . قال : فصلَّى ، ثم خرج . فلما انصرف عمرو بن سعيد بلغه أن حُسينا قد خرج . فقال : اطلبوه ، أركبوا كل بعير بين السماء والأرض فاطلبوه . قال : فعجب الناس من قوله هذا ، فطلبوه ، فلم يُدرِّكه . وأرسل عبد الله بن جعفر أبنيه عونا^(٢) ومحمدًا ليُرِدَ حُسينا . فأبي حُسين أن يرجع . وخرج ابن عبد الله بن جعفر معه . ورجع عمرو بن سعيد إلى المدينة ، وأرسل إلى ابن الزبير ليأتِيه ، فأبي أن يأتيه . وأمْقَنَ ابن الزبير برجال من قُريش وغيرهم من أهل مكة . قال : فأرسل عمرو بن سعيد لهم جيشاً من المدينة ، وأمر عليهم عمرو بن الزبير ، أخا عبد الله بن الزبير ، وضرب على أهل الديوان البَعْثَ إلى مكة ، وهم كارهون للخروج ، فقال : إما أن تأتوني بأدلة^(٣) وإما أن تخرجو . قال : فبعثُهم إلى مكة ، فقاتلوا ابن الزبير ، فانهزَم عمرو بن الزبير ، وأسره أخوه عبد الله ، ١٥ خُدْسَه في السجن .

وقد كان بعث الحسين بن علي مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى أهل الكوفة ليأخذ بيعتهم ، وكان على الكوفة حين مات معاوية ، فقال : يأهل الكوفة ، ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إليمنا من ابن بنت بحدل . قال : فبلغ ذلك يزيد فقال : يأهل الشام ، أشيروا على ، من أستعمل على الكوفة ؟ ٢٠ فقالوا : ترضى من رضي به معاوية ؟ قال : نعم . قيل له : فإن الصك بإماراة

(١) يوم التروية : يوم قبل يوم عرفة ، وهو الثامن من ذي الحجة . سمي به لأن الحجاج يتربون فيه من الماء وينهضون إلى مني ولا ماء بها فيتزودون ريهما من الماء ، أي يسقوه ويستقون .

(٢) في الأصول : « عوفا ». وما أثبتنا من المعارف والطبرى .

(٣) في بعض الأصول : « بدللا ». ٢٥

عُبيَدُ اللهُ بْنُ زِيَادٍ عَلَى الْمَرَاقِينَ قَدْ كَتَبَ فِي الدِّيَوَانِ ، فَأَسْتَغْفِلُهُ عَلَى الْكُوفَةِ .
 فَقَدِمَهَا قَبْلَ أَنْ يَقْدُمَ حُسْنِي . وَبَايْعَ مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلَ أَكْثَرُ مِنْ ثَلَاثَيْنَ أَلْفًا مِنْ
 أَهْلِ الْكُوفَةِ ، وَخَرَجُوا مَعَهُ يَرِيدُونَ عُبَيْدَ اللَّهَ بْنَ زِيَادَ ، فَعَلَوْا كَلَامًا أَتَهُوا إِلَى
 زُقَاقِ اَنْسَلَّ مِنْهُمْ نَاسٌ ، حَتَّى بَقَى فِي شِرْذَمَةٍ قَلِيلَةٍ . قَالَ : جَعَلَ النَّاسُ يُزَمِّونَهُ
 بِالْأَجْرِ مِنْ فَوْقِ الْبَيْوَتِ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ دَخَلَ دَارَ هَانِيٍّ بْنِ عُرُوهَ الْمَرَادِيِّ ،
 وَكَانَ لَهُ شَرَفٌ وَرَأْيٌ ، فَقَالَ لَهُ هَانِيٌّ : إِنَّ لِي مِنْ بْنَ زِيَادٍ مَكَانًا ، وَإِنِّي سَوْفَ
 أَتَمْارِضُ ، فَإِذَا جَاءَ يَعْوَدْنِي فَاضْرِبْ عَنْقَهُ . قَالَ : فَبَاعَ بْنَ زِيَادَ أَنْ هَانِيٌّ بْنُ عُرُوهَ
 مِنْ يَضْرِبُ الدَّمَ ، وَكَانَ شَرِيبُ الْمَغْرَةِ^(١) جَعَلَ يَقِيُّوهَا ، فَخَاءَهُ بْنُ زِيَادٍ يَعْوَدْهُ .
 وَقَالَ هَانِيٌّ : إِذَا قَلْتَ لِكُمْ : أَسْقُونِي ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِ فَاضْرِبْ عَنْقَهُ ، يَقُولُهَا لِمُسْلِمٍ
 بْنَ عَقِيلٍ . فَلَمَّا دَخَلَ بْنُ زِيَادٍ وَجَلَسَ ، قَالَ هَانِيٌّ : أَسْقُونِي ، فَتَبَطَّلُوا عَلَيْهِ .
 فَقَالَ : وَيَحْكُمُ ! أَسْقُونِي وَلَوْ كَانَ فِيهِ نَفْسِي . قَالَ : فَخَرَجَ بْنُ زِيَادٍ وَلَمْ يَصْنَعْ الْآخِرُ
 شَيْئًا . قَالَ : وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسَ ، وَلَكِنَّ أَخْذَ بِقَلْبِهِ . وَقَيْلَ لَابْنِ زِيَادٍ مَا أَرَادَهُ
 هَانِيٌّ^(٢) ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ . فَقَالَ : إِنِّي شَاكِرٌ لَا أُسْتَطِيعُ . فَقَالَ : أَتَوْنِي بِهِ وَإِنْ
 كَانَ شَاكِرًا . فَأَسْرَجَتْ لَهُ دَابَّةً ، فَرَكَبَ وَمَعَهُ عَصَمًا ، وَكَانَ أَعْرَجْ ، جَعَلَ يَسِيرَ
 قَلِيلًا قَلِيلًا ، ثُمَّ يَقْفَ وَيَقُولُ : مَا أَذْهَبُ إِلَى بْنَ زِيَادٍ ، حَتَّى دَخُلَ عَلَى بْنِ
 زِيَادٍ . فَقَالَ لَهُ : يَا هَانِيٌّ ، أَمَا كَانَتْ يَدُ زِيَادٍ عَنْدَكَ بِيَضَاءٍ ؟ قَالَ : بَلِي . قَالَ :
 وَيَدِي ؟ قَالَ : بَلِي . ثُمَّ قَالَ^(٣) لَهُ هَانِيٌّ : قَدْ كَانَتْ لَكَ عَنْدِي وَلَا بِيَكَ ، وَقَدْ أَمْنَتْكَ
 فِي نَفْسِي وَمَالِي^(٤) . قَالَ : أَخْرَجْ ، فَخَرَجْ . فَتَنَاهُ الْعَصَمَ مِنْ يَدِهِ وَضَرَبَ بِهَا
 وَجْهَهُ حَتَّى كَسَرَهَا ، ثُمَّ قَدَمَهُ فَضَرَبَ عَنْقَهُ . وَأُرْسَلَ إِلَى مُسْلِمَ بْنَ عَقِيلٍ ،
 فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ بِسِيفِهِ ، هَازَالْ يَقَاوِلُهُمْ حَتَّى أَثْعَنُوهُ بِالْجَرَاحِ ، فَأَسْرَوْهُ . وَأُتْقِيَ بِهِ
 بْنَ زِيَادٍ ، فَقَدِمَهُ لِيَضْرِبَ عَنْقَهُ ، فَقَالَ لَهُ : دَعْنِي حَتَّى أُوصِي ، فَقَالَ لَهُ : أُوصِي .

(١) المَغْرَةُ (بِالْفَتْحِ وَبِالْحَرْكَ) : طَيْنٌ أَجْرٌ يَصْبِغُ بِهِ .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَسْوَلِ : «ابْنُ هَانِي» . تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «فَقَالَ» . (٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «فِي نَفْسِكَ وَمَالِكَ» .

فنظر في وجوه الناس ، فقال عمر بن سعد^(١) : ما أرى قرشياً هنا غيرك ، فادن مني حتى أكلمك . فدنا منه ، فقال له : هل لك أن تكون سيد قريش ما كانت قريش ؟ إن حسيداً ومن معه ، وهم تسعون إنساناً ما بين رجل وأمرأة ، في الطريق ، فارددهم واكتب لهم ما أصابني ، ثم ضرب عنقه . فقال عمر^(٢) لابن زياد : أتدرى ما قال لي ؟ قال : أكتم على ابن عمك . قال : هو أعظم من ذلك . قال : وما هو ؟ قال : قال لي : إن حسيداً أقبل ، وهم تسعون إنساناً ما بين رجل وأمرأة ، فارددهم واكتب إليه بما أصابني . فقال له ابن زياد : أما والله إذ دللت عليه لا يقاتله أحد غيرك . قال : فبعث معه جيشاً ، وقد جاء حسيداً الخبر وهم بشراف^(٣) ، فهم بأن يرجع ومعه خمسة من بني عقيل ، فقالوا : ترجم وقد قتل أخونا وقد جاءك من الكتاب ما نطق به ! فقال الحسين لبعض أصحابه : والله مالي على هؤلاء من صبر . قال : فلقيه الجيش على خيولهم وقد نزلوا بـكـرـ بـلـاءـ . فقال حسين : أرض هذه ؟ قالوا : كـرـ بـلـاءـ ، قال : أرض كـرـبـ وـبـلـاءـ . وأحاطت بهم الخيـلـ .

قال الحسين لعمر بن سعد^(٤) : يا عمر^(٥) ، اختر مني إحدى ثلاثة خصال : إما أن تتركني أرجع كما جئت ، وإما أن تسيرني إلى يزيد فأضع يدي في يده ، وإنما أن تسيرني إلى الترك أقاتهم حتى الموت . فأرسل إلى ابن زياد بذلك ، فهم أن يسـيرـهـ إلىـ يـزـيدـ . فقال له شـمـرـ بنـ ذـيـ الـجـوـشـنـ : أـمـكـنـكـ اللهـ مـنـ عـدـوكـ

فـسـيرـهـ ! إـلـاـ أـنـ يـنـزـلـ فـيـ حـكـمـكـ . فأـرـسـلـ إـلـيـهـ بـذـلـكـ . فقال الحسين : أنا أـنـزـلـ عـلـىـ حـكـمـ اـبـنـ سـرـ جـانـةـ ! واللهـ لـاـ أـفـعـلـ ذـلـكـ أـبـدـاـ . قال : وأـبـطـأـ عمر^(٦) عـنـ قـيـاتـهـ . فأـرـسـلـ اـبـنـ زـيـادـ إـلـيـ شـمـرـ بنـ ذـيـ الـجـوـشـنـ ، وـقـالـ لـهـ : إـنـ تـقـدـمـ عمر^(٧) وـقـاتـلـ ، وـإـلـاـ فـاتـرـكـ وـكـنـ مـكـانـهـ . قال : وكان مع عمر بن سعد ثلاثون رجلاً

(١) في الأصول «عمر وبن سعيد» . وما أبنتنا من الطبرى والمغارب .

(٢) في الأصول : «عمر و» . انظر الحاشية السابقة .

(٣) شراف (بفتح أوله وتحقيق ثانية) : ماء بن عبد . (انظر معجم البلدان) .

(٤) في الأصول : «عمر وبن سعيد» . (انظر الحاشية رقم ١ من هذه الصفحة) .

(٥) في الأصول : «عمر و» ، تحريف .

من أهل السكوفة ، فقلوا : يعرض عليكم ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث خصال فلا تقبلون منها شيئا ! فتحوّلوا مع الحسين ، فقاتلوا . ورأى رجل من أهل الشام عبد الله بن حسن بن علي ، وكان من أجمل الناس ، فقال : لا أقتل هذا الفتى . فقال له رجل : ويحيى ! ما تصنع به ؟ دعه . فأبى وحمل عليه فضربه بالسيف فقتله ، فلما أصابته الضربة ، قال : يا عمّاه ، قال : لم يمك صوتاً قل ناصره ، وكثروا تره . وحمل الحسين على قاتله فقطع يده ، ثم ضربه ضربة أخرى فقتله ، ثم أقتلوا .

علي بن عبد العزيز قال : حدثني الزبير قال حدثني محمد بن الحسن ^(١) قال : لما نزل عمر بن سعد بالحسين وأيقن أنهم قاتلوه ، قام في أصحابه خطيبا ، ١٠ فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : قد نزل بي ما ترَوْن من الأمر ، وإن الدنيا قد تغيرت وتفكرت ، وأدبر معروفاً واسمعت ^(٢) ، فلم يبق منها إلا صباة كصباة الإناء الأذن ^(٣) ، عيش كالمرعى الوبيلى . الآرون الحق لا يُعمل به ، والباطل لا يُنهى عنه ؟ ليُرحب المؤمن في إقام الله ، فإني لا أرى الموت إلا سعادة ، والحياة مع الظالمين إلا ذلاً وندما .

١٥ قُتل الحسين رضي الله عنه يوم الجمعة ، يوم عاشوراء ، سنة إحدى وستين بالطف من شاطئ الفرات ، بموضع يدعى كربلاء . ولد الحسن ليالٍ من شعبان سنة أربع من الهجرة . وقتل وهو ابن سنت وخمسين سنة ، وهو صابع بالسوداد ، ^{٣٠٨}
^٢ قاتله سيفان بن أبي أنس ^(٤) ، وأجهز عليه خولة ^(٥) بن يزيد الأصفهاني ، من حمير . وحزّ رأسه وأتى به عبيد الله وهو يقول :

٢٠ (١) في الأصول : « محمد بن الحسين » . تحرير . فالذى يروى عنه الزبير بن بكار هو ابن الحسن . انظر تهذيب التهذيب والফهرست .

(٢) اشمعلت : تفرقت . وفي بعض الأصول : « واثمازت »

(٣) الحسن في الإنسان : تأخر الأنف عن الوجه مع ارتفاع قليل في الأنفية . ويريد بالإنسان القصير . أو الذى قد تأخرت جوانبه فهو أقل سعة من غيره وصبابته دون الصبابات قلة . وفي رواية : « الإناء وحسيس عيش » .

(٤) كذلك في الأصول والمعارف . والذى في الطبرى : « سيفان بن أنس »

(٥) في الطبرى : « خولي » .

أُوْقِرَ رِكَابِيْ فِضَّةً وَذَهَبًا أَنَا قَتَلْتُ الْمَلِكَ الْمُحَجَّبًا
خَيْرَ عِبَادِ اللَّهِ أُمَّا وَأَبَا

فَقَالَ لَهُ عَبْيَدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ : إِذَا كَانَ خَيْرُ النَّاسِ أُمَّا وَأَبَا وَخَيْرُ عِبَادِ اللَّهِ ، فَلِمَ
قَاتَلَهُ ؟ قَدَّمُوهُ فَأَضْرَبُوا عَنْقَهُ ، فَضَرُبَتْ عَنْقُهُ .

٥ رَوْحَ بْنِ زِبْنَاعَ عَنْ أَبِيهِ عَنْ الْفَازِ بْنِ رَبِيعَةِ الْجُرْشِيِّ قَالَ : إِنِّي لَعْنَدِي يَزِيدَ
ابْنَ مَعَاوِيَةَ إِذَا أَقْبَلَ زَخْرُ بْنَ قَيْسَ الْجُعْفِيَّ حَتَّى وَقَفَ بَيْنَ يَدَيْ يَزِيدٍ ، فَقَالَ :
مَا وَرَاءُكَ يَا زَخْرَ ؟ فَقَالَ : أَبْشِرُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِفَتْحِ اللَّهِ وَنَصْرِهِ ، قَدِمَ عَلَيْنَا
الْحُسَيْنَ فِي سَبْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَسَمِينَ رِجَلًا مِنْ شَيْعَتِهِ ، فَبَرَزَنَا
إِلَيْهِمْ وَسَأْلَاهُمْ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا وَيَنْزَلُوا عَلَى حُكْمِ الْأَمِيرِ أَوِ الْقِتَالِ ، فَأَبْوَا إِلَّا الْقِتَالَ ،
١٠ فَغَدُونَا عَلَيْهِمْ مَعَ شُرُوقِ الشَّمْسِ ، فَأَحْطَنَا بَيْنَهُمْ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، حَتَّى أَخْذَتِ السَّيْفُ
مَا خَذَهَا مِنْ هَامِ الرِّجَالِ ، فَجَعَلُوا يَلْوِذُونَ مَنَا بِالآكَامِ وَالْحُفَرِ ، كَمَا يَلْوِذُ الْحَمَامُ
مِنَ الصَّفَرِ ، فَلَمْ يَكُنْ إِلَّا نَحْرَ جَزْرَوْرَ أَوْ قَوْمَ قَائِمَ (١) حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى آخْرِهِمْ ، فَهَاتِيكَ
أَجْسَامَهُمْ مُجَزَّرَةً (٢) ، وَهَامَهُمْ مُرَمَّلَةً (٣) ، وَخَدْوَدَهُمْ مُعَفَّرَةً ، تَهَمُّرُهُمُ الشَّمْسُ ، وَتَسْفِي
عَلَيْهِمُ الرِّيحُ بِقَاعَ سَبْنَسْبَ ، زُوَارَهُمُ الْعِقبَانُ وَالرَّأْخُ . قَالَ : فَدَمَّعَتْ عَيْنَيْنِيْ يَزِيدُ ،
١٥ وَقَالَ : لَقَدْ كَنْتُ أَقْنَعَ مِنْ طَاعَتِكُمْ بِدُونِ قَتْلِ الْحُسَيْنِ ، لَعْنَ اللَّهِ أَبْنَ سُمِّيَّةَ !
أَمَا وَاللَّهِ لَوْ كَنْتُ صَاحِبَهُ لَتَرَكْتُهُ ، رَحْمَ اللَّهِ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ وَغَفَرَ لَهُ .

علي بن عبد العزيز عن محمد بن الضحاك بن عثمان الحزاوي عن أبيه، قال:
خرج الحسين إلى الكوفة ساخطاً لولاية يزيد بن معاوية . فكتب يزيد إلى
عبيد الله بن زياد، وهو واليه بالعراق: إنه بلغنى أن حسينا سار إلى الكوفة، وقد

٢٠ (١) كذا في الطبرى . وَقَوْمٌ ، مِنْ مَصَادِرِ قَامٍ . يَقَالُ : قَامَ قَوْمًا وَقَوْمَةً وَقِيَامًا وَقَافَةً ،
إِذَا اتَّصَبَ . أَيِّ الزَّمْنِ الَّذِي يَكُونُ نَحْرُ الْجَزْرَوْرَ أَوْ لَهْوُضُ النَّاهِضِ . يَصْفُهُ
بِالْقَصْرِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْوَلِ : « نَوْمٌ نَائِمٌ » . تَحْرِيفٌ .

(٢) مجزرة ، أي مقطعة ، والتضعيف للبالغة .

(٣) كذا في بعض الأصول . وَرَمَلَةٌ ، إِمَّا اسْمٌ مَفْعُولٌ مِنْ رَمْلٍ (المضاعف) الرَّجُلُ الظَّاعِمُ ،
إِذَا جَمِلَ فِيْهِ الرَّمْلُ . يَرِيدُ أَنَّ الرَّمْلَ قَدْ مَلَّ فِتْحَاتُ الرَّأْسِ وَمَنَافِذَهُ وَمَدَالِهِ .
وَإِمَّا اسْمٌ فَاهِلٌ مِنْ أَرْمَلِ السَّهْمِ ، إِذَا تَلَطَّعَ بِالدَّمِ . وَفِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « مَزْمَلَةٌ »
بِالرَّازِيِّ الْمُجْمَعِيِّ

أُبْتَلِي بِهِ زَمَانُكَ بَيْنَ الْأَزْمَانِ ، وَبَلْدُكَ بَيْنَ الْمَلَدَانِ ، وَأُبْتَلِي بِهِ مِنْ بَيْنِ الْعَمَالِ ،
وَعِنْدَهِ تُعْقَقُ أَوْ تَعُودُ عَبْدًا . فَفَقِيلَ لِهِ عَبِيدُ اللَّهِ وَبَعْثَتْ بِرَأْسِهِ وَثَقَلَهُ^(١) إِلَى يَزِيدَ . فَلَمَّا
وُضْعَ الرَّأْسُ بَيْنَ يَدِيهِ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ حُصَيْنِ بْنِ الْحَمَامِ الْمَرْرَى^(٢) :

نُفْلَقُ هَامًا مِنْ رِجَالِ أَعْزَةٍ عَلَيْنَا وَهُمْ كَانُوا أَعْقَبُوا وَأَظْلَمُوا

فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ بْنُ الْحُسَيْنُ ، وَكَانَ فِي السَّبْيِ : كِتَابُ اللَّهِ أَوْلَى بِكَ مِنَ الشِّعْرِ ،
يَقُولُ اللَّهُ : (مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ
قَبْلِ أَنْ نَبْرَأْهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ . لَكِنَّ لَا تَأْسُوْ عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرُحُوا
بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَيَخُورُ) . فَغَضِبَ يَزِيدُ وَجَعَلَ يَعْبَثُ بِلِحْيَتِهِ ،
ثُمَّ قَالَ : غَيْرُ هَذَا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ أَوْلَى بِكَ وَبِأَبِيكَ ، قَالَ اللَّهُ : (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ
مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبْتُ أَيْدِيكُمْ وَيَغْفُو عَنْ كَثِيرٍ) . مَا تَرَوْنَ يَأْهُلُ الشَّامَ فِي هُؤُلَاءِ ؟
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ : لَا تَتَخَذْ مِنْ كَلْبٍ سَوْءً، جَرُوا . قَالَ النَّعْمَانُ بْنُ بَشِيرِ الْأَنْصَارِيَّ :
انْظُرْ مَا كَانَ يَصْنَعُهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِوَرَآهُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ
فَأَصْنَعَهُ بَهُمْ . قَالَ : صَدَقْتَ ، خَلُوا عَنْهُمْ وَاضْرِبُوا عَلَيْهِمُ الْقِبَابَ . وَأَمَّا
عَلَيْهِمُ الْمَطْبِخُ وَكَسَامُهُ وَأَخْرَجَ إِلَيْهِمْ جَوَاثِرَ كَثِيرَةً . وَقَالَ : لَوْ كَانَ بَيْنَ أَبْنَى
مَرْجَانَةِ وَبَيْنَهُمْ نَسْبٌ مَا قَتَلَهُمْ . ثُمَّ رَدَّهُمْ إِلَى الْمَدِينَةِ .

الرِّياشِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي رَجَاءِ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو مَعْشَرُ عَنْ يَزِيدَ
ابْنِ زِيَادٍ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلَيْهِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ، قَالَ : أَتَى بَنَاهُ يَزِيدُ بْنُ
مَعَاوِيَةَ بَعْدَ مَا قُتِلَ الْحُسَيْنُ ، وَنَحْنُ اثْنَا عَشَرَ غُلَامًا ، وَكَانَ أَكْبَرُنَا يَوْمَئِذٍ عَلَى
ابْنِ الْحُسَيْنِ ، فَأَدْخَلْنَا عَلَيْهِ ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمَغْلُولَةِ يُدْهَى إِلَى عُنْقِهِ ، فَقَالَ
لَنَا : أَخْرَزْتُ أَنفُسَكُمْ عَبِيدًا أَهْلَ الْعَرَاقِ ! وَمَا عَلِمْتُ بِخُروجِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ وَلَا بِقَتْلِهِ .
أَبُو الْحَسْنِ الْمَدَائِنِيُّ عَنْ إِسْحَاقَ عَنْ إِسْمَاعِيلَ بْنَ سُفِيَّانَ^(٣) عَنْ أَبِي مُوسَى عَنْ

(١) الثقل (محرك) : متابع المسافر وحشمه وكل شيء فنيس مصون .

(٢) في الأصول : «الحاصم المزني» . وما أثبتنا من الطبرى والحساسة والاشتقاق .

(٣) في بعض الأصول : «عن» وهو تحرير . وهو إسحاق بن إسماعيل الطلقاني

يروى عن سفيان بن عيينة . (انظر التهذيب ج ١ ص ٢٢٦) .

الحسن البصري ، قال : قُتِلَ مع الحسين ستة عشر من أهل بيته . والله ما كان على الأرض يومئذ أهل بيت يُشبهون بهم . وحمل أهل الشام بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبایاً على أعقاب الإبل . فلما دخلن على يزيد ، قالت فاطمة بنت الحسين : يا يزيد ، أبنات رسول الله صلى الله عليه وسلم سبایا ! قال : بل حراهن كرام ، ادخلن على بنات عمك تجديهن قد فعلن ما فعلت . قالت فاطمة : فدخلت إليهن فما وجدت فيهن سفهية إلا مُلْقَدَة^(١) تبكي . وقالت بنت عقيل بن أبي طالب ترثي الحسين ومن أصيبي معه :

عَيْنِي أَبِكِي بِعَيْرَةِ وَعَوَيلٍ وَاندُبِي إِن نَدَبَتِ آلَ الرَّسُولِ
سَتَّةَ كُلُّهُمْ لِصُلْبٍ عَلَيْهِ قَدْ أَصَبَبُوا وَخَمْسَةَ لِعَقِيلٍ

١٠ ومن حديث أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قالت : كان عندي النبي صلى الله عليه وسلم ومعي^(٢) الحسين ، فدنا من النبي صلى الله عليه وسلم ، فأخذته فبكى ، فتركته فبكى ، فقال له جبريل : أتحبه يا محمد ؟ قال : نعم . قال : أما إن أتيتك ستفتله وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يُقتل بها . فبسط جناحه ، فأراه منها . فبكى النبي صلى الله عليه وسلم .

١٥ محمد بن خالد قال : قال إبراهيم المخْعَى : لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لاستحببت أن أنظر إلى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابن هبيرة عن أبي الأسود^(٣) قال : لقيت رأس الحالوت^(٤) ، فقال . إن بيني وبين داود سبعين أبا ، وإن اليهود إذا رأوني عظموني وعرفوا حقّي وأوجبوا حفظي ، وإنه ليس بينكم وبين نبيكم إلا أب واحد قتلتم أبنته .

٢٠ (١) التدمت المرأة : ضربت صدرها في النياحة . وفي بعض الأصول : « متلدة » .

(٢) في بعض الأصول : « ومعي » .

(٣) أعلم محمد بن عبد الرحمن بن نوفل (انظر تهذيب التهذيب ج ٥ ص ٣٧٤) .

(٤) الحالوت : الحالية من اليهود ، أي الذين جلوا عن أو طافهم بيت المقدس ، ورأس الحالوت : رئيسهم . وكان من ولد داود عليه السلام . (انظر مغاتير العلوم للخوارزمي ص ٣٤ — ٣٥) .

ابن عبد الوهاب عن يسار بن عبد الحكم قال : أتَهُب عَسْكَرُ الْحُسَينِ فوْجَد
فِيهِ طِيبٌ ، فَمَا تَطَيَّبَتْ بِهِ امْرَأَةٌ إِلَّا بَرِّصَتْ .

جعفر بن محمد عن أبيه قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الحسن
والحسين وعبد الله بن جعفر وهم صغار ، ولم يُبايع قطْ صغيراً إِلَّا هُمْ .

عليٌّ بن عبد العزيز عن الزبير عن مصعب بن عبد الله قال : حَجَّ الْحُسَينِ ٥
خَسْنَةً وَعَشْرَينَ حِجَّةً مُلْبِيًّا مَا شِئْا .

وقيل لعليٍّ بن الحسين : ما كان أَقْلَى وَلِدَ أَبِيكَ ! قال : العجب كيف
وُلِدْتُ له ؟ كان يُصلِّي في اليوم والليلة ألف ركعة ، فحتى كان يتفرغ للنساء .

١٠ يحيى بن إسماعيل عن ^(١) الشعبي أن سالما قال : قيل [لأبي عبد الله] بن
عمر : إن الحسين توجه إلى العراق ، فلحقه على ثلاثة مراحل من المدينة ، وكان
غائباً عند خروجه ، فقال أين ترید ؟ فقال : أريد العراق ، وأخرج إليه كتب
القوم ، ثم قال : هذه بيتهما وكتبهما . فناشده الله أن يرجع ، فأبى . فقال :
أحد ذلك بمحدثت به أحداً قبلك : إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه
وسلم يُخْبِرُهُ بين الدنيا والآخرة ، فاختار الآخرة ، وإنكم بضعة منه ، فوالله
لا يليها أحدٌ من أهل بيته أبداً ، وما صرفها الله عنكم إلا لما هو خيرٌ ١٥
لكم ، فارجع ، فأنت تعرف غدر أهل العراق وما كان يلاقى أبوك منهم . فأبى
فأعتنقه ، وقال : استودعك الله من قتيل .

وقال الفرزدق : خرجت أريد مكة ، فإذا بباب مضرورة وفاسطيط ،
فقلت : من هذه ؟ قالوا : للحسين ، فعدلت إليه فسلمت عليه ، فقال : من
أين أقبلت ؟ قلت : من العراق . قال : كيف تركت الناس ؟ قلت : القلوب
٢١٠ معك ، والسيوف عليك ، والنَّصَرُ من السماء .

(١) رواية هذا السندي الأصول : « يحيى بن إسماعيل عن سالم أن الشعبي » صوابه
ما أثبنا . إذ يحيى بن جرير بن عبد الله البجلي السكوني تأمذن الشعبي . (انظر
النهذب ١١ : ١٨٩).

٢٥ (٢) هو سالم بن عبد الله بن عمر ، وبكتي أبا عمر ، وكان من خيار الناس وفقهائهم .
وكان أبوه يلام في حبه . ومات في المدينة سنة ستة ومائة . (انظر المعارف) .

تسمية من قتل مع الحسين بن علي
رضي الله عنهم من أهل بيته ومن أسر منهم

قال أبو عبيد : حدثنا حجاج عن أبي معاشر قال : قتل الحسين بن علي ،
وُقُتُلَ مَعَهُ عثمان بن علي ، وأبو بكر بن علي ، وجعفر بن علي ، والعباس بن
علي^(١) ، وكانت أمّ البنين بنت حرام الـكـلـابـيـةـ ، وإبراهيم بن علي ، لأم ولد
له ، وعبد الله بن حسن ، وخمسة من بني عقيل بن أبي طالب ، وعون ومحمد ابنا
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ، وثلاثة من بني هاشم . فجُنِيَّ لهم سبعة عشر
رجلًا . وأسر أثنا عشر علاماً من بني هاشم ، فيهم : محمد بن الحسين ، وعلى
ابن الحسين ، وفاطمة بنت الحسين . فلم تقم لبني حرب قائمة حتى سلّمُوا
الله ملوكَهم .

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج بن يوسف : جفوني دماء أهل
هذا البيت ، فإني رأيت بني حرب سلّموا ملوكَهم لما قتلوا الحسين .

حديث الزهرى في قتل الحسين

رضي الله عنه

حدثنا أبو محمد عبد الله بن ميسرة قال : حدثنا محمد بن موسى الحرثي
قال : حدثنا حماد بن عيسى الجعفري عن عمر بن قيس ، قال : سمعت ابن شهاب
الزهرى يحدّث [عن] سعيد بن المسّب عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه
وسلم . قال حماد بن عيسى : وحدّثني به عباد بن بشر عن عقيل عن الزهرى عن
سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي صلّى الله عليه وسلم ، قال : لا يلدغ^(٢)
المؤمن من جحش مرتين .

(١) في بعض الأصول : « وعلى وال Abbas » مكان وال Abbas بن » تحرير .

(٢) في بعض الأصول : « لا يلسع » .

وقال^(١) : قال الزهرى : خرجت مع قتيبة أريد المصيصة^(٢) ، فقدمنا على أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان ، وإذا هو قاعد في إيوان له ، وإذا سماطان من الناس على باب الإيوان ، فإذا أراد حاجة قالها للذى يليه ، حتى تبلغ المسألة بباب الإيوان ، ولا يعشى أحد بين السماطين . قال الزهرى : فجئنا فقمنا على باب الإيوان ، فقال عبد الملك للذى عن يمينه : هل بلغكم أى شىء أصبح في بيت المقدس ليلة قتل الحسين بن على[؟] قال : فسأل كل واحد منهم مصاحبه ، حتى بلغت المسألة الباب ، فلم يرد أحد فهم شيئاً . قال الزهرى : فقلت : عندى في هذا علم . قال : فرجعت المسألة رجلاً عن رجل حتى انتهت إلى عبد الملك . قال : فدعتم ، فشيدت بين السماطين ، فلما انتهيت إلى عبد الملك سلمت عليه . فقال لي : من أنت ؟ قلت : أنا محمد بن مسلم بن عبيدة الله بن شهاب الزهرى .
 قال : فعرفني بالنسب^(٣) ، وكان عبد الملك طلاباً للحديث ، [فعرفته] . فقال : ما أصبح ببيت المقدس يوم قتل الحسين بن على[؟] بن أبي طالب[؟] — وفي رواية على[؟] بن عبد العزيز عن إبراهيم بن عبد الله عن أبي معاشر عن محمد بن عبد الله^(٤) ابن سعيد بن العاص عن الزهرى ، أنه قال : الليلة التي قُتِلَ فيها الحسين ابن على[؟] — قال الزهرى : نعم ، حدثني فلان — ولم يسمه لنا — أنه لم يرُفِعْ تلك الليلة ، التي صبيحتها قُتِلَ الحسين بن على[؟] بن أبي طالب^(٥) ، حجر^(٦) في بيت المقدس إلا وجد تحته دم عبيط^(٧) . قال عبد الملك : صدقت ، حدثني الذي حدثك ، وإنك وإياك في هذا الحديث لغير بيان . ثم قال لي : ما جاء بك ؟ قلت : [جئت] مرابطاً . قال : الزم الباب ، فأقمت عندك ، وأعطيتك مالاً كثيراً .

٢٠

(١) أى عمر بن قيس وبشر بن عقيل .

(٢) المصيصة (بالفتح وتشديد الصاد الأولى ، وقليل بتخفيفها ، والأصح الأول) : مدينة على شاطئ جيحان من نفور الشام . (انظر معجم البلدان) .

(٣) يريد سند ما يروى . (٤) في بعض الأصول : « محمد بن عبد الملك ... الخ » .

(٥) في بعض الأصول : « على بن أبي طالب والحسين بن على « مكان » الحسين بن على بن أبي طالب » .

(٦) دم عبيط : طرى .

قال : فاصنادنه في الخروج إلى المدينة ، فأذن لي ومهى غلامٌ لي ، ومعه مالٌ
كثير في عبيبة ، ففقدت العبيبة ، فاتهمت الغلام ، فوعده وتواعده ، فلم يقرَّ لي
بشيء . قال : فصرعته وقعدت على صدره ووضعت مِرْفقي على وجهه ، وغمزته
غمزةً وأنا لا أريد قتله ، فمات تحتي ، وسطط في يدي . وقدمت المدينة فسألت

^{٣١١} سعيد بن المسيب وأبا عبد الرحمن وعروة بن الزبير والقاسم بن محمد وسلم بن عبد الله ،

فكلُّهم قال : لا نعلم لك توبَةً . فبلغ ذلك على بن الحسين ، فقال : على به . فأتته
قصصت عليه القصة . فقال : إن لذنك توبةً ، ثم شهرين مُتقابعين وأتعق
رقبة مؤمنة وأطعم ستين مسكيناً ، ففعلت . ثم خرجت أريد عبد الملك ، وقد
بلغه أنني أخلفت المال ، فأفاقت بيابه أيامًا لا يُؤذن لي بالدخول ، فجاءت إلى
معلم ولده ، وقد حدق ابن عبد الملك عندَه ، وهو يعلم ما يأكِل بين يدي أمير
المؤمنين إذا دخل عليه ، فقلت لمؤذنه : ما ^(١) تأمل من أمير المؤمنين أن يحصلك به
ذلك عندي ، ذلك على أن تكلم الصبي إذا دخل على أمير المؤمنين ، فإذا قال ^(٢)
له : سَل حاجتك ، يقول له : حاجتي أن ترْضى عن الْوَهْرَى . ففعل ، فضحك
عبد الملك وقال : أين هو ؟ قال : بباب . فأذن لي ، فدخل ، حتى إذا صررت بين
^{١٥} يديه ، قلت : يا أمير المؤمنين ، حدثني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي
صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال : لا يلدغ المؤمن من جحر صَبَّين .

وقعة الحرفة

أبو اليقظان قال : لما حضرت معاوية الوفاة دعا يزيد ، فقال له : إن لك
من أهل المدينة يوماً ، فإذا فعلوا فارهم بِعُسلم بن عقبة ، فإنه رجل قد عرَّفنا
نضجه . فلما كانت سنة ثلث وستين ، قدم عثمان بن محمد بن أبي سفيان
المدينة عاملها ليزيد بن معاوية ، وأوفد على يزيد وفداً من رجال المدينة ،

(١) في بعض الأصول : «كم» .

(٢) في بعض الأصول : «فقال» . مكان قوله «إذا قال» . بـة (٢)

فيهم عبد الله بن حفظة غسيل الملائكة ، معه ثمانية بنين له ، فأعطاه مائة ألف [درهم] ، وأعطي بنيه كل رجل منهم عشرة آلاف ، سوی كسوتهم وحملاتهم ^(١) . فلما قدم عبد الله بن حفظة المدينة ، أتاه الناس ، فقالوا : ما ورائك ؟ قال : أتيتكم من عند رجل والله لوم أجاد إلا بنى هؤلاء لجاهدتهم بهم . قالوا : فإنه قد بلغنا أنه أكرمك وأجازك وأعطيك . قال : قد فعل ، وما قبلت ذلك منه إلا أن أتفوي به عليه — أى على قتال يزيد — وحضر الناس على يزيد فأجابوه . فكتب عثمان بن محمد إلى يزيد بما أجمع عليه أهل المدينة من الخلاف . فكتب إليهم يزيد بن معاوية : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد . فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال . وإنى قد أبغضتكم فأخلاقكم ، ورفعتكم على رأيي ، ثم على عيني ، ثم على فني ، ثم على بطني ، والله لن وضعكم تحت قدمي لأطأنكم وطأة أقل بها عدكم ، وأترككم بها أحاديث ، تنتسبن أخباركم مع أخبار عاد ونود . فلما أتاهم كتابه حجي القوم ، وقدّمت الأنصار عبد الله بن حفظة على أنفسهم ، وقدّمت قريش عبد الله بن مطیع ، ثم أخرجوا عثمان بن محمد بن أبي سفيان من المدينة ، ومرwan بن الحكم ، وكل من كان بها من بنى أمية . وكان عبد الله ابن عباس بالطائف ، فسأل عنهم ، فقيل له : أستعملوا عبد الله بن مطیع على قريش ، وعبد الله بن حفظة على الأنصار . فقال : أميران اهلك القوم .

ولما بلغ يزيد ما فعلوا أمر بقبة فضررت له خارجاً عن قصره ، وقطع ^(٢) البُعْوَث على أهل الشام ، فلم تمض ثلاثة حتى تواتت الحشود . فقدم عليهم مسلم ابن عقبة المرئي ، فتووجه إليهم . وقد حمد أهل المدينة فآخرجوه إلى كل ماء لهم بينهم وبين الشام ، فصبوا فيه زقاناً من قطران وغوروه ، فأرسل الله عليهم المطر ، فلم يستقروا شيئاً حتى وردوا المدينة .

(١) الحلان (بالضم) : ما يحمل عليه من الدواب ، في الهبة خاصة :

(٢) قطع ، أى فرض .

قال أبو اليقظان وغيره : إن يزيد بن معاوية ولـ مسلم بن عقبة ، وهو قد أشتبك ، فقال له : إن حدث بك حدث فـ ^{فـ} عمل حسين بن نمير . فخرج حتى قدم المدينة ، خرج إليه أهلها في عدة وهيبة وجـ جـ جـ كـثـيرـةـ لم يـرـ مثلـهاـ .

^{٣١٢} ^٥ فـ ^{فـ} لما رأـمـ أـهـلـ الشـامـ هـاـبـوـمـ وـكـرـهـواـ قـاتـالـهـمـ . فـ ^{فـ} أـصـرـ مـسـلـمـ بنـ عـقـبةـ بـسـرـيرـهـ فـ ^{فـ} وـضـعـ بينـ الصـفـينـ وـهـوـ عـلـيـهـ مـرـيـضـ ، وـأـمـرـ مـفـادـيـاـ يـنـادـيـ : قـاتـلـواـ عـنـ أـمـيرـكـمـ أـوـ دـعـوهـ .

فـ ^{فـ} بـجـدـ النـاسـ فـ القـتـالـ ، فـ ^{فـ} سـمـمـواـ الـكـبـيرـ منـ خـلـفـهـمـ فـ جـوـفـ المـدـيـنـةـ ، فـ ^{فـ} إـذـاـ

[ـ هـ] قـدـ أـقـحـ عـلـيـهـمـ بـنـوـ حـارـثـةـ أـهـلـ الشـامـ ، وـهـمـ عـلـىـ الـجـلـدـرـ ، فـ ^{فـ} نـزـمـ النـاسـ .

وعـبـدـ اللهـ بنـ حـنـفـةـ مـتـسـانـدـ إـلـىـ بـعـضـ بـنـيـهـ يـغـطـ ثـ نـوـمـاـ ، فـ ^{فـ} لـمـ فـتـحـ عـيـنـيهـ فـ ^{فـ} رـأـىـ

ما صـنـعـواـ أـمـرـأـ كـبـرـ بـنـيـهـ ، فـ ^{فـ} تـقـدـمـ حـتـىـ قـتـلـ ، فـ ^{فـ} لـمـ يـزـلـ يـقـدـمـ وـاحـدـاـ وـاحـدـاـ حـتـىـ

^{١٠} أـنـىـ عـلـىـ آخـرـهـ ، نـمـ كـسـرـ غـمـدـ سـيـفـهـ ، وـقـاتـلـ حـتـىـ قـتـلـ . وـدـخـلـ مـسـلـمـ بنـ

عـقـبةـ المـدـيـنـةـ ، وـتـغـلـبـ عـلـىـ أـهـلـهـاـ ، نـمـ دـعـاهـمـ إـلـىـ الـبـيـعـةـ عـلـىـ أـنـهـمـ خـوـلـ يـزـيدـ

ابـنـ مـعـاوـيـةـ يـحـكـمـ فـ دـمـائـهـ وـأـمـوـالـهـ وـأـهـلـهـ ، فـ ^{فـ} بـيـاعـواـ ، حـتـىـ أـنـىـ بـعـبـدـ اللهـ

ابـنـ زـمـعـةـ ، فـ ^{فـ} قـالـ لـهـ : عـلـىـ أـنـكـ خـوـلـ لـأـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ يـحـكـمـ فـ مـالـكـ وـدـمـكـ

وـأـهـلـكـ . قـالـ : لـنـ أـبـاـيـعـ عـلـىـ أـنـيـ بـرـعـمـ أـمـيرـ الـمـؤـمـنـينـ يـحـكـمـ فـ دـمـيـ وـمـالـيـ وـأـهـلـيـ .

^{١٥} فـ ^{فـ} قـالـ مـسـلـمـ بنـ عـقـبةـ : أـصـرـ بـواـ عـنـقـهـ ، فـ ^{فـ} وـثـبـ مـرـوانـ بنـ الـحـسـكـمـ فـ ضـمـهـ إـلـيـهـ ،

وـقـالـ : فـ ^{فـ} بـيـاعـكـ عـلـىـ مـاـ أـحـبـتـ . فـ ^{فـ} قـالـ ^(١) : لـاـ وـالـلـهـ لـاـ أـقـيـلـهـ إـلـيـهـ أـبـداـ ، إـنـ تـنـجـ

وـإـلـاـ فـ ^{فـ} أـفـتـلـهـ جـمـيعـاـ . فـ ^{فـ} تـرـكـهـ مـرـوانـ وـصـرـبـ عـنـقـهـ . وـهـرـبـ عـبـدـ اللهـ بنـ مـطـيـعـ حـتـىـ

لـقـ بـكـةـ ، فـ ^{فـ} كـانـ بـهـاـ حـتـىـ قـتـلـ مـعـ عـبـدـ اللهـ بنـ الزـبـيرـ فـ أـيـامـ عـبـدـ المـالـكـ بنـ

مـرـوانـ ، وـجـعـلـ يـقـاتـلـ أـهـلـ الشـامـ وـهـوـ يـقـولـ :

^{٢٠٧} أنا الـذـىـ فـرـرـتـ يـوـمـ الـحرـةـ والـشـيـعـ لاـ يـفـرـ إلاـ مـرـةـ

فـالـيـوـمـ أـجـزـيـ كـرـةـ بـفـرـةـ لـاـ بـأـسـ بـالـكـرـةـ بـعـدـ الفـرـةـ

أـبـوـ عـقـيلـ الدـورـقـ ^(٢) قـالـ : سـمـعـتـ أـبـاـ نـصـرـةـ يـحـدـثـ ، قـالـ : دـخـلـ أـبـوـ سـعـیدـ

(١) فـ ^{فـ} قـالـ ، أـنـىـ مـسـلـمـ .

(٢) فـ ^{فـ} الأـصـولـ : «ـ الزـرـقـ » . وـالـصـوـبـ منـ الطـبـرـىـ .

الخُدْرَى يوم الحَرَّةِ فِي غَارٍ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ، وَفِي عُنْقِهِ سَعِيدُ السَّيْفِ ، فَوَضَعَ أَبُو سَعِيدَ السَّيْفَ وَقَالَ : « بُؤْ بِإِيمَانِي وَبِإِيمَانِكَ فَتَكُونُ مِنْ أَحْمَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ». فَقَالَ : أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرَى أَنْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَأَسْتَغْفِرُ لَكِ . قَالَ : غَفَرَ اللَّهُ لَكَ .

وَأَمْرُ مُسْلِمٍ بْنِ عُقْبَةَ بِقَتْلِ مَعْقُلٍ بْنِ سِفَانَ الْأَشْجَعِيِّ ، صَبْرَاً ، وَمُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ بْنَ حُذِيفَةَ [الْعَدُوِّيِّ] ^(١) ، صَبْرَاً . وَكَانَ جَمِيعُ مَنْ قُتِلَ يَوْمَ الْحَرَّةِ مِنْ قَرِيشٍ وَالْأَنْصَارِ ثَلَاثَةٌ رَجُلٌ وَسَقِّةٌ رَجُالٌ . وَمِنْ الْمَوَالِيِّ وَغَيْرِهِمْ أَضْعَافُ هُولَاءِ . وَبَعْثَ مُسْلِمٍ بْنِ عُقْبَةَ بْرَهُوسَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ إِلَيْ يَزِيدَ ، فَلَمَّا أَلْقَيْتَ بَيْنَ يَدِيهِ جَمِيعَ يَوْمَ مُثَلَّ بِقَوْلِ ابْنِ الزَّبَرِيِّ يَوْمَ أَحَدٍ :

١٠ ^(٢) لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسْلَلِ
لَاهَلُوا وَاسْتَهَلُوا فَرَحًا وَلَقَالُوا لِيَزِيدَ : لَا فَشَلَ
فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ أَحْمَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ارْتَدَتَ عَنِ
الْإِسْلَامِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! قَالَ : بَلِي ، نَسْتَغْفِرُ اللَّهَ . قَالَ : وَاللَّهِ لَا سَاكِنُوكَ لَمْ رَحِمَنَا
أَبْدَا ، وَخَرَجَ عَنْهُ .

١٥ وَلَمَّا انْفَضَّ أَمْرُ الْحَرَّةِ تَوَجَّهَ مُسْلِمٌ بْنُ عُقْبَةَ بْنَ مَعْهٗ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ إِلَى
مَكَّةَ يُرِيدُ ابْنَ الزَّبَرَ وَهُوَ ثَقِيلٌ ، فَلَمَّا كَانَ بِالْأَبْوَاءِ ^(٣) حَضَرَهُ أَجْلُهُ ، فَدَعَا حُمَّادِينَ
ابْنَ زُمَيرَ ، فَقَالَ لَهُ : إِنِّي أَرْسَلْتُ إِلَيْكَ فَلَا أَدْرِي أَقْدَمْتُ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ أَمْ
أَقْدَمْتُ فَأَضْرَبَ عَنْهُكَ ؟ قَالَ : أَصْلِحُكَ اللَّهُ ، أَنَا سَهْمُكَ فَارِمٌ بِي حَيْثُ شَئْتَ .
قَالَ : إِنَّكَ أَعْرَابِيٌّ جَلْفٌ جَافٌ ، وَإِنَّ هَذَا الْحَيَّ مِنْ قَرِيشٍ لَمْ يَمْكُنْهُمْ أَحَدٌ قَطُّ
مِنْ أَذْنِهِ إِلَّا غَلَبُوهُ عَلَى رَأْيِهِ ، فَسِرْ بِهَذَا الْجَيْشِ ، فَإِذَا لَقِيتَ الْقَوْمَ فَإِيَاكَ أَنْ

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَمُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي حُذِيفَةَ صَبْرَا وَمُحَمَّدٌ بْنُ أَبِي الْجَهْمِ صَبْرَا » تَحْرِيفٌ .

(٢) هَذَا الْبَيْتُ لِابْنِ الزَّبَرِيِّ . وَهُوَ مِنْ أَيْيَاتِهِ الْمُعْرُوفَةِ فِي يَوْمِ أَحَدٍ . (انْظُرِ السِّيرَةَ لِابْنِ هَشَامِ جِ ٣ صِ ١٤٤) طَبْعَةُ الْحَلَّاَيِّ . وَثَانِي الْبَيْتَيْنِ فِيهَا يَظْهُرُ لِيَزِيدُ .

(٣) الْأَبْوَاءُ : مِنْ أَعْمَالِ الْفَرْعَانِ مِنَ الْمَدِينَةِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْجَمِيعَةِ مِمَّا يَلِي الْمَدِينَةَ ثَلَاثَةٌ وَعَشْرُونَ مِيلًا . وَقَبْلَ الْأَبْوَاءِ جَبَلٌ عَلَى يَمِينِ آكِرَةِ وَيَمِينِ الْطَّرِيقِ الْمُصَدَّدِ إِلَى مَكَّةَ مِنَ الْمَدِينَةِ .

تمكّنهم من أذنك ، لا يكن إلا على الوقاف ، ثم الثّقاف^(١) ، ثم الانصراف .

ومات مُسلم بن عقبة ، لا رحمه الله . ومُضي حُصين بن نمير بجيشه ذلك . فلم يزل محاصرًا لأهل مكة حتى مات يزيد ، لا رحمه الله ، وذلك خمسون يوماً .

^{٣١٣} ونصب المجنون على الكعبة وحرّقتها يوم الثلاثاء الحس خلون من ربّع الأول
٥ سنة أربع وستين ، وفيها مات يزيد بن معاوية بمحوارين .

وفاة يزيد بن معاوية

مات يزيد بن معاوية بمحوارين من بلاد حفص ، وصلى عليه ابنه معاوية
ابن يزيد بن معاوية ليلاً البدر في شهر ربّع الأول . وأم يزيد ميسون بنت
بحدل السكري ، ومات وهو ابن ثمان وثلاثين سنة ، وكانت ولادته ثلاث سنين

١٠ وتسعة أشهر وأثنين وعشرين يوماً .

خلافة معاوية بن يزيد بن معاوية

وأستخلف معاوية بن يزيد بن معاوية في شهر ربّع الأول سنة أربع وستين ،
وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ومات بعد أبيه بأربعين يوماً ، ولم يزل مريضاً

١٥ طويلاً ولادته لا يخرج من بيته ، فلما حضرته الوفاة قيل له : لو عهدت إلى رجل
من أهل بيتك وأستخلفت خليفة ؟ قال : لم أنتفع بها حيَا ، فلأقلّها ميتاً ،

لайдه ببني أمية بخلافتها وأنجرع مراتتها ، ولكن إذا مت فليمصل على
الوليد بن عقبة ، وليمصل بالناس الفتحاك بن قيس حتى يختار الناس لأنفسهم .

فلما مات صلى عليه الوليد بن عقبة ، وصل بالناس الفتحاك بن قيس بدمشق ،
حيث^(٢) قامت دولة بني مروان .

٢٠ (١) الوقاف : أن تقف معه ويقف معك في حرب أو خصومة . والثقاف : الجلاء .

(٢) في بعض الأصول : « حتى » .

فتنة ابن الزبير

قال علي بن عبد العزيز : حدثنا أبو عبيد عن حجاج عن أبي عشر ، قال : لما مات مسلم بن عقبة سار حصين بن نمير حتى أتى مكة ، وابن الزبير بها ، فدعاهم إلى الطاعة ، فلم يجربوه ، فقاتلهم وقاتلهم ابن الزبير ، فقتل المنذر بن الزبير يومئذ ورجلان من إخوته ، ومصعب بن عبد الرحمن بن عوف ، والمسور بن خمرة . وكان حصين بن نمير قد نصب المخانيق على أبي قبيس وعلى قعيقان^(١) ، فلم يكن أحد يقدر أن يطوف بالبيت . فأسنداً ابن الزبير الواحًا من ساج على البيت ، وألقى عليها الفرش والقطائف^(٢) ، فكان إذا وقع عليها الحجر نبا عن البيت . فلكانوا يطوفون تحت الألواح ، فإذا سمعوا صوت الحجر حين يقع على الفرش والقطائف كبروا ، وكان ابن الزبير قد ضرب فسطاطاً في ناحية ، فكلما جرح ١٠ رجل من أصحابه أدخله ذلك الفسطاط ، فجاء رجل من أهل الشام بنار في طرف سفانه ، فأشعلها في الفسطاط ، وكان يوماً شديداً الحر ، فتمزق الفسطاط ، فوقع النبار على الكعبة ، فاحتراق الخشب والسفف ، وأنصع الوثن ، واحتراق الأستار وتساقطت إلى الأرض . قال : ثم اقتتلوا مع أهل الشام أيامًا بعد حريق الكعبة .

قال أبو عبيد : احترقت الكعبة يوم السبت لست خلون من ربيع الأول ١٥ سنة أربع وستين ، بجلس أهل مكة في جانب الحجر^(٣) ومعهم ابن الزبير ، وأهل الشام يرموا منهم بالنبل والحجارة ، فوقيعت نبلة بين يدي ابن الزبير ، فقال : في هذه خبر . فأخذها فوجد فيها مكتوباً : مات يزيد بن معاوية يوم الخميس لأربع عشرة خلت من ربيع الأول . فلما قرأ ذلك قال : يا أهل الشام ، يا أعداء

٢٠ (١) أبو قبيس : اسم الجبل المشرف على مكة ، وجهه إلى قعيقان ومكة بينهما ، أبو قبيس من شرقها وقعيقان من غربها .

(٢) القطائف : جمع قطيفة ، وهي دثار محمل .

(٣) الحجر (هنا) : حجر الكعبة ، وهو ما تركت قريش في بنائها من أساس لابراهيم عليه السلام .

الله ، ومحرق بيت الله ، علام تقاولون وقد مات طاغيتكم !

فقال حُصين بن نمير : موعدك البطحاء ^(١) الليلة أبا بكر . فلما كان الليل خَرَج ابن الزبير بأصحابه ، وخرج حُصين بأصحابه إلى البطحاء . ثم ترك كل واحد منهم أصحابه وأنفردا فنزل . فقال حُصين : يا أبا بكر ، أنا سيد أهل الشام لا أدفع ، وأرى أهل الحجاز قد رضوا بك ، فتعال أبا يفك الساعة ويهدر كل شيء أصدقناه يوم العرفة ، وتخرج معى إلى الشام ، فإني لا أحب أن يكون الملك بالحجاز . فقال : لا والله لا أفعل ولا آمن من أخاف الناس وأحرق بيت الله وأنتهك حُرمته . قال : بل ^(٢) فأ فعل على أن لا يختلف عليك أثنان . فإني ابن الزبير . فقال له حُصين : لعنة الله ولعنة من زعم أنك سيد ! والله لا تقْلِع أبدا ! اركبوا يأهـل الشام . فركبوا وأنصرـوا .

أبو عميد عن الحجاج عن أبي معاشر قال : حدثنا بعض المشيخة الذين حضروا قتـالـ ابن الزـبـير ، قال : غلبـ حـصـينـ بنـ نـمـيرـ عـلـىـ مـكـةـ كـلـهـ إـلـاـ الـحـيـزـ . قال : فـوـالـلـهـ إـنـىـ جـالـسـ عـنـدـهـ ، وـمـعـهـ نـفـرـ مـنـ الـقـرـشـيـنـ : عـبـدـ اللـهـ بـنـ مـطـيـعـ وـالـخـتـارـ بـنـ أـبـيـ عـمـيـدـ ، وـالـمـسـوـرـ بـنـ حـمـرـةـ ، وـالـمـنـذـرـ بـنـ الزـبـيرـ : إـذـ هـبـتـ رـوـيـحةـ ، فـقـالـ الـخـتـارـ : وـالـلـهـ إـنـىـ لـأـرـىـ فـهـذـهـ الرـوـيـحةـ النـصـرـ ، فـاحـلـوـ عـلـيـهـمـ . فـحـمـلـوـاـ عـلـيـهـمـ حـتـىـ أـخـرـجـوـهـمـ مـنـ مـكـةـ ، وـقـتـلـ الـخـتـارـ رـجـلاـ ، وـقـتـلـ اـبـنـ مـطـيـعـ رـجـلاـ ، ثـمـ جـاءـنـاـ عـلـىـ إـثـرـ ذـلـكـ مـوـتـ يـزـيـدـ بـعـدـ حـرـيقـ الـكـعـبـةـ بـإـحـدـىـ عـشـرـةـ لـيـلـةـ ، وـأـنـصـرـ حـصـينـ بـنـ نـمـيرـ وـأـصـحـابـهـ إـلـىـ الشـامـ ، فـوـجـدـوـاـ مـعـاوـيـةـ بـنـ يـزـيـدـ قـدـمـاتـ وـلـمـ يـسـتـخـلـفـ ، وـقـالـ : لـاـ أـنـحـمـلـهـاـ حـيـاـ وـمـيـتـاـ .

فـلـمـاـ مـاتـ مـعـاوـيـةـ بـنـ يـزـيـدـ بـاعـ أـهـلـ الشـامـ كـلـهـمـ اـبـنـ الزـبـيرـ إـلـاـ أـهـلـ الـأـرـدـنـ ^(٣) ، وـبـاعـ أـهـلـ مـصـرـ أـيـضاـ اـبـنـ الزـبـيرـ . وـاسـتـخـلـفـ اـبـنـ الزـبـيرـ الضـحـاكـ بـنـ قـيسـ

(١) البطحاء : كل موضع مقتسم ، ومنه بطحاء مكة . (٢) في بعض الأصول : « بلى » .

(٣) الأردن : كورة واسعة ، وكانت أحد أجناد الشام ، منها الغور وطبرية وصور وعكا وما بين ذلك . انظر معجم البلدان .

الفِهْرَى على أهل الشام . فلما رأى ذلك رجالُ بني أمية وناسٌ من أشرافِ أهل الشام ووجوههم ، منهم روحُ بن زِنْبَاع وغيره ، قال بعضُهم لبعض : إنَّ الْمُلَكَ كَانَ فِيْنَا أَهْلَ الشَّامَ ، فَانْتَقَلَ عَنَّا إِلَى الْحِجَازَ ، لَا زَرَضَى بِذَلِكَ ، هَلْ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا رَجُلًا مِنْنَا فَيُنْظَرَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؟ فَقَالَ^(١) : أَسْتَخِيرُو اللَّهَ . قَالَ : فَرَأَى الْقَوْمُ أَنَّهُ غَلَامٌ حَدَثَ السَّنِ ، نَخْرَجُوا مِنْ عَنْدِهِ ، وَقَالُوا : هَذَا حَدَثٌ . فَأَتَوْا عُمَرَ وَابْنَ سَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ ، فَقَالُوا لَهُ : ارْفِعْ رَأْسَكَ هَذَا الْأَمْرِ ، فَرَأَوْهُ حَدَثًا إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدِ بْنِ مَعَاوِيَةَ ، فَقَالُوا لَهُ : ارْفِعْ رَأْسَكَ هَذَا الْأَمْرِ ، فَرَأَوْهُ حَدَثًا حَرِيصًا عَلَى هَذَا الْأَمْرِ . فَلَمَّا نَخْرَجُوا مِنْ عَنْدِهِ قَالُوا : هَذَا حَدَثٌ . فَأَتَوْا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمَ ، فَإِذَا عَنْدَهُ مَصْبَاحٌ ، وَإِذَا هُمْ يَسْمَعُونَ صَوْتَهُ بِالْقُرْآنِ ، فَأَسْتَأْذَنُوا وَدَخَلُوا عَلَيْهِ ، فَقَالُوا : يَا أَبَا عَبْدِ الْمَلِكِ ، ارْفِعْ رَأْسَكَ هَذَا الْأَمْرِ . فَقَالَ : أَسْتَخِيرُو اللَّهَ وَأَسْأَلُو أَنْ يَخْتَارَ لِأَمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْرَهَا وَأَعْدَهَا . فَقَالَ لَهُ روحُ ابنِ زِنْبَاعَ : إِنَّ مَعِي أَرْبَعَمِائَةٍ مِنْ جُذَامٍ ، فَإِنَّ أَمْرَهُمْ أَنْ يَتَقَدَّمُوا فِي الْمَسْجِدِ غَدًا ، وَمُرِّأْتُ أَنْتَ أَبْنَكَ عَبْدَ الْعَزِيزَ أَنْ يَخْطُبَ النَّاسَ وَيَدْعُهُمْ إِلَيْهِ ، فَإِذَا فَعَلَ ذَلِكَ تَنَادَوْا مِنْ جَانِبِ الْمَسْجِدِ : صَدَقَتْ صَدَقَتْ ، فَيَظْنُنَ النَّاسُ أَنَّ أَمْرَهُمْ وَاحِدٌ .

فَلَمَّا أَجْتَمَعَ النَّاسُ قَامَ عَبْدُ الْعَزِيزَ فِي حِمَادِ اللَّهِ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَا أَحْدَدُ أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ مَرْوَانَ كَبِيرَ قُرْيَاشٍ وَسَيِّدِهَا ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقِدْ شَابَتْ ذِرَاعَاهُ مِنَ الْكِبَرِ . فَقَالَ الْجُذَامِيُّونَ : صَدَقَتْ صَدَقَتْ . فَقَالَ خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ :

أَمْرٌ دُبُّرٌ بِلِيلٍ . فَبَيَّنُوا مَرْوَانَ بْنَ الْحَكَمَ . ثُمَّ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ الضَّحَّاكَ بْنَ قِيسِ بْنِ رَاهِطٍ مَا سِيَّأْتَى ذَكْرُهُ بَعْدَ هَذَا فِي دُولَةِ بَنِي مَرْوَانَ .

٢٠ دُولَةِ بَنِي مَرْوَانَ وَوَقْعَةِ مَرْجِ رَاهِطٍ

أبو الحسن قال : لما مات معاوية^٢ بن يزيد أختلف الناس^٣ بالشام ، فـكان أولَ من خالَفَ مِنْ أَمْرَاءِ الْأَجْنَادِ النَّعْمَانُ^٤ بْنَ بَشِيرِ الْأَنْصَارِيِّ ، وَكَانَ عَلَى حِصْنٍ ،

(١) أَيْ روحُ بْنُ زِنْبَاعَ .

فَدْعَا لِابْنَ الزَّبِيرَ، فَبَلَغَ خَبْرُهُ زَفَرَ بْنُ الْحَارِثِ الْكَلَابِيُّ، وَهُوَ بِقِنْسُرَيْنِ^(١)، فَدْعَا إِلَى أَبْنَ الزَّبِيرِ أَيْضًا بِدِمْشَقَ سَرًّا، وَلَمْ يُظْهِرْ ذَلِكَ لِمَنْ بِهَا مِنْ بَنِي أُمَّيَّةِ وَكَلَبٍ. وَبَلَغَ ذَلِكَ حَسَانَ بْنَ مَالِكَ بْنَ بَحْدَلَ الْكَلَابِيُّ، وَهُوَ بِفِلَسْطِينِ، فَقَالَ لَرْوْحَ بْنَ زِنْبَاعَ: إِنِّي أَرَى أَمْرَاءَ الْأَجْنَادِ يُبَايِعُونَ لِابْنِ الزَّبِيرِ، وَأَبْنَاءَ قَيْسٍ بِالْأَرْدُنِ كَثِيرٌ، وَهُمْ قَوْمٌ، فَإِنَّا خَارِجٌ إِلَيْهَا وَأَقْمَ أَنْتَ بِفِلَسْطِينِ، فَإِنَّ جُلَّ أَهْلِهَا قَوْمٌ كُنْ خَمْ وَجْدَامٌ، فَإِنَّ خَالِفَكَ أَحَدٌ فَقَاتَلَهُ بَهْمٌ. فَأَقْامَ رَوْحٌ بِفِلَسْطِينِ، ٢١٥ وَخَرَجَ حَسَانٌ إِلَى الْأَرْدُنِ. فَقَامَ نَائلُ^(٢) بْنَ قَيْسٍ الْجَذَامِيُّ، فَدْعَا إِلَى أَبْنَ الزَّبِيرِ، وَأَخْرَجَ رَوْحَ بْنَ زِنْبَاعَ مِنْ فِلَسْطِينِ، وَلَحِقَ بِهِ حَسَانٌ بِالْأَرْدُنِ. فَقَالَ حَسَانٌ: يَا هَلَّ الْأَرْدُنُ، قَدْ عَلِمْتُ أَنَّ ابْنَ الزَّبِيرِ فِي شِقَاقٍ وَنَفَاقٍ وَعِصَيَانٍ لِخَلْفَاءِ اللَّهِ وَمُفَارَقَةِ ١٠ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، فَانْظُرُوا رِجَالًا مِنْ بَنِي حَرَبٍ فَبَايِعُوهُ. فَقَالُوا: أَخْتَرْ لَنَا مِنْ شَهْدَتَ مِنْ بَنِي حَرَبٍ وَجَنَّبْنَا هَذِينِ الرِّجَلَيْنِ الْغَلَامَيْنِ: عَبْدَ اللَّهِ وَخَالِدَأَ، ابْنَيْ ١٥ يَزِيدَ بْنَ مَعَاوِيَةَ، فَإِنَّا نَكْرِهُ أَنْ يَدْعُوا النَّاسَ إِلَى شَيْخٍ، وَنَحْنُ نَدْعُو إِلَى صَبِيٍّ. وَكَانَ هَوَى حَسَانَ فِي خَالِدِ بْنِ يَزِيدٍ، وَكَانَ ابْنَ أَخْتِهِ. فَلَمَّا رَمَوهُ بِهَذَا الْكَلَامِ أَمْسَكَ، وَكَتَبَ إِلَى الضَّحَّاكَ بْنَ قَيْسٍ كِتَابًا يُعْظِمُ فِيهِ بَنِي أُمَّيَّةَ وَبَلَاءَهُمْ عِنْهُ، ٢٠ وَيَدُمَ أَبْنَ الزَّبِيرِ وَيَذَكُرُ خَلَافَهُ لِجَمَاعَةِ، وَقَالَ لِرَسُولِهِ: اقْرَأْ الْكِتَابَ عَلَى الضَّحَّاكَ بِمَحَضِرِ بَنِي أُمَّيَّةِ وَجَمَاعَةِ النَّاسِ. فَلَمَّا قَرَأْ كِتَابَ حَسَانَ تَكَلَّمَ النَّاسُ^(٣) فَصَارُوا فِرْقَتَيْنِ، فَصَارَتِ الْيَمَانِيَّةُ مَعَ بَنِي أُمَّيَّةَ، وَالْقَيْسِيَّةُ زُبِيرِيَّةٌ، ثُمَّ اجْتَلَدُوا ٢٥ بِالْفَعَالِ وَمَشَى بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ بِالسِّيُوفِ، حَتَّى حَبَّرْجَزَ بَنِيهِمْ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ، وَدَخَلَ الضَّحَّاكَ دَارَ الْإِمَارَةِ، فَلَمْ يَخْرُجْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ. وَقَدِمَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنَ زِيَادَ، فَكَانَ مَعَ بَنِي أُمَّيَّةِ بِدِمْشَقَ. فَخَرَجَ الضَّحَّاكُ بْنَ قَيْسٍ إِلَى الْمَرْجَ — مَرْجَ

(١) قنسرين: كورة بالشام منها حلب. وكانت قنسرين مدينة بينها وبين حلب مرحلة من جهة حمص. وما زالت عامرة إلى سنة ٣٥١ أو سنة ٣٥٥ عندما خربها الروم وأحرقوا مساجدها فلم تعمر بعد ذلك. (انظر معجم البلدان).

(٢) في بعض الأصول: «نائل». وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى والمشتبه.

(٣) اجتلدوا بالفعال، أي تضاربوا بها.

راهط — فعسّكر فيه ، وأرسل إلى أمراء الأجناد فأتوه ، إلّا ما كان من كلب .
ودعا مروان إلى نفسه ، فبأيّنته بنو أمية وكاب وغسان والسكاك وطي ، فعسّكر
في خمسة آلاف . وأقبل عَبَادُ بْنُ يَزِيدَ من حُوران في ألفين من مواليه وغيرهم
من بني كلب ، فلحق بمروان . وغلب يَزِيدُ بْنُ أَبِي أَنِيسٍ على دمشق ، فأخرج
منها عاملَ الضحاك . وأمْدَ مروان ب الرجال وسلاح كثير . وكتب الضحاك إلى أمراء
الأجناد ، فقدم عليه زُفْرَ بْنُ الْحَارِثَ مِنْ قَنْصُرَيْنَ ، وأمده النعمان بْنُ بشير
بَشَرَ حَبِيلَ بْنَ ذِي الْكَلَاعِ فِي أَهْلِ حِصْنٍ ، فتَوَافَوا عَنْدَ الضْحَاكَ بِمَرْجِ رَاهِطٍ ،
فَكَانَ الضْحَاكَ فِي سَتِينِ أَلْفًا ، وَمَرْوَانٌ فِي ثَلَاثَةِ عَشَرَ أَلْفًا ، أَكْثَرُهُمْ رَجَالٌ ، وَأَكْثَرُ
أَصْحَابِ الضْحَاكِ رُكَّبَانٍ . فَاقْتَلُوا بِالْمَرْجِ ، عَشْرَيْنَ يَوْمًا ، وَصَبَرَ الْفَرِيقَانِ . وَكَانَ عَلَى
مَيْمَنَةِ الضْحَاكِ زِيَادُ بْنُ عَمْرُو بْنِ مَعَاوِيَةِ الْعَقِيلِيِّ^(١) ، وَعَلَى مَيْسِرَتِهِ بَكْرُ بْنُ أَبِي بشير
الْهَلَالِيِّ . فَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادَلَمْرَانَ : إِنَّكَ عَلَى حُقُوقِ وَابْنِ الزَّبِيرِ وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ عَلَى
الْبَاطِلِ ، وَهُمْ أَكْثَرُ مَنْ آتَدَ وَعَدَ ، وَمَعَ الضْحَاكَ فُرُسَانُ قَيْسٍ ، وَأَعْلَمُ أَنَّكَ لَا تَنْهَا
مِنْهُمْ مَا تَرِيدُ إِلَّا بِكِيدَةٍ ، وَإِنَّمَا الْحَرْبُ خُدُعةٌ ، فَادْعُهُمْ إِلَى الْمَوَادِعَةِ ، فَإِذَا أَمْنَوْا
وَكَفُوا عَنِ الْقَتْلِ ، فَكُرُّ عَلَيْهِمْ . فَأَرْسَلَ مَرْوَانُ الشَّفَرَاءَ^(٢) إِلَى الضْحَاكَ يَدْعُوهُ
إِلَى الْمَوَادِعَةِ وَوَضْعِ الْحَرْبِ حَتَّى يَنْظُرَ . فَأَصْبَحَ الضْحَاكُ وَالْقَيْسِيَّةُ قَدْ أَمْسَكُوا عَنِ
الْقَتْلِ ، وَهُمْ يَطْمِئِنُونَ أَنْ يُبَايِعَ مَرْوَانَ لَابْنِ الزَّبِيرِ ، وَقَدْ أَعْدَ مَرْوَانَ أَصْحَابَهُ ، فَلَمْ يَشْعُرُ
الضْحَاكُ وَأَصْحَابُهُ إِلَّا وَالْخَيْلُ قَدْ شَدَّتْ عَلَيْهِمْ ، فَفَزَعَ النَّاسُ إِلَى رَأْيَاتِهِمْ مِنْ غَيْرِ
أَسْتَعْدَادٍ وَقَدْ غَشَيْتُهُمُ الْخَيْلُ ، فَنَادَى النَّاسُ : أَبَا أَنِيسٍ ، أَعْجَزَ بَعْدَ كَيْسٍ —
وَكُنْيَةِ الضْحَاكِ : أَبُو أَنِيسٍ — فَاقْتُلَ النَّاسُ وَلَزَمَ النَّاسُ رَأْيَاتِهِمْ ، فَتَرْجَلَ مَرْوَانُ ،
وَقَالَ : قَبَّحَ اللَّهُ مَنْ وَلَاهُمُ الْيَوْمَ ظَهَرَهُ حَتَّى يَكُونَ الْأَمْرُ لِأَحَدٍ مِنَ الطَّاغَتِينَ .
٢٠ فُقِّتَ الضْحَاكُ بْنُ قَيْسٍ ، وَصَبَرَتْ قَيْسٍ عَنْدَ رَأْيَاتِهِ يَقَاتِلُونَ ، فَنَظَرَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي

(١) في بعض الأصول : « زِيَادُ بْنُ الضْحَاكَ الْعَقِيلِيِّ » وما أثبنا من سائر الأصول
والطبرى .

(٢) في بعض الأصول : « بَشَرًا » . وفي بعض آخر : « بَشِيرًا » . تحرير .

عُقِيل إلى ما تلقى قيس عند رايته من القَتْل ، فقال : اللهم أعنها من رايات !
واعتراضها بسيفه ، فيجعل يقطعها ، فإذا سقطت الراية تفرق أهلها . ثم انهزم
الناس ، فنادى مُنادٍ مروان : لا تتبعوا من ولاكم اليوم ظهره . فزعموا أنَّ
رجالاً من قيس لم يضحكوا بعد يوم المَرْج حتى ماتوا جَزِعاً على من أصيب من
فُرسان قيس يومئذ . فقتل من قيس يومئذ من كان يأخذ شرف العطاء ثمانون
٥ رجلاً ، وقتل من بنى سليم سِمَانة ، وقتل لمروان ابن يقال له عبد العزيز^(١) . وشمَد
٣٦ ٢ مع الضحاك يوم مَرْج راهط عبد الله بن معاوية بن أبي سفيان . فلما انهزم
الناس ، قال له عبيد الله بن زياد : أرتدف خلفي ، فارتدى ، فأراد عمرو بن
سعید أن يقتله . فقال له عبيد الله بن زياد : ألا تكُف يا لطيم الشيطان^(٢) !
١٠ وقال زفر بن الحارث ، وقد قُتل أبناء يوم المَرْج :
لَعْمَرِي لَقِدْ أَبْقَتْ وَقِيعَةُ رَاهِطٍ بَرَوَانَ صَدْعَا بَيْنَ اِمْقَانِيَا^(٣)
فَلَمْ يُرَأِ مِنِي زَلَةً قَبْلَ هَذِهِ فِرَارِي وَتَرَكِ صَاحِبِي وَرَائِيَا
أَيْذَهَبْ يَوْمَ وَاحِدَّ إِنْ أَسَاطِهِ بَصَالِحِي أَيَامِي وَحُسْنِي بِلَائِيَا
أَنْتَرَكْ كَلْبَا لَمْ قَنَلَهَا رَاهِطِي وَتَذَهَبْ قَتْلِي رَاهِطِي وَهِيَ مَا هِيَا
١٥ وَقَدْ تَذَبَّتْ الْخَضْرَاءِ فِي دِمَنِ الثَّرَى وَتَبَقَّى حَزَازَاتُ النَّفُوسِ كَمَا هِيَا
فَلَا صُلْحٌ حَتَى نَدْعُسَ الْخَيْلَ بِالْقَنَا وَتَثَارَ مِنْ أَبْنَاءِ كَلْبِ نَسَائِيَا^(٤)
فَلَمَّا قُتِلَ الضحاك وأنهزم الناس ، نادى مروان أن لا يتبع أحد . ثم
أقبل إلى دمشق فدخلها ونزل دار معاوية بن أبي سفيان دار الإمارة ، ثم جاءته
بيعة الأجناد ، فقال له أصحابه : إنما لا نتحمّل عليك إلا خالد بن يزيد ، فتزوج أمه ،

٢٠ (١) انظر الطبرى ، ففى مقتل عبد العزيز بن مروان فى هذه الواقعة خلاف . ثم فيه
أن مروان أمر أهل الشام بعد البيعة لابنه عبد الملك وعبد العزيز وجعلهما
وليه عهده .

(٢) يقال لمن بـ لفوة أو شر إذا سب : يا لطيم الشيطان . (انظر ما يعول عليه) .

(٣) في بعض الأصول : « مروان ... مقابلينا » وما أثبتنا من سائر الأصول
والآغانى (ج ١٧ ص ١١٢ طبعة بلاق) . (٤) الدعس : الطعن .

فإنك تكسّره بذلك ، وأمه أبنته [أبي] ^(١) هاشم بن عقبة بن ربيعة . فتزوجها مروان ، فلما أراد الخروج إلى مصر قال خالد : أعزني سلاحاً إن كان عندك ، فأغاره سلاحاً ، وخرج إلى مصر ، فقاتل أهلاً وسبي بها ناساً كثيراً ، ففقدوا منه . ثم قدم الشام ، فقال له خالد بن يزيد : ردد على سلاحى . فأبى عليه . فألح عليه خالد . فقال له مروان ، وكان فحشاً : يابن رطبة الاست ^(٢) . قال : فدخل إلى أمه فبكى عندها وشكى إليها ما قاله مروان على رؤوس أهل الشام . فقالت له : لا عليك ، فإنه لا يعود إليك بمثلهما . فلمّا ثُم مروان بعد ما قال خالد ما قال أيام ، ثم جاء إلى أم خالد فرقدها ، فأمرت جواريها فطرحن عليه الوسائل ^(٣) ، ثم غطته حتى قتله ، ثم خرجن فصيحن وشققن ثيابهن : يا أمير المؤمنين ! يا أمير المؤمنين ! ثم قام عبد الملك بالأمر بعده ، فقال لفاختة ^(٤) أم خالد : والله لو لا أن يقول الناس إني قتلت بأبي أمراً لقتلتك بأمير المؤمنين .

وولد مروان بن الحكم بن العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بمكة . ومات بالشام ، لثلاث خلون من رمضان سنة خمس وستين ، وهو ابن ثلاثة وستين سنة . وصلى عليه أبنه عبد الملك بن مروان . وكانت ولادته تسعه أشهر وثمانية عشر يوماً . وكان على شرطته يحيى بن قيس الشيباني . وكاتبته سرجون بن منصور الرؤومي . وحاجبه أبو مهمل الأسود ، مولاه .

ولادة عبد الملك بن مروان

هو عبد الملك بن مروان بن الحكم بن العاص بن أمية . ويكنى : أبا الوليد .

(١) التكملة من الطبرى .

(٢) ذكر الطبرى شيئاً غير هذا فقال : « فدخل خالد يوماً على مروان وعنه جاءه كثيرة وهو يعشى بين الصفين فقال : إنه والله ما هانت لأحق ، فقال : يابن رطبة الاست ، يقصد به ليسقطة من أعين أهل الشام » . ثم ذكر باقي القصة متفقاً مع الأصول .

(٣) في بعض الأصول . « الشواذك » .

(٤) كما في ما مر من هذا الجزء والطبرى . وفي الأصول هنا : « عاتكة أم خالد » .

ويقال له : أبو الأملأك ؛ وذلك أنه ولـى الخليفة أربع من ولده : الوليد وسليمان ويزيد وهشام . وكان تدعي لـيـته فيـقـع عـلـيـهـاـ الذـيـب ، فـكـانـ يـلـقـبـ : أـباـ الذـيـبـ .
أمـهـ عـائـشـةـ بـنـتـ [مـعـاوـيـةـ بـنـ] ^(١) المـغـيـرـةـ بـنـ أـبـيـ العـاصـ بـنـ أـمـيـةـ . وـلـهـ يـقـولـ بـنـ ^(٢)

قدس الرقيـاتـ :

أـنتـ اـبـنـ عـائـشـةـ الـتـيـ فـضـلـتـ أـرـوـمـ نـسـانـهـ ^(٣)

لـمـ تـلـقـفـتـ لـلـدـاـتـهـ وـمـشـتـ عـلـىـ غـلـوـاهـهـ

وـلـدـتـ أـغـرـ مـبـارـكـاـ كـالـشـمـسـ وـسـنـطـ سـمـانـهـاـ

^{٣١٧} ^٢ وـبـوـيـعـ عـبـدـ الـمـلـكـ بـدـمـشـقـ لـثـلـاثـ خـلـونـ مـنـ رـمـضـانـ سـنـةـ خـمـسـ وـسـقـينـ ،

وـمـاتـ بـدـمـشـقـ لـلـنـصـفـ مـنـ شـوـالـ سـنـةـ سـتـ وـمـاـنـينـ ، وـهـوـ اـبـنـ ثـلـاثـ وـسـتـيـنـ

^{١٠} سـنـةـ ، فـصـلـيـ عـلـيـهـ الـوـلـيدـ بـنـ عـبـدـ الـمـلـكـ . وـوـلـدـ عـبـدـ الـمـلـكـ بـالـمـدـيـنـةـ سـنـةـ ثـلـاثـ

وـعـشـرـيـنـ ، وـيـقـالـ سـنـةـ سـتـ وـعـشـرـيـنـ . وـيـقـالـ وـلـدـ لـسـبـعـةـ أـشـهـرـ . وـكـانـ عـلـىـ

شـرـطـهـ اـبـنـ أـبـيـ كـبـشـةـ السـكـسـكـيـ ، ثـمـ أـبـوـ نـائـلـ بـنـ رـيـاحـ بـنـ عـبـيـدـةـ الـفـسـانـيـ ، ثـمـ

عـبـدـ الـلـهـ بـنـ يـزـيدـ الـحـكـمـيـ . وـعـلـىـ حـرـسـهـ الـرـيـانـ . وـكـاتـبـهـ عـلـىـ الـخـرـاجـ وـالـجـنـدـ سـرـجـونـ

اـبـنـ مـنـصـورـ الـرـوـمـيـ . وـكـاتـبـهـ عـلـىـ الرـسـائـلـ اـبـوـ زـرـعـةـ ، مـوـلـاهـ . وـعـلـىـ الـخـاتـمـ قـبـيـصـةـ

^{١٥} اـبـنـ ذـؤـيبـ . وـعـلـىـ بـيـوتـ الـأـمـوـالـ وـالـخـزـافـنـ رـجـاءـ بـنـ حـيـوةـ . وـحـاجـبـهـ اـبـوـ يـوسـفـ ،

مـوـلـاهـ . وـمـاتـ عـبـدـ الـمـلـكـ سـنـةـ سـتـ وـمـاـنـينـ ، وـهـوـ اـبـنـ ثـلـاثـ وـسـتـيـنـ سـنـةـ . وـصـلـىـ

عـلـيـهـ الـوـلـيدـ اـبـنـهـ ^(٤) . وـكـانـتـ وـلـيـتـهـ ، مـنـذـ أـجـتـمـعـ عـلـيـهـ ، ثـلـاثـ عـشـرـةـ سـنـةـ وـثـلـاثـةـ

أـشـهـرـ ، وـدـفـنـ خـارـجـ بـابـ الـمـدـيـنـةـ . وـفـيـ أـيـامـ عـبـدـ الـمـلـكـ حـوـلـتـ الدـوـاـوـيـنـ إـلـىـ

الـعـرـبـيـةـ عـنـ الـرـوـمـيـةـ وـالـفـارـسـيـةـ ، حـوـلـهـاـ عـنـ الـرـوـمـيـةـ سـلـيمـانـ بـنـ سـعـدـ ^(٥) ، مـوـلـىـ

^{٢٠} خـشـينـ ^(٦) . وـحـوـلـهـاـ عـنـ الـفـارـسـيـةـ صـالـحـ بـنـ عـبـدـ الرـحـنـ ، مـوـلـىـ عـقـبةـ ، اـمـرـأـةـ مـنـ

(١) التـكـملـةـ مـنـ الطـبـرـيـ . (٢) فـيـ الـأـصـولـ : «ـأـبـوـ» . تـحـرـيفـ .

(٣) الـأـرـوـمـ : جـمـعـ أـرـوـمـةـ ، وـهـيـ الـأـصـلـ .

(٤) تـقـدـمـ خـبـرـ مـوـتـ عـبـدـ الـمـلـكـ قـبـلـ ذـلـكـ بـأـسـطـرـ .

(٥) فـيـ بـعـضـ الـأـصـولـ : «ـسـعـدـ» وـمـاـ أـثـبـقـنـاـ مـنـ سـاـئـرـ الـأـصـولـ وـالـفـهـرـسـ لـابـنـ النـديـمـ .

(٦) فـيـ بـعـضـ الـأـصـولـ : «ـحـسـنـ» تـصـحـيفـ .

بني مُرْة . ويقال : حُولت في زمن الوليد .

ابن وَهْب عن ابن لَهِيَّة قال : كان معاوِيَة فَرَضَ لِلْمُوَالِي خَمْسَةً عَشَرَ ، فَبَلَغُوهُمْ عَبْدُ الْمَلِكْ عَشَرَينَ ، ثُمَّ بَلَغُوهُمْ سَلِيْمانُ خَمْسَةً وَعَشَرَينَ ، ثُمَّ قَامَ هَشَامُ فَأَتَمَ الْأَبْنَاءَ مِنْهُمْ ثَلَاثَيْنَ .

وَكَتَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ بِيَمِيعَتِهِ لِمَا قُتِلَ ابْنُ الزَّبِيرِ ،
وَكَانَ كِتَابَهُ إِلَيْهِ يَقُولُ : لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ : سَلَامٌ
عَلَيْكَ ، إِنِّي أَفَرِدُ لَكَ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ عَلَى سُنْنَةِ اللَّهِ وَسُنْنَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ . وَبِيَمِيعَتِهِ نَافِعٌ مَوْلَائِي عَلَى مِثْلِ مَا يَايَعْتُكَ عَلَيْهِ .

وَكَتَبَ مُحَمَّدُ بْنُ الْخَنْفِيَّ بِيَمِيعَتِهِ لِمَا قُتِلَ ابْنُ الزَّبِيرِ ، وَكَانَ فِي كِتَابِهِ : إِنِّي
أَعْزَلُ الْأُمَّةَ عَنِ الْخِلَاْفَهَا ، فَقَعَدْتُ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ الَّذِي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ،
لَاْخْرَزَ دِينِي وَأَمْنَعَ دِمِي ، وَتَرَكْتُ النَّاسَ (قُلْ كُلُّ شَيْءٍ يَعْمَلُ عَلَى شَارِكَتِهِ ،
فَرَبِّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَيِّمِلَا) . وَقَدْ رَأَيْتُ النَّاسَ قَدْ أَجْتَمَعُوا عَلَيْكَ ،
وَنَحْنُ عَصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِنَا لَا نُفَارِقُ الْجَمَاعَةَ ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنَّا رَسُولًا لِيَأْخُذَنَا
مِنْكَ مِيشَاقًا ، وَنَحْنُ أَحْقُّ بِذَلِكَ مِنْكَ . فَإِنْ أَبْيَتَ فَأَرْضِ اللَّهِ وَاسِعَةً ،
وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُعْتَقِينَ .

فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَبْدُ الْمَلِكِ : قَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ بِمَا سَأَلْتَهُ مِنِ الْمِيشَاقِ لَكَ
وَلِالْعَصَابَةِ الَّتِي مَعَكَ . فَلَكَ عَهْدُ اللَّهِ وَمِيشَاقُهُ أَنْ لَا تَهْاجِ فِي سُلْطَانِنَا غَائِبًا وَلَا
شَاهِدًا ، وَلَا أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ مَا وَفَوْا بِيَمِيعَتِهِمْ ، إِنَّ أَحَبِبْتَ الْمَقَامَ بِالْحِجَازِ
فَأَقِمْ ، فَلَنْ نَدْعُ صِلَّتِكَ وَبِرَّكَ ، وَإِنْ أَحَبِبْتَ الْمَقَامَ عَنْدَنَا فَاشْخَصْ إِلَيْنَا ، فَلَنْ
نَدْعُ مَوَاسِاتِكَ . وَلِعُمرِنِ لَنْ أَجْأَتِكَ إِلَى الْذَهَابِ فِي الْأَرْضِ خَائِفًا لِقَدْ ظَلَمْنَاكَ ،
وَقَطَعْنَا رِحْلَكَ . فَأَخْرُجْ إِلَى الْحِجَاجِ فَبِإِيمَعْ . إِنَّكَ أَنْتَ الْمَحْمُودُ عَنْدَنَا دِينًا وَرَأْيًا ،
وَخَيْرٌ مِنْ ابْنِ الزَّبِيرِ وَأَرْضِي وَأَنْقِي .

وَكَتَبَ إِلَى الْحِجَاجِ بْنِ يُوسُفَ : لَا تَعْرِضْ مُحَمَّدًا وَلَا لَأَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ ،

وكان في كتابه : جنبني دماء بني عبد المطلب ، فليس فيها شفاء من الحرب^(١) ، وإن رأيتُ بني حرب سلبوا ملوكهم لما قتلوا الحسين بن علي . فلم يتعرض الحجاج لأحد من الطالبيين في أيامه .

أبو الحسن المدائني قال : كان يقال : معاوية أحلم ، وعبد الملك أحزم .

وخطب الناس عبد الملك فقال : أيها الناس ، ما أنا بال الخليفة المستضعف — يزيد عثمان بن عفان — ولا بال الخليفة المداهن — يزيد معاوية بن أبي سفيان — ولا بال الخليفة المأفون — يزيد يزيد بن معاوية — فن قال برأسه كذا قلنا بسيفنا كذا ، ثم نزل .

٣١٨
٢ وخطب عبد الملك على المنبر فقال : أيها الناس ، إن الله حد حدوداً وفرض فروضاً ، فما زلت تزدادون في الذنب وزداد في العقوبة ، حتى اجتمعنا نحن وأنت عند السيف .

أبو الحسن المدائني قال : قدم عمر بن علي بن أبي طالب على عبد الملك ، فسألة أن يصيّر إليه صدقة على . فقال عبد الملك متمنلاً بأبيات ابن أبي الحقيق^(٢) :

١٥ إني إذا مالتْ دَوَاعِي الْهَوَى
وأنصتَ السامِعَ لِلْقَانِى
وأعتليجَ النَّاسُ بَآرَاهِمْ
نَقْضِي بِحُكْمِ عَادِلٍ فَاصِل^(٣)
لَا نَجْعَلَ الْبَاطِلَ حَقًا وَلَا
نَرْضِي بَدُونَ الْحَقِّ لِلْبَاطِلِ
لَا ، لعمرى ، لَا نُخْرِجُهَا مِنْ وَلَدِ الْحَسِينِ إِلَيْكِ . وأمر له بصلة . [ورجع .

وقال عبد الملك بن مروان لأيمون بن خريم : إن أباك وعمك كانت لها صحبة نفذ هذا المال فقاتل ابن الزبير . فأبي فشتمه عبد الملك] . نخرج وهو يقول :

(١) الحرب (بالتحريك) : الغضب .

(٢) في الأصول : « ابن الحقيق » تحرير . وهو الريبع من أبي الحقيق من بني قريظة .
(انظر الأغاني في ج ٢١ ص ٩٠١ — ٩٣) . طبعة أوربة .

(٣) اعتلجهوا : التهموا صراعاً وقتالاً .

فلست بقاتلِ رجلاً يُصلّى على سُلطان آخر من قُريشِ
له سلطانه وعلى إثني معاذ الله من سفنه وطيس
وقال أيمَن بن خُرَيْم أيضًا :

إِنَّ لِلْفَتْنَةِ هَيْطَا بَيْنَنَا فَرُوِيدَ الْمَيْلَ مِنْهَا يَعْقِدُنَا^(١)

فَإِذَا كَانَ عَطَاهُ فَاتَّهَزَ وَإِذَا كَانَ قِتَالَ فَاعْتَزَلَ

إِنَّمَا يُوقَدُهَا فُرْسَانَنَا حَطَبَ النَّارِ فَدَعَهَا تَسْقُلُ

وقال زُفْرُ بن الحارث لعبد الملك بن مروان : الحمد لله الذي نصرك على
كُره من المؤمنين . فقال أبو زُعْيزعة : ما كره ذلك إلا كافر . فقال زُفر : كذبت ،
قال الله لنبيه : (كَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنْ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
لَكَارِهُونَ) .

وبعث عبد الملك بن مروان إلى المدينة حُبَيْشَ بن دُلْجَةَ الْقَيْسِيَّ في سبعة
آلاف . فدخل المدينة وجلس على مِنْبَرِ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعى
بِخُبْزٍ وَلَحْمٍ فَأَكَلَ ، ثُمَّ دعا بِعَامَةِ فَتَوَضَأَ عَلَى الْمِنْبَرِ ، ثُمَّ دعا جابرَ بن عبد الله
صَاحِبَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ : تَبَاعِيْعَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بَعْهَدِ اللهِ عَلَيْكَ وَمِيثَاقِهِ ، وَأَعْظَمَ مَا أَخْذَ اللهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فِي الْوَفَاءِ ، فَإِنَّ ١٥
خُنْتَنَا فَهَرَاقَ اللهُ دَمَكَ عَلَى ضَلَالَةِ . قَالَ : أَنْتَ أَطْوَقُ لِذَلِكَ مِنِّي ، وَلَكَنْ أَبَا يَعْمَلَ
عَلَى مَا بَايَعْتُ عَلَيْهِ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ الْحَدِيبِيَّةِ^(١) ، عَلَى السَّمْعِ
وَالطَّاعَةِ .

ثُمَّ خَرَجَ ابْنُ دُلْجَةَ مِنْ يَوْمِهِ ذَلِكَ إِلَى الرَّبَّذَةِ ، وَقَدِمَ عَلَى أَثْرِهِ مِنَ الشَّامِ

(١) هيط : ضرجيج وشر وجيبة .

(٢) الحديبية (بضم الحاء وفتح الدال وباء ساكرة وباء موحدة مكسورة وباء . ومنهم
من خففها ومنهم من شددها) : قرية متوسطة سميت بيئر هناك عند مسجد الشجرة
التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها . وبين الحديبية ومكة مرحلة وبينها
وبين المدينة تسع مراحل . (انظر معجم البلدان) .

رجالان، مع كل واحد منهما جيشاً، ثم اجتمعوا جميعاً في الربذة^(١)، وذلك في رمضان سنة خمس وستين، وأميرُهم ابن دُلجمة.

وكتب ابنُ الزبير إلى العباس بن سهل الساعدي بالمدينة أن يَسِير إلى حُبيش بن دُلجمة. فسار حتى لَقِيَه بالربذة. وبعث الحارثُ بن عبد الله بن أبي ربيعة — وهو عامل ابن الزبير على البصرة — مددًا إلى العباس بن سهل^(٢)،

حُنَيفَ بن السجف في تسعينات من أهل البصرة. فساروا حتى اتّهوا إلى الربذة.

فبات أهلُ البصرة وأهلُ المدينة يقرءون القرآن ويُصلّون. وبات أهل الشام في المعاذف والخمور، فلما أصبحوا غدو على القتال، فُقتل حُبيش بن دُلجمة ومن معه. فتحصّن منهم خمسينات رجل من أهل الشام على عمود الربذة، وهو الجبل

الذى عليها، وفيهم يوسف أبو الحجاج، فأحاط بهم عباس بن سهل، فطلبوها الأمان، فقال: أُنزلوا على حُكمي، فنزلوا على حكمه، فضرب أعناقهم أجمعين.

ثم رجع عباس بن سهل إلى المدينة، وبعث عبدُ الله بن الزبير ابنه حزرة عاملاً على البصرة، فاستضعفه القوم، فبعث أخاه مصعب بن الزبير، فقدم عليهم، فقال: يا أهل البصرة، بلغنى أنه لا يَقْدَم عليكم أمير إلا لقيتموه، إني أُقبّ

٣١٩

أكُم نفسي: أنا القصاص.

خبر المختار بن أبي عبيد

ثم أُرسَل عبدُ الله بن الزبير إبراهيمَ بن محمد بن طلحة أميراً على الكوفة، ثم عزله وأُرسَل المختار بن أبي عبيد. وأُرسَل عبدُ الملك عبيد الله بن زياد إلى الكوفة. فبلغ المختار إقبالاً عبيداً الله بن زياد، فوجّه إليهم إبراهيم بن الأشتر

(١) الربذة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال، قرية من ذات عرق على طريق الحجاز.
انظر معجم البلداء).

(٢) في بعض الأصول: «العباس بن سهل بن حنيف بن السجف» محرّف. والتوصيب من الطبرى. وفي بعض الأصول: «مدوا إلى العباس بن سهل»، وهو حنيف بن السجف في تسعينات من أهل البصرة».

في جيش ، فالقفوا بالجائز^(١) ، وقتل عبيد الله بن زياد وحسين بن نمير وذا الكلاع
وعامة من كان معهم . وبعث برسوهم إلى عبد الله بن الزبير .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : حدثنا شريك بن عبد الله عن أبي الجويرية
المخزومي قال : كنتُ فيمن سار إلى أهل الشام يوم الجائز مع إبراهيم بن الأشتر
فلقيناهم بالزاب ، فهبت الريح لغا عليهم ، فأذروا ، فقتلناهم عشيةئنا وليلتنا
حتى أصبحوا . فقال إبراهيم : إني قتلت البارحة رجلاً فوجدت عليه ريح
طيب ، فالتمسوه ، فما أراه إلا ابن مرجانة . فانطلقتنا فإذا هو والله موكوس
في بطن الوادي .

ولما التقى عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن الأشتر بالزاب ، قال : من
هذا الذي يقاتلي ؟ قيل له : إبراهيم بن الأشتر . قال : لقد تركته أميس صبيئاً
يذهب بالحمام .

قال : ولما قُتل ابن زياد بعث الختار برأسه إلى علي بن الحسين بالمدينة .

قال الرسول : وقدرت به عليه انتصاف النهار وهو يتغدى ، قال : فلما رأه قال :
سبحان الله ! ما أغتر بالدنيا إلا من ليس لله في عنقه نعمه ! لقد دخل رئيس

١٥ أبا عبد الله على ابن زياد وهو يتغدى . وقال يزيد بن مفرغ^(٢) :

إنَّ الذِّي عَاشَ خَتَارًا بِذَمَّتِهِ وَمَاتَ عَبْدًا قَتِيلًا لِلَّهِ بِالزَّابِ

شم ابن الختار كتب كتاباً إلى ابن الزبير ، وقال لرسوله : إذا جئت مكة
فدفعت كتابي إلى ابن الزبير فأت المهدى — يعني محمد بن الحنفية — فاقرأ
عليه السلام وقل له : يقول لك أبو إسحاق : إني أحبك وأحب أهل بيتك .
قال : فأتأه ، فقال له ذلك . فقال : كذبت وكذب أبو إسحاق ، وكيف

(١) الجائز : قرية من نواحي النهروان من أعمال بغداد قرب المدائن . (انظر معجم البلدان) .

(٢) في بعض الأصول : « يزيد بن معن » وما أثبتنا من سائر الأصول والأغاني .

(ج ١٧ ص ٦٨) طبعة بلاط .

يُحبّنِي ويُحبّ أهل بيتي وهو يجلس عمر بن سعد^(١) على وسانده وقد قتل الحسين !
 فلما قدم عليه رسوله وأخبره . قال المختار لأبي عمرو^(٢) صاحب حرسه : اشتاجر
 لي نواحٍ يبكي الحسين على باب عمر بن سعد ، ففعل . فلما بكين ، قال عمر
 لابنه حفص : يا بني ، أئت الأمير ، فقال له : ما بال النواح يبكي الحسين على
 بابي ؟ فأتاه فقال له ذلك . فقال : إنه أهل أن يُبكي عليه . فقال : أصلحك الله ،
 إنهم عن ذلك . قال : نعم ، ثم دعا أبا عمرو صاحب حرسه ، فقال له : اذهب
 إلى عمر بن سعد فاتني برأسه . فأتاه ، فقال له : قم إلى أبي حفص . فقام إليه وهو
 ملتحف بملحفة ، بخله بالسيف ، فقتله وجاء برأسه إلى المختار . ثم قال : انتوني
 بابن عمر^(٣) . فلما حضره قال : أتعرف هذا ؟ قال : نعم ، رحمه الله . قال : أنت
 أن نُناحقك به ؟ قال : لا خير في العيش بعده . فأمر به فضرب عنقه .

ثم إن المختار لما قتل ابن مرجانة وعمر بن سعد جعل يتبع قتلة الحسين بن
 على ومن خذله ، فقتلهم أجمعين ، وأمر الحسينية ، وهم الشيعة ، أن يطوفوا في
 أزقة المدينة بالليل ويقولوا : ياثرات الحسين ! فلما أفنواهم ودانت له العراق ، ولم
 يكن صادق النية ولا صحيح المذهب وإنما أراد أن يستأصل الناس ، فلما أدرك
 بغيته أظهر قبح نيتته للناس ، فادعى أن جبريل ينزل عليه ويأتيه بالوحى من
 الله . وكتب إلى أهل البصرة : بلغنى أنكم تكذبونى وتكذبون رسلى ،
 وقد كذبت الأنبياء من قبلي ، واستخيار من كثير منهم . فلما انتشر ذلك
 عنه كتب أهل الكوفة إلى ابن الزبير ، وهو بالبصرة ، نخرج إليه . وبرز إليه
 المختار ، فأسلمه إبراهيم بن الأشتر ، ووجوه أهل الكوفة ، فقتله مصعب
 ٣٢٠
 ٢٠ وقتل أصحابه .

(١) في بعض الأصول : « عمر بن سعيد » انظر الحاشية . (رقم ١ ص ٣٧٩ .
 من هذا الجزء .

(٢) في المعارف : « أبو عمارة مولى بجيلا » .

(٣) هو حفص بن عمر بن سعد . والذى في الأصول : « باب صرمان » . تحرير .
 (انظر المعارف) .

أبو بكر بن أبي شيبة قال : قيل لعبد الله بن عمر : إن المختار ليزعم أنه يُوحى
إليه . قال : صدق ، الشياطين يوحون إلى أوليائهم .

وَقُتِلَ مُصْعِبٌ مِّن أَصْحَابِ الْخَتَارِ ثَلَاثَةَ آلَافَ . ثُمَّ حَجَّ سَنَةً إِحْدَى وَسَبْعَيْنَ ،
فَقَدِمَ عَلَى أَخِيهِ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ وَمَعَهُ وُجُوهُ أَهْلِ الْعَرَاقِ ، فَقَالَ : يَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
قُدْ جَئْتُكَ بِوُجُوهِ أَهْلِ الْعَرَاقِ ، وَلَمْ أَدْعُ لَهُمْ [بِهَا] نَظِيرًا ، فَأَعْطِهِمْ مِّنَ الْمَالِ . قَالَ :
عِشْتَنِي بِعَبْيِدِ أَهْلِ الْعَرَاقِ لَا تُعْطِيهِمْ مِّنْ مَالِ اللَّهِ ، وَدَدْتُ أَنْ لَّi بِكُلِّ عَشْرَةِ
مِنْهُمْ رَجُلًا مِّنْ أَهْلِ الشَّامِ صَرَفَ الدِّينَارَ بِالدِّرَاهِمِ . فَلَمَّا انْصَرَفَ مُصْعِبٌ وَمَعْهُ
الْوَفْدُ مِنْ أَهْلِ الْعَرَاقِ ، وَقَدْ حَرَمْهُمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ مَا عَنْدَهُ ، فَسَدَّدَ قَلْوَبُهُمْ ،
فَرَاسَلُوا عَبْدَ الْمَالِكَ بْنَ مَرْوَانَ حَتَّى خَرَجَ إِلَيْهِ مُصْعِبٌ فَقُتِلَهُ^(۱)

عليٌّ بن عبد العزيز عن حجاج^(٢) عن أبي معاشر قال : لما بعث مصعب^١
برأس المختار إلى عبد الله بن الزبير فوضع بين يديه ، قال : ما من شيء حَدَّثْنِيه
كعب الأحبار إلا قد رأيته ، غير هذا ، فإنه قال لى : يقتلوك شابٌّ من ثقيف ،
فأراني قد قتلتُه .

وقال محمد بن سيرين ، لما بلغه هذا الحديث : لم يعلم ابنُ الزبير أنَّ أباً محمد قد خُلِقَ له .

ولما قُتِلَ مَصْبُبُ الْخَتَارَ بْنُ أَبِي عُبَيْدٍ وَدَانَتْ لَهُ الْعَرَاقُ كُلُّهَا : الْكُوفَةُ
وَالْمَسْوَرَةُ ، قَالَ فِيهِ عَبِيدُ اللَّهِ بْنُ فَيْسَ الرَّقِيمَاتُ :

كيف نومى على الفراش وما
تشمل الشام غارة شعوان
تذهبُ الشِّيخَ عن بنيه وتبدي
عن خدام العَمَيْلَةِ العَذْرَاءِ^(٣)

(١) انظر (ج ٢ ص ٩٨) من هذه الطبيعة ، فين الخبر هنا وهناك بعض خلاف .

(٢) لعله حجاج بن المهاذ ، انظر معيجم الأدباء (ج ٥ من ٢٤٧ طبعة مرجليلوث) والطبرى .

إنما مصعب شهاب من الله تجلت عن وجهه الظلام
وتزوج مصعب — لما ملك العراق — عائشة بنت طلاحة وسُكينة بنت
الحسين ، ولم يكن لها نظير في زمانهما . وقتل مصعب امرأة المختار ، وهي ابنة
الشعان بن بشير الأنصاري ، فقال فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي :

إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَابِ عِنْدِي قَتْلُ حَوْرَاءَ غَادَةَ عَيْطَبُولَ^(١)
قُتُلَتْ بِاطْلَالاً عَلَى غَيْرِ ذَنْبٍ إِنَّ اللَّهَ دَرَّهَا مِنْ قَتِيلٍ
كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَرَّ الذِّيُولِ

مقتل عمرو بن سعيد الأشدق

أبو عبيد عن حجاج عن أبي معاشر قال : لما قدم مصعب بوجوه أهل
العراق على أخيه عبد الله بن الزبير فلم يعطهم شيئاً أبغضوا ابن الزبير ، وكانتوا
عبد الملك بن مروان ، نفرج يريد مصعب بن الزبير ، فلما أخذ في جهازه
وأراد الخروج ، أقبلت عاتكة بنت يزيد بن معاوية في جواريها ، وقد تزينت
بالحلي ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، لو قعدت في ظلال ملائكة ووجهت إليك
كليماً من كلبك لـكفالك أمره . فقال : هيهات ! أما سمعت قول الأول :

قَوْمٌ إِذَا مَا غَزَّوْا شَدُّوا مَازَرَهُمْ دُونَ النِّسَاءِ وَلَوْ بَاتَ بِأَطْهَارِ
فَلَمَّا أَبْيَ عَلَيْهَا وَعَزْمَ ، بَكَتْ وَبَكَى مَعَهَا جَوَارِيهَا . فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكَ : قَاتَلَ
الله ابن أبي جمعة^(٢) كأنه ينظر إلينا حيث يقول :

إِذَا مَا أَرَادَ الغَزْوَ وَلَمْ يَئِنْ هَمَهُ حَسَانٌ عَلَيْهَا نَظَمَ دُرْ يَرِينَهَا
نَهَتِهِ فَلَمَّا لَمْ تَرَ النَّهَى عَاقَهُ بَكَتْ فَبَكَى مَمَادِهَا قَطِينَهَا^(٣)

(١) العيطبول ، كثيرون : المرأة الفتية الجميلة الممتلة الطويلة العنق .

(٢) كذا في بعض الأصول . وابن أبي جمعة ، هو كثير عزة . وفي بعض آخر : « ابن أبي ربيعة ». وقد جاء البينان في الأمالي (ج ١ من ١٣ طبعة دار الكتب المصرية) منسوباً أيضاً لـكثير . والذى في سائر الأصول : « ابن أبي ربيعة » .

(٣) القطين : الإمام والخشم الآخر والخشم المالك والخدم والأتباع وأهل الدار ، للواحد والجمع .

ثم خرج يُريد مصعب ، فلما كان من دمشق على ثلاث مراحل أغلق ٣٢١
 عمرو بن سعيد دمشق وخالف عليه ، فقيل له : ما تصفع ، أتريد العراق وتدع
 دمشق ؟ أهل الشام أشد عليك من أهل العراق ؟ فرجع مكانه ، فحاصر أهل
 دمشق حتى صالح عمرو بن سعيد على أنه الخليفة بعده ، وأن له مع كل عامل
 عامل . ففتح له دمشق ، وكان بيت المال بيد عمرو بن سعيد ، فأرسل إليه
 عبد الملك : أن أخرج للحرس أرزاقهم . فقال : إذا كان لك حرس فإن لنا
 حرساً أيضاً . فقال عبد الملك : أخرج لحرسك أيضاً أرزاقهم . فلما كان يوم
 من الأيام أرسل عبد الملك إلى عمرو بن سعيد نصف النهار أن أنتي أبا أممية حتى
 أدرّ معك أموراً . فقالت له أمراه : يا أبا أممية ، لا تذهب إليه فإني أخواف
 عليك منه . فقال : أبو الذباب ! والله لو كنت نائماً ما أيقظني . قالت : والله ١٠
 ما آمنه عليك ، وإنى لأجد ريح دم مسفوحة . فما زالت به حتى صر بها بقائماً
 سيفه فشجّها . فخرج وخرج معه أربعة آلاف من أبطال أهل الشام الذين
 لا يقدر على مثلهم ، مسلحين ، فأحدقوا بخضرة دمشق وفيها عبد الملك ،
 فقالوا : يا أبا أممية ، إن رابك رَبِّ فَأَسْمَنَا صوتَك . قال : فدخل ، فعملوا
 بصيحون : أبا أممية ! أسمعنا صوتَك ، وكان معه غلام أسمح شُجاع ، فقال له : ١٥
 اذهب إلى الناس فقل لهم : ليس عليه بآمن . فقال له عبد الملك : أمكراً عند
 الموت أبا أممية ! خذوه ، فأخذوه . فقال له عبد الملك : إنني أقسمت إن أملكني
 مذك يدك أن أجعل في عنقك جامعة ، وهذه جامعة ^(١) من فضة أريد أن أبرأ بها
 قسمى . قال : فطرح في رقبته الجامعة ، ثم طرحته ^(٢) إلى الأرض بيده . فانكسرت
 ثنياته ، فعمل عبد الملك ينظر إليه . فقال عمرو : لا عليك يا أمير المؤمنين ، ٢٠
 عظم انكسر . قال : وجاء المؤذنون فقالوا : الصلاة يا أمير المؤمنين ، لصلاة
 الظهر ، فقال عبد العزيز بن مروان : اقتلها حتى أرجع إليك من الصلاة . فلما

(١) الجامعة : الغل .

(٢) في بعض الأصول : « نثره » .

أراد عبد العزيز أن يضرب عنقه ، قال له عمرو : نشدتك بالرجم يا عبد العزيز
 أن لا تقتلني من بينهم ، جاء عبد الملك فرأه جالساً ، فقال : مالك لم تقتله ! العنك
 الله ولعن أمّا ولدتك . ثم قال : قدّمه إلى ، فأخذ الحزبة بيده ، فقال [عمرو] :
 فعلتها يابن الزرقاء ! فقال له عبد الملك : إني لو علمت أنك تبقى ويصلح لي ملكي
 لفديتك بدم الناظر^(١) . ولكن قلما اجتمع ويحلان في ذود^(٢) إلا عدا أحد هما
 على الآخر ، ثم رفع إليه الحزبة فقتله . وقد عبد الملك يُردد ، ثم أمر به فأدرج
 في بساط وأدخل تحت السرير . وأرسل إلى قبيصة بن ذؤيب الخزاعي ، فدخل
 عليه ، فقال : كيف رأيك في عمرو بن سعيد الأشدق ؟ قال : وأبصر قبيصه
 رِجْلَ عمرو تحت السرير ، فقال : أضرب عنقه يا أمير المؤمنين . قال : جِراك
 الله خيراً ، أما علمت إنك لموفق . قال قبيصه : اطرح رأسه وانثر على الناس
 الدَّنَانِيرَ يَتَشَاغَلُونَ بِهَا . ففعل ، وأفترق الناس ، وهرب يحيى بن سعيد بن العاص
 حتى لحق بعد الله بن الزبير بمكة ، فكان معه^(٣) .

وأرسل عبد الملك بن مروان بعد قتله عمرو بن سعيد إلى رجل كان يستشيره
 ويُصدر عن رأيه إذا ضاق عليه الأمر ، فقال له : ما ترى ما كان من فعلي بعمرو
 ابن سعيد ؟ قال : أمر قد فات دركه . قال : لتفولن . قال : حَزْمٌ لو قتلتَه وحَيْدَتْ
 أنت . قال : أو لست بحَيْ؟ قال : هيئات ! ليس بحَيْ من أوقف نفسه موقفاً
 لا يُوثق منه بعهد ولا عَقد . قال : كلام لو تقدم معاشه فعلى لأمسكت .

ولما بلغ عبد الله بن الزبير قتل عمرو بن سعيد ، صعد المنبر ، فحمد الله وأثنى
 عليه ، ثم قال : أيها الناس ، إن عبد الملك بن مروان قتل أطيم الشيطان ،
 كذلك نُولَّ بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون .

٣٢٢
٢

(١) الناظر : العين .

(٢) الذود : مختلف الدابة .

(٣) ساق المسعودي خبر مقتل عمرو بن سعيد ، وهو مختلف عنه هنا كثيراً . (انظر
 مروج الذهب ج ١ ص ١١٧ - ١١٨ طبعة البهية) .

مقتل مصعب بن الزبير

فَلَمَّا اسْتَقَرَتِ الْبَيْعَةُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُرَوْانَ أَرَادَ الْخُرُوجَ إِلَى مُصْبَعِ بْنِ الزَّبِيرِ ، بَعْلَ يَسْتَنْفِرُ أَهْلَ الشَّامِ فَيُبَطِّئُونَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَجَاجُ بْنُ يُوسُفَ : سَلَّطْتُ عَلَيْهِمْ ، فَوَاللهِ لَا خَرْجَنَّهُمْ مَعَكَ . قَالَ لَهُ : قَدْ سَلَّطْتَكَ عَلَيْهِمْ . فَكَانَ الْحَجَاجُ لَا يَمْرُرُ عَلَى بَابِ رَجُلٍ مِّنْ أَهْلِ الشَّامِ قَدْ تَخَلَّفَ عَنِ الْخُرُوجِ إِلَّا أَحْرَقَ عَلَيْهِ دَارَهُ . فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ أَهْلُ الشَّامِ خَرَجُوا ، وَسَارَ عَبْدُ الْمَلِكَ حَتَّى دَنَاهُ مِنَ الْعَرَاقِ . وَخَرَجَ مُصْبَعٌ بِأَهْلِ الْمَصْرَةِ وَالْكُوفَةِ ، فَالْتَّقَوْا بَيْنَ الشَّامِ وَالْعَرَاقِ . وَقَدْ كَانَ عَبْدُ الْمَلِكَ كَتَبَ كُتُبًا إِلَى رِجَالٍ مِّنْ وَجْهِ أَهْلِ الْعَرَاقِ يَدْعُوهُمْ فِيهَا إِلَى نَفْسِهِ وَيَجْعَلُ لَهُمُ الْأَمْوَالَ ، وَكَتَبَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْأَشْتَرِ بِمَثَلِ ذَلِكَ ، عَلَى أَنْ يَخْذُلُوا مُصْبَعًا إِذَا التَّقَوْا . فَقَالَ إِبْرَاهِيمَ بْنُ الْأَشْتَرَ لِمُصْبَعٍ : إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ قَدْ كَتَبَ إِلَيَّ هَذَا الْكِتَابَ ، وَقَدْ كَتَبَ إِلَى أَحْبَابِي بِمَثَلِ ذَلِكَ ، فَادْعُهُمْ السَّاعَةَ فَاضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ . قَالَ : مَا كُنْتَ لَأَفْعُلُ ذَلِكَ حَتَّى يَسْتَبِينَ لِي أَمْرُهُمْ . قَالَ : فَأُخْرِيَ . قَالَ : مَا هِيَ ؟ قَالَ : أَحِسْنُهُمْ حَتَّى يَسْتَبِينَ لَكَ ذَلِكَ . قَالَ : مَا كُنْتَ لَأَفْعُلُ . قَالَ : فَعُلِمْتَكَ السَّلَامُ ، وَاللهِ لَا تَرَانِي بَعْدُ فِي مَحْلِسِكَ هَذَا أَبْدًا . وَقَدْ كَانَ قَالَ لَهُ : دَعْنِي أَدْعُو أَهْلَ الْكُوفَةِ بِمَا شَرَطَهُ اللهُ . فَقَالَ : لَا وَاللهِ ، قَتَلْتُهُمْ أَمْسِ وَأَسْتَنْصَرْ بِهِمْ الْيَوْمَ^(۱) ! قَالَ : فَمَا هُوَ إِلَّا أَنَّهُمْ خَوْلُوا وُجُوهَهُمْ وَصَارُوا إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ . وَبِقِيَ مُصْبَعٌ فِي شِرْدَمَةٍ قَلِيلَةٍ . بَجَاءَهُ عُبَيْدُ اللهِ بْنُ زَيْدٍ [بْنُ ظَبَيَانٍ] ، وَكَانَ مَعَ مُصْبَعٍ^(۲) ، فَقَالَ : أَيْنَ النَّاسُ أَيْهَا الْأَمْيَرُ ؟ فَقَالَ : قَدْ غَدَرْتُمْ يَأْهُلَ الْعَرَاقَ ! فَرَفَعَ عُبَيْدُ اللهِ السِّيفَ لِيَضْرِبَ مُصْبَعًا ، فَبَدَرَهُ مُصْبَعٌ

٢٠ (۱) يُشَيرُ إِلَى حِرْبَهُ مَعَ الْخَتَارِ بِالْكُوفَةِ سَنَةَ سَبْعَ وَسَيِّنَ وَتَتَبعُ مُصْبَعَ الشِّيَعَةِ بِالْقَتْلِ بِالْكُوفَةِ . (انظر صِرْوَجَ الْذَّهَبِ ج ۲ ص ۱۱۴)

(۲) كَانَ لِعُبَيْدِ اللهِ زَيْدَ بْنَ ظَبَيَانَ أَخْ أَسْمَهُ النَّابِيُّ بْنَ زَيْدٍ قُتِلَهُ مُصْبَعٌ . وَكَانَ النَّابِيُّ مِنْ سَادَاتِ رَبِيعَةِ وَزَعْمَاءِ بَكْرَ بْنِ وَائِلٍ . وَلِهَذَا تَحِيزُ مَا كَانَ فِي عَسْكَرِ مُصْبَعٍ بْنِ رَبِيعَةِ وَأَضَافَ عُبَيْدَ اللهِ بْنَ زَيْدٍ بْنَ ظَبَيَانَ رَأْيَاهُمْ إِلَى عَسْكَرِ عَبْدِ الْمَلِكِ . (انظر صِرْوَجَ الْذَّهَبِ وَالْطَّبَرِيِّ) .

فُضِرَ به بالسيف على البيضة ، فَنَشَبَ السيفُ في البيضة ، فجاء علامُ عبدِ الله [بن زيد بن ظبيان] فُضِرَ مُصعباً بالسيف فُقتلَه^(١) . ثم جاء عبدُ الله برأسه إلى عبدِ الملك بن مروان وهو يقول :

نُطِيعُ مُلُوكَ الْأَرْضِ مَا أَقْسَطُوا إِنَّا

قال : ثُمَّ نظر عبدُ الملك إلى رأس مُصعِب خرَّ ساجداً . فقال عبدُ الله [بن زيد] بن ظبيان ، وكان من فتاك العرب : ما ندَمْتُ على شيءٍ قطٌّ ندَمْتُ على عبدِ الملك بن مروان إذ أتَيْتُه برأس مُصعِب فخرَّ ساجداً أن لا أكون ضربتُ عينه ، فأَكُون قد قتلت ملِكَ الْأَرْضِ في يوم واحد . وقال في ذلك عبدُ الله

[بن زيد] بن ظبيان :

١٠ هَمَتْ وَلَمْ أَفْعُلْ وَكِدْتْ وَلَيَتَنِي فَعَلْتْ فَأَدْمَنْتْ الْمُكَا لِأَقْارِبِه فَأَوْرَدْتُهُ فِي النَّارِ بَكَرَ بْنَ وَائِلَ وَالْحَقَّتْ مَنْ قَدْ خَرَ شُكْرًا بِصَاحِبِه الرِّيَاشِيُّ عَنِ الْأَصْمَى قَالَ : لَمَّا أَتَى عَبْدُ الْمَلِكَ بِرَأْسِ مُصَعِّبِ بْنِ الزَّبِيرِ نَظَرَ إِلَيْهِ مَلِيئًا ، ثُمَّ قَالَ : مَتَى تَلَدَ قُرْيَشَ مَثْلَكَ ! وَقَالَ : هَذَا سَيِّدُ شَبَابِ قُرْيَشٍ . وَقَيْلُ عبدِ الملك : أَكَانَ مُصَعِّبٌ يَشْرُبُ الطَّلَاءَ^(٢) ؟ فَقَالَ : لَوْلَمْ يَشْرُبْ

١٥ أَنَّ الْمَاءَ يُفْسِدُ مَرْوِةَهُ مَا شَرِبَه .

وَلَمَّا قُتِلَ مُصَعِّبٌ دَخَلَ النَّاسُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يُهْنِئُونَهُ ، وَدَخَلَ مَعَهُمْ شَاعِرٌ فَأَنْشَدَه :

الله أَعْطَاكَ الَّتِي لَا فَوْهَا وَقَدْ أَرَادَ الْمُلْحِدُونَ عَوْقَهَا

عَنْكَ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا سَوْهَا إِلَيْكَ حَتَّى قَلَدُوكَ طَوْقَهَا

٢٠ فَأَمْرَلَه بِعِشْرَةِ آلَافِ درَهْمٍ :

(١) انظر المروج والطبرى والأغاثى (ج ١٢ ص ١٦٢ - ١٦٤) فقد سبق فيها مقتل مصعِب بروايات أخرى .

(٢) في مروج الذهب :

* نعاطى الملوك الحق ما قسّطوا لنا *

(٣) الطلاء (كساء) : الخمر .

وقالوا : كان مصعب أَجْلَ الناس ، وأسخن الناس ، وأشجع الناس . وكان تحته عَقِيلَةَ قُرَيْشَةَ : عائشة بنت طمحة ، وسُكِينَةَ بنت الحسين .

^{٣٢٣} ولما قُتل مصعب خرجت سُكِينَةَ بنت الحسين تُرِيدُ المدينة ، فاطاف بها أهلُ العراق ، وقالوا : أحسنَ اللهُ صَحَابَتَكِ يابنةَ رسول الله . فقالت : لا جزاكم اللهُ عنِّي خيراً ، ولا أخلفُ عليكم بخيراً من أهل بلد ، فقتلتم أبي وجدي وعمي وزوجي ، أيقتموني صغيرةً وأرمليتموني كبيرةً .

ولما بلغ عبد الله بن الزبير قُتل مصعب صَعِدَ المنبر بجلس عليه ، ثم سكت ، فجعل لونه يحمر مرة ويصفر مرة ، فقال رجل من قُرَيْشَةَ لرجل إلى جنبه : ماله لا يتكلم ! فوالله إنه لأخطيب البدب . فقال له الرجل : لعله يريدان يذكر مقتل سيد العرب فيشتَّد ذلك عليه ، وغير ملوم . ثم تكلَّمَ فقال : الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، والدنيا والآخرة ، يُؤْتَى الملك من يشاء ، ويُنزع الملك من يشاء ، ويُعز من يشاء ، ويُذل من يشاء . أما بعد . فإنَّه لم يَعِزَّ مَنْ كان الباطل معه ، ولو كان معه الأئمَّةُ طُرَا ، ولم يَذَلْ مَنْ كان الحق معه ، ولو كان فرداً . ألا وإنَّ خبراً من العراق أذاناً فأحزننا وأفرحنا ، فأما الذي أحزننا فإنَّ لفراق الحميم لوعةً يجدها حبيبه ، ثم يَرْعُوي ذروة الألباب إلى الصبر وكريم الأجر ؟ وأما الذي أفرحنا ، فإنَّ قُتل مصعب له شهادةً ولنا ذَخِيرَةً . أسلمه الطَّغَام ، الصلْم^(١) الآذان ، أهلُ العراق ، وباعوه بأقل من الثمن الذي كانوا يأخذون منه ، فإنَّ يُقتل فقد قُتل أخوه وأبوه وابن عمِّه ، وكانوا الخيار الصالحين . أما والله لا نموت حتف^(٢) . [أنوفنا]^(٣) كما يموت بنو مروان ، ولكن قعضاً^(٤) بالرماح وموتاً تحت ظلالِ

(١) الصلم : جمع أصلم ، وهو المقطوع الأذن والألف من أصلمه . وفي بعض الأصول : « الصم » .

(٢) في بعض الأصول : « جيفة » . وفي بعضها « خيبة » .

(٣) يقال : مات فلان حتف أنفه ، إذا مات على فراشه ، كأنه سقط لأنفه فمات .

(٤) القعضا : الموت الوحي . ومات قعضاً : أصابته ضربة أو رمية فمات مكانه .

السيوف ، فإن تقبل الدنيا على لم آخذها ما أخذ الأشر البطر ، وإن تذمر عنى لم أبُك عليها بـكاء الخرف^(١) الزائل العقل .

ولما توطد لابن الزبير أصوه وملك الحرمين والعراقين أظهر بعض بنى هاشم الطعن عليه ، وذلـك بعد موت الحسن والحسين ، فدعـا عبد الله بن عباس ومحمد بن الحنفية وجحـاءة من بنـى هاشـم إلى بيـعتـه ، فأبـوا عـلـيهـهـ ، فـجـعلـ يـشـتـهـمـ وـيـتـناـوـلـهـمـ عـلـىـ المـغـيرـ ، وـأـسـقـطـ ذـكـرـ النـبـيـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـنـ خـطـبـتـهـ ، فـعـوـتـبـ عـلـىـ ذـلـكـ ، فـقـالـ : وـالـلـهـ مـاـ يـعـنـىـ أـنـىـ لـاـ ذـكـرـهـ عـلـانـيـةـ مـنـ ذـكـرـهـ مـرـرـاـ وـأـصـلـىـ عـلـيـهـ ، وـلـكـنـ رـأـيـتـ هـذـاـ الـحـيـ مـنـ بـنـىـ هـاشـمـ إـذـ سـمـمـواـ ذـكـرـهـ أـشـرـأـبـتـ أـعـنـاقـهـمـ^(٢) ، وـأـبـعـضـ الـأـشـيـاءـ إـلـىـ مـاـ يـسـرـهـ . ثـمـ قـالـ : لـتـبـاـيـعـنـ أـوـ لـأـحـرـقـنـكـ بـالـنـارـ . فـأـبـواـ عـلـيـهـ ، فـخـبـسـ مـحـمـدـ بـنـ الـحـنـفـيـةـ فـيـ خـمـسـةـ عـشـرـ مـنـ بـنـىـ هـاشـمـ فـيـ السـجـنـ ، وـكـانـ السـجـنـ الـذـيـ حـبـسـهـمـ فـيـهـ يـقـالـ لـهـ سـجـنـ عـارـمـ^(٣) . فـقـالـ فـيـ ذـلـكـ كـثـيرـ عـزـةـ ، وـكـانـ اـنـ اـنـ الزـبـيرـ يـدـعـىـ عـائـذـ ، لـأـنـهـ عـاذـ بـالـبـيـتـ :

تـخـبـرـ مـنـ لـاقـيـتـ أـنـكـ عـائـذـ بـلـ العـائـذـ الـمـظـلـومـ فـسـجـنـ عـارـمـ
سـمـىـ النـبـيـ الـمـصـطـفـيـ وـأـبـنـ عـمـهـ وـفـكـاكـ أـغـلـالـ وـقـاعـيـ مـغـارـمـ
وـكـانـ أـيـضاـ يـدـعـىـ الـمـحـلـ ، لـإـحـلـالـهـ الـقـتـالـ فـيـ الـحـرـمـ . وـفـيـ ذـلـكـ يـقـولـ رـجـلـ
منـ الشـعـرـاءـ فـيـ رـمـلـةـ بـذـتـ الزـبـيرـ :

أـلـاـ مـنـ إـقـلـبـ مـعـنـيـ غـزلـ بـذـكـرـ الـمـحـلـةـ أـخـتـ الـمـحـلـ
ثـمـ إـنـ الـمـخـتـارـ بـنـ أـبـيـ عـبـيدـ وـجـهـ رـجـالـ يـشـقـ بـهـمـ مـنـ الشـيـعـةـ ، يـكـمـنـونـ النـهـارـ
وـيـسـيـرـونـ الـلـيـلـ ، حـتـىـ كـسـرـوـاـ سـجـنـ عـارـمـ وـأـسـتـخـرـجـوـاـ مـنـهـ بـنـىـ هـاشـمـ ، ثـمـ سـارـوـاـ
إـلـىـ مـأـمـنـهـمـ .^(٤)

وـخـطـبـ عـبـدـ اللـهـ بـنـ الزـبـيرـ بـعـدـ مـوـتـ الـحـسـنـ وـالـحـسـينـ ، فـقـالـ : أـيـهاـ النـاسـ ،

(١) كـذا فـيـ الـأـغـانـيـ : وـالـذـىـ فـيـ الـأـصـولـ : «ـ الـحـزـنـ » . وـالـذـىـ فـيـ الـطـبـرـىـ : «ـ الـحـرـقـ » .
(٢) فـيـ بـعـضـ الـأـصـولـ : «ـ قـلـوـبـهـمـ » .

(٣) سـجـنـ عـارـمـ ، بـالـكـوـفـةـ .

إِنْ فِيهِمْ رَجُلًا قَدْ أَعْمَى اللَّهُ قَلْبَهُ كَمَا أَعْمَى بَصَرَهُ، قاتل أُمَّةَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَوَارِيَّ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَفْتَى بِزِوْجِ الْمُتَّعَةِ . وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ
فِي الْمَسْجِدِ ، فَقَامَ وَقَالَ لِعَكْرَمَةَ : أَقْتَمْ وَجْهَهُ نَحْوَهُ يَا عَكْرَمَةَ ، ثُمَّ قَالَ هَذَا
الْبَيْتُ^(١) :

إِنْ يَأْخُذَ اللَّهُ مِنْ عَيْنَيْ نُورَهَا فِي فُؤَادِي وَعَقْلِي^(٢) مِنْهَا نُورٌ
وَأَمَا قُولُكَ يَا بْنَ الزَّبِيرِ إِنِّي قاتلت أُمَّةَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَأَنْتَ أَخْرَجْتَهَا وَأَبْوَكَ وَخَالَكَ ،
وَبِنَا سُكِّيَّتْ أُمَّةَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَكُنَّا لَهَا خَيْرَ بَنِينَ ، فَتَجَاهَ زَلْزَالَ اللَّهِ عَنْهَا . وَقَاتَلَتْ أَنْتَ
وَأَبْوَكَ عَلَيَّاً ؛ فَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ مُؤْمِنًا ، فَقَدْ ضَلَّتْ بِقَاتَلَتْ أَكْمَمَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَإِنْ كَانَ كَافِرًا ،
فَقَدْ بُؤْتَمْ بِسُخْطِ مِنَ اللَّهِ بِفَرَارِكَ مِنَ الزَّحْفِ . وَأَمَا الْمُتَّعَةُ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ عَلَيْهِ بْنَ
أَبِي طَالِبٍ يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَخْصَ فِيهَا فَأَفْقَيْتُهُ بِهَا ،
ثُمَّ سَمِعْتُهُ يَنْهَى عَنْهَا ، وَأَوْلَى بِجُمْرَ سَطْعَمْ فِي الْمُتَّعَةِ بِجُمْرَ آلِ الزَّبِيرِ^(٣) .

مقتل عبد الله بن الزبير

أَبُو عُبَيْدَ^(٤) عَنْ حَجَاجِ عَنْ أَبِي مَعْشَرٍ قَالَ : لَمَّا بَاعَ النَّاسُ عَبْدَ الْمَلِكَ بْنَ
مُرْوَانَ بَعْدَ قَتْلِ مُصْعَبَ بْنَ الزَّبِيرِ وَدَخَلَ الْكَوْفَةَ ، قَالَ لَهُ الْحَجَاجُ : إِنِّي رَأَيْتُ
فِي الْمَنَامِ كَأْنِي أَسْلَخَ ابْنَ الزَّبِيرَ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدْمِيهِ . فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكَ : أَنْتَ
لَهُ ، فَأَخْرَجَ إِلَيْهِ . نَخْرَجَ إِلَيْهِ الْحَجَاجُ فِي أَلْفِ وَخَمْسَائِهِ ، حَتَّى نَزَلَ الطَّائِفَ .
وَجَعَلَ عَبْدُ الْمَلِكَ يُرْسِلُ إِلَيْهِ الْجَيْوَشَ رَسَلًا بَعْدَ رَسَلٍ^(٥) ، حَتَّى تَوَافَ إِلَيْهِ النَّاسُ
قَدْرَ مَا يَظْنَنُ أَنَّهُ يَقْوِي عَلَى قَتْلِ ابْنَ الزَّبِيرِ ، وَكَانَ ذَلِكَ فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَة
اثْنَتِينَ وَسَبْعِينَ . فَسَارَ الْحَجَاجُ مِنَ الطَّائِفِ حَتَّى نَزَلَ مِنْهُ ، فَحَجَّ بِالنَّاسِ ،

(١) الْبَيْتُ لِحَسَانِ بْنِ ثَابَتٍ . (انْظُرِ الْأَمْالِيَ ج ٣ ص ١٥) .

(٢) فِي الْأَغْنَىِ : « وَقْلِي » .

(٣) انْظُرِ الْحَاشِيَةَ (رَقْم ١ ص ١٤) مِنْ هَذَا الْجَزْءِ .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « أَبُو عَبِيدَةَ » .

(٥) الرَّسَلُ (بِالتَّحْرِيكِ) : الْقَطْبِيْعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

وابنُ الزَّبِيرِ مَحْصُورٌ ، ثُمَّ نَصَبَ الْحَجَاجُ الْجَانِيقَ عَلَى أَبِي قَبِيسٍ وَعَلَى قَعْيَقَانَ^(١) ٥
وَنَوَاحِي مَكَّةَ كُلَّهَا ، يَرْمِي أَهْلَ مَكَّةَ بِالْحَجَارَةِ . فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي قُتِلَ
فِي صَبَّيِّ حَتَّى ابْنُ الزَّبِيرِ ، جَمَعَ ابْنُ الزَّبِيرِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْقَرْشَيْنِ فَقَالَ : مَا تَرَوْنَ ؟
فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي مُخْزُومٍ مِنْ آلِ بْنِ رَبِيعَةَ : وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْنَا مَعَكُمْ حَتَّى لَا يَجِدَ
مَقِيلًا ، وَلَئِنْ صَبَرْنَا مَعَكُمْ مَا نَزَّيْدُ عَلَى أَنْ تَمُوتُ ، وَإِنَّمَا هِيَ إِحدَى خَصْلَتَيْنِ :
إِمَّا أَنْ تَأْذَنَ لَنَا فَنَأْخُذُ الْأَمْانَ لِأَنْفُسِنَا ، وَإِمَّا أَنْ تَأْذَنَ لَنَا فَنَخْرُجُ . فَقَالَ ابْنُ
الْزَبِيرِ : لَقَدْ كَنْتُ عَاهَدْتُ اللهَ أَنْ لَا يَمْبَعِنِي أَحَدٌ فَأَقِيلَهُ بِيَعْتَهِ إِلَّا ابْنُ صَفْوَانَ .
فَقَالَ ابْنُ صَفْوَانَ : أَمَا أَنَا فَإِنِّي أَقَاتَلُ مَعَكُمْ حَتَّى أَمُوتَ بِمَوْتِكُمْ ، وَإِنَّهَا لِتَأْخُذُنِي
الْحَفِيظَةَ أَنْتَ أَسْلَمْتَ فِي مَثْلِ هَذِهِ الْحَالَةِ . وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ آخَرُ : أَكْتُبْ إِلَى
عَبْدِ الْمَلَكِ بْنِ مُرْوَانَ . فَقَالَ لَهُ : كَيْفَ أَكْتُبْ : مَنْ عَبْدُ اللهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى
عَبْدِ الْمَلَكِ بْنِ مُرْوَانَ ؟ فَوَاللهِ لَا يَقْبِلُ هَذَا أَبْدًا ، أَمْ أَكْتُبْ : لِعَبْدِ الْمَلَكِ بْنِ مُرْوَانَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزَّبِيرِ ؟ فَوَاللهِ لَأَنْ تَقْعُدُ الْخَضْرَاءُ عَلَى الْغَبْرَاءِ أَحَبَّ
إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ . فَقَالَ عُرُوهَةُ بْنُ الزَّبِيرِ ، وَهُوَ جَالِسٌ مَعَهُ عَلَى السُّرِيرِ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ ، قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكَ أُسْوَةً . قَالَ : مَنْ هُوَ ؟ قَالَ : حَسْنُ بْنُ عَلَيْهِ ، خَلَعَ
نَفْسَهُ وَبَايَعَ مُعَاوِيَةَ . فَرَفِعَ ابْنُ الزَّبِيرِ رِجْلَهُ فَضَرَبَ بِهَا عُرُوهَةَ حَتَّى أَلْقَاهُ عَنْ
السُّرِيرِ ، وَقَالَ : يَا عُرُوهَةَ ، قَلْبِي إِذَا مَثَلَ قَلْبِكَ ! وَاللهِ لَوْ قَبَلْتُ مَا تَقُولُونَ مَا عَشْتَ
إِلَّا قَلِيلًا ، وَقَدْ أَخْذَتِ الدَّنَيَا ، وَإِنَّ ضَرَبَةَ بَسِيفٍ فِي عِزٍّ خَيْرٌ مِنْ لَطْمَةٍ فِي ذُلٍّ .
فَلَمَّا أَصْبَحَ دَخْلُ عَلَيْهِ بَعْضُ نِسَائِهِ ، وَهِيَ أُمُّ هَاشِمٍ بُنْتُ مُنْصُورٍ بْنِ زِيَادِ الْفَزَارِيَّةِ ،
فَقَالَ لَهَا : أَصْنَعِي لَنَا طَعَامًا ، فَصَنَعَتْ لَهُ كَبِدًا وَسَنَامًا . فَأَخْذَ مِنْهُ لُقْمَةً فَلَا كَهْشَمَ
لَفْظُهَا ، ثُمَّ قَالَ : أَسْقُونِي لَبَنًا . فَأَتَى بِلَبَنٍ فَشَرَبَ مِنْهُ . ثُمَّ قَالَ : هَيَّئُوا لِي غُسْلاً ،
فَأَغْتَسَلَ ثُمَّ تَحْنَطَ وَتَطَيِّبَ ، ثُمَّ نَامَ نُوْمَةً ، وَخَرَجَ وَدَخَلَ عَلَى أَمَّهُ أَسْمَاءَ بُنْتَ
أَبِي بَكْرٍ ذَاتِ النَّطَاقِيْنِ ، وَهِيَ عُمِيَّاءُ ، وَقَدْ بَلَغَتْ مَائَةَ سَنَةَ ، فَقَالَ : يَا أَمَّاهُ ،

(١) انظر الحاشية (رقم ١٦٢) من هذا الجزء .

ما ترين ، قد خذلني الناس وخذلني أهل بيتي ؟ فقالت : لا يلعبن بِك صبيان
بني أمية ، عِشْ كريماً ومت كريماً . فخرج فامض ظهره إلى الكعبة ومعه
نفر يسير ، فجعل يقاتلهم ويهزهم وهو يقول : ويله ! يا له فتحالو كان له
رجال ! فناداه الحجاج : قد كان لك رجال فضيئتهم . وجعل ينظر إلى أبواب
المسجد والناس يهجمون عليه فيقول : من هؤلاء ؟ فيقال له أهل مصر . قال :
قتلة عثمان ! فحمل عليهم ، وكان فيهم رجل من أهل الشام ، يقال له خلبوب ،
فقال لأهل الشام : أما تسيط طيعون إذا ولَّ^(١) ابن الزبير أن تأخذوه بأيديكم ؟
قالوا : ويمكناك أنت أن تأخذة بيديك ؟ قال نعم . قالوا : فشأنك . فأقبل وهو
يريد أن يختضنه ، وابن الزبير يرتجز ويقول :

* لو كان قرني واحداً كفيته *

فصر به ابن الزبير بالسيف فقطع يده . فقال خلبوب : حس . قال ابن الزبير :
اصبر خلبوب . قال : وجاءه حجر من حجارة المنجنيق ، فأصاب قفاه فسقط .
فاقتجم أهل الشام عليه . فما فهموا قتله حتى سمعوا جارية تبكي وتقول : وأمير
المؤمنيناه ! خز وارأسه وذهبوا به إلى الحجاج . وقتل معه عبد الله بن صفوان ،
و عمارة بن حزم ، وعبد الله بن مطیع .

قال أبو معشر : وبعث الحجاج برسوهم إلى المدينة . فنصبوا لها للناس ،
جعلوا يقربون رأس ابن صفوان إلى ابن الزبير ، كأنه يساره ، ويلعبون بذلك .
ثم بعث برسوهم إلى عبد الملك بن مروان . نفرجت أسماء إلى الحجاج ، فقالت
له : أتأذن لي أن أدفعه فقد قضيت أربك منه ؟ قال : لا . ثم قال لها :
ما ظنك بـ رجل قتل عبد الله بن الزبير ؟ قالت : حسبيه الله^(٢) . فلما منعها أن تدفعه
قالت : أما إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : يخرج من ثقيف
رجلان : الكذاب والمثير ، فاما الكذاب فالمحتار ، وأما المثير فأنت . فقال
الحجاج : اللهم مُبِير لا كذاب .

(١) ولَّ : أدرى . في بعض الأصول : « ولاكم » . (٢) أى انتقم الله منه .

ومن غير رواية أبي عبيد قال : لما نصب الحجاج المجانين لقتال عبد الله بن الزبير أظلمتهم سحابة فأرعدت وأبرقت وأرسلت الصواعق ، ففزع الناس وأمسكوا عن القتال . فقام فيهم الحجاج فقال : أيها الناس ، لا يهونكم هذا ، فإني أنا الحجاج بن يوسف ، وقد أصررت^(١) لربّي ، فلور كينا عظيمًا حال بيفنا وبدهنه . ولكنها جبال تهامة لم تزل الصواعق تنزل بها . ثم أمر بكسرى فطُرِح له ، ثم قال : يا أهل الشام ، قاتلوا على أعطيات أمير المؤمنين . فكان أهل الشام إذا رموا السكينة يرتجون ويقولون هذا :

خطارة مثل الفنِيق المزبد يرمي بها عواد أهل المسجد^(٢)
ويقولون أيضًا : دري عقاب^(٣) ، بلن وأشخاب . فلما رأى ذلك ابن الزبير
خرج إليهم بسيفه ، فقاتلهم حينا . فناداه الحجاج : ويلك يا بن ذات النطاقين !
أقبل الأمان وادخل في طاعة أمير المؤمنين . فدخل على أممه أسماء ، فقال لها :
سممت — رحمك الله — ما يقول القوم وما يدعوني إليه من الأمان ؟ قالت :
سمعتم لهم الله ! فما أجهلهم وأعجب منهم إذ يغيرونك بذات النطاقين ! ولو علموا
ذلك لكان ذلك أعظم فخرك عندهم . قال : وما ذلك يا أممه ؟ قالت : خرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره مع أبي بكر ، فهياأت لها سفرة ،
فطلبا شيئاً يرْبطانها بها ، فما وجداه ، فقطعت من مثزرى لذاك ما أحاجا إليه ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما إن لك به نطاقين في الجنة . فقال
عبد الله : الحمد لله حمداً كثيراً ، فما تأمرني به ، فإنهم قد أعطوني الأمان ؟
قالت : أرى أن تموت كريماً ، ولا تتبع فاسقاً لثيماً ، وأن يكون آخر نهارك
أكرم من أوله . فقبل رأسها وودعها ، وضمه إلى نفسها . ثم خرج من عندها ،

١) أصر : برز .

٢) الخطارة الناقة تختظر بذنبها في السير نشاطاً . والفنِيق : الفحل المسكِرم من الإبل
الذى لا يركب ولا يهان لكرامته عليهم .

٣) عقاب : اسم ناقة . وأشخاب : جمع شخّب ، وهو ما امتد من اللبن . وهذا من
أمثال المحنثين . (انظر بجمع الأمثال)

فَصَدَّدَ الْمُنْبِرُ ، فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنَّ الْمَوْتَ قَدْ تَغْشَى كُمْ
 سَجَابَهُ ، وَأَحْدَقَ بِكُمْ رَبَابَهُ^(١) ، وَاجْتَمَعَ بَعْدَ تَفْرِقٍ ، وَأَرْجَحَنَّ بَعْدَ تَمْشِقٍ^(٢) ،
 وَرَجَسَ^(٣) نَحْوَكُمْ رَعْدَهُ ، وَهُوَ مُفْرَغٌ عَلَيْكُمْ وَدَقَهُ^(٤) ، وَقَادَ إِلَيْكُمُ الْبَلَائِيَا تَتَقْبِعُهَا
 الْمَنَايَا ، فَاجْعَلُوا السَّيْفَ لَهَا غَرْضًا ، وَأَسْتَعْيِنُوا عَلَيْهَا بِالصَّبْرِ . وَتَعْتَلَ بِأَبِيَاتٍ ، ثُمَّ

أَفْتَحْمُ يُقَاتِلُ وَهُوَ يَقُولُ :

قَدْ جَدَ أَصْحَابُكَ ضَرَبَ الْأَعْنَاقَ . وَقَامَتِ الْحَرَبُ لَهَا عَلَى سَاقِ

ثُمَّ جَعَلَ يُقَاتِلُ وَحْدَهُ وَلَا يَهْدُهُ شَيْءٌ ، كَلَّا أَجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْقَوْمُ فَرَّقُهُمْ وَذَادُهُمْ ،
 حَتَّى أَنْخَنَ بِالْجَرَاحَاتِ وَلَمْ يُسْتَطِعْ النَّهُوضَ . فَدَخَلَ عَلَيْهِ الْحِجَاجُ ، فَدَعَا بِالنَّاطِعِ ،
 فَخَرَّ رَأْسَهُ هُوَ بِنَفْسِهِ فِي دَاخِلِ مَسْجِدِ الْكَعْبَةِ — لَا رَحْمَ اللَّهُ الْحِجَاجُ — ثُمَّ بَعْثَثَ
 رَأْسَهُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِهِ مَنْ ظَهَرَ بِهِ . ثُمَّ أَقْبَلَ فَاسِتَاذُونَ

عَلَى أُمِّهِ أَسْمَاءَ بَنْتِ أَبِي بَكْرٍ لِيَعْزِيزَهَا ، فَأَذَنَتْ لَهُ ، فَقَالَتْ لَهُ : يَا حِجَاجُ ، قُتِلَتْ
 عَبْدُ اللَّهِ ؟ قَالَ : يَا بَنْتَ أَبِي بَكْرٍ ، إِنِّي قَاتِلُ الْمَلِحَدِينَ . قَالَتْ : بَلْ^(٥) أَنْتَ قَاتِلُ
 الْمُؤْمِنِينَ الْمُوَحَّدِينَ . قَالَ لَهَا : كَيْفَ رَأَيْتِ مَا صنَعْتُ بِبَنْتِكَ ؟ قَالَتْ : رَأَيْتُكَ
 أَفْسَدَتْ عَلَيْهِ دُنْيَاكَ وَأَفْسَدَ عَلَيْكَ آخِرَتَكَ ، وَلَا ضَيْرَ أَنْ أَكْرَمَهُ اللَّهُ عَلَى يَدِيكَ ،

وَقَدْ أَهْدَى رَأْسَ يَحْيَى بْنَ زَكْرِيَا إِلَى بَغْيِي مِنْ بَغَايَا بْنِ إِسْرَائِيلَ .

هَشَامُ بْنُ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : كَانَ عُمَانَ أَسْتَخْلَفَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ عَلَى
 الدَّارِ يَوْمَ الدَّارِ ، فَبِذَلِكَ أَدْعَى ابْنَ الزَّبِيرِ إِلَى الْخِلَافَةِ .

مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدٍ قَالَ : لَمَّا نَصَبَ الْحِجَاجُ رَأْيَةَ الْأَمَانِ وَتَصَرَّمَ الْفَاسِ عنْ أَبْنَ
 الزَّبِيرِ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صَفْوَانَ : قَدْ أَفْلَأْتُكَ بِيَعْتِي وَجَعَلْتُكَ فِي سَعَةٍ ، فَخُذْ
 لِنَفْسِكَ أَمَانًا . فَقَالَ : مَهُ ، وَاللَّهِ مَا أَعْطَيْتُكَ إِيَّاهَا حَتَّى رَأَيْتُكَ أَهْلَهَا ، وَمَا رَأَيْتُ
 أَحَدًا أَوْلَى بِهَا مِنْكَ ، فَلَا تَضْرِبُ هَذِهِ الصَّلَوةَ فَتَيَانُ بْنِ أَمْيَةَ أَبْداً ، وَأَشَارَ إِلَى

(١) الْرَّبَابُ (كَسَمَاءُ) : السَّجَابُ الْأَيْضُنُ .

(٢) أَيْ اجْتَمَعَ وَثَقَلَ بَعْدَ تَفْرِقٍ .

(٣) رَجَسٌ : رَعْدٌ شَدِيدٌ . (٤) الْوَدْقُ : الْمَطَرُ .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بَلِي » .

رأسه . قال : خدث سليمان بن عبد الملك حديثه ، فقال : إني كفت لأراء
 أعرجَ جبانا . فلما كانت الليلة التي قُتِلَ في صباحها ابنُ الزبير ، أقبل عبدُ الله
 ابن صفوان ، وقد دنا أهلُ الشام من المسجد ، فاستأذن . فقالت الجارية : هو
 نائم . فقال : أوليلة نوم هذه ؟ أيقظيه ، فلم تفعل . فاقام ، ثم استأذن . فقالت :
 هو نائم ، فانصرف . ثم رجع آخر الليل وقد هجم القوم على المسجد . نخرج إليه ،
 فقال : والله ما نِمْتُ مِنْذُ عَقْلَتُ الصلاة نوْمًا هذه الليلة وليلة الجمل ، ثم دعا
 بالستوك ، فأستاك متمكنا ، ثم توضأ متمكنا ، ولبس ثيابه ، ثم قال : أنظرني حتى
 أودع أمَّ عبد الله ، فلم يبق شئ ، وكان يكره أن يأتيهما فتعزز عليه أن يأخذ
 الأمان ، فدخل عليها وقد كفَّ بصرُها ، فسلم ، فقالت : من هذا ؟ فقال :
 عبد الله ، فشقته ، ثم قالت : يا بني ، مُتْ كريما . فقال لها : إن هذا قد أمنني
 — يعني الحجاج — . قالت : يا بني ، لا تَرْضِ الدنْيَا ، فإن الموت لا بد منه .
 قال : إني أخاف أن يُمثلَ بي . قالت : إن الكبس إذا ذبح لم يأمن السُّلْخَ .
 قال : فخرج ، فقاتل قتالاً شديداً . بجعل يَهْزِمُهم ، ثم يرجع ويقول : يا له
 فتحاً لو كان له^(١) رجال ! أو كان المصعب أخي حيَا ! فلما حضرت الصلاة صلى
 صلاته ، ثم قال : أين باب أهل مصر ؟ حنقاً لعمان^(٢) . فقاتل حتى قتل ، وقتل
 معه عبد الله بن صفوan . وأتى برأسه الحجاج وهو فاتح عينيه وفاه ، فقال : هذا
 رجل لم يكن يعرف القتل ولا ما يصير إليه المقتول ، فلذلك فتح عينيه وفاه .
 هشام بن عمرو عن أبيه : إن عبد الله بن الزبير كان أول مولود ولد
 في الإسلام ، فلما ولد كبر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولما قُتِلَ كبار الحجاج
 ابن يوسف وأهل الشام معه . فقال ابن عمر : ما هذا ؟ قالوا : كبار أهل الشام
 لقتل عبد الله بن الزبير . قال : الذين كبروا مولده خير من الذين كبروا اقتله .
 أَيُوبُ عَنْ أَبِي قُلَبةَ : شهدت ابنة أبى بكر غسلت أبنها ابنَ الزبير بعد

(١) في بعض الأصول : « لـك » .

(٢) يسأل عن مكان أهل مصر من الصفوف ليinal منهم ، تاراً بعمان .

٣٢٧
٢

شهر ، وقد تقطعت أوصاله وذهب برأسه ، وكيفته وصأت عليه .

٦ هشام بن عروة قال : قال عبد الله بن عباس للجائز ^(١) : جندي خشبة ابن الزبير . فلم يشعر ليلة حتى عثر فيها ، فقال : ما هذا ؟ فقال : خشبة ابن الزبير . فوقف ودعاه ، وقال : لئن علمت رجلاً اطالم وقفت عليهما في صلاتك . ثم قال لأصحابه : أما والله ما عرفت إلا صواماً قواماً ، ولكنني ما زلت أخاف عليه مذ رأيته [أن] تعجبه بغلات معاوية الشهـب . قال : وكان معاوية قد حجّ فدخل المدينة وخلفه خمس عشرة بغلة شهباء عليها رحائل الأرجوان ، فيهم الجواري عليهن الجلابيب والمعصرات ، ففتن الناس .

أولاد عبد الملك بن مروان

١٠ الوايد ، وسليمان ، من العبسية ^(٢) ، ويزيد ، وهشام ، وأبو بكر ، ومسلمة ، وسعيد الخير ، وعبد الله ، وعقبة ، والحجاج ، والمُغذر ، ومروان الأكبر ، ومروان الأصغر — ولم يعقب مروان الأكبر — ومحمد ^(٣) ، ومعاوية ، دراج ^(٤) .

وفاة عبد الملك بن مروان

توفي عبد الملك بن مروان بدمشق للنَّصف من شوال سنة ست وثمانين ،

(١) في بعض الأصول : « للجائز » .

١٥ (٢) هي ولادة بنت العباس بن جزء بن الحارث بن زهير بن جذيمة بن رواحة بن ربيعة بن مازن بن الحارث بن قطيبة بن عيسى بن بعبيض . وقد ذكر ابن جرير الطبرى مع الوايد وسليمان من ولادة هذه مروان الأكبر وعائشة (انظر الطبرى) .

(٣) في بعض الأصول : « ويزيد » . تحرير .

٢٠ يقال . درج القوم ، إذا انقرضا . وفلان : لم يخالف نسلا . والذى في بعض الأصول : « وداود » . والذى في سائر الأصول : « وداود ولم يعقب داود » . والتوصيب من الطبرى . وقد ذكر ابن قتيبة في كتابه المعارف وابن جرير في الطبرى : أولاد عبد الملك . ولم يذكرها من بينهم داود ، كما ذكر ابن قتيبة قبيصة بدلاً من معاوية . وذكر له بنتين هما عائشة وفاطمة وزاد الطبرى عليهما أم كلثوم . فارجع ما يليهما .

وهو ابن ثلات وستين ، وصلى عليه الوليد بن عبد الملك . ولد عبد الملك في المدينة في دار مروان سنة ثلات وعشرين ، وكتب عبد الملك إلى هشام بن إسماعيل المخزومي ، وكان عاملاً على المدينة ، أن يدع الناس إلى البيعة لأنبياء الوليد وسلمان . فبائع الناس ، غير سعيد بن المسيب ، فإنه أبي وقال : لا أبيع عبد الملك حي . فضربه هشام ضرباً مبرحاً ، وألبسه المسوح^(١) ، وأرسله إلى ثديه بالمدينة يقتلونه عندها ويصلبونه ، فلما أنهوا به إلى الموضع رده . فقال سعيد : لو علمت أنهم لا يصلبونوني ما لبست لهم الثيaban^(٢) . وبلغ عبد الملك خبره فقال : قبض الله هشاماً ، مثل سعيد بن المسيب يضرب بالسياط ! إنما كان يتبعى له أن يدعوه إلى البيعة فإن أبي يضرب عنقه .

١٠ وقال للوليد : إذا أنا مت فقضى في قبري ولا تغتصر على عيالك عصراً للأمة ، ولكن شمر ، وأنتر ، والبس لناس جلد المهر ، فن قال برأسه كذا فقل بسيفك كذا .

ولاية الوليد بن عبد الملك

شم بويع للوليد بن عبد الملك في النصف من شوال سنة ست وثمانين . وأم ١٥ الوليد ولادة بنت العباس بن جزء^(٣) بن الحارث بن [زهير بن]^(٤) جذيمة^(٥)

(١) المسوح : جمع مسح (بالكسر) وهو كسراء من شعر .

(٢) كذا في بعض الأصول وحلية الأولياء . والتبيان (كرمان) : سراويل صغير يسفر العورة المفظة . والذى في سائر الأصول : « الثياب » . والعبرة في حلية الأولياء : « لو علمت أنى لا أقتل ما اشتهرت بهذا التبيان ». وقد ذكر الحافظ القصة برواية أخرى فقال : قال رجاء حدثني الآليون الذين كانوا في الشرط بالمدينة قالوا : علمنا أنه لا يلبس الثياب طائعاً ، فقلنا له : يا آبا محمد ، إنه القتل فاستر عورتك . فلبس ، فلما ضرب قلنا له : إنما خدعناك . قال : يا معجلة أهل أبلة ، لو لأنى ظننت أنه القتل ما لبسته . (انظر حلية الأولياء ج ٢ ص ١٧١ - ١٧٢).

(٣) في الأصول : « حربي ». وما أثبتنا من الطبرى .

(٤) التكملة من الطبرى .

(٥) في الأصول : « خزبة » وما أثبتنا من الطبرى . وانظر الحاشية (رقم ٢ ص ٤٢٠) من هذا الجزء ففيها نسب ولادة كاما .

العبّسي . وكان على شرطته كعب بن حماد ، ثم عزله وولى أبا نائل بن رياح ابن عبدة الغساني .

ومات الوليد يوم السبت في النصف من شهر ربیع الأول سنة ست وتسعين ،
وهو ابن أربع وأربعين . وصلّى عليه سليمان . وكانت ولادته عشر سنين
غير شهور .

ولد الوليد بن عبد الملك

عبد العزير ، ومحمد ، وعنبسة ، ولم يعقبوا — وأمّهم أم البنين بنت عبد العزيز
ابن مروان — وال Abbas ، وبه كان يُكنى ، ويقال : إنه كان أكبرهم ، وعمر ^(١) ،
وبشر ، وروح ، وتمام ، ومبشر ، وحزم ^(٢) ، وخالد ، ويزيد ، ويحيى ، وإبراهيم ،
وأبو عبيدة ، ومسرور ، [ومنصرور] ، ومروان ^(٣) ، وصداقة ، لأمهات أولاد .
وأم أبي عبيدة فزارية . وكان أبو عبيدة ضعيفاً . وولى الخلافة من ولد الوليد
إبراهيم ، شهرين ثم خلع . وولى يزيد الكامل شهراً ثم مات . وكان تمام
ضعيفاً ، هجاه رجل فقال :

بنو الوليد كرام في أرومهم نالوا المكارم طرًا غير تمام
ومسرور بن الوليد ، كان ناسكاً ، وكانت عنده بنت الحجاج . وكان بشر
من فتيائهم ، وروح من غلامتهم ، وال Abbas من فرسانهم ؛ وفيه يقول
الفرزدق :

إنَّ أبا الحارث العباس فائلٌ مثل السمك الذي لا يُخلي الماء
وكانت تحته بنت قطرى بن الفجاعة ، سبهاها وتزوجها . ولهم منها : المؤمل
والحارث . وكان عمر من رجالهم ، كان له تسعون ولداً ، سقون منهم كانوا يركبون

(١) في بعض الأصول : « عمرو » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٢) كما في الأصول . وقد ذكر الطبرى أولاد الوليد متفقاً مع الأصول إلا في حزم
هذا فذ ذكر مكانه عبد الرحمن .

(٣) في بعض الأصول : « محمد » وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

معه إذا ركب . وقال رجل من أهل الشام : ليس من ولد الوليد أحد إلا ومن رأه يحسب أنه من أفضل أهل بيته ، ولو وزن بهم أحجعين عبد العزيز لرجحهم . وفيهم يقول جرير :

و بنو الوليد من الوليد بمنزل كالمدر حفوا بواضحت الأنجوم
وعبد العزيز بن الوليد أراد أبوه أن يباع له بعد سليمان فأبى عليه سليمان .
و حدث الهيثم بن عدى عن ابن عياش ^(١) قال : لما أراد الوليد أن يباع
لابنه عبد العزيز بعد سليمان أبي ذلك سليمان وشفع عليه ، فقيل للوليد :
لو أمرت الشعراء أن يقولوا في ذلك لعله كان يسكت ، فتشهد عليه بذلك .
فدعوا الأقبيل القيني ^(٢) ، فقال له : أرجوز بذلك وهو يسمع . فدعوا سليمان فسايره ،
والآقبيل خلفه ، فرفع صوته وقال :

إن ولـيـ العـهـدـ لـابـنـ أـمـهـ ثمـ اـبـنـهـ ولـيـ عـهـدـ عـمـهـ
قدـ رـضـىـ النـاسـ بـهـ فـسـمـهـ فـهـ يـضـمـ الـمـلـكـ فـمـضـمـهـ
يـالـيـتـهـاـ قـدـ خـرـجـتـ مـنـ فـهـ

فالتفت إليه سليمان ، وقال : يا بن الخبيثة ، من رضي بهذا !

أخبار الوليد

١٥

أبو الحسن المدائني قال : كان الوليد أسن ولد عبد الملك وكان يحبه ، فترأخي في تأديبه لشدة حبه إياه ، فكان لحانا .

وقال عبد الملك : أضرنا في الوليد حبنا له . فلم يوجهه إلى الbadية . وقال الوليد يوماً وعندته عمر بن عبد العزيز : يا غلام ، ادع لي صالح . فقال الغلام :

(١) كذا في بعض الأصول : والمعروف أن الهيثم يروى عن ابن عياش والذى فى سائر الأصول : « عدى عن سليمان عن ابن عياش » . ويظهر ان عبارة « عن سليمان » قفرت إلى هذا المكان مما قبلها أو بعدها .

(٢) كذا في بعض الأصول وليس في العرب (ج ١٦ ص ١٤٦) . والذى فى سائر الأصول : « العقبي » .

يا صاحبا . فقال له الوليد : أَنْقُصْ الفا . فقال عمر بن العزيز : وأَنْتْ يا أمير المؤمنين فِرْزِدْ الفَا .

وكان الوليد عند أهل الشام أَفْضَلَ خلفائهم ، وَأَكْثَرَهُمْ فُتوحا ، وَأَعْظَمَهُمْ نفقته في سبيل الله ، بني مسجد دمشق ومسجد المدينة ، ووضع المنابر ، وأعطى المجدوليين حتى أغناهم عن سُؤال الناس ، وأعطى كل مُقْعَدَ خادماً ، وكل ضرير قائدًا . وكان يمر بالبقال (١) فيتماول قبضة فيقول : بكم هذه ؟ فيقول : بفلوس ، فيقول : زِدْ فيها فإنك تربح .

ومرَّ الوليد بمعالم كتاب فوجد عنده صبية ، فقال : ما تصنع هذه عندك ؟ فقال : أَعْلَمُهَا الـكتابـةـ والـقرآنـ . قال : فاجعل الذي يُعلّمـهاـ أصغرـ منهاـ سنـاـ .

وشكا رجل من بني مخزوم دَيْنًا لِزِمه ، فقال : نَقْضِيـهـ عـذـكـ إـنـ كـنـتـ لـذـكـ مُسـتـحـقـاـ . قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف لا أكون مُسـتـحـقـاـ في مـنـزـلـتـيـ وـقـرـابـتـيـ ؟ قال : قرأت القرآن ؟ قال : لا . قال : أَدْنـ مـنـيـ ، فـدـنـاـ مـنـهـ ، فـنـزـعـ العـيـامـةـ عن رأسـهـ بـقـضـيـبـ فـيـ يـدـهـ ، ثـمـ قـرـعـهـ بـهـ قـرـوةـ ، وـقـالـ لـرـجـلـ مـنـ جـلـسـانـهـ : ضـمـ إـلـيـكـ هـذـاـ الـعـلـجـ وـلـاـ تـفـارـقـهـ حـتـىـ يـقـرـأـ الـقـرـآنـ . فـقـامـ إـلـيـهـ آخـرـ ، فـقـالـ : يا أمير المؤمنين ، أَقْضـ دـيـنـيـ ، فـقـالـ لـهـ : أَتـقـرـأـ الـقـرـآنـ ؟ قال : نـعـمـ . فـاسـتـقـرـأـ عـشـرـاـ مـنـ الـأـنـفـالـ ١٥ وـعـشـرـاـ مـنـ بـرـاءـةـ ، فـقـرـأـ . فـقـالـ : نـعـمـ ، نـقـضـيـ دـيـنـكـ وـأـنـتـ أـهـلـ لـذـكـ .

وركب الوليد بغيراً وحادٍ يحدو بين يديه ، والوليد يقول :
يأيها البَكْرُ الَّذِي أَرَاهَا كَـ وَبِحَكْ تَعْلَمُ الَّذِي عَلَـاكـ
خليفة الله الذي أمتطاها كـ لم يحب بـكـرـ مثلـ ما حبـاـ كـ

أبو الحسن المدائني : ثُمَّ بُويع سليمان بن عبد الملك في ربيع الأول سنة ست وتسعين . ومات سنة تسع وتسعين بدابق (٢) ، يوم الجمعة لعشرين من صفر ،

(١) في المقاموس (مادة بقل) « وللبيال لبياع الأطعمة ، عامية ، والصحبيع البدال » .

(٢) دابق (بكسر الباء ، وقد روی بفتحها ، وآخره قاف) : قرية قرب حلب ، بينها وبين حلب أربعة فراسخ ، وبها قبر سليمان بن عبد الملك . (انظر معجم البلدان) .

وهو ابن ثلث وأربعين . وصلى عليه عمر بن عبد العزيز . وكانت ولادته سنتين وعشرين أشهر ونصفاً . ولد سليمان بن عبد الملك بالمدينة في بني حديلة^(١) . ومات بداعيق من أرض قنسرين ، وكان سليمان فصيحة جميلا وسيا ، نشأ بالبادية عند أخواله بني عبس . وكانت ولادته يمناً وبركة ، أفتتحها بخير وختمتها بخير . فاما افتتاحه فيها بخير ، فرد المظالم ، وأخرج المسجونين ، وبغزة مسلمة بن عبد الملك الصائفة حتى بلغ القسطنطينية . وأما ختامها بخير ، فاستخلفه عمر بن عبد العزيز . ولبس يوماً وأعمم^(٢) بعامة ، وكانت عنده جارية حجازية ، فقال لها : كيف ترين الهيئة ؟ فقالت : أنت أجمل العرب ، لولا ! قال : على ذلك لتقولن^(٣) . قالت : أنت^(٤) نعم المتع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان^(٥) .

١٠

أنت خلوة من العيوب وما يكره الناس غير أنت فاني^(٦) .

قال : فتنقص عليه ما كان فيه ، فما لبث بعدها إلا أياماً حتى توفى رحمة الله .

وتفاخر ولد عمر بن عبد العزيز ولد سليمان بن عبد الملك ، فذكر ولد عمر فضل أبيه وخاله . فقال له ولد سليمان : إن شئت فأقلل^(٧) وإن شئت فأكثر ، فما^(٨) كان أبوك إلا حسنة من حسنات أبي .

١٥

محمد بن سليمان قال : فعل سليمان في يوم واحد ما لم يفعله عمر بن عبد العزيز في طول عمره : أعتق سبعين ألفاً ما بين مملوك وملوكة وبتهم^(٩) ، أى كسامم . والبئر^(١٠) : السكوة .

(١) في الأصول : « جديلة ». والتوصيب من معجم البلدان لياقوت (ج ٢ من ٢٢٧) .

(٢) الشعر لموسى شهوات . (انظر الأغاني : ج ٩ من ٩٩ طبعة بلاك) والشعر والشعراء (من ٣٠٧) .

(٣) في اللسان (مادة بت) : « وفي حديث علي عليه السلام : إن طائفه جاءت إليه فقال لقتبر : بتهم . أى أعطهم البتوت » .

(٤) « البئر » : ضرب من الطيالية يسمى الساج صربع غليظ أخضر . وفي بعض الأصول : « وبتهم ... والبغت » . تحرير .

ولد سليمان

أَيُوب ، وَأُمَّهُ أَمْ أَبَان بنت الحكيم بن العاص ، وَهُوَ أَكْبَرُ وَلَدِ سَلَيْمَان
وَوَلِيَّ عَهْدِهِ ، ثَاتٌ فِي حِيَاةِ سَلَيْمَان ، وَلَهُ يَقُولُ جَرِيرُ :

إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي تُرْجِي فَوَاضِلَهُ بَعْدَ الْإِمَامِ وَلِيَّ الْعَهْدُ أَيُوبُ
وَعَبْدَ الْوَاحِدِ ، وَعَبْدَ الْعَزِيزِ ، أَعْهَمَا أُمَّهُ عَاصِرَ بَنْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ خَالِدِ^(١) .
وَفِي عَبْدِ الْوَاحِدِ يَقُولُ الْقَطَاطِمِيُّ :

أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَا يَحْزُنُكُمْ حَالُهُمْ إِذَا تَنْخَطَأُ عَبْدَ الْوَاحِدِ الْأَجْلُ
قَدْ يُدْرِكُ الْمَتَانِي بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعِجِلِ الْزَّالِ

وَلَمَّا ماتَ أَيُوب ، وَلِيَّ عَهْدِ سَلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَلَكِ قَالَ [ابن] عَبْدُ الْأَعْلَى
يَرْثِيهِ ، وَكَانَ مِنْ خَواصِهِ :

وَلَقَدْ أَقُولُ لِذِي الشَّهَادَةِ إِذْ رَأَى جَزَعَهُ وَمَنْ يَدْقُنَ الْحَوَادِثَ يَجْزِعُ
أَبْشِرَ فَقَدْ قَرَعَ الْحَوَادِثُ مَرْوَتِي وَأَفْرَحَ بَمْرُوتَكَ الَّتِي لَمْ تَقْرَعْ
إِنْ عِشْتَ تُفْجِعَ بِالْأَحْبَةِ كُلُّهُمْ أَوْ يُفْجِعُوكَ إِنْ بَهْمَ لَمْ تُفْجِعَ
أَيُوبُ مَنْ يَشْمَتُ بِمَوْتِكَ لَمْ يُطِقْ عَنْ نَفْسِهِ دَفْعًا وَهُلْ مِنْ مَدْفَعٍ

أخبار سليمان بن عبد الملك

١٥

أبو الحسن المدائني قال : لما بلغ قتيبة بن مسلم أن سليمان بن عبد الملك
عزله عن خراسان وأستعمل يزيد بن المهلب، كتب إليه ثلاثة صحاف، وقال
للرسول : ادفع إليه هذه ، فإن دفعها إلى يزيد فادفع إليه هذه ، فإن شتمي
فاذفع إليه هذه . فلما سار الرسول إليه دفع الكتاب إليه ، وفيه : يا أمير
المؤمنين ، إن من بلاي في طاعة أبيك وأخيك كيّت وكيّت . فدفع كتابه
إلى يزيد . فأعطاه الرسول الكتاب الثاني ، وفيه : يا أمير المؤمنين ، كيف

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « عَبْدُ الْأَسْدِ » مَكَانٌ « أَسِيدٌ » .

تأمن ابن دَحْمَةَ^(١) على أسرارك وأبوء لم يأْمِنْه على أمّات أولاده؟ فلما قرأ
الكتاب شَقَّمه ونَوَّله لِيزِيدَ . فأعطاه الثالثَ وفِيهِ : من قُتيبةَ بْنِ مُسْلِمٍ إلى
٣٣٠
٢
سليمان بن عبد الملك . سلامٌ على من اتبع الهدى . أما بعد . فوالله لا وَثَقَنَ له
آخِيَّةَ^(٢) لا يَنْزَعُهَا الْمَهْرُ الْأَرْنَ^(٣) . فلما قرأها قال سليمان : عَجَّلْنَا على قُتيبةَ ،
يا غلام ، جَدَّدْ لَه عَهْدًا على خَرَاسَانَ .

وَدَخَلَ يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمَ ، كَاتِبَ الْحِجَاجَ ، عَلَى سليمانَ . فَقَالَ لَه سليمانَ :
أَتَرِي الْحِجَاجَ أَسْتَقْرَرَ فِي قَعْدَ جَهَنَّمَ ، أَمْ هُوَ يَهْوَى فِيهَا؟ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
إِنَّ الْحِجَاجَ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَيْنَ أَبِيهِكَ وَأَخِيهِكَ ، فَضَعَهُ مِنَ النَّارِ حِيتَ شَدَّتْ .
قَالَ : فَأَمَّ بِهِ إِلَى الْحَبْسِ ، فَكَانَ فِيهِ طَوْلَ وَلَا يَتَهَّهَ .

قال محمد بن يزيد الأنصاري : فلما ولَى عَمْرُ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، بَعْثَنِي .
فَأَخْرَجْتُ مِنَ السُّجْنِ مَنْ حَبَسَ سليمانَ ، مَا خَلَى يَزِيدَ بْنَ أَبِي مُسْلِمٍ فَقَدْ رُدَّ . فَلَمَّا
مَاتَ عَمْرُ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَلَاه يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِفْرِيقِيَّةَ ، وَأَنَا فِيهَا ، فَأَخْذَتُ
فَأَتَى بِي إِلَيْهِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ عَنْدَ الْأَلَيْلِ ، فَقَالَ : مُحَمَّدٌ بْنُ يَزِيدٍ؟ قَلْتَ : نَعَمْ .
قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي مَكَنَنِي مِنْكَ بِلَا عَهْدٍ وَلَا عَهْدَ . فَطَالَتْ سَأَلَاتُ اللَّهِ أَنْ
يُمْكِنَنِي مِنْكَ . قَلْتَ : وَأَنَا وَاللَّهِ طَالَتْ أَسْعَدَتْ بِاللَّهِ مِنْكَ . قَالَ : فَوَاللَّهِ
مَا أَعْذَكَ اللَّهُ مَنْقِي ، وَلَوْ أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتَ سَابَقَنِي إِلَيْكَ لِسْبَقْتُهُ . قَالَ : فَأَقِيمْتُ
صَلَاةَ الْمَغْرِبَ ، فَصَلَّى رَكْعَةً ، فَتَارَتْ عَلَيْهِ الْجَنَدُ فَفَتَّلَوْهُ ، وَقَالُوا لِي : خُذْ
أَيْ طَرِيقَ شَدَّتْ .

وَأَرَادَ سليمان بن عبد الملك أن يَحْجِرَ عَلَى يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَذَلِكَ أَنَّه

٢٠
(١) هي دحمة بنت جديع ، أم يزيد بن المهلب . وفي بعض الأصول : « رجمة » تحريف .
(انظر القاموس مادة دحم) .

(٢) الآخِيَّةُ : عود يعرض في حائط ويُدفن طرفاً فيه يصبر وسطه كالعروة تشده إلَيْهِ
الدابة . وقيل هوأن يدفن طرفاً قطعة من الحبل في الأرض وفيه عصبة أو حجر يظهر
منه مثل عروة تشده إلَيْهِ الدابة . والذى في الأصول : « آخِيَّة » صوابه ما أثبتنا .

(٣) الأرن (كفرح) : النشيط . وفي بعض الأصول : « الأدن مؤاخة » .

٢٥
(٤) في بعض الأصول : « خذ إلى الطريق أى طريق شئت » .

تزوج سعدي بذت عبد الله بن عمرو بن عثمان وأصدقها عشرين ألف دينار ، وأشتري جارية^(١) بأربعة آلاف دينار . فقال سليمان : لقد هممت أن أضرب على يد هذا السفهية ، ولكن كيف أصنع بوصيَّة أمير المؤمنين ببني عاتكة : يزيد وموان !

وحبس سليمان بن عبد الملك موسى بن نصیر وأوحى إليه : أغمِّ دينك خمسين مرة . فقال موسى : ما عندك ما أغمره . فقال : والله لغير منها مائة مرة . فحملها عنه يزيد بن المهلب ، وشكر ما كان من موسى إلى أبيه المهلب أيام بشر بن موأن ، وذلك أن بشراً هم^(٢) بالمهلب ، فكتب إليه موسى يُحذره ، فتارض المهلب ولم يأته حين أرسل إليه .

وكان خالد بن عبد الله القسري واليًا على المدينة للوليد ، ثم أقره سليمان ،
وكان قاضي مكة طلحة بن هرم ، فاختصم إليه رجل من بنى شيبة ، الذين
إليهم مفتاح المسجد ، يقال له الأعمج ، مع ابن أخي له في أرض لها ، فقضى للشيخ
على ابن أخيه ، وكان متصلًا بخالد بن عبد الله ، فأقبل إلى خالد فأخبره ، فقال
خالد بين الشيخ وبين ما قضى له القاضي . فكتب القاضي كتاباً إلى سليمان
يشكوه خالدا ، ووجه الكتاب إليه مع محمد بن طلحة . فكتب سليمان إلى
خالد : لا سبيل لك على الأعمج ولا ولده . فقدم محمد بن طلحة بالكتاب على
خالد وقال : لا سبيل لك علينا ، هذا كتاب أمير المؤمنين . فأمر به خالد فضرب
مانة سوط قبل أن يقرأ كتاب سليمان . وبعث القاضي ابنه المضروب إلى سليمان ،
وبعث ثيابه التي ضرب فيها بدمةها . فأمر سليمان بقطع يد خالد . فكلمه يزيد
بن المهلب ، وقال : إن كان ضربه يا أمير المؤمنين بعد ما قرأ الكتاب تقطع يده ،
 وإن كان ضربه قبل ذلك فعفو أمير المؤمنين أولى بذلك . فكتب سليمان
إلى داود بن طلحة بن هرم : إن كان ضرب الشيخ بعد ما قرأ الكتاب الذي

(١) هي حبابة . (انظر الطبرى) .

(٢) في بعض الأصول : « اهتم » .

أرسلته فاقطع يده ، وإن كان ضربه قبل أن يقرأ كتابي فاضر به مائة سوط . فأخذ داود بن طلحة ، لما قرأ الكتاب ، خالداً فضر به مائة سوط .

فجزع خالد من الضرب ، فجعل يرفع يديه . فقال له الفرزدق : ضم إليك يديك يابن النصرانية . فقال : ليهنا الفرزدق ، وضم يديه^(١) . وقال الفرزدق :

٥
شَآبِيبُ لَمْ يُصْبِبُنَّ مِنْ صَبَبِ الْقَطْرِ

فَلَوْلَا يَزِيدُ بْنُ الْمَهْلَبَ حَلَقَتْ

فَرَدَّتْ أُمُّ خَالِدٍ^(٢) عَلَيْهِ تَقُولُ :

أَعْمَرِي لَقَدْ صُبْتَ عَلَى مَتْنِ خَالِدٍ

فَكَيْفَ يُسَاوِي خَالِدًا أَوْ يَشِينُهُ

وَقَالَ الْفَرَزِدَقُ أَيْضًا فِي خَالِدَ الْقَسْرِيِّ :

سَلُوا خَالِدًا ، لَا قَدَسَ اللَّهُ خَالِدًا

مَتَى مَاتَ كَتَ قَسْرًا قَرِيشًا تَدِيهَا ؟

أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ أَوْ بَعْدَ عَهْدِهِ

فَقَلَّتْ قَرِيشٌ قَدْ أَغْثَتْ سَمِينَهَا

رَجَوْنَا هُدَاهُ ، لَا هَدَى اللَّهُ قَلْبَهُ

وَمَا أُمَّهُ بِالْأَمْ يُهْدَى جَنِينَهَا

فَلِمْ يَرْزِلْ خَالِدٌ مَحْبُوسًا عَكَةً حَتَّى حَجَ سَلِيمَانُ وَكَلْمَهُ فِيهِ الْمُفْضِلُ^(٣) بْنُ الْمَهْلَبِ .

فَقَالَ سَلِيمَانٌ : لَاطَّ بِكَ الرَّحْمَمُ أَبَا عُثْمَانَ ، إِنَّ خَالِدًا جَرَّ عَنِي غَيْظًا .

قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، هَبْنِي مَا كَانَ مِنْ ذَنْبِهِ .

قَالَ : قَدْ فَعَلْتُ ، وَلَا بَدَ أَنْ يَمْشِي

إِلَى الشَّامِ رَاجِلًا . فَهَشَى خَالِدٌ إِلَى الشَّامِ رَاجِلًا .

وَقَالَ الْفَرَزِدَقُ يَدْحُ سَلِيمَانَ

ابْنَ عَبْدِ الْمَلَكِ :

سَلِيمَانٌ غَيَّثَ الْمُهَمَّلِينَ وَمَنْ بِهِ

عَنِ الْبَأْسِ الْمِسْكِينِ حُلِّتْ سَلَاسِلُهُ

وَمَا قَامَ مِنْ بَعْدِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ

وَعُثْمَانَ فَوْقَ الْأَرْضِ رَاعَ يَمَاثِلُهُ

جَعَلَتْ مَكَانَ الْجُوْرِ فِي الْأَرْضِ مِثْلَهُ

مِنَ الْعَدْلِ إِذْ صَارَتْ إِلَيْكَ مَحَامِلَهُ

(١) في بعض الأصول : « وضمت يدي » .

(٢) في بعض الأصول : « أم الضحاك » .

(٣) كذلك في بعض الأصول والطبرى . والذى فى سائر الأصول : « الفضل بن المهلب » .

وقد عَلِمُوا أَنْ لَنْ يَعْمِلَ بَنْ الْهَوَى
وَمَا قَلَتْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّكَ فَاعْلَمَ
رَبِّ يَادِكَ عَنْ مَالِكٍ : إِنْ سَلِيمَانَ بْنَ عَبْدِ الْمَالِكِ قَالَ يَوْمًا لِعُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ :
كَذَبْتَ ! قَالَ : وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ مِنْذَ شَدَّدْتُ عَلَيْهِ إِبْرَارِي ، وَإِنَّ فِي غَيْرِ هَذَا
الْمَحْلُسِ لِسَعْةً ، وَقَامَ مُغْضِبًا ، فَتَجَهَّزَ يَرِيدُ مَصْرَ . فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ سَلِيمَانَ ، فَدَخَلَ
عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : يَا بْنَ عَمِّي ، إِنَّ الْمَعَاتِبَةَ تَشَقِّ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ وَاللَّهِ مَا أَهْمَنَّ أَمْرَهُ
قُطُّ مِنْ دِينِي وَدُنْيَايِ إِلَّا كَفَتَ أُولَئِنَاءُ مِنْ أَذْكُرْهُ لَكَ .

وفاة سليمان بن عبد الملك

قال رجاء بن حمزة : قال لي سليمان : إلى من ترى أن أعهد ؟ فقلت : إلى
عمر بن عبد العزيز . قال : كيف نصنع بوصية أمير المؤمنين بابني عاتكة ، من
كان منها حيَا ؟ قلت : تجعل الأمراً بعده ليزيد . قال : صدقت . قال :
فـ كتب عهده لعمر ثم ليزيد بعده .

ولما ثقل سليمان قال : أئْتُنِي بِقُصْصِ بَنِي أَنْظَرْ إِلَيْهِ . أَتَنِي بِهِ ، فَذَسَّرَهَا
فَرَآهَا فَصَارَأً ، فَقَالَ :

إِنَّ بَنِي صِبْيَةَ صِفَارَ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ لَهُ كِبَارٌ
وَقَالَ لِعُمَرَ : (أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى . وَذَكَرَ امْرُرَبَهُ فَصَلَّى) .

وكان سبب موت سليمان بن عبد الملك أن نصرانياً أتاه وهو يداقب بزنبل
هملوه بيضاً وآخر هملوه تيناً . قال : قشروا ، فقشروا . فيجعل ياكل بيضة وتينة ،
حتى أتى على الزنبيلين . ثم أتوه بقطعة هلوة هنا بسکر ، فأكله . فأنثم
فرض فمات .

ولما حَجَّ سَلِيمَانُ تَأْذَى بِحَرَّ مَكَةَ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ : لَوْ أَتَيْتَ
الْطَائِفَ . فَأَتَاهَا ، فَلَمَّا كَانَ بِسَاحِقٍ^(١) لَقِيَهُ ابْنُ أَبِي الزَّهِيرَ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

(١) كذا في الأصول . ولم نعثر على مكان بهذا الاسم في المعاجم التي بين أيدينا .

اجعل بعض منزلك على». قال: كُلْ مَنْزِلِي، فرمى بنفسه على الرمل. فقيل له:
يساق إليك الوطاء؟ فقال: الرمل أحب إلى، وأعجبه بُرْدُه، فأذق بالرمل
بطنه. قال: فأتني إليهخمس رُمَّانات فأكلها، ثم قال: عندكم غير هذه؟
فجعلوا يأتونه بخمس بعد حَمَس، حتى أكل سبعين رُمَّاناً. ثم أتوه بجذبى
وسمّ دجاجات فأكلهن. وأتوه بزَبَب من زَبَب الطائف، فنثر بين يديه،
فأكل عامته، ونَعَس. فلما أنتبه، أتوه بالغداء، فأكل كَا أكل الناس.
فأقام يومه، ومن غد قال لعمر: أرانا قد أضررنا بالقوم. وقال لأبن أبي الزهير:
اتبعني إلى مكة، فلم يفعل. فقالوا له: لو أتيته؟ فقال: أقول ماذا: أَعْطِنِي ثُمن
قرى الذي قرِيتُكَ!

٣٣٣
٢

١٠ العقبى عن أبيه عن الشمردل وكيل [آل] ^(١) عمر وبن العاص قال: لما
قدم سليمان بن عبد الملك الطائف دخل هو وعمر بن عبد العزىز وأيوب أبنته بستاناً
لعمر. قال: في حال في البستان ساعتها ثم قال: ناهيك بمالكم هذا مالا! ثم ألقى
صدره على غصن وقال: ويلك يا شمردل! ما عندك شيء تطعمني؟ قلت: بلى،
والله عندى جذبى كانت تغدو عليه بقرة وتروح أخرى. قال: عجل به، ويحك!
فأتىته به كأنه عُكَّة ^(٢) سمن، فأكله، وما دعا عمر ولا أبنته، حتى إذا بقي
الفخذ، قال: هلم أبا حفص. قال: أنا صائم، فأتى عاليه. ثم قال: ويلك
يا شمردل! ما عندك شيء تطعمني؟ قلت: بلى والله، دجاجتان هنديتان كأنهما
رألا النعام ^(٣)، فأتىته بهما، فكان يأخذ برجل الدجاجة فيلقي عظامها نفقة،
حتى أتى عليهمما. ثم رفع رأسه فقال: ويلك يا شمردل! ما عندك شيء تطعمني؟
٢٠ قلت: بلى، عندى حريرة ^(٤) كأنها قراصنة ذهب. قال: عجل بها، ويحك!

(١) التكملة من عيون الأخبار (ج ٣ ص ٢٢٧).

(٢) العكة: وعاء السمن، وهي أصغر من القرية.

(٣) رألا النعام: ولده.

(٤) الحريرة: ضرب من الطعام يتخذ من الدقيق يطبخ بين أو دسم.

فَأَتَيْتُهُ بِعُسٌّ^(١) يَغْيِبُ فِيهِ الرَّأْمُ ، فَجَعَلَ يَتَلَقَّمُهَا^(٢) بِيَدِهِ وَيَشْرُبُ . فَلَمَّا فَرَغَ تَجَشَّا فَكَانَ مَا صَاحَ فِي جَبٍ . شِمَّ قَالَ : يَا غَلامُ ، أَفْرَغْتَ مِنْ غَدَائِي ؟ قَالَ نَعَمْ . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ قَالَ : ثَمَانُونَ قِدْرًا . قَالَ : اثْتَنِي بِهَا قِدْرًا قِدْرًا . قَالَ : فَأَكْثُرُ مَا أَكَلَ مِنْ كُلِّ قِدْرٍ ثَلَاثَ لُقْمٍ ، وَأَقْلَ مَا أَكَلَ لُقْمًا . شِمَّ مَسَحَ يَدَهُ وَاسْتَلَقَ عَلَى فِرَاشِهِ ، ثُمَّ أَذِنَ لِلنَّاسِ ، وَوُضِعَتِ الْخِواَنَاتُ ، وَقَعَدَ يَا كُلَّ^(٣) ، فَإِنْكَرْتُ شَيْئًا مِنْ أَكْلِهِ .

خلافة عمر بن عبد العزيز

المدائني قال : هو عمر^١ بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ، وُكْفِيَّتُهُ أبو حفص . وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . وولى الخلافة يوم الجمعة الحشر خلؤن من صفر سنة تسع وتسعين . ومات يوم الجمعة لست بقين ١٠ من رجب بدأ زمان^(٤) من أرض دمشق^(٥) سنة إحدى ومائة ، وصلى عليه يزيد^٦ بن عبد الملك .

علي^٧ بن زيد قال : سمعتُ عمر^٨ بن عبد العزيز يقول : تَمَّتْ حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى أَبْنَ الْأَرْبَعِينِ .. وَمَاتَ لَهَا . وَكَانَ عَلَى شُرُطِهِ يَزِيدُ^٩ بْنُ بَشِيرِ السَّكِنَانِيِّ . وَعَلَى حَرْسِهِ عَمْرُو بْنَ الْمَهَاجِرِ ؛ وَيَقُولُ أَبُو الْعَبَّاسِ الْمَهَالِيُّ . وَكَانَ كَاتِبَهُ عَلَى الرِّسَالَاتِ ١٥ ابْنُ أَبِي رُقَيْةَ ، وَكَاتِبَهُ أَيْضًا إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي حَكَمٍ . وَعَلَى خَاتَمِ الْخِلَافَةِ نُعَيمُ ابْنُ أَبِي سَلَامَةَ . وَعَلَى الْخِرَاجِ وَالْجَنْدِ صَالِحُ بْنُ أَبِي جَعْبٍ . وَعَلَى إِذْنِهِ أَبُو عُبَيْدَةَ الْأَسْوَدَ ، مَوْلَاهُ .

(١) العس (بالضم) : القدر الكبير .

(٢) كذا في بعض الأصول : وتلقم الشيء : أكله بسرعة . والذى في سائر الأصول : « يقلعها » .

(٣) في بعض الأصول : « وأذن للناس » مكان « يأكل » .

(٤) دير سمعان (بكسر السين وفتحها) : بنواحي دمشق في موضع نزه وبستانين مخدقة . وعنده قصور ودور . وعنده قبر عمر بن عبد العزيز .

(٥) في بعض الأصول : « جمِس » . وجمس بين حلب دمشق .

يعقوب بن داود الشقفي عن أشياخ من ثقيف قال : قرئ عهد عمر بالخلافة ، وعمر في ناحية ، فقام رجل من ثقيف يقال له : سالم ، من أحوال عمر ، فأخذ بضبعيه^(١) فأقامه . فقال عمر : أما والله ما أردت بهذا ، وإن تصيب بها منى دنيا .

أبو بشر الخراساني قال : خطب عمر بن عبد العزيز الناس حين استخلف فقال : أيها الناس ، والله ما سألت الله هذا الأمر قط في سر ولا علانية ، فمن كان كارهاً لشيء مما وليته فالآن . فقال معید بن عبد الملك : ذلك أمر ع فيه تذكره ، أتريد أن نختلف ويضرب بعضاً ؟ قال رجل : سبحان الله ! ولهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّا ولم يقولوا هذا ويقوله عمر !

أخبار عمر بن عبد العزيز

١٠

بشر بن عبد الله بن عمر قال : كان عمر يخلو بنفسه ويتبكّي ، فتسمع تحبيبه بالبكاء وهو يقول : أبعد ثلاثة الذين واريتهم^(٢) بيدي : عبد الملك والوليد وسليمان !

٣٣٣
٢

وقدم رجل من خراسان على عمر بن عبد العزيز حين استخلف ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّي رأيتك في منامي فائلاً يقول : إذا ولّ الأشج من بني أمية يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً . فولى الوليد ، فسألت عنه ، فقيل لي : ليس بأشج ، ثم ولّ سليمان ، فسألت عنه فقيل : ليس بأشج . ووليت أنت ، فكانت الأشج . فقال عمر : تقرأ كتاب الله ؟ قال : نعم . قال : فبالذى أنت به عليك ، أحق ما أخبرتني ؟ قال : نعم . فأصره أن يُقيّم في دار الضيافة . فلَكَت نحواً من شهرين ، ثم أرسل إليه عمر ، فقال : هل تدرى لم احتبسناك ؟ قال : لا . قال : أرسلت إلى بلدك لنسألك عنك ، فإذا ثنا صديقك وعدوك عليك سواء ، فأنصرف راشداً .

١٥

٢٠

(١) الضبع : المضدد كلها ، أو وسطها .

(٢) في بعض الأصول : « بوأتم » .

وكان عمرُ بن عبد العزيز لا يأخذ من بيت المال شيئاً ولا يُجرى على نفسه من الفي درهماً . وكان عمرُ بن الخطاب يُجرى على نفسه من ذلك دِرْهَمَيْنَ في كل يوم . فقيل لعمر بن عبد العزيز : لو أخذت ما كان يأخذ عمرُ بن الخطاب ؟ فقال : إنَّ عمرَ بن الخطاب لم يكن له مال وأنَا مالي يُغنى عني .

ولما ولَّ عمرُ بن عبد العزيز قام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ، أَعْدَنِي (١) على هذا ، وأشار إلى رجل . قال : فِيمِ؟ قال : أَخْذَ مَالِي وَضَرَبَ ظَهْرِي . فدعاه عمر ، فقال : ما يَقُولُ هَذَا ؟ قال صَدِيقٌ ، إِنَّهُ كَتَبَ إِلَيَّ الْوَلِيدُ بْنُ عبدِ الْمَلَكَ ، وَطَاعَتْكُمْ فَرِيْضَةً . قال : كَذَبْتَ ، لَا طَاعَةَ لَنَا عَلَيْكُمْ إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَمْرٌ بِالْأَرْضِ فَرُدْتُ إِلَى صَاحِبِهِ .

عبدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكَ عَنْ رَجُلٍ أَخْبَرَهُ ، قَالَ : كُنْتُ مَعَ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ بْنَ معاوية فِي صَحْنِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ ، فَلَقِيْنَا عَمِيرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ وَلَا أَعْرَفُهُ ، فَأَخْذَ يَدَ خَالِدٍ ، وَقَالَ : يَا خَالِدَ ، أَعْلَمُنَا عَيْنَيْنِ ؟ قَلَّتْ : عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ عَيْنٌ بَصِيرَةٌ وَأَذْنٌ سَمِيعَةٌ . قَالَ : فَأَسْتَلَ يَدَهُ مِنْ يَدِ خَالِدٍ وَأَرْعَدَ وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ وَمَضَى . فَقَلَّتْ نَحْنَ الْمُؤْمِنُونَ : مَنْ هَذَا ؟ قَالَ : هَذَا عَمِيرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، إِنْ عَاشَ فَيُؤْشِكَ أَنْ يَكُونَ إِمَامًا عَدْلًا .

وقال رياح بن عبيدة : اشتريتُ اعمر قبل الخلافة مُطْرَفًا (٢) بخمسمائة، فاستخشنه وقال : لقد اشتريته خشنًا جداً ، واشتريتُ له بعد الخلافة كساء بثمانية دراهم ، فاستغلانه وقال : لقد اشتريته ليًّاً جداً .

ودخل مسلمٌ بْنُ عبدِ الْمَلَكَ عَلَى عَمِيرٍ وَعَلَيْهِ رِيْطَةً (٣) مِنْ رِيَاطِ مَصْرٍ ، فَقَالَ : بِكُمْ أَخْذَتْ هَذِهِ يَا أَبا سَعِيدٍ ؟ قَالَ : بِكَذَا وَكَذَا . قَالَ : فَلَوْ نَقْسَتَ مِنْ ثَمَنِهَا

(١) أعداء عليه : نصره وأعانه وقواه .

(٢) المطرف (كمكرم بصيغة اسم المفعول) : رداء من خز صوبع ذو أعلام .

(٣) الريطة : كل ملأة غير ذات لففين كلها نسيج واحد وقطعة واحدة ، أو كل ثوب لين رقيق .

ما كان ناقصاً من شرفك . فقال مسلمة : إنَّ أَفْضَلِ الاقتاصادِ ما كانَ بعْدَ
الحِدَةَ ، وأَفْضَلُ الْعَفْوِ مَا كَانَ بعْدَ الْقُدْرَةِ ، وأَفْضَلَ الْأَلَيْنِ^(١) مَا كَانَ بعْدَ الْوَلَايَةِ .
وكان لِعمرَ غلامٍ يقال له دِرْزِهِ يَحْتَطِبُ لِهِ ، فَقَالَ لَهُ يَوْمًا : مَا يَقُولُ النَّاسُ
يَا دِرْزِهِ ؟ قَالَ : وَمَا يَقُولُونَ ؟ النَّاسُ كَاهُمْ بِخَيْرٍ وَأَنَا وَأَنْتَ بِشَرٍ . قَالَ : وَكَيْفَ
ذَلِكَ ؟ قَالَ : إِنِّي عَهْدْتُكَ قَبْلَ الْخِلَافَةِ عَطِيرًا لِبَاتِمًا ، فَارَهَ الْمَرْكَبَ ، طَيَّبَ
الطَّعَامَ ، فَلَمَّا وَلَيْتَ رَجُوتُ أَنْ أَسْتَرِيحَ وَأَتَخَاصَ ، فَزَادَ عَمَلِي شَدَّةً وَصَرَّتْ أَنْتَ
فِي بَلَاءٍ . قَالَ : فَأَنْتَ حُرٌّ ، فَإِذْهَبْ عَنِّي ، وَدُعْنِي وَمَا أَنَا فِيهِ حَقٌّ يَجْعَلَ اللَّهُ
لِي مِنْهُ مَخْرَجاً .

ميمون بن مهران قال : كُنْتُ عَنْدَ عَمِّي فَكَثُرَ بِكَاؤُهُ وَمَسَأْلَتُهُ رَبُّهُ الْمَوْتُ ،
١٠ فَقَلَّتْ : لَمَّا تَسَأَلَ الْمَوْتُ ! وَقَدْ صَنَعَ اللَّهُ عَلَى يَدِيْكَ خَيْرًا كَثِيرًا ، أَخْيَاكَ سُنْنَتَنَا
وَأَمَاتَكَ يَدِيْعَا . قَالَ : أَفَلَا أَكُونَ مِثْلَ الْعَبْدِ الصَّالِحِ حِينَ أَفْرَأَ اللَّهُ عَيْنَهُ وَجَمَعَ
لَهُ أَمْرَهُ ، قَالَ : (رَبَّنَا قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطَّرَ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْتَ وَلِيُّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَلَحْقَنِي بِالصَّالِحِينَ) .

وَلَمَّا وَلَى عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ قَالَ : إِنَّ فَدَكَ^(٢) كَانَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ،
١٥ فَسَأَلَتْهَا فَاطِمَةُ رَسُولَ اللَّهِ . فَقَالَ لَهَا : مَا لَكَ أَنْ تَسْأَلِيَنِي وَلَا لِي أَنْ أُعْطِيَكَ . فَكَانَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَصْنَعُ فِيهَا حِيثُ أَمْرَهُ اللَّهُ . ثُمَّ وَلَى أَبُو بَكْرَ وَعَمِّ
٢٣٤ ٢ وَعَمَانَ فَكَانُوا يَضْعُونَهَا الْمَوْاضِعَ الَّتِي وَضَعَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . نَعَمْ
وَلِي مَعَاوِيَةَ فَأَقْطَعُهَا مَرْوَانَ ، وَوَهْبَهَا مَرْوَانُ لِعَبْدِ الْمُلْكِ وَعَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَسَّمَنَاها
بَيْنَنَا أَثْلَاثًا : أَنَا وَالْوَلِيدُ وَسَلِيمَانُ . فَلَمَّا وَلَى الْوَلِيدُ سَأَلَتُهُ نَصِيبَهِ فَوَهْبَهُ لِي ، وَمَا كَانَ
لِي مَالٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهَا ، وَأَنَا أُشَهِّدُكَ أَنِّي قَدْ رَدَدْتُهَا إِلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ عَلَى
٢٠ عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « الْيَدُ » .

(٢) انظر الحاشية (رقم ١ من ٢١٦) من هذا الجزء .

وقال عمر : الأمور ثلاثة ، أمر استبان رُشده فاتَّبعه ، وأمر استبان خُرُثه فاجتنبه ، وأمر أشكَل أمره عليك فرُدْه إلى الله .

وكتب عمر إلى بعض عَمَّالِه : المَوَالِيَّةُ تَلَاثَةٌ : مَوْلَى رَحْمَمْ ، وَمَوْلَى عَتَاقَةَ ، وَمَوْلَى عَقَدَ ، فَمَوْلَى الرَّحْمَمْ يَرِثُ وَيُورَثُ ، وَمَوْلَى الْعَتَاقَةَ يُورَثُ وَلَا يَرِثُ ، وَمَوْلَى الْعَقَدِ لَا يَرِثُ وَلَا يُورَثُ ، وَمِيرَانَه لِعَصْبَتَه .

وكتب عمر إلى عَمَّالِه : مُرْوَامَنْ . كَانَ عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ أَنْ يَضْعُوا الْعَائِمَّ ، وَيَلْبِسُوا الْأَكْسِيَّةَ ، وَلَا يَتَشَبَّهُوا بِشَيْءٍ مِّنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا تَرْكُوا أَحَدًا مِّنَ الْكُفَّارِ يَسْتَخْدِمُ أَحَدًا مِّنَ الْمُسْلِمِينَ .

وكتب عمر بن العزيز إلى عَدِيَّ بْنِ أَرْطَاهَ عَامِلِه عَلَى الْعَرَاقِ : إِذَا أَمْكَنْتُكَ الْقُدْرَةَ عَلَى الْخُلُوقِ فاذْكُرْ قَدْرَةَ الْخَالِقِ الْقَادِرِ عَلَيْكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَالَكَ عَنْ دَلِيلِه أَكْثَرُ مَالَكَ عَنْ دَلِيلِ النَّاسِ .

وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عَمَّالِه : مُرْوَا مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، فَلَا يَبْقَى أَحَدٌ مِّنَ الْأَحْرَارِهِمْ وَلَا مَالِيَّهِمْ ، صَفِيرًا وَلَا كَبِيرًا ، ذَكْرًا وَلَا أَنْثِي ، إِلَّا أَخْرَجَ عَنْهُ صَدَقَةً فَطَرَ رَمَضَانَ : مُدَّيْنَ مِنْ قَمْحٍ ، أَوْ صَاعًا^(١) مِنْ تَمْرٍ ، أَوْ قِيمَةً ذَلِكَ نَصْفَ دَرْهَمٍ . فَإِنَّمَا أَهْلَ الْعَطَاءِ فَيُؤْخَذُ ذَلِكَ مِنْ أَعْطَيَاهُمْ ، عَنْ أَنفُسِهِمْ وَعَيْالَاتِهِمْ^(٢) . وَأَسْتَعْمَلُوا عَلَى ذَلِكَ رَجُلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْآمَانَةِ يَقْبَضُانِ مَا أَجْتَمَعَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ يُقْسِمُانِهِ فِي مَسَاكِينٍ^(٣) أَهْلِ الْحَاضِرَةِ . وَلَا يُقْسِمُ عَلَى أَهْلِ الْبَادِيَّةِ .

وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إلى عمر : إِنَّ رَجُلًا شَتَّمَكَ فَأَرْدَتُ أَنْ أَقْتُلَه . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : لَوْ قَتَلْتَه لَأَقْدَرْتُكَ بِهِ ؛ فَإِنَّه لَا يُقْتَلُ أَحَدٌ بِشَتمِ أَحَدٍ إِلَّا رَجُلٌ شَتَّمَ نَبِيًّا .

وكتب رجل من عَمَّالِه عمر إلى عمر : إِنَّا أَتَيْنَا بِسَاحِرَةٍ فَأَلْقَيْنَاهَا فِي الْمَاءِ ،

(١) الصاع : أربعة أمداد ، ويقدر بالـكيل المصري بـقدحين وثلث .

(٢) في بعض الأصول « عيالاتهم » . (٣) في بعض الأصول « مسكنة » .

فقطفت على الماء ، فهاترى فيها ؟ فـ كتب إليه : لسنا من الماء في شيء ، إن قامت عليهما بذلة وإلا خل سبدهما .

وكان عمر بن العزيز يكتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن عامله على المدينة في المظالم فيردها فيها . فـ كتب إليه : إنه يُخَيِّل لي أنني لو كتبت لك أن تُعطى رجلا شاة لـ كتبت إلى : أذْكُرْ أَمْ أَنْثِي ؟ ولو كتبت إليك بأحد هما لـ كتبت إلى : أَصْغِيرَةَ أَمْ كَبِيرَةَ ؟ ولو كتبت بأحد هما لـ كتبت : ضائقةَ أَمْ مَعْزَ ؟ فإذا كتبت إليك فنَفَدَ وَلَا تَرَدَ عَلَيْهِ . والسلام .

وخطب عمر فقال : أيها الناس ، لا تستصغروا الذنوب ، واتمسوا تمحيص ما سلف منها بالتنويه منها . إنَّ الْحَسَنَاتِ يُذَهِّبُنَّ السَّيِّئَاتِ ، ذلك ذكرى للذاكرين . وقال عن وجـلـ : (والذين إذا فعلوا فاحشةً أو ظلموا أنفسهم ذروا اللهَ فاستغفروا لذنبـهم ومن يغفر الذنوب إلا اللهَ ولم يصرروا على ما فعلوا وهم يعلمون) .

وقال عمر لبني مروان : أذوا ما في أيديكم من حقوق الناس ولا تُنجِّئُوني إلى ما أكره فأنا حملكم على ما تذكرهـون . فـ لم يحبـه أحدـ منهم . فقال : أجيـبيـوني .
١٥ فقال رـجلـ منهم : والله لا نخرجـ من أمـوالـنا التي صارتـ إلينـا من آباءـنا ، فـ نـفـقـرـ أـبـنـاءـنا وـنـكـفـرـ آـبـاءـنا ، حتى تـزـاـيلـ رـءـوسـنا [أـجـسـادـنا] . فقالـ عمرـ : أماـ اللهـ لوـلاـ أـنـ تـسـتـعـيـنـواـ عـلـىـ بـنـيـ أـطـلبـ هـذـاـ حـقـ لهـ لـأـضـرـعـتـ خـدـودـكـ عـاجـلاـ ، ولـكـنـيـ أـخـافـ الـفـتـنـةـ ، ولـئـنـ أـبـقـيـنـ اللهـ لـأـرـدـنـ إـلـىـ كـلـ ذـيـ حـقـ حقـهـ إـنـ شـاءـ اللهـ .
وكانـ عمرـ إذاـ نـظـرـ إـلـىـ بـعـضـ بـنـيـ أـمـيـةـ ، قالـ : إـنـ أـرـىـ رـقـابـاـ سـتـرـدـ ٢٠ـ إـلـىـ أـرـبـابـهـ .

ولـامـاتـ عمرـ بنـ عبدـ العـزـيزـ قـعـدـ مـسـلـمةـ عـلـىـ قـبـرهـ ، فـ قالـ : أـمـاـ وـالـهـ مـاـ أـمـنـتـ
٣٣٥ـ الرـقـ حتـىـ^(١) رـأـيـتـ هـذـاـ القـبـرـ .

(١) فـ بـعـضـ الأـصـوـلـ : «ـ حـيـنـ » .

العقبي قال : لما انصرف عمر بن عبد العزيز من دفن سليمان بن عبد الملك تبعه الأمويون ، فلما دخلوا إلى منزله ، قال له الحاجب : الأمويون بالباب . قال وما يريدون ؟ قال : ما عوّدتهم الخلفاء قبلك . قال ابنه عبد الملك ، وهو إذ ذاك ابن أربع عشرة سنة : ائذن لي في إبلاغهم عنك . قال : وما تبلغهم ؟ قال : أقول : أبي يُقرئكم السلام ويقول لكم : (إنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) .

زياد عن مالك قال : قال عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز لأبيه : يا أبا ، مالك لا تنفذ الأمور ، فوالله ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق . قال له عمر : لا تعجل يا بني ، فإن الله ذم الخمر في القرآن مررتين وحرّمها في الثالثة ، وأنا أخاف أن أحمل الحق على الناس جملة فيدفعونه جملة ، ويكون من ذلك فتن .

ولما نزل بعد الملك بن عمر بن عبد العزيز الموت قال له عمر : كيف تجده يا بني ؟ قال : أجده في الموت ، فأحتسبني ، فثواب الله خير لك مني . فقال : يا بني ، والله لأن تكون في ميزاني أحب إلى من أن يكون في ميزانك . قال : أما والله لأن يكون ما تحب أحب إلى من أن يكون ما أحب ، ثم مات . فلما ١٥ فرغ من دفنه وقف على قبره وقال : يرحمك الله يا بني ، فلقد كفت ساراً مولداً ، وباراً ناشئاً ، وما أحبه أني دعوك فأجبتني ، فرحم الله كل عبد ، من حُر أو عبد ، ذكر أو أنثى ، دعا لك برحة — فكان الناس يترحمون على عبد الملك ليدخلوا في دعوة عمر — ثم انصرف . فدخل الناس يعزّونه ، فقال : إن الذي نزل بعد الملك أمر لم نزل نعرفه ، فلما وقع لم ننكره .

وتوفيت أخت لعمر بن عبد العزيز ، فلما فرغ من دفنتها دنا إليه رجل فعزاه ، فلم يرُد عليه ، ثم آخر فلم يرد عليه . فلما رأى الناس ذلك أمسكوا ومشوا معه . فلما دخل الباب أقبل على الناس بوجهه فقال : أدركت الناس وهم لا يعزّون في المرأة إلا أن تكون أمّا .

وفاة عمر بن عبد العزيز

سرض عمر بن عبد العزيز بأرض حمص ، ومات بدير سمعان^(١) ، فيرى الناس أنَّ يزيدَ بن عبد الملك سمه ، دس إلى خادم كان يخدمه ، فوضع السم على ظفر إباهامه ، فلما أستسقى عمر غمس إباهامه في الماء ثم سقاه ، ففرض مرضه الذي مات فيه . فدخل عليه مسلمة بن عبد الملك فوقف عند رأسه فقال : جراك الله يا أمير المؤمنين عنا خيراً ، فلقد عطفت علينا قلوبنا كأنَّها نافرة ، وجعلت لنا في الصالحين ذكرأ .

زياد عن مالك قال : دخل مسلمة بن عبد الملك على عمر بن عبد العزيز في المرضة التي مات فيها ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، إنك فطمت أفواه ولدك عن هذا المال ، وتركتهم عالة ، ولا بد لهم من شيء يصلاحهم ، فلو أوصيت بهم إلى أو إلى نظائرك من أهل بيتك لكييفك مؤونتهم إن شاء الله . فقال عمر : أجلسوني ، فأجلسوه ، فقال : الحمد لله ، أبالفقر^(٢) تُخوِّنني يا مسلمة ، أماماً ذكرت أنك فطمت أفواه ولدي عن هذا المال وتركتهم عالة ، فإني لم أمنعهم حقاً هو لهم ولم أعطهم حقاً هو لغيرهم ، وأنا ما سألت من الوصاية إليك أو إلى نظائرك من أهل بيتي ، فإن وصيتي بهم إلى الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين ، وإنما بنو عمر أحد رجلين : رجل أتقى الله بفعل الله له من أمره يُسراً ورزقه من حيث لا يحتسب ، ورجل غير وفيجر ، فلا يكون عمر أول من أعاشه على ارتكانه ، ادعوه إلى بنيه . وذَعْوَهُمْ ، وهم يومئذ أثنا عشرَ غلاماً ، بفعل يُصَدِّد بصره فيهم ويصوّبه حتى أغز ورقة عيناه بالدموع ، ثم قال : بخفي

١٠

١٥

٢٠

٣٣٦

٢

(١) انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٣١ من هذا الجزء .

(٢) في بعض الأصول : « أبا الله » .

رأي بين أن تفتقر وفى الدنيا وبين أن يدخل أبوكم النار ، فكان أن تفتقر و
إلى آخر الأبد خيراً من دخول أيكم يوماً واحداً في النار ، قوموا يا بني عَصْمَكُمْ
الله ورَزْقَكُمْ . قال : هنا احتاج أحد من أولاد عمر ولا أفتقر .

وأشترى عمر بن عبد العزيز من صاحب دير سمعان^(١) موضع قبره بأربعين درها . ومرض تسعة أيام . ومات رضى الله عنه يوم الجمعة لحسن بيته من رجب سنة إحدى ومائتين . وصلى عليه يزيد بن عبد الملك .

وقال جرير بن الخطفي يرثى عمر بن عبد العزيز :

يَنْعَى الْفَعَاةُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ يَا خَيْرَ مَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ وَأَعْتَمَرَ
حُمُلتْ أُمْراً عَظِيمًا فَاصْطَبَرْتَ لَهُ وَسِرْتَ فِيهَا بِحُكْمِ اللهِ يَا عَمِراً
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ لَيْسَتْ بِكَاسِفَةٍ تَبَكِي عَلَيْكَ نَجُومَ اللَّيْلِ وَالْقَمَرَ^(٢)
وَأَنْشَدَ أَبُو عُبَيْدَ الْأَعْرَابِيَّ^(٣) فِي عمرَ بنَ عبدِ العَزِيزَ :
مُقَابِلٌ^(٤) الْأَعْرَاقِ فِي الطَّيِّبِ الطَّابِ^(٥)

بيَنْ أَبِي الْعَاصِ وَآلِ الْخَطَابِ

قال أَبُو عُبَيْدَةَ يَقَالُ : طَيِّبُ وَطَابُ ، كَمَا يَقَالُ : ذَيْمُ وَذَامُ^(٦) .

(١) انظر الحاشية (رقم ٢ ص ٤٣١) من هذا الجزء .

(٢) في انتصاف القمر والنجوم وجوه ثلاثة : أحدها أنه أراد : الشمس طالعة وليس مع طلوعها كاسفة نجوم الليل والقمر لأن عظم الرزء قد سلها ضوءها . والوجه الثاني أن يكون انتصاف ذلك كما ينتصب في قولهم لا كلاك الأبد والدهر ، فكانه أخبر بأن الشمس تبكيه ما طالعت النجوم وظهر القمر والوجه الثالث أن يكون القمر ونجوم الليل باكين الشمس على هذا الموئي ، فبكاهن ، أى علقهمن في البقاء .

(انظر أعمالى المرتضى ص ٢٩) .

(٣) في الأصول : « الأعرابي » . تحرير . وقد مر هذا البيت (ج ٣ ص ٤٥١) .

من هذه الطبعة مفسوباً لأعرابي في مدح عمر بن عبد العزيز .

(٤) مقابل الأعراق ، أى شريف من قبل أبيه وأمه فهو ابن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ، وأمه أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب .

(٥) في اللسان مادة طيب : « في الطاب الطاب » .

(٦) الذيم والذام : العيب . وفي بعض الأصول : « ذيم وديم » بالدلالة المهملة .

خلافة يزيد بن عبد الملك

ثم ولَى يزيدُ بن عبد الملك بن مروان بن الحَسْكَم . وأمه عاتكةُ بنت يزيدَ
ابن معاوية ، يوم الجمعة خمس بقين من رجب سنة إحدى ومائة . ومات ببلاد
البلقاء^(١) يوم الجمعة خمس بقين من شعبان سنة خمس ومائة ، وهو ابن أربع
وثلاثين سنة . صلَّى عليه أخوه هشامُ بن عبد الملك . وكانت ولايته أربع سنين
وشهراً . وفيه يقول جرير :

سُرْ بَنْتَ سِرْ بَالْ مُلْكِ غَيْرِ مُغْتَصِبِ قَبْلَ الْثَلَاثِينِ إِنَّ الْمُلْكَ مُؤْتَسِبٌ^(٢)
وكان على شرطته كعبُ بن مالك العَبْسي . وعلى الحرَس غيلانُ أبو سعيد ،
مولاه . وعلى خاتم الخلافة مطرُّ، مولاه ، وكان فاسقاً . وعلى الخاتم الصَّغِيرُ بُكَيْرٌ
أبو الحِجَاج . وعلى الرسائل والجند والخارج صالحُ بن جُبَير الْهَمْدَانِي ، ثم عزَّله
واسْتَعْمَلَ أَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، مولى كَلْبٍ . وعلى الخزائن وبُيُوت الأموال هشام
ابن مَصادِ . وحاجبه خالدٌ ، مولاه .

وكان يزيدُ بن عبد الملك صاحبَ له وَلَدَاتِ ، وهو صاحبُ حَبَابَةٍ وسلامةٍ .
وفي ولايته خَرَجَ يزيدُ بن المُهَلَّبَ .

آسماء ولد يزيد

١٥

الوليدُ ويحيى وعبد الله والفار^(٣) وعبد الجبار وسليمان وأبو سفيان وهاشم
وداود ، ولا عقب له ، والعوام ، ولا عقب له .

وكتب يزيدُ بن عبد الملك إلى عمَّالِ عمَّالِ عمرَ بن عبد العزيز : أما بعد ، فإن
عمرَ كان مغورراً ، غررتُوهُ أَنْتُمْ وَأَصْحَابُكُمْ ، وقد رأيْتُ كُتُبَكُمْ إِلَيْهِ فِي انْكِسَارٍ

(١) البلقاء : كورة من أعمال دمشق : بين الشام ووادي القرى . (انظر معجم البلدان) .

(٢) المؤتب : المخلوط غير الصريح في نسبة . يقول : إن مالك خالص لـك عن أبيائك
لا تُشوبه شائبة اعتداء واغتصاب .

(٣) في بعض الأصول هنا : « والفار » .

الخرج والضَّرِبة . فَإِذَا أَتَاكُمْ كَتَابِي هَذَا فَدَعُوا مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ مِنْ عَهْدِهِ
وَأَعْيَدُوا النَّاسَ إِلَى طَبَقَتِهِمُ الْأُولَى ، أَخْصَبُوا أَمْ أَجْدَبُوا ، أَحْبَبُوا أَمْ كَرِهُوا ،
حَيُوا أَمْ مَاتُوا ، وَالسَّلَام .

أبو الحسن المدائني قال : لما ولَيَ زَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَجَهَ الْجَيْوشَ إِلَى

٥ زَيْدَ بْنَ الْمَهْلَبَ ، فَعَقَدَ مَسْلِمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ عَلَى الْجَيْشِ ، وَلَعْبَاسُ بْنُ الْوَلِيدِ عَلَى أَهْلِ
دِمْشَقِ خَاصَّةً . فَقَالَ لِهِ الْعَبَّاسُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ أَهْلَ الْعَرَاقَ [قَوْمٌ] إِرْجَافٌ^(١) ،
وَقَدْ خَرَجْنَا إِلَيْهِمْ مُحَارِبِينَ وَالْأَحْدَاثُ تَحْدُثُ ، فَلَوْ عَهِدتَ إِلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ
الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . قَالَ : غَدًا إِنْ شاءَ اللَّهُ . وَبَلَغَ مَسْلِمَةُ الْخَبْرُ ، فَأَتَاهُ فَقَالَ
لَهُ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَوْلَادُ عَبْدِ الْمَلِكِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ أَوْلَادُ الْوَلِيدِ ؟ قَالَ : وَلَدُ
٣٣٧ عَبْدِ الْمَلِكِ . قَالَ : فَأَخْوَكَ أَحَقُّ بِالْخَلَافَةِ أَمْ ابْنُ أَخِيكَ ؟ قَالَ : بَلْ أَخِي ، إِذَا لَمْ
٢ يَكُنْ^(٢) وَلَدِي ، أَحَقُّ بِهَا مِنْ أَبْنَى أَخِي . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ أَبْنَكَ لَمْ يَبْلُغْ ،
فَبَاعِيْلُ هَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ وَلَا بَنَكُ الْوَلِيدُ مِنْ بَعْدِهِ . قَالَ : غَدًا إِنْ شاءَ اللَّهُ . فَلَمَّا
كَانَ مِنَ الْغَدَيْرِ بَاعَ هَشَامُ وَلَا بَنَهُ الْوَلِيدُ مِنْ بَعْدِهِ ، وَالْوَلِيدُ يَوْمَئِذٍ ابْنُ إِحْدَى
عَشْرَةِ سَنَةٍ . فَلَمَّا انْقَضَى اُمُرُّ زَيْدَ بْنِ الْمَهْلَبِ وَأَدْرَكَ الْوَلِيدُ نَدِيمًا [زَيْدُ] عَلَى
١٥ أَسْتَخْلَافِ هَشَامَ ، فَكَانَ إِذَا نَظَرَ إِلَى أَبْنَهُ الْوَلِيدِ قَالَ : اللَّهُ يَبْنِي وَبَيْنَ مَنْ جَعَلَ
هَشَامًا يَبْنِي وَبَيْنَكَ .

قال : ولما قُتِلَ زَيْدُ بْنُ الْمَهْلَبَ جَمِيعُ زَيْدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْعَرَقَ لِأَخِيهِ
مَسْلِمَةَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ . فَبَعْثَ هَلَالَ بْنَ أَحْوَزَ الْمَازِنِيَّ إِلَى قَنْدَابِيل^(٣) فِي طَلْبِ
آلِ الْمَهْلَبِ ، فَالْتَّقَوْا ، فَقُتِلَ الْمُفْضِلُ بْنُ الْمَهْلَبَ ، وَانْهَزَمَ النَّاسُ ، وَقُتِلَ هَلَالُ بْنُ
٢٠ أَحْوَزَ خَسْنَةً مِنْ وَلَدِ الْمَهْلَبِ ، وَلَمْ يَفْتَشْ^(٤) النَّسَاءُ وَلَمْ يَعْرُضْ لَهُنَّ ، وَبَعْثَ الْعِيَالَ

(١) يقال : أَرْجَفَ الْقَوْمَ ، إِذَا خَاضُوا فِي الْأَخْبَارِ السَّيِّئَةِ وَذَكَرَ الْفَتْنَ .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « إِذْ كَانَ » مَكَانٌ « إِذَا لَمْ يَكُنْ » .

(٣) قَنْدَابِيل : مَدِينَةٌ بِالسَّنْدِ ، وَهِيَ قَصْبَةٌ لِوَلَايَةٍ يَقَالُ لَهَا النَّدِيمَةُ كَانَتْ فِيهَا وَقْعَةٌ لِهَلَالِ
بْنِ أَحْوَزِ الشَّارِي عَلَى آلِ الْمَهْلَبِ . (انْظُرْ مَعْجَمَ الْبَلَادِ) .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَلَمْ يَفْتَشْ عَلَى النَّسَاءِ » .

والأنسرى إلى يزيد بن عبد الملك.

قال : حدثني جابر بن مسلم قال : لما دخلوا عليه قام كثير بن أبي جمعة^(١) ، الذي يقال له كثير عزة ، فقال :

حَلِيمٌ إِذَا مَا نَالَ عَاقِبَ أَشَدَّ عَقَابَ أَوْ عَفَا لَمْ يُغَرِّبْ
فَعْفُوا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَحِسْبَةً
أَسَاءُوا فَإِنْ تَغْفِرُ فَإِنَّكَ قَادِرٌ
نَفْتَهُمْ قَرِيشٌ عَنْ أَبَاطِحِ مَكَةَ وَذُو يَمَنَ بِالْمُشْرِفِ الْمُشْطَبَ
فَقَالَ يَزِيدٌ : لَاتَّ بَكَ الرَّاحِمُ ، لَا سَبِيلٌ إِلَى ذَلِكَ ، مَنْ كَانَ لَهُ قَبْلَ
آلِ الْمُهَلَّبِ دَمٌ فَلِيَقُولُ . فَدَفَعُوهُمْ إِلَيْهِمْ حَتَّى قُتِلُوا نَحْوَ ثَمَانِينَ .

قال : وبلغ يزيد بن عبد الملك أن هشاماً يتذمّر منه ، فكتب إليه : إن

مثلِي ومثلِك كما قال الأول :

لَمْ يَمْنَى رَجُالٌ أَنْ أَمُوتَ وَإِنْ أَمُوتَ فَتَلِكَ سَبِيلٌ اسْتَفِيهَا بِأَوْحِدٍ
أَعْلَى الْذِي يَبْقَى رَدَائِي وَيَرْتَجِي بِهِ قَبْلَ مَوْتِي أَنْ يَكُونَ هُوَ الرَّدِي^(٢)
فَكَتَبَ إِلَيْهِ هَشَامٌ : إِنَّ مُثْلِي وَمُثْلِكَ كَمَا قَالَ الْأُولُونَ :

وَمَنْ لَمْ يُغْمِضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمْتُ وَهُوَ عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَبَعِّدُ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجْدُهَا وَلَا يَبْقَى^(٣) لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ
فَكَتَبَ إِلَيْهِ يَزِيدٌ : نَحْنُ مُغْتَفِرُونَ مَا كَانَ مِنْكَ ، وَمُكَذَّبُونَ مَا بَلَغْنَا
عَنْكَ ، مَعَ حِفْظِ وصيَّةِ أَيْدِنَا عَبْدِ الْمَلَكِ ، وَمَا حَاضَ عَلَيْهِ مِنْ صَلَاحٍ ذَاتِ الْبَيْنِ .

وابنِي لَا عُلُمُ أَنْكَ كَمَا قَالَ مَعْنُ بْنُ أَوْسٍ :

٢٠ (١) في بعض الأصول : « جاد ». تحرير.

(٢) ساق القالى في كتابه الأمالى (ج ٣ ص ٢١٨) هذين البيتين مع خلاف في رواية
هذا البيت وهو كما في الأمالى :

فَا عَيْشَ مِنْ يَرْجُو رَدَائِي بِضَائِرِي
وَزَادَ عَلَيْهِمَا ثَالِثًا وَهُوَ :

فَقُلْ لِلَّذِي يَبْغِي خَلَافَ الذِّي مَضَى
تَجهِيزُ لِآخْرِي مِثْلِهَا فَكَانَ قَدْ

(٣) في الأمالى : « وَلَا يَسْلِمُ » .

أَعْمِرُكَ مَا أَدْرِي وَإِنِّي لَاْوِجْلُ^(١)
عَلَىٰ أَيْنَا تَعْدُو الْمَنِيَّةُ أَوْلُ
قَدِيمًا لَذُو صَفْحٍ عَلَىٰ ذَاكَ بُجْمَلُ^(٢)
وَإِنِّي عَلَىٰ أَشْيَاءِ مِنْكَ تَرِيدِنِي
سَتَقْطُعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي
إِذَا سُوتَنِي يَوْمًا صَفَحَتُ^(٣) إِلَىٰ غِدِّ
يَعْقُبَ يَوْمًا مِنْكَ آخَرُ مُقْبِلٌ
سَتَقْطُعُ فِي الدُّنْيَا إِذَا مَا قَطَعْتَنِي
إِذَا أَنْتَ لَمْ تُنْصِفْ أَخَاكَ وَجْدَتَهُ
وَيَرَكُبُ حَدَّ السِّيفِ مَنْ أَنْ تَضِيهِمْهُ
وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقِلَّى مُتَحَوِّلٌ
وَفِي الْأَرْضِ عَنْ دَارِ الْقِلَّى مُتَحَوِّلٌ
فَلَمَّا جَاءَهُ الْكِتَابُ رَجَلَ هَشَامَ إِلَيْهِ : فَلَمْ يَرِزِّلْ فِي جَوَارِهِ إِلَىٰ أَنْ مَاتَ
يَرِزِّيدُ ، وَهُوَ مَعَهُ فِي عَسْكَرِهِ مَحَافَةً أَهْلِ الْبَغْيِ .

١٠ محمد بن الغاز^(٤) قال : حَدَّثَنَا أَبُو سَعِيدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَبَّابٍ قَالَ : حَدَّثَنِي
الزَّبِيرُ بْنُ بَكَارَ قَالَ : كَانَ يَزِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلَكِ كَلِفَاً بِحَبَابَةِ كَلْفَا شَدِيدًا ، فَلَمَّا
تُوفِيتَ أَكَبَ عَلَيْهَا يَتَشَمَّمُهَا أَيَّامًا حَتَّىٰ أَنْتَفَتْ ، فَأَخْذَ فِي جِهَازِهَا وَخَرَجَ بَيْنَ
يَدِي نَعْشَهَا ، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ الْقَبْرَ نَزَلَ فِيهِ . فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دَفْنِهَا لَصَقَ بِهِ^(٥)
مَسَلَّمَةُ أَخْوَهُ يُعْزِّيْهُ وَيُؤْسِهُ^(٦) . وَقَالَ : قَاتَلَ اللَّهُ أَبْنَ أَبِي جُمَّةَ ! كَائِنُهُ كَانَ يَرِي
ما نَحْنُ فِيهِ حَيْثُ يَقُولُ :

فَإِنْ تَسْلُ عَنْكِ النَّفْسُ أَوْ تَدَعِ الْهَوَى
فَبِالْيَأسِ تَسْلُو^(٧) عَنْكَ لَا بِالْتَّجَلِّ
وَكُلُّ خَلِيلٍ زَارَنِي فَهُوَ قَائِلٌ
مِنْ أَجْلِكَ : هَذَا مَيِّتُ الْيَوْمِ أَوْ غَدِّ

(١) في بعض الأصول : « لأوحد ». وفي بعض آخر : « لأوجد ». والتصويب من سائر الأصول وشعر معن طبع ليزوج والأمالى .

٢٠ (٢) كذا في بعض الأصول وشعر معن والأمالى والذى في سائر الأصول : « قدِيمًا ولا صلح على ذاك بجمل » .

(٣) في الأصول : « رجعت ». وما أثبتنا من شعر معن والأمالى .

(٤) في بعض الأصول : « محمد بن الغازى » تحرير .

(٥) في بعض الأصول : « إليه » .

(٦) في بعض الأصول : « و يؤسىه » .

(٧) في بعض الأصول : « أسلو » .

قال : وطعن^(١) في جنازتها ، فدفناه إلى سبعة عشر يوماً .

خلافة^(٢) هشام بن عبد الملك بن مروان

ثم بُويع هشام بن عبد الملك بن مروان — يُسكنى أبا الوليد . وأمه أم هشام بنت [هشام بن] إسماعيل بن هشام المخزومي — يوم الجمعة الحس ليمالي بقين من شعبان سنة خمس ومائة . ومات بالرصافة يوم الأربعاء الثالث خلؤن من ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة ، وهو ابن ثلث وخمسين سنة . وصلى عليه الوليد بن يزيد . وكانت خلافته عشرين سنة .

أسماء ولد هشام بن عبد الملك

معاوية وخلف ومسامة ومحمد وسليمان وسعيد وعبد الله ويزيد — وهو الأبك — ومروان وإبراهيم ويحيى^(٣) ومنذر وعبد الملك والوليد وقریش وعبد الرحمن^(٤) .

وكان على شرطته كعب بن عامر العبسى . وعلى الرسائل سالم ، مولاه . وعلى خاتم الخلافة الرابع ، مولى لبني الحريش ، وهو الربيع بن سابور . وعلى الخاتم الصغير أبوالزبير ، مولاه . وعلى ديوان الخراج والجند أسامة بن زيد^(٥) ، ثم عزله وولى الحجاج . وعلى إذنه غالب بن مسعود ، مولاه .

أخبار هشام بن عبد الملك

أبو الحسن المدائى ، قال : كان عبد الملك بن مروان رأى في منامه أنَّ

(١) طعن (بالبناء للمجهول) : أى أصابه الطاعون . (٢) في بعض الأصول : « ولادة » .

(٣) في بعض الأصول : « محمد ». وما أثبتنا من سائر الأصول وجهرة أنساب العرب .

(٤) ذكر ابن حزم أولاد هشام ستة عشر كما في الأصول . غير أنه ذكر عثمان وعبد الله مكان ابراهيم ومنذر . وذكرهم اليعقوبي في تاريخه عشرة فلم يذكر يحيى وعثمان وخلفا والوليد وعبد الله وعبد الملك . وواافقه في ذلك ابن قتيبة في المعارف فذكر أنهم عشرة واجترأ بذلك بعضهم .

(٥) في بعض الأصول : « أسامة بن يزيد » .

عائشة بنت [هشام بن] إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي فلقت رأسه فقطعته عشرين قطعة . ففُقِمَ ذلك ، فأرسل إلى سعيد بن المسيب ، فقصّها عليه . فقال سعيد : تلد غلاماً يملك عشرين سنة . وكانت عائشة أم هشام حفقاء ، فطلّقها عبد الملك لحُمقها ، وولدت هشاماً وهي طالق ، ولم يكن في ولد عبد الملك

أكمل من هشام .

قال خالد بن صفوان : دخلت على هشام بن عبد الملك بعد أن سخط على خالد بن عبد الله القسري وسلط عليه يوسف بن عمر عامله على العراق ، فلما دخلت عليه أستدناه حتى كفت أقرب الناس إليه ، فتنفس الصعداء ، ثم قال : يا خالد ، رب خالد قعد مقعدك هذاأشهى إلى حديثاً منك . فعلمت أنه يرید خالد بن عبد الله القسري ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أفلأ تعیده ؟ قال :
١٠ هيئات ، إن خالداً أدل فأمل ، وأوْجف فأعجف^(١) ، ولم يدع لمراجع^(٢) مرجعاً ، على أنه ماسألي حاجةً فقط . فقلت : يا أمير المؤمنين ، فلو أدذناته فتفضلت
عليه ؟ قال : هيئات ! وأنشد :

إذا انصرفت نفسى عن الشىء لم تَكُن
عليه^(٤) بوجيه آخر الدهر تُقْبِل^(٥) ١٥

قال أصبغ بن الفرج : لم يكن في بي مروان من ملوكها أعزراً ولا ألبس من هشام ، خرج حاجاً فحمل ثياباً طهرة^(٦) على ستة جمال . ودخل المدينة ، فقال لرجل : انظر من في المسجد . فقال : رجل طويل أدم^(٧) . قال : هذا سالم بن عبد الله ، أدعه . فأتاه ، فقال : أحب أمير المؤمنين وإن شئت أرسيل

٢٠ (١) الإعجاف : سرعة السير . والإعجاف : الإهزال . وفي بعض الأصول : « وأرجف » مكان « وأوْجف » . تحرير .

(٢) في بعض الأصول : « لمراجع ». (٣) في بعض الأصول : « قد آذنته فلو تفضلت » .

(٤) في بعض الأصول : « تَكُن إِلَيْهِ ». وما أثبنا من سائر الأصول وشعر معن .

(٥) في بعض الأصول : « ظهره ». .

٢٥ (٦) كذلك في بعض الأصول . والأدم : الأدم والشديد السوداد . والنوى في سائر الأصول : « آدم أدم » .

فُتُوقَى بثيابك . فقال : ويحك ! أتيتُ الله زائراً في رداء وقميص ولا أدخل بهما على هشام ! فدخل عليه ، فوصله بعشرة آلاف . ثم قدم مكة فقضى حجّه ، فلما رجم إلى المدينة ، قيل له : إن سالماً شديد الوجع ، فدخل عليه وسألته عن حاله . ومات سالم فصلّى عليه هشام ، وقال : ما أدرى بأى الأمرين أنا أسر : بحِجْتِي أم بضلالِي على سالم .

قال : ووقف هشام يوماً قريباً من حائط فيه زيتون له ، فسمع نفخ
الزيتون ، فقال لرجل : أطلق إليهم فقل لهم : التقظوه ولا تنفخوه ، فتفقّدوا
عيونه ، وتسخروا أغصونه .

وخرج هشام^ه هارباً من الطاعون ، فاتتهى إلى دير فيه راهب ، فادخله
الراهب بستانه ، فجعل ينتقي له أطابـ الفاكهة والبالغ منها . فقال هشام :
يا راهب ، هبـني بستانك هذا . فلم يحبـه . فقال : مالك لا تتكلـم ؟ فقال :
وَدِدْتُ أـن الناس كلـهم ماتوا غيرـك . قال : ولم ؟ قال : لعـك أـن تـشـبع . فالتفت
هشام^ه إلى الأبرش فقال : أـتسـمع ما يـقول ؟ قال الأبرش : بـلى والله ، ما^(١) لـقـيمـك
حرـثـ غيرـه .

١٥ العُتبِي قال : إِنَّ لِقَاعِدَ عِنْدَ قَاضِي هَشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ إِذَا أَقْبَلَ إِبْرَاهِيمُ
ابنُ مُحَمَّدٍ بْنَ طَالِحةَ وَصَاحِبَ حَرَسِ هَشَامٍ حَتَّى قَعَدَا بَيْنَ يَدِيهِ ، فَقَالَ الْحَرَسِيُّ^(٢) :
إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ جَرَانِي^(٣) فِي خُصُومَةِ يَدِيهِ وَبَيْنَ إِبْرَاهِيمَ . قَالَ القَاضِي : شَاهِدَكَ
عَلَى الْجَرَاهَةِ^(٤) . فَقَالَ : أَتُرَأَنِي قَلْتُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مَا لَمْ يَقُلْ ، وَلَيْسَ بِيَدِهِ
إِلَّا هَذِهِ السُّتْرَةُ ؟ قَالَ : لَا ، وَلَا كُنْهُ لَا يَثْبُتُ الْحَقُّ لَكَ وَلَا عَلَيْكَ إِلَّا بِيَدِهِ .
٢٠ قَالَ : فَقَامَ ، فَلَمْ يَلْمِثْهُ حَتَّى قَعَقَعَتِ الْأَوَابُ وَخَرَجَ الْحَرَسِيُّ ، فَقَالَ : هَذَا أَمِيرُ

(١) في بعض الأصول : « إن » .

(٢) الحسـم : واحد حـمـسـهـ السـلـطـانـ .

(٣) يقال : جرى (بالتصعيف) وأجرى ، إذا أرسل وكيلًا . وفي بعض الأصول : « حراني » بالهمز . تصعيف .

(٤) الجرارة (بالفتح والكسر) : الوكالة . وفي بعض الأصول : «الجرأة» .

المؤمنين . قال : فقام القاضى ، فأشار إليه فقعد ، وبسط له مصلى فقد عليه هو وإبراهيم ، وكنا حيث نسمع بعض كلامهما ويخفى علينا البعض . قال : فتكلما وأحضرت البينة ، فقضى القاضى على هشام . فتكلم إبراهيم بكلمة فيها بعض الخرق ، فقال : الحمد لله الذى أبان للناس ظلمك . فقال هشام : لقد همت أن أضر بك ضربة ينثثر منها حمك عن عظمك . قال : أما والله لئن فعلت لتفعلنـه بشيخ كبير السن ، قريب القرابة ، واجب الحق . قال له : استرها على يا إبراهيم . قلت : لا ستر الله على ذنبي ^(١) إذا يوم القيمة . قال : إنى معطيك عليها مائة ألف . قال إبراهيم : فسترها عليه طول حياته ثمناً لما أخذت منه وأذعنتها عنه بعد موته تزييناً له .

وذكروا عن الهيثم بن عدى قال : كان سعيد بن هشام بن عبد الملك عاملاً ^{١٠}
لأبيه على حمص ، وكان يُرمى بالنساء والشراب ، فقدم حصي ^(٢) هشام ، فلقيه أبو جعد الطائى ^(٣) في طريق ، فقال له : هل ترى أن أعطيك هذه الفرس ، فإني لا أعلم بمكان مثلها ، على أن تبلغ هذا الكتاب أمير المؤمنين ، ليس فيه حاجة بمسالة دينار ولا درهم ؟ فأخذها وأخذ الكتاب . فلما قدم على هشام ^{١٥}
قال : ما قصة هذه الفرس ؟ فأخبره . فقال : هات الكتاب ، فإذا فيه :

أبلغ إليك أمير المؤمنين فقد أمدتنا بأمير ليس عذينا طوراً يخالف عمرًا في حليمه وعند ساحته يُسقى الطلا ^(٤) دينا فلما قرأ الكتاب بعث إلى سعيد فأشخصه ، فلما قدم عليه علاء بالخيزرانة وقال : يا بن الخبيثة ، تزني وأنت ابن أمير المؤمنين ! ويلك ! أمحقت أن تفجع بغير قريش ؟ أو تدرى ما فجور قريش لا أم لك ؟ قتل هذا ، وأخذ مال هذا ، ^{٢٠}
والله لا تلى لى علا حتى تموت . قال قال : فما ولى له عملاً حتى مات .

(١) في بعض الأصول : « ديني ». (٢) في بعض الأصول : « حصى » .

(٣) في بعض الأصول : « أبو الجعد الطائى » .

(٤) الطلا (كساء ، وقصر للشعر) : الخمر .

أحمد بن عبيده قال: أخبرني هشام الكجبي عن أبي محمد بن سفيان القرشي^(١)
 عن أبيه قال: كنَّا عند هشام بن عبد الملك وقد وفد عليه وفد أهل الحجاز ،
 وكان شبابُ الكتاب إذا قدم الوفد حضروا الاستماع بلاغة خطبائهم ،
 فحضرتُ كلامهم ، حتى قام محمد بن أبي الجهم بن حذيفة العدوى^(٢) ، وكان أعظم
 ٣٤٠ القوم قدرًا وأكثربَهم سنًا ، فقال: أصلح الله أمير المؤمنين ، إن خطباء قريش قد
 قالت فيك ما قالت ، وأكثرت وأطنبت ، والله ما بلغ قائلهم قدرك ، ولا
 أحصى خطيبهم فضلَك ، وإن أذنت في القول قلت؟ قال: قُل وأوجز . قال:
 تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى ، وزينك بالتقوى ، وجمع لك خير الآخرة
 والأولى ، إن لي حوايج ، أفادَكَرها؟ قال: هاتها . قال: كبرستَني ، ونال
 ١٠ الدهر مني ، فإن رأى أمير المؤمنين أن يَجْبَرَ كسرى ، ويَنْفِي فَقْرَى ، فعل .
 قال: وما الذي يَنْفِي فَقْرَك ، ويَجْبَرَ كسرك؟ قال: ألف دينار وألف دينار
 وألف دينار . قال: فأطرق هشام طويلا ثم قال: يا بن أبي الجهم ، بيت المال
 لا يحتمل ما ذكرت ، ثم قال له: هيئه . قال: ما هيئه؟ أما والله إن الأمر
 ١٥ لواحد^(٣) ، ولكن الله آثرك بجلستك ، فإن تعطنا خفَقنا أديت ، وإن تمنعنا
 فتسأل الله الذي بيده ما حويت . يا أمير المؤمنين ، إن الله جعل العطاء محبة ،
 والمنع مبغضة . والله لأن أحبَكَ أحبَ إلى من أن أبغضك . قال: ألف دينار
 لماذا؟ قال: أقضى بها دينًا قد حان قضاوته ، وقد عنايَ حمله ، وأضرَ بي أهله .
 قال: فلا بأس ، نَفْسُ كُوبَة ، ونُؤْتِي أمانة . ألف دينار لماذا؟ قال:
 ٢٠ أزوّج بها من بلغ من ولدي . قال: نعم المَسَلَكُ سَلَكْتَ ، أغضضتَ بصرًا ،
 وأعفتَ ذَكَرًا ، وأمَرتَ^(٤) نسلا . ألف دينار لماذا؟ قال: أشتري بها أرضا

(١) لعله زياد بن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان . (انظر الطبرى).

(٢) ليس هو محمد بن أبي الجهم الذى مر ذكره في هذا الجزء . فقد توفي هذا الأخير
 سنة ٦٣ أى قبل موت هشام بسنوات عدة .

(٣) في بعض الأصول: «لو إلى أحد» .

(٤) كذا في بعض الأصول وصبح الأعشى (ج ١ ص ٢٦٤) والأمالى (ج ١ ص
 ١٤٧) . وأمرت: أكثرت . والذى في سائر الأصول: «رفمت» .

يعيش بها ولد ! وأستعين بفضلها على نوائب دَهْرِي ، وتكون ذُخْرَ الْمَنْ بعدى ^(١) .

قال : فإننا قد أَمْرَنَا لَكَ بِمَا سأَلْتَ . قال : فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى ذَلِكَ ، وَخَرَجَ .

فَاتَّبَعَهُ هشام بصرَّه ، وقال : إذا كان القرشى فلي يكن مثلَ هَذَا ، ما رأيْتُ رجلاً أوجزَ في مقال ولا أبلغَ في بيان منه . ثم قال : أما والله إِنَّا لَنَعْرِفُ الْحَقَّ

إِذَا نَزَلَ ، وَنَكْرُهُ الْإِسْرَافَ وَالْبَخْلَ ؟ وَمَا نُعْطِي تَبَذِيرًا ، وَلَا نُنْعِنْ تَقْتِيرًا ؟

وَمَا نَحْنُ إِلَّا خُزَانُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ ، وَأَمْنَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ؟ فَإِذَا أَذْنَ أَعْطَيْنَا ، وَإِذَا مَنَعَ أَبَيْنَا ؛ وَلَوْ كَانَ كُلُّ قَائِلٍ يَصُدُّقُ ، وَكُلُّ سَائِلٍ يَسْتَحْقُ ؟ مَا جَبَهُنَا قَائِلًا ،

وَلَا رَدَدَنَا سَائِلًا . وَنَسْأَلُ الذِّي بِيَدِهِ مَا أَسْتَحْفَظُنَا أَنْ يُجْرِيَهُ عَلَى أَيْدِينَا . فَإِنَّهُ يَدْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يُشَاءُ وَيَقْدِرُ ، إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ . فَقَالُوا : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

لَقَدْ تَكَلَّمْتَ فَأَبْلَغْتَ ، وَمَا بَلَغَ فِي كَلَامِهِ مَا قَصَصْتَ . قال : إِنَّهُ مُبْقَدِيٌّ وَلَيْسَ ١٠
المُبْتَدِيُّ كَالْمُقْتَدِيُّ ^(٢) .

وَذَكَرُوا أَنَّ العَبَّاسَ بْنَ ^(٣) الْوَلِيدَ وَجَمِيعَهُ مِنْ بَنِي مَرْوَانَ اجْتَمَعُوا عِنْدَ هشام ،

فَذَكَرُوا الْوَلِيدَ بْنَ ^(٤) يَزِيدَ وَعَابُوهُ وَذَمُوهُ ، وَكَانَ هشام يُبَغْضُهُ ^(٥) ، وَدَخَلَ الْوَلِيدَ ،

فَقَالَ لِهِ العَبَّاسُ : يَا وَلِيدُ ، كَيْفَ حُبِّكَ لِلرُّومِيَّاتِ ، فَإِنَّ أَبَاكَ كَانَ مَشْغُوفًا بِهِنَّ ؟

قال : كَيْفَ لَا يَكُونُ وَهُنَّ يَلْدُنُ مَثْلَكَ ؟ قال : أَلَا تَسْكُتُ يَا بْنَ الْبَظْرَاءِ ؟ ١٥

قال : حَسْبُكَ أَيْهَا الْمُفْتَخِرُ عَلَيْنَا بِخِتَانِ أُمِّهِ .

وَقَالَ لِهِ هشام : مَا شَرَابُكَ يَا وَلِيدَ ؟ قال : شَرَابُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، وَقَامَ

نَخْرَجَ . فَقَالَ هشام : هَذَا الذِّي زَعْمَمْتُهُ أَحْقَقَ !

وَقَرَّبَ الْوَلِيدُ بْنَ يَزِيدَ فِرَسَهُ جَمْعَ جَرَامِيزَهُ ^(٦) وَوَثَبَ عَلَى مَرْجِهِ ، ثُمَّ التَّفَتَ

(١) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « بَقٌ » .

(٢) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « إِنَّهُ مُبْتَدِيٌّ وَلَيْسَ المُبْتَدِيُّ كَالْمُعْتَدِلِيٌّ » .

(٣) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « عَبَّاسُ وَالْوَلِيدُ » . تَحْرِيفٌ .

(٤) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « أَمْوَارًا مِنْ يَزِيدَ » مَكَانٌ « الْوَلِيدُ بْنُ يَزِيدَ » .

(٥) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : يَنْقَضُهُ » .

(٦) جَرَامِيزُ الرَّجُلِ : جَسْدُهُ وَأَعْصَاؤُهُ . وَيَقَالُ : جَمْعُ جَرَامِيزَهُ ، إِذَا نَقْبَضَ لَيْتَ .

إلى ولد هشام ، وقال له : هل يقدر أبوك أن يصنع مثل هذا ؟ قال : لأبي مائة عبد يصنعون مثل هذا . فقال الناس : لم يُنْصِفْه في الجواب .

الْعَقِبَى عن أَبِيهِ ، قَالَ : سَمِعْتُ مَعاوِيَةَ بْنَ عَمْرَو^(١) بْنَ عَقْبَةَ يَحْدَثُ ، قَالَ : إِنِّي لِقَاعِدٍ بِبَابِ هَشَامَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَكَانَ النَّاسُ يَتَقَرَّبُونَ إِلَيْهِ بِعَيْبِ الْوَلِيدِ
ابْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : فَسَمِعْتُ قَوْمًا يَعِيبُونَهُ ، فَقَلَّتْ : دَعْوَنَا مِنْ عَيْبٍ مَّنْ يَلْزَمُنَا
مَدْحُهُ ، وَوَضْعٌ مَّنْ يَحْبُبُ عَلَيْنَا رَفْعُهُ . وَكَانَتْ لِلْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدِ عَيْوَنٌ لَا يَبْرُحُونَ
بِبَابِ هَشَامَ ، فَنَقْلُوا إِلَيْهِ كَلَامَ الْقَوْمِ ، فَلَمْ أَلْبَثْ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّى رَاحَ
إِلَى مَوْلَى لِلْوَلِيدِ ، قَدْ أَتَتْهُ الْتَّحْفَ عَلَى أَلْفِ دِينَارٍ ، فَقَالَ لِي : يَقُولُ لَكَ مَوْلَايُ :
أَنْفَقْتَ هَذِهِ فِي يَوْمَكَ ، وَغَدَّ أَمَامَكَ . قَالَ : فَمُلْئَتْ رُغْبَاهُ مِنْ هَشَامَ وَخَشِيتْ
سُطُوتَهُ ، وَرَمَاهُ اللَّهُ بِالْعَلَةِ فَدَفَنَاهُ لِثَانِيَةً عَشَرَ يَوْمًا بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمِ . فَلَمَّا قَامَ
الْوَلِيدُ بَعْدَهُ دَخَلَتْ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لِي : يَا بْنَ عَقْبَةَ ، أَتَرُّ أَنِّي نَاسِيًّا قُعُودَكَ بِبَابِ
الْأَحَوْلِ يَهْدِي مَنِي وَتَبَدِّلِي ، وَيَضْعُنِي وَتَرْفَعُنِي ؟ فَقَلَّتْ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
شَارَكْتَ قَوْمَكَ فِي الْإِحْسَانِ^(٢) ، وَتَفَرَّدْتَ دُونَهُمْ بِإِحْسَانِكَ إِلَيْهِ ، فَلَسْتُ
أَحَدَ لَكَ نَفْسِي فِي أَجْتِهادِكَ ، وَلَا أَعْذُرُهَا فِي تَقْصِيرِكَ ، وَتَشَهِّدُ بِذَلِكَ أَلْسُنَةُ الْجَائِزِينَ
بِنَا ، وَيُصَدِّقُ قَوْلَهُمُ الْفِعَالُ مِنَا^(٣) . قَالَ : كَذَلِكَ أَنْتُمْ لَنَا آلَ أَبِي سُفْيَانَ ، وَقَدْ
أَقْطَعْتُكَ مَا لَيْ بِالْبَعْثَنِيَّةِ^(٤) وَمَا أَعْلَمُ لِقَرْشَى " مَثَلَهُ .

وقال عبد الله بن عبد الحكم^(٥) فقيه مصري : سمعت الأشياخ يقولون : سنة
خمس وعشرين ومائة أديل من الشرف وذهبت المروءة ، وذلك عند موت
هشام بن عبد الملك .

(١) كذا في بعض الأصول والطبرى . والذى فى سائر الأصول « معاوية بن عمر » .

(٢) في بعض الأصول : « فِي إِحْسَانِكُمْ » مَكَانٌ « فِي الْإِحْسَانِ »

(٣) في بعض الأصول: «في الفعال منا».

(٤) البثنية (بالتحريك وكسر النون وباء مشددة) : اسم ناحية من نواحي دمشق .

(٥) . كذا في بعض الأصول والديباج المذهب . والذى في سائر الأصول . « عبد الله

قال أبو الحسن المدائني : مات هشام بن عبد الملك بالذبحة يوم الأربعاء ، بالرّصافة في ربيع الآخر لست خلون منه ، سنة خمس وعشرين ومائة ، وصلّى عليه مسّلمة بن هشام أو بعض ولده ، واشترى له كفن من السوق .

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

بُويع للوليد بن يزيد بن عبد الملك يوم الأربعاء لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة . وأمه أم الحجاج بنت محمد بن يوسف ، أخي الحجاج بن يوسف . وقتل بالبحراء^(١) ، من تدمر على ثلاثة أميال ، يوم الخميس لليلتين بقيتا من جهادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن خمس وثلاثين ، أو سِتٍ وثلاثين .

قال حاتم بن مسلم : ابن خمس وأربعين وأشهر . وكانت ولادته سنة وشهرين وأثنين وعشرين يوماً . فأول شيء نظر فيه الوليد أن كتب إلى العباس بن الوليد بن عبد الملك أن يأتي الرّصافة يُحْفَى ما فيها من أموال هشام وولده ، ويأخذ عماله وحشمه ، إلا مسّلمة بن هشام ، فإنه كتب إليه أن لا يعرض له ولا يدخل منزله . وكان مسّلمة كثيراً ما يكلم أباه في الرفق بالوليد .

فعمل العباس ما أمره به . وكتب الوليد بن يزيد إلى يوسف بن عمر ، فقدم عليه من العراق ، فدفع إليه خالد بن عبد الله القسري ومحدا وإبراهيم ، أبني هشام بن إسماعيل المخزومي ، وأمره بقتلهم . خدث أبو بشر بن السري قال : رأيتهم قدم لهم يوسف بن عمر الحيرة ، وخالد في عباءة في شقّ محمل ، فعذّبهم حتى قتلهم . ثم عَكَفَ الوليد على البطالة وحبّ القيمان والملاهي والشراب ومعاشة

النساء ، فتَعَشَّقَ^(٢) سعدى^(٣) بنت سعيد بن عمرو بن عثمان بن عفان ، فتزوجها ! ثم تَعَشَّقَ^(٢) اختها سلمى ، فطلق اختها سعدى وتزوج سلمى ، فرجعت

(١) في بعض الأصول : «المحراة» وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى ومجم البلدان .

(٢) في بعض الأصول : «فتعاشق» .

(٣) في الأغاني (ج ١٧ ص ٩٩) طبعة بلاق : «سعدة» .

سُعدى إلى المدينة فتزوّجت بشر بن الوليد بن عبد الملك . ثم نَدِم الوليدُ على فراقها وكلف بحثها ، فدخل عليه أشعبُ المضحك ، فقال له الوليد : هل لك على أن تُبلغ سُعدى عن رسالتك ؟ قال : هاتِها ، فدفعها إليه . فقبضها وقال : ما رسالتك ؟ قال : إذا قدمتَ المدينة فأستأذنْ عليها ، وقل لها :

٥ يقول لك الوليد :

أَسْعَدِي مَا إِلَيْكَ^(١) لِنَاسَبِيلْ وَلَا^(٢) حَتَّى الْقِيَامَةِ مِنْ تَلَاقِ
بَلِي ، وَلَمْ دَهْرًا أَنْ يُؤَاتِي بِمَوْتِ مِنْ حَلِيلِكَ أَوْ فِرَاقِ^(٣)
فَأَتَاهَا أَشَعْبُ فَأَسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا ، وَكَانَ نِسَاءُ الْمَدِينَةِ لَا يَحْتَاجُنَّ عَنْهُ ، فَقَالَتْ
لَهُ : مَا بِدَا لَكَ فِي زِيَارَتِنَا يَا أَشَعْبُ ؟ قَالَ : يَا سَيِّدِي ، أَرْسَلْنِي إِلَيْكَ الْوَلِيدُ
بِرِسَالَةٍ . قَالَتْ : هاتِها . فَأَنْشَدَهَا الْبَيْتَيْنِ . فَقَالَتْ لِجَوَارِيهَا : خُذْنَ هَذَا الْخَبِيثَ .
١٠ ٣٤٢ قَالَتْ : مَا جَرَأْكَ عَلَى مُثْلِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ ؟ قَالَ : إِنَّهَا بِعِشْرِينَ أَلْفَ مَعْجَلَةٍ مَقْبُوضَةٍ .
قَالَتْ : وَاللهِ لَا جَلَدَنِكَ أَوْ لَتَبْلِغَنِهِ كَمَا أَبْلَغْتَنِي عَنْهُ . قَالَ : فَاجْعُلْنِي لِي جُمْلاً .
قَالَتْ : بِسَاطِي هَذَا . قَالَ : فَقُومِي عَنْهُ . فَقَامَتْ عَنْهُ ، وَطَوَى الْبِسْاطَ وَضَمَّهُ ،
شِمَّ قَالَ : هاتِي رِسَالَتَكَ . فَقَالَتْ لَهُ : قَلْ لَهُ :

أَتَبْكِي عَلَى سُعدِي^(٤) وَأَنْتَ تَرَكْتَهَا فَقَدْ ذَهَبَتْ سُعدِي^(٤) ، فَمَا أَنْتَ صَانُعُ ؟
فَلَمَّا بَلَّغَهُ الرِّسَالَةَ كَظَمَ الغَيْظَ عَلَى أَشَعْبَ ، وَقَالَ : أَخْتَرْ إِحْدَى ثَلَاثَ خِصَالٍ :
وَلَا بُدَّ لَكَ مِنْ إِحْدَاهُا : إِمَا أَنْ أَقْتُلَكَ ، وَإِمَا أَنْ أُطْرَحَ لِلسَّبَاعِ فَتَأْكَلَكَ ،
وَإِمَا أَنْ أُلْقِيَكَ مِنْ هَذَا الْقَصْرِ ؟ فَقَالَ أَشَعْبُ : يَا سَيِّدِي ، مَا كُنْتَ لَتَعْذِبْ
عَيْنِيْنِ نَظَرَتَا إِلَى سُعدِي . فَضَحِّكَ وَخَلَّ سَبِيلَهُ ، وَأَقَامَتْ عَنْهُ سَلْمَى حَتَّى قُتِلَ
عَنْهَا . وَهُوَ الْقَائِلُ فِي سَلْمَى :

شَاعَ شِعْرِي فِي سَلْمَى وَظَهَرَ وَرَوَاهُ كُلُّ بَدْوٍ وَحَضَرَ

(١) في الأغاني : « أَسْعَدَهُ هَل » مَكَان « أَسْعَدِي مَا » .

(٢) في الأغاني : « وَهُل » . (٣) في الأغاني : « طَلاق » .

(٤) في الأغاني : « الْبَنِي » . وَصَدَرَ الْبَيْتُ لِقَيْسَ بْنَ ذَرِيعَ فِي لِبَنَاءِهِ . وَعِنْزَهُ « وَكَنْتَ كَآتَتْ حَتْفَهُ وَهُوَ طَائِئُ ». (انظر الأغاني خ ٨ ص ١٣٢ طبعة بلاق) .

وتهادَتْهُ الغَوَانِي بِدِنْهَا وَتَغَنَّى بِهِ حَتَّى أَنْتَشَرَ
لَوْ رَأَيْنَا مِنْ سُلَيْمَى أَثْرًا لَسَجَدْنَا أَلْفَ أَلْفَ لِلَّأَمْرِ
وَأَتَخَذَنَاهَا إِمامًا مُرْتَبَى وَكَانَتْ حَجَنَا وَالْمُغَتَمِرُ
إِنَّمَا بَذَتْ سَعِيدٌ قَرْهُ هَلْ حَرِجْنَا إِنْ سَجَدْنَا لِلْقَمَرِ

وَفِيهَا يَقُولُ قَبْلَ تَزْوِيجِهِ لَهَا :

حَدَّثَنَا أَنَّ سُلَيْمَى خَرَجَتْ يَوْمَ الْمُصَلِّ
فَإِذَا طَيْرٌ مَلِيحٌ فَوْقَ غُصْنٍ يَتَغْلِي
قَلَتْ : يَا طَيْرُ أَدْنُ مَنِي فَدَنَا ثُمَّ تَدَلَّى
قَلَتْ هَلْ تَعْرَفُ سَلَمِي فَنَكَافِ الْقَلْبُ كَلْمَامَا^(١)
بَاطِنَا ثُمَّ تَخَلَّى^(٢)

وَقَالَ فِي سَلَمِي قَبْلَ تَزْوِيجِهِ لَهَا :

أَعْلَمُ اللَّهُ يَجْعَلُنِي بِسَلَمِي^(٣)
وَيَأْتِي بِي وَيَطْرَحْنِي عَلَيْهَا
وَيُرْسِلَ دِيْمَةً مِنْ بَعْدِ هَذَا
أَيْسَ اللَّهُ يَفْعُلُ مَا يَشَاءُ
فَيُوْقِظَنِي وَقَدْ قُضِيَ الْقَضَاءُ
فَتَغْسِلُنَا وَلَيْسَ بِنَا عَنَاءٌ

وَقَالَ فِيهَا بَعْدَ تَزْوِيجِهِ لَهَا :

أَنَا فِي يُمْنَى يَدِهَا
إِنَّ هَذَا اقْضَاءٌ
لَيْتَ مَنْ لَامَ مُحِبَّاً
فَاسْتَرَاحَ النَّاسُ مِنْهُ فَمِيتَةٌ غَيْرَ سَوَيَّةٍ

قال : ولهج الوليد بالنساء والشراب والصَّمِيد ، فأرسل إلى المدينة خملوا له المغنين ، فلما قربوا منه أمر أن يدخلوا العسكر ليلا ، وكره أن يراهم الناس ،

(١) نَكَافِ، بالهمز وسهل للشعر . وفي بعض الأصول : « فتطامى القلب كلام » .

(٢) في الأغانى : « تعلى » .

(٣) في بعض الأصول : « لعل الله أن يأتي بسلامي » .

فأقاموا حتى أمسوا غيرَ محمد بن عائشة^(١) ، فإنه دخل نهاراً ، فأمر الوليد بحبسه ، فلم يزل محبوساً حتى شرب الوليد يوماً فطرب ، فنكلمه معبد ، فأمر الوليد بإخراجه ، ودعاه فغناه فقال :

أنت ابن مُسلن طاح البِطاط و لم تَطْرُقْ عَلَيْكَ الْحُنْيَّ وَالْوَلْجُ^(٢)

فرضى عنه ، وكان سعيد الأحوص ومعبد حين قدما على الوليد نزلا

٣٤٣
٢

في الطريق على غدير وجارية تستقي ، فزاغت فأنكسرت الجرة فجلست تغنى :

يا بيت عاتكة الذي أتعزل حَذَرَ الْعِدَا وَبِهِ الْفَوَادُ مُوكَلٌ^(٣)

قال لها : يا جارية ، من أنت ؟ فقالت : كفت لآل الوليد [بن عقبة]

بالمدينة فاشتراني مولاي ، وهو من بني عامر بن صعصعة ، أحد بني الوحديد من

١٠ بني كلاب ، وعندك بنت عم له فوهبها لها ، فأمرتني أن أستقي لها . فقال لها :

ولمن الشعر ؟ قالت : سمعت بالمدينة أن الشعر الأحوص ، والغناء لمعبد . فقال

معبد للأحوص : قُلْ شَيْئاً أَغْنِيْ عَلَيْهِ : فقال :

إِنَّ زَيْنَ الْفَدِيرَ مَنْ كَسَرَ الْجَزْرَ وَغَنَىْ غِنَاءَ فَيَحْلِلُ مُحَمَّدٍ

قالت : مَنْ أَنْتَ يَا مَلِيحة ؟ قالت : كفت فيما مضى لآل الوليد

١٥ ثُمَّ قَدِصَرْتُ بَعْدِ عَزَّ قَرِيشٍ فِي بَنِي عَامِرٍ لَآلِ الْوَهِيدِ

وَغِنَائِي لِمُعَبَّدٍ وَنَشِيدِي لِفَتَّى النَّاسِ الْأَحَوْصِ الصَّنْدِيدِ

فَتَضَاجَكْتُ ثُمَّ قَلْتُ أَنَا الْأَحَوْصُ وَالشِّيمَخُ مَعَبْدٌ فَأَعْيَدِي

فَأَعَادْتُ وَأَحَسَّنْتُ ثُمَّ وَلَتْ تَهَادِي فَقَلْتُ أَمْ سَعِيدٌ

١٥

(١) في بعض الأصول : « محمد بن أبي عائشة ». وما أثبتنا من سائر الأصول والأغاني .

(٢) الاستطاح : الطول والعرض . والحنى : الأزقة . والولج : معاطف الوادي . والبيت

لطريخ بن إسماعيل الثقفي من قصيدة له في مدح الوليد بن يزيد . (انظر الأغاني ج ٤

ص ٨ طبعة بلاق) . وقد نسبه ابن منظور في اللسان (مادة سلط) لابن قيس

الرقينات . ورواية اللسان « تعطف » مكان « تطرق » .

٢٠

(٣) انظر الحاشية رقم ٢ ص ٣٦٣ من هذا الجزء .

يَقْصِرُ الْمَالَ عَنِ شَرَاكِ وَلَكِنْ أَنْتَ فِي ذَمَّةِ الْإِمَامِ الْوَلِيمِدَ^(١)
وَأُمَّ سَعِيدَ كَانَتْ لِلْأَحْوَصِ بِالْمَدِينَةِ . فَغَنِيَ مَعَبْدُ عَلَى الشِّعْرِ . فَقَالَ :
مَا هَذَا ؟ فَأَخْبَرَاهُ ، فَأَشْتَرَاهَا الْوَلِيمِدَ .

قال أبو الحسن : وقال أَبُنُ أَبِي الزَّنَادَ : إِنِّي كَفَتُ عَنْدَ هَشَامَ وَعَنْدَهِ
الزَّهْرِيَّ ، فَذُكِرَ الْوَلِيمِدَ ، فَتَنَقَّصَاهُ وَعَابَاهُ عِيَّبًا شَدِيدًا ، وَلَمْ أَعْرِضْ لِشَيْءٍ مِّمَّا
كَانَ فِيهِ ، فَاسْتَأْذَنَ فَأَذْنَنَ لَهُ ، فَدَخَلَ وَأَنَا أَعْرِفُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ، فَجَلَسَ
قَلِيلًا ثُمَّ قَامَ . فَلَمَّا مَاتَ هَشَامَ : كَتَبَ بِي فَحُمِّلْتُ إِلَيْهِ فَرَحْبَ بِي ، وَقَالَ : كَيْفَ
حَالُكَ يَا بْنَ ذَكْوَانَ ؟ وَأَطْفَلَ الْمَسْأَلَةَ . ثُمَّ قَالَ : أَتَذَكَّرُ هَشَامًا الْأَحْوَلَ ، وَعَنْدَهِ
الْفَاسِقُ الزَّهْرِيُّ وَهَا يَعِيَّبَنِي ؟ فَقَلَتْ : أَذْكُرُ ذَلِكَ وَلَمْ أَعْرِضْ لِشَيْءٍ مِّمَّا كَانَ
فِيهِ . قَالَ : صَدِقْتَ ، أَرَأَيْتَ الْغُلَامَ الَّذِي كَانَ عَلَى رَأْسِ هَشَامَ قَائِمًا ؟ قَلَتْ :
نَعَمْ . قَالَ : فَإِنَّهُ نَمَّ إِلَى بَعْدِ قَالَاهُ . وَإِيمَانُ اللَّهِ لَوْ بَقِيَ الْفَاسِقُ الزَّهْرِيُّ لَقُتْلُهُ . قَلَتْ :
قَدْ عَرَفْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِكَ حِينَ دَخَلْتَ . قَالَ : يَا بْنَ ذَكْوَانَ ، ذَهَبَ
الْأَحْوَلُ . قَلَتْ : يُطِيلُ اللَّهُ عُمُرَكَ ، وَيُمْتَعِنُ الْأُمَّةُ بِيَقَائِكَ . وَدُعَا بِالْعَيْشَاءِ فَتَعَشَّدَنَا ،
وَجَاءَتِ الْمَغْرِبُ فَصَلَّيْنَا ، وَتَحْدَثَنَا حَتَّى حَانَتِ الْعِشَاءُ الْآخِرَةُ فَصَلَّيْنَا وَجَلَسَ . فَقَالَ :
أَسْقِنِي ، فَجَاءَ وَاِبْنَاءَ مُغَطَّى ، وَجَيَّءَ بِثَلَاثِ جَوَارٍ ، فَصُفِّفَنِي بَيْنَ وَبَيْنِهِ حَتَّى شَرَبَ ،
وَذَهَبَنِ^(٢) ، فَتَحِدَّثَنَا ، وَأَسْتَسْقِي ، فَصَنَعُوا مِثْلَ ذَلِكَ . فَهَا زَالَ كَذَلِكَ يَسْتَسْقِي
وَيَتَحَدَّثُ وَيَصْنَعُونَ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ ، فَأَحْصَيْتُ لَهُ سَبْعِينَ قَدْحًا .
عَلَى بْنِ عِيَاشَ قَالَ : إِنِّي عَنْدَ الْوَلِيمِدَ بْنَ يَزِيدَ فِي خِلَافَتِهِ إِذَا تَقَرَّ
بُشْرَاعَةَ^(٣) مِنَ الْكَوْفَةِ ، فَوَاللَّهِ مَا سَأَلَهُ عَنْ نَفْسِهِ وَلَا عَنْ مَسِيرِهِ^(٤) حَتَّى قَالَ لَهُ :

٢٠ (١) فِي الْأَغَانِيِّ « أَنْتَ فِي ذَمَّةِ الْهَمَامِ يَزِيدَ ». وَقَدْ سَاقَ أَبُو الْفَرْجِ هَذَا الْحَبْرَ مَعَ خَلَافَ
فِيهِ وَذَكَرَ يَزِيدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ مَكَانَ الْوَلِيمِدَ .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَدَهْشَ ». وَفِي بَعْضِ آخَرَ : « وَذَهَبَ » .

(٣) وَكَانَ مِنَ الْجَانِ النَّدْمَاءِ ، مِنْ أَصْحَابِ وَالْيَةِ بْنِ الْحَبَابِ وَمُطَيْعِ بْنِ زَيْدِ وَجَادِ عَبْرَدَ .
وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ بَابِ شَرَاعَةَ ». (انْظُرِ الْأَغَانِيِّ وَالْأَمَالِيِّ) .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « سَفَرَهُ » .

يا شراعة، إني والله ما بعثت إليك لأسألك عن كتاب الله وسننه رسوله صلى الله عليه وسلم . قال : والله لو سألتني عنهم ما لوجد تني فيهما حماراً ، قال : إنما أرسلت إليك لأسألك عن القهوة . قال : دهقانها^(١) الخبر ، ولقانها الحكيم ، وطبيبهما العلم . قال : فأخبرني عن الشراب ؟ قال : يسأل أمير المؤمنين عما بدا له . قال : ما تقول في الماء ؟ قال : لا بد لي منه ، والحرار شريك فيه . قال : ما تقول في اللبن ؟ قال : ما رأيته قط إلا أستحييت من أمى لطول ما أرضعني به . قال : ما تقول في السوق ؟ قال : شراب الحزين والمستعجل والمريض .

٣٤٤

قال : فنبذ التر ؟ قال : سريع الملء^(٢) ، سريع الانفاس . قال : فنبذ الزبيب ؟ قال : تلهموا^(٣) به عن الشراب . قال : ما تقول في التمر ؟ قال : أواه^(٤) ! تلك صديقة روحي . قال : وأنت والله صديق روحي . قال : فأى المجالس أحب ؟ قال : ما شرب الكأس قط على وجه أحسن من السماء^(٥) .

قال أبوالحسن : كان أبو كامل مُضحكاً غَزلاً مُغفياً ، فغنى الوليد يوماً فطرِب ، فأعطاه قلنسوة برودا^(٦) كانت عليه ، فكان أبو كامل لا يلبسها إلا في عيد ، ويقول : كسانها أمير المؤمنين ، فأنا أصونها ، وقد أمرت أهلي إذا ميت أن توضع في أكفاني . وله يقول الوليد :

١٥

مَنْ مُبْلِغٌ عَنِ أَبَا كَامِلِيْ أَنِّي إِذَا مَا غَابَ كَالْهَامِلِ^(٧)
وَزَادَنِي شَوْقًا إِلَى قُرْبِهِ مَا قَدْ مَضَى مِنْ دَهْرِنَا الْحَائِلِ^(٨)

(١) الدهقان (بالكسر والضم) : القوى على التصرف مع حدة .

(٢) في بعض الأصول : « الامتلاء » .

(٣) في أكثر الأصول : « حاموا » . (٤) في بعض الأصول : « أواه » تحريف .

(٥) ساق أبو الفرج هذا الخبر في كتاب الأغاني (ج ٦ ص ١٢٤ — ١٢٥ طبعة بلاق) مع خلاف كثير .

(٦) أى ليس فيها زبد .

(٧) في الأغاني : « كالهامل » .

(٨) رواية الأغاني :

قد زادني شوقاً إلى قربه مع ما بدا من رأيه الفاضل

إني إذا عاطيته مزة^(١) ظلت بيوم الفرح الجاذل

قال : وجلس الوليد يوماً وجارية تغفيفه ، فأنشدها الوليد :

* قينة في يمينها إبريق *

قالت الجارية المغنية : لوأتمتَ الشعر غنمتُ به . قال : لستُ أروية ، وكتب

٥ إلى حماد الرواية فحمل إليه : فلما دخل عليه قال له الوليد :

* قينة في يمينها إبريق *

فأنشد حماد الرواية^(٢) :

ثم نادى ألا اصبعوني فقامتْ قينة في يمينها إبريق

١٠ ودمتة^(٣) على عقار كعین الدیک صـفـی سـلـافـه الرـآوـوقـه

مزة قبل مزجها فإذا ما مزجت لذ طعمها من يذوق

وكتب الوليد إلى المدينة ، فحمل إليه أشعب ، فألبسه سراويل جلد قرود

له ذنب ، وقال له : أرقص وغن صوتاً يعجبني ، فإن فعلت أعطيتك ألف درهم .

ورقص وغني ، فأعجبه ، فأعطيه ألف درهم . وأنشد الوليد هذا الصوت :

عللاني وأسـقـيـانـيـ من شـرابـ أـصـفـهـانـيـ

١٥ من شـرابـ الشـيـخـ كـسـرـىـ أو شـرابـ الـهـرـمـزـانـ^(٤)

إنـ بالـكـأسـ لـمـسـكـاـ أو بـكـفـيـ من سـقـانـيـ

إنـمـاـ الـكـأسـ رـبـيعـ يـتـعـاطـىـ بالـبـةـانـ

(١) في بعض الأصول «مرة»

(٢) في بعض الأصول : «فأنشدت الوليد : قينة في يمينها إبريق . فاستند حماد ، الرواية

٢٠ فقال» . والشعر لعدي بن زيد . ورواية الشطر الأول من البيت الأولى في الأغانى

(ج ٦ ص ١٢٣ طبعة بلاق)

* ثم ثاروا إلى الصبور فقامت *

ووف (ج ٦ ص ١٦٨) وشعراء النصرانية :

* ودعوا إلى الصبور يوماً خاءت *

٢٥ فدمته (بالفاء) : وضعت في فه الفدام . والفادم (كتاب) : ما يوضع في فم الإبريق كالمصفاة . والذى في الأصول والأغانى : «قدمته» (بالفاف) .

(٤) في الأغانى (ج ٩ ص ١٣٠) طبعة دار الكتب : «والقبروان» والشعر لعمرو ابن سعيد بن زيد .

وقال أيضاً :

وصفراء في الكأس كالزَّعْفَرَانِ سَبَاهَا الدَّهَاقِينُ^(١) من عَسْقَلَانِ
لَهَا حَبَّبٌ كَلَّا^(٢) صُفْقَتْ تَرَاهَا كَلْمَةً بَرْقٍ يَمَانِي
وقال أيضاً :

لَيْتَ حَظِّيَ الْيَوْمَ مِنْ كُلِّ مَعَاشِ لِي وَزَادَ
قَهْوَةً أَبْدُلُ فِيهَا طَارِفَ بَعْدَ^(٣) تِلَادِي
فِيظَلُ^(٤) الْقَلْبُ مِنْهَا هَائِمًا فِي كُلِّ وَادِي
إِنَّ فِي ذَاكَ فَلَاحِي وَصَلَاحِي وَرَشَادِي

وقال :

امْدَحْ الْكَأْسَ وَمَنْ أَعْمَلَهَا وَأَهْجُ قَوْمًا قَتَلُونَا بِالْعَطْشِ
إِنَّا الْكَأْسَ رَبِيعٌ بَاكِرٌ فَإِذَا مَا لَمْ نَذْقُهَا لَمْ نَعْشُ^(٥)
وَبَلَغَ الْوَلِيدَ أَنَّ النَّاسَ يَعْيَبُونَهُ وَيَنْقُصُونَهُ بِالشَّرَابِ وَطَلَبَ الْلَّذَاتِ ،

٣٤٥
٢

فَقَالَ فِي ذَلِكَ :

وَلَقَدْ قَضَيْتُ ، وَلَمْ يُجْلِلْ لَمَّا^(٦) شَيْبٌ ، عَلَى رَغْمِ الْعِدَادِ لِذَاتِي
مِنْ كَاعِبَاتِ كَالْدَمَى وَمَنَاصِفِ وَمَرَاكِبِ لِلصَّيْدِ وَالنَّشَوَاتِ
فِي فِتْيَةِ تَأْبِي الْهَوَانِ^(٧) وَجُوْهُرُهُمْ شُمُّ الْأَنُوفِ جَحَاجِحُ سَادَاتِ

(١) في الأغانى (ج ١ ص ١٥٧ طبعة دار الكتب المصرية) : « التجيب » .

(٢) كذا في مرسوج الذهب (ج ٢ ص ١٨٦) . وفي بعض الأصول : « فارة ربع » . والذى في سائر الأصول : « قاد رمح » .

(٣) في الأغانى (ج ٦ ص ١٢٤ طبعة بلاق) : « ثم » .

(٤) في بعض الأصول : « فيزال » .

(٥) الشعر لتابعة بنى شيبان كما في الأغانى (ج ٦ ص ١٥١ طبعة بلاق) . ورواية عجز هذا البيت فيه :

* فَإِذَا مَا غَابَ عَنَا لَمْ نَعْشُ *

(٦) في الأغانى (ج ٧ ص ١٢ طبعة دار الكتب المصرية) : « وإن يجعل إتي » .

(٧) في بعض الأصول : « الشموس » .

إنْ يَطْلُبُوا بِتَرَاتِهِمْ يُعْطُوْهَا ^(١) أَوْ يُطْلُبُوا لَا يُدْرِكُوا بِتَرَاتِ
وَقَالَ مَعاوِيَةُ بْنُ عُمَرَ بْنُ عُتْبَةَ ^(٢) لِلْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ حِينَ تَغَيَّرَ لِلنَّاسِ وَطَعَنُوا
عَلَيْهِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّهُ يُنْطَقُنِي الْأَنْسُ ^(٣) بِكَ ، وَتُسْكِنَنِي ^(٤) الْهَبِيبَ لَكَ ،
وَأَرَاكَ تَأْمِنُ أَشْيَاءَ أَخْافُهَا عَلَيْكَ ، أَفَأَسْكَتَ مُطْبِعًا أَمْ أَقُولُ مُشْفِقًا ؟ قَالَ : كُلُّ
مَقْبُولٍ مِنْكَ ، وَلَهُ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٌ لَنَحْنُ صَائِرُونَ إِلَيْهِ . فَقُتِلَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَيَامٍ .
وَقَالَ الْوَلِيدُ إِذَا أَكَثَرَ النَّاسُ الْقَوْلَ فِيهِ :

خُذُوا مُلْكَكُمْ لَا ثَبَّتَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ ثَبَاتًا يُساوِي مَا حَيَيْتُ عِقَالًا ^(٥)
دَعُوا لِي سُلَيْمَى مِنْ طِلَاءِ وَقِينَةِ كَوْسٍ ^(٦) ، أَلَا حَشْبِي بِذَلِكَ مَا لَا
أَبَالْمُلْكَ أَرْجُو أَنْ أَخْلَدَ فِيمَكَ أَلَا رَبَّ مُلْكٍ قَدْ أَزَيلَ فَرَالا
أَلَا رَبَّ دَارٍ قَدْ تَحْمَلَ أَهْلُهَا فَاضْحَتْ قَفَارًا وَالْقِفَارَ ^(٧) حَلَالًا ١٠
قال إِسْحَاقُ بْنُ مُحَمَّدِ الْأَزْرَقَ : دَخَلَتْ عَلَى مَنْصُورِ بْنِ جُمَهُورِ الْكَلَبِيِّ ^(٨) بَعْدَ
قَتْلِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ ، وَعِنْدَهُ جَارٌ يَقَانُ مِنْ جَوَارِي الْوَلِيدِ ، فَقَالَ لِي : أَسْمَعْ مِنْ
هَاتِينِ الْجَارِيَتِينَ مَا يَقُولَانِ . قَالَتَا : قَدْ حَدَّثَنَا . قَالَ : بَلْ حَدَّثَنَا كَاحَدَثَتِنَا .
قَالَتِ إِحْدَاهُما : كُنَّا أَعْزَّ جَوَارِيَهُ عِنْدَهُ ، فَنَكَحَ هَذِهِ وَجَاءَ الْمُؤْذِنُونَ يُؤَذِّنُونَهُ
بِالصَّلَاةِ ، فَأَخْرَجَهَا وَهِيَ سَكْرِي جُنْبَةٌ مَقْلَمَةٌ فَصَلَّتْ بِالنَّاسِ . ١٥

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « بِنِوَالْهِمْ يَعْطُونَهَا » .

(٢) فِيهَا ص (ج ١ ص ١٢) مِنْ هَذِهِ الطَّبْعَةِ : « عُمَرُ بْنُ عُتْبَةَ » وَانْظُرْ الْحَاشِيَةَ

(رَقْمُ ٨) فِي الْمَوْضِعِ الْمُتَقَدِّمِ .

(٣) كَذَّا فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : وَفِيهَا مِنْ الْجَزْءِ الْأَوَّلِ وَعِيُونُ الْأَخْبَارِ (ج ٢ ص ٩٢) .

وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَلِ : « الْأَمْنُ » .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَتَسْبِقُنِي إِلَيْكَ » مَكَانٌ « وَتُسْكِنَنِي » .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ « قِبَالًا » .

(٦) فِي الْأَغْنَانِ (ج ٨ ص ٧٩ طَبْعَةُ دَارِ الْكِتَابِ) : « وَالْطَّلَاءُ وَقِينَةُ * وَكَأسًا » .

(٧) فِي أَكْثَرِ الْأَصْوَلِ : « وَالْدِيَارِ خَلَالًا » .

(٨) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « مَنْصُورُ بْنُ جَمْهُورِ الْأَزْدِيِّ » . وَمَا أَتَبَتَنَا مِنْ سَائِرِ الْأَصْوَلِ

وَالْطَّبَرِيُّ وَابْنِ عَسَكِرٍ (ج ٤٣ ص ٤١٩) . وَكَانَ خَرَجَ مَعَ يَزِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ ،

وَوَلَاهُ يَزِيدُ الْأَعْرَاقِينَ وَجَمَعَ لَهُ الْمَصْرِينَ : الْكُوفَةَ وَالْبَصَرَةَ . وَكَانَ مِنْ سَمِّي

فِي قَتْلِ الْوَلِيدِ بْنِ يَزِيدَ .

مقتل الوليد بن يزيد

إسماعيل بن إبراهيم قال : حدثني عبد الله بن واقد الجرجاني ، وكان شهداً
 قتيل الوليد ، قال : لما أجمعوا على قتله ، قلدوا أمرهم يزيد بن الوليد بن
 عبد الملك ، نخرج يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فاتى أخاه العباس ليلاً فشاوره
 في قتيل الوليد ، فتهان عن ذلك ، فأقبل يزيد ليلاً حتى دخل دمشق في أربعين
 رجلاً ، فكسرروا باب المقصورة ، ودخلوا على واليها فأوثقوه ، وحمل يزيد
 الأموال على العجل إلى باب المضمار ، وعقد لعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك
 ونادى مناديه : من انتداب إلى الوليد فله ألفان ، فانتدب معه ألفارجل ، وضم
 مع عبد العزيز بن الحجاج يعقوب بن عبد الرحمن ، ومنصور بن جعور^(٢) . وبلغ
 الوليد بن يزيد بن عبد الملك ذلك ، فتوجه من البلقاء إلى حمص ، وكتب إلى
 العباس بن الوليد أن يأتيه في جند من أهل حمص ، وهو منها قريب ، وخرج
 الوليد حتى انتهى إلى قصر في برية ورمل من تدمر على أميال ، وصبت تحت
 الخيل الوليد بالمخراة^(١) . وقدم العباس بن الوليد بغير خيل ، فحبسه عبد العزيز
 ابن الحجاج خلفه ، ونادى منادى عبد العزيز : من أتى العباس بن الوليد فهو
 آمن ، وهو بيننا وبينكم . وظن الناس أن العباس مع عبد العزيز ، فتفرقوا عن
 الوليد ، وهجم عليه الناس . فكان أول من هجم عليه السرى بن زياد بن
 أبي كبشة السكسي ، وعبد السلام اللخمي ، فأهوى إليه السرى بالسيف ،
 وضربه عبد السلام على قرنه فقتل .

قال إسماعيل : وحدثني عبد الله بن واقد قال : حدثني يزيد بن أبي فروة
 مولى بنى أمية ، قال : لما أتى يزيد برأس الوليد بن يزيد ، قال لي : انصبه
 للناس ، قلت : لا أفعل ، إنما يُنصب رأس الخارج . خلف لم يُنصب ولا يُنصبه

(١) في بعض الأصول : « الصحراء » . . (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٥٢ من هذا الجزء) .

(٢) انظر الحاشية (رقم ٨ ص ٤٦٠) من هذا الجزء .

^{٣٤٦} ^٢ غيري . فوضع على رمح ونصب على درج مسجد دمشق . ثم قال : أذهب فطف به في مدينة دمشق .

خليفة بن خياط قال : حدثني الوليد بن هشام عن أبيه قال : لما أحاطوا بالوليد أخذ المصحف وقال : أقتل كا قُتل ابن عمى عثمان .

أبو الحسن المدائى قال : كان الوليد صاحب له وصيده وشراب ولذات .
فلم يألف الأمر جعل يكره الموضع الذى يراه الناس فيها ، فلم يدخل مدينة من مدن الشام حتى قُتل ، ولم يزل يتنقل ويتصيد حتى قُتل على الناس وعلى جُنده . وأشتد على بني هشام ^(١) وأضر بهم ، وضرب سليمان بن هشام مائة سوط ، وحلق رأسه ولحيته ، وغَرّ به إلى عمان ، فلم يزل محبوساً حتى قُتل الوليد . وحبس يزيد بن هشام ، وهو الأفقم ، فرمى بنوهشام ^(١) وبنو الوليد . وكان أشدّهم قوله
فيه يزيد بن الوليد ، وكان الناس إلى قوله أميل ، لأنّه كان يُظهر الذكك . ولما دفع الوليد خالد بن عبد الله القسري إلى يوسف بن عمر فقتله ، غضبت له اليهانية كلّها وغيرهم ، فأتوا يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، فأرادوه على البيعة وخلع الوليد ، فأمتنع عليهم وخاف أن لا تُبايعه الناس ، ثم لم يزل الناس به حتى بايعوه سرّاً .
^{١٥}

ولما قُتل الوليد بن يزيد قام يزيد بن الوليد خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : أيها الناس ، إني والله ما خرجت أشراً ولا بطراً ، ولا حرصا على الدنيا ، ولا رغبة في الملك ، وما بي إطراء نفسي ، وترزكية عملي ، وإني لظلوم لنفسي إن لم يرحمي ربى ، ولكنني خرجت غضباً لله ودينه ، وداعياً إلى كتاب الله وسنة نبيه ، حين درست معلم المهدى ، وطفى نور التقوى ، وظهر الجبار ^{٢٠} العفيف ، المستحق للحِرمة ، والرَّاكِب للْبِدْعَة ، والمُغَيِّر لِلسنة ، فلما رأيت ذلك أشفقت أن غَشِيَّتكم ظلمة لا تُقْلِمُ عنكم ، على كثرة من ذنبكم ، وقسوة من

(١) في بعض الأصول : « بني هاشم » .

قلوبكم ، وأشفقتُ أن يدعوكُم كثيرون من الناس إلى ما هو عليه فِي جحيمه من أجرابه
منكم ، فاستخرتُ الله في أمرى ، وسألته أن لا يَكُلني إلى نفسي ، ودعوتُ
إلى ذلك من أجري من أهلى وأهل ولايتي ، وهو ابن عمّي في نسبى ، وكفني
في حسبي ، فأراح الله منه العباد ، وظهر منه البلاء ، ولالية من الله وعوناً^(١) ، بلا
حول مُنَا ولا قوّة ، ولكن بحول الله وقوته ، وولايته وعونه^(٢) . أيها الناس :
إن لكم على إِنْ وَلَيْتْ أُمُورَكُمْ أَنْ لَا أَضْعَ لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ ، وَلَا حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ ،
وَلَا أَنْقُلْ مَالًا مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ ، حَتَّى أَسْدُ شَعَرَهُ ، وَأَقْسَمْ بَيْنَ أَهْلِهِ مَا يَقْوُونَ بِهِ ،
إِنْ فَضَلَ رَدْدُهُ إِلَى أَهْلِ الْبَلَدِ الَّذِي يَلِيهِ ، وَمَنْ هُوَ أَحْوَاجُ إِلَيْهِ ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ
الْمُعْدِشَةُ بَيْنَ الْمُسَامِينَ وَتَكُونُوا فِيهِ سَوَاءٌ ، وَلَا أَجْمَرْكُمْ فِي بُعُوثِكُمْ^(٣) فَتَفَقَّنُوا
وَيُفْنِنُ أَهْالِكُمْ ، إِنْ أَرْدَتُمْ بَيْعَتِي عَلَى الَّذِي بَذَاتِكُمْ فَأَنَا لَكُمْ بِهِ ، وَإِنْ
مِلَتْ فَلَا بَيْعَةَ لِي عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ رَأَيْتُمْ أَحَدًا هُوَ أَقْوَى عَلَيْهَا مِنِّي فَأَرْدَتُمْ بَيْعَتِهِ فَأَنَا
أُولُو مَنْ بَايِعُ وَدَخَلَ فِي طَاعَتِهِ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ .

وقال خلف بن خليفة في قتل الوليد بن يزيد : لقتل^(٤) خالد بن عبد الله :
لقد سَكَنَتْ كَلْبٌ وَأَسِيفٌ^(٥) مَذْحَجٌ صَدَى كَانَ يَزْقُو^(٦) لِيَلَهُ غَيْرَ رَاقِدٍ
تَرَكَنَا^(٧) أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِخَالِدٍ^(٨) مُكَبِّلًا عَلَى خَيْشُومَهُ غَيْرَ سَاجِدٍ
إِنْ تَقْطَعُوا مَنَا مَنَاطِ قِلَادَةٍ قَطَعُنَا بِهَا مَنَاطِ مَنَاطِ قِلَادَةٍ
وَإِنْ تَشْغُلُوهُ عَنْ أَذَانٍ^(٩) فَإِنَا شَغَلْنَا الْوَالِيدَ عَنْ غِنَاءِ الْوَالِيدِ

(١) فيما سبق من هذا الجزء (ص ٩٦) . « وعزما » .

(٢) فيما سبق من هذا الجزء (ص ٩٦) . « وعزته » .

(٣) جر الجيش : حبسه في أرض العدو ولم يفله . وفي بعض الأصول : « ولا أحد يعوزكم » .

(٤) في بعض الأصول . « يقول في قتل » مكان « لقتل » .

(٥) في الطبرى (ج ٦ ص ٥٦٣) طبعة الاستقامة : « وإسباق » .

(٦) زقا الصدى : صاح .

(٧) في بعض الأصول : « تركن » .

(٨) في بعض الأصول : « جليلة » .

(٩) كذلك في بعض الأصول . والذى فى سائر الأصول والطبرى : « وإن تشغلوه عن ندائنا » .

ولاية يزيد الناقص

شم بويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك في أول رجب سنة ست وعشرين
ومائة . وأمه أبنته يزدجرد بن كسرى^(١) ، سباهها قتيبة بن مسلم بخراسان وبعث
بهما إلى الحجاج بن يوسف ، فبعث بها الحجاج إلى الوليد بن عبد الملك ،
فأنخذها فولدت له يزيد الناقص ، ولم تلد غيره . ومات يزيد بن الوليد بدمشق
لعشرين بقين من ذي الحجة سنة ست وعشرين ومائة ، وهو ابن خمس وثلاثين
سنة . وصلى عليه أخوه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك .

قال عبد العزيز : بويع وهو ابن تسع وثلاثين سنة ، ومات ولم يبلغ
الأربعين ، وعلى شرطته بيكير بن الشماع الأذخي^(٢) . وكاتب الرسائل ابن سليمان
بن سعد^(٣) . وعلى الخراج والجند والخاتم الصغير والحرس النضر بن عمرو ، من
أهل اليمن . وعلى خاتم الخلافة عبد الرحمن بن حميد الكلبي ، ويقالقطن ،
مولاه .

وكتب يزيد بن الوليد إلى مروان بن محمد بالجزيرة ، وبأغله عنه تلسكاً في
بيعته : أما بعد . فإنني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فإذا أتاك كتابي هذا
فأعتمد على أيهما شئت ، والسلام . ثم قطع إليه البعث^(٤) ، وأمر لهم بالعطاء .
فلم ينتص عطاهم حتى مات يزيد .

ولما بلغ مروان أن يزيد قطع البعث إليه كتب بيعته ، وبعث وفداً

(١) الذي في الطبرى أن اسمها شاه آفريد بنت فiroz بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى . والذى فى مروج الذهب أن أمها سارية بنت فiroz .

٤٠ (٢) فى بعض الأصول : « بيكير بن عثمان الحسيني » .

(٣) هو ثابت بن سليمان بن سعد الحشنى ، كما فى الطبرى . وفي بعض الأصول : « ابن أبي سليمان » :

(٤) البعث : جمع بعث (بالفتح وبحرك) : الجيش ؟ ويقال : قطع بعثا ، إذا أفرد قوماً يبعثهم فى الغزو ويعينهم من غيرهم .

عليهم سليمان بن علامة العقيلي^(١). نخرج ، فلما قطعوا الفرات لقيهم بريد بموت يزيد ، فانصرفوا إلى مروان بن محمد ، والله أعلم .

ولاية إبراهيم بن الوليد المخلوع

العلاء بن يزيد بن سنان قال : حدثني أبي قال : حضرت يزيد بن الوليد حين حضرته الوفاة فأتاه قطن ، فقال : أنا رسول من وراء بابك ، يسألونك بحق الله لو وليت أمرهم أخاك إبراهيم بن الوليد . فغضب وضرب بيده على جبهته وقال : أنا أولى بإبراهيم ! ثم قال لي : يا أبا العلاء ، إلى من ترى أن أعهد ؟ قلت : أسر نهيتها عن الدخول في أوله ، فلا أشير عليك بالدخول في آخره . قال : فأصابته إغماء حتى ظفت أمه قد مات ، ففعَّل ذلك غير مرأة ، ثم خرجت من عنده .

فقد قطن وأفتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد لإبراهيم بن الوليد ، ودعا ناساً فأشهدهم عليه . قال : والله ما عهد إليه يزيد شيئاً ولا إلى أحد من الناس^(٢) . وقال يزيد في مرضه : لو كان سعيد بن عبد الملك قريباً مني لرأيته فيه رأي .

وفي رواية أبي الحسن المدائني ، قال : لما مرض يزيد قيل له : لو بايعت لأخيك إبراهيم ولعبد العزيز بن الحجاج بعده ؟ فقال له قيس بن هاني العبسى : أتق الله يا أمير المؤمنين ، وانظر لنفسك ، وأرض الله في عباده ، فأجعل ولئنه عبد الملك بن عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك . فقال يزيد : لا يسألني الله عن ذلك ، ولو كان سعيد بن عبد الملك مني قريباً لرأت فيه رأي . وكان يزيد يرى رأى القدرية ويقول بقول غيلان . فألحت القدرية عليه

(١) الذي في الطبرى : « محمد بن عبد الله بن علامة العقيلي » .

(٢) في بعض الأصول : « فقد قطن فأفتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد ودعا ناساً فأشهدهم عليه ، فقال : إني والله ما عهد إلى إبراهيم ولا إلى أحد من الناس » .

وقالوا : لا يَحْلُّ لِكَ إِهَالُ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، فَبَايِعَ لِأَخِيكَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْوَلِيدِ
وَلِعَبْدِ الْعَزِيزِ مِنْ بَعْدِهِ . فَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى بَايِعَ لِإِبْرَاهِيمَ بْنَ الْوَلِيدِ وَلِعَبْدِ الْعَزِيزِ
مِنْ بَعْدِهِ .

وَمَاتَ يَزِيدُ لِعَشْرِ بَقِينَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةً سَتَّ وَعِشْرِينَ وَمَائَةً . وَكَانَتْ
٥ وَلَا يَتَّهِي خَمْسَةُ أَشْهُرٍ وَأَثْنَيْ عَشْرَ يَوْمًا^(١) :

فَلَمَّا قَدِمَ سَرْوَانُ نَبَشَ يَزِيدَ مِنْ قَبْرِهِ وَصَلَبِهِ . وَكَانَ يُقْرَأُ^(٢) فِي الْكِتَابِ :
يَا مُبْدِرَ الْكُنُوزِ ، يَا سَجَادَةَ الْأَسْحَارِ ، كَانَتْ وَلَا يَتَّكَلُّ لَهُمْ رَحْمَةٌ ، وَعَلَيْهِمْ حُجَّةٌ .
نَبْشُوكَ فَصَلَبُوكَ .

وَبَوَيْعَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ الْوَلِيدِ ، وَأُمِّهِ بَرْبَرِيَّةَ ، فَلَمْ يَتَمَّ لِهِ الْأَمْرُ ، وَكَانَ يَدْخُلُ
عَلَيْهِ قَوْمٌ فَيُسْلِمُونَ بِالْخَلَافَةِ ، وَقَوْمٌ يُسْلِمُونَ بِالْإِرْسَةِ ، وَقَوْمٌ لَا يُسْلِمُونَ بِالْخَلَافَةِ
وَلَا بِالْإِرْسَةِ ، وَجَمَاعَةٌ تُبَايِعُ ، وَجَمَاعَةٌ يَأْبَىُونَ أَنْ يَبَايِعُوا . فَسَكَتَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ ،
١٠ حَتَّى قَدِمَ سَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ فَخَلَعَ إِبْرَاهِيمَ وَقَتَلَ عَبْدَ الْعَزِيزَ بْنَ الْحَجَّاجَ ، وَوَلَّ
الْأَمْرَ بِنَفْسِهِ .

٣٤٨ ٢
وَفِي رَوَايَةِ خَلِيفَةِ بْنِ خَيَاطٍ قَالَ : لَمَّا أَتَى سَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ وَفَاتَهُ يَزِيدُ بْنُ
الْوَلِيدِ دُعَا قَيْسًا وَرَبِيعَةَ ، فَفَرَضَ لِسْتَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا مِنْ قَيْسَ ، وَسَبْعَةَ آلَافَ
١٥ مِنْ رَبِيعَةَ ، وَأَعْطَاهُمْ أَعْطِيَاتِهِمْ ، وَوَلَّ عَلَى قَيْسَ إِسْحَاقَ بْنَ مُسْلِمٍ الْعُقِيلِيَّ ،
وَعَلَى رَبِيعَةِ الْمُسَاوِرَ بْنِ عُقْبَةَ ، ثُمَّ خَرَجَ يَرِيدَ الشَّامَ ، وَأَسْتَخْلَفَ عَلَى الْجَزِيرَةِ أَخَاهُ
عَبْدَ الْعَزِيزَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ مَرْوَانَ ، فَتَلَقَّاهُ وُجُوهُ قَيْسَ^(٣) : الْوَثِيقَ بْنَ الْهُذَيْلَ بْنَ زُفَرَ ،
وَيَزِيدَ بْنَ عَمْرٍ^(٤) بْنَ هُبَيْرَةَ الْفَزَارِيَّ ، وَأَبُو الْوَزْدَ بْنَ الْهُذَيْلَ بْنَ زُفَرَ ، وَعَاصِمَ بْنَ
٢٠ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْمَلَائِيَّ ، فِي خَمْسَةَ آلَافٍ مِنْ قَيْسَ . فَسَارُوا مَعَهُ حَتَّى قَدِمُ
حلَبَ ، وَبَهَا بَشَرٌ وَمَسْرُورٌ ، ابْنَا الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلَكِ ، أَرْسَلَهُمَا إِبْرَاهِيمَ بْنَ

(١) تَقْدِمُ هَذِهِ الْحِبْرُ (ص ٤٦٤) مِنْ هَذَا الْجَزْءِ :

(٢) فِي الْبَيَانِ (ج ٢ ص ٧٠) : « وَكَانُوا يُقْرَأُونَ فِي الْكِتَابِ » .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « قَرِيشٌ » .

(٤) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « عُمَرُو » . وَالتَّصْوِيبُ مِنْ سَائرِ الْأَصْوَلِ وَالْطَّبَرِيِّ .

الوليد حين بلغه مسیر مروان بن محمد ، فالتقاو ، فانهزم بشر ومسرور من ابن محمد من غير قتال ، فأخذها مروان فبسما عنده . ثم سار مروان حتى أتى حمص ، فدعاهم المسير معه والبيعة لولي العهد . الحكم وعثمان ، ابني الوليد بن يزيد ، وهو محبومان عند إبراهيم بن الوليد بدمشق ، فباعوه ، وخرجوا معه حتى أتى عسكر سليمان بن هشام بن عبد الملك بعد قتال شديد . وبلغ عبد العزيز ابن الحجاج بن عبد الملك ملقى سليمان وهو معسكر في ناحية عين^(١) الجر ، فأقبل إلى دمشق ، وخرج إبراهيم[ُ] بن الوليد من دمشق ، ونزل بباب الجابية وتهيأ للقتال ، ومعه الأموال على العجل ، ودعا الناس فخذلوه . وأقبل عبد العزيز ابن الحجاج وسليمان بن الوليد فدخلوا مدينة دمشق يُريدان قتل الحكم وعثمان ابني الوليد وهما في السجن . وجاء يزيد[ُ] بن خالد بن عبد الله القسري فدخل السجن فقتل يوسف بن عمر ، والحكم وعثمان ابني الوليد بن يزيد ، وهو الحملان^(٢) ، وأتاهم رسول إبراهيم ، فتوجه عبد العزيز بن الحجاج إلى داره ليخرج عليه ، فثار به أهل دمشق فقتلوا واحتزوا رأسه ، فأتوا به أبو محمد بن عبد الله بن يزيد ابن معاوية^(٣) ، وكان محبوساً مع يوسف بن عمر وأصحابه ، فأخرجوه ووضعوه على المنبر في قيوده ، ورأس عبد العزيز بين يديه ، وحلوا قيوده . فخطبهم وباع لهم وشتم يزيد وإبراهيم ابني الوليد ، وأمر بجثة عبد العزيز فصلبت على باب الجابية منكوساً ، وبعث برأسه إلى مروان بن محمد . واستأمن أبو محمد لأهل دمشق ، فأقامهم مروان ورضي عنهم . وبلغ إبراهيم فخرج هارباً حتى أتى

(١) عين الجر : موضع معروف بالبقاع بين بعلبك ودمشق . وفي بعض الأصول وابن عساكر (ج ٤١ ص ١٨٣) تيمور : « في ناحية أخرى ». وفي سائرها : « الرى » تحريف . والعبرة كما في ابن عساكر : « حتى أتى عسكر سليمان بن هشام ابن عبد الملك بالعذراء (قرية بغوطة دمشق) فأنهزم سليمان بن هشام بعد قتال شديد . وبلغ عبد العزيز ... في ناحية أخرى ». وما أثبتنا من سائر الأصول والطبرى .

(٢) كما في بعض الأصول وابن عساكر . والذى في سائر الأصول : « غلامان » .

(٣) انظر الحاشية رقم (١ س ٤٤٩) من هذا الجزء .

مروان فبأيده وخلع نفسه ، فقبل منه وأمنه ، فسار إبراهيم فنزل الرقة على
شاطى الفرات ، ثم أتاه كتاب سليمان بن هشام يسأله ، فأمنه ، فأتاه فبأيده .
وأستقامت لمروان بن محمد . وكانت ولادته إبراهيم بن الوليد الخلوع أشهرًا .
قال أبو الحسن : شهرین ونصفا .

ولاية مروان بن محمد بن مروان

ثم يوم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم . أمه بنت إبراهيم بن الأشتر . قال بعضهم : بل كانت أمه لختاز لمصعب بن الزبير أو لأبن الأشتر . واسم الختاز رُزْبَا ، وقال بعضهم : كان رُزْبَا عبداً لمسلم بن عمرو ^(٥) الباهلي . وقال أبو العباس الملاي ^(١) حين دخل على أبي العباس السفاح : الحمد لله الذي أبدلنا بحمار الجزيرة وابن أمة النَّجَع ابن عم رسول صلى الله عليه وسلم وابن عبد المطلب . وكان مروان بن محمد أحزم بن مروان وأبيه مروان وأباهم ، وأكفهم ولـى الخلافة والأمر مُدبر عنهم .

وُدْفِعَ إِلَى مَرْوَانَ أَبِيَّاتَ قَالَهَا الْحَكَمُ بْنُ الْوَلِيدِ وَهُوَ مُحْبُوسٌ، وَهِيَ :

أَلَا فِتْيَانَ مِنْ مُخْرِيٍّ فَيَحْمُوا
أَنْذَهْبُ عَاصِمَ بَدْمِي وَمُلْكِي^(٢)
إِنْ أَهْلِكَ أَنَا وَوَلَى عَهْدِي
فَأَرَثْ لَا عَدْمَكَ حَرْبَ قِيسَ
أَلَا مِنْ مُبْلِغِ صَرْوانَ عَنِي
لَدِي الْبَخْرَاءُ^(٣) فِي اِحْفِي مَهِينَا
وَعَنِي الْغَمْرَ طَالْ بِذَا حَنِينَا
فَتُخْرِجَ مِنْهُمْ الدَّاءُ الدَّفِينَا
فَرِوانُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَا
فَلَا غَثَا أَصْبَتُ وَلَا سَمِينَا

(١) في بعض الأصول «مسلم بن عمر الباهلي» .

(٢) في الطبرى (٣ : ٥١) : « عبد الله بن عياش المتنوف » .

(٢) في الطبرى (٢ : ١٨٩١) ؛ « أينذهب كلبهم بدمى ومالى » .

(٣) في بعض الأصول: «الحضراء».

وُقتل مَرْوَانُ بْوْصِيرٍ^(١) من أرض مصر في ذي الحِجَّةِ سنة اثنتين وثلاثين
ومائة .

الوليد بن هشام عن أبيه ، وعبد الله بن المغيرة عن أبيه ، وأبو اليقظان قالوا :
وُلد مَرْوَانُ بالجزيرَةِ سنة اثنتين وسبعين ، وُقتل بقريةٍ من قرى مصر يقال لها
بُوصير ، يوم الخميس تمس بقين من ذي الحِجَّةِ سنة اثنتين وثلاثين ومائة .
وكانت ولادته خمس سنين وستة أشهر وعشرون أيام ، وأم مَرْوَانُ أمَّةً لم يُصب
ابن الزبير . وُقتل وهو ابن ستين سنة .

ولد مَرْوَان

عَبْدُ الْمَلِكَ ، وَمُحَمَّدٌ ، وَعَبْدُ الْعَزِيزِ ، وَعَبْيَدُ اللَّهِ ، وَأَبَانٌ ، وَيَزِيدٌ ،
وَمُحَمَّدُ الْأَصْغَرُ ، وَأَبُو عَمَانَ . ١٠

وَكَاتِبُهُ عَبْدُ الْحَمِيدَ بْنُ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ ، مَوْلَى بْنِ لُؤْيٍ ، وَكَانَ مَعْلِمًا .
وَكَانَ عَلَى الْقَضَاءِ سُلَيْمَانَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُلَيْلَةَ ، وَعَلَى شُرُطَتِهِ الْكَوْثَرَ بْنَ عُقْبَةَ
وَأَبُو الْأَسْوَدِ الْغَنْوَى . وَكَانَ لِلْحَرَسِ نُوبًا ، فِي كُلِّ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ نُوبَةً ، يَلِي ذَلِكَ
صَاحِبُ الْفَوْبَةِ . وَعَلَى حِجَابِهِ صَفَلًا وَمَقْلَاصًا . وَعَلَى الْخَاتِمِ الصَّغِيرِ عَبْدُ الْأَعْلَى
ابن ميمون بن مهران ، وَعَلَى دِيَوَانِ الْجَنْدِ عَمْرَانَ بْنَ صَالِحٍ ، مَوْلَى بْنِ هُذَيْلٍ . ١٥

مقتل مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ مَرْوَانَ

قَالُوا : وَالْتَّقِيُّ مَرْوَانُ وَعَامِرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ بْوْصِيرٍ من أرض مصر ، فَقَاتَلُوهُمْ
لِيَلًا ، وَعَبْدُ اللَّهِ وَعَبْيَدُ اللَّهِ ، ابْنَا مَرْوَانَ ، وَاقْفَانَ نَاحِيَةً فِي جَمْعِ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ ،
فَحَمَلَ عَلَيْهِمْ أَهْلُ خُراسَانَ فَأَزَّوْهُمْ عَنْ مَرَآكِبِهِمْ ، ثُمَّ كَرَّوْهُمْ فَهَزَّوْهُمْ حَتَّى

٢٠ (١) أبو صير (بكسر الصاد وواو سا كنة وراء) : اسم لأربع قرى مصر : بوصير (قوريدس) من كورة الأشمونين ، وبوصير (السدر) ، بلدية في كورة الجيزة ، وبوصير (دفنون) من كورة الفيوم ، وبوصير (بنا) ، من كورة السمنودية . والأولى هي التي قُتلت بها مَرْوَانَ . (انظر معجم البلدان) .

رَدُّوه إلى عَسْكَرِهِمْ وَرَجَعُوا إِلَى مَوْقِعِهِمْ . ثُمَّ إِنَّ أَهْلَ الشَّامَ بَدَأُوهُمْ فَخَمَلُوا عَلَى
أَهْلِ خُرَاسَانَ ، فَكَشَفُوا كَشْفًا قَبِيْحًا ، ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى أَمَّاْكِنِهِمْ ، وَقَدْ مَضَى
عَبِيدُ اللَّهِ وَعَبْدُ اللَّهِ ، فَلَمْ يَرُوا أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِهِمْ ، فَضَوا عَلَى وُجُوهِهِمْ وَذَلِكَ فِي
السَّاحِرِ . وَقُتِلَ مَرْوَانٌ وَأَنْهَزَمَ النَّاسُ ، وَأَخْذُوا عَسْكَرَ مَرْوَانَ وَمَا كَانَ فِيهِ ،
وَأَصْبَحُوا فَاتِّبَاعًا لِلْفَلَّ وَتَفْرِقَ النَّاسَ ، فَجَعَلُوا يَقْتَلُونَ مَنْ قَدَرُوا عَلَيْهِ ، وَرَجَعَ ٥
أَهْلُ خُرَاسَانَ عَنْهُمْ . فَلَمَّا كَانَ الْغَدْرُ لِحَقِّ النَّاسِ^{١)} بَعْدَ اللَّهِ وَعَبِيدِ اللَّهِ أَبْنَى مَرْوَانَ
وَجَعَلُوا يَأْتُونَهُمْ مُّتَقْطَعِينَ الْعَشْرَةَ وَالْعَشْرَيْنَ وَأَكْثَرَ وَأَقْلَلَ ، فَيَقُولُونَ^(١) : كَيْفَ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : تَرَكَنَا هُنَّا يُقَاتِلُهُمْ ، وَيَقُولُ بَعْضُهُمْ : انْحَازَ وَنَابَ إِلَيْهِ
قَوْمٌ ، وَلَا يَنْدَعُونَهُ ، حَتَّى أَنَّا الْحَرُونَ ، فَقَالَ : كَنْتَ مَعَهُ أَنَا وَمَوْلَى لِهِ فَصُرِّعَ
فَخَرَّتُ بِرِجْلِهِ ، فَقَالَ : أَوْ جَعَتَنِي . فَقَاتَلَتْ أَنَا وَمَوْلَاهُ عَنْهُ^(٢) ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ مَرْوَانَ ، ١٠
فَأَلْحَوُا عَلَيْهِ ، فَتَرَكَتُهُ وَلَحْقَتُ بَكُمْ . فَبَكَى عَبْدُ اللَّهِ . فَقَالَ لِهِ أَخْوَهُ عَبِيدُ اللَّهِ :
يَا أَلَّمَ النَّاسَ ! فَرَرَتَ عَنْهُ وَتَبَكَّى عَلَيْهِ ! وَمَضَوْا . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانُوا أَرْبَعَةَ
آلَافَ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ ؟ كَانُوا أَلْفَيْنِ . فَأَتَوْا بِلَادَ النُّوْبَةَ ، فَأَجَرَى عَلَيْهِمْ مَلِكُ
النُّوْبَةَ مَا يُصْلِحُهُمْ ، وَمَعْهُمْ أُمَّ خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ وَأُمَّ الْحَكَمَ بْنَتْ عَبِيدِ اللَّهِ
— صَدِيقَةَ جَاءَهَا رَجُلٌ مِنْ عَسْكَرِ مَرْوَانَ حِينَ أَنْهَزَمُوا فَدَفَعَهَا إِلَى أَبِيهَا — ١٥
ثُمَّ أَجْمَعَ أَبْنَا مَرْوَانَ عَلَى أَنْ يَأْتِيَا الْيَمِنَ وَقَالَا : نَأْتِيهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتِيهَا الْمَسْوَدَةَ^(٣) ،
فَنَتَّهِيَصَنَّ^(٤) فِي حُصُونِهَا وَنَدْعُو النَّاسَ . فَقَالُوهُمْ صَاحِبُ النُّوْبَةَ : لَا تَفْعَلُوا ، إِنَّكُمْ

٣٥٠

٢

فِي بِلَادِ السُّودَانِ وَهُمْ فِي عَدْدٍ كَثِيرٍ ، وَلَا آمِنٌ عَلَيْكُمْ ، فَاقْرِيمُوا ، فَأَبْوَاهُ . قَالَ :
فَاكْتُبُوا إِلَيْهِ كَتَابًا ، فَكَتَبُوا لَهُ : إِنَّا قَدِمْنَا بِلَادَكَ فَأَحْسَنْتَ مَثْوَانَا وَأَشَرَتْ
عَلَيْنَا أَنْ لَا نَخْرُجَ مِنْ بِلَادِكَ فَأَبْيَدْنَا وَخَرَجْنَا مِنْ عَنْدِكَ وَافْرَيْنِ رَاضِيَيْنِ شَاهِرَيْنِ
لَكَ بِطِيبِ أَنْفُسِنَا . وَخَرَجْنَا ، فَأَخْذُونَا فِي بِلَادِ الْعَدُوِّ . فَكَانُوا رَبِيعًا عَرَضُوا لَهُمْ

(١) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « وَيَقُولُونَ » .

(٢) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « عَلَيْهِ » . (٣) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « السُّودَانُ » .

(٤) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « فَلَنْتَهِيَصَنَّ » .

وَلَا يَأْخُذُونَ مِنْهُمْ إِلَّا السلاحَ، وَأَكْثَرَ [مِنْ] ذَلِكَ لَا يُعْرِضُونَ لَهُ^(١). حَتَّى
أَتُوا بِعَضَ بَلَادِهِمْ، فَتَلَقَّاهُمْ عَظِيمُهُمْ فَأَحْتَبَسُوهُمْ، فَطَلَبُوا الْمَاءَ، فَهَنَعُوهُمْ وَلَمْ يُقَاتِلُوهُمْ
رَلَمْ يَخْلُهُمْ وَعَطَشُوهُمْ، رَكَانَ يَدِيهِمِ الْقِرْبَةَ بِخُمْسِينَ دِرْهَمًا، حَتَّى أَخْذَ مِنْهُمْ مَا
عَظِيْمَا. ثُمَّ خَرَجُوا فَسَارُوا حَتَّى عَرَضُ لَهُمْ جِبْلٌ عَظِيمٌ بَيْنَ طَرِيقَيْنِ، فَسَلَكَ عَبْدُ اللَّهِ
أَحَدَهُمَا فِي طَائِفَةٍ، وَسَلَكَ عَبْدُ اللَّهِ الْآخَرَ فِي^(٢) طَائِفَةً أُخْرَى، وَظَنُّوا أَنَّ
لِلْجِبْلِ غَايَةً يَقْطَعُونَهَا ثُمَّ يَجْتَمِعُونَ^(٣) عَنْدَ آخِرِهِ، فَلَمْ يَلْتَقُوهُ. وَعَرَضَ قَوْمٌ
مِنَ الْعُدُوِّ لِعَبْدِ اللَّهِ وَأَصْحَابِهِ فَقَاتَلُوهُمْ، فَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَخْذَتْ أُمُّ الْحَكْمَ بِنْتُهُ،
وَهِيَ صَلَبَيَّةٌ، وُقُتِلَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَكَفُّوا عَنِ الْبَاقِينَ وَأَخْذُوا سِلَاحَهُمْ.
وَتَقْطَعُ الْجَيْشُ، فَجَمَلُوا يَتَنَكَّبُونَ الْعُمَرَانَ فِيَأْتُونَ الْمَاءَ فَيُقْيِيمُونَ عَلَيْهِ الْأَيَامَ، فَتَمْضِي
طَائِفَةٌ وَتَقْيِيمُ الْآخَرِ^(٤)، حَتَّى بَلَغَ الْمَعْطَشَ مِنْهُمْ، فَكَانُوا يَنْحِرُونَ الدَّابَّةَ
فِيَقْطَعُونَ أَكْرَاسَهَا فَيَسْرُبُونَهُ، حَتَّى وَصَلَوْا إِلَى الْبَحْرِ بِحِيَالِ الْمَنْدَبِ^(٥)،
وَوَافَاهُمْ عَبْدُ اللَّهِ وَعَلَيْهِ مِقْرَمَة^(٦) قَدْ جَاءَ بِهَا. فَكَانُوا جَيْعاً حَسَـيْنَ أَوْ أَرْبَعِينَ
رَجُلًا، فِيهِمُ الْحِجَاجُ بْنُ قَتَدِيَّةَ بْنُ مُسْلِمِ الْحَرَوْنَ، وَعَفَّانَ، مَوْلَى بْنِ هَاشِمٍ^(٧)، فَعَبَرُوا
الْتَّجَارُ السُّفَنَ، فَعَبَرُوا بِهِمْ إِلَى الْمَنْدَبِ^(٨)، فَأَقَامُوا بِهَا شَهْرًا فَلَمْ تَحْمِلُهُمْ، نَفَرُوا
إِلَى مَكَّةَ . وَقَالَ بَعْضُهُمْ: أَعْلَمُ بِهِمُ الْعَالِمُ^(٩) نَفَرُوا مَعَ الْحِجَاجِ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ عَلَاظٌ
وَجِبَابٌ^(١٠) الْأَكْرَيَاءُ، حَتَّى وَافَوْجَدَةً وَقَدْ تَقْطَعَتْ أَرْجُلُهُمْ مِنَ الْمَشِّ . فَرَوَا
بِهِمْ، فَرَقُوا لَهُمْ خَمْلَوْهُمْ . وَفَارَقَ الْحِجَاجُ عَبْدَ اللَّهِ بِجَدَّةٍ. ثُمَّ حَجَّوَا وَخَرَجُوا مِنْ
مَكَّةَ إِلَى تَبَالَة^(١١) . وَكَانَ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ فَصَّأْجَرَ كَانَ قَدْ غَيَّبَهُ حِينَ عَبَرَ إِلَى الْمَنْدَبِ،

(١) فِي أَكْثَرِ الأَصْوَلِ: «لَهُمْ». (٢) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: «مَعْ».

(٣) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: «يَجْتَمِعُونَ بِهِمْ».

٢٠

(٤) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: «طَائِفَةٌ». (٥) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: «عَلَائِفَةٌ بِحِيَالِ الْمَنْدَبِ».

(٦) الْمَقْرَمَةُ: ثُوبٌ مِنْ صُوفٍ مَلُونٌ فِي أَلْوَانٍ مِنَ الْعَهْنِ، وَهُوَ صَفِيقٌ يَتَخَذُ سَرَّاً.

(٧) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: «مَوْلَى بْنِ سَلَمَ».

٢١

(٨) فِي أَكْثَرِ الأَصْوَلِ: «فَعَبَرُوا مَلِيَّهُمُ الْبَحْرُ فِي السُّفَنِ فَشَوَّا إِلَى الْمَنْدَبِ».

(٩) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ: «وَثِيَابٌ».

٢٢

(١٠) تَبَالَةُ: بَلْدَةٌ مُشْهُورَةٌ مِنْ أَرْضِ تَهَامَةَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَكَّةَ اثْنَانِ وَخَسْوَنَ فَرْسَخَةً.

فَلَمَّا أَمِنَ أَسْتَخْرِجُهُ ، وَكَانَتْ قِيمَتُهُ أَلْفَ دِينَارٍ ، وَكَانَ يَقُولُ وَهُوَ يَمْشِي : لَيْتَ
بِهِ دَابَّةً . حَتَّى صَارَ فِي مِقْرَمَةٍ^(١) تَكُونُ عَلَيْهِ بِالنَّهَارِ وَيَلْبِسُهَا بِاللَّيْلِ . فَقَالُوا : مَا رَأَيْنَا
مِثْلَ عَبْدِ اللَّهِ ، قَاتَلُوا فِي كَانَ أَشَدَّ النَّاسِ ، وَمَشَوْا فِي كَانَ أَقْوَاهُمْ ، وَجَاءُوْ فِي كَانَ
أَصْبَرُهُمْ ، وَعَرُّوْ فِي كَانَ أَحْسَنُهُمْ عُرْيَا . وَبَعْثَ ، وَهُوَ بِالْمَنْدَبِ ، إِلَى الْعَدُوِّ الَّذِينَ
أَخْذُوا أُمَّ الْحَكْمِ بَنْتَ أَخِيهِ عُبَيْدِ اللَّهِ فَفَدَاهَا وَرَدَّهَا إِلَيْهِ ، فِي كَانَ مَعَهُ . ثُمَّ
أَخْذَ عَبْدَ^(٢) اللَّهِ فَقَدِمَ بِهِ عَلَى الْمَهْدَى^(٣) ، بِجَاءَتْ امْرَأَتُهُ بَنْتُ يَزِيدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ
مَرْوَانَ بْنَ الْحَكْمِ ، فَكَلَّمَتِ الْعَبَاسَ بْنَ يَعْقُوبَ ، كَاتِبَ عَيْسَى بْنِ عَلَى^(٤) ، وَأَعْطَتْهُ
أُولَئِكُمْ فِي هِيَةِ عَيْسَى : فَكَلَّمَهُ وَأَعْلَمَهُ بِمَا أَعْطَتْهُ ، فَلَمْ يُكَلِّمْ فِي هِيَةِ عَيْسَى بْنِ عَلَى^(٥)
الْمَهْدَى^(٦) ، وَأَرَادَ الْمَهْدَى^(٧) أَنْ يَقْتُلَهُ^(٨) ، فَقَالَ لَهُ عَيْسَى : إِنَّ لَهُ فِي أَعْنَاقِنَا بَيْعَةً ،
وَقَدْ أَعْطَى كَاتِبَ قِيمَةَ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ ، فَجَبَسَهُ الْمَهْدَى^(٩) .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ تَزَوَّجُ أُمَّ يَزِيدَ بَنْتَ يَزِيدَ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ مَرْوَانَ ،
وَكَانَتْ فِي الْحَبْسِ ، فَلَمَّا أَخْرَجُوهُمُ الْعَبَاسَ خَرَجَتْ إِلَى مَكَّةَ ، فَأَفَاقَتْ بِهَا ، وَقَدِمَ
عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَرْوَانَ سَرِّاً فَتَزَوَّجَهَا .

وَقَالَ مَوْلَى مَرْوَانَ : كَنْتُ مَعَ مَرْوَانَ وَهُوَ هَارِبٌ ، فَقَالَ لَيْ يَوْمًا : أَيْنَ
عَزَّبَتْ عَنَا حَلُومُنَا فِي نِسَائِنَا ! أَلَا زَوْجُنَا هُمْ مِنْ أَكْفَاهِنَا فَكُفِّيْنَا
مُؤْتَهِنَ الْيَوْمَ .

وَقَالَ : بَعْضُ آلِ مَرْوَانَ ، مَا كَانَ شَيْءٌ أَنْفَعَ لَنَا فِي هَرَبَنَا مِنَ الْجَوَهْرِ
الْخَفِيفِ الثَّمَنِ الَّذِي يُسَاوِي خَمْسَةَ دَنَانِيرٍ فَهَا دُونُ ، كَانَ يُخْرِجُهُ الصَّبِيُّ وَالْخَادِمُ
فِي بَيْعَتِهِ ، وَكَنَا لَا نُسْتَطِعُ أَنْ نُظْهِرَ الْجَوَهْرَ الثَّمَنِ الَّذِي لَهُ قِيمَةٌ كَثِيرَةٌ .

٢٠ (١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ . « فِي مَرْقَعَةٍ » . وَانْظُرْ الْحَاشِيَةَ (رَقْمُ ٦ ص ٤٧١) .

(٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « عُبَيْدُ اللَّهِ » تَحْرِيفٌ .

(٣) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « أَنْ يَخْلِيَهُ » .

(٤) ذَكَرَ أَيْنَ عَسَى كَرَ هَذِهِ الْفَصْنَةَ مَفْسُوْبَةً إِلَى عُبَيْدِ اللَّهِ ثُمَّ قَالَ : وَقَدْ قِيلَ إِنَّ الَّذِي
حَكَى هَذِهِ الْحَكَايَةَ عَبْدُ اللَّهِ أَخْوَهُ وَعُبَيْدُ اللَّهِ قَتْلَتْهُ التَّوْبَةُ » وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّ الَّذِي
٢٠ كَلَمَ فِي هِيَةِ الْمَهْدَى إِسْمَاعِيلَ بْنَ عَلَى ، إِذَا قَالَ الْمَهْدَى حِينَ أَرَادَ قَتْلَهُ : « فِي عَنْقِ لَهُ
بَيْعَةٌ . قَالَ : فَإِذَا تَرَى ؟ قَالَ : تَنْزَلُهُ فِي دَارٍ مِنْ دُورَنَا وَتَجْرِي عَلَيْهِ مَا تَجْرِي عَلَى مَثَلِهِ .
قَالَ : فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِ . فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَمَاتَ فِي حَبْسِهِ أُمَّ أَطْلَقَهُ الْمَهْدَى » .

وقال مصعبُ بن الرَّبِيع الْخَمْعَمِيُّ كاتبُ مروانَ بنَ مُحَمَّدٍ : لما نهزم
مروانُ وظهرَ عبدُ اللهِ بنُ عَلِيٍّ على أهلِ الشَّام طلبتُ الإذنَ، فَأَنْعَنَّهُ يوْمًا جَالِسٌ وهو
مُتَكَبِّرٌ^(١)، إذ ذَكَرَ مروانَ وَنَهْزَامَهُ، فَقَالَ : شَهِدتَ القَتَالَ؟ قَلَتْ : نَعَمْ، أَصْلَحَ
اللهُ الْأَمِيرُ، وَقَالَ لِي مروانَ : أَحْزَرُ^(٢) الْقَوْمَ، فَقَلَتْ : إِنَّمَا أَنَا صَاحِبُ قُلْمَ وَلَسْتُ
بِصَاحِبٍ حَرْبٍ، فَأَخْذَ يَمْنَةً وَيَسْرَةً ثُمَّ نَظَرَ فَقَالَ لِي : هُمْ أَثْنَا عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ
٣٥١
٢
٥
وقال مصعبٌ : قيل لِمروانَ : قد انتَهَى بَيْتُ الْمَالِ الصَّغِيرِ . فَأَنْصَرَ فَيُرِيدُ
بَيْتَ الْمَالِ . فَقِيلَ لَهُ : قد انتَهَى بَيْتُ الْمَالِ الْأَكْبَرِ^(٣) ، انتَهِي أَهْلُ الشَّامِ .
١٠
وقال أبو الجارود السُّلَمِيُّ : حدثني رجلٌ من أهل خراسان قال : لقينا
مروانَ على الزَّابِ، فحملَ علينا أهلُ الشَّامِ كأنَّهُمْ جبالٌ حديديَّةٌ، فجئنَا على
الرُّكُبِ وأشرعنَا الرِّماحَ، فزَالُوا عَنَّا كأنَّهُمْ سَحَابَةٌ، ومنَحَنَا اللهُ أَكْتافَهُمْ،
وأنقطعَ الحِسْنَرُ مَا يَلِيهِمْ حينَ عَبَرُوا، فبقيَ عَلَيْهِ رَجُلٌ من أهلِ الشَّامِ، خَرَجَ
إِلَيْهِ رَجُلٌ مَنَّا، فَقَتَلَهُ الشَّاهِيُّ^(٤). ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِ آخَرُ فَقَتَلَهُ، حَتَّى وَالَّيْ بَيْنَ ثَلَاثَةَ.
فَقَالَ رَجُلٌ مَنَّا : اطْلُبُوا إِلَيَّ سِيفًا قَاطِعًا وَتُرْسًا صُلْبًا، فَأَعْطَيْنَاهُ، وَمَشَى إِلَيْهِ فَضَرَبَهُ
الشَّاهِيُّ، فَأَتَقَاهُ بِالثُّرسِ، وَصَرَبَ رَجْلَهُ فَقَطَعَهَا وَقَتَلَهُ وَرَجَعَ، فَحَمَلَنَا وَكَبَرَنَا،
١٥
فَإِذَا هُوَ عَبْيَدُ اللهِ الْكَابُلِيُّ .

سَمِّرَ المَذْهُورُ ذَاتَ لِيَلَةَ فَذَكَرَ خَلْفَاءَ بَنِي أُمِّيَّةَ وَسِيرَهُمْ . وَأَنْهُمْ لَمْ يَرُوا عَلَى
أَسْتِقَامَةِ حَتَّى أَفْضَى أَمْرُهُمْ إِلَى أَبْنَائِهِمُ الْمُتَرْفِينَ، وَكَانَتْ هِمْتَهُمْ، مَعَ^(٤) عِظَمِ شَأْنِ
الْمُلَكِ وَجَلَّةِ قَدْرِهِ، قَصْدَ الشَّهْوَاتِ وَإِيَّاشَ الْلَّذَاتِ وَالدُّخُولَ فِي مَعاصِي اللهِ

(١) في بعض الأصول مكان قوله «وقال مصعب» إلى قوله «وهو متکب» : «وقال عبد الحميد بن يحيى بن سعيد السكري : كنت عند عبد الله بن علي، وقد طلبت الأمان فأمنني، فإني يوماً جالس عنده وهو متکب» وقد روی ابن عساكر القصة لمصعب (ج ٢ ص ٤٣٥ - ٥٣٦) متفقاً مع أكثر الأصول.

(٢) الحزر : التقدير، والفعل من باب نصر وضرب.

(٣) في بعض الأصول : «الأعظم» .

(٤) في بعض الأصول : «همهم من» .

ومساخطه ، جهلاً بـأسدراجه الله وأمنا لـمـكـره ، فـسلـبـهم الله العـزـ ، وـنـقـلـ عـنـهمـ النـعـمةـ . فـقالـ لهـ صالحـ بنـ عـلـيـ : ياـ أمـيرـ المـؤـمـنـينـ ، إـنـ عـبـدـ اللهـ بنـ سـرـوانـ لـمـ دـخـلـ الـثـوـبةـ هـارـبـاـ فـيـمـنـ تـبـعـهـ ، سـأـلـ مـلـكـ النـوـبةـ عـنـهـمـ ، فـأـخـبـرـ ، فـرـكـبـ إـلـىـ عـبـدـ اللهـ ، فـكـلـمـ بـكـلـامـ عـجـيبـ فـيـ هـذـاـ التـحـوـ لـأـحـفـظـهـ ، وـأـزـعـجـهـ عـنـ بـلـدـهـ ، فـإـنـ رـأـىـ أمـيرـ المـؤـمـنـينـ أـنـ يـدـعـوـهـ مـنـ الـحـبـسـ بـخـصـرـتـنـاـ فـيـ هـذـهـ الـلـيـلـةـ وـيـسـأـلـهـ عـنـ ذـلـكـ ؟

فـأـمـرـ المـنـصـورـ بـاـحـضـارـهـ وـسـأـلـهـ عـنـ القـصـةـ . فـقالـ : ياـ أمـيرـ المـؤـمـنـينـ ، قـدـمـنـاـ أـرـضـ الـنـوـبةـ وـقـدـ خـبـرـ الـمـلـكـ بـأـمـرـنـاـ ، فـدـخـلـ عـلـيـ رـجـلـ أـقـنـىـ الـأـنـفـ طـوـالـ حـسـنـ الـوـجـهـ ، فـقـعـدـ عـلـىـ الـأـرـضـ وـلـمـ يـقـرـبـ الشـيـابـ . فـقـلـتـ : مـاـ يـنـعـكـ أـنـ تـقـعـدـ عـلـىـ شـيـابـنـاـ ؟ فـقـالـ : لـأـنـيـ مـلـكـ وـيـحـقـ عـلـىـ الـمـلـكـ أـنـ يـتـواـضـعـ لـعـظـمـةـ اللهـ إـذـ رـفـعـهـ اللهـ .

ثـمـ قـالـ : لـأـىـ شـىـءـ تـشـرـبـونـ الـخـرـ وـهـيـ مـحـرـمـ عـلـيـكـمـ ؟ قـلـتـ : اـجـتـرـأـ عـلـىـ ذـلـكـ ١٠ عـبـيـدـنـاـ وـغـلـمـانـنـاـ وـأـتـبـاعـنـاـ لـأـنـ الـمـلـكـ قـدـ زـالـ عـنـاـ^(١) . قـالـ : فـلـمـ تـطـئـنـ الـزـرـوـعـ بـدـوـابـكـ وـالـفـسـادـ مـحـرـمـ عـلـيـكـمـ فـيـ كـتـابـكـ ؟ قـلـتـ : يـفـعـلـ ذـلـكـ عـبـيـدـنـاـ وـأـتـبـاعـنـاـ بـجـهـلـهـمـ .

قـالـ : فـلـمـ تـلـبـسـوـنـ الـدـيـبـاجـ وـالـحـرـيرـ وـتـسـتـعـمـلـوـنـ الـذـهـبـ وـالـفـضـةـ ، وـذـلـكـ مـحـرـمـ عـلـيـكـمـ ؟ قـلـتـ : ذـهـبـ الـمـلـكـ عـنـاـ وـقـلـ أـنـصـارـنـاـ ، فـاـنـتـصـرـنـاـ بـقـوـمـ مـنـ الـعـجمـ دـخـلـوـاـ فـيـ دـيـنـنـاـ ، فـلـبـسـوـاـ ذـلـكـ عـلـىـ الـكـرـهـ مـنـاـ . قـالـ : فـأـطـرـقـ مـلـيـاـ وـجـعـلـ يـقـلـبـ يـدـهـ ١٥ وـيـنـكـثـ الـأـرـضـ وـيـقـولـ : عـبـيـدـنـاـ وـأـتـبـاعـنـاـ وـقـوـمـ دـخـلـوـاـ فـيـ دـيـنـنـاـ وـزـالـ الـمـلـكـ عـنـاـ ! يـرـدـدـهـ مـرـآـ . ثـمـ قـالـ : لـيـسـ ذـلـكـ كـذـلـكـ ، بـلـ أـتـمـ قـوـمـ قـدـ اـسـتـحـلـلـتـ مـاـ حـرـمـ اللهـ ، وـرـكـبـتـمـ مـاـ نـهـاـكـمـ عـنـهـ ، وـظـلـمـتـمـ مـنـ مـلـكـتـمـ ، فـسـلـبـکـمـ اللهـ العـزـ ، وـأـلـسـکـمـ الـذـلـ بـذـنـوبـکـمـ ، وـالـلهـ فـیـکـمـ نـقـمـةـ لـمـ^(٢) تـبـلـغـ غـایـتـهـ ، وـأـخـافـ أـنـ يـحـلـ بـکـمـ الـعـذـابـ وـأـتـمـ بـبـلـدـیـ فـیـ صـيـبـنـیـ مـعـکـمـ ، وـإـنـماـ الضـيـافـةـ ثـلـاثـةـ أـيـامـ ، فـتـرـوـدـواـ ٢٠ مـاـ أـحـقـجـتـمـ وـأـرـخـلـوـاـ عـنـ بـلـدـیـ .

(١) العبارة في ابن عساكر (ج ٢٥ ص ٤٤٦) : « فعل ذلك عبيد وأتباعه وأعجم دخلوا في ملوكنا من غير رأينا » .

(٢) في بعض الأصول : « لن » .

أخبار الدولة العباسية

الهيثم بن عدی قال : حدثني ابن عياش ^(١) قال : حدثني بکير أبو هاشم ، مولى مسلمة ^(٢) قال : لم يزل لبني هاشم بيعة سر دعوة باطننة مُنذ قتل الحسين بن علي بن أبي طالب ، ولم نزل نسمع بخروج الرايات السود من خراسان وزوال مُلك بني أمية حتى صار ذلك .

وقيل لبعض بني أمية : ما كان سبب زوال مُلككم ؟ قال : اختلافنا فيما ييفنا ، وأجماع المختلفين علينا .

الهيثم بن عدی قال : حدثني غير واحد من أدركت من المشايخ أن على ^{٣٥٢}
 ٢ ابن أبي طالب أصار الأمر إلى الحسن ، فأصاره الحسن إلى معاوية ، وكَرَه ذلك
 ١٠ الحسين و محمد بن الحنفية . فلما قُتل الحسين بن علي صار أمر الشيعة إلى محمد بن الحنفية — وقال بعضهم : إلى علي بن الحسين — ثم إلى محمد بن علي ، ثم إلى جعفر بن محمد . والذى عليه الأكثرون أن محمد بن الحنفية أوصى إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية . فلم يزل قائما بأمر الشيعة يأتونه ويقوم بأمرهم ويؤدون إليه الخراج ، حتى أستخلف سليمان بن عبد الملك ، فاتأه وافتاده ومه
 ١٥ عدّة من الشيعة ، فلما كله سليمان ، قال : ما كلتُ قطْ قرشياً يشبه هذا ، وما نَظَنَ الذى كنا نَحْدَثُ عنه إلا حقاً ، فأجازه ، وقضى حوائجه وحوالجه من معه . ثم شخص وهو يريد فلسطين ، فلما كان بيلاط لحم وجذام ضربوا له ^٤
 أبنية في الطريق ومعهم اللبن المسموم ، فـكاما مرّ بقوم قالوا : هل لكم في الشراب ؟ قال : جُزِيتُ خيراً ، ثم باآخرين ، فعرضوا عليه ، فقال : هاتوا ، فلما

٢٦٢ (١) في بعض الأصول : « عباس » . تحرير . (انظر المعارف لابن قتيبة ص طبعة أوربة) .

(٢) ذكر الطبرى في تاريخه (١٨٦٩ : ٢) وياقوت في معجم البلدان (ج ٤ من ٩٦٩)
 والسمعاني في كتابه الأنساب في رسم (الهرمز فرهى) بکيراً هذا ، ولم يصر واحد منهم إلى أنه ، مولى مسلمة .

شرب واستقر بجوفه ، قال لأصحابه : إني ميت فانظروا مَنِ القوم ؟ فنظروا فإذا هم قد وُضوا أبنيةهم وذهبوا . فقال : ميلوا بي إلى ابن عمّي ، وما أحسبني أدركه . فأسرعوا [السير] حتى أتوا الحَمِيمَةَ^(١) من أرض الشَّرَاة ، وبها محمد بن علي بن عبد الله بن العباس ، فنزل به ، فقال : يابن عمّي ، إني ميت ، وقد صرت إليك وأنت صاحب هذا الأمر ، وولدك القائم^(٢) به ، ثم أخوه من بعده ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى تخرج الرَّاياتُ السود من قَعْدَةِ خُراسان ، ثم ليغَلِّبَنَ [على] ما بين حَضْرَمَوْتَ وَأَقْصَى إفْرِيقِيَّةٍ ، وما بين الْهِنْدَ^(٣) وَأَقْصَى فَرْغَانَةَ^(٤) . فعليك بهؤلاء الشَّيْعَة واسْتَوْص بِهِمْ خيرًا ، فهم دُعَاؤُك وَأَنْصَارُك . ولتكن دُعَوَتُك خُراسان ولا تَعْذِّها ، لا سِيَّما مَرْوَ ; وأَسْتَبِطْنَهَا هَذَا الْحَيَّ مِنَ اليمِن ، فإنَّ كُلَّ مُلْكٍ لَا يَقُومُ بِهِ فَصِيرُهُ إِلَى أَنْتَقَاصٍ ، وَانْظُرْهُ هَذَا الْحَيَّ مِنَ رَبِيعَةِ فَأَلْحَقُهُمْ بِهِمْ ، فإنَّهُمْ مَعْهُمْ فِي كُلِّ أَمْرٍ ؛ وَانْظُرْهُ هَذَا الْحَيَّ مِنْ قَيْسَ وَتَمِيزَ فَأَقْصُهُمْ ، إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهَ مِنْهُمْ ، وَذَلِكَ قَلِيلٌ ؛ ثُمَّ مُرْهُمْ أَنْ يَرْجِعوا فَلَمْ يَجْعَلُوا أَثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا ، وَبَعْدِهِمْ سَبْعَينَ نَقِيبًا ، فإنَّ اللَّهَ لَمْ يُصْلِحْ أَمْرَ بَنِ إِسْرَائِيلَ إِلَّا بِهِمْ ، وقد فعل ذلك النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فإذا مضت سَنَةُ الْحِمَارِ فَوْجَهَ رُسُلَّكَ فِي خُراسان ، مِنْهُمْ مَنْ يُقْتَلُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنجُو ، حتَّى يُظْهِرَ اللَّهُ دُعَوَتَكُمْ . قال محمد بن علي : يا أبا هاشم ، وما سَنَةُ الْحِمَارِ ؟ قال : إنَّه لَمْ تَمْضِ مائَةُ سَنَةٍ مِنْ نُبُوَّةِ قَطٍّ إِلَّا أَنْتَقَضَ أَمْرُهَا ، لِقَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : «أُوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا . قال أَنَّ يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا . فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مائَةُ عَامٍ ثُمَّ بَعْثَهُ» إلى قوله : «وانظُرْ إِلَى حَارِكَ وَانجُلْكَ آيَةً لِلنَّاسِ» . واعلم أنَّ صاحب هذا الأمر مِنْ ولدك عبد الله بن

٢٠ (١) الحَمِيمَةَ : (بلغه التصغير) : بلد من أرض الشَّرَاة من أعمال عمان في أطراف الشَّام ، كان مُنزَل بني العباس . (انظر معجم البلدان) . وفي بعض الأصول : «الْحَمِيمَةَ»

(٢) يزيد ولدِيهِ أبا العباس عبد الله ثُمَّ أخاه أبا جعفر عبد الله . وسيأتي ذكرها قريباً .

(٣) في بعض الأصول : «غَانَةَ» .

(٤) فَرْغَانَةَ (بالفتح ثم السكون وغين معجمة وبعد الألف نون) : مدينة وكورة واسعة

بها وراء النَّهْرِ متاخمة لبلاد تركستان . (انظر معجم البلدان) .

الحارثية ، ثم عبد الله أخوه . ولم يكن محمد بن عليٍّ في ذلك الحين ولدٌ يسمى عبد الله ، فولده من الحارثية ولدان سنتي كل واحد منها عبد الله ، وكني الأكبر أبو العباس ، والأصغر أبو جعفر ، فولما جيءَ بالخلافة . ثم مات أبوهاشم وقام محمدٌ بن عليٍّ بالأمر بعده ، فاختلقت الشيعة إلَيْهِ^(١) . فلما ولد أبو العباس آخرجه إليهم في خرفة ، وقال لهم : هذا صاحبكم ، فعملوا يَأْخُسُونْ أطراوه ، وولد أبو العباس في أيام عمر بن عبد العزيز . ثم قدم الشيعة على محمد بن عليٍّ فأخبروه أنهم جُنحوا بخراسان في السجن ، وكان يَحْدُثُهم فيه غلامٌ من السراجين^(٢) مارأوا قطًّا مثل عقله وظرفه ومحبته في أهل بيته رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقال له : أبو مسلم . قال : أحرّ أم عبد؟ قال : أمًا عيسى^(٣) فيزعم أنه عبد ، وأما هو فيزعم أنه حر . قال : فاشتروه وأعتقوه وأجعلوه بينكم إذ رضيتموه .

٣٥٣

فَلَمَّا انقضت المائة السنة بعثَ محمدٌ بن عليٍّ رَسُولَه إلى خراسان فغرسوا بها غرساً ، وأبو مسلم المقدم عليهم ، وثارت الفتنة في خراسان بين الأذرية واليمانية ، فتمكَّن أبو مسلم وفرق رسله في كُور خراسان يدعو الناس إلى آل الرسول ، فأجابوه . ونصر بن سيار عامل خراسان هشام بن عبد الملك ، فكان يكتب لهشام بخبرهم ، وتمضى كتبه إلى ابن هبيرة صاحب العراق لينفذها إلى أمير المؤمنين ، فكان يحبسها ولا ينفذها لئلا يقوم لنصر بن سيار قائمة عند الخليفة . وكان في ابن هبيرة حسد شديد . فلما طال بنصر بن سيار ذلك ولم يأته جوابٌ من عند هشام كتب كتاباً وأمضاه إلى هشام على غير طريق ابن هبيرة ، وفي جوف الكتاب هذه الأبيات مُدرَّجة^(٤) ، يقول فيها :

٢٠

(١) يريد شيعة بني العباس . وفي بعض الأصول : « الشيعة إليهم » .

(٢) السراج : بائع السروج وصانعها .

(٣) لعله عيسى بن معلم العجمي . (انظر الطبرى ٢ : ١٨٢٦) .

(٤) يقال : أدرج الكتاب في درجه ، إذا أدخله أو جعله في درجه ، أى في طيه .

أَرَى خَلَلَ الرَّمَادِ وَمِيقَاتَ حَمْرٍ فَيُوْشِكُ أَنَّ^(١) يَكُونُ هَامِسِرَامُ^(٢)
 فَإِنَّ النَّارَ بِالْعُودِينَ تُذَكَّرٌ^(٣) وَإِنَّ الْحَرَبَ أَوْهُمَا الْكَلَامُ
 فَإِنَّ لَمْ تُطْفَئُوهَا تَجْنَ حَرَبًا مُشَحَّرَةً يَشِيبَ لَهَا الْفَلَامُ
 فَقَلَتُ^٤ مِنَ التَّعْجِبِ لَيْتَ شِعْرِي أَيْقَاظُ أُمَيَّةَ أَمْ نِيَامَ
 فَإِنَّ كَانُوا لَهُمْ نِيَاماً^(٤) فَقُلْ قَوْمُوا فَقَدْ حَانَ الْقِيَامُ
 فَغَرَّى^(٥) عَنْ رِحَالِكَ ثُمَّ قُولَى عَلَى الإِسْلَامِ وَالْعَرَبِ السَّلَامُ
 فَكَتَبَ إِلَيْهِ هَشَامٌ : أَنَّ أَحْسَمْ ذَلِكَ التَّوْلُولَ^(٦) الَّذِي نَجَمَ عَنْكُمْ . قَالَ نَصْرٌ :
 وَكَيْفَ لَمَا بَحَسَمْهُ^(٧) ! وَقَالَ نَصْرٌ بْنُ سَيَارٍ يُخَاطِبُ الْمُضْرِيَّةَ وَالْمَيَانِيَّةَ ، وَيُحَذِّرُهُمْ
 هَذَا الْعَدُوُّ الدَّاخِلُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ :

١٠ أَبْلَغُ رَبِيعَةَ فِي مَرْوِ وَإِخْوَتِهِمْ
 فَلَمْ يَغْضُبُوا قَبْلَ أَنْ لَا يَنْفَعَ الْفَضَبُ
 وَلَيْسَ صَبُوا الْحَرَبَ إِنَّ الْقَوْمَ قَدْ نَصَبُوا
 حَرَبًا يُحرَقُ فِي حَافَاتِهَا الْخَطْبُ
 مَا بِالْكَمْ تَلَقَّهُونَ الْحَرَبَ يَنْفِسُكُمْ^(٨)
 كَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَاجِ عَنِ الْفَلَامِ فَقُلْكُمْ غَيَّبُ
 وَتَرْكُونَ عَدُوًّا قَدْ أَظْلَكُمْ^(٩) لَا دِينَ وَلَا حَسَبَ

(١) في الأغاني (ج ٦ ص ١٢ طبعة بلاق) : « وأحر بآن ». وفى ابن عساكر

١٥ (ج ٤١ ص ١٩١) : « خليق آن » .

(٢) ذكر الطبرى فى تاريخه (٢ : ١٩٧٣) بعض أبيات ابن سيار هذا وذكر أنه أرسلها إلى مروان بن محمد يعلمه بحال أبي مسلم . كما ذكرها أبو الفرج فى كتابه الأغاني (ج ٦ ص ١٢٨) وذكر أنه أرسلها إلى الوليد بن زياد .

(٣) في بعض الأصول : « تذكرو ». وفى ابن عساكر : « يالزندين تورى »

٢٠ (٤) في مروج الذهب (ج ٢ ص ٢٠٢) :
 * فإن يك قومنا أضحوها نياما *

وفي الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدينورى (ص ٣٥٦ طبعة أوربة) :

* فإن يك أصبحوا وثروا نياما *

(٥) كذا في مروج الذهب : وفي بعض الأصول : « تصرى ». والبيت ساقط من
 سائر الأصول .

(٦) التَّوْلُولُ : بَثْرٌ صَغِيرٌ صَلْبٌ مُسْتَدِيرٌ عَلَى صُورٍ شَتِّيٍّ .

(٧) في بعض الأصول : « وكيف أنا وحسمه » .

(٨) كذا في الأخبار الطوال (ص ٣٦٠) . والذى في الأصول : « رأيك عزب » .

(٩) تأشب إقوم : احتلطوا .

قدماً يديرون ديناً ما سمعتُ به عن الرَّسول ولم تنزل به الْكِتب
فمن يكن سائلاً عن أصل دِينهم فإنَّ دِينهم أنْ تُقتل العرب
ومات محمد بن عليٍّ في أيام الوليد بن يزيد ، وأوصى إلى ولده إبراهيم بن
محمد ، وقام بأمر الشِّيعة . وقدم عليهم أبو مسلم السراج وسليمان بن كثير ،
وقال لأبي مسلم : إنْ أَسْتَطعْتُ أَنْ لَا تَدْعُ بِخْرَاسَانَ لَسَانًاً عَرَبِيًّا فَأَفْعُلُ ، وَمَنْ
شَكَّكَتْ فِي أَمْرِهِ فَاقْتُلْهُ . فَلَمَّا اسْتَعْلَى أَمْرُ أَبِي مُسْلِمٍ بِخْرَاسَانَ وَأَجْابَتْهُ الْكُورَ
كُلُّهَا ، كَتَبَ نَصْرٌ بْنُ سَيَّارٍ إِلَى مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ بِخْرَابِيِّ مُسْلِمٍ وَكَثِيرٌ مَنْ تَبَعَهُ ،
وَأَنَّهُ قَدْ خَافَ أَنْ يَسْتَوِيَ عَلَى خْرَاسَانَ وَأَنْ يَدْعُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ بْنَ عَلَى
ابن عبد الله بن عباس . فَأَتَى الْكِتابُ مَرْوَانٌ ، وَقَدْ أَتَاهُ رَسُولُ أَبِي مُسْلِمٍ
بِجَوابِ إِبْرَاهِيمِ إِلَى أَبِي مُسْلِمٍ^(١) . فَكَتَبَ مَرْوَانٌ إِلَى الوليد بن معاوية بن عبد الملك
ابن مروان ، وهو عامله على دمشق : أَنْ أَكْتُبَ إِلَى عَامِلِكَ بِالْبَلْقَاءِ لِيَسِيرَ إِلَى
الْحُجَّةِ^(٢) فَيَأْخُذَ إِبْرَاهِيمَ بْنَ مُحَمَّدٍ فِي شَدَّدِهِ وَثَاقَّاً ثُمَّ يَبْعَثُ بَهُ إِلَيْكَ ، ثُمَّ وَجْهُهُ إِلَى
خَمْلِ مَرْوَانَ ، وَتَبَعَهُ مَنْ أَهْلَهُ عَبْدُ اللهِ بْنِ عَلَىٰ وَعِيسَى بْنِ مُوسَى ، فَأَدْخَلَ
عَلَى مَرْوَانَ ، فَأَمْرَرَ بَهُ إِلَى الْحَبْسِ .

^{٣٥٤}
قال الهيثم : حدثني أبو عبيدة^(٣) ، قال : كنت آتيه في السجن ومعه فيه
سعيد بن عبد الملك ، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز ، فوالله إني ذات ليلة
في سقيفة السجن بين النائم واليقظان ، إذ بموالي مروان قد أستفتح البابَ وَمَعَهُ

(١) العبرة في الطبرى : « وَقَدْ أَتَاهُ رَسُولُ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ كَانَ قَدْ عَادَ مِنْ
عِنْدِ إِبْرَاهِيمَ وَمَعَهُ كِتَابُ أَبِي مُسْلِمٍ إِلَى إِبْرَاهِيمَ جَوابٌ كِتَابِهِ يَلْعَنُ فِيهِ أَبَا مُسْلِمٍ وَيَسِيرُ
حِلْيَةَ لِمَنْ يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْفَرْصَةَ مِنْ نَصْرٍ وَالْكَرْمَانِ إِذْ أَمْكَنَاهُ ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ لَا يَدْعُ بِخْرَاسَانَ
عَرَبِيًّا إِلَّا قَتْلَهُ » .

(٢) فِي الأَصْوَلِ : « الْحَسِينِيَّةُ » . تحرير وقد تقدم التعريف بالحجية (ص ٤٧٦ من
هذا الجزء) .

(٣) لعله أبو عبيدة الأسود ، مولى عمر بن عبد العزيز ، وكان على إذنه . وقد مر
ذكره في أخبار عمر بن عبد العزيز .

عشرون رجلاً من موالي مروان الأعاجم، ومعهم صاحب السجن ، فأصبحنا وسعيد وعبد الله وإبراهيم قد ماتوا .

قال الهيثم : حدثني أبو عبيدة قال : حدثي وصيف عبد الله بن عمر بن عبد العزيز الذي كان يخدمه في الحبس : إنه غم ^(١) عبد الله مولا بحرفة ^(٢) ، ٥ وإبراهيم بن محمد بحراب نورة ^(٣) ، وسعيد بن عبد الملك أخرجه صاحب السجن ، فلقيه بعض حرس مروان في ظلمة الليل ، فوطئته الخيل ^{وهم لا يعرفون من هو ، فمات} .

ثم استولى أبو مسلم على خراسان كلها ، فأرسل إلى نصر بن سيار ، فهو رب هو وولده وكاتبته داود حتى انتهوا إلى الرَّأْي ، فمات نصر بن سيار بساوه ^(٤) ، وتفرق أصحابه ، ولحق داود بالكوفة وولده جميعاً . وأستعمل أبو مسلم عمالة على خراسان ومرو وسمرقند وأحوازها ، ثم أخرج الرايات السود ، وقطع البعوث ، وجهز الخيل والرجال عليهم خطبة بن شبيب ، وعاصر بن إسماعيل ، ومحرز بن إبراهيم في عدة من القواد ، فلقو مَنْ بُطُوس ^(٥) ، فانهزموا ، ومن مات في الزحام أَكْثَرُ مِنْ قُتْل ، فبلغ القتلى بضعة عشر ألفاً . ثم مضى خطبه إلى ١٥ العراق ، فبدأ بجرجان ، وعليها نباتة بن حنظلة الـ كلاي . وكان خطبه يقول لأصحابه : والله ليقتلن عاصر بن ضبار وينهزم ابن هبيرة ، ولتكن أخاف أن أموت قبل أن أبلغ ثارى ، وأخاف أن أكون الذي يغرق في الفرات ، فإن الإمام محمد بن علي قال لى ذلك .

قال الهيثم : فقد قحطبة جرجان فقتل ابن نباتة ^(٦) ، ودخل جرجان فأنهزمها ،

٢٠ (١) غمه : ألقم فيه ومنخر يه الغمامه . (٢) المرفة (ـ كـ كـ نـ سـ) : الخدمة .

(٣) النورة (ـ بالضمـ) : المهناء .

(٤) كذا في المuarف (٢٠٩) طبعة أوربة والطبرى (٣ : ٢) . وساوه (ـ بالهـ) السـاكـنـةـ مدـيـنـةـ بيـنـ الرـأـيـ وـهـذـانـ . وـالـذـىـ فـيـ الأـصـولـ : «ـ بـقـسـطـاطـ »ـ تـحـرـيـفـ .

(٥) طوس : مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ : (انظر معجم البلدان) .

٢٥ (٦) الذى في الطبرى (٢ : ٢٠٠) أن نباتة وابنه حبـةـ بنـ نـباتـةـ ذـبـحـاـ .

وَقَسْتَمَا أَصْحَابَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، ثُمَّ سَارَ إِلَى عَامِرَ بْنَ ضَبَّارَةَ بِأَصْبَاهَانَ ، فَلَقِيهِ ، فُقْتَلَ ابْنُ ضَبَّارَةَ وَقُتُلَ أَصْحَابُهُ ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ إِلَّا الشَّرِيدُ ، وَلَحَقَ فَأَهْمَمْ بَنْ هُبَيْرَةَ .

وَقَالَ فِي حَطَبَةِ لِمَا قُتِلَ ابْنُ ضَبَّارَةَ : مَا شَئْتُ مِنْ رَأْيِتُهُ وَلَا عَدُوٌّ قَتَلَهُ إِلَّا وَقَدْ حَدَّثَنِي بِهِ الْإِمَامُ صَلَواتُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، إِلَّا أَنَّهُ حَدَّثَنِي أَنِّي لَا أَعْبُرُ الْفَرَاتَ .

وَسَارَ فِي حَطَبَةٍ حَتَّى نَزَلَ بِحُلوَانَ^(١) ، وَوَجَهَ أَبَا عَوْنَ فِي نَحْوِهِ مِنْ ثَلَاثِينَ أَلْفًا إِلَى مَرْوَانَ بْنَ مُحَمَّدٍ ، فَأَخْذَ عَلَى شَهْرَ زُورَ^(٢) حَتَّى أَتَى الزَّابَ^(٣) ، وَذَلِكَ بِرَأْيِ أَبِي مُسْلِمٍ .

فَخَدَّتْ أَبُو عَوْنَ عِبْدُ الْمَالِكَ بْنَ يَزِيدَ قَالَ قَالَ لِي أَبُو هَاشِمٍ بُكَيْرَ بْنَ مَاهَانَ : أَنْتَ وَاللَّهِ الَّذِي تَسْيِيرُ إِلَى مَرْوَانَ ، وَلَتَبْعَثُنَّ إِلَيْهِ غَلَامًا مِنْ مَذْهِجِي يَقَالُ لَهُ عَامِرٌ فَلَمَّا قُتِلَنَّهُ فَأَمْضَيْتَ وَاللَّهِ عَامِرَ بْنَ إِسْمَاعِيلَ عَلَى مُقْدَمَتِي ، فَلَقِي مَرْوَانَ فَقُتِلَهُ .

ثُمَّ سَارَ فِي حَطَبَةٍ مِنْ حُلوَانَ إِلَى ابْنِ هُبَيْرَةَ بِالْعَرَاقِ ، قَالَتِقْوَى بِالْفَرَاتِ فَأُقْتَلُوا حَتَّى أَخْتَاطَ الظَّلَامُ ، وَقُتُلَ فِي حَطَبَةٍ فِي الْمَعرَكَةِ وَهُوَ لَا يُعْرَفُ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : عَرَقٌ فِي الْفَرَاتِ .

ثُمَّ انْهَزَمَ ابْنُ هُبَيْرَةَ حَتَّى لَحِقَ بِوَاسِطَةِ ، وَأَصْبَحَ الْمُسْوَدَةَ وَقَدْ فَقَدُوا أَمِيرَهُمْ ، فَقَدَّمَوا الْحَسَنَ بْنَ قَحَطَبَةَ . وَلَمَّا بَلَغَ مَرْوَانَ قُتْلُ قَحَطَبَةَ وَهَرَبَ ابْنُ هُبَيْرَةَ قَالَ : هَذَا وَاللَّهِ الإِدْبَارُ ، وَإِلَّا فَتَرَأَيْتُ مِيتًا هَرَمَ حَيًّا ! وَأَقَامَ ابْنُ هُبَيْرَةَ بِوَاسِطَةِ ، وَغَلَبَتِ الْمُسْوَدَةَ عَلَى الْعَرَاقِ ، وَبَايِعُوا الْأَبْيَانَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدَ بْنَ عَلَيِّ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ لِثَلَاثَ عَشَرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةِ أَلْثَنَتِينَ

(١) حلوان : عدّة مواضع ، والمراد بها هنا حلوان العراق ، وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال من بغداد . (انظر معجم البلدان) .

(٢) شهر زور : كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمدان . (انظر معجم البلدان) .

(٣) الزاب : عدّة أنهار بفارس سميت زاب بن توكان أحد ملوكيها ، وهي : الزاب الأعلى بين الموصل وإربل ، وأما الزاب الأدنى فخرجه من جبال السلق ثم ينبع إلى ما بين دقوقا وإربل ، وبينه وبين الزاب الأعلى مسيرة يومين أو ثلاثة ثم ينبع حتى يفيض في دجلة . وعلى هذا الزاب كان مقتل عبيد الله بن زياد . وبين بغداد وواسط زابان آخران . (انظر معجم البلدان) .

وثلاثين ومائة . ووجه عمّه عبد الله^(١) بن علي لقتال مروان وأهل الشام ، وقدمه على أبي عون وأصحابه . ووجه أخاه أبي جعفر إلى واسط لقتال ابن هبيرة . وأقام أبو العباس بالكوفة حتى جاءته هزيمة مروان بالزاب ، وأمضى عبد الله بن علي أبي عون في طلبه ، وأقام على دمشق ومدائن الشام يأخذ بيتهما لأبي العباس .

^{٥٣٥}
وكان أبو سلمة الخلال ، واسمها حفص بن سليمان ، يدعى وزير آل محمد ، وكان أبو مسلم يدعى أمين آل محمد . فقتل أبو العباس أبا سلمة الخلال وأتهمه بحببني فاطمة ، وأنه كان يخطب في حبهم . وقتل^(٢) أبو جعفر أبا مسلم ، وكان أبو مسلم يقول لقواده إذا أخرجهم : لا تكروا الناس إلارمزا ، ولا تلحوظواهم إلا شررا ، لحتلى صدورهم من هيئتكم .

١٠ مقتل زيد بن علي أيام هشام بن عبد الملك

كتب يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك : إن خالد بن عبد الله أودع زيد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب مala كثيرا . فبعث هشام إلى زيد ، فقدم عليه ، فسأله عن ذلك ، فأناكر ، فأستحلقه ، خلف له ، نفلي سبيله ، وأقام عند هشام بعد ذلك سنة . ثم دخل عليه في بعض الأيام ، فقال له هشام : بلغنى ذلك تحدث نفسك بالخلافة ، ولا تصلح لها أنك ابن أمة . قال : أما قولك إني أحدث نفسي بالخلافة فلا يعلم الغيب إلا الله ، وأما قولك إني ابن أمة ، فهذا إسماعيل صلى الله عليه وسلم ابن أمة ، أخرج الله من صلبه خير البشر محمد صلى الله عليه وسلم ، وإسحاق ابن حرة ، أخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبدة الطاغوت . وخرج زيد مغضبا . فقال زيد^(٣) : ما أحب أحد الحياة إلا ذل .

٤٠ (١) في بعض الأصول : « عبد الله » تحرير .

٤٧ (٢) كان ذلك بعد موت أبي العباس واستخلاف أبي جعفر .

(٣) في بعض الأصول : « هشام » .

قال له الحاجب : لا يسمع هذا الكلامَ منك أحد . وخرج زيدٌ حتى قدم
السکوفة ، فقال :

شَرَّدَهُ الْخُوفُ وَأَزْرَى بِهِ كَذَاكَ مَنْ يَكْرِهُ حَرًّا الْجِلَادَ
مُخْتَفِي الرَّجْلَيْنِ يَشْكُو الْوَجْنِ تَنْكِبَهُ أَطْرَافُ مَرْوِيِّ حِدَادٍ^(١)
قد كان في الموت له راحة وموت حتم في رقاب العباد

ثم خرج بخراسان ، فوجئ يوسف بن عمر إليه الخيل ، وخرج في إثرها
حتى لقيه^(٢) ، فقاتله ، فرمى زيد في آخر النهار بنشابه في نهره فمات ، فدفنه أصحابه
في حماة كانت قريبة منهم . وتتبع [يوسف] أصحاب زيد ، فانهزم من أنهزم ،
وقتل من قتل . ثم أتى يوسف فقيل له : إن زيداً دُفن في حماة . فاستخرج
وبعث برأسه إلى هشام ، ثم صلبته في سوق السكناسة^(٣) . فقال في ذلك أعور^(٤)

كلب^(٥) ، وكان مع يوسف في جيش أهل الشام :

نَصَبْنَا لَكُمْ زِيَاداً عَلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ وَمَا كَانَ مَهْدِيٌّ^(٦) عَلَى الْجِذْعِ يُنْصَبُ
الشيماني قال : لما نزل عبد الله^(٧) بن على نهر أبي فطرس^(٨) ، حضر الناس باه
للإذن ، وحضر أثنان وثمانون رجلاً من بني أمية ، فخرج الآذن ، فقال : يأهل
خراسان ، قوموا . فقاموا سماطين في مجلسه ، ثم أذن لبني أمية ، فأخذت
سيوفهم ودخلوا عليه . قال أبو محمد العبدلي الشاعر : وخرج الحاجب فدخلني ،

(١) المروي حجارة يض رفاق . والرواية في البيان (ج ١ ص ١٩٦) : « منخرق
الخفين ... تنكبه » .

(٢) في بعض الأصول : « في إثرها حتى التقوا » .

(٣) السكناسة (بالضم) : محله بالسکوفة . (انظر معجم البلدان) .

(٤) في الأغاني (ج ١٥ ص ١٢٠) طبعة بلاق والكامل (ص ٧١٠) طبعة أوربة :
« الأعور السكري » .

(٥) في بعض الأصول : « هذا » . وفي الكامل : « ولم نر مهدياً على الجذع يصلب » .

(٦) ساق ابن قتيبة حديث مقتل بنى أمية وشعر العبدلي ، إلا أنه ذكر مكان عبد الله
بن على عم أبي العباس أبا جعفر . وقد تقدم قبل أن الذى توجه لقتال أهل الشام

هو عبد الله بن على هذا :

(٧) أبو فطرس : نهر قرب الرملة بأرض فلسطين . (انظر معجم البلدان) .

فَسَلَّمَتُ عَلَيْهِ ، فَرَدَ عَلَى السَّلَامِ ، ثُمَّ قَالَ أَنْشَدَنِي قَوْلَكَ :
 * وَقَفَ الْمُتَعَمِّ فِي رُسُومِ دِيَارِ *

فَأَنْشَدْتُهُ حَتَّى اتَّهَمَتْ إِلَى قَوْلِي :

أَمَا الدُّعَاءُ إِلَى الْجَنَانِ فِيهَا شَمْ وَبْنُو أُمِّيَّةَ مِنْ دُعَاءِ النَّارِ
 مَنْ كَانَ يَفْخُرُ بِالْمَكَارِمِ وَالْعُلَمَاءِ فَلَهَا يَتَمِّمُ الْحَمْدُ غَيْرَ فَخَارِ
 وَالْغَمْرُ بْنُ يَزِيدَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ جَالِسٌ مَعَهُ عَلَى الْمُصَلِّيِّ ، وَبْنُو أُمِّيَّةَ عَلَى الْكَرَاسِيِّ ،
 فَأَلْقَى إِلَى صُرْةِ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ فِيهَا خَمْسَائُةِ دِينَارٍ ، فَقَالَ : لَكَ عِنْدَنَا عَشْرَةَ آلَافَ
 دِرْهَمٍ وَجَارِيَةً وَبِرْذَنْ وَغَلَامٌ وَنَخْتَ ثَيَابٍ . قَالَ : فَوْقَ وَاللَّهِ بِذَلِكَ كُلُّهُ . ثُمَّ
 أَنْشَأَ^(١) عَبْدُ اللَّهِ بْنَ عَلَىٰ يَقُولُ :

حَسِبْتُ أُمِّيَّةَ أَنْ سَيَرْضَى هَاشِمٌ عَنْهَا وَيَذْهَبُ زَيْدُهَا وَحُسْنِيَّهَا
 كَلَّا وَرَبُّ مُحَمَّدٍ وَإِلَيْهِ حَتَّى تُبَاحِ سَهْوُهَا وَحُزْنُهَا^(٢)
 ثُمَّ أَخْذَ قَلْنَسُوْتَهُ مِنْ رَأْسِهِ فَضَرَبَ بِهَا الْأَرْضَ ، فَأَقْبَلَ أَوْلَئِكَ الْجَنْدُ عَلَى
 بَنِي أُمِّيَّةَ فَخَبَطُوهُمْ بِالشَّيْوِفِ وَالْعَمَدِ . وَقَالَ الْكَلْبَى الَّذِي كَانَ يَنْهَمُ ، وَكَانَ
 مِنْ أَتَبَاعِهِمْ : أَيْهَا الْأَمِيرُ ، إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَنَا مِنْهُمْ . فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَىٰ :
 وَمُدْخِلِ رَأْسِهِ لَمْ يَدْعُهُ^(٣) أَحَدٌ بَيْنَ الْقَرَيْنَ^(٤) حَتَّى لَزَّهُ الْقَرَنَ^(٥)
 اضْرِبُوا عَنْقَهِ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الْغَمْرِ فَقَالَ : مَا أَحْسَبُ لَكَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَ
 هُؤُلَاءِ خَيْرًا . فَقَالَ : أَجَل . قَالَ : يَا غَلَامُ ، أَضْرِبْ عَنْقَهِ . فَأَقْبَلَ مِنْ الْمُصَلِّيِّ فَضَرَبَ
 عَنْقَهِ . ثُمَّ أَمْرَ بِيَسَاطَ فَطَرُحَ عَلَيْهِمْ ، وَدَعَا بِالطَّعَامِ فَجَعَلَ يَا كُلَّ وَأَنِينٍ بِعِظَمِهِمْ
 تَحْتَ الدِّسَاطِ .

٢٠ (١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : «أَنْشَدَ» . وَالشِّعْرُ لِسَدِيفِ ، كَاسِيَّاتِي (ص ٤٨٧) مِنْ هَذَا الْجَزْءِ .

(٢) فِي الْأَصْوَلِ : «حَتَّى يَقَادُوا زَيْدَهَا وَحُسْنِيَّهَا» . وَمَا أَثْبَتَنَا مِنْ عَيْنَ الْأَخْبَارِ .

(ج ١ ص ٢٠٨)

(٣) فِي عَيْنَ الْأَخْبَارِ : «لَمْ يَدْنَهُ» .

(٤) كَذَا فِي عَيْنَ الْأَخْبَارِ . وَالَّذِي فِي الْأَصْوَلِ : «بَيْنَ الْقَرَيْنِ» .

٢٥ (٥) الْقَرَنِ : الْحَبْلُ يَقْرَنُ بِهِ الْبَعِيرَانِ . وَيَقَالُ لِلْبَعِيرَانِ إِذَا قَرَنَا فِي قَرْنٍ وَاحِدٍ : قَدْ لَزَا .

وفي رواية أخرى قال : لما قدم الغمر بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السفاح في ثمانين رجلا من بني أمية ، فوضع لهم الكراسي ووضع لهم عمارق وأجلسوا عليها ، وأجلس الغمر مع نفسه في المصلى ، ثم أذن لشيعته فدخلوا ، ودخل فيهم سفيه بن ميمون ، وكان متوجهاً سيفاً متوكلاً فوساً ، وكان طويلاً ٥ آدم ، فقام خطيباً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أبْرَعُ الضلال بما حَبَطَتْ أَعْمَالُهُ أَنْ غَيْرَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَوْلَى بِالْخِلَافَةِ ، فَلِمَ وَبِمَ ؟ أَرِهَا النَّاسُ ، أَكْمَ الفَضْلُ بِالصَّحَابَةِ دُونَ ذُوِّ الْقَرَبَةِ ، الشُّرَكَاءُ فِي النَّسْبِ ، الْأَكْفَاءُ فِي الْحَسْبِ ، الْخَاصَّةُ فِي الْحَيَاةِ ، الْوُفَافَةَ^(١) عَنْدَ الْوِفَافِ ، مَعَ ضَرَبِهِمْ عَلَى الْأَمْرِ جَاهِلَكُمْ^(٢) ، وَإِطْعَامِهِمْ فِي الْلَّاؤَاءِ^(٣) جَاهِلَكُمْ ؛ فَكُمْ قَصْمُ اللَّهِ بَعْدَمِهِمْ مِنْ جَبَارٍ بَاغٍ ، وَفَاسِقٍ ظَالِمٍ . ١٠ لم يسمع بمثل العباس ، لم تخضع له الأمة بواجب حق [الحرمة] ، أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وجملة ما بين عينيه ، أمينة ليلة العقبة^(٤) ، ورسوله إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حنين^(٥) ، لا يرده رأياً ، ولا يخالف له قسماً . إنكم والله معاشر قريش ما أخذتم لأنفسكم من حيث اختار الله لكم ، تيمى مرة وعدوى مرة^(٦) ، وكُنْتُمْ بَيْنَ ظَهَرِنِي قوماً قد آثروا العاجل على الآجل ، والغافى ١٥ على الباقي ، وجعلوا الصدقات في الشهوات ، والفاء في الذات ، والمغانم في المحارم ، إذا ذُكْرُوا بالله لم يذكروا ، وإذا قُدُّمُوا بالحق أذربوا ؛ فذلك كان زمانهم ، وبذلك كان يَعْمَلُ سُلْطَانُهُمْ^(٧) .

(١) في بعض الأصول : « الولادة ». (٢) في بعض الأصول : « الدين » .

(٣) في بعض الأصول : « الأولى » .

(٤) يشير إلى حضور العباس — وهو على دين قومه — أَمْرَ ابن أَخيه مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَلَةَ مِيَاهِ الْأَنْصَارِ لِهِ فِي الْعَقْبَةِ لِيَتَوَثِّقَ لَهُ . ٢٠

(٥) يشير إلى ثبات العباس فيمن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين حين انهزم المسلمون أول الموقعة ، وكان آخذاً بليجام بغلته .

(٦) تيمى : نسبة لقيم بن مرة بن كعب بن لؤي ، قوم أبي بكر . وعدوى : نسبة إلى بني عدى بن كعب بن لؤي ، قوم عمر بن الخطاب . ٢٥

(٧) في الأصول : « شِيَاطِنُهُمْ ». وما أثبتنا من سائر الأصول وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ٢ ص ٢١٥) فقد أورد خطبة لأبي مسلم بالمدينة في السنة التي حجج فيها في خلافة السفاح تتفق وهذه الخطبة في أكثر فقرها .

فَلَمَّا كَانَ الْغَدْ أَذْنَ لَهُمْ فَدَخَلُوا وَدَخَلَ فِيهِمْ شِبْلٌ ، فَلَمَّا جَلَسُوا قَامَ شِبْلٌ
فَاسْتَأْذَنَ فِي الْإِنْشَادِ ، فَأَذْنَ لَهُ فَأَنْشَدَ^(١) :

أَصْبَحَ الْمَلَكُ ثَابِتَ الْآسَاسِ بِالْبَهَائِيلِ مِنْ بَنِي الْعَبَاسِ
طَلَبُوا وِرْزَ هَاشِمٌ فَلَقُوهَا^(٢) بَعْدَ مَيْلٍ مِنَ الزَّمَانِ وَبَاسِ
لَا تُقِيمُنَ عَبْدَ شَمْسٍ عِثَارًا^(٣) وَغَرَاسِ
وَلَقَدْ غَاظَنِي وَغَاظَ سَوَائِي^(٤) وَكَرَاسِي
وَذَكُورًا وَمَصْرُعَ الْحُسْنِ وَزَيْدًا^(٥)
وَقَتِيلًا بِجَوْفِ حَرَانَ أَضْحَى^(٦)
وَقَتِيلًا بِجَوْفِ حَرَانَ أَضْحَى^(٧)
نَعَمْ شِبْلِ الْمَهْرَاسِ مَوْلَاكَ شِبْلِ^(٨) لَوْ نَجَا مِنْ حَبَائِلِ الْإِفْلَاسِ

١٠ ثُمَّ قَامَ وَقَامُوا . ثُمَّ أَذْنَ لَهُمْ بَعْدَ ، فَدَخَلُوا وَدَخَلَ الشِّيْعَةَ . فَلَمَّا جَلَسُوا قَامَ
سُدِيفُ بْنُ مَيْمَونَ ، فَأَنْشَدَ :

٣٥٧
٢
١٥
قد أَتَقْتَ الْوُفُودَ مِنْ عَبْدَ شَمْسٍ مُسْتَعْدِينَ يُوجِّهُونَ الْمَطِيمَا
عَنْوَةَ أَيْهَا الْخَلِيفَةَ لَا عَنْ طَاعَةِ بَلْ تَخْوَفُوا الْمَشْرِفَيَا
لَا يَغْرِنُكَ مَا تَرَى مِنْ رَجَالٍ إِنْ تَحْتَ الضَّلَوعَ دَاءٌ دَوِيَا
فَضَعَ السَّيْفَ وَأَرْفَعَ السَّوْطَ حَتَّى لَا تَرَى فَوْقَ ظَهُورِهَا أَمْوَيَا
ثُمَّ قَامَ خَلَفُ بْنُ خَلِيفَةَ الْأَقْطَعَ فَأَنْشَدَ :

(١) الذي في الأغانى ومعجم البلدان (في رسم مهراش) وعيون الأخبار (ج ١ ص ١٠٢)
والكامل (ص ٧١٣ طبعة أوربة) أن هذا الشعر لسديف.

(٢) في الكامل للمبرد (ص ٧١٣ طبعة أوربة) : « فشقوها » .

(٣) في الكامل والأغانى (ج ٤ ص ٩٣ طبعة بلاط) : « رفلة » ، والرفلة: النخلة الطويلة .

(٤) كذلك في الأصول وعيون الأخبار (ج ١ ص ٢٠٧) . والذى في الكامل والأغانى : « غارق » .

(٥) وفي رواية : « وزيد » .

(٦) المهراش : ماء يحبيل أحد ، وعنه دفن حزة رضى الله عنه .

(٧) رواية المراجع الذى ذكرت أن الشعر لسديف : « نعم كلب المهراش مولاك لولا » .

(٨) في الكامل : « ثانياً بين غربة وتناسي » وفي الأغانى : « رهن قبر في غربة وتناسي » .

إن تُجاوز فقد قدرتَ عليهم أو تُعاقب فلم تُعاقب بريّا
أو تُعاتبهم على رقة الديْرِ . إن فقد كان دينهم سامِرْيَا
فالتفت أبو العباس إلى الغَمَر ، فقال : كيف ترى هذا الشعر ؟ قال : والله
إنه هذا الشاعر ، ولقد قال شاعرُنا ما هو أشعر^(١) من هذا . قال : وما قال ؟
فأنشدَ :

شمس العَدَاوَةِ حتَّى يُستقادَ لَهُمْ وأعظمُ النَّاسِ أحَلَاماً إِذَا قَدَرُوا^(٢)
فَشَرِقَ وَجْهُ أَبِي العَبَّاسِ بِالدَّمِ وَقَالَ : كَذَبَتْ يَابْنُ الْلَّخْنَاءِ ، إِنِّي لَا أَرَى
الْخَيْلَاءِ فِي رَأْسِكَ بَعْدَ ، ثُمَّ قَامُوا . وَأَمْرَهُمْ فَدُفِعوا إِلَى الشِّيْعَةِ ، فَاقْتَسَمُوهُمْ
فَضَرَبُوا أَعْنَاقَهُمْ ، ثُمَّ جَرُوا بِأَرْجُلِهِمْ حَتَّى أَقْوَمُهُمْ فِي الصَّحْرَاءِ بِالْأَنْبَارِ ، وَعَلَيْهِمْ
١٠ سِرَاوِيلَاتُ الْوَشْنِ ، فَوَقَفَ عَلَيْهِمْ سُدِيفٌ مَعَ الشِّيْعَةِ وَقَالَ :

طَمِعَتْ أُمِّيَّةٌ أَنْ سِيرَضِيَ هَاشِمٌ عنْهَا وَيَذْهَبَ زِيدُهَا وَحُسَيْنُهَا
كَلَا وَرَبُّ مُحَمَّدٍ وَإِلَهُهُمْ حَتَّى يُبَادِ^(٣) كَفُورُهَا وَخَوْنُهَا
وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسِ عَلَى بَنِي أُمِّيَّةِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَلَى ، وَأَحَنَّهُمْ عَلَيْهِمْ سَلِيمَانُ بْنُ
عَلَى . وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو مُسْلِمَ كَنْفَ الْأَمَانِ ، وَكَانَ يُجِيرُ كُلَّ مَنْ أَسْتَجَارَ
٢٠ بِهِ ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي العَبَّاسِ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا لَمْ نُحَارِبْ بَنِي أُمِّيَّةِ عَلَى
أَرْحَامِهِمْ وَإِنَّا حَارَبَنَا عَلَى عَقُوقِهِمْ ، وَقَدْ دَافَتْ إِلَى نَهْمَ دَافَة^(٤) لَمْ يَشْهُرُوا
سَلَاحًا ، وَلَمْ يُكَثِّرُوا جَمْعًا ، فَأَحَبَّتْ أَنْ تَكْتُبْ لَهُمْ مَنْشُورًا أَمَانًا . فَكَتَبَ لَهُمْ
مَنْشُورًا أَمَانًا وَأَنْفَذَهُ إِلَيْهِمْ . فَهَاتَ سَلِيمَانُ بْنُ عَلَى وَعِنْدَهُ بَضْعُ وَمِائَةِ جُرْمَةٍ
لَبَنِي أُمِّيَّةِ .

١٥ (١) في بعض الأصول : « أَقْعَدَ » .

(٢) البيت لا يُخطل من قصيدة له مطلعها :

خف القطرين فراحوا منك أو بكرروا وأزمعتهم نوى في صرفها غير

(انظر ديوان الأخطل ص ١٠٤)

(٣) في بعض الأصول : « يُبَيِّدَ » .

(٤) الدافه : الجماعة من الناس تقبل من بلد إلى بلد .

(١) خلفاء بنى أمية بالأندلس

عبد الرحمن بن معاوية بن هشام

أول خلفاء الأندلس من بنى أمية عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك . ولـ الملك يوم الجمعة العشر خلـون من ذى الحجـة سـنة ثـمان وـثلاثـين ٥ وـمائـة ، وـهو ابن ثـمان وـعشـرين سـنة . وـتـوفـى فـي عـشرـة مـن جـمـادـى الـأـوـلى سـنة أـثـنتـين وـسبـعين وـمائـة . فـكـان مـلـكـه أـثـنتـين وـثـلـاثـين سـنة وـخـمـسـة أـشـهـر . وـكان يـقال لـه صـقـر قـرـيش ، وـذـلـك أـن أـبا جـعـفر المـنـصـور قـال لـأـصـحـاـه : أـخـبـرـونـي عـن صـقـر قـرـيش . مـن هـو ؟ قـالـوا : أـمـير المـؤـمـنـين الـذـي رـاضـ الملـك ، وـسـكـنـ الزـلـازـل ، وـحـسـمـ الأـدـوـاء ، وـأـبـادـ الـأـعـدـاء . قـالـ : مـا صـفـعـتـ شـيـئـا . قـالـوا : فـعـاوـيـة . قـالـ : وـلـا هـذـا . قـالـوا : فـعـبدـ الملـكـ بنـ مـروـانـ . قـالـ : وـلـا هـذـا . ١٠ قـالـوا : فـنـ يـا أـمـير المـؤـمـنـين ؟ قـالـ : عـبـدـ الرحمنـ بنـ مـعاـويـة ، الـذـي عـبـرـ الـبـحـرـ ، وـقـطـعـ الـقـفـرـ ، وـدـخـلـ بـلـدـ آـعـجمـيـا مـفـرـدا ، فـصـرـ الـأـمـصـارـ ، وـجـنـدـ الـأـجـنـادـ ، وـدـوـنـ الدـوـاـيـنـ ، وـأـقـامـ مـلـكـا بـعـدـ أـنـقـطـاعـهـ ، بـخـسـنـ تـدـبـيرـهـ ، وـشـدـدـ شـكـيمـتـهـ . ١٥ إـنـ مـعـاوـيـة نـهـضـ بـرـ كـبـ حـمـلـهـ عـلـيـهـ عـمـرـ وـعـمـانـ وـذـلـلاـهـ صـعبـهـ ، وـعـبـدـ الملـكـ بـيـعـيـةـ تـقـدـمـ لـهـ عـقـدـهـاـ ، وـأـمـيرـ المـؤـمـنـينـ بـطـلـبـ عـشـيرـتـهـ (٢)ـ ، وـأـجـمـاعـ شـيـعـتـهـ ، وـعـبـدـ الرحمنـ مـفـرـدـ بـنـفـسـهـ ، مـؤـيدـ بـرـأـيـهـ ، مـسـتـصـحبـ لـعـزـمـهـ . وـقـالـوا : لـمـ اـتـوـطـدـ مـلـكـ عـبـدـ الرحمنـ بنـ مـعاـويـةـ عـمـلـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ وـأـخـرـجـهاـ إلىـ وزـرـائـهـ ، فـاسـتـغـرـبـتـ مـنـ قـوـلـهـ إـذـ صـدـقـهـاـ فـعـلـهـ ، وـهـىـ :

ما حـقـ (٣)ـ مـنـ قـامـ ذـاـ أـمـتـاعـ مـنـتـضـيـ الشـفـرـتـيـنـ . نـصـلـاـ

(١) فـ بعضـ الـأـصـوـلـ الـمـخـطـوـطـةـ قـبـلـ هـذـاـ : « آخرـ السـفـرـ الـرـابـعـ مـنـ الـأـصـلـ وـالـمـدـدـةـ أـوـلاـ وـآخـراـ . بـسـمـ اللهـ الرـحـمـنـ الرـحـيمـ وـبـهـ نـسـتـعـينـ » .

(٢) فـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ : « غـيرـهـ » .

(٣) فـ الـبـيـانـ الـمـغـربـ (ـجـ ٢ـ صـ ٦١ـ)ـ : « سـيـانـ » .

فبز ملوكاً وشاد عزاء^(١) ومنبرأ للخطاب فصلاً
 بخاز^(٢) وفراً وشق بحراً مساميأ لجنة ومحلاً^(٣)
 وجند الجند حين أودى ومضر المضر حين أجي^(٤)
 ثم دعا أهله جهيناً حيث أنتوا^(٥) أن هم أهلاً
 بباء هذا طرید جوع شريـد سـيف أـيد^(٦) قـلا
 خـلـ أـمنـاـ وـنـالـ شـبـعاـ وـحـازـ مـالـ وـضـمـ شـمـلاـ^(٧)
 أـلمـ يـكـنـ حـقـ ذـاـ عـلـىـ ذـاـ أـوجـبـ مـنـ مـفـعـ وـمـوـلـيـ
 وكتب أمية بن يزيد عنه كتاباً إلى بعض عماليه يستقصره فيما فرط فيه من
 عمله ، فأكثر وأطال الكتاب ، فلما أحظه عبد الرحمن أمر بقطعه ، وكتب : أما
 بعد ، فإن يكن التقصير منك مقدماً . فحرى أن يكون الاكتفاء عندك مؤخراً^(٨) ،
 وقد علمت بما تقدمت ، فأعمد على أيهما أحببت .
 وكان ثار عليه ثائر بغربي بلدة^(٩) ، فغزاه فظفر به وأسره ، فبيهـا هو منـصـرـ فـ
 وقد حـلـ الثـائـرـ عـلـىـ بـغـلـ مـكـبـولـاـ ، نـظـارـ إـلـيـهـ عـبـدـ الرـحـنـ بـنـ مـعـاوـيـةـ وـتـحـتـهـ فـرسـ لـهـ ،
 فـقـنـعـ رـأـسـهـ بـالـقـنـاءـ^(١٠) ، وـقـالـ : يـاـ بـغـلـ ، مـاـذـاـ تـحـمـلـ مـنـ الشـقـاقـ وـالـنـفـاقـ ؟ قـالـ الثـائـرـ :
 يـاـ فـرسـ ، مـاـذـاـ تـحـمـلـ مـنـ الـعـفـوـ وـالـرـحـمةـ ؟ فـقـالـ لـهـ عـبـدـ الرـحـنـ : وـالـلـهـ لـاـ تـذـوقـ مـوـتـاـ
 عـلـىـ يـدـيـ أـبـدـاـ .

(١) في الأصول : « وساد عاماً ». وما أثبتنا من البيان المغرب

(٢) في البيان المغرب : « بخاب ». (٣) في الأصول : « بحلاً ». وما أثبتنا من البيان .

(٤) في البيان : « أخلي » .

(٥) في الأصول : « تناوى ». وما أثبتنا من البيان .

(٦) في بعض الأصول : « أباد ». وما أثبتنا من سائر الأصول

(٧) كذلك في بعض الأصول : والبيان . والذى في سائر الأصول : « ونال أهلاً » .

(٨) في أكثر الأصول : « فإن يكن التقصير لك مقدماً بدا الاكتفاء أن يكون لك مؤخراً » .

(٩) بلدة : مدينة بالأندلس من أعمال رية . وفي بعض الأصول : « يغزو ولده » .

(١٠) أي غشاه بها .

هشام بن عبد الرحمن

ثم ولَى هشامُ بن عبد الرحمنَ لسبعَ خلَوْنَ من جُهادِي الآخرةِ سَنةَ أَثْنَتَيْنِ وسبعينَ وَمَا تَهُ ، وَمَاتَ فِي صَفَرِ سَنةِ ثَمَانِينَ وَمَا تَهُ . فَكَانَتْ وَلَا يُتَهِ سَبْعَ سَنِينَ وَعَشْرَةَ أَشْهُرًا . وَمَاتَ وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى وَثَلَاثِينَ سَنَةً . وَهُوَ أَحْسَنُ النَّاسِ وَجْهًا ، ٥ وَأَشْرَفُهُمْ نُفُساً ، الْكَاملُ الْمُرُوَّةُ ، الْحَاكِمُ بِالْكِتَابِ وَالسَّنَةِ ، الَّذِي أَخْذَ الزَّكَاةَ عَلَى حِلَّهَا ، وَوَضَعَهَا فِي حَقَّهَا ، لَمْ يُعْرَفْ مِنْهُ هَفْوَةٌ فِي حَدَائِهِ ، وَلَا زَلَّةٌ فِي أَيَّامِ صِبَاهُ .
ورَاهُ يَوْمًا أَبُوهُ وَهُوَ مُقْبِلٌ مُمْتَلِيٌ شَبَابًا فَأَعْجَبَهُ ، فَقَالَ : يَا لَيْتَ نَسَاءَ ١٠ بْنِي هاشمَ أَبْصَرْنَهُ حَتَّى يَعْدُنَ فَوَارِكَ^(١) . وَكَانَ هشامٌ يَصْرُرُ الصُّرُرَ بِالْأَمْوَالِ فِي لِيَالِيِ الْمَطَرِ وَالظَّلَمَةِ ، وَيَبْعَثُ بَهَا إِلَى الْمَسَاجِدِ . فَيُعْطَى مَنْ وُجِدَ فِيهَا . يَرِيدُ
بِذَلِكَ عِمَارَةَ الْمَسَاجِدِ ، وَأَوْصَى رَجُلًا فِي زَمْنِ هشامٍ بِعَالَ فِي فَلَكَ سَبَيَّةَ^(٢) مِنْ ١٥ أَرْضِ الْعُدُوِّ ، فَطَلَبَتْ فَلَكٌ تُوجَد ؟ احْتَرَاسًا مِنْ لِلشَّغَرِ^(٣) وَأَسْتَفْقَادًا لِأَهْلِ السَّبَيِّ .

الحكم بن هشام

ثُمَّ ولَى الْخِلَافَةَ الْحَكَمُ بْنُ هشامٍ فِي صَفَرِ سَنةِ ثَمَانِينَ وَمَا تَهُ ، وَكَانَتْ وَلَا يُتَهِ ١٥ سَمْتَا وَعَشْرِينَ سَنَةً وَأَحَدَ عَشْرَ شَهْرًا^(٤) . وَمَاتَ يَوْمَ الْحُمِيسِ إِلَيْلَاتٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ سَتِ وَمَا تَهِينَ^(٥) ، وَهُوَ ابْنُ أَثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ سَنَةً^(٦) . وَكَانَتْ فِيهِ بَطَالَةً ،
إِلَّا أَنَّهُ كَانَ شُجَاعًا لِنَفْسِهِ ، بَاسِطًا لِكَفَّهِ ، عَظِيمًا لِعَفْوِهِ ، مُتَخَيِّرًا لِأَهْلِ عَمَلِهِ .

(١) فوارك : جمع فارك ، وهي المرأة التي يبغض زوجها .

(٢) في بعض الأصول : « بنته » .

(٣) في بعض الأصول : « بشغره » وفي بعض آخر : « لشغره » .

(٤) كذا في بعض الأصول والبيان المغرب لابن عذاري (ص ٧٠) . والذى في سائر الأصول : « سبعاً وعشرين سنة » .

(٥) كذا في بعض الأصول والبيان . والذى في سائر الأصول : سنتان وعشرين ومائتين . « تحرير » .

(٦) كذا في بعض الأصول . وهي تتفق وما ذكره ابن عذاري في البيان ، إذا مولد الحكم كان سنة ١٥٤ .

ولاحكام رعيته أورعَ من يقدر عليهم وأفضلاهم ، فيسلطهم^(١) على نفسه فضلاً عن ولده وسائر خاصته . وكان له قاضٌ قد كفاه أمور رعيته بفضله وعدله وورعه وزهده ، فرض مرضًا شديداً ، واغتمَ له الحُكْمَ غنماً شديداً . فذكر يزيدُ فتاه أنه أرق ليلة وبعد عنده نومه وجعل يتهم كل على فراشه ، فقلت : أصلاح الله الأمير ، إني أراك متملماً وقد زال النوم عنك فلم أدر ما عرض لك ؟ قال : ويحك ! إني سمعت
 نائحة هذه الليلة وقاضينا صريض ، فما أراه إلا قد قضى تحبه ، وأين لنا بمثله ؟
 ومن يقوم للرعاية مقامه ؟ ثم إن القاضي مات ، وأستقضى الحُكْمُ بعده سعيد
 ابن بشير . فكان أوصى الناس إلى حق ، وآخذهم بعدل ، وأبعدهم من هوى ،
 وأنفذهم الحُكْمُ . رفع إليه رجلٌ من أهل كُورة جَيَّانَ أنَّ عاملاً للحُكْمِ أغتصبه
 جاريةً وعمِل في تصويرها إلى الحُكْمِ ، فوُقعت من قلبها كلَّ موقع ، وأن الرجل
 أثبت أمره عند القاضي ، وأتاه بيدينه [وشهود] يشهدون على معرفة ما تظلم منه
 وعلى عين الجارية ومعرفتهم بها . وأوجبت البيدنة أن تحضر الجارية ، واستأذن
 القاضي على الحُكْم ، فأذن له ، فلما دخل عليه ، قال : إنه لا يتم عدل في العامة
 دون إفاضته في الخاصة ، وحَكَى له أمرَ الجارية وخِيره في إبرازها إليه ،
 أو عزْله عن القضاء . فقال له : ألا أدعوك إلى خير من ذلك ؟ تبَتَّاعَ الجارية
 من صاحبها بنفس ثمن^(٢) وأبلغ ما يسألها فيها . فقال : إن الشهود قد شَهَدوا من
 كُورة جَيَّانَ يطلبون الحقَّ في مظانه ، فلما صاروا ببابك تصرُّفهم دون إنفذ
 الحقَّ لأهله ، ولعلَّ قائلًا أن يقول : باعَ مَا^(٣) يملك بيعَ مقتسر على أمره^(٤) .
 فلما رأى عزمه أمرَ بِإخراجِ الجارية من قصره ، وشهد الشهود على عينها ،
 وقضى بها صاحبها .

(١) في بعض الأصول : « فيسلطهم » .

(٢) كذلك في بعض الأصول والذى في سائر الأصول : « بعين ثمنها » .

(٣) في بعض الأصول : « حتى لا » .

(٤) في بعض الأصول : « على نفسه » .

وكان سعيد بن بشير القاضي إذا خرج إلى المسجد ، أو جلس في مجلس الحكم ، جلس في رداء مُعصر وشعر مُفرق إلى شحمة أذنيه ، فإذا طاب ما عنده وُجد أورع الناس وأفضلهم .

وكانت للحكم ألف فرس مربوطة بباب قصره على جانب النهر ، عايهها عشرة عُرفاء ، تحت يد كل عَرِيف منها مائة فرس لا تُنْدِب ولا تُبْرِح ، فإذا بلغه عن ثائر في طرف من أطراقه عاجله قبل أستحكام أمره ، فلا يشعر حتى يُخاطبه . واتَّاه الخبر : أنَّ جابرَ بنَ أبيد يُحاصر جَيَان وهو يَلْعَب بالصَّوْلَجَانِ في الجسر . فدعى بعرِيف من أولئك العُرَفَاءِ فأشار إليه أن يُخْرِجَ مَنْ تَحْتَ يَدِه إلى جابر بن أبيد ، ثم فعل مثل ذلك بآصحابه من العُرَفَاءِ . فلم يَشْعُرْ ابنَ أبيد حتى تساقطوا عليه متساوين ، فلما رأى ذلك عدوه سقط في أيديهم وظنُّوا أنَّ الدنيا قد حُشرت لِديهم ، فولوا مدبرين .

وقال الحكم يوم الهيجاء بعد وقعة الرَّبض :

رأبْتُ صُدُوعَ الْأَرْضِ بِالسَّيْفِ رَاقِعًا وقدِمَّا رَأَبْتُ الشَّعْبَ مُذْكُنْتُ يَا فَعَمَا
فَسَائِلُ شُغُورِي هَلْ بِهَا الْيَوْمُ شُغْرَةٌ أَبَادُرُهَا مُسْتَنْضِيٌّ^(١) السَّيْفُ دَارِعًا
وَشَافِهِ عَلَى أَرْضِ الْفَضَاءِ جَمَاجِمًا كَأَقْفَافِ شَرِيَانِ الْهَبِيد^(٢) لَوَامِعًا

[تنبيئك أني لم أكن عن قراعهم بوان وأنى كنت بالسيف قارعا]
ولما تَسَاقَيْنَا سِجَالٍ حُرُوبَنا سَقَيَتْهُمْ مُهْمَّا مِنْ الْمَوْتِ نَاقِعاً
وَهَلْ زِدْتُ أَنْ وَفَيَتْهُمْ صَاعَ قَرْضَهُمْ فَوَافَوْا مَنَّا يَا قُدْرَتِ وَمَصَارِعَا
قال عثمان بن المثنى المؤدب : قدم علينا عباس بن ناصح^(٣) من الجزيرة أيام
الأمير عبد الرحمن بن الحكم ، فاستندني شعر الحكم ، فأنشدته ، فلما

أنتهيت إلى قوله :

(١) في الأصول : « من منتدى ». وما أثبتنا من البيان المغرب (ج ٢ ص ٧٣)

(٢) كذا في البيان ، وشريان الهيد ، أى شجر الحنظل . والذى في الأصول : « كأجفان شريان الجبير » .

(٣) في الأصول : « عباس بن فاسح ». والتوصيب من النفح والبغية .

* وهل زِدتْ أَنْ وَفَيَّتْهُمْ صَاعَ قَرَضَهُمْ *

قال: لو جُونى الحَكْمُ فِي حُكْمَةِ الْأَهْلِ الرَّبْضِ^(١) لِقَامَ بِعُذْرَهُ هَذَا الْبَيْتُ .

عبد الرحمن بن الحكم

نم ولی بعده عبد الرحمن بن الحكم ، أَنْدَى النَّاسَ كَفَّاً ، وَأَكْرَمَهُمْ عَطْفَاً ، وَأَوْسَعَهُمْ فَضْلاً ، فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ سِتٍّ وَمِائَتَيْنِ ، فَلَمَّا كَانَ إِحْدَى وَثَلَاثَيْنِ سَنَةً وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ . وَمَاتَ لِيَلَةَ الْخَمِيسِ لِثَلَاثَ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ ثَمَانَ وَثَلَاثَيْنِ وَمِائَتَيْنِ ، وَهُوَ ابْنُ أَنْتَيْنِ وَسِتَّيْنَ سَنَةً ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ بَعْضُ عَمَالَهُ يَسْأَلُهُ عَمَلًا رَفِيعًا لَمْ يَكُنْ مِنْ شَاكِلَتِهِ ، فَوَقَعَ فِي أَسْفَلِ كِتَابِهِ : مَنْ لَمْ يُصِبْ وَجْهَ مَطْلَبِهِ ، كَانَ الْحِرْمَانُ أَوْلَى بِهِ .

محمد بن عبد الرحمن

١٠

نم ولی الْمَلِكَ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، يَوْمَ الْخَمِيسِ لِثَلَاثَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ سَنَةَ ثَمَانَ وَثَلَاثَيْنِ وَمِائَتَيْنِ ، فَلَمَّا كَانَ أَرْبَعًا وَثَلَاثَيْنَ سَنَةً ، وَتُوفِيَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ مُسْتَهْلِكًا بِرَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثَ وَسِعْيَنِ وَمِائَتَيْنِ ، وَهُوَ ابْنُ سِبْعَ وَسِتَّيْنَ سَنَةً . وَكَتَبَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ الشَّمْرِ إِلَى الْأَمِيرِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي حَيَاةِ أَبِيهِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ، ١٥ وَكَانَ يَتَجَنَّبُ الْوُقُوفَ بِبَابِهِ مُخَاوَفَةً نَصْرَ الْفَتَىِ ، فَلَمَّا مَاتَ نَصْرٌ كَتَبَ ابْنُ الشَّمْرِ هَذِهِ الْأَبِيَّاتَ إِلَى مُحَمَّدٍ يَقُولُ فِيهَا :

لَئِنْ غَابَ وَجْهِي عَنْكَ إِنَّ مَوْدَتِي اشَاهِدُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ تَسْأَمِ

وَمَا عَاقَنِي إِلَّا عَدُوُّ مُسْلِمٍ يُذِلُّ وَيُقْصِي مَنْ يَشَاءُ وَيُرْغِمُ

وَلَمْ يَسْتَطِلْ إِلَّا بِكَمْ وَبِعَزْكَمْ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُمْنَحَ الْعِزَّ مُجْرِمٌ

فَكَفَّنَتُهُ فَأَسْتَطَالَ عَلَيْكَمْ وَكَادَتْ بِنَا نِيرَانُهُ تَتَضَرَّرُمْ

٢٠

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « لَوْ جُونَى الْحَكْمُ الْخَصُومَةَ فِي أَهْلِ الرَّبْضِ » .

كذلك كلب السوء إن يشبع أندرى^(١)
 لأشباعه^(٢) مستشلياً^(٣) يترسم
 في جمّع إخواناً أصوصاً أرادوا
 ومنناهم أن يقتلونا ويغفّلوا
 رأى بأمين الله سقماً فغره^(٤)
 ففتحم^(٥) د رجأ مسرنا بهلاكه
 ها زال بالإحسان والطول ينفع
 أراد يكيد الله نصره فـ كاده
 بكـ الـ كـ فـ الـ كـ وـ الشـ يـ طـ اـ نـ صـ رـ أـ فـ اـ عـ وـ لـ اـ
 وكانت له في كل شهر جـ بـ اـ يـ جـ بـ اـ يـ جـ بـ اـ
 فـ هـ لـ حـ اـ ظـ اـ إـ سـ لـ اـ مـ يـ وـ مـ اـ يـ سـ وـ مـ هـ مـ^(٦)
 وـ يـ نـ هـ بـ نـ اـ اـ مـ وـ الـ هـ مـ وـ هـ قـ اـ عـ لـ اـ
 أـ لـ أـ يـ هـ اـ النـ اـ اـ سـ مـ وـ اـ قـ وـ لـ نـ اـ صـ حـ
 محمد نور يستضاء بوجهه
 فـ كـ وـ نـ وـ اـ لـ مـ تـ لـ اـ الـ بـ نـ يـ كـ نـ اـ كـ مـ
 فيـ بـ اـ يـ اـ مـ
 أـ لـ سـ اـ اـ مـ رـ جـ يـ اـ مـ
 وأـ نـ تـ لـ اـ اـ لـ اـ هـ لـ اـ خـ يـ رـ وـ رـ حـ نـ عـ
 وـ حـ دـ ثـ بـ قـ بـ نـ مـ حـ دـ اـ فـ قـ يـ هـ قـ اـ لـ اـ عـ قـ اـ لـ اـ
 ولا أـ بـ لـ غـ فـ اـ لـ اـ ،ـ مـ اـ الـ اـ مـ يـ حـ مـ دـ ،ـ دـ خـ لـ اـ عـ لـ اـ
 الـ كـ لـ اـ مـ ،ـ فـ حـ مـ دـ اللـ هـ وـ اـ نـ يـ عـ لـ يـ وـ صـ لـ اـ عـ لـ يـ صـ لـ اـ عـ لـ يـ عـ لـ يـ وـ سـ لـ مـ ،ـ شـ مـ ذـ كـ
 الـ خـ لـ فـ اـ خـ لـ يـ فـ اـ خـ لـ يـ ،ـ خـ كـ كـ كـ كـ وـ اـ حـ دـ مـ نـ هـ بـ حـ لـ يـ فـ وـ نـ عـ تـ هـ وـ وـ صـ فـ هـ ،ـ وـ ذـ كـ

(١) في أكثر الأصول: «النرا». وفي سائرها: «اندرى». وظاهر أنها محرفة عمّا ثبتنا.

(٢) كذا في بعض الأصول. والذى في سائر الأصول: «أشباع».

(٣) مستشلياً: غاضباً. ويترسم، يتحرك.

(٤) في أكثر الأصول: «بعده». تحرير.

(٥) في بعض الأصول: «يسوؤهم».

(٦) في بعض الأصول: «جد». تحرير.

(٧) الرحيم (بالضم): الرقة والتعطف.

ما زَرَهُ وَمَنَاقِبُهُ ، بِأَفْصَحِ لِسَانٍ ، وَأَبْيَانٍ بَيَانٍ ، حَتَّى أَنْتَهَى إِلَى نَفْسِهِ فَسَكَتَ .
وَخَرَجَ الْأَمْيَرُ مُحَمَّدٌ يَوْمًا مَتَنَزَّهًا إِلَى الرَّصَادِفَةِ وَمَعَهُ هَاشِمٌ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ ،
فَكَانَ يَهَا صَدَرَ نَهَارَهُ عَلَى لَذَّتِهِ ، فَلَمَّا أَمْسَى وَأَخْتَلَطَ الظَّلَامُ رَجَعَ مُنْصَرِفًا إِلَى
الْقَصْرِ وَبِهِ أَخْتِلَاطٌ ، فَأَخْبَرَنِي مَنْ سَمِعَهُ وَهَاشِمٌ يَقُولُ لِهِ: يَا سَيِّدِي ، يَا بْنَ الْخَلَافَ ،
مَا أَطِيبَ الدُّنْيَا لَوْلَا . قَالَ لَهُ: لَوْلَا مَاذَا؟ قَالَ: لَوْلَا الْمَوْتُ . قَالَ لَهُ: يَا بْنَ الْلَّخْنَاءِ ،
لَحْتَ فِي كَلَامِكَ ، وَهَلْ مَلَكْنَا هَذَا الْمَلَكُ الَّذِي نَحْنُ فِيهِ إِلَّا بِالْمَوْتِ ، وَلَوْلَا
الْمَوْتُ مَا يَمْلَكُنَا أَبْدًا .

وَكَانَ الْأَمْيَرُ مُحَمَّدٌ غَزَّاءً لِأَهْلِ الشَّرْكِ وَالْخَلَافَ ، وَرَبِّا أَوْغَلَ فِي بِلَادِ الْعُدُوِّ
السَّتَّةِ الْأَشْهُرِ أَوْ أَكْثَرَ ، يَحْرِقُ وَيَنْسِفُ ، وَلِهِ فِي الْعُدُوِّ وَقِيَعَةً^(١) وَادِي سَلَيْطَ ،
٣٦١
وَهِيَ مِنْ أَمْهَاتِ الْوَقَائِعِ ، لَمْ يُعْرَفْ مِثْلُهَا فِي الْأَنْدَاسِ قَبْلَهَا ، وَفِيهَا يَقُولُ عَبَّاسُ بْنُ
٢
فَرَنَاسُ^(٢) ، وَشِعْرُهُ يَكْفِينَا مِنْ صِفَتِهَا :

أَهُومُ الْفَلَا عَمِيلُ الْقَنَابِلِ مُلَنَّفُ^(٣)
وَمُخْتَلِفُ الْأَصْوَاتِ مُؤْتَلِفُ الزَّحْفُ
إِذَا أَوْمَضْتَ فِيهِ الصَّوَارِمُ خَلَتْهَا
بُرُوقًا رَاءِي فِي الْجَهَامِ وَتَسْتَخْفُ
كَانُ ذُرِّيُّ الْأَعْلَامِ فِي سَيْلَانِهِ
وَإِنْ طَحَنْتَ أَرْكَانَهُ كَانَ قُطْبُهَا
سَمِّيٌّ خِتَامُ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٌ
فَنَ أَجْلَهُ يَوْمَ التَّلَاثَاءِ غُدوَةً^(٤)
وَقَدْ نَفَضَ الْإِصْبَاحَ عَقْدَرِي السِّجْفِ
١٥
بَكَى جِلَّا وَادِي سَلَيْطَ فَأَعْوَلَ^(٥)
عَلَى النَّفَرِ الْعُبْدَانِ وَالْعُصْبَةِ الْغُلْفِ^(٦)

(١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَاتِ: «وَقِيَعَةُ». (٢) فِي بَعْضِ الْأَصْوَاتِ: «عَبَّاسُ بْنُ فَرَنَاسٍ» .

(٣) يَقُولُ : لَهُمْ (كَسْمَعَهُ) : ابْتَلَعَهُ بَعْرَةٌ ، فَهُوَ لَهُمْ (كَكَتْفٍ وَصَرْدٍ) وَلَهُمْ
(كَصْبُورٍ) وَلَهُمْ (كَنْبُرٍ) . يَصِفُ سُرْعَةَ قَطْعِ الْجَيْشِ لِلْفَلَا . وَالْقَنَابِلُ: جَمَاعَاتُ الْخَيلِ؛
الْوَاحِدَةُ قَبْلَةٌ .

(٤) كَذَافٌ بَعْضِ الْأَصْوَاتِ . وَالْقَرَاقِيرُ : السُّفَنُ ؛ الْوَاحِدَةُ قَرْقُورُ (كَعْصَفُورٍ) .
وَالَّذِي فِي سَائِرِ الْأَصْوَاتِ : «فَرَاقِدٌ» .

(٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَاتِ : «غَزُوَةُ». (٦) فِي بَعْضِ الْأَصْوَاتِ : «حُلٌّ» .

(٧) الْغُلْفُ : جَمْعُ الْغُلْفَ ، وَهِيَ الَّذِي لَا يَعْنِي .

دعاهم صر ينخُ الْحَيْنَ^(١) فَاجْتَمَعُوا لِهِ
كَا أَجْتَمَعَ الْجُحْلَانَ لِلْبَعْزِ فِي قَفَّ^(٢)
فَإِنْ كَانَ إِلَّا أَنْ رَمَاهُ بِبَعْضِهَا
فَوَلَوْ أَعْلَى أَعْقَابِ مَهْزُومَةٍ^(٣) كُشْفَ^(٤)
كَأْنَ مَسَايِّرَ الْمَوَالِي عَلَيْهِمْ
بِنَفْسِي تَنَانِيرَ الْوَغَى حِينَ صُفَقَتْ
شَوَاهِينُ جَادَتْ لِلْغَرَانِيقِ بِالنَّسْفِ^(٥)
إِلَى الْجَبَلِ الْمَشْحُونِ صَفَّا عَلَى صَفَّ
يَقُولُ ابْنُ يَلِيمُوسَ لِمُوسَى وَقَدْ وَنَى^(٦)
أَرَى الْمَوْتَ قُدَّامِي وَتَحْتِي وَمِنْ خَلْفِي
وَأَلْفًا وَأَلْفًا بَعْدَ أَلْفٍ إِلَى أَلْفٍ
قَتَلَنَا هُمْ أَلْفًا وَأَلْفًا وَمِثْلَهَا
فَأَغْرِقَ فِيهِ أَوْ تَدَأْدَأْ مِنْ جُرْفٍ^(٧)
سُوِيْ مَنْ طَوَاهُ النَّهَرُ فِي مُسْتَأْلِجَهِ

المنذر بن محمد

ثم ولَى المُنذِرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ، يَوْمَ الْأَحَدِ لِثَلَاثَ خَلْوَةٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثَ وَسَبْعِينَ وَمَا تَيْنَ . وَمَاتَ يَوْمَ السَّبْتِ فِي غَزَّةٍ لَهُ عَلَى بُدْشَتْ^(٨) ، لِثَلَاثَ عَشْرَةَ ١٠ بَقِيَتْ مِنْ صَفَرِ سَنَةِ خَمْسَ وَسَبْعِينَ وَمَا تَيْنَ ، وَهُوَ ابْنُ سَتٍّ وَأَرْبَعينَ سَنَةً . وَكَانَ أَشَدَّ النَّاسَ شَكِيمَةً ، وَأَمْضَاهُمْ عَنِيَّةً . وَلَمَّا ولَى الْمَلِكَ بَعَثَ إِلَيْهِ أَهْلَ طُلَيْطَلَةَ بْجَبَابِيَّتِهِمْ كَامِلَةً فَرَدَّهَا عَلَيْهِمْ ، وَقَالَ : أَسْتَعِينُوا بِهَا فِي حَرْبِكُمْ فَأَنَا سَائِرٌ إِلَيْكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . ثُمَّ غَرَّ إِلَى الْمَارِقِ الْمُرْتَدِ عُمَرَ بْنَ حَفَصَوْنَ^(٩) وَهُوَ بَحْصَنٍ ، قَاصِرَةَ^(١٠)

(١) في بعض الأصول : « العير » .

(٢) الجعلان : جعل جمع (كهرد) دويبة . والقف ماءارتفع من الأرض ، وقد يكون فيه رياض : وقیعان .

(٣) في بعض الأصول : « مهزولة ». (٤) الكشف : المنزهون في الحرب .

(٥) الشواهين : من سباع الطير ؟ الواحد شاهين ، ليس بعربي محض . والغرانيق :

٢٠ جع غرنوق ، وهو طير أبيض من طير الماء . وفي بعض الأصول : بالسيف .
مكان : « بالنصف » .

(٦) في بعض الأصول: «ولي».

(٢) تدأداً: تدرج . والنـى فـ بعض الأصول « أو ترد من الجـرف ».

(٨) بيشتر (بالضم ثم الفتح وسكون الشين المعجمة وفتح التاء والراء) : حصن منفرد بالامتناع

^{٢٥} من أعمال ربة بالأندلس بيتها وبين قرطبة ثلاثون فرسخاً. (انظر معجم البلدان).

(٩) في بعض الأصول: «عمرو بن حفصون» وما أتبنا من سائر الأصول والبيان المغرب.

(١٠) انظر البيان المغرب (ج ٢ ص ١٩٤).

فأخذ دق به وبخيله ورجله ، فلم يجد الفاسق مَنْفَذًا ولا مُتَنَفِّسًا ، فأعمل الحيلة ولاذ^(١)
بالمكر والخداع ، وأظهر الإنابة والإجابة ، وأن يكون من مستوطني قُرطبة بأهله
وولده ، وسأل إلهاً أولاً في المولى . فأجابه الأمير إلى كل ما سأله ، وكتب
لهم الأمانات ، وقطع لهم الأداء الثياب ، وخرزت لهم الخفاف ، ثم سأله مائة بغل
يتحمل عليها ماله ومتاعه إلى قُرطبة ، فأمر الأمير بها . وطلبت المبالغ ومضت إلى
بَدَشَّة^(٢) ، وعليها عشرة من العُرُفاء ، وانحلَّ العسكر عن الحصن بعضَ الانتحال ،
وعكف^(٣) القاضي وجماعةٌ من الفقهاء على تمام الصلح فيما حسبوه . فلما رأى الفاسق
الفُرصةَ أنتهزها ففسق^(٤) ليلاً وخرج ، فلقى العُرُفاء بالبغال فقتلهم ، وأخذَ البغال وعاد
إلى سيرته الأولى . فعقد المُندَر على نفسه عقداً أن لا أعطيه صاححاً ولا عهداً إلا
أن يُلقي بيده وينزل على عهده وحُكمه ، ثم غَزَّاه الغَزَاة التي توفى فيها ، فأمر
بالجُنُون والسكنى عليه ، وأن يُرَدَّ سوق قُرطبة إليه ، فعاجله أجله عن ذلك .

عبد الله بن محمد

ثم تولى عبد الله بن محمد ، التقى النقى ، العابد الزاهد ، التالي لكتاب الله ،
والقائم بحدود الله ، يوم السبت لثلاث عشرة بقيةٍ من صفر سنة خمس وسبعين
٣٦٢
ومائتين . فبني السباباط^(٥) وخرج إلى الجامع ، والتزم الصلاة إلى جانب المنبر ، حتى
أنه أجله ، رحمة الله ، يوم الثلاثاء لليلة بقيةٍ من صفر سنة ثمانين . وكانت له
غزوات ، منها غزوة بلي^(٦) التي أنسَت كُلَّ غَزَّةً تقدّمتها . وذلك أن المرتد ابن حفصون
أَبَّ عليه كُور الأندلس حتى لم يبق منها إلا قرطبة وحدها ، ثم أقبل في ثلاثة
ألفٍ من أهل السكور فنزل حصنَ بلي ، وخرج إليه الأمير عبد الله بن محمد

٢٠

(١) في بعض الأصول : « وغاص » .

(٢) انظر الحاشية (رقم ٨ ص ٩٦) من هذا الجزء .

(٣) في بعض الأصول : « ووقف » . (٤) في بعض الأصول : « ففتق » .

(٥) في دائرة المعارف الإسلامية (١٨٧٨) : « السباباط : طريق مسقوف ينادى به الأمير الأموي عبد الله » .

٢٥

(٦) بلي (بفتح أوله وكسر ثانية وتشديد الباء) : ناحية بالأندلس . (انظر معجم البلدان) .

في أربعة عشر ألفاً من أهل قرطبة خاصة ، وأربعة آلاف من حشمه ومواليه ، فبرز إليه الفاسق ، وقد كرس كراديسه في سفح الجبل ، وناهضه الأمير عبد الله بمحظور عسكره ، فلم يكن له فيهم إلا صدمة صادقة ، أزاحهم بها عن معسكرهم ، فلم يقدروا أن يتراجعوا إليه . ونظر الفاسق إلى معسكر عبد الله الأمير ، فإذا بمداد مُقبل مثل الليل ، في انحدار السيل ، لا ينقطع ، فجاءت نفسه ، وعطف إلى الحصن يُظهر إخراج من بقي فيه ، فتلثم ثلثة وخرج منها في خمسة معه ، وقد طار بهم جناح الفرار . فلما انتهى ذلك إلى أهل عسكره ولوّا مدربين ، لا يلوى أحد على أحد ، فعملت الرماح في أكتافهم ، والسيوف في طلا عناقهم ، حتى أفنوهم أو كادوا . وكان منهم جماعة قد أفترقوا في عسكر الأمير عبد الله ، فقعد ١٠ الأمير في المظلة ، وأمر بالتقاطهم ، وأن لا يمر أحد على أحد منهم إلا قتله . فقتل منهم ألف رجل صبراً بين يدي الأمير .

عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين

شم ولِيَ الْمَلَكَ الْقَمَرُ الْأَزْهَرُ ، الْأَسْدُ الْغَضْنَفِرُ ، الْمَيْمَونُ النَّقِيمَةُ ، الْمَحْمُودُ
الصَّرِيبَةُ ، سِيدُ الْخَلْفَاءِ ، وَأَنْجَبُ النَّجِيبَاءِ ، عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ مُحَمَّدٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ،
صَبِيْحَةَ هَلَالِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ سَنَةَ ثَلَاثَةٍ ، فَقُلْتَ فِيهِ : ١٥

بَدَا الْهَلَالُ جَدِيدًا وَالْمَلَكُ غَصْنٌ جَدِيدٌ

يَا رِنْمَةَ اللَّهِ زِيَدَى مَا كَانَ فِيهِ مَزِيدٌ^(١)

وهي عدة أبيات . فتوى الملك ، والأرض بجزرة تختدم ، ونار تضطرم ، وشقاق ونفاق ، فأشهد نيرانها ، وسكن زلازلها ، وافتتحها عوداً كما افتتحها بدء اسميه عبد الرحمن بن معاوية ، رحمه الله . وقد قلت وقيل في غزواته كُلُّها أشعار ، قد جالت في الأمصار ، وشردت في البلدان ، حتى اتهمت وأنجدت وأعرقت ، ولو لا أن الناس مُكتفون بما في أيديهم منها لأعدنا ذكرها أو ذكر بعضها . ٢٠

(١) في البيان المغرب لابن عذاري (ج ٢ ص ١٦٢) : * فَا عَلَيْكَ مَزِيدٌ *

ولـكـنـاـ سـفـذـ كـرـ ماـ سـبـقـ إـلـيـنـاـ مـنـ مـنـاقـبـهـ الـىـ لـمـ يـتـقدـمـ إـلـيـهـ مـقـدـمـ ،ـ وـلـأـخـتـ هـاـ وـلـأـ نـظـيرـ .ـ فـنـ ذـلـكـ أـوـلـ غـزـاـهـاـ ،ـ وـهـىـ الغـزـاـةـ المـعـرـوفـةـ بـغـزـاـةـ الـمـيـلـوـنـ^(١)ـ ،ـ أـفـتـتـحـ بـهـاـ سـبـعـينـ حـصـنـاـ ،ـ كـلـ حـصـنـ مـنـهـاـ قـدـنـكـاتـ^(٢)ـ عـنـهـ الطـوـافـ ،ـ وـأـعـيـاـ عـلـىـ الخـلـافـ .ـ وـفـيهـاـ أـقـولـ :

٥

وقد أوضح الله للإسلام منهاجا
والناس قد دخلوا في الدين أتواها
كأنما ألبست وشياً وديباها
يابنَ الخلافَ إِنَّ الْمُرْنَ لَوْ عَلِمَ
وقد تزيَّنت الدُّنْيَا لساكنها
والحربُ لَوْ عَلِمَتْ بِأَسَاسِ تَصُولُ بِهِ
يَابَنَ الْخَلَافَ إِنَّ الْمُرْنَ لَوْ عَلِمَ
مات النفاقُ وأعطى الكفرُ ذمته
وأصبح النصرُ معقوداً بألوية
يَابَنَ الْخَلَافَ إِنَّ الْمُرْنَ لَوْ عَلِمَ
أدخلت في قبة الإسلام مارقة
بحـجـفـلـ تـشـرقـ الأـرـضـ الفـضـاءـ بـهـ
[يـقـودـهـ الـبـدرـ يـسـرـىـ فـ كـواـكـبـ]
١٠
١٥
٢٠

٣٦٣

رـوـقـ فـيـهـ بـرـوقـ الموـتـ لـامـعـةـ
غـادرـتـ فـيـ عـقوـتـ^(٥)ـ جـيـانـ مـأـحـمـةـ
فـيـ نـصـفـ شـهـرـ تـرـكـتـ الأـرـضـ سـاكـنـةـ
وـجـدـتـ فـيـ الـخـبـرـ الـمـأـثـورـ مـنـصـلتـاـ
تـمـلـبـكـ الـأـرـضـ عـدـلـاـ مـمـلـئـتـ
يـاـ بـدـرـ ظـلـمـتـهاـ يـاـ شـمـسـ صـبـحـتـهاـ
إـنـ الـخـلـافـةـ إـنـ تـرـضـيـ وـلـاـ رـضـيـتـ

منـ الخـلـافـ خـرـاجـاـ وـلـاجـاـ
جـوـرـاـ وـتـوـضـحـ الـمـعـرـوفـ مـنـهاـجاـ
يـاـ لـيـثـ حـوـمـتـهاـ إـنـ هـاجـ هـاجـاـ
إـنـ الـخـلـافـةـ إـنـ تـرـضـيـ وـلـاـ رـضـيـتـ

(١) كـذـاـ فـيـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ وـالـبـيـانـ الـمـغـرـبـ (جـ ٢ـ صـ ١٦٧ـ).ـ وـالـذـىـ فـيـ سـائـرـ الـأـصـوـلـ :ـ «ـ الـمـيـلـوـنـ»ـ .ـ (٢)ـ فـيـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ :ـ «ـ نـكـبـتـ»ـ .ـ

(٣) الـحـيـاـ :ـ شـدـةـ الـفـضـبـ .ـ وـفـيـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ :ـ «ـ جـبـالـ الدـيـنـ أـهـيـاـجاـ»ـ .ـ

(٤) الـمـارـقـةـ :ـ الـخـوارـجـ .ـ وـفـيـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ :ـ «ـ مـارـقـةـ أـخـرـجـتـهاـ»ـ .ـ

(٥) الـعـقـوـةـ :ـ مـاـ حـوـلـ الدـارـ وـالـحـلـةـ .ـ وـجـيـانـ :ـ مـدـيـنـةـ هـاـ كـوـرـةـ وـاسـعـةـ بـالـأـنـدـلـسـ
تـنـصـلـ بـكـوـرـةـ الـبـيـرـةـ .ـ (ـانـظـرـ مـعـجمـ الـبـلـدانـ)ـ (٦)ـ فـيـ بـعـضـ الـأـصـوـلـ :ـ «ـ الـطـيـرـ»ـ .ـ

ولم يكن مثل هذه الغزاة ملك من الملوك في الجاهلية والإسلام . وله غزوة مارشن^(١) ، التي كانت أخت بدر وحنين ، وقد ذكرناها على وجهها في الأرجوزة التي نظمها في مغازيه^(٢) كلها من سنة إحدى وثلاثمائة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة ، وأوقعناها في أسفل كتابنا لتكون جامعاً لمغازى أمير المؤمنين ، وجعلتها رجزاً خففة الرجز وسهولة حفظه وروايته . ومن مناقبه : أن الملك لم تزل تبني على أقدارها ، ويُقضى عليها بآثارها ، وأنه بنى في المدة القليلة ما لم تبن الخلفاء في المدة الطويلة . نعم ، لم يبق في القصر الذي فيه مصانع أجداده ومعالم أوليائه بنية إلا وله فيها أمر ثُمَّحدث ، إما زِيد أو تَجْدِيد . ومن مناقبه : أنه أول من سمى أمير المؤمنين من خلفاء بنى أمية بالأندلس . ومن مناقبه التي لا أخت لها ولا نظير ، ما أَعْجَزَ فيه مَرْنَ بعده ، وفات فيه من قبله ، الجود الذي لم يُعرف لأحد من أجواد الجاهلية والإسلام إلا له . وقد ذكرت ذلك في شعرى الذى أقول فيه :

يابنَ الْخَلَافَةِ وَالْعُلَا الْمُعْتَلِيِّ والجودُ يُعْرَفُ فضلاً لِّلْمُفْضِلِ
نَوَّهَتْ بِالْخَلَافَةِ بِلَ أَخْلَمَهُمْ حتَّى كَانَ نَبِيلَهُمْ لَمْ يَنْبُلِ
١٥ أَذْكُرْتَ بِلَ أَنْسَيْتَ مَا ذَكَرَ الْأَلَى منْ فَعَلَهُمْ فَكَانَهُ لَمْ يُفْعَلِ
وَأَتَيْتَ آخْرَهُمْ وَشَأْوِكَ فَائِتَ الْآخِرِينَ وَمُدْرِكٌ لِّلْأَوَّلِ
الآنَ سُمِّيَتِ الْخَلَافَةُ بِاسْمِهَا كَالْبَدْرِ يُقْرَنُ بِالسَّمَاكِ الْأَعْزَلِ
تَائِيَ فَعَالُكَ أَنْ تُقْرَأَ لَآخِرِ مِنْهُمْ وَجُودُكَ أَنْ يَكُونَ لِأَوَّلِ

٢٠ وهذه الأرجوزة التي ذكرت جميع مغازيه ، وما فتح الله عليه فيها في كل غزاة ، وهى :

(١) مارشن : من أعمال جيان (انظر البيان المغرب ج ٢ ص ١٦٦) . وف بعض الأصول : « مارتس » .

(٢) في بعض الأصول : « ضمنتها مغازيه » .

سُبْحَانَ مَنْ لَمْ تَحْوِهِ أَفْطَارُ
وَمَنْ عَنْتَ لِوْجَهِهِ الْوُجُوهُ
سُبْحَانَهُ مِنْ خَالقِ قَدِيرٍ
وَأَوْلَى لِيْسَ لَهُ أَبْتِدَاهُ
وَأَوْسَعَنَا إِحْسَانُهُ وَفَضْلُهُ
وَجَلَّ أَنْ تُدْرِكَهُ الْعَيْنُونُ
لَكَنْهُ يُدْرِكُ يَالْقَرِيمُ
وَهَذِهِ مِنْ أَثَبَتَ الْمَعَارِفَ
مَعْرِفَةُ الْعَقْلِ مِنَ الْإِنْسَانِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى نِعَمَّهِ
وَبَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالْتَّمَجِيدِ
أَوْلُ فِي أَيَّامِ خَيْرِ النَّاسِ
وَمَنْ أَبَادَ الْكُفُرَ وَالنَّفَاقَ
وَنَحْنُ فِي حَنَادِيسِ الْكَلَيلِ
حَتَّى تُولَى عَابِدُ الرَّحْنِ
مُؤَيَّدٌ حَكَمَ فِي عُدَاتِهِ
وَصَبَّحَ الْمُلْكُ مَعَ الْهَلَالِ
وَاحْتَمَلَ التَّقْوَى عَلَى جَبَينِهِ
قَدْ أَشْرَقَتْ بُنُورُهُ الْبَلَادُ
هَذَا عَلَى حِينَ طَغَى النَّفَاقُ
وَضَاقَتِ الْأَرْضُ عَلَى سُكَّانِهَا

٥

١٠

$\frac{364}{2}$

١٥

٢٠

(١) في بعض الأصول: « زهاء » .

(٢) في أكثر الأصول: « بدرن » .

(٣) في بعض الأصول: « الكتاب » .

ونَحْنُ فِي عَشَوَاء مُدْلَمَهُ . وَظُلْمَهُ مَا مُثْلِهَا مِنْ ظُلْمَهُ
 تَأْخُذُنَا الصَّيْحَةُ كُلَّ يَوْمٍ فَمَا تَلَذَّ مُقْلَمَهُ بِنَوْمٍ
 وَقَدْ نُصْلَى الْعِيدَ بِالنَّوَاطِرِ مُخَافَهُ مِنِ الْعَدُوِّ التَّافِرِ^(١)
 حَتَّى أَتَانَا الْغَوْثُ مِنْ ضِيَاءٍ طَبَقَ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ
 خَلِيفَهُ اللَّهُ الَّذِي أَصْطَفَاهُ عَلَى جَمِيعِ الْخَدَاقِ وَاجْتَبَاهُ
 مِنْ مَعْدَنِ الْوَحْىِ وَبَيْدَتِ الْحِكْمَهُ
 وَخَيْرٌ مَذْسُوبٌ إِلَى الْأَعْمَهِ^(٢) تَسْكُلُ عَنْ مَعْرُوفِهِ الْجَنَائِبُ
 وَتَسْتَحِي مِنْ جُودِهِ السَّحَابَهُ^(٣) فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِهِ بَرْهَانُ
 وَكُفَّهُ تَقْبِيلُهُمَا^(٤) قُرْبَانُ أَخْيَا الَّذِي ماتَ مِنَ الْمَكَارِمِ
 مِنْ عَهْدِ كَعْبٍ وَزَمَانِ حَاتِمٍ^(٥) مَكَارِمُ يَقْصُرُ عَنْهَا الْوَاصْفُ
 وَغُرْرَهُ يَخْسِرُ عَنْهَا الْطَّرفُ وَشِيمَهُ كَالصَّابِ أَوْ كَالْمَاءِ
 وَهِمَهُ تَرَقَ إِلَى السَّمَاءِ وَأَنْظَرَ إِلَى الرَّفِيعِ مِنْ بُنْيَانِهِ^(٦)
 يُرِيكَ بِدْعَاهُ مِنْ عَظِيمِ شَاهِهِ لَوْخَايِلُ^(٧) الْبَحْرُ نَدَى يَدِيهِ
 إِذَا لَجَتْ^(٨) عُفَافَهُ إِلَيْهِ لِغَاضَ أَوْ لَكَادَ أَنْ يَغِيَضَآ
 وَلَا أَسْتَحِي مِنْ بَعْدِ أَنْ يَفِيضاً مَنْ أَسْبَغَ النَّعْمَى وَكَانَتْ مَحْقَماً
 وَفَتَقَ الدُّنْيَا وَكَانَتْ رَفِقاً^(٩) هُوَ الَّذِي جَمَعَ شَمْلَ الْأَمَمِ
 وَجَابَ عَنْهَا دَامِسَاتِ الْظُّلْمَهُ وَجَدَدَ الْمَلِكَ الَّذِي قَدْ أَخْلَقَ
 حَتَّى رَسَتْ أَوْتَادُهُ وَأَسْتَوْقَهُ^(١٠) وَجَمَعَ الْمُؤْمَهُ وَالْعَدِيدَا
 وَكَشَفَ الْأَجْنَادَ وَالْحُشُودَا

(١) النواطير، وحذفت الياء للشعر: جمع ناظور، وهو الحارس.

(٢) في بعض الأصول: «أمية». (٣) الجنائب: جمع جنوب، وهي ربع تخالف الشمال، مهربها من مطلع سهيل إلى مطلع الثريا.

(٤) في بعض الأصول: «لفعله». (٥) يزيد كعب بن مامدة وحام طيء، من أجود العرب. (٦) في بعض الأصول: «وانظر إلى البديم من يانه».

(٧) المخايلة: المباراة. وفي بعض الأصول: «كابل».

(٨) في بعض الأصول: «إذا التجت».

(٩) في بعض الأصول: «ورق الدنيا وكانت فتقة».

(١٠) في بعض الأصول: «واستوتفقا».

أول غزوة غزاها أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد

فاستنزل الوحوش من المضاب
فأذعنـت مُرَاقُها سِرَاجاً
لما رماها بسيوف العزم
كادت لها أنفسهم تجود
لولا إله زلـات زلـاتها
فأنزل الناس إلى البسيط
وافتتح الحصون حصناً حصناً
ولم يزل حتى انتـحـى جـيـاناً
فاصـبـحـ الناسـ جـيـعاً أـمـتهـ
نـمـ اـنـتـحـىـ منـ فـورـهـ إـلـيـهـ (٣)
قدـ اـسـهـاـ مـخـيـلـهـ وـرـجـلـهـ
لـمـ يـدـعـ منـ جـنـهاـ مـرـيدـاـ
الـ كـسـاهـ الـذـلـ وـ الصـغـارـاـ
ـنـاـ رـأـيـتـ مـثـلـ ذـاكـ الـعـامـ
ـأـنـصـرـفـ الـأـمـيرـ منـ غـزـاتـهـ
ـرـقـبـلـهاـ ماـ خـضـعـتـ وـأـذـعـنـتـ
ـبـعـدـهاـ مـدـيـنـةـ الشـئـيلـ (٥)

^(١) انظر الحاشية رقم (٤٩٩ ص ٥) من هذا الجزء.

(٢) في بعض الأصول : « يسعد من هاته ». (٣) قال ياقوت : إلبرة ، وزن

آخر يطة وبعضهم يقول: بلبرة، وربما قالوا: لبرة: كورة كبيرة من الأندلس.

(٤) لمستجة (بالكسر ثم السكون وكسر الناء): اسم لكتورة بالأندلس متصلة بأعمال

ريه . (انظر معجم البلدان) . (٥) شنيل : أحد نهري غرب ناتة وينحدر

من جبل شلبر . والآخر حدرة ، وينحدر من جبل ، بناحمة مدينة وادى آش .

وفي بعض الأصول: «التحليل». وفي سائرها: «الضفتاح». .

لما غزاها قائدُ الأميرِ
باليمن في لوازِهِ المنصورِ
فأسلمتْ ولم تكن بالمسالمهِ
وزال عنها أَحْمَدُ بن مَسْلَمَهُ
وبعدها في آخرِ الشهورِ من ذلك العامِ الزَّكِيَّ^(١) النُّورِ
أَرْجَفت القِلَاعُ والْحُصُونُ كائناً ساورَهَا المُنُونُ
وأَقْبَلتْ رجاهمَا وفُودَهَا
تبغى^(٢) لدَيِّ إمامِهَا السُّعُودَةِ
إلا توافَوْهَا عند بابِ السَّدَّهِ
قلوبُهُمْ باخْمَةٌ بالطَّاءَهُ
قد أَجْمَعوا الدُّخُولَ فِي الجَمَاعَهُ

سنة إحدى وثلاثين

ثم غَزا في عَقْبِ عامِ قَابِلِ
بِحال فِي شَذُونَهُ^(٤) والسَّاحِلِ
حتَّى كَوَى أَكْلَبَهَا الْهَرِيرَهُ
بِكَلٍّ كَلٍّ كَمْدُرَهُ الطَّاحُونَهُ
يُعْزِى إِلَى سُوادَهُ إِذَا أَعْتَزَى^(٧)
ثُمَّ يَكُونُ عَبْدَهُ الْمَأْمُورَهُ
فَسَالَ أَنْ يُمْهِلَهُ شَهُورًا
وَعَادَ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ وَقَفلَ
عَلَى الَّذِي خَالَفَ فِيهَا وَأَنْتَزَى
وَلَمْ يَدْعُ رَيَّهَهُ^(٥) وَالْجَزِيرَهُ
حتَّى أَنْاخَ فِي ذُرَى قَرْمُونَهُ^(٦)
فَأَسْعَفَ الْأَمِيرَ مِنْهُ مَا سَأَلَ

سنة اثنين وثلاثين

كان بها القُفُولُ عَنْدَ الْجَيَّهِ
منْ غَزوَ إِحدى وَثَلَاثَهُ
فَلَمْ يَكُنْ يُدْرِكَ فِي باقيَهَا
غَزوَ وَلَا بَعْثَ يَكُونُ فِيهَا

(١) في بعض الأصول : « الذكى ». (٢) في بعض الأصول : « مدى أيامها » .

(٣) في بعض الأصول : « وعده ». وفي سائرها : « ومنه » .

(٤) شذونة (فتح أوله وبعد الواو السا كنة نون) : مدينة بالأندلس تتصل نواحيها بنواحي موزور من أعمال الأندلس . (انظر معجم البلدان) .

(٥) رية : كورة واسعة بالأندلس متصلة بالجزيرة الخضراء . (انظر معجم البلدان) .

(٦) قرمونة : مدينة بالأندلس في الشرق

من إشبيلية وبينها وبين استorge خمسة وأربعون ميلاً . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .

(٧) قرمونية . (٧) في ابن الأبار : « سواره » .

سنة ثلاثة وثلاثين

٣٦٦
٢

ثُمَّتْ أَغْزِي فِي الْثَلَاثَةِ عَمَّهُ وَحَزْمَهُ

فَسَارَ فِي جَيْشِ شَدِيدٍ^(١) الْبَاسِ وَقَائِدُ الْجَيْشِ أَبُو الْعَبَّاسِ^(٢)

حَتَّى تَرَقَ بِذُرْيٍ بُشْتَرَ^(٣) وَجَالَ فِي سَاحَاتِهَا بِالْعَسْكَرِ

فَلَمْ يَدْعُ زَرْعًا وَلَا نَمَارًا وَقَطَعَ الْكَرْوَمَ مِنْهَا^(٤) وَالشَّجَرَ

ثُمَّ أَنْتَنَى مِنْ بَعْدِ ذَاكَ قَافِلًا فَأَيْقَنَ الْخِنْزِيرُ عِنْدَ ذَا كَا

فَكَاتَبَ الْإِمَامَ بِالْإِجَابَةِ فَأَنْخَدَ اللَّهُ شَهَابَ الْفِقْنَهُ

وَأَرْتَعَتِ الشَّاهَةُ مَعَهُ الدَّيْبُ وَأَرْتَعَتِ الشَّاهَةُ مَعَهُ الدَّيْبُ

أَنْ لَا بَقَاءَ يُرْتَجِي هُنَا كَا

وَالسَّمْعُ وَالطَّاعَةُ وَالإِيمَانُ

وَأَصْبَحَ النَّاسُ مَعًا فِي هُدْنَهُ

إِذْ وَضَعَتْ أَوْزَارَهَا الْحُرُوبُ

وَأَنْتَنَى مِنْ بَعْدِ ذَاكَ قَافِلًا

فَأَيْقَنَ الْخِنْزِيرُ عِنْدَ ذَا كَا

فَكَاتَبَ الْإِمَامَ بِالْإِجَابَةِ فَأَنْخَدَ اللَّهُ شَهَابَ الْفِقْنَهُ

وَذَاكَ أَنْ قَوَادُ^(٦) قَائِدَيْنِ

هَذَا إِلَى الشَّغْرِ وَمَا يَلِيهِ

(١) في بعض الأصول : « صدوق » .

(٢) أبو العباس ، هو أحمد بن أبي عبيدة ، وسيأتي ذكره قريبا . (انظر ابن الأبار ٤ : ١٤١) .

(٣) انظر الحاشية رقم (٨ ص ٤٢٦) من هذا الجزء .

(٤) في بعض الأصول : « منه » .

(٥) كذا في بعض الأصول . وفي بعض آخر : « لم يتصادر » . وفي سائرها : « لم يضاف » .

(٦) في بعض الأصول : « يقود » .

وذا إلى شُمٌّ الْرَّبَا من مُرْسِيَه^(١)
 القرشىُّ القائد القنابل^(٢)
 في خَيْرٍ ما تَعْبِيهِ وشِكٌّ^(٣)
 وكلٌّ ثُكْلٌ للعدُوِّ ثا كُلٌّ
 كان أَفْتَاحُ لَبْلَةٍ^(٤) الْحَمْراءُ
 في عَقْبٍ هَذَا الْعَامِ لَا سِواهُ
 وغَمَّهَا^(٥) حَتَّى أَجَابَتْ حُكْمَهُ^(٦)
 بَدْرًا فَضْمٌ صَاحِبَهَا ضَمَّهُ
 وَأَسْلَمَتْ صَاحِبَهَا مَقْهُورًا حَتَّى أَتَى بَدْرُ بَهْ مَأْسُورًا

سنة خمس وثلاثمائة

١٠ إلى السَّوَادِيَّ عَقِيدِ النَّحْسِ
 وَنَقْضِ الْمِيشَاقَ وَالْعُهُودَ
 وَنَبَذَ السُّلْطَانَ مِنْ شَقَائِهِ
 أَغْزَى إِلَيْهِ الْقُرْشَىُّ الْقَائِدَ^(٧)
 فَكَانَ كَالشَّفْعَ هَذَا الْوِترِ^(٨)

١٥ وَبَعْدَهَا كَانَتْ غَرَاءُ خَمْسٍ
 لَمَّا طَغَى وَجَازَ الْحُدُودَ
 ثُمَّ شَدَّ أَزْرَهُ بَدْرٌ
 أَحْدَقَهَا بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ
 فَنَازَلَ الْحِصْنَ الْعَظِيمَ الشَّانِ

(١) مرسية (بضم أوله والسكون وكسر السين المهملة وباء مفتوحة خفيفة) : مدينة بالأندلس من أعمال تدمير . وبلنسيه : كورة ومدينة مشهورة بالأندلس متصلة بحوزة كورة تدمير . (انظر معجم البلدان) .

٢٠ (٢) هو إسحاق بن محمد القرشى . (انظر ابن خلدون ج ٤ ص ١٣٩)

(٣) شك : جمع شكة ، بالكسر فيها ، وهي السلاح .

(٤) لبلة (بفتح أوله ثم السكون ولام أخرى) : قصبة كورة بالأندلس كبيرة يتصل عملها بعمل أكسونية ، وهي شرق من أكسونية وغرب من قرطبة ولها مدن ، وتعرف بلبلة الحمراء . (انظر معجم البلدان) . وفي بعض الأصول : «ليلة» بالمعنى التحتية .

٢٥ (٥) في بعض الأصول «وعمها» . (٦) في بعض الأصول : «عنوه» .

(٧) بدر ، هو بدر بن أحمد الحاجب . (انظر البيان المغرب ج ١ ص ١٧٩) . وفي بعض الأصول : «بها والوتر» .

٣٦٧
٢

كذا على قتاله مُشاراً
وَضَيْقَ الْحَلْقِ عَلَيْهِ وَالنَّفَسِ
وَفَتَحُوا الْأَبْوَابَ دُونَ رَأْيِهِ
وَهُوَ بِهَا كَهْيَةً الظَّعِينَهُ
وَمُلْقِيًّا يَدِيهِ لِلإِسْرَارِ
وَقَادَهُ مُكْتَفًا^(٢) لِهُمْ كَوْ
نَكْبُ أَبِي العَبَّاسِ بِالْإِسْلَامِ^(٤)
وَقَائِدًا مِنْ أَخْلِ الْقُوَادِ
الضَّارِ بَيْنَ عِنْدِ وَقْتِ الضَّرِبِ
وَالْحَشَمُ الْجَمِهُورِ عِنْدَ الْحَاجِ
وَغَابُ ذُو التَّحْصِيلِ عَنْهُ وَالنَّظَارِ
فَكَانَ بَيْنَ الْبُعدِ وَالْدُّنْوِ
وَأَفْرَدُوهُ لِلْكَلَابِ الْعَاوِيَّةِ
قَدْ وَهَبُوا نُفُوسَهُمْ لِلْبَارِي
إِلَّا شَدِيدُ الضَّرِبِ لِلْكُفَّارِ

فَلَمْ يَزِلْ بَدْرُّ بَهَا مَحاصرًا
وَالْكَلْبُ فِي تَهْوِرٍ^(١) قَدْ انْفَعَ
فَأُفْتَرَقَ الْأَصْحَابُ عَنْ لَوَانِهِ
وَأَقْتَيْمُ الْعَسْكَرُ فِي الْمَدِينَهُ
مُسْتَسْلِمًا لِلذُّلِّ وَالصَّغَارِ
فَنَزَعَ الْحَاجِ تَاجَ مُلْكِهِ
وَكَانَ فِي آخِرِ هَذَا الْعَامِ
غَزَا وَكَانَ أَنْجَدَ الْأَنْجَادِ
فَسَارَ فِي غَيْرِ رِجَالِ الْحَرْبِ
مُحَارِبًا فِي غَيْرِ مَا مُحَارِبٌ
وَأَجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ أَخْلَاطُ الْكُوَزِ
حَتَّى إِذَا أَوْغَلَ فِي الْقَدُوُّ
أَسْلَمَهُ أَهْلُ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَّهُ
فَاسْتُشْهِدَ الْقَائِدُ فِي أَبْرَارِ
فِي غَيْرِ تَأْخِيرٍ وَلَا فَرَارٍ

سنة ست وثلاثين

وَأَحْكَمَ النَّصَرَ لِأَوْلِيَائِهِ
أَزْهَقَ فِيهِ الْحَقُّ نَفْسَ الْبَاطِلِ
وَخَيْرٌ مَوْلُودٌ وَخَيْرٌ وَالِدٌ
وَفَاضَ مِنْ غَيْظِهِ عَلَى الْكُفَّارِ

ثُمَّ أَقَادَ اللَّهُ مِنْ أَعْدَائِهِ
فِي مَبْدَا الْعَامِ الَّذِي مِنْ قَابِلِ
فَكَانَ مِنْ رَأْيِ الْإِمَامِ الْمَاجِدِ
أَنْ أَحْتَمَى بِالْوَاحِدِ الْقَهَّارِ

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

(١) في أكثر الأصول: «تهور». (٢) في بعض الأصول: «الضفينة».

(٣) كنا في بعض الأصول. وفي سائرها: «مكحعا». والمكحع: المفعم اليـد أو المقطـوعـها.

(٤) يريد: نكب الإسلام بأبي العباس، فقلب. وفي بعض الأصول: «نكث». وفي بعض آخر: «ركث».

٧٣٩
 ونَفَرَ السَّيِّدُ وَالْمَسُودَا
 وَرَفَضَ الْلَّذَاتِ وَالْجُبُورَا
 وَاجْتَمَعَ الْحُشَادُ وَالْحُشُودُ
 وَكَانَتِ النَّفْسُ عَلَيْهِ خَائِفَةً
 وَعَسَكَرٌ مِثْلِ سَوَادِ اللَّيلِ
 وَكَانَ فِيهَا أَخْبَثُ الْبَرِيَّةِ
 كَأُنْدَمًا أَضْرَمَ فِيهَا النَّارُ
 وَأَحْدَقَتْ حَوْلَهُ الرَّجَالُ
 وَقَدْ نَفَتْ نُومَهُمُ الرَّئَمَةُ
 جَرَاحُهُمْ تَنْغُلُ فِي الْجَوَارِحِ
 حَتَّى بَدَا^(٤) الْمَوْتُ لَهُمْ زُوَّاماً
 تُهْطِرُهُمْ صَوَاعِقُ الْبَلَائِيَّةِ
 وَانْحَشَدُوا^(٥) مِنْ تَحْتِ كُلِّ بَجْمٍ
 يَوْمَ التَّحِيدِ مُسْرِعاً حَيْثِ شَاءَ
 وَحَوْلَهُ الصَّلْبَانُ وَالْمَوَاقِسُ
 عَنْ جَانِبِ الْحِصْنِ الَّذِي قَدْ دُمِّرَ
 مُسْتَبْصِرًا فِي زَحْفِهِ إِلَيْهِ
 وَأَعْتَدَتْ الْأَرْوَاحُ عِنْدَ الْخَنْجَرِ^(٦)
 وَأَنْزَمَتْ بَطَانَةُ الشَّيْطَانِ
 وَأَدْبَرَ الْعِلْجُ ذَمِيَّاً خَازِيَا^(٧)
 بَخْمَ الْأَجْنَادَ وَالْحُشُودَا
 وَحَشَرَ الْأَطْرَافَ وَالثُّغُورَا
 حَتَّى إِذَا مَا وَفَتِ الْجِنُودُ
 قَوْدٌ^(١) بَدِرَا أَمْرَ تَلْكَ الطَّائِفَةِ
 فَسَارَ فِي كَتَابِ كَالْسَّيِّلِ
 حَتَّى إِذَا حَلَّ عَلَى مُطْنَيَّهِ^(٢)
 نَاصِبُهُمْ حَرَبًا لَهَا شَرَارُ
 وَجَدَ مِنْ بَيْنِهِمُ القَتَالُ
 خَارِبُوا يَوْمَهُمْ وَبَاتُوا
 فِيهِمْ طَوَالَ اللَّيلِ كَالْطَّلَائِحِ
 شُمْ مَضَوَا فِي حَرْبِهِمْ أَيَامًا
 لَمَّا رَأُوا سَحَابَ الْمَنَيِّهِ
 تَغَلَّلُ الْعُجُومُ بِأَرْضِ الْعُجُومِ
 فَأَفَبَلَ الْعِلْجُ لَهُمْ مُغِيَّبَا
 بَيْنِ يَدِيهِ الرَّاجِلُ وَالْفَوَارِسُ
 وَكَانَ رَجُوْنُ يُزَبِّلُ الْعَسْكَرَا
 فَأَعْتَاقَهُ بَدْرُ بْنُ لَدَيْهِ
 حَتَّى التَّقْتَ مَيْمَنَةُ بَمَيْسِرَهِ
 فَفَازَ حِزْبُ اللهِ بِالْعِلْجَانِ
 فَقَتَّلُوا قَتْلًا ذَرِيعًا فَاشِيَا^(٨)
 (١) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « أَفَادَ ». (٢) فِي الْبَيَانِ : « مُطْنَيَّهُ » .
 (٣) الْطَّلَائِحُ : الْإِبْلُ أَعْيَتْ وَتَبَعَتْ . وَنَغَلُ الْجَرْحُ : فَسَدٌ . وَفِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ :
 « تَشَفَّلُ » . وَفِي بَعْضِ آخَرِهِ : « تَصْلُ » . وَالْجَوَارِحُ : أَعْصَاءُ الْإِنْسَانِ .
 (٤) فِي أَكْثَرِ الْأَصْوَلِ : « تَرَى » . (٥) فِي بَعْضِ الْأَصْوَلِ : « وَانْحَسَرُوا » .
 (٦) اعْتَدَتْ : اعْتَرَضَتْ . وَفِي أَكْثَرِ الْأَصْوَلِ : « وَاعْتَلَتْ » .
 (٧) فِي أَكْثَرِ الْأَصْوَلِ : « خَاسِيَا » .

فَصَبَحُوا عَدُوًّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ^(١)
وَانْصَرَفَ النَّاسُ إِلَى الْقَلْيَعَةِ^(٢)

ثُمَّ التَّقَى الْعِلْجَانُ فِي الطَّرِيقِ
فَأَعْدَا عَلَى أَنْتَهَى الْعَسْكَرِ
وَأَقْسَمَا بِالْجِبْرِ وَالطَّاغُوتِ^(٣)

فَأَقْبَلُوا بِأَعْظَمِ الطُّغْيَانِ
حَتَّى تَدَاعَى النَّاسُ يَوْمَ السَّبْتِ
فَأَشْرَعَتْ بَيْنَهُمُ الرَّماحُ
وَقَارَقَتْ أَغْمَادَهَا السَّيُوفُ^(٤)

وَأَلْقَتِ الرَّجُالُ بِالرَّجُالِ
فِي مَوْقِفٍ زَاغَتْ بِهِ الْأَبْصَارُ
وَهَبَ أَهْلُ الصَّبَرِ وَالْمَصَارِ
حَتَّى بَدَتْ هَزِيمَةُ الْبُشْكَنْسِ^(٥)

فَانْقَضَتْ عِقَبَانُ وَالسَّلَاقَةُ
عِقَبَانَ مَوْتٍ تَخْطِفُ الْأَرْوَاحَ
فَانْهَزَمَ الْخَزِيرُ عَنْ دَازِكَ
فُقِتُّلُوا فِي بَطْنِ كُلٍّ وَادِيٍّ^(٦)

وَقَدْمَ الْقَائِدِ الْفَرَاسِ^(٧) ذَوِي الْعَامِسِ^(٨)

(١) في بعض الأصول: « مظنة ». قال ابن عذاري في البيان (ج ٢ ص ٢٤٨) : « ثُمَّ عرجوا — يريد النصارى — على حصن يقر بهم يعرف بالقلية ... فانشد إليهم جميع أهل المدينة بفارسهم وراجلهم ... فنجهم الله عز وجل أكتاف الكفر » .

(٢) في بعض الأصول: « الحلق » .

(٣) أوقع الغارة: بثها . وفي بعض الأصول: « فأرجعوا » .

(٤) البشكنس: سكان الأندلس . وانظر نفح الطيب للمقرى .

(٥) زعقة (كمعه): ذعره . وفي بعض الأصول: « رهقا » . والرهق (كالفرح): أن تحمل الإنسان على ما لا يطيقه ، ولا يستقيم بها وزن الشعر إلا مع إسكانه .

(٦) في بعض الأصول: « فارس » . (٧) في بعض الأصول: « الجناليق » .

والجناليق: جمع جناليق (بفتح الشاء المثلثة): رئيس للنصارى .

(٨) ذوى العباس ، أو ذوى الشدة والبأس . ومنه: أمر عباس ، كسيحاب ، أى شديد . وفي بعض الأصول: « ذوى الفناس ». وفي بعض آخر: « العباس » وفي سائرها: « الفطارس » .

فَتَمْ صُنْعُ اللَّهِ لِلإِسْلَامِ وَعَنْنَا سُرُورُ ذَكِ الْعَامِ
وَخَيْرُ مَا فِيهِ مِنْ الشَّرُورِ مَوْتُ ابْنِ حَفْصَوْنَ بِالْخِزِيرِ
فَاتَّصَلَ الْفَتْحُ بِفَتْحِ ثَانِي وَالنَّصْرُ بِالنَّصْرِ مِنْ الرَّحْمَنِ
وَهَذِهِ الْغَزَّةُ تُدْعَى الْقَاضِيَةُ وَقَدْ أَتَتْهُمْ بَعْدَ ذَكِ الدَّاهِيَةِ^(١)

سنة سبع وثلاثمائة

وَبَعْدَهَا كَانَتْ غَزَّةُ بَلْدَهُ^(٢) وَهِيَ الَّتِي أَوْدَتْ بِأَهْلِ الرَّدَّهِ
أَصْدَقَ أَهْلَ الْأَرْضِ عَدْلًاً وَوَفَاقَ
لَمَّا أَتَتْهُ مِيتَةُ الْخِزِيرِ
وَبَدَؤُهَا أَنَّ الْإِمَامَ الْمُصْطَفَى
كَاتِبَهُ أَوْلَادُهُ بِالطَّاعَةِ
وَأَنْ يُقْرَئُهُمْ عَلَى الْوَلَايَةِ
فَأَخْتَارَ ذَلِكَ الْإِمَامَ الْمُفْضِلَ
شَمْ لَوْيَ الشَّيْطَانُ رَأْسَ جَعْفَرِ
فَنَقَضَ الْعَهْوَدَ وَالْمِيَاثِقَ
وَضَمَّ أَهْلَ النَّكْثِ وَالْخِلَافِ
فَاعْتَاقَهُ^(٤) الْخَلِيفَةُ الْمُؤَيدُ
وَمَنْ عَلَيْهِ مِنْ عُيُونِ اللَّهِ
فِي جَنَدِ الْجُنُودِ وَالْكَتَابِيَّا
شَمْ غَزَا فِي أَكْثَرِ الْعَدِيدِ
حَتَّى إِذَا مَرَّ بِحِصْنِ بَلْدَهُ

(١) في بعض الأصول : « الراية » .

(٢) بلدة : مدينة بالأندلس من أعمال رية ، وقيل من أعمال قيرة . (انظر معجم البلدان) .

(٣) في بعض الأصول : « الغير » . (٤) في بعض الأصول : « ولا مواف » .

(٥) اعتاقه : صرفه وتبطه ، كعاقه .

(٦) في أكثر الأصول : « خلد فيها » .

يَمْنَعُهُم مِّنْ انتِشار خَلِيلِهِمْ وَحَارِسًا^(١) فِي يَوْمِهِمْ وَأَيَّامِهِمْ
 شَمْ مَضِي يَسْتَنْزِلُ الْمُصْوَنَا وَيَبْعَثُ الطَّلَاعَ وَالْعَيْوَنَا
 حَتَّى أَتَاهُ باشِرٌ^(٢) مِنْ بَلْدَةٍ يَعْدُو بِرَأْسِ رَأْسِهِ فِي صَدْعَةٍ
 فَقَدَمَ الْخَيْلُ إِلَيْهَا مُسْرِعًا
 خَفَّهَا بِالْخَيْلِ وَالرَّثَمَةِ
 فَأَطْلَعَ الرَّجُلُ عَلَى أَنْقَابِهَا^(٣)
 فَأَذْعَنَتْ وَلَمْ تَكُنْ بَعْدَعْنَهُ
 فَقُدِّمَتْ كُفَّارُهَا لِلسَّيْفِ
 وَذَاكِرِهِمْ مِنْ إِلَامِ الْمُرْتَقَى
 شَمْ أَنْتَحَى مِنْ فَوْرَهُ بُدْشَتَرَا^(٤)
 وَحَطَمَ النَّبَاتَ وَالزُّرُوعَ
 فَإِذْ رَأَى الْكَابُ الذِّي رَأَاهُ
 أَلْقَى إِلَيْهِ بِالْيَدِينِ ضَارِعًا
 وَأَنْ يَكُونَ عَامِلًا فِي طَاعَتِهِ
 فَوَثَقَ الْإِمَامُ مِنْ رِهَانِهِ^(٥)
 وَقَبِيلُ الْإِمَامُ ذَاكِرِهِ^(٦)
 وَسَالَ أَنْ يُبَقَّى عَلَيْهِ وَادِعًا^(٧)
 عَلَى دُرُورِ الْخَرْجِ مِنْ جِبَائِتِهِ^(٨)
 كَيْلًا يَكُونُ فِي عَمَىٰ^(٩) مِنْ شَانِهِ
 فَضْلًا وَإِحْسَانًا وَسَارَ^(١٠) عَنْهُ

(١) فِي أَكْثَرِ الأَصْوَلِ : « حَرَسَهُمْ » .

(٢) باشِر ، أَيْ مُبَشِّر . وَفِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « يَاسِرٌ » .

(٣) أَنْقَابِهَا ، أَيْ مَدَخِلَهَا وَمَنَافِذَهَا وَطَرَقَهَا . وَفِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « أَعْقَابِهَا » .

(٤) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « وَاسْتَسِلَمَ ابْنَ كَافِرٍ » .

(٥) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « فِي قَطْعِهِ مُثَوَّاهٌ » .

(٦) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ « وَسَأَلَ إِبْقَالَهُ مَوَادٌ » .

(٧) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « وَرَدٌ » .

(٨) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « فِي غَنِيٍّ » .

(٩) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « وَزَالٌ » .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

سنتة ثمان وثلاثمائة

٣٧٠
٤
٢
١٠
١٥
٢٠
٢٥
٣٧٠

تم غزا الإمام دار الحرب فكان خطبًا ياله من خطب^(١)
فحشّدت^(٢) إليه أعلام السكوز ومن له في الناس ذكر وخطر^(٣)
وكُلّ منسوب إلى الشّامات إلى ذوى الديوان والرّايات^(٤)

وكلّ من أخلص ل الرحمن
 وكلّ من طاوع في الجهاد^(٥)
 فكان حشدًا ياله من^(٦) حشد
 فتبحسب الناس جرadaً منتشر^(٧)
 ثم مضى المظفر المنصور^(٨)
 أمامه جندٌ من الملائكة^(٩)
 حتى إذا فوز^(١٠) في العدو^(١١)
 وأنزل العجزية والدوahi على الدين أشركوا بالله^(١٢)
 فنزلات أقدمهم بالرّعب وأستنفر وامن خوف نار الحرب^(١٣)
 واقتصرت الشعاب والمأكامتا^(١٤)
 فما بقي من جنَبات دور^(١٥)
 إلا وقد صيرها هباء^(١٦)

(١) في البيان المغرب: «وفي سنة ٣٠٨ كان غزوة أمير المؤمنين إلى دار الحرب وهي غزوة موبش».

(٢) في بعض الأصول: «نحاشدت».

(٣) في بعض الأصول: «النار».

(٤) في بعض الأصول: «الجهاد».

(٥) في أكثر الأصول: «تعدية الحشاء» في مكان «مسرّج على الجياد».

(٦) في بعض الأصول: «لم يكن» مكان «ياله من».

(٧) في بعض الأصول: «في».

(٨) فوز: مضى.

(٩) في بعض الأصول: «حر».

(١٠) في أكثر الأصول: «فما بقي من جناب دور».

(١١) الآباء: القصب؛ الواحدة: أباء.

وزَعَنْتَ كِتَابُ السُّلْطَانِ
فِكَانَ مِنْ أَوْلَى حِصْنَ زَعْنُوا
مَدِينَةً مَعْرُوفَةً بِوَحْشَهُ
ثُمَّ أَرْتَقُوا مِنْهَا إِلَى حَوَاضِ^(١)
ثُمَّ مَضَوا وَالْعِلْجُ يَحْتَذِيهِمُ
حَتَّى أَتَوْا تَوَّا لَوَادِي دَيِّ
لَمَّا أَلْتَقُوا بِمَجْمَعِ الْجَوْزَيْنِ
مِنْ أَهْلِ أَلْيُونَ وَبَنْبُلُونَهُ^(٥)
تَضَافَرُ^(٨) السُّكْفُرُ مَعَ الْإِلَحَادِ
فَاضْطَرَّ بِوَا فِي سَفَحِ طَوْدِ عَالِيٍّ
فَبَادَرَتْ^(٩) إِلَيْهِمُ الْمُقَدَّمَهُ
وَرِدَّهَا مُتَصَّلَّ بَرِّ^(٦)
فَأَنْهَمَ الْعِلْجَانَ فِي عِلاجِ
كَلَامًا يَنْظُرُ حِينَما خَلَفَهُ
وَالْبَيْضُ فِي إِثْرِهِ وَالسُّمْرُ
فَلَمْ يَكُنْ لِلنَّاسِ مِنْ بَرَاحِ
فَأَمْرَ الْأَمِيرُ بِالتَّقْوِيَضِ^(٧)

١٠

وَكُلُّ مَا فِيهَا مِنَ الْبُنْيَانِ
وَمَنْ بِهِ مِنَ الْعُدوِّ أَوْ قَعُوا
فَغَادُوهَا فَحَمَّهُ مُسْخَمَهُ
فَغَادُوهَا مِثْلَ أَمْسِ الدَّابِرِ
بِجَيْشِهِ يَخْشَى وَيَقْتَفيْهُمُ^(٢)
فَفِيهِ عَقَّ^(٣) الرَّشْدُ سُبْلَ الْغَيِّ
وَاجْتَمَعَتْ كِتَابُ الْعِلْجَيْنِ^(٤)
وَأَهْلِ أَرْنِيَطِ^(٦) وَبَرْشُلُونَهُ^(٧)
وَاجْتَمَعُوا مِنْ سَائِرِ الْبَلَادِ
وَصَفَّفُوا تَعْبِيَّةً الْقِتَالِ
سَامِيَّةً فِي خَيْلَهَا الْمُسَوَّمَهُ
يُمْدِهِ بَحْرٌ عَظِيمٌ الْمَدِّ
وَلَبَسُوا ثُوبًا مِنَ الْعَجَاجِ
فَهُوَ يَرَى فِي كُلِّ وَجْهٍ جَتْفَهُ
وَالْقَتْلُ ماضٍ فِيهِمُ وَالْأَسْرُ
وَجَاءَتْ الرَّهْوَسُ فِي الرَّمَاحِ
وَأَسْرَعَ الْعَسْكَرُ فِي النَّهْوَضِ

١٥

(١) في بعض الأصول : « خواتر ». تحرير . وانظر البيان المغرب (ص ١٨٦) فيه تعداد المدن والمحاضر التي افتحتها المسلمين .

(٢) في بعض الأصول : « وبنقيهم ». (٣) في بعض الأصول : « عض ». ٢٠

(٤) العلجان هما أزدون وشانجه . (انظر البيان المغرب ص ١٨٧) .

(٥) أليون ، أى ليون وهى قاعدة من قواعد قشتالة . (انظر صفة جزيرة الأندلس) . وبنبلونة : مدينة بالأندلس بينها وبين سرقسطة ١٢٥ ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .

(٦) أرنبيط : مدينة بالأندلس بينها وبين تطيلة ٣٠ ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) . وفي بعض الأصول : « يربص » : وفي سائرها : « أربط » . ٢٥

(٧) برشلونه : مدينة للروم بينها وبين طركونة محسون ميلا . (انظر صفة جزيرة الأندلس) .

(٨) في بعض الأصول : « ظاهر ». (٩) الرد : امتلاء الفرع من اللبن قبل النتاج . شبه به مدد الجيش .

فصادفوا الجهور لما هُزموا
 وعاينوا قوادهم تخْرِمُرا
 إذ طَمِعوا في حصنها بالغَوتِ
 فدخلوا حديقةَ الموتِ
 فيالها حديقةَ وبالها
 وافت بها نفوذهم آجالها
 تحسنوا إذ عاينوا الأهواء
 وصخرةً كانت عليهم صَيْلَماً^(١)
 تساقطوا يَسْتَطِعُونَ الماء
 فكم لسيفِ الله من جَزُورٍ
 وكم به قَتَلَ من القساوس^(٢)
 ثم ثَنَى عنانَهُ الأميرُ
 مُحَمَّداً بِحَربِ دار^(٣) الْحَرَبِ
 فداسَها وسامَها بالخَسْفِ
 فخرَّقَا وَمَزَقَا الْحُصُونَا
 فانظرَ عن اليمين واليسارِ
 وأصبحتْ ديارُهُم بلا قُعاً
 وقد شَفِيَ من العدو وأشْتَقَ
 ونُصرَ الإمامُ فيها المصطفى

سنتة تسعة وثلاثة

سَمَا إِلَيْهَا جَيْشُهُ لَمْ يُنْهَشْ^(٤)
 وَبَعْدَهَا كَانَتْ غَزَّةُ طَرَشْ^(٥)
 وَأَحْدَقَتْ بِحُصْنِهَا الْأَفَاعِيَ
 وَكُلُّ صِلْ أَسْوَدُ شُجَاعَ

(١) الصيلم : الدهيبة والأمر الشديد . (٢) في بعض الأصول : « فاستخرجت » .

(٣) في بعض الأصول : « النسان » . وفي سائرها : « القواوس » .

(٤) في بعض الأصول : « يندب بالصلبان » .

(٥) في بذيع أهل . (٦) في بعض الأصول : « وأشْخَصُوا » .

(٧) في أكثر الأصول : « طوس ... عَسْ » . وما أثبتنا من سائر الأصول . وطرش

(بضم أوله وتشديد ثانية وآخره شين معجمة) : ناحية بالأندلس تشتمل على

ولاية وقرى . انظر معجم البلدان وابن الأبار (ج ص ٢١٤) والبيان المغرب

(من ١٩٠) . ولم ينهش ، أى لم يمْعَى ولم يجهد .

٣٧٦

ثُمَّ بَنَى حِصْنًا عَلَيْهَا رَاتِبًا يَعْتَوِرُ الْقُوَادُ فِيهِ دَائِبًا
حَتَّى أَنْبَتَ عَنْوَةً حِنْانِهَا وَغَابَ عَنْ يَافُوخَا شَيْطَانُهَا
فَأَذْعَنْتُ اسْيَدَ السَّادَاتِ وَأَكْرَمَ الْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ
خَلِيفَةُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ وَخَيْرُ مَنْ يَحْكُمُ فِي بَلَادِهِ
وَكَانَ مَوْتُ بَدْرِ بْنِ أَحْمَدِ بَعْدَ قُفُولِ الْمَلَكِ الْمُؤَيَّدِ
وَأَسْتَحْجَبُ الْإِمَامُ خَيْرُ حَاجِبٍ
مُوسَى الْأَفْرَمُ مِنْ بَنِي جَدَّيرٍ (١)

سنة عشر وثلاثمائة

وَبَعْدَهَا غَزَّةُ عَشْرَ غَزَّوْهُ
غَزَا الْإِمَامُ فِي ذَوِي السُّلْطَانِ
فَاحْتَلَ حِصْنَ مِنْتَلُونَ (٢) قَاطَمَا
سَارَ إِلَيْهِ وَبَنَى (٣) عَلَيْهِ
ثُمَّ أَنْذَنَى عَنْهُ إِلَى شَذُونَهُ (٤)
وَسَاقَهَا بِالْأَهْلِ وَالْوِلْدَانِ
وَلَمْ يَدْعُ صَفَّيَا وَلَا مَنْيَعَا
ثُمَّ أَنْذَنَى بِأَطْيَبِ الْقُفُولِ كَمَضَى بِأَحْسَنِ الْفَضُولِ

سنة إحدى عشرة وثلاثمائة

وَبَعْدَهَا غَزَّةُ إِحدَى عَشَرَةَ كَمَنْتَهُ مِنْ نَامِمِي سَكْرَةَ

(١) كذا في نفح الطيب (١ ص ٢٢٩) والبيان المغرب (ص ١٩١). والذى فى الذهبى (ص ٤٣٩) : « موسى بن محمد بن حذير الحاجب » بالحاء المهملة . والذى فى الأصول : « جرير » .

(٢) فى أكثر الأصول : « منه وعنوة » مكان « ميشلون عنوة » .
(٣) فى بعض الأصول : « ثوربة » . (٤) فى بعض الأصول : « ثنى » .
(٥) شذونه . مدينة بالأندلس . وانظر الحاشية رقم (٢ ص ٤٥٠) من هذا الجزء .

٣٧٢
٢

فِي عَسْكَرٍ أَعْظَمْ بِذَاكَ عَسْكَرًا
 وَجَالَ فِي شَاطِئٍ^(٢) وَفِي سُواهَا^(٤)
 وَأَذْعَنَتْ شَاطِئُ لِرَبِّ الْعَسْكَرِ
 فِيهَا وَلَمْ يَتَرَكْ بِهَا عَنِيدًا^(٥)
 فَدَاسَهَا بِالْقَضْمِ بَعْدَ اَلْخَضْمِ^(٦)
 مِنْهَا وَفِي الغَابَاتِ وَالْوُعُورِ
 لَمْ يَدْرِ قَطُ طَاعَةَ السُّلْطَانِ
 وَذَادُهُمْ عَنْهُ بِخَيْرِ ذَائِدٍ^(٧)
 وَأَنْقَذَ الثَّغَرَ مِنْ الْمَلَكِ^(٨)
 وَقَدْ جَرَتْ دَمَاؤُهَا مَطْلُولَهُ^(٩)
 مِنْ شِيعَةِ الْكُفَّارِ وَمِنْ ذَوِيهِ
 قَدْ غَيَّرَ الْفَسَادَ بِالصَّلَاحِ^(١٠)

غَزَ الْإِمَامُ يَنْتَحِي بِيَدِشَّتَرَا^(١)
 فَاحْتَلَ مِنْ بِيَدِشَّتَرَ ذَرَاهَا
 فَخَرَّبَ الْعُمَرَانَ مِنْ بِيَدِشَّتَرِ
 فَأَدْخَلَ الْعُدَّةَ^(٥) وَالْعَدِيدَ^(٦)
 ثُمَّ أَنْتَحَى بِمَدْحُصُونَ الْعُجْمِ^(٧)
 مَا كَانَ فِي سُواحِلِ الْبَحْرِ^(٨)
 وَأَدْخَلَ الطَّاعَةَ فِي مَكَانِ^(٩)
 ثُمَّ رَأَى الثَّغَرَ بِخَيْرِ قَائِدِ^(١٠)
 بِهِ قَوًا^(٨) اللَّهُ ذُو الْإِشْرَاكِ^(٩)
 وَأَنْتَاشَ مِنْ مَهْوَاهَا تُطِيلَهُ^(١٠)
 وَطَهَرَ^(١١) الثَّغَرَ وَمَا يَلِيهِ^(١٢)
 ثُمَّ أَنْتَفَى^(١٢) بِالْفَتْحِ وَالنَّجَاحِ

(١) انظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٢٧) من هذا الجزء . وفي بعض الأصول : « يَبْتَغِي بِيَدِشَّتَرَا » .

١٥ (٢) في بعض الأصول : « وَجَازَ » .

(٣) شاط : حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة كثير الشجر والفواكه والخירות .
 (انظر معجم البلدان) .

(٤) في بعض : « وَمُسْتَوَاهَا » . (٥) في بعض الأصول « الْقَوَةُ » .

(٦) القضم : الأكل بأطراف الأسنان . والخضم : الأكل بأقصى الأضراس . وفي
 بعض الأصول : « بِالْقَضْمِ بَعْدَ الْقَضْمِ » .

(٧) الثغر : كل موضع قريب من أرض العدو .

(٨) كذا في بعض الأصول . و « قَوًا » (بالهمز و سهل) : قع . والذى في سائر
 الأصول : « قَضَى » .

(٩) تطيلة (بالضم ثم السكر وباء ساكنة ولام) : مدنه بالأندلس في شرق قرطبة .
 (انظر معجم البلدان) .

(١٠) في بعض الأصول : « ثُوت ... مَطْلُولَهُ » .

(١١) في بعض الأصول : « سَهْلٌ » .

(١٢) في بعض الأصول : « ثُمَّ أَنْتَفَى » .

سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة

و بعدها غزاةٌ ثُنْتَيْ عَشَرَةً
و كم بها من حسرةٍ^(١) و عبرةٍ
غزا الإمامُ حوله كتائبُه
كالبدر محفوفاً به كواكبُه^(٢)

غزا وسيفُ النصر في يمينه
وصاحبُ العسكرية والتدبر^(٣)
فدمَرَ الحصونَ من تدميرٍ
فاجتمعت عليه كلُّ الأمةٍ

وطالعُ السعد على جمِينه
موسى الأغر حاجبُ الأمير^(٤)
وأسفلَ الوحشَ من الشخور^(٥)
وبايته أمراءُ الفتنةٍ

حتى إذا أوعب من حصونها
مضى وسار^(٦) في ظلالِ العسكرية
رجال^(٧) تدمير وَمَن يليهم
حتى إذا حلَّ على تعطيله^(٨)

وجَلَ الحق على مُتونها^(٩)
تحت لواءِ الأسدِ الفضَّافِرِ
من كلٍّ صنفٌ يعزى إليهم
بكثرة على^(١٠) دمائها المطلولةٍ

وعظم ما لاقت من العدو
فهم أن يُدْيِنَ^(١١) دار الحربِ
شم أستشارِ ذا النَّهْيِ والحجرِ
في كلِّهم أشار أن لا يُدْرِبَا

(١) في بعض الأصول : « خبرة » .

(٢) في بعض الأصول : « كتائب » و « الكواكب » .

(٣) في بعض الأصول : « والتدبر » . (٤) في بعض الأصول : « صاحب » .

(٥) تدمير (الضم ثم السكون وكسر الميم وباء ساكنة وراء) : كورة بالأندلس تتصل بأحواز كورة جيان ، وهي شرق قرطبة . (انظر معجم البلدان) .

(٦) أوعب الشيء : أخذه أجمع .

(٧) في بعض الأصول : « وطار » . (٨) في بعض الأصول : « رجال » .

(٩) انظر الحاشية رقم (٥ ص ٥١٦) من هذا الجزء .

(١٠) في بعض الأصول : « نكب عن » .

(١١) يُدْيِنَ ، أي يقهرها ويستولى عليها . وفي بعض الأصول : « يُزْيِنَ » .

٥

١٠

١٥

٢٠

٢٥

لأنه في عسكر قد انخرم
وشنعوا أن وراء الفجج
فقال لا بد من الدخول
وأن أدخل أرض بنبلونه^(١)
وكان رأيَّاً مِمْكُن من صاحب
فاستنصر الله وعي ودخل
لما مضى وجاءوا الذروبا
عي له عاج من الأعاج
فاستنصر الإمام رب الناس
وعاذ بالرغبة والدعا
فقدم القواد بالخشود
فأنهزم العلاج وكانت ملحمة
فقتلوا مقتلة الفباء
ثم أمال نحو بنبلونه
حتى إذا جا سوأخلال دورها
بكث على ما فاتها الغواطر
لفقد من قتل من رجالها
فكما بها وحولها من أغلف^(٥)
وكم بها حقر^(٧) من كنائس

(١) انظر الحاشية (رقم ٥ ص ١٣٥) من هذا الجزء .

(٢) في بعض الأصول: «خير حاصل».

(٣) في بعض الأصول: «العلاج... الفحص» . : ناجي شاهين (٢)

(٤) في بعض الأصول : « مدققة ». (٥) الأغلف : الذي لا يعم.

(٦) في بعض الأصول : « دمع عن ». .

(٧) فـ بعض الأصول : « معناه »

(٧) في بعض الأصول : « معزاء » بـ « ملائكة ملائكة » (مقدمة) (١٢).

يَبْكِي لَهَا النَّاقُوسُ وَالصَّلِيبُ
كَلَامًا فَرَضَ لَهُ النَّحِيبُ
وَانْصَرَفَ الْإِمَامُ بِالنَّجَاحِ
وَالنَّصْرِ وَالتَّأْيِيدِ وَالْفَلَاحِ
شَمَ ثَنَى الرَّاياتِ فِي طَرِيقِهِ
إِلَى بَنِي ذِي الْنُونِ مِنْ تَوْفِيقِهِ
فَأَصْبَحُوا مِنْ بَنَطِهِمْ فِي قَبْضِ
عَتْدِهِمْ حَتَّى بَدَوْا إِلَيْهِ بِالْبَرْهَانِ
فَأَصْبَحُوا مِنْ بَنَطِهِمْ فِي قَبْضِ
عَتْدِهِمْ حَتَّى بَدَوْا إِلَيْهِ بِالْبَرْهَانِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَأْيِيدِهِ
حَمْدًا كَثِيرًا وَعَلَى تَسْدِيدهِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى تَأْيِيدِهِ
حَمْدًا كَثِيرًا وَعَلَى تَسْدِيدهِ

سَنَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وَثَلَاثَةَ

وَقَاتَلُوهُمْ أَبْلَغَ الْقِتَالِ
تَبَادَرُوا بِالظُّوعِ حِينَذَا كَا^(٥)
وَسَحَوْا بِخَرْجِهِمْ خُضُوعًا^(٦)
قَدْ هُدِمَتْ مَعَاقِلُ الْعُصَاهَةِ^(٧)
عَلَى بَنِي هَابِلَ^(٨) فِي مَسِيرِهِ
وَأَمْرَاءُ الْفِتْنَةِ الْمُغَيْرَةِ
إِذْ جُبِسُوا^(٩) مَرَاقِبًا^(١٠) عَلَيْهِمْ
وَكُلُّ مَنْ لَا ذِبْهَمْ مِنَ الْخَدَمِ
وَأَسْكَنُوا مَدِينَةَ السُّلْطَانِ
شَمَ غَزَا بِيُمْنَهُ^(٢) أَشُونَا^(٣)
وَحَفَّهَا^(٤) بِالْخَيلِ وَالرِّجَالِ
حَتَّى إِذَا مَا عَانَوْا الْهَلَاكَةَ
وَأَسْلَمُوا حِصْنَهُمُ الْمَنِيعَا
وَقَبَلُهُمْ فِي هَذِهِ الْغَزَا
وَأَحْكَمَ الْإِمَامُ فِي تَدْبِيرِهِ
وَمَنْ سَوَاهُمْ مِنْ ذُوِي الْعَشِيرَةِ
مِنَ الْبَنِينَ وَالْعَيْالِ وَالْحَشَمِ
فَهَبَطُوا مِنْ أَجْمَعِ الْبُلْدَانِ

- (١) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «أَكْثَرُ الْأَنْبَاءِ» . وَفِي سَائِرِهَا : «أَكْثَرُ الْإِمَامَاتِ» .
 (٢) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «بَقِيَةُ» . (٣) كَذَا فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ . وَلِمُلْهَمِها :
 «أَشُونَةُ» وَهِي حَصْنٌ بِالْأَنْدَلُسِ مِنْ كُورَةِ اسْتِبْجَةِ . (انْظُرْ مَعْجمَ الْبُلْدَانِ وَصَفَةَ
 جَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ) . (٤) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «وَخَصْهَا» ,
 (٥) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «عَنْدَ ذَاكَ» . (٦) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «سَرِيعَا» .
 (٧) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «مَعَادِدُ الْأَسَاءِ» . (٨) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «هَائِلَّ» . وَمَا
 أَثَبَتْنَا مِنْ سَائِرِ الأَصْوَلِ وَ353 Spanish Islam .
 (٩) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «حَسِبُوا» . (١٠) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : «مَرَاقِبَا» .

فـكـانـ في آخـرـ هـذـاـ العـامـ
 بـعـدـ خـضـوعـ الـكـفـرـ لـالـإـسـلـامـ
 مـشـاهـدـ من أـعـظـمـ الـمـشـاهـدـ
 لـمـاـ غـزاـ إـلـىـ بـنـىـ ذـيـ النـوـنـ
 إـذـ جـاؤـ زـوـاـ فـيـ الـظـلـمـ وـالـطـغـيـانـ
 وـحـاـوـلـواـ الدـخـولـ فـيـ الـأـذـيـةـ
 فـعـاقـهـمـ عـنـ كـلـ مـاـ رـجـوـهـ
 وـضـبـطـهـ الـحـصـنـ الـعـظـيمـ الشـانـ
 ثـمـ مـضـىـ الـلـيـثـ إـلـيـهـ زـحـفـاـ
 فـانـهـزـمـواـ هـزـيـةـ لـنـ تـرـفـدـاـ
 وـغـيرـهـ مـنـ أـوـجـهـ الـفـرـسانـ
 مـقـطـعـ الـأـوـصـالـ بـالـسـنـابـكـ
 ثـمـ جـلـوـاـ إـلـىـ طـلـابـ الـأـمـنـ
 فـقـبـضـتـ رـهـانـهـمـ وـأـمـنـواـ
 ثـمـ مـضـىـ الـقـائـدـ بـالـتـأـيـيدـ
 حـتـىـ أـتـىـ حـصـنـ بـنـىـ عـمـارـهـ
 فـأـفـتـحـ الـحـصـنـ وـخـلـىـ صـاحـبـهـ

سـنـةـ أـرـبـعـ عـشـرـةـ وـثـلـيـثـاءـةـ
 لـمـ يـغـزـ فـيـهاـ وـغـزـتـ قـوـادـهـ
 فـكـلـهـمـ أـبـلـ وـأـغـنـيـ وـاـكـتـفـيـ

(١) في بعض الأصول: «على». (٢) كذلك في بعض الأصول والبيان مغرب (ص ٢٠٢). والذى فىسائر الأصول: «سرية».

(٣) في بعض الأصول: «مسربلا». وفي سائرها: «مغربا».

(٤) في بعض الأصول: «ما فرض».

(٥) في بعض الأصول: «بدائعا». وفي سائرها: «وثائقا».

(٦) في بعض الأصول: «بالحرب والتدمير والإغارة».

(٧) في الأصول: بتستر. تحرير. (انظر الحاشية رقم ١ ص ٤٢٧) من هذا الجزء.

شِمْ تلامِمْ بعْدَ لَيْثَ الْغَيلِ
عَبْدُ الْحَمِيدِ مِنْ بْنِ بَسِيلِ^(١)
وَجَاءَ^(٢) فِي غَرَاتِهِ بِالصَّبِيلِ^(٣)
مِنْ جُمُعِ الْخِزِيرُفِيهِ وَالْأَسْدِ^(٤)
مُصْلِبَيْنِ عَنْدَ بَابِ السَّدَّةِ^(٥)
صَائِمَةً قَائِمَةً لَا تَرْمِحُ
يُطِهِّتُهَا النَّجَارُ لَا الْبَيْطَارُ
عِينَاهُ فِي كَلْتِيهِمَا مِسْهَارُ^(٦)
عَلَى جَوَادِ غَيْرِ ذِي جِمَاجِ
قَوْلَ مُحَبِّ نَاصِحٍ شَفِيقٍ
وَمَنْ عَصَى خَلِيفَةَ الرَّجْنِ
أَصْدَقَ مِنْهُ فِي الدِّيْنِ لَا يَصْدِقُ
يَمْتَ إِذَا شَاءَ بِمِثْلِ دَائِهِ
قَدْ ارْتَقَى فِي مِثْلِ ذَاكَ الْحَالِقِ
وَرَأْسُهُ فِي جِذْعِهِ مُرْكَبٌ
بِحَالِ مَنْ تَطَلَّبَهُ الْخَلَافُ
مُعْتَبِرًا لِمَنْ يَرَى وَيَسْمَعُ
مُبَاشِرًا لِلشَّمْسِ وَالرِّيحِ
يَقُولُ لِلْخَاطِرِ بِالطَّرِيقِ
هَذَا مَقَامُ خَادِمِ الشَّيْطَانِ
فَمَا رَأَيْنَا وَاعْظَمَا لَا يَنْطَقُ
فَقُلْ لِمَنْ غُرِ^(٧) بِسُوءِ رَأْيِهِ
كَمْ مَارَقَ مَضِيَ وَكَمْ مُنَافِقٍ
وَعَادَ وَهُوَ فِي الْعَصَمِ مُصْلَبٌ
فَيَكِيفُ لَا يَعْتَبِرُ الْمُخَالِفُ
أَمَا تَرَاهُ فِي هَوَانٍ يَرْتَعُ^(٨)

سِنَةُ خَمْسٍ عَشَرَةَ وَثَلَاثَةَ

فِيهَا غَزا مُعْتَزِمًا^(٩) بِبُشْتَرا^(٩) بَجَالَ فِي سَاحِتِهَا وَدَمَرَ^(١٠)

٣٧٥
٢

(١) كذا في البيان المغرب (ص ٢٠٣). والذى في ابن الأبار (ج ٤ ص ١٣٥) : « عبد الحميد بن سبيل ». والذى في الأصول « نشيل ».

٢٠

(٢) في بعض الأصول : « وجَال ». (٣) الصَّبِيلُ : الْدَّاهِيَةُ وَالْأَمْرُ الشَّدِيدُ .

٢١

(٤) في بعض الأصول : « عَنْدَنَا الشَّدَّةُ » مَكَانٌ « بَابُ السَّدَّةُ » .

(٥) الأَسْوَارُ (بِالضمِّ وَالْكَسْرِ) : قَائِدُ الْفَرْسِ ، وَالْجَيْدُ الرَّمِيُّ بِالسَّهَامِ ، وَالثَّابِتُ عَلَى ظَهَرِ فَرْسِهِ . (٦) في بعض الأصول : « عَزَاءٌ » . (٧) في بعض الأصول :

٢٢

« أَمَارَاهُ مِنْ هَوَانٍ يَرْفَعُ » . (٨) في بعض الأصول : « مُسْتَعِزِمًا » .

(٩) في الأصول : « بَنْسَتَرا ». وانظر الحاشية (رقم ١ ص ٤٢٧) من هذا الجزء .

ثم غزا طَبْجِيرَةَ^(١) إِلَيْهَا وَهِيَ الشَّجَى مِنْ بَيْنِ أَخْدَعَهَا
 وَامتدَّهَا بَابِنِ السَّلَمِ رَاتِيَا مُشْمَرًا عَنْ سَاقِهِ مُحَارِبًا^(٢)
 حَتَّى رَأَى حَفْصُ سَبِيلَ رُشْدِهِ بَعْدُ بُلوغِ غَايَةِ مِنْ جُهْدِهِ
 فَدانَ لِلإِمَامِ قَصْدًا خَاضِعًا وَأَسْلَمَ الْحِصْنَ إِلَيْهِ طَائِعًا

سنة سنت عشرة وثلاثمائة

لَمْ يَغْزِ فِيهَا وَانْتَهَى بُدْشَتَرَا فَرَمَتْهَا بِمَا رَأَى وَدَرَّا
 وَاحْقَلَهَا بِالْعَزَّ وَالْتَّمَكِينِ وَمَخَوَّلَ آثَارِ بْنِ حَفْصُونِ
 وَعَاصَمَهَا الْإِصْلَاحُ مِنْ فَسَادِهِمْ وَطَهَرَ الْقَبُورَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ
 حَتَّى خَلَّا مَلْحُودُ كُلُّ قَبْرٍ مِنْ كُلِّ مُرْتَدٍ عَظِيمٍ الْكُفُرِ
 عِصَابَةً مِنْ شِيعَةِ الشَّيْطَانِ عَدُوَّةً لِلَّهِ وَالسُّلْطَانِ
 فَخَرُّمَتْ أَجْسَادُهَا تَخْرِمَةً وَأَصْلَمَتْ أَرْوَاحَهُمْ جَهَنَّمَ
 وَوَجَهَ الْإِمَامُ فِي ذَا الْعَامِ عَبْدَ الْحَمِيدَ وَهُوَ كَالضَّرَغَامُ^(٣)
 لِلَّهِ أَبْنَ دَاؤَدَ الَّذِي تَقْلِمَهَا فِي جَبَلِي شَذُونَةَ^(٤) تَقْنَمَا
 فَخَطَّهُ مِنْهَا إِلَى الْبَسِطِ كَطَائِرَ آذَنَ بِالشَّقْوَطِ
 ثُمَّ أَتَى بِهِ إِلَى الْإِمَامِ إِلَى وَفَّى الْعَهْدِ وَالْذِمَّامِ^{١٥}

(١) كذا في بعض الأصول والبيان المغرب (من ٢٠٧). قال ابن عذاري: « ثم انتقل — يعني الناصر — إلى محل طاجيره، فعهد بالبيان فيها وأقام بها ». والذى في سائر الأصول: « ثم بنى طاجيرة عليها ».

(٢) راتبا، من الرتب، وهو الشدة والأنصباب.

(٣) في بعض الأصول: « الضيغم الضرغام ».

(٤) في بعض الأصول: « شزنة ». تحريف. انظر الحاشية رقم (٣ ص ٥٠٤) من هذا الجزء.

سنة سبع عشرة وثلاثة

وَبَعْدَ سَبْعَ عَشَرَةَ وَفِيهَا غَزَا بَطْلَيُوسُ وَمَا يَلِيهَا^(١)
 فَلَمْ يَرْلِيْسُهَا بِالْخَسْفِ وَيَنْتَهِيْهَا بِسُيُوفِ الْحَتْفِ
 حَتَّى إِذَا مَا خَضَ جَانِبَهَا مُحَاصِرًا نَمَ بَنَى عَلَيْهَا
 خَلْيَ ابْنِ إِسْحَاقِ عَلَيْهَا رَاتِبًا مُشَارِرًا فِي حَرْبِهِ مُواظِبًا
 وَمَرَيْسَتَقْهِي^(٢) حُصُونَ الْغَرْبِ وَيَقْتِلُهَا بَوَيْلُ الْحَرْبِ
 حَتَّى قَضَى مِنْهُنَّ كُلَّ حَاجَةٍ وَأَفْتَحَتْ أَكْشُونِيَّة^(٣) وَبَاجَة^(٤)
 وَبَعْدَ فَتْحِ الْغَرْبِ وَأَسْتَقْصَائِهِ لَجَّتْ بَطْلَيُوسُ عَلَى نِفَاقِهَا
 وَغَرَّهَا الْمَجَاجُ مِنْ مُرَادِهَا وَشَامَتْ الرَّمَاحُ وَالشَّيْوَافَا
 دُعَا ابْنُ مَرْوَانَ إِلَى السُّلْطَانِ فَصَارَ فِي تَوْسِعَةِ الْإِمَامِ
 وَجَاءَهُ بِالْعَهْدِ وَالْأَمَانِ^(٥) وَسَاكِنًا فِي قُبَّةِ الْإِسْلَامِ

سنة ثانية عشرة وثلاثة

فِيهَا غَزَا بِعَزْمِهِ طَلِيْطَلَهُ وَأَمْتَنَعُوا بِعَقْلِهِ لَا مِثْلَ لَهُ
 حَتَّى بَنَى جَرْنَكْشَه^(٦) بِجَنْبِهَا حِصْنًا مُنِيعًا كَافِلًا بِحَرْبِهَا

(١) بطليوس (بفتحتين وسكون اللام وباء مضمرة وسین مهملة) : مدينة كبيرة بالأندلس من أعمال ماردة على نهر آنة غربي قرطبة . (انظر معجم البلدان) .

(٢) في بعض الأصول : « يستصرف » .

(٣) أَكْشُونِيَّة (بفتح الميم وسكون السكاف وضم الشين المعجمة وسكون الواو وكسر النون وباء خفيفة) : مدينة بالأندلس يتصل عملها بعمل لشبونة . (انظر معجم البلدان) . وفي الأصول : « شَكُوتَه » . وما أثبتنا من البيان المغرب (ص ٢٠٥) .

(٤) باجة : في خمسة مواضع ، منها باجة الأندلس هذه . (انظر معجم البلدان) .

(٥) هو ابن مروان المنقري وكان على بطليوس . (انظر البيان المغرب ص ٢١٣) .

(٦) كذا في تاريخ المسلمين بالأندلس لدوزي . وفي البيان المغرب (ص ٢١٨) : « جَرْنَكْش » . وفيه : حتى احتل محلة جرنكش بقرب طليطلة ، ثم أمر بالبنيان في جبل جرنكش . والذى في الأصول : « جَلْنَكْش » .

وَشَدَّهَا بَأْنُ سَلِيمٍ قَائِدًا
٣٧٦
بِجَاهِهَا نَجَالَدًا لِأَهْلِهَا مُجَاهِدًا
بِخَاسِهَا فِي طُولِ ذَاكِ الْعَامِ بِالْخَسْفِ وَالنَّسْفِ وَضَرْبِ الْهَامِ

سَنَةُ تِسْعَ عَشَرَةِ وَثَلَاثَائِتَةِ

٥
ثُمَّ أَتَى^(١) رِدْفَالَهُ دُرْرَى^(٢) فِي عَسْكَرِ قَضَاوَهُ مَقْضَى
خَاصِرُوهَا عَامَ تِسْعَ عَشَرَةَ بِكُلِّ مَحِبُولِ الْقُوَى ذِي مِرَّةٍ^(٣)
ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدًا بِالرِّجَالِ فَقَاتَلُوهُمْ أَبْلَغَ الْقِتَالِ

سَنَةُ عَشَرَينَ وَثَلَاثَائِتَةِ

١٠
حَتَّى إِذَا مَا سَلَفَتْ شُهُورُ مِنْ عَامِ عِشَرَينَ هَذِهِ ثُبُورُ
أَلْقَتْ يَدِيهِ الْإِلَامُ طَائِعَهُ^(٤) وَأَسْتَسْلَمَتْ قَسْرًا إِلَيْهِ باخْرَهُ
فَأَذْعَنَتْ وَقَبَلَهَا لَمْ تَذْعَنْ
وَلَمْ تَدِنْ لَوْبَهُ سَبْعَانِيَّاً بِدِينِ
وَمُبْقَدِي عِشَرَينَ مَاتَ احْمَاجِبُ مُوسَى الَّذِي كَانَ الشَّهَابَ الشَّاقِبَ
وَبَرَزَ^(٥) الْإِلَامُ بِالْتَّأْيِيدِ فِي عُدَّةِ مِنْهُ وَفِي عَدِيدِ
صَدَمَا^(٦) إِلَى الْمَدِينَةِ الْعَيْنِيَّةِ أَتَعْسَمَا الرَّحْنَ مِنْ مَدِينَهُ
١٥
مَدِينَةُ الشَّفَاقِ وَالنَّفَاقِ وَمَوْئِلُ^(٧) الْفُسَاقِ وَالْمَرَاقِ
حَتَّى إِذَا مَا كَانَ مِنْهَا بِالْأَمْ
مُسْتَسْلِمِينَ لِلْإِلَامِ الْمُعْتمَدِ
أَتَاهُ وَالْيَهُ وَأَشْيَانُ^(٨) الْبَلَدِ
فَوَافَقُوا الرَّحْبَ مِنَ الْإِلَامِ
وَوَجَهَ الْإِلَامُ فِي الظَّهِيرَهُ خِيلًا لِكَيْ تَدْخُلَ فِي الْجَزِيرَهُ^(٩)

- ٢٠ (١) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « اِنْتَنِي ». (٢) دَرِي ، هُوَ دَرِي بْنُ عَبْدِ الرَّحْنِ الصَّقْلِيُّ أَبُو عَمَانَ ، مَوْلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ النَّاصِرِ . (انْظُرِ الْبِيَانَ الْمَغْرِبَ مِنْ ٢٠٧) .
(٣) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « أَمْرَهُ ». (٤) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « طَائِعَهُ ». .
(٥) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « وَجْوزٌ ». (٦) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « صَبْرًا ». .
(٧) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « وَتَرِيدٌ ». (٨) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « بَأشْيَانُ ». .
(٩) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « لِكِيَا يَدْخُلُ الْجَزِيرَهُ ». .

جريدة^(١) قائدُها درى^{٢)} يَلْمِعُ فِي مُتَوْنَهَا المَادِيَّة^(٣)
فَاقْتَحَمُوا فِي وَغْرِهَا وَسَهَلَهَا
وَذَاكَ حِينَ غَفْلَهُ مِنْ أَهْلِهَا
وَلَمْ يَكُنْ لِلنَّوْمِ مِنْ دِفَاعٍ
وَقَوَضَ الْإِمَامُ عِنْدَ ذَلِكَ
حَتَّى إِذَا مَا حَلَّ فِي الْمَدِينَهُ
أَقْعَدَهَا بِالْخَيْلِ وَالرِّجَالِ
وَكَانَ مِنْ أَوْلَ شَيْءٍ نَظَرًا
تَهَدَّمَ لِبَابُهَا وَالسُّورُ
حَتَّى إِذَا صَرَّرَهَا بَرَاحًا
أَقْرَأَهُ^(٤) بِالْتَّشْيِيدِ وَالتَّأْسِيسِ
فِي الْجَبَلِ النَّاجِيِّ إِلَى عَمْرُوسَ^(٥)
حَتَّى أَسْتَوَى فِيهَا بَنَاءً مُحَكَّمًا
فَعِنْدَ ذَاكَ أَسْلَمَتْ وَأَسْتَسْلَمَتْ
١٠

سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة

فِيهَا مَفْى عَبْدُ الْحَمِيدِ مُلْتَمِمُ^(٦) فِي أَهْبَةٍ وَعُدَّةٍ مِنَ الْحَشَمَ
حَتَّى أَتَى الْحَصَنَ الَّذِي تَقْلَعَعَ
يَحْيَى بْنُ ذِي النُّونِ بِهِ وَأَمْتَنَعَ
خَطْهُ مِنْ هَضَبَاتِ وَلِبِ^(٧)
وَفِي الدُّخُولِ مَدْخُولَ الْجَمَاعَهُ
إِلَّا بِتَرْغِيبٍ لَهُ فِي الطَّاعَهُ
فِي الصَّفَحِ عَنْ ذُنُوبِهِ وَتَائِبًا
حَتَّى أَتَى بِهِ الْإِمَامُ راغبًا
وَقَبْلَ الْمَبْذُولَ مِنْ إِنْابِتِهِ
١٥

(١) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « فَوَافَقُوا ». (٢) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « الدَّرِي ». (٣) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « وَقَامَ صَنْدِيدَا ». (٤) فِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « أَمْرٌ ». (٥) انْظُر 247 Spanish Islam وابن الأبار (١٢٦). (٦) مُلْتَمِمٌ ، أَيْ مُصْلِحًا أَمْرَ نَفْسِهِ مُسْتَعْدًا . وَفِي بَعْضِ الأَصْوَلِ : « مُسْتَلِمٌ ». (٧) كَذَا فِي الأَصْوَلِ .

٥

١٠

١٥

٣٧٧
٢

٢٠

ورده إلى الحصون ثانيةً مُسجلاً له عليها واليما

سنة أثنتين وعشرين وثلاثمائة

شم غزا الإمام ذو المجددين^(١) في مبتدأ عشرين وأثنتين

فـ مدـ كـ دـ كـ الرـ ظـ وـ سـ وـ الـ كـ اـ مـ

حـافـ الرـ بـيـ لـ زـ حـفـهـ تـ جـ يـ شـ

وـ كـ لـ هـمـ أـ مـضـيـ مـنـ الرـ ظـ بـالـ

وـ مـنـ حـوـالـيـهاـ حصـونـ حـيـمهـ^(٢)

مـسـتـجـديـاـ كـالـتـائـبـ الـمـذـبـ

وـ الصـفـحـ وـ الـغـفـرـانـ لـلـذـنـوبـ

بـشـاحـجـ وـ صـاهـلـ لـاـ يـمـتـشـلـ

فـ حـلـيـةـ تـعـجـزـ وـصـفـ الـواـصـفـ

نـدـنيـكـ فـيهـاـ منـ أـجـلـ مـرـتبـهـ^(٣)

وـقـائـدـأـ تـجـبـيـ^(٤) لـنـاـ هـذـاـ الشـغـرـ

وـقـدـ تـرـىـ تـغـيـرـيـ وـصـفـرـيـ

حـتـىـ أـرـمـ مـنـ صـلـاحـ حـالـ

بـالـأـهـلـ وـالـأـوـلـادـ وـالـعـيـالـ

وـجـعـلـ اللـهـ مـنـ الشـهـودـ

وـرـدـهـ عـفـوـاـ إـلـىـ مـكـانـهـ

تـذـلـيـ إـلـيـهـ بـالـوـدـادـ الـخـالـصـ^(٥)

(١) في بعض الأصول : « الجديد » .

(٢) ملوندة : من حصون سرقسطة بالأندلس . (انظر معجم البلدان) .

(٣) في بعض الأصول : « حه » .

(٤) في بعض الأصول : نرقيلك فيها في أجل مرتبه .

(٥) في بعض الأصول : « يحيى » .

(٦) يزيد جمع بشكتنس . وانظر الحاشية رقم (٤ ص ٥٠٩) من هذا الجزء .

وأنها مُرسلة من عنده وجدها متصل بمجده
واكتفت بكل بنبلوني وأطلقت أسرى بني ذي الثؤن
فأوعده الإمام في تأمينها وتكتب العسكر عن حصونها
ثم مضى بالعز والتتمكين وناصرًا لأهل هذا الدين
في جملة الرايات والعساكر ٥
وعابدي المخلوق دون الخالق إلى عِدَى الله من الجلائق
وهتكوا الرُّبُوع والرِّباعاً (١)
وأنفروا (٢) من أهلها المساكينا فدمروا الشهول والقلاء
فليس في الديار من ديارٍ فقادروا عمرانها خراباً ١٠
ولا بها من نافخ للنار وبدلوا ربوعها يباباً (٣)
وبالقلاء أحرقوا الحصونا وأسخنوا من أهلها العيونا
نعم ثنى الإمام من عنانه وقد شفى الشجاع من أشجانه (٤)
وأنمن القفار من أنجاسها (٥) وطهر البلاد من أرجاسها ٣٧٨ ٢
—————

انتهت الأرجوحة

وكل كتاب العسجدة الثانية من أخبار الخلفاء ١٥

(١) في بعض الأصول: « الزروع » .

(٢) في بعض الأصول: « وأفقدوا » .

(٣) في بعض الأصول:

قادروا الدور رمادا وبدلوا ياضها سوادا

(٤) في بعض الأصول: « التجبي » .

(٥) في بعض الأصول: « إيجابها » . ٢٠

انتهى الجزء الرابع من العقد الفريد لابن عبد ربه حسب تجزئتنا
وويله الجزء الخامس وأوله: « كتاب اليتيمة الثانية في أخبار زياد والطالبيين » .

فهرس الموضوعات

صفحة

- خطبة ابن الأهمي بين يدي عمر بن عبد العزيز ... ٩٣
خطبة لعمر بن عبد العزيز ... ٩٥
خطبة يزيد بن الوليد حين قتل الوليد ٩٥

خطب بني العباس

- خطبة أبي العباس السفاح بالشام ... ٩٧
خطب النصوص ... ٩٧
خطبة لسلامان بن علي ... ٩٩
خطبة عبد الملك بن صالح بن علي ... ٩٩
خطبة صالح ... ١٠٠
خطب داود بن علي ... ١٠٠
خطبة للمهدي ... ١٠١
خطبة هارون الرشيد ... ١٠٢
خطب الأمون ... ١٠٤
خطب عبد الله بن الزبير ... ١٠٧
خطب زياد ... ١١٠
خطبة لجامع المحاربي ... ١١٤
خطب الحجاج ... ١١٥
خطبة لطاهر بن الحسين ... ١٢٤
خطبة لعبد الله بن طاهر ... ١٢٤
خطب لقتيبة بن مسلم ... ١٢٥
خطبة ليزيد بن المهلب ... ١٢٧
خطبة لقى بن ساعدة الإيادي ... ١٢٨
خطبة لمائشة أم المؤمنين رحمة الله يوم الجل ... ١٢٨
خطبة لعبد الله بن مسعود ... ١٣٠
خطبة لعقبة بن غزوان بعد فتح الأبلة ١٣١
خطب لعمرو بن مسعود ... ١٣٢
خطبة للأحنف بن قيس ... ١٣٤
خطبة ليوسف بن عمر ... ١٣٤
خطبة لشداد بن أوس الطائي ... ١٣٥
خطبة لخالد بن عبد الله القسري ... ١٣٥
خطبة لمصعب بن الزبير ... ١٣٥

صفحة

- فرش كتاب الجنبة في الأجوية
جواب عقيل بن أبي طالب لمعاوية وأصحابه ... ٤
جواب ابن عباس رضي الله عنه لمعاوية وأصحابه ... ٧
مجاوبة بني هاشم وبني عبد شمس لابن الزبير ... ١٣
مجاوبة الحسن بن علي لمعاوية وأصحابه ... ١٩
مجاوبة بين معاوية وأصحابه ... ٢١
مجاوبة بين بني أمية ... ٢٣
الجواب القاطع ... ٢٥
مجاوبة الأئماء والرد عليهم ... ٢٧
جواب في هزل ... ٣٩
جواب في نغر ... ٤٦
— جواب ابن أبي دواد ... ٥٠
جواب في تفحش ... ٥٠

فرش كتاب الخطب

- خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع ... ٥٧
خطب أبي بكر رضي الله عنه ... ٥٨
خطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ... ٦٣
خطبة لثمان بن عفان رضي الله عنه ... ٦٦
خطب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... ٦٦
خطب معاوية ... ٨١
ومناذ كر لعبيد الله بن زياد عند معاوية ... ٨٣
خطب يزيد بن معاوية ... ٨٩
خطبة عبد الملك بن مروان ... ٩٠
خطبة الوليد بن عبد الله ... ٩١
خطبة سليمان بن عبد الملك ... ٩١
خطب عمر بن عبد العزيز رحمة الله ورضي عنه ... ٩٢

صفحة

- قولهم في الخبر ٢٠٠
وفي الأفلام ٢٠١
قولهم في الصحف ٢٠١

توقيعات الخلفاء

- عمر بن الخطاب ٢٠٥
عثمان بن عفان ٢٠٦
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ٢٠٦
معاوية بن أبي سفيان ٢٠٦
يزيد بن معاوية ٢٠٧
عبد الله بن مروان ٢٠٧
الوليد بن عبد الملك ٢٠٨
سلیمان بن عبد الملك ٢٠٨
عمر بن عبد العزیز ٢٠٨
يزيد بن عبد الملك ٢٠٩
هشام بن عبد الملك ٢٠٩
يزيد بن الوليد بن عبد الملك ٢١٠
مروان بن محمد ٢١٠

توقيعات بني العباس

- السفاح ٢١١
أبو جعفر ٢١١
المهدي ٢١٢
موسى الهادي ٢١٣
هارون الرشيد ٢١٣
المأمون ٢١٥

توقيعات الأمراء والكتباء

- زياد ٢١٧
الحجاج بن يوسف ٢١٧
أبو مسلم ٢١٨
جعفر بن يحيى ٢١٩
الفضل بن سهل ٢٢٠
الحسن بن سهل ذو الرياستين ٢٢٠
طاهر بن الحسين ٢٢١
توقيعات المعجم ٢٢٢

صفحة

- خطبة للنعمان بن بشير بالسکوفة ١٣٦
خطبة شبيب بن شيبة ١٣٦
خطبة لعتبة بن أبي سفيان ١٣٧

خطب الخوارج

- خطبة لقطرى بن الفجاعة في ذم الدنيا ١٤١
خطب لأبي حزة ١٤٤
من أرجح عليه في خطبته ١٤٧
خطب النكاح ١٤٩
خطب الأعراب ١٥١

فرش كتاب التوقيعات والفصول

- أول من وضع السكتابة ١٥٦
استفتاح السكتب ١٥٨
خت السكتاب وعنوانه ١٥٨٠
تاریخ السكتاب ١٥٩
تفسیر الائی ١٦٠
شرف السكتاب وفضلهم ١٦٠
أیام أبي بكر رضي الله عنه ١٦٣
أیام عمر بن الخطاب رضي الله عنه ١٦٣
أیام عثمان بن عفان رضي الله عنه ١٦٤
أیام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ١٦٤
الدولة العباسية ١٦٥
أسماء من كتب لتغیر خلیفة ١٦٧
أشراف السكتاب ١٦٨
من نبل بالسكتابة وكان من قبل خاماً ... ١٦٩
من أدخل نفسه في السكتابة ولم ...
پستتحقها ١٧٠

- صفة السكتاب ١٧١
ما ينبغي للسكتاب أن يأخذ به نفسه ١٧٢
خبر حائل الكلام ١٧٥
فضائل السكتابة ١٧٩
ما يجوز في السكتابة وما لا يجوز فيها ١٨٠
البلاغة ١٨٩
تضمين الأسرار في السكتب ١٩٠
قولهم في الأفلام ١٩١

صفحة	صفحة
نسب أبي بكر الصديق وصفته رضي الله عنه ... ٢٥٥	قصول في المودة ... ٢٢٣
خلافة أبي بكر رضي الله عنه ... ٢٥٦	قصول في الزيارة ... ٢٢٥
سفيفة بني ساعدة ... ٢٥٧	قصول في وصاة ... ٢٢٧
الذين تختلفوا عن بيعة أبي بكر ... ٢٥٩	قصول في عتاب ... ٢٢٨
فضائل أبي بكر رضي الله عنه ... ٢٦١	قصول في التنصل ... ٢٣٠
وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ... ٢٦٣	قصول في حسن التواصل ... ٢٣١
استخلاف أبي بكر لعمر ... ٢٦٧	قصول في الشكر ... ٢٣٣
نسب عمر بن الخطاب وصفته ... ٢٦٩	قصول في البلاغة ... ٢٣٤
فضائل عمر بن الخطاب ... ٢٧٠	قصول في المدح ... ٢٣٤
مقتل عمر ... ٢٧٢	قصول في الذم ... ٢٣٦
أمر الشورى في خلافة عثمان بن عفان ... ٢٧٣	قصول في الأدب ... ٢٣٧
نسب عثمان وصفته ... ٢٨٤	قصول إلى عليل ... ٢٣٨
فضائل عثمان ... ٢٨٥	قصول إلى خليفة وأمير ... ٢٣٩
مقتل عثمان بن عفان ... ٢٨٦	قصول لعمرو بن بحر الجاحظ ... ٢٤٢
القواد الذين أقبلوا إلى عثمان ... ٢٩٢	صدور إلى خليفة ... ٢٤٦
ما قالوا في قتلة عثمان ... ٢٩٥	صدور إلى ولی عهد ... ٢٤٦
في مقتل عثمان بن عفان ... ٢٩٨	صدور إلى ولی شرطة ... ٢٤٦
تبیؤ على من دم عثمان ... ٣٠٢	صدور إلى قاض ... ٢٤٦
ما نقم الناس على عثمان ... ٣٠٥	صدور إلى عالم ... ٢٤٦
خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... ٣١٠	صدور إلى إخوان ... ٢٤٧
نسب علي بن أبي طالب وصفته ... ٣١٠	صدور في عتاب ... ٢٤٧
فضائل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ... ٣١١	فرش كتاب المسجدة الثانية في الخلفاء وتواريχهم وأخبارهم أخبار الخلفاء
يوم الجل ... ٣١٣	نسب المصطفى صلی الله علیہ وسلم ... ٢٤٩
مقتل طلحة ... ٣٢٠	مولد النبي صلی الله علیہ وسلم ... ٢٤٩
مقتل الزبير بن العوام ... ٣٢٢	اليوم والشهر الذي هاجر فيه صلی الله علیہ وسلم ... ٢٥٠
ومن حدیث الجل ... ٣٢٥	صفة النبي صلی الله علیہ وسلم ... ٢٥٠
قولهم في أصحاب الجل ... ٣٣٠	هیئتة النبي وقعدته صلی الله علیہ وسلم ... ٢٥٠
أخبار علي ومعاوية ... ٣٣٢	شرف بيت النبي صلی الله علیہ وسلم ... ٢٥١
يوم صفين ... ٣٣٧	أبو النبي صلی الله علیہ وسلم ... ٢٥٢
مقتل عمدار بن ياسر ... ٣٤٠	ولد النبي صلی الله علیہ وسلم ... ٢٥٢
من حرب صفين ... ٣٤٣	أزواجه صلی الله علیہ وسلم ... ٢٥٢
خبر عمرو بن العاص مع معاوية ... ٣٤٥	كتاب النبي صلی الله علیہ وسلم ... ٢٥٤
أمر الحکمین ... ٣٤٦	وفاة النبي صلی الله علیہ وسلم ... ٢٥٤
احتیجاج على وأهل بيته في الحکمین ... ٣٥٠	
احتیجاج على على أهل النھروان ... ٣٥١	
خروج عبد الله بن عباس على على ... ٣٥٤	
مقتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ... ٣٥٩	

صفحة	صفحة
وفاة سليمان بن عبد الملك ... ٤٣٠	خلافة الحسن بن علي ... ٣٦١
خلافة عمر بن عبد العزيز ... ٤٣٢	خلافة معاوية ... ٣٦٢
أخبار عمر بن عبد العزيز ... ٤٣٣	فضائل معاوية ... ٣٦٣
وفاة عمر بن عبد العزيز ... ٤٣٩	أخبار معاوية ... ٣٦٤
خلافة يزيد بن عبد الملك ... ٤٤١	طلب معاوية البيعة ليزيد ... ٣٦٨
أسماء ولد يزيد ... ٤٤١	وفاة معاوية ... ٣٧٢
خلافة هشام بن عبد الملك ... ٤٤٥	خلافة يزيد بن معاوية ونسبه وصفته ... ٣٧٥
أسماء ولد هشام بن عبد الملك ... ٤٤٥	أولاد يزيد ... ٣٧٥
أخبار هشام بن عبد الملك ... ٤٤٥	مقتل الحسين بن علي ... ٣٧٦
خلافة الوليد بن عبد الملك ... ٤٥٢	تسمية من قتل مع الحسين بن علي رضي الله عنهم ... ٣٨٥
مقتل الوليد بن يزيد ... ٤٦١	حديث الزهرى في قتل الحسين رضى الله عنه ... ٣٨٥
ولاية يزيد الناقص ... ٤٦٤	وقمة الحرة ... ٣٨٧
ولاية إبراهيم بن الوليد المخلوع ... ٤٦٥	وفاة يزيد بن معاوية ... ٣٩١
ولاية مروان بن محمد بن مروان ... ٤٦٨	خلافة معاوية بن يزيد ... ٣٩١
ولد مروان ... ٤٦٩	فتنة ابن الزبير ... ٣٩٢
مقتل مروان بن محمد بن مروان ... ٤٦٩	دولة بني مروان ووقعة مرج راهط ... ٣٩٤
أخبار الدولة العباسية	
مقتل زيد بن علي أيام هشام بن عبد الملك ... ٤٨٢	ولاية عبد الله بن مروان ... ٣٩٨
خلفاء بني أمية بالأندلس	
عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ... ٤٨٨	خبر المختار بن أبي عبيد ... ٤٠٣
هشام بن عبد الرحمن ... ٤٩٠	مقتل عمرو بن سعيد الأشدق ... ٤٠٧
الحكم بن هشام ... ٤٩٠	مقتل مصعب بن الزبير ... ٤١٠
عبد الرحمن بن الحكم ... ٤٩٣	مقتل عبد الله بن الزبير ... ٤١٤
محمد بن عبد الرحمن ... ٤٩٣	أولاد عبد الملك بن مروان ... ٤٢٠
المتذر بن محمد ... ٤٩٦	وفاة عبد الملك بن مروان ... ٤٢٠
عبد الله بن محمد ... ٤٩٧	ولاية الوليد بن عبد الملك ... ٤٢١
عبد الرحمن بن محمد أمير المؤمنين ... ٤٩٨	ولد الوليد بن عبد الملك ... ٤٢٢
الأرجوزة ... ٥٠٠	أخبار الوليد ... ٤٢٣
	ولاية سليمان بن عبد الملك ... ٤٢٤
	ولد سليمان ... ٤٢٦
	أخبار سليمان بن عبد الملك ... ٤٢٦

مركز الوثائق والبعض



30018000000631

المكتبة



